المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن



ترجيحات أبي حيان الأندلسي

في التفسير من الآية (٨٠) من سورة النحل إلى آخر سورة مريم

(من خلال تفسيره البحر المحيط)

جمعًا ودراسة وموازنة

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة

بدرية بنت عطية بن حمزة الحرازي الشريف

الرقم الجامعي (٤٢٤٧٠٠٩٢)

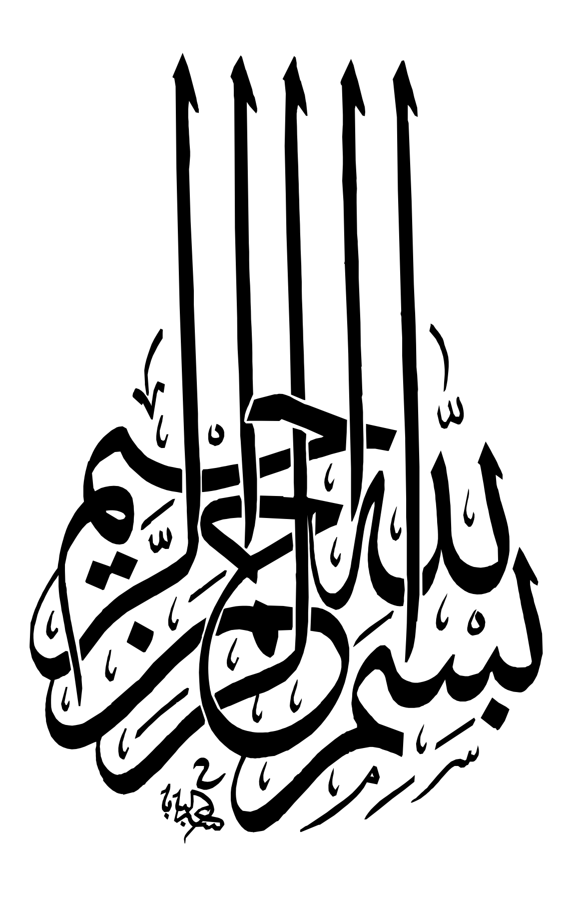
إشراف فضيلة الشيخ:

د/ عبدالعزيز عزت عبدالحكيم الوائلي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى

(المجلد الأول)

١٤٢٩هـ - ١٤٣٠هـ



ملخص الرسالة

بعنوان: (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من الآية ٨٠ من سورة النحل إلى آخر سورة مريم. من خلال تفسيره البحر المحيط جمعاً ودراسةً وموازنةً).

تتكون الرّسالة من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

التمهيد: فيما يتعلق بحياة أبي حيّان الأندلسي وترجمته، حيث أَبَانَ البحث عن أهم مراحل حياته، وأبرز مكانته العلمية، وأوضح مشاركته الجادة في التفسير، وأثره فيه، وفي سائر علوم العربية من خلال ذكر تآليفه.

أما القسم الأول: فكانت الدراسة فيه متعلقة بمنهج أبي حيّان الأندلسي في التفسير وصنيعه في تفسيره البحر، وكذا منهجه في الترجيح في التفسير، وتأصيله لقواعد الترجيح في التفسير وتطبيقه لها، كذلك شَمِل ذِكْر الصّيغ والأساليب التي استخدمها في الدّلالة على القول الرّاجح.

أما القسم الثاني: فقد عني بترجيحات أبي حيّان الأندلسي في التفسير من الآية ٨٠ من سورة النحل إلى آخر سورة مريم والتي بلغت (٢٢٦ موطنًا)، ودراسة هذه الترجيحات دراسةً تفصيلية مقارنة بأقوال أئمة العلم من مفسّرين وغيرهم.

وقد أبان البحث عن قوّة ترجيحات هذا الإمام، وأنه لم يكن مقلداً في اختياراته العلمية التفسيرية، بل كان مجتهداً يعتمد الدّليل والنظر.

ثم أنهيت البحثَ بخاتمة، وفهارس فنية كاشفة عما احتوت عليه الرّسالة.

والحمد لله على توفيقه و امتنانه.

الباحثة :

بدرية بنت عطية بن حمزة الحرازي الشريف

المشرف على البحث :

أ.د/ عبدالعزيز عزت عبدالحكيم الوائلي

Doctorate Dissertation Summary

Title ..

suggestions of Abu Hayan Al-Andolosy in the inter partition of verse ٨٠ from AlNahl till the end of Mariam verse collected and studied through his explanation the sea ocean .
The dissertation consists of introduction, extract, two divisions and index .

Extract ..

Dealing with the life of Abu Hayan Al-Andolosy and its translation as he showed the important stages in his life, his scientific position and his serious participation in interpretation and its influence and in the rest of Arabic sciences and shows his writings **.**

The First Section ..

A study dials with Abu Hayan Al-Andolosy curriculum in interpretation of sea and also his approval in explanation and his strength in the roles of interpretation and its applications and the styles or formula used as an evidence for the right saying .

The Second Section ..

dials with Abu Hayan Al-Andolosy priorities in the interpretation ٨٠ from AlNahl till the end of Mariam verse which (٢٢٦) plaus and study them in detail compare with sayings of top scientists, interpretation and others
The research has shown the strength of these priorities and he wasn't mimic in his explanatory scientific selections but he was industrious depending on evidence proof.
The research is ended by a conclusion and technical detective indexes of the which dissertation

Researcher

Badriah Bent Atya Ben Hamza Al-Harzy Al-Sherif

Supervisor

Prof. Dr. / Abdul Aziz Ezzat Abdul Hakeem Alwaely

المقدمـــة

المقدمــــة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعـــــد: -

فإن من نعمة الله على العبد أن يسلك به طريق العلم الشرعي، فيشغل به وقته، ويمضي فيه عمره، يحدوه الأمل برضوان الله تعالى، وتشخص أمامه تلك الدرجات العلى التي أعدت لمعلمي الناس الخير، وهو ما يُهوِّن على طالبه مشقة درْبه، ويُذْهِب صعوبة معاناته. ولا ريب أن العلم يَشرف بشَرف المعلوم، وعلم التفسير كذلك، فقد شَرُف غاية الشرف، لاتصاله بكلام الله تعالى. وكانت رسالتي في مرحلة الماجستير موسومة بـ (آراء ابن حزم الظاهري في التفسير، جمعاً ودراسةً ومقارنةً)، فرأيت أن ابن حزم ~ من أكثر علماء الإسلام تصنيفاً، فقد صنف في علوم شتى فهو محدث كبير، وأصولي فقيه، وناقد نحرير، له آراؤه المستقلة، وانتصاراته للدليل، واستنباطاته التي لم يسبقه إليها أحد - وإن كان كلٌّ يؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الله ﷺ ومازلت في ركاب أهل الأندلس - أحط حيث حطوا، وأسير حيث ساروا. فهأنا اليوم في مرحلة الدكتوراة أعود إليهم لأرتشف من علومهم وأستفيد من فنونهم، فالإمام أبو حيان - محمد بن يوسف الأندلسي - ت ٧٤٥هـ - إمام من أئمة الأندلس وعلم من أعلامهم، حفظ القرآن الكريم في أول حياته، ثم حفظ الكثير من المتون في القراءات، والنحو، والفقه، وأصوله، كما قرأ في المطولات والشروح،

ورحل كثيراً في طلب العلم فكثرت شيوخه، ثم اشتغل بالتدريس، والتعليم، وإفادة الطلبة، فانتفع به أهل زمانه ومن بعدهم، كما كتب مؤلفات عدة ومتنوعة بين كبير وصغير في فنون شتى.

ثم إن تفسيره « البحر المحيط » شامل لتفسير كتاب الله ﷻ مع العناية بالعلوم الأُخرى الخادمة له، وقد بذل فيه مؤلفه كل جهوده، واعتكف على تصنيفه بقية عمره، فكان هذا التفسير من أجل كتب التفسير وأعلاها شأناً بشهادة العلماء له وإفادة الناس منه.

ولقد كان لأبي حيان ~ ترجيحات واختيارات في التفسير واللغة وغيرها تشير إلى سعة علمه واطلاعه.

ولذا وقع اختياري على هذا التفسير العظيم، لتكون رسالتي للدكتوراه بعنوان **[ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من الآية ٨٠ من سورة النحل إلى آخر سورة مريم]**.

وكان هذا أول أسباب اختيار الموضوع.

ومن أسباب اختياري أيضا:-

- قيمة هذا الموضوع التفسيرية، إذ هو متعلق بمعرفة الراجح من الأقوال في تفسير آي القرآن، ولا شك أن اختيار ما رَجُح وَجْهُه مما يتنافس فيه، إذ هو دليل التبحر.

- اعطاء الدارس لهذا النوع من الموضوعات - الدراسة المقارنة - قدرة قوية على سَبر أقوال المفسرين، وفهمها ومناقشتها، والترجيح بينها، وملكة تفسيرية يكتسبها الباحث، قد لا تتوفر في دراسة كثيرٍ من الموضوعات.

- أن قواعد الترجيح في التفسير قد أصِّل لها، وهذه الدراسة تطبيق لتلك القواعد في بيان أثرها في الدلالة على أرجح الأقوال.

- أن تفسير البحر المحيط قد ظهرت فيه دراسات عدة في بيان منهجه في التفسير، ودراسات في القراءات، واللغة، والنحو، والبلاغة، وهذه الدراسة جديدة في بيان ترجيحات هذا الإمام في تفسيره ومقارنتها بأقوال غيرِهِ من المفسرين، ثم بيان مكانة أبي

حيان وتمكنه في علم التفسير، وهذا ما يتبين من خلال البحث -إن شاء الله تعالى-.

- المشاركة بجهد المقل في البحث العلمي، من خلال هذه الدراسة، والتي أسأل المولى الكريم أن يتقبلها ويجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعني بها وبقارئيها.

۞ خطة البحث:

ويتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمه، وفهارس وفق الترتيب الآتي:

المقدمـــــة:

وفيها الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجه، وصعوبات واجهت البحث، ثم الشكر والتقدير.

التمهيد: ترجمة موجزة لأبي حيان الأندلسي، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، وكنيته، ولقبه.

المبحث الثاني: مولده، وصفاته الخَلْقية والخُلُقية، وأسرته.

المبحث الثالث: نشأته، وطلبه للعلم.

المبحث الرابع: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المبحث الخامس: شيوخه، وتلاميذه.

المبحث السادس: آثاره، ومؤلفاته.

المبحث السابع: وفاته.

القسم الأول، وفيه فصلان:

الفصل الأول: منهج أبي حيان في تفسيره، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تفسيره القرآن بالمأثور. وفيه تمهيد، وثمانية مطالب:

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.

المطلب الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة.

المطلب الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين.

المطلب الخامس: عنايته بالقراءات.

المطلب السادس: عنايته بأسباب النزول.

المطلب السابع: عنايته بالناسخ والمنسوخ.

المطلب الثامن: عنايته بالمكي والمدني.

المبحث الثاني: تفسيره القرآن بالرأي، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تفسيره القرآن بأقوال من جاء بعد عصر التابعين .

المطلب الثاني: تفسيره القرآن باللغة. وفيه خمسة أمور:

الأول: مصادره في اللغة، والأعلام الذين سماهم.

الثاني: عنايته بمعاني المفردات.

الثالث: عنايته بمعاني الحروف والأدوات.

الرابع: عنايته بالإعراب.

الخامس: عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني.

المطلب الثالث: عنايته بالمناسبات.

المطلب الرابع: عنايته بأسرار التعبير.

الفصل الثاني: منهج أبي حيان في الترجيح في التفسير، وفيه تمهيد، ومبحثان:

التمهيد: تعريف التعارض، والترجيح، وذكر أسباب الاختلاف في التفسير.

المبحث الأول: صيغ الترجيح وآساليبه عند أبي حيان الأندلسي، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح.

المطلب الثاني: التفسير بقول، مع النص على ضعف غيره.

المطلب الثالث: التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم، وذكر الأقوال الاخرى بصيغة التمريض.

المطلب الرابع: الاكتفاء بذكر القول الذي يراه راجحاً، دون ذكر بقية الأقوال الأخرى الواردة في تفسير الآية.

المطلب الخامس: تقديم القول مع الاستدلال له بما يفيد ترجيحه.

المبحث الثاني: وجوه الترجيح عند أبي حيان الأندلسي: وفيه أحد عشر مطلباً:

المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية.

المطلب الثاني: الترجيح بالحديث النبوي.

المطلب الثالث: الترجيح بظاهر القرآن.

المطلب الرابع: الترجيح بالقراءات.

المطلب الخامس: الترجيح بالسياق.

المطلب السادس: الترجيح بأسباب النزول.

المطلب السابع: الترجيح بمعرفة الناسخ والمنسوخ.

المطلب الثامن: الترجيح بالعموم.

المطلب التاسع: الترجيح بالمطلق والمقيد.

المطلب العاشر: الترجيح بالمنطوق والمفهوم.

المطلب الحادي عشر: الترجيح باللغة.

القســـم الثانـــي:

ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من الآية ٨٠ من سورة النحل إلى آخر سورة مريم.

أولاً: ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة النحل من آية ٨٠ إلى نهاية السورة.

ثانياً: ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة الإسراء.

ثالثاً: ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة الكهف.

رابعاً: ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة مريم.

الخاتمـــــة:

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

الفهـــارس:

وتتضمن الفهارس التالية:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس القراءات.

٣- فهرس الأحاديث النبوية.

٤- فهرس الآثار.

٥- فهرس الأعلام.

٦- فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.

٧- فهرس الفرق والقبائل.

٨- فهرس الأماكن والبلدان.

٩- فهرس الشواهد الشعرية.

١٠- فهرس المصادر والمراجع.

١١- فهرس الموضوعات.

۞ منهجي في البحث:

١. استخرجت ترجيحات أبي حيان الأندلسي ~ من خلال تفسيره (البحر المحيط) ضمن القدر المحدد لي.

٢. درست الترجيحات على النحو التالي:

- ذكرت الآية التي فيها الترجيح في أول الصفحة، ورتبت الآيات والسور حسب ترتيب المصحف الشريف.

- إن كان في الآية عدة ترجيحات، ذكرت بأن فيها كذا من المسائل.

- وضعت لكل مسألة عنواناً مختصراً يدل على مضمونها.

- وضعت لكل ترجيح رقمين، رقماً عاماً لكل الترجيحات في الرسالة، ورقماً خاصاً لكل ترجيح في كل سورة في البحث.

- أوردت كلام أبي حيان في المسألة نصاً، ووجدته قد يذكر القول ويصرح بترجيحه، وقد يصرح برد أو تضعيف بعض الأقوال في تفسير الآية ولو لم يصرح بالراجح، وقد يعقب أبو حيان – بعض الأقوال الشاذة التي يحكيها في تفسير الآية، ولو لم يذكر خلافاً في تفسيرها.

- حذفت بقية الأقوال، إلا أن يكون لها تعلق بالمسألة، بأن لا يتم الكلام إلا بها، أو لا تتضح المسألة إلا بإيرادها، فإني أبقيها من أجل ذلك.

- قارنت طبعة البحر المحيط بمخطوطة بنسخة المكتبة المحمودية بمكتبة الملك عبدالعزيز ~ في المدينة المنورة، في القدر المحدد لي دراسته من الآية ٨٠ من سورة النحل إلى نهاية سورة مريم، وما وجدت من تصحيف أو تحريف في المطبوع صوبته من المخطوط، وما وجدت من سقطٍ في المطبوع أثبته من المخطوط، وأشرت إلى ذلك في الهامش .

- قارنت البحر المحيط بالنهر الماد ضمن مسائل القدر المحدد لي حتى لا أنسب إلى أبي حيان مالم يقله، فكم من قول قال به أبو حيان في البحر ورجع عنه في النهر أو أنه لم يرجحه في البحر ثم اختاره في النهر.

- ذكرت أقوال أهل العلم في المسألة في جانب الدراسة المقارنة والموازنة؛ حيث عرضت قول أبي حيان على أقوال المفسرين قديماً وحديثاً فقد عرضت كل مسألة على أكثر من أربعين كتاباً في التفسير مراعية الترتيب الزمني في عرض أقوالهم، وبنيت في كل قول من قال به إن وجد، وإلا ذكرت في الهامش المرجع الذي ذكره.

- ذكرت في كل قول أدلته إن وجدت.

- ذكرت في كل قول من ضعف ذلك القول إن وجد.

- رجحت بين الأقوال قدر استطاعتي حسب قواعد الترجيح عند المفسرين، متجردة [إن شاء الله] من التعصب لرأي، أو لشخص، أو هوى، ولم أتعمد قط مخالفة ظواهر الأدلة، لأوافق قولاً واحداً، بل اتبعت الأدلة [حسب وسعي وطاقتي] أدور معها حيث دارت.

٣. عزوت الآيات الواردة في الرسالة إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية في متن الرسالة، وفق الرسم العثماني في المصحف.

٤. عزوت القراءات إلى قارئيها من أئمة القراءات، وإن كانت شاذة بينت ذلك من كتب الشواذ إن وجد، وإن لم يوجد فمن كتب التفسير التي ذكرتها.

٥. خرجت الأحاديث والآثار تخريجاً مختصراً، وذكرت الحكم عليها، فإن كان في الصحيحين اكتفيت بهما، وإن كان في غيرهما، ذكرت أقوال العلماء في الحكم عليها إن وجد، وإلا حكمت عليها وفق قواعد الجرح والتعديل.

٦. وثقت النصوص التي ذكرتها من مصادرها الأصلية ما أمكنني.

٧. عزوت الشواهد الشعرية إلى قائليها، وذكرت مصادرها ما أمكن.

٨. ترجمت للأعلام الواردة أسماؤهم في الرسالة في أول ذكر لهم، ولا أحيل للترجمة إن تكرر اسم العلم، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك .

٩. عرفت بالفرق والطوائف والأماكن من كتبها المعتمدة.

١٠. إذا حذفت شيئاً من النص المنقول، فإني أضع مكانه نقاطاً هكذا...

١١. كررت توثيق بعض الأقوال إذا كان المرجع واحد، وأحلت إليه بنفس الرقم.

١٢. راعيت الترتيب الزمني للوفيات في ذكر العلماء.

١٣. عزوت أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم من جامع البيان للطبري، وتفسير ابن أبي حاتم، والدر المنثور للسيوطي إن وجد، وإلا فمن كتب التفسير الأخرى التي ذكرته.

١٤. وضعت معلومات المصادر والمراجع في فهرسها، دون أول ذكر لها.

١٥. ضبطت بالشكل والحروف الكلمات التي تحتاج إلى ضبط مما تشكل قراءتها ونطقها.

١٦. ذيلت الرسالة بفهارس علمية، واعتمدت في فهرس الآيات على ترتيبها في القرآن الكريم، وفي الفهارس الأخرى على الترتيب الهجائي.

۞ الدراسات السابقة:

للمكانة العلمية التي وصل إليها أبو حيان ~ فقد تسابق طلبة العلم في استخراج كنوز هذا العَلَم، والغوص في أعماق مؤلفاته لاستخراج كنوز العلم والمعرفة، ومن خلال بحثي وجدت عدة عناوين ورسائل وبحوث تتعلق بهذا الإمام العَلم، فكان من أبرزها وأشملها:

١- منهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط، للباحث: عبدالمجيد المحتسب، جامعة القاهرة، كلية الآداب / رسالة دكتوراه، ١٩٦٨م.

٢- منهج أبي حيان في تفسير القرآن الكريم، للباحث: بو شعيب محمادي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، رسالة دكتوراه، ١٩٩٣م.

٣- أبو حيان المفسر، منهجه وآراؤه في التفسير، للباحث: محمد عبدالمنعم محمد الشافعي، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، رسالة دكتوراه، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م.

٤- القراءات في تفسير البحر المحيط، لأبي حيان من أول الفاتحة إلى سورة الأنفال،

للباحث: أحمد شكري، الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير / ١٤٠٤هـ.

٥- البلاغة عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط مع تحقيق المقدمة وسورة الفاتحة، للباحث: زكريا سعيد علي، جامعة القاهرة، رسالة ماجستير، ١٩٨٥م.

٦- القراءات القرآنية وقواعد اللغة العربية من خلال تفسير أبي حيان النحوي لسورة البقرة، للباحث: محمد المحمودي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، رسالة الدكتوراه، ١٩٩٠م.

٧- اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعاً ودراسة، للباحث: بدر بن ناصر البدر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير، ١٤١٢هـ. ط.مكتبة الرشد، - الرياض، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٨- تعقيبات أبي حيان النحوية والصرفية لأبي البقاء العكبري في البحر المحيط، للباحثة: معوضة محمد حكمي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، رسالة الماجستير / ١٤١٥هـ

٩- تعقيبات أبي حيان النحوية للزمخشري في البحر المحيط، للباحث: محمد القرشي، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير، ١٤١٦هـ.

١٠- أبو حيان وجهوده في الحديث النبوي، للباحث: محمد السيد عطية، جامعة الإسكندرية كلية الآداب، رسالة ماجستير، ١٩٩٦م.

١١- اعتراضات السمين الحلبي في الدر المصون على أبي حيان، دراسة نحوية صرفية، للباحث: عبدالله الطريقي، الجامعة الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة دكتوراه، ١٤١٧هـ.

١٢- المحاكمات بين أبي حيان والزمخشري وابن عطية، للشاوي، دراسة وتحقيق من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة يوسف، للباحث: ناجي عبدالجليل، الجامعة الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة الدكتوراه، ١٤١٧هـ.

١٣-مسائل التصريف في البحر المحيط لأبي حيان جمعاً ودراسة، للباحث: عبدالله العمير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، رسالة دكتوراه، ١٤٢٠هـ.

١٤- دور اللهجة في توحيد القراءات القرآنية عند أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط للباحث: جزاء بن محمد المصاورة، جامعة مؤته، الأردن، رسالة ماجستير، ٢٠٠٠م.

١٥- المسائل النحوية والصرفية في كتاب البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي من أول المجادلة حتى نهاية المرسلات، للباحثة: فوزية آدم محمد الهوساوي، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير ١٤٢٢هـ - ١٤٢٣هـ.

١٦- المسائل النحوية والصرفية في البحر المحيط لأبي حيان من بداية سورة الزخرف إلى نهاية سورة الحديد، للباحثة: أسماء محمود تلاب، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، رسالة ماجستير، ١٤٢٣هـ.

١٧- ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة البقرة جمعاً ودراسة و موازنة : لمحمد بن ناصر يحيى جدُّ (رسالة دكتوراة) جامعة أم القرى ، كلية الدعوة و أصول الدين ، قسم الكتاب و السنة شعبة التفسير ١٤٢٦هـ _ ١٤٢٧هـ .

وبعد سنوات من رحلتي مع أبي حيان ~ والغوص معه في أعماق البحر والنهر وجدت أني في نهاية المطاف أرسو على شاطئ العلم والمعرفة والرغبة في طلب العلم والاستزادة منه.

ولكن مع أبي حيان وبحره - الأمر جد خطير، والخطب ليس باليسير- إذ هو يزري بسالكه، ويظهر عوار راكبه، ولقد أتعب ~ من أتى بعدَه؛ ولا سيما من كان حاله كحالي، وبضاعته مثل بضاعتي . ولا جرم أنه ﷻ يوفي الكيل بأضعافه، ويتصدق على طالبهِ ويجزل مثوبة قاصده - فكم من المقاطع في هذا البحث من كلام أبي حيان ~ والتي يظهر

في أول الأمر خلاف ما وصلت إليه بعد التأمل والتدقيق، مما كان يدفعني إلى القراءة، والتأمل، والسؤال عن مراده.

ساعد في ذلك سوء طباعة البحر المحيط وتقارب أسطره، مما يتعب القارئ فيها، وكثرة التحريف والتصحيف والسقط. فأضطرني إلى الرجوع إلى إحدى مخطوطاته، ومن وثم مقارنتها بطبعة دار الكتب العلمية.

ومما زاد الأمر صعوبة كثرة عدد الترجيحات المطلوبة، وفخامة عدة التفاسير المرجوع إليها في الدراسة والموازنة.

ومع هذا كله أجد أن الله قد كلأ الجهد بالعناية، ويسر الأمر بالرعاية، وأعان على قرب النهاية، فلولا يده السحاء، وفضله المعطاء، ما كان لهذا الأمر أن يبلغ مداه، ولا أن يقوم على سوقه، ويستقيم متنه وخطاه، فكم من عويصةٍ فكَّها، وشديدةٍ حلها، وما خيبَ القصدَ، ولا ضيعَ الرجاءَ

شكر وتقدير وعرفان

لأن الشكر ترجمان النية، ولسان الطوية، وشاهد الإخلاص، وعنوان الاختصاص، لا يسعني إلا أن أشكر المولى سبحانه وتعالى وأحمده ﷻ، وأثني عليه الخير كله، حمداً وثناءً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه على ما أنعم عليّ ويسر من تمام هذا البحث، فله الثناء الحسن، وله الحمد حتى يرضى، وله الحمد إذا رضي، وله الحمد بعد الرضى، ثم أثني بالشكر والامتنان إلى من كانا سبباً في وجودي، وربياني صغيراً، وأحاطاني بالرعاية والعناية حتى غدوت كبيرا، إلى والديّ الكريمين جزاهما الله عني خير الجزاء، وأحسن مثوبتهما في الدنيا والآخرة.

وأثلث بشكر زوجي ورفيق دربي الأستاذ: فايز الشنبري رحمه الله على صبره وتحمله، وبذله ما يستطيع من عون ومساعدة لي في حياتي العلمية والعملية، فكم تمنى أن يراني في هذا المقام ، وسأل الله لي العون و الإتمام ، ولكن قدر الله و ماشاء فعل و لله ما أخذ ولله ما

أعطى وكل شيء عنده بمقدار ، فأسأل الله تعالى أن يبلغه منازل الشهداء و أن يبدله داراً خيراً من داره ، و أهلاً خيراً من أهله و أن يخلفه في عقبه خيراً .

و لا أقول إلا كما قال الأول :-

اصبر لكل مصيبة و تجلد	و اعلم بأن المرء غير مخلد
أو ما ترى أن المصائب جمة	وترى المنية للعباد بمرصد
من لم يصب ممن ترى بمصيبة	هذا سبيل لست عنه بأوحد
فإذا ذكرت محمداً و مصابه	فاجعل مصابك بالنبيِّ محمد

كما أشكر جميع أفراد أسرتي وأخص من بينهم إخواني وأخواتي الفضلاء. الذين كانوا بعد الله سنداً وعوناً ، فأثلجوا صدري بدوام سؤالهم، وحثهم واهتمامهم مما كان له أطيب الأثر على عملي وهمتي في هذا البحث.

كما أتوج بالشكر أولادي الأحباء: أنس، ومحمد، وعبدالله، وشهد، الذين أخذت من وقتهم الكثير، فما كان منهم إلا كل تشجيع لفظي ومعنوي، وأخص من بينهم الغالي أنساً الذي رافقني في كل ثنايا البحث، فتكبد الكثير من الجهد والعناء. فأسأل الله لهم جميعاً الهدى والصلاح.

ثم الشكر والعرفان بالجميل، للشيخ الفاضل الجليل: فضيلة الشيخ أ.د / عبدالعزيز عزت عبدالحكيم الوائلي، الذي وافق مشكوراً على أن يتولى الإشراف عليّ في هذه الرسالة، ولا أستطيع أن أجزيه شكراً، فعبارات الشكر أتعبتني في ترتيبها وصياغتها، وأحرفي أصبحت عاجزة أمام فضله عليّ، فكم قرأ وأَجاد، وراجَع وأفادَ، مع رفيع خلق، وجميل سجايا، فا للهم أنله ما أمّله، وأجره مما خافه واهتم له، وبارك له في وقته وأهله، وماله وولده، وأجزه عني خير ما تجزي به عبادك الصالحين.

كما أقدم كلمات الشكر و العرفان لفضيلة الشيخين الكريمين :

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن فوزان العمر رئيس قسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين في الرياض ، و الأستاذ الدكتور عبدالحميد محمود البطاوي الأستاذ المشارك بكلية

الدعوة و أصول الدين بجامعة أم القرى ، على قبولها لمناقشة رسالتي ، و تقويمها و بيان ما فيها من الأخطاء ، فجزاهما الله عني خير الجزاء ، و وفقهما لخير ما يحب و يرضى .

والشكر موصول لجامعتنا الحبيبة: جامعة أم القرى، الحصن الحصين للعلم وأهله، ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، وعلى رأسها: فضيلة عميدها المحترم، ووكلائه الموقرين، ورؤساء أقسامها، ومشائخها الأجلاء، وأخص من بينهم: من قام بتعليمي وتدريسي في السنة المنهجية، فجزى الله الجميع خير الجزاء، وجعل ذلك في موازين حسناتهم يوم لا ينفع مال وبنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والشكر والتقدير والدعاء لكل من أعانني برأي، أو نصح، أو إرشاد، أو أفادني بفائدة، أو قرب لي شاردة، أو أهدى لي عيباً، أو صحح لي خطأً أو غمرني بجميل السؤال وحسن الاهتمام، أو دعى لي في ظهر الغيب، بأن يجزل لهم المولى حسن المثوبة ورفع الدرجات في الجنات.

وختاماً: فإني عشت مع البحث سنوات، فلا أدعي أني بلغت الذي كنت أصبوا إليه وأتمنى تحقيقه، فضلاً عن دعوى الكمال أو مقاربته، فهذه الرسالة جهد المقل، وعمل البشر الذي يتعاوره النقص من كل جانب، وحسبي أني قد اجتهدت وبذلت، فما كان فيه من صواب فمن توفيق الله وكرمه، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمن تقصيري وقلة حيلتي، فالله تعالى أسال أن يتقبل صوابها، ويعفو عن زللها وخللها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعني بها في الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد بن عبدالله، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

الباحثـــــة

أم أنس / بدرية بنت عطية بن حمزة الحرازي الشريف

التمهيــــد

التمهيـــــد

ترجمة موجزة لأبي حيان الأندلسي

(٦٥٤هـ – ٧٤٥هـ)

ويشتمل على سبعة مباحث :

۞ **المبحث الأول :** اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، ولقبه .

۞ **المبحث الثاني :** مولده، وصفاته الخَلْقية والخُلُقية، وأسرته .

۞ **المبحث الثالث :** نشأته ، وطلبه للعلم.

۞ **المبحث الرابع :** مكانته العلمية ، وثناء العلماء عليه .

۞ **المبحث الخامس :** شيوخه ، وتلاميذه.

۞ **المبحث السادس :** آثاره، ومؤلفاته .

۞ **المبحث السابع :** وفاته .

بين يدي الترجمة

إن شخصية أبي حيان غنية عن التعريف، فهو العالم الذي طبقت شهرته الآفاق، وسارت بحديثه الركبان.

قال عنه تلميذه السبكي[(١)]: « شيخ النحاة، العلم الفَرْد، والبحر الذي لم يعرف الجَزْر بل المد، سيبويه الزمان، والمبرد إذا حمي الوطيس بتشاجر الأقران، وإمام النحو الذي لقاصده منه ما يشاء، ولسان العرب الذي لكل سَمْع لديه الإصغاء، وكعبة علم تُحَج ولا تَحُج ويقصد من كل فج، تضرب إليه الإبل آباطها، وتفد عليه كل طائفة سَفَراً لا يفرق إلا نمارق البيد بساطها » [(٢)].

ولقد درس حياته كثير من الباحثين[(٣)] مما لا يدع مجالاً للإضافة أو الإفاضة، فكان عملي في هذا التمهيد كتابة ترجمة مختصرة له، ليكون القاريء على إلمام بمعرفة حياة أبي حيان ~ وآثاره التي منها البحر المحيط الذي هو مجال لدراسة الترجيحات التفسيرية – من الآية ٨٠ من سورة النحل إلى آخر سورة مريم – في هذه الرسالة.



(١) ستأتي ترجمته في مبحث تلاميذه، ص٤٤

(٢) انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٩/ ٢٧٦).

(٣) انظر مبحث الدراسات السابقة في مقدمة هذا البحث، ص١٤

المبحث الأول:
اسمه ونسبه وكنيته ولقبه[(١)]

أولاً - اسمه ونسبه: هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، أبو حيان الأندلسي الغرناطي[(٢)]، النِفْزي[(٣)]، الجَيّاني[(٤)]، وقد صرح أبو حيان أنه من جيان حيث قال: « كان أبي من جيان » [(٥)].

وذكر الذهبي[(٦)] أنه ينسب إلى جده لأبيه فيقال له:

(١) انظر في ترجمته:
نكت الهميان (٢٨٠ - ٢٨٦)، والوافي بالوفيات (٥/ ٢٧٧ - ٢٨١)، ونفح الطيب (٢/ ٥٣٥ - ٥٨٤)، والإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٤٣ - ٦٠)، ومعرفة القراء الكبار (٣٨٧)، والدرر الكامنة (٦/ ٥٨ - ٦٥)، والنجوم الزاهرة (١٠/ ١١١ - ١١٥)، وفوات الوفيات (٤/ ٧١ - ٧٩)، والمختصر في أخبار البشر (٤/ ١٤٢)، ووفيات ابن رافع (١/ ٤٨٢ - ٤٨٤)، ووفيات ابن قنفذ (٣٤٩)، وبغية الوعاة (١/ ٢٨٠ - ٢٨٥)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢٨٧ - ٢٨٩)، وطبقات المفسرين للأدنه وي (٢٧٩)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٥ - ١٤٧)، من ذيول العبر (٦/ ٢٤٣ - ٢٤٤)، ومعجم المؤلفين (١٢/ ١٢٠ - ١٣١)، وتذكرة الحفاظ (٢٣ - ٢٦)، والإعلام للزركلي (٧/ ١٥٢).

(٢) غَرْنَاطَة: بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم نون، وبعد الألف طاء مهملة، هي قاعدة بلاد الأندلس، ومن أقدم بلادها، وأعظمها وأحسنها وأحصنها ، انظر معجم البلدان (٤/ ١٩٥). وتقع غرناطة على سفح جبال سييرا ينغادا في أسبانيا، على ارتفاع ٧٣٨ م فوق سطح البحر، الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

(٣) النفزي: نسبة إلى نَفْزَة: بالفتح ثم السكون، وزاي، وقيل: نِفزة بكسر النون، قبيلة من البربر، وهي مدينة بالمغرب بالأندلس. انظر شذرات الذهب (٦/ ١٤٥)، ومعجم البلدان (٥/ ٢٩٦)، طبقات المفسرين (٢/ ٢٨٧)، احدى مدن الجمهورية التونسية تبعد ٤٠ كم عن مدينة باجة، ١٥٠ كم عن العاصمة تونس، وهي المنفذ الوحيد لولاية باجة على البحر المتوسط، الموسوعة الحرة.

(٤) الجياني: نسبة إلى جَيّان: بالفتح ثم التشديد، وآخره نون، مدينة لها كورة واسعة بالأندلس، تتصل بكورة إلبيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة وبلداناً. انظر المشتبه (١٢٨)، ومعجم البلدان (٢/ ١٩٥)، ونفح الطيب (١/ ٢٤٤)، والدرر الكامنة (٥/ ٧٠)، وتقع حالياً جنوب أسبانيا وفي الشمال الغربي لأقليم الأندلس ذاتي الحكم، الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

(٥) انظر نفح الطيب (١/ ٢٤٤)، والدرر الكامنة (٥/ ٧٠).

(٦) الذهبي: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي، ولد سنة ٦٧٣ هـ، المقرئ المحدث، =

الحيـاني[١]،[٢]، فهـو الغرنـاطي المولـد والنـشأة، الجَيَّـاني الأصـل، الأندلـسي الانـتماء، المصري الديار.

ثانياً: كنيته ولقبه:

يكنى محمد بن يوسف بأبي حيان أكبر أولاده[٣]، وقد جاء في صدر البحر عند التعريف بمؤلفه تكنّيه بأبي عبدالله[٤]، ولم يعرف بهذه الكنية، وأبو حيان نفسه ينفيها؛ وذلك عند تفسيره قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾[٥]، وعند قول عمر رضي الله عنه: « أشيعوا الكنى فإنها سنة »[٦] حيث يعقب على هذا الأثر بقوله: « ولا سيما إذا كانت الكنية غريبة، لا يكاد يشترك فيها أحد مع من تكنى بها في عصره، فإنه يطير بها ذكره في الآفاق، وتتهادى أخباره الرفاق، كما جرى في كنيتي بأبي حيان واسمي محمد، فلو كانت كنيتي أبا عبدالله، أو أبا بكر، مما يقع فيه الاشتراك لم اشتهر تلك الشهرة »[٧].

وقد لا زمت أبا حيان هذه الكنية، وإن لم يختص بها، فقد شاركه فيها رجال آخرون منهم:

١ – أبو حيان التوحيدي[٨].

= كان صالحاً خيراً صنف كثيراً وجمع ونفع الناس، توفي سنة ٧٤٨هـ. انظر معجم الذهبي (١/ ٧١)، والوفيات (٢/ ٥٥).

(١) المشتبه في الرجال (١٧٩).

(٢) انظر الدرر الكامنة (٦/ ٦٣)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٥)، وغاية النهاية (٢/ ٢٨٥)، فوات الوفيات (٤/ ٧١).

(٣) انظر شذرات الذهب (٧/ ٦٠).

(٤) جاء في مقدمة أبي حيان في أول البحر: قال الشيخ.... الاستاذ أبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الجياني ~ وأمتع بعلومه المسلمين». انظر البحر (١/ ٩٩).

(٥) سورة الحجرات: آية ١١.

(٦) لم أقف عليه .

(٧) البحر المحيط (٨/ ١١٢).

(٨) هوعلي بن محمد بن العباس، أبو حيان التوحيدي، نزيل نواحي فارس، قال الذهبي: صاحب زندقة =

٢ - أبو حيان محمد بن محمد المعروف بابن السراج[(١)].

٣ - كما اشتهر بهذه الكنية وسمي بها حفيده، وهو من شيوخ ابن حجر[(٢)].

أما لقبه:

فأثير الدين، وهو من الألقاب الشرقية المركبة[(٣)].

= وانحلال بقي إلى سنة أربعمائة. انظر لسان الميزان (٧/ ٣٨)، والكشف الحثيث ص(٢٨٧).

(١) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات للموسري (٤/ ٢٠٥).

(٢) الدرر الكامنة (٥/ ٧٦)، وشذرات الذهب (٧/ ٦٠) وسيأتي ذكره في مطلب أسرته، ص٢٩

(٣) انظر مباحث المعاني في تفسير البحر المحيط ص(١٤)، والإحاطة في أخبار غرناطة (٣/ ٤٣).

المبحث الثاني:
مولده، وصفاته الخَلْقيه والخُلُقيه، وأسرته

۞ أولاً: مولده:

ولد أبو حيان ~ في غرناطة، وقيل: بمدينة مُطْخَشَارِش[(١)]، وكان مولده في العشر الأواخر من شوال سنة ستمائة وأربع وخمسين من الهجرة، وقيل: ولد سنة ستمائة واثنتين وخمسين[(٢)]، ولكن يقوي القول الأول قول أبي حيان في مقدمة كتابه البحر المحيط: « فأتاح الله لي ذلك، يريد اشتغالي بالتفسير قبل بلوغي ذلك العقد، وبلغت ما كنت أروم من ذلك بانتصابي مدرساً في علم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور – قدس الله مرقده – وذلك في دولة ولده السلطان القاهر الملك الناصر، الذي رد الله به الحق إلى أهله، وكان ذلك في أواخر عشر وسبعمائة وهي أوائل سبع وخمسين من عمري فعكفت على تصنيف هذا الكتاب » [(٣)].

كما يقويه أن أباحيان أخبر به تلميذه الصفدي في إجازته التي بعث بها إليه[(٤)].

۞ ثانياً: صفات أبي حيان الخَلقية والخُلقية:

أ: صفاته الخَلْقية:

كان معتدل القامة، ذا لمة وافرة، مستدير الوجه، مليحاً، ظاهر اللون مشرباً بحمرة، منور الشيبة، كبير اللحية مسترسل الشعر فيها، لم تكن كثة، حسن العمة، طلق اللسان، فصيح الكلام، يعقد حرف القاف قريباً من الكاف على أنه لا ينطق بها في القرآن إلا فصيحة

---

(١) وهي ضاحية بغرناطة، وقيل: من حصون غرناطة. انظر طبقات الداودي (٢/ ٢٨٧)، وطبقات الأدنه وي (٢٧٩)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٥)، والبلغة (١/ ١٨٥).

(٢) انظر بغية الوعاة (٢٨٠)، والشهادة الزكية (١/ ٣١)، وغاية النهاية (٢/ ٢٨٥)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٥)، النجوم الزاهرة (١/ ١١٢)، الدرر الكامنة (٦/ ٥٨).

(٣) البحر المحيط (١/ ٣).

(٤) الوافي بالوفيات (٥/ ٢٧٧ – ٢٨١)، ونفح الطيب (٢/ ٥٤٩ – ٥٥٣)، وبغية الوعاة (١/ ٢٨٢).

حسن النغمة، جهوري الصوت، مليح الحديث[١].

ب: صفاته الخُلُقية.

١ - خشوعه:

كان ~ كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن، وسماعه[٢].

٢ - حرصه:

كان ~ يوصي طلابه بحفظ دراهمهم حتى لا يحتاجوا لأحد، حتى قال الأدفوي[٣]: « أنه كان يفتخر بالبخل كما يفتخر الناس بالكرم، وكان يقول لي: أوصيك احفظ دراهمك ويقال عنك بخيل، ولا يحتج إلى السفل » [٤].

مما جعل الأدفوي يعتذر عنه قائلاً: « والذي أراه فيه أنه طال عمره وتغرب وورد البلاد ولا شيء معه، وتعب حتى حصل المناصب تعبا كثيرا، وكان قد جرب الناس، وحلب أشطر الدهر، ومرت به حوادث فاستعمل الحزم » [٥].

٣ - تواضعه:

قال لتلميذه الصفدي عندما طلب إجازته: « أعزك الله ظننت بإنسان جميلا، فغاليت وأبديت من الإحسان جزيلا، وما باليت، وصفت من هو القتام[٦] يظنه الناس سماء، والسراب يحسبه الظمآن ماء، يا ابن الكرام، وأنت أبصر من يشيم، أمع الروض النضير يرعى الهشيم؟ أما أغنتك فضائلك وفواضلك ومعارفك وعوارفك عن نغبة من دأماء

(١) انظر: نفح الطيب (٣/ ٢٩٧ - ٣٢١)، ونكت الهميان ص(٢٨١)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦)، وفوات الوفيات (٢/ ٥٥٥)، والمنهل الصافي (٥/ ٦٨ - ٧٢)، وأعيان العصر ص(٧)، وبغية الوعاة (١/ ٢٨٢).

(٢) انظر شذرات الذهب (٦/ ١٤٦)، والدرر الكامنة (٦/ ٦٤ - ٦٥).

(٣) سيأتي ترجمته في مبحث: تلاميذه، ص٤٣

(٤) انظر نفح الطيب (٢/ ٥٤٤)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦)، والدرر الكامنة (٦/ ٦٥).

(٥) نفح الطيب (٢/ ٥٤٤).

(٦) القتام: الغبار. انظر قاموس المحيط ص(١٤٨٠).

وتربة من بهاء لقد تبلجت المهارق[1] من نور صفحاتك، وتأرجت الأكوان من أريج نفحاتك، ولأنت أعرف من يقصد للدراية، وأنقد من يعتمد عليه في الرواية، لكنك أردت أن تكسو من مطارفك، وتتفضل من تالدك وطارفك، وتجلو الخامل في منصة النباهة،وتنقذه من لكن الفهاهة، فتشيد له ذكراً، وتعلي له قدراً، ولم يمكنه إلا إسعافك فيما طلبت، وإجابتك فيما إليه ندبت، فإن المالك لا يعصى، والمتفضل المحسن لا يقصى، وقد أجزت لك -أيدك الله تعالى- جميع ما رويته عن أشياخي » [٢].

٤ - هيبته:

كان شديد البسط، مهيباً، جهورياً مع الدعابة، وطرح التسمت[٣].

٥ - عفة نفسه:

وأشار إلى ذلك بقوله:

أريد من الدنيا ثلاثاً، وإنما لغاية مطلوب لمن هو طالب
تلاوة قرآن ونفس عفيفة وإكثار أعمال عليها أواظب[٤]

۞ ثالثاً: أسرته:

بعد استقراء كتب التراجم والسير لم أجد من ترجم أو تعرض لأبويه، ولكنه نقل عن والده في بعض المواضع، فقال: « وقال سيدي: - فسح الله في مدته - .....

أما زوجته فهي: زمردة بنت أَبرق[5]، وقد أسمعها أبو حيان على الأبرهوقي[٦]،

(١) المهارق: الصحائف. انظر لسان العرب (١٠/ ٣٦٥)، تاج العروس ص(٦٦٢٨).

(٢) انظر نفح الطيب (٢/ ٥٤٩).

(٣) انظر نفح الطيب (٢/ ٥٨٠).

(٤) انظر نفح الطيب (٢/ ٥٦٤).

(٥) بفتح الهمزة وسكون التحتانية. انظر لسان العرب (٤/ ٥٦٨).

(٦) أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي الهمداني نزيل القاهرة. انظر الدرر الكامنة (١/ ١٠١).

وغيره وسمع منها البرزالي[1]، وكانت تكنى: أم حيان، توفيت في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وسبعمائة[2].

وأما أبناؤه فهم:

١ - نُضَار[3] بنت محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، وكانت تكنى: (أم العز)، شاعرة، أديبة، فاضلة، ولدت في جمادي الآخرة سنة اثنتين وسبعمائة[4] وكان والدها يثني عليها خيراً.

قال الصفدي: « قال لي والدها: إنها خرجت لنفسها، وإنها تعرب جيداً، وأظنه

قال لي: إنها تنظم الشعر » [5] وإن أخاها حيان لم يبلغ ما بلغته من الاطلاع ولذلك كان أبوها يقول: ليت أخاها كان مثلها، وتوفيت سنة ٧٣٠ هـ، ولما توفيت حزن عليها حزناً شديداً، وألف فيها كتاباً سماه (النُضّار في المسلاة عن نُضَار) [6].

٢ - حيان بن محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الذي تلا بالسبع على أبيه توفي سنة ٧٦٤ هـ[7].

٣ - حفيده: محمد بن حيان بن أبي حيان، اشتهر بكنية جده أبي حيان، وقد أدرك جده وسمع منه، وهو من شيوخ الحافظ ابن حجر[8].

---

(١) القاسم محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف البرزالي، انظر الدرر الكامنة (٣/ ٣٢١).

(٢) انظر نفح الطيب (٣/ ٣٢٥).

(٣) بضم النون وتخفيف الضاد. ومعنى النُضَار: الخالص من الجوهر، وجمعه: أَنْضر. انظر لسان العرب (٥/ ٢١٠).

(٤) انظر الدرر الكامنة (٤/ ٢٤٢).

(٥) انظر نفح الطيب (٣/ ٣١٥)، والأعلام (٨/ ٣٥٦).

(٦) سيأتي في مبحث مؤلفاته، ص ٤٥

(٧) انظر الدرر الكامنة (٢/ ١٧٠).

(٨) انظر الدرر الكامنة (٥/ ٧٦)، وشذرات الذهب (٧/ ٦٠).

المبحث الثالث:
نشأته وطلبه للعلم

مما لا شك فيه أن للوراثة والبيئة التي يعيش فيها الإنسان أثراً واضحاً في نشأته وتكوين شخصيته العلمية، ولقد اجتمع لأبي حيان هذان الأمران، وتوفر له ذانك العاملان:

فالعامل الأول (أعني الوراثة) كان موجوداً، فأبوه عَلَمٌ من أعلام التفسير كما أخبر بذلك أبو حيان أثناء تفسيره سورة الكهف[(١)].

وأما العامل الثاني (توفر بيئته العلمية والجدّ والتحصيل) فناهيك بذلك، إذ أن أبا حيان ~ نشأ في غرناطة وهي من أكبر مدن الأندلس، وفيها نشطت الحياة الفكرية والعلمية، فكانت محط نظر العلماء في كثير من العلوم، وخاصة العلوم الدينية والعربية، وكان أكثرها اهتماماً قراءة القرآن الكريم برواياته المتعددة، ورواية الحديث، ودراسة الفقه، وكان لعلم الأدب نصيب وافر[(٢)].

ولما بلغ أبو حيان سن التمييز والإدراك، أرسله أبوه إلى المكتب ليحفظ القرآن الكريم ويتعلم القراءة والكتابة، كما هي عادة أهل الأندلس في تنشئة أولادهم ورغبتهم في تحصيلهم للعلم .

واجتهد أبو حيان في طلبه وتحصيله للعلوم المختلفة على شيوخ عصره، وعلماء بلده، حتى ظهرت نباهته، وذاع صيته بين أقرانه، وكثر ثناء شيوخه عليه[(٣)].

قال لسان الدين ابن الخطيب[(٤)] ~ : « كان أثير الدين أبو حيان نسيج وحده في

---

(١) انظر البحر المحيط (١/ ٢٨-٣١) مقدمة المحقق، طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) انظر: نفح الطيب (١/ ٢٠٥ - ٢٠٨).

(٣) انظر: بغية الوعاة (١/ ٢٨٠).

(٤) لسان الدين بن الخطيب: محمد بن عبدالله بن سعيد بن الخطيب، ولد سنة ٧١٣ هـ، برز في الطب، وبرع في الشعر، قتل خنقاً سنة ٧٧٦هـ. انظر: الدرر الكامنة (٥/ ٢١٣ - ٢١٦)، وشذرات الذهب (٢٤٤-٢٤٧)، والبدر الطالع (٢/ ١٩١-١٩٤).

ثقوب الذهن، وصحة الإدراك، والاطلاع بعلوم العربية والتفسير وطريق الرواية »[(١)].

وقال الصفدي[(٢)] ~ : « واجتهد في طلب التحصيل، والتقييد، والكتابة، ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالاً منه، لأني لم أره قط إلا يسمع، أو يشتغل، أو يكتب، أو ينظر في كتاب، ولم أره على غير ذلك »[(٣)].

وقد عنى أبو حيان ~ بطلب الحديث، والفقه، والتفسير، واللغة، ورحل في سبيل ذلك، فقرأ القرآن بالروايات، وسمع الحديث بجزيرة الأندلس، وبلاد إفريقية، وثغر الإسكندرية، وديار مصر، والحجاز، وحصل الإجازات من الشام، والعراق وغير ذلك[(٤)].

فتنقل أبو حيان ~ في مدن الأندلس يطلب العلم فيها ويتلقى عن علمائها، ثم رحل عنها سنة ٦٧٧ هـ[(٥)].

نقل عنه الرعيني[(٦)] قوله: « سمعت بغرناطة، ومَالَقَة[(٧)]، وبَلّش[(٨)]، والمَرِّية[(٩)]،

---

(١) نفح الطيب: (٢/ ٥٨٠).

(٢) الصفدي: ستأتي ترجمته في مبحث: تلاميذه، ص٤٣

(٣) بغية الوعاة: (١/ ٢٨٢)، الدرر الكامنة: (٦/ ٥٨)، شذرات الذهب: (٦/ ١٤٥)، نكت الهميان: (٢٨٠).

(٤) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/ ١٧٥)، وفوات الوفيات: (٤/ ٧٢)، والنجوم الزاهرة: (١٠/ ١١٢) من ذيول العبر: (٦/ ٢٤٣).

(٥) ذيل تذكرة الحفاظ: (٢٤).

(٦) ستأتي ترجمته في مبحث: تلاميذه، ص٤٤

(٧) مَالَقَة: بفتح اللام والقاف، كلمة عجمية، مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رَيّة، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية، انظر: معجم البلدان: (٥/ ٤٣)، مدينة اسبانية قديمة تطل على البحر المتوسط، تقع وسط منطقة كوستادل سول، وهي أهم ميناء إسباني بعد برشلونة، الموسوعة الحرة.

(٨) بَلَّش: بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة بلد بالأندلس. انظر: معجم البلدان: (١/ ٤٨٤).

(٩) المَرِيَّة: بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها، مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس، يعمل بها الوشي والديباج، انظر: معجم البلدان: (٥/ ١١٩)، وهي عاصمة مقاطعة الميريا، تقع جنوب شرق إسبانيا على البحر المتوسط وهي حديثة بالنسبة إلى المدن الأندلسية بناها الخليفة عبدالرحمن الناصر، سنة ٣٤٤ هـ، الموسوعة الحرة.

وبجاية[١]، وتونس، والاسكندرية، ومصر، والقاهرة، ودمياط، والمحَلَّة[٢]، وطُهُرْمُس[٣]، والجيزة[٤]، ومُنْية بني خُصيب[٥]، ودِشْنَا[٦]، وقَنا[٧]، وقوْص[٨]، وبلْبيسْ[٩]، وبُعَيْذَاب[١٠] من بلادالسُّودان، وينبع، ومكة -شرفها الله تعالى-

---

(١) بجاية: مدينة على البحر المتوسط بين إفريقية والمغرب، وهي في لحف جبل شاهق وفي قبلتها جبال. انظر: معجم البلدان: (١/ ٣٣٩)، مدينة جزائرية تقع على ساحل البحر المتوسط، وبناها المسلمون في القرن الخامس الهجري: وتعرف باسم بوجاية، الموسوعة الحرة.

(٢) المَحَلَّة: بالفتح، والمحل والمحلة الموضع الذي يُحل به، وهي مدينة مشهورة بالديار المصرية، انظر: معجم البلدان: (٥/ ٦٣)، المحلة الكبرى وهي كبرى مدن محافظة الغربية.

(٣) طُهُرْمُس: بالضم، وسكون الراء، وضم الميم، وآخره سين مهملة، قرية بمصر. انظر: معجم البلدان: (٤/ ٥٢)، قرية تابعة للجيزة، الموسوعة الحرة.

(٤) الجِيزَة: بالكسر، بليدة في غربي فسطاط مصر قبالتها، ولها كورة كبيرة واسعة، وهي من أفضل كور مصر. انظر: معجم البلدان: (٢/ ٢٠٠)، عاصمة محافظة الجيزة، وتقع مدينة الجيزة في شمال مصر بين نهر النيل شرقاً والصحراء غرباً وتبعد ٢٠ كيلومتراً غرب القاهرة، الموسوعة الحرة.

(٥) منية بني الخصيب: في معجم البلدان مُنْيَة أبي الخُصَيب: بالضم ثم السكون ثم ياء مفتوحة، مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى. انظر: معجم البلدان: (٥/ ٢١٨)، عاصمة محافظة المنيا، الموسوعة الحرة.

(٦) دِشْنا: في معجم البلدان « دِشْنى » بكسر أوله، وسكون ثانيه، ونون مفتوحة، مقصور، وهي بلد بصعيد مصر بشرقي النيل، ذو بساتين ومعاصر للسكر. انظر: معجم البلدان: (٢/ ٤٥٦)، تقع في محافظة قنا، الموسوعة الحرة.

(٧) قِنا: بكسر القاف، بينها وبين قوص يوم واحد. انظر: معجم البلدان: (٤/ ٣٩٩)، وهي عاصمة محافظة قنا في جنوب مصر، و أكبر مدنها، الموسوعة الحرة .

(٨) قُوص: بالضم ثم السكون، وصاد مهملة، مدينة كبيرة عظيمة واسعة، قصبة صعيد مصر، انظر: معجم البلدان: (٤/ ٤١٣)، مدينة ومركز بمحافظة قنا، وتقع على الساحل الشرقي من النيل جنوب القاهرة بحوالي ٦٤٥ كم. الموسوعة الحرة.

(٩) بِلْبِيس: بكسر الباءين، وسكون اللام، وياء، وسين مهملة، انظر: معجم البلدان: (١/ ٤٧٩)، تقع بمحافظة الشرقية بمصر، الموسوعة الحرة.

(١٠) بعيذاب: في معجم البلدان عَيْذَاب بالفتح ثم السكون، وذال معجمة، وآخره باء موحدة، بليدة على ضفة بحر القلزم - البحر الأحمر - مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. انظر: معجم البلدان: =

وجُدّة، وآيلة[١] » [٢].

وله في كل بلد شيوخ حتى استقر به المقام في القاهرة سنة ٦٨٠ هـ[٣].

وقد ذكر من ترجم لأبي حيان ~ سببين اثنين حَمَلاه على الرحيل من بلاده الأندلس:

الأول: أنه نشأ بينه وبين شيخه أحمد بن علي بن الطباع شرٌ وحزازة. فألف أبو حيان كتاباً سماه (الإلماع في إفساد إجازة الطباع)، فرفع ابن الطباع أمره للأمير[٤]، وكان أبو حيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه، فنشأ شر من ذلك، وعلى هذا السبب أكثر المؤرّخين وأصحاب التراجم[٥].

الثاني: ذكره بعضهم[٦] نقلاً عن كتاب « النضار في المسْلاة عن نضار » [٧] لأبي حيان الذي ألّفه في ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلته أنه مما قوّى عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة قال للسلطان: « إني قد كبرت وأخاف أن أموت، فأرى أن ترتّب لي طلبة أعلمهم هذه العلوم، لينفعوا السلطان من بعدي »، قال أبو حيان: «فأشير اليّ أن أكون من أولئك، ويُرَتّبَ لي راتبٌ جيّدٌ، وكساء، وإحسان، فتمنّعتُ ورحلت

= (٤/ ١٧١)، ولم اقف على تعريفها حديثاً .

(١) أَيْلَة: بالفتح، مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام. انظر: معجم البلدان: (١/ ٢٩٢)، ولم اقف على تعريفها حديثاً .

(٢) نفح الطيب: (٢/ ٥٦٠).

(٣) انظر: ذيل تذكرة الحفاظ: (٢٤).

(٤) الأمير هو محمد بن الأحمر. انظر الوافي بالوفيات (٧/ ٢٤٠).

(٥) انظر نفح الطيب (٢/ ٥٨٣-٥٨٤)، والدرر الكامنة (٤/ ١٨٥-١٨٦)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢٨٨-٢٨٩)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦).

(٦) ذكره السيوطي في بغية الوعاة (١/ ٢٨١)، والداوودي في طبقات المفسرين (٢/ ٢٨٩)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦).

(٧) هذا الكتاب ألّفه أبو حيان في ابنته نضار التي فقدها سنة ٧٣٠ هـ، ولطالما أثنى عليها كثيراً. انظر نفح الطيب (٢/ ٥٥٩) والدرر الكامنة (٤/ ٢٤٢).

مخافة أكره على ذلك » [(١)].

ولا يبعد أن يكون ~ خرج للأمْرَين كليهما، منضافاً إليهما طموحه في الاستزادة من العلم الذي دفعه إلى مغادرة الأندلس، ممتزجاً بالخشية على حياته من وشاية أو فتنة[(٢)].

وقد أفاد ~ من رحلاته الشيء الكثير؛ حيث تعددت شيوخه، وغزر علمه، مما كان له الأثر الكبير في مسيرته العلمية، حتى حط رحاله بالقاهرة فذاع صيته، وعلت مكانته ومنزلته بين الناس، فكان عالم زمانه.

وكان ~ ثبتاً فيما ينقله، محرراً لما يقوله، عارفاً باللغة ضابطاً لألفاظها، حتى برع في علوم شتى، فأما النحو والتصريف فهو إمام الناس فيهما، وله اليد الطولى في

التفسير، والحديث، والشروط، والفروع، وتراجم الناس، وطبقاتهم، وحوادثهم[(٣)].

كما برع ~ في إتقان لغات أخرى غير العربية.

قال ~ : "وقد اطلعت على جملة الألسن: كلسان الترك، ولسان الفرس، ولسان الحبش، وغيرهم وصنفت فيها كتباً في لغتها، ونحوها، وتصريفها، واستفدت منها غرائب"[(٤)].

فمما سبق نجد أن أبا حيان ~ تميز في طلبه للعلم بعدة أمور منها:

١ - صبره وتحمله في طلب العلم.

٢ - بذله قصارى جهده في تحصيل العلم ليلاً ونهاراً.

٣ - حرصه على تلقي العلم من العلماء.

٤ - قوة حفظه ~ .

٥ - همته العالية في طلب العلم.

---

(١) انظر بغية الوعاة (١/ ٢٨١)، وطبقات الداوودي (٢/ ٢٨٩)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦).

(٢) انظر أبو حيان وتفسيره البحر المحيط لبدر البدر ص(٢٧).

(٣) انظر: نفح الطيب: (٢/ ٥٤١).

(٤) منهج السالك: (٢٣١).

٦ - الدقة في النقل والتحرير.

قال ~ : « وما زلت من لدن ميزت أتلمذ للعلماء، وأنحاز للفقهاء، وأرغب في مجالسهم، وأنافس في نفائسهم، وأسلك طريقهم، وأتبع فريقهم، فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام...، فجعلت العلم والنهار سحيري، وبالليل سميري،... وأنا أتوسد أبواب العلماء، وأتقصد أماثل الفهماء، وأسهر في حنادس الظلام، وأصبر على شظف الأيام وأوثر العلم على الأهل والمال والولد، وأرتحل من بلد إلى بلد » [(١)].

وعن حفظه قال ~ : « وقد حفظت في صغرى في علم اللغة كتاب الفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني[(٢)]... » [(٣)].

(١) البحر المحيط: (١/ ١٠١).

(٢) أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني مولاهم المعروف بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة، ولد سنة ٢٠٠ هـ، وتوفي سنة ٢٩١هـ. انظر: تاريخ بغداد: (٥/ ٢٠٤ - ٢١٢)، ومعجم الأدباء: (٢/ ٥٥ - ٧٨).

(٣) البحر المحيط: (١/ ١٠٥ - ١٠٦).

المبحث الرابع:
مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

يعد أبو حيان ~ نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه؛ حيث كان بحراً زاخراً في النحو، حتى لقب بالنحوي، وهوفريد دهره، وشيخ النحاة في عصره، وإمام المفسرين في وقته، وصاحب التصانيف المشهورة التي سارت شرقاً وغرباً[(١)].

وقال الأسنوي[(٢)] ~ : « كان إمام زمانه في علم النحو إماما في اللغة عارفا بالقراءات والحديث شاعرا مجيدا صادق اللهجة كثير الاتقان والاستحضار » [(٣)].

وقال الرعيني ~ : « وهو شيخ فاضل ما رأيت مثله كثير الضحك والانبساط بعيد عن الانقباض جيد الكلام حسن اللقاء جميل المؤانسة فصيح الكلام طلق اللسان » [(٤)].

وقال الذهبي ~ : « أبو حيان ذو فنون، حجة العرب، وعالم الديار المصرية له عمل جيد في هذا الشأن، وكثرة طلب » [(٥)].

قال ابن الجزري[(٦)] ~ : « الإمام الحافظ الأستاذ شيخ العربية والأدب والقراءات مع العدالة والثقة » [(٧)].

---

(١) انظر: بغية الوعاة: (١/ ٢٨٠)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٥)، ومعجم المؤلفين: (١١/ ١٣٠)، والمختصر في أخبار البشر: (٣/ ١٤٢)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: (٣/ ٦٧).

(٢) ستأتي ترجمته في مبحث: تلاميذه، ص٤٤

(٣) انظر: الدرر الكامنة: (٦/ ٦٥).

(٤) انظر: نفح الطيب: (٢/ ٥٦٥).

(٥) انظر: الدرر الكامنة: (٦/ ٦٥).

(٦) ابن الجزري: محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، شمس الدين، أبو الخير، صاحب (النشر في القراءات العشر) وتقريبه، والتحبير، ولد سنة ٧٥١ هـ، وتوفي سنة ٨٣٣هـ. انظر: غاية النهاية: (٢/ ٢٤٧ - ٢٥١)، وطبقات الحفاظ للسيوطي: (٥٧٥).

(٧) غاية النهاية: (٢/ ٢٨٥).

وقال الداوودي[(١)] ~ : « وتقَدَّمَ في النحو، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب، وسمع الحديث بالأندلس، وإفريقية، ومصر، والحجاز من نحو أربعمائة وخمسين شيخاً...، وأجاز له خلق من المغرب والمشرق...، وأكب على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه، وفي التفسير، والعربية، والقراءات، والأدب، واشتهر اسمه، وطار صيته، وأخذ عنه أكابر عصره، وتقدموا في حياته... » [(٢)].

وقال الشوكاني[(٣)] ~ : « تبحر في اللغة والعربية والتفسير وفاق الأقران وتفرد بذلك في جميع أقطار الدنيا ولم يكن بعصره من يماثله » [(٤)].

هذه بعض أقوال العلماء فيه وثنائهم عليه تشير إلى فضله ومكانته، وسعة علمه، ومدى تأثيره في الحركة العلمية ~ .



---

(١) الداوودي: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين، العلامة الحافظ المفسر، شيخ أهل الحديث في عصره (... - ٩٤٥هـ) شذرات الذهب: (٨/ ٢٦٤)، والأعلام: (٧/ ١٨٤)، ومعجم المؤلفين: (١٠/ ٣٠٣).

(٢) طبقات المفسرين: (٢/ ٢٨٧ - ٢٨٨).

(٣) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني، ولد سنة ١١٧٣ هـ، مفسر، فقيه مجتهد توفي سنة ١٢٥٠هـ انظر: البدر الطالع: (٢/ ٢١٤ - ٢٢٥)، الأعلام: (٦/ ٢٩٨).

(٤) البدر الطالع: (٢/ ٢٨٨).

المبحث الخامس:
شيوخه وتلاميذه

۞ أولاً: شيوخه:

برع أبو حيان ~ في علوم كثيرة في التفسير والحديث واللغة وغيرها، مما يشير إلى سعة اطلاعه ومعرفته، وهذا عادة ما يكون من أثر ثني الركب بين يدي الشيوخ.

وقد تلقى أبو حيان ~ العلم على كثير من العلماء.

قال ~ : « وجملة من سمعت منهم نحو أربعمائة شخص وخمسين، وأما الذين أجازوني فعالم كثير جداً من أهل غرناطة، ومالقة، وسبتة[(١)]، وديار مصر، والحجاز والعراق، والشام » [(٢)].

وقال: « وجملة من سمعت منهم خمسمائة، والمجيزون أكثر من ألف » [(٣)].

وقد ذكر أبو حيان ~ أكثر شيوخه في إجازته التي كتبها للصفدي، وسأقتصر على ذكر بعض شيوخه وقد ذكرتهم حسب تواريخ وفياتهم، فمنهم:

١ - أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيس بن عياش، أبو جعفر، المعروف بابن الطباع الرعيني الغرناطي، ولد سنة ٦٠٧ هـ، إمام حاذق مشهور نبيل صالح، وقد ذكره أبو حيان في البحر بقوله: « وقد قرأت القرآن بقراءة السبعة بجزيرة الأندلس على الخطيب أبي جعفر أحمد بن علي بن محمد الرعيني، عرف بابن الطباع بغرناطة » [(٤)]،

---

(١) سبتة: بفتح أوله، وضبطه الحازمي بكسر أوله، وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، ومرساها أجود مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة. انظر: معجم البلدان: (٣/ ١٨٢)، مدينة مغربية محتلة من طرف أسبانيا ومحاطة بالأراضي المغربية وأصبحت منذ ١٩٩٥ م تتمتع بصيغة الحكم الذاتي داخل أسبانيا، الموسوعة الحرة.

(٢) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/ ٢٨٠).

(٣) انظر: نفح الطيب: (٢/ ٥٦٠).

(٤) انظر: البحر المحيط: (١/ ١٠٩).

توفي سنة ٦٨٠هـ[1].

٢ – إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي، أبو طاهر، قرأ عليه أبوحيان القراءات، حيث قال: « وقرأت القرآن بالقراءات السبع بمصر –حرسها الله تعالى– على الشيخ المسند العدل فخر الدين أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي »[2]، توفي سنة ٦٨١هـ[3].

٣ – حازم بن محمد بن حسن بن محمد الأنصاري، أبو الحسن القرطبي النحوي، شيخ البلاغة والأدب، كان أوحد زمانه في النظم، والنثر، والنحو، واللغة، والعروض، وعلم البيان، توفي سنة ٦٨٤ هـ[4].

٤ – أحمد بن أبي الحجاج يوسف بن علي الفِهْرِي اللّبلي – بسكون الموحدة بين لامين أولاهما مفتوحة – أبو جعفر النحوي اللغوي المقرئ، ولد سنة ٦٢٣ هـ،كان إماماً فاضلاً نحوياً لغوياً، عده أبو حيان من أشهر شيوخه، توفي سنة ٦٩١ هـ[5].

٥ – محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر، أبو عبدالله بهاء الدين بن النحاس الحلبي، شيخ العربية والأدب بالديار المصرية، كان صالحاً خيراً، ولد سنة ٦٢٧هـ، تخرج به جماعة من الأئمة وفضلاء الأدب، منهم أبو حيان الذي أثنى عليه، وقرأ عليه كتاب سيبويه، فقال ابن النحاس: عند ختمه: « لم يقرأه أحدٌ علي غيره »، مشهور بالدين والصدق والعدالة، توفي سنة ٦٩٨ هـ[6].

---

(١) انظر: الوافي بالوفيات: (٧/ ٢٤٠)، وغاية النهاية: (١/ ٨٧).

(٢) البحر المحيط: (١/ ١٠٩).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات: (٩/ ٢٣٥)، والنجوم الزاهرة: (٧/ ٣٥٦)، وغاية النهاية: (١/ ١٦٩ – ١٧٠) وشذرات الذهب: (٥/ ٣٧٣).

(٤) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/ ٢٧٩)، و(١١/ ٢٧١)، وبغية الوعاة: (١/ ٤٩١ – ٤٩٢).

(٥) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/ ٢٨٠)، والديباج المذهب: (١/ ٨٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٤٠٢ – ٤٠٣).

(٦) انظر: الوافي بالوفيات: (٢/ ١٠)، وفوات الوفيات: (٣/ ٢٩٤)، والنجوم الزاهرة: (٨/ ١٨٣)، وغاية النهاية: (٢/ ٤٦)، وبغية الوعاة: (١/ ١٣ – ١٤).

٦ – محمد بن سليمان بن الحسن البَلْخِي المقدسي، أبو عبدالله المعروف بابن النقيب، المفسر، الفقيه، الزاهد، ولد سنة ٦١١ هـ، له كتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير، في خمسين مجلداً، توفي سنة ٦٩٨ هـ(١).

٧ – أحمد بن عبدالنور بن أحمد بن راشد، أبو جعفر المالكي النحوي، كان عارفاً بالعربية حتى اشتهر بها. وشارك مع ذلك في المنطق على رأي الأقدمين، وعروض الشعر، وفرائض العبادات، توفي سنة ٧٠٢ هـ(٢).

٨ – عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي، أبو محمد المالقي، اشتهر بالبائع. كان أستاذاً حافلاً، متفنناً مضطلعاً، إماماً في القراءات وعلوم القرآن، ماهراً في صناعة النحو فقيهاً أصولياً، توفي سنة ٧٠٥ هـ(٣).

٩ – أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، ولد سنة ٦٢٧ هـ، قال عنه أبو حيان في كتابه النضار: « كان محدثاً وناقداً ونحوياً وأصولياً وأديباً مفوهاً ومقرئاً ومفسراً ومؤرخاً، أقرأ القرآن والحديث بمالقة وغرناطة، وغيرهما، وكان كثير الإنصاف ناصحاً في الإقراء » (٤). صنف كتباً قيمة، توفي سنة ٧٠٨هـ(٥).

١٠ – عبد الحق بن علي بن عبدالله بن محمد الأنصاري، أبو محمد الغرناطي، كان خطيب جامع مُطْخَشَارِش بغرناطة، مقرئاً صالحاً عارفاً، لازمه أبو حيان نحواً من سبعة أعوام، وانتفع به؛ حيث قرأ عليه السبع في نحو من عشرين ختمة إفراداً وجمعاً،

---

(١) انظر: طبقات المفسرين للداودي: (١/ ٢٨٠)، والجواهر المضيئة: (٣/ ١٦٥)، وشذرات الذهب: (٥/ ٤٤٢).

(٢) انظر: غاية النهاية: (١/ ٧٧ – ٧٨)، وبغية الوعاة: (١/ ٣٣١ – ٣٣٢).

(٣) انظر: طبقات المفسرين، للداوودي: (١/ ٣٦٦)، وغاية النهاية: (١/ ٤٧٧)، وبغية الوعاة: (٢/ ١٢١ – ١٢٢).

(٤) انظر: بغية الوعاة: (١/ ٢٩١).

(٥) انظر: غاية النهاية: (١/ ٣٢ – ٣٣)، والإحاطة في أخبار غرناطة: (١/ ١٩١)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٦) وبغية الوعاة: (١/ ٢٩١ – ٢٩٢).

وعليه تعلم الهجاء[1].

هؤلاء بعض شيوخ أبي حيان -رحمهم الله تعالى-، وقد انتفع بعلمهم الشيء الكثير.

موقفه من ابن تيمية - رحمهما الله -:

تذكر كتب التراجم أن أبا حيان ~ قد قابل شيخ الإسلام: أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨ هـ[2]، وكانت علاقته به باديء الأمر علاقة حسنة، وقد أثنى عليه أبو حيان ومدحه، حتى قيل إنه ارتجل بعدة أبيات لما قابله يمدحه بها:

لمّا أتينا تقيّ الدّين لاح لنا | داعٍ إلى الله فَرْدٌ ما لَه وزر
على محيّاه من سِيْما الأُلى صحِبوا | خير البرّية نورٌ دونهُ قَمَرُ
حَبْرٌ تَسَربل مِنْه دَهرهُ حِبَراً | بحرٌ تقاذف من أَمْوَاجِهِ الدُّررُ
قام ابنُ تيميةٍ في نصْر شِرعتنا | مقام سيّد تَيْمٍ[3] إذ عصت مُضَرُ[4]
وأظهر الحقّ إذ آثاره اندرست | وأخمدَ الشرَ إذ طارت له شررُ
كنا نُحدّثُ عن حَبرٍ يجيء بها | أنتَ الإمامُ الذي قد كان يُنْتَظَرُ

والناظر في هذه الأبيات يجدها مشحونة بالعاطفة، والاحترام، والتقدير، فما سبب جفوة أبي حيان غفر الله له؟ حتى أنه محا هذه الأبيات من ديوانه، وذمه في البحر ورماه بكل

---

(١) انظر: غاية النهاية: (١/ ٣٥٩)، ونفح الطيب: (٢/ ٥٥١)، ولم يذكروا وفاته.

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية (١٤/ ١٣٥)، والدرر الكامنة (١/ ٨٨-٩٦)، والنجوم الزاهرة (٩/ ٢٧١).

(٣) تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، بطن من قريش من بني مرة، منها أبو بكر الصديق ﷺ. انظر القاموس المحيط ص(١٤٠٠) مادة «تيم»، ولسان العرب (٢/ ٧١).

(٤) قبيلة من العدنانية، وهم بنو مضر بن معد بن عدنان، سمي كذلك لولوعه بشرب اللبن الماضر، كانت لهم الرياسة بمكة والحرم. انظر القاموس المحيط ص(٦١٢) مادة «مضر»، ولسان العرب (١٣/ ١٢٧).

سوء في النهر الماد - كما ذكر ذلك ابن العماد الحنبلي -[(١)] [(٢)].

تذكر كتب التراجم أن سبب هذه الجفوة وقوع ابن تيمية في سيبويه[(٣)]، وتخطئته له في « الكتاب » حيث قال ابن تيمية: « ما كان سيبويه نبي النحو، ولا كان معصوماً بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً »، مما أبرم أبا حيان وصيرها زلة لابن تيمية لا تغتفر؛ إذ كان أبو حيان يجلّ سيبويه غاية الإجلال، ولا يرى أحداً بلغ في العربية مثله.

والسبب الثاني لهذه الجفوة هو لما رأى ما جآء في كتاب العرش لشيخ الإسلام فرماه بالتجسيم وهجره لذلك » [(٤)].

غفر الله لهما وجزاهما خيراً على ما قدما للإسلام والمسلمين.

۞ ثانياً: تلاميذه.

لقد كان لأبي حيان ~ الأثر العظيم على الحركة العلمية في ذلك العصر وذاع صيته والتف حوله التلاميذ ينهلون من علمه، وقد كان لطلابه الأثر الكبير فألفوا وصنفوا في علوم كثيرة، وقد كان يعتني بطلابه ويقبل عليهم مما زاد من إقبالهم عليه.

قال الصفدي: « له إقبال على الطلبة الأذكياء، وعنده تعظيم لهم » [(5)].

ومن أشهر تلاميذه وقد ذكرتهم حسب تواريخ وفياتهم:

١ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم القيسي المالكي، أبو إسحاق

---

(١) عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الكري الحنبلي، أبو الفلاح، مؤرخ، فقيه، عالم بالأدب، صاحب الشذرات، توفي سنة ١٠٨٩هـ. انظر خلاصة الأثر (٢/ ٣٤٠)، والأعلام (٣/ ٢٩٠).

(٢) انظر الشذرات (٦/ ١٤٦)، وانظر النهر الماد لأبي حيان (١/ ٩٢).

(٣) سيبويه هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو البشر، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، توفي سنة ١٨٠هـ. انظر تاريخ بغداد (١٢/ ١٩٥)، ونزهة الألباء ص(٢٥٤)، وإنباه الرواة (٢/ ٣٤٦)، وبغية الوعاة (٢/ ٢٢٩).

(٤) انظر بغية الوعاة (١/ ٢٨٢)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦).

(٥) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/ ٢٦٧)، ونكت الهميان: (٢٨٠)، ونفح الطيب: (٢/ ٥٤٠).

السَّفاقُسِي النحوي، ولد في حدود سنة ٦٩٧ هـ، له همة في الفضائل والعلوم، له إعراب القرآن الكريم، وهو من أجل كتب الاعاريب، وأكثرها فائدة جرده من البحر المحيط، توفي سنة ٧٤٢ هـ، وقيل: ٧٤٣ هـ(١).

٢ – جعفر بن تغلب بن جعفر بن علي الفقيه الشافعي، أبو الفضل الأدفوي – بضم الفاء، نسبة إلى أدفو بلد بصعيد مصر –، ولد في شعبان سنة ٦٨٥ هـ، وقيل: ٦٧٥ هـ، لازم أبا حيان، كان من أهل الدين والصلاح والأدب والعلم، توفي سنة ٧٤٨ هـ(٢).

٣ – أحمد بن عبدالقادر بن أحمد بن مكتوم بن أحمد، تاج الدين أبو محمد الحنفي النحوي، ولد سنة ٦٨٢ هـ، لازم أبا حيان دهراً طويلاً، تقدم في الفقه والنحو واللغة، من تصانيفه: الدر اللقيط من البحر المحيط، توفي سنة ٧٤٩ هـ(٣).

٤ – أحمد بن يوسف بن عبدالدائم الحلبي، المقرئ النحوي، المعروف بالسمين، نزيل القاهرة، لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه، كان فقيهاً بارعاً في النحو، والقراءات، ويتكلم في الأصول، خيّراً، أديباً، توفي سنة ٧٥٦ هـ(٤).

٥ – عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، الشيخ جمال الدين الحنبلي النحوي، الفاضل، العلامة المشهور، أبو محمد، ولد سنة: ٧٠٨ هـ، صنف: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب اشتهر في حياته وأقبل الناس عليه، توفي سنة ٧٦١ هـ(٥).

٦ – خليل بن أيبك بن عبدالله، صلاح الدين الصفدي، أبو الصفاء، ولد بصفد بفلسطين وإليها ينسب، ولد سنة ٦٩٦ هـ، أديب ومؤرخ، أخذ النحو عن أبي حيان،

---

(١) انظر: الديباج المذهب: (١/ ٩٢)، والدرر الكامنة: (١/ ٦١ – ٦٢)، وبغية الوعاة: (١/ ٤٢٥).

(٢) انظر: الدرر الكامنة: (٢/ ٨٤ – ٨٦)، والنجوم الزاهرة: (١٠/ ٢٣٧)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٥٣)، والبدر الطالع: (١/ ١٨٢ – ١٨٣).

(٣) انظر: الدرر الكامنة: (١/ ٢٠٤ – ٢٠٦)، والجواهر المضيئة: (١/ ١٩٢)، وبغية الوعاة: (١/ ٣٢٦ – ٣٢٧).

(٤) انظر: الدرر الكامنة: (١/ ٤٠٢ – ٤٠٣)، وبغية الوعاة: (١/ ٤٠٢)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٧٩).

(٥) انظر: النجوم الزاهرة: (١٠/ ٣٣٦)، وبغية الوعاة: (٢/ ٦٨ – ٦٩)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٩١ – ١٩٢).

وحصل منه على إجازة بمروياته وشيوخه وتصانيفه، صنف الكثير في التاريخ والأدب، توفي سنة ٧٦٤ هـ[(١)].

٧ - عبدالله بن عبدالرحمن بن عقيل الشافعي، قاضي القضاة، نحوي الديار المصرية، ولد سنة ٦٩٨هـ وقيل: ٦٩٤ هـ، قرأ على علماء عصره، كان إماماً في العربية، والبيان، ويتكلم في الأصول والفقه كلاماً حسناً، ولازم أبا حيان حتى صار من أجل تلاميذه، حتى قال عنه: « ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل »، توفي سنة ٧٦٩ هـ[(٢)].

٨ - عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي، تاج الدين أبو نصر السبكي، ولد سنة ٧٢٧هـ حصل فنوناً من العلم، وكان ذا بلاغة، وطلاوة لسان، عارفاً بالأمور، وانتشرت تصانيفه فى حياته، توفي سنة ٧٧١ هـ[(٣)].

٩ - عبدالرحيم بن الحسن بن علي بن الجمال، أبو محمد الأسنوي، الفقيه الشافعي، الأصولي النحوي، ولد سنة ٧٠٤ هـ، قال له أبو حيان: « لم أشيخ أحداً في سنك »، انتهت إليه رئاسة الشافعية، وصار المشار إليه بالديار المصرية، درس وأفتى، توفي سنة ٧٧٢ هـ[(٤)].

١٠ - محمد بن سعيد بن محمد الرعيني، أبو عبدالله السراج، أحد المحدثين، رحل في طلب العلم، فأخذ عن مشايخ كثر منهم أبو حيان، توفي سنة ٧٧٩ هـ[(٥)].

---

(١) انظر: طبقات الشافعية الكبرى: (١٠/ ٥ - ٣٢)، والدرر الكامنة: (٢/ ٢٠٧ - ٢١٠)، والنجوم الزاهرة: (١١/ ١٩ - ٢١)، والبدر الطالع: (١/ ٢٤٣ - ٢٤٤).

(٢) انظر: الدرر الكامنة: (٣/ ٤٢ - ٤٥)، وغاية النهاية: (١/ ٤٢٨)، وبغية الوعاة: (٢/ ٤٧ - ٤٨).

(٣) انظر: الدرر الكامنة: (٣/ ٢٣٢ - ٢٣٥)، والنجوم الزاهرة: (١١/ ١٠٨ - ١٠٩)، وشذرات الذهب: (٦/ ٢٢١ - ٢٢٣).

(٤) انظر: الدرر الكامنة: (٣/ ١٤٧ - ١٥٠)، والنجوم الزاهرة: (١١/ ١١٤)، وبغية الوعاة: (٢/ ٩٢ - ٩٣).

(٥) انظر: نيل الابتهاج: (٢٧١)، وفهرس الفهارس: (١/ ٣٢٦).

المبحث السادس:
آثاره ومؤلّفاته

كان لأبي حيان ~ تصانيف سارت وطارت وانتشرت فى أقطار البلدان وانتفع بها الكثير من الناس، وصاروا أئمة وأشياخاً في حياته.

وقد صنّف ~ في علوم كثيرة منها: التفسير، والفقه، والحديث، والنحو، والصرف، والأدب، حتى كتب في اللّغات الأخرى، تزيد على الخمسين مؤلّفاً[(١)]، وقد ذكر معظم مؤلفاته في إجازته التي بعث بها لتلميذه الصَفَدي[(٢)].

قال تلميذه صلاح الدّين الصَفَدي: « وله التصانيف التي سارت وطارت، وانتشرت وما انتشرت، وقرئت ودريت، ونسخت ومافسخت، أخملت كتب الأقدمين، وألهت المقيمين بمصر والقائمين » [(٣)].

ومن كتبه على حسب العلوم ما يلي:

أ / التفسير:

١. تفسير البحر المحيط[(٤)].

٢. النهر المادّ من البحر المحيط[(٥)].

---

(١) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/ ٢٨٠ - ٢٨١)، ونفح الطيب: (٢/ ٥٥٢ - ٥٥٣، ٥٦٣).

(٢) انظر: نفح الطيب: (٢/ ٥٤١)، ومن ذيول العبر: (٦/ ٢٤٤).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات: (٥/ ٢٦٨)، ونكت الهميان: (٢٨٠)، ونفح الطيب: (٢/ ٥٤١).

(٤) مطبوع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ هـ، ثم صوّر عدّة مرات. آخرها طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق جملة من المحققين، وتقريظ الأستاذ الدكتور: عبدالحي الفرماوي، ط ١، ١٤١٣هـ. انظر: شذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط لبدر البدر: (٥٦).

(٥) طبع بحاشية البحر المحيط، ثم طبع في مجلدين كبيرين بعناية: بوران الضناوي، وهديان الضناوي، دار الجنان، بيروت ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٧).

ب / القراءات:

١. الأثير في قراءة ابن كثير[(١)، (٢)].

٢. تقريب النائي في قرَاءة الكِسائي[(٣)، (٤)].

٣. الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية[(٥)].

٤. الرّمزة في قراءة حمزة[(٦)، (٧)].

٥. الروض الباسم في قراءة عاصم[(٨)، (٩)].

---

(١) عبد الله بن كثير بن المطلب، أبو معبد المكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة، ولد سنة ٤٥ هـ، كان فصيحاً بليغاً مفوهاً، عالماً بالعربية، توفي سنة ١٢٠هـ. انظر: الكاشف: (١/ ٥٨٧)، والتاريخ الكبير: (٥/ ١٨١)، ومعرفة القراء الكبار: (١/ ٧١ – ٧٢)، وغاية النهاية: (١/ ٤٤٣ – ٤٤٤).

(٢) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، ونفح الطيب: (٢/ ٥٥٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).

(٣) علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي مولاهم، أبو الحسن الكِسائي، المقرئ النحوي، أحد القراء السّبعة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، وهو إمام الكوفيين في النحو، توفي بالري سنة ١٨٩هـ. انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٠٠ – ١٠٧)، وغاية النهاية: (١/ ٥٣٥ – ٥٤٠).

(٤) مفقود: انظر: نفح الطيب: (٢/ ٥٥٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).

(٥) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣) وفيه: « الحلل الحالية في أسانيد القراءات العالية »، ونفح الطيب: (٢/ ٥٥٢)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، والدرر الكامنة (٤/ ١٨٦)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).

(٦) حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات، أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم، ولد سنة ٨٠ هـ، أحد القراء السّبعة، وإليه صارت إمامة القراءة بعد عاصم في الكوفة، كان إماماً حجة قيماً بكتاب الله تعالى، حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض والعربية، توفي سنة ١٥٦هـ. انظر: معرفة القراء الكبار: (١/ ٩٣ – ٩٩)، وغاية النهاية (١/ ٢٦١ – ٢٦٣).

(٧) مفقود. انظر: نكت الهيمان: (٢٨٣)، ونفح الطيب: (٢/ ٥٥٢).

(٨) عاصم بن بهدلة أبي النجود – بفتح النون وضم الجيم – الأسدي مولاهم، أبو بكر الكوفي، أحد القراء السّبعة، كان أهل الكوفة يختارون قراءته، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد، توفي سنة ١٢٧هـ. انظر: معرفة القراء الكبار: (١/ ٧٣ – ٧٧)، وغاية النهاية (١/ ٣٤٦ – ٣٤٩).

(٩) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، ونفح الطيب: (٢/ ٥٥٢)، وكشف الظنون: (١/ ٩١٨)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).

٦. عقد اللآلي في القراءات السّبع العوالي[١].

٧. غاية المطلوب في قراءة يعقوب[٢]،[٣].

٨. المزن الهامر في قراءة ابن عامر[٤]،[٥].

٩. المورد الغمر في قراءة أبي عمرو[٦]،[٧].

---

(١) مخطوط: والكتاب عدّه بعض الباحثين مفقوداً، وليس كذلك فهو مخطوط، منه نسختان: واحدة بالهند، والأخرى في القاهرة. انظر: نكت الهميان (٢٨٣)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، وبغية الوعاة (١/ ٢٨٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨)، وقد نقل أبو حيان من هذا الكتاب كما في المقدمة (١/ ١٠٩).

(٢) يعقوب بن محمد بن خليفة الأعشى، أبو يوسف الكوفي، صاحب قرآن وفرائض، تصدر للإقراء بالكوفة، توفي في حدود المائتين للهجرة، انظر: معرفة القراء الكبار: (١/ ١٣١ - ١٣٢)، وغاية النهاية: (٢/ ٣٩٠).

(٣) مفقود: وهي من منظومات أبي حيان. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وكشف الظنون: (٢/ ١١٩٤)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٤) عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي - بضم الصاد وكسرها - الدمشقي، أبو عمران، إمام أهل الشام في القراءة، وانتهت إليه مشيخة الإقراء بها، توفي سنة ١٠٨هـ. انظر: معرفة القراء الكبار: (١/ ٦٧ - ٧٠)، وغاية النهاية: (١/ ٤٢٣ -٤٢٥).

(٥) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وإيضاح المكنون: (٤/ ٤٧١)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٦) زبان بن العلاء بن عمار المازني، أبو العلاء، ولد سنة ٦٨ هـ، وقيل: ٧٠، وقيل غيرذلك، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والزهد، أحد القراء السبعة، توفي سنة ١٥٤ هـ، وقيل ١٥٥ هـ، وقيل غير ذلك. انظر: وفيات الأعيان: (٣/ ٤٦٦)، ومعرفة القراء الكبار: (١/ ٨٣ - ٨٨)، وغاية النهاية: (١/ ٢٨٨ - ٢٩٢)، والنشر: (١/ ١٣٤).

(٧) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

١٠. النافع في قراءة نافع[١]،[٢].

١١. النيّر الجَلي في قراءة زيد بن علي[٣]،[٤].

ج / الحديث:

١. جزء حديثي، ذكره الصفدي في إجازته[٥].

٢. فهرس مروياته[٦].

٣. فهرس مسموعاته[٧].

٤. المنتخب من حديث شيوخ بغداد[٨].

د / الفقه وأصوله:

١. الأنور الأجلى في اختصار المحلى[٩].

---

(١) نافع هو: ابن عبدالرحمن بن أبي نعيم اللَّيثي، مولاهم، أبو رويم المقري المدني، أحد القراء السبعة، روى عنه خلق كثير، توفي سنة ١٩٦هـ على خلاف في ذلك. انظر: تهذيب الكمال (٧/ ٣٠٩)، ومعرفة القراء الكبار: ص(٦٤)، وغاية النهاية: (٢/ ٣٣٠).

(٢) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

(٣) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو الحسين المدني، ولد سنة ٨٠ هـ، كان ذا علم وجلالة وصلاح، قتل سنة ١٢٢هـ. انظر: الكاشف: (١/ ٤١٨)، وسير أعلام النبلاء: (٥/ ٣٨٩ - ٣٩١)، وتهذيب الكمال: (١٠/ ٩٥ - ٩٧).

(٤) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، ونفح الطيب: (٢/ ٥٥٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٥) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة: (٣٧).

(٦) مفقود: انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٧) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٨) مخطوط: توجد منه نسخة في مكتبة نوشهر بتركيا. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).

(٩) مفقود: وهو اختصار لكتاب « المحلى في الخلاف العالي في فروع الشافعية » لأبي محمد بن حزم. انظر: ⇐ =

٢. الوهاج في اختصار المنهاج[1].

٣. مسلك الرشد في تجريد مسائل ابن رشد[2]،[3].

هـ / اللغة:

١. إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب[4].

٢. الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء[5].

= البحر المحيط: (٢/ ٤٠)، ونكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وكشف الظنون: (٢/ ١٦١) وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).

(١) مفقود: اختصر فيه كتاب « منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الشافعية »، للنووي. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وإيضاح المكنون: (٤/ ٧١٥)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

(٢) ابن رشد: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، ويعرف بابن رشد الحفيد، أبو الوليد القرطبي المالكي، ولد سنة ٥٢٠ هـ، تفقه وبرع، وسمع الحديث، وأتقن الطب، وأقبل على الكلام والفلسفة حتى صار يضرب به المثل فيها، وصنف التصانيف مع الذكاء المفرط، والملازمة للاشتغال ليلا ونهارا،، وتوفي سنة ٥٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (٢١/ ٣٠٧ - ٣١٠)، والديباج المذهب: (١/ ٥٣)، وشذرات الذهب: (٤/ ٣٢٠).

(٣) مفقود. انظر: كشف الظنون: (٢/ ١٦٧٨) وفيه اسمه « مسلك المرشد »، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٤) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧).

والكتاب مطبوع: طبع عدة مرات، مرة بتحقيق: محمد سعيد الوردي، بمطبعة الإخلاص بحماة، سنة ١٩٣٦ م، وطبعة أخرى بتحقيق: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، بمطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٧٧ م، وطبعة ثالثة بتحقيق: سمير طه مجذوب، نشر المكتب الإسلامي، سنة ١٤٠٨هـ. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٦).

(٥) انظر: نكت الهيمان: (٢٨٣)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، وفيه اسمه « الارتضاء في الضاد والظاء »، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢).

والكتاب مطبوع بمطبعة المعارف ببغداد، سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦١ م، بعناية: محمد بن حسن آل ياسين، وهو تلخيص لرسالة ابن مالك « الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد » من شعره. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٦).

٣. الأبيات الوافية في علم القافية[١].

٤. الإدراك للسان الأتراك[٢].

٥. الأفعال في لسان الترك[٣].

٦. بغية الظمآن من فوائد أبي حيان[٤].

٧. ديوان أبي حيان[٥].

٨. زهو الملك في نحو الترك[٦].

٩. الشَذْرَة الذّهبية في علوم العربية[٧].

١٠. المخبور في لسان اليخمور[٨].

---

(١) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، ونفح الطيب: (٢/ ٥٥٢)، وإيضاح المكنون: (٣/ ٣١٤)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).

(٢) انظر: نكت الهيمان: (٢٨٣)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٣).

والكتاب مطبوع: طبع بإستنبول سنة ١٣٠٩ هـ، بتصحيح: جعفر أوغلي أحمد، ومنه نسخة نادرة في المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود بالرياض، قسم الكتب النادرة. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٥ - ٥٦).

(٣) مفقود. انظر: الدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).

(٤) مفقود. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).

(٥) الكتاب مطبوع: حققه الدكتور: أحمد مطلوب، والدكتورة: خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٦).

(٦) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٣)، وكشف الظنون: (٢/ ٩٦٢)، أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١ - ٦٢).

(٧) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٣)، وكشف الظنون: (٢/ ١٠٢٨)،وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٨) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٤)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وإيضاح المكنون: (٤/ ٤٤٦)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

١١. معاني الحروف[1].

١٢. مُنطق الخُرس في لسان الفُرس[2].

١٣. نوافث السّحر في دمائث الشِّعر[3].

١٤. نور الغَبَش في لسان الحَبَش[4].

و / النحو والصرف والبلاغة:

١. الأسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار[5]، [6].

٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب[7].

٣. إعراب القرآن[8].

---

(١) مخطوط: له نسخة في مكتبة بايزيد عمومي في تركيا. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).

(٢) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وكشف الظنون: (٢/ ١٨٦٤)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٣) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وإيضاح المكنون: (٤/ ٦٨٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

(٤) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وكشف الظنون: (٢/ ١٩٨٣)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

(٥) الصفار: قاسم بن علي بن محمد بن سليمان الأنصاري البطليموسي، أبو القاسم، الشهير بابن الصفار، شرح كتاب سيبويه يقال: إنه أحسن الشروح، توفي بعد سنة ٦٣٠هـ. انظر: البلغة: (١/ ١٧٣ - ١٧٤)، وبغية الوعاة: (٢/ ٢٥٦).

(٦) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وكشف الظنون: (٢/ ١٤٢٨)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).

(٧) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢).

والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور: مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٦).

(٨) مخطوط: يقع في ثماني أجزاء، شككت في نسبته إلى أبي حيان الدكتورة خديجة الحديثي، وأثبته غيرها. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٧).

٤. التجريد لأحكام سيبويه[1].

٥. التدريب في شرح التقريب[2].

٦. التذكرة في العربية[3].

٧. التذييل والتكميل في شرح التسهيل[4].

٨. تقريب المقرب[5].

---

(١) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢)، وكشف الظنون: (٢/ ١٤٢٨)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، وترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة: (٤٠)، هامش: (٨).

(٢) مخطوط: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، وكشف الظنون: (٢/ ١٨٠٥)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨).

(٣) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧). والكتاب طبع منه جزء بتحقيق الدكتور: عفيف عبدالرحمن، نشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ. انظر: ترجيحات أبي حيان الأندلسي من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة: (٤١) هامش: (٢).

(٤) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢)، وكشف الظنون: (١/ ٤٠٥)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧).

والكتاب طبع منه قطعة صغيرة سنة ١٣٢٨ هـ، بمطبعة السعادة بمصر، وقدم تحقيقه لنيل درجة الدكتوراه من ثمانية باحثين في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٧٥ م، كما توجد للكتاب نسختان بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. وحققه أخيراً الدكتور: حسن هنداوي، صادر عن دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨ - ١٤٢٢هـ. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٧ - ٥٨)، وترجيحات أبي حيان الأندلسي من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة: (٤١) هامش: (٣).

(٥) انظر: نكت الهيمان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، وكشف الظنون: (٢/ ١٨٠٥).

والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور: عفيف الرحمن، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م، بدار السيرة، كما طبع بتحقيق: محمد جاسم الديلمي، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٥ م، مؤسسة دار الندوة الجديدة، بيروت. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٦).

٩. تلويح التوضيح في النحو[١].

١٠. التنخيل الملخص من شرح التسهيل[٢].

١١. خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان[٣].

١٢. دالية النحو[٤].

١٣. الشّذا في مسألة كذا[٥].

١٤. غاية الإحسان في علم اللسان[٦].

١٥. الفصل في أحكام الفصل[٧].

١٦. قصيدتان في مدح الزمخشري، والنحو[٨].

١٧. اللمحة البدرية في علم العربية، مختصر في النحو[٩].

---

(١) مخطوط: انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨).

(٢) مفقود: انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢)، وكشف الظنون: (١/ ٤٠٥)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).

(٣) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٤)، وفيه عنوانه « خلاصة البيان في علمي البديع والبيان »، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٣)، وكشف الظنون: (١/ ٧١٧)، وفيه عنوانه « خلاصة التبيان في المعاني والبيان » وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).

(٤) مخطوط: انظر أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨).

(٥) مفقود: وقد شرحه ابن هشام وهو تلميذ أبي حيان في كتاب عنوانه: « فَوح الشذا في مسألة كذا »، وهو مطبوع، طبع سنة ١٩٦٣م. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢)، وكشف الظنون: (٢/ ١٠٢٨)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٦) مخطوط: منه نسخة بجامعة الإمام، برقم (٢٢٧٥ ف). انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢) والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨).

(٧) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٨) مخطوط. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨).

(٩) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢).

والكتاب مطبوع: طبع مع شرح اللمحة البدرية لابن هشام، بتحقيق الدكتور: هادي نهر، في بغداد، سنة ١٩٧٤م. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٨ - ٥٩).

١٨. المبدع الملخص من الممتع[١].

١٩. منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك[٢].

٢٠. الموفور من شرح ابن عصفور[٣]،[٤].

٢١. النكت الحِسَان شرح غاية الإحسان[٥].

٢٢. نهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب[٦].

٢٣. الهداية في النحو[٧].

---

(١) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور: عبدالحميد السيد طلب، عام ١٩٨٢م. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٦ – ٥٧).

(٢) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣ – ٢٨٤)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٣)، والكتاب لم يكمله أبو حيان، بل انتهى إلى آخر باب « أفعل التفضيل »، وهو مطبوع: نشر بتحقيق: سدني جليزر، بالولايات المتحدة الإمريكية. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٧).

(٣) ابن عصفور: علي بن المؤمن بن محمد بن علي النحوي الحضرمي الإشبيلي، أبو الحسن، ولد سنة ٥٧٧ هـ، حامل لواء العربية في زمانه، صاحب التصانيف، توفي سنة ٦٦٩هـ.

انظر: بغية الوعاة: (٢/ ٢١٠)، وشذرات الذهب: (٥/ ٣٣٠ – ٣٣١)، العبر في خبر من غبر: (٥/ ٢٩٢).

(٤) مخطوط: وهو مختصر لكتاب ابن عصفور: « شرح الجمل ». انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وكشف الظنون: (٢/ ١٩١٠)، وفيه عنوانه « الموفور في تحرير أحكام ابن عصفور »، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).

(٥) انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، والكتاب مطبوع بتحقيق: عبدالحسين الفتلي، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٧).

(٦) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وفيه اسمه: « نهاية الإعراب في علمي التصريف والإعراب »، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وكشف الظنون: (٢/ ١٩٥٦)، وفيه اسمه: « نهاية الإعراب في التصريف والإعراب »، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

(٧) مخطوط وقد شككت الدكتورة خديجة الحديثي في نسبته لأبي حيان، وأثبته الديلمي. انظر: أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).

ز / كتب عامة:

١. الإعلام بأركان الإسلام[(١)].

٢. الإلماع في إفساد إجازة الطبّاع[(٢)].

٣. تحفة النَّدس[(٣)] في نحاة الأندلس[(٤)].

٤. القطر الحَبي في جواب أسئلة الذهبي[(٥)].

٥. مجاني الهَصْر في آداب وتواريخ لأهل العصر[(٦)].

٦. نثر الزَّهر ونظم الزُّهر[(٧)].

---

(١) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، ووالدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، إيضاح المكنون: (٣/ ١٠١)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).

(٢) مفقود. انظر: نفح الطيب: (٢/ ٥٨٣)، وإيضاح المكنون: (١/ ١٢٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٥٩).

(٣) الندس: يقال: رجل ندس أي: فَهِمٌ، سريع السمع، فَطِن. انظر: القاموس المحيط: (٥٧٧) مادة: (ندس)، ولسان العرب: (٦/ ٢٢٩)، مادة: (ندس).

(٤) مفقود: وهو كتاب كبير يقع في ستين مجلداً، جمع فيه أبو حيان تراجم نحاة الأندلس. انظر: نكت الهيمان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٢)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٠).

(٥) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

(٦) مفقود، ولم يكمله. انظر: نكت الهيمان: (٢٨٣)، شذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، وفيه اسمه « مجاني الهصر في تاريخ أهل العصر »، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٣)، وكشف الظنون: (٢/ ١٥٩١) وفيه اسمه « مجاني العصر »، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦١).

والجنى: الرُّطب، وكل ثمر يجتنى فهو جنى، والاجتناء: أخذك إياه وهو جني مادام طرياً. انظر: لسان العرب: (١٤/ ١٥٦)، ومختار الصحاح: (١/ ٤٨).

والهصر: هصر الشيء يهصره هصراً جبذه وأماله، والهصر عطف الشيء الرطب كالغصن ونحوه. انظر: لسان العرب: (٥/ ٢٦٤)، والنهاية: (٥/ ٢٦٣).

(٧) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وإيضاح المكنون: (٤/ ٦٢٤)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

٧. النضار في المسلاة عن نُضَار[1]،[2].

٨. نفحة المسك في سيرة الترك[3].

وبعد فهذه مؤلفات أبي حيان ~ وهي شاهدة على سعة علمه، وعظيم أثره، وغزير فوائده.



(١) نُضَار بنت محمد بن يوسف، أم العز، بنت الشيخ أبي حيان، ولدت سنة ٧٠٢ هـ، حفظت مقدمة في النحو، وخرجت لنفسها جزءاً، ونظمت شعراً، وكانت تعرب جيدا، وكان أبوها يقول: ليت أخاها حيان مثلها، ثم ماتت سنة ٧٣٠ هـ، فحزن والدها عليها، وجمع في ذلك جزءاً سماه النضار في المسلاة عن نضار. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: (٦/ ١٦١).

(٢) مفقود. انظر: نفح الطيب: (٢/ ٥٥٩)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٠)، وكشف الظنون: (٢/ ١٩٥٨)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

(٣) مفقود. انظر: نكت الهميان: (٢٨٣)، وإيضاح المكنون: (٤/ ٦٧١)، وأبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٢).

المبحث السابع:
وفاتـــــه

وبعد حياة طويلة قضاها أبو حيان في طلب العلم وتحصيله وتدريسه، مع التأليف والتصنيف، توفي ~ عن عمر يناهز إحدى وتسعين سنة بعد أن فقد بصره[1]، وكانت وفاته بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة في يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة من الهجرة، وقيل: سنة سبعمائة وثلاثة وأربعين، ورده المقري، وقيل: توفي سنة سبعمائة وثلاث وخمسين، واستبعده المقري[2].

وكان لموت أبي حيان الأثر البالغ فحزن عليه الناس كثيراً، وخاصة أصدقاؤه، وتلاميذه ونظموا في رثائه القصائد[3].

قال الصفدي فيه:

ورق من حزن نسيم الصبا ... واعتل في الأسحار لما سرى

وصادحات الأيك في نوحها ... رثته في السجع على حرف را

يا عين جودي بالدموع التي ... يروي بها ما ضمه من ثرى

وأجري دما فالخطب في شأنه ... قد اقتضى أكثر مما جرى

مات أثير الدين شيخ الورى ... فاستعر البارق واستعبرا

مات إمام كان في فنه ... يرى إماماً والورى من ورا

---

(١) ولذا ترجم له الصفدي في كتابه (نكت الهميان في نكت العميان ٢٨٠-٢٨٦).

(٢) انظر: نفح الطيب: (٢/ ٥٣٨)، شذرات الذهب: (٦/ ١٤٧)، ونكت الهميان: (٢٨٤)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٠)، والدرر الكامنة: (٦/ ٦٥)، ومن ذيول العبر: (٦/ ٢٤٣ - ٢٤٤)، و(١/ ٦٣)، والشهادة الزكية: (١/ ٣١)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٨٣)، والبلغة: (١/ ١٨٥)، وذيل تذكرة الحفاظ: (٢٦).

(٣) انظر: بدائع الزهور في وقائع الدهور: (١/ ١٩٩).

إلى أن قال:

إن مـــات فالـــذكر لـــه خالـــد ... يحـــيى بـــه مـــن قبـــل أن يقبـــرا

جـــاد ثـــرىً واراه غيـــث إذا ... مـــسّاه بالـــسقيا لـــه بكـــرّاً

وخـــصه مـــن ربـــه رحمـــة ... تـــورده في حـــشره الكـــوثرا[1]

فأسأل الله تعالى أن يرحم أبا حيان، ويرفع درجته في المهديين، ويغفر لنا له، ويجمعنا به في الفردوس الأعلى مع الحبيب المصطفى ﷺ.

(١) نفح الطيب: (٢/ ٥٣٩).

القسم الأول

القسم الأول

منهج أبي حيان في تفسيره
ومنهجه في الترجيح في التفسير

وفيــه فصـــلان :

۞ **الفصل الأول : منهج أبي حيان الأندلسي في التفسير.**

۞ **الفصل الثاني : منهج أبي حيان الأندلسي في الترجيح في التفسير.**

الفصل الأول

منهج أبي حيان في تفسيره

وفيه مبحثـــــــان : -

المبحث الأول : تفسيره القرآن بالمأثور.

المبحث الثاني : تفسيره القرآن بالرأي.

المبحث الأول

تفسيره القرآن بالمأثور

وفيه تمهيد وثمانية مطالب :

- **المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن.**
- **المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.**
- **المطلب الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة.**
- **المطلب الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين.**
- **المطلب الخامس: عنايته بالقراءات.**
- **المطلب السادس: عنايته بأسباب النزول.**
- **المطلب السابع: عنايته بالناسخ والمنسوخ.**
- **المطلب الثامن: عنايته بالمكي والمدني.**



التمهيـــــد

يعتبر البحر المحيط من أجل كتب التفسير؛ حيث قال عنه ابن الجزري: « له التفسير الذي لم يسبق إلى مثله.. » [1].

وقد جرت عادة المفسّرين أن يذكروا في مقدمة تفاسيرهم الزمن الذي ألفوا فيه، والدافع الذي حملهم على التأليف، والمنهج الذي ساروا عليه في تفسيرهم للقرآن الكريم، وقد اختلفت أساليبهم في ذلك مابين موجز لمنهجه ومفصل له، وضمنوا مقدماتهم تلك بعض العلوم والشروط التي يحتاجها المفسر، وكذلك ذكر بعض الفضائل والفوائد.

وكذلك فعل أبو حيّان حيث ذكر في مقدمة البحر المحيط عدة أمور:

١ - الزمن الذي ألف فيه، والحامل على صنيعه لهذا التفسير؛ حيث قال ~ : « وما زال يختلج في ذكري ويعتلج في فكري أني إذا بلغت الأمد الذي يتغضد[2] فيه الأديم، ويتنغص برؤيتي النديم، وهو العقد الذي يحل عرى الشباب، المقول فيه إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب، ألوذ بجناب الرحمن وأقتصر على النظر في تفسير القرآن، فأتاح الله لي قبل بلوغ ذلك العقد وبلغني ما كنت أروم من ذلك القصد،... وكان ذلك في أواخر سنة عشر وسبعمائة وهي أوائل سنة سبع وخمسين من عمري، فعكفت على تصنيف هذا الكتاب » [3].

٢- ذكر المنهج الذي سار عليه في تفسيره:

قال أبو حيان ~ : « وترتيبي في هذا الكتاب: أني أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة

---

(١) غاية النهاية: (٢/ ٢٨٦).

(٢) قال الدكتور بدر بن ناصر البدر: « يتبغضن: هكذا في المخطوط ١/ ٢ أ،.... وفي المطبوع: يتنغضد، وهو تصحيف » أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٦٧، هامش: ٤).
ويتبغضن: أي: تكسر الجلد وتثنى، لسان العرب: مادة: (غضن): (١٣/ ٣١٤)، والقاموس المحيط: مادة: (غضن): (١٢٢٠).

(٣) تفسير البحر المحيط: (١/ ٩٩ - ١٠٠).

لانظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه.

ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب، ونسخها، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشداً فيها القراءات شاذها ومستعملها، ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية، ناقلاً أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، متكلماً على جليها وخفيها بحيث إني لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت حتى أتكلم عليها، مبدياً ما فيها من غوامض الإعراب، ودقائق الآداب من بديع وبيان، مجتهداً أني لا أكرر الكلام في لفظ سبق، ولا في جملة تقدم الكلام عليها، ولا في آية فسرت بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيها على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية، وإن عرض تكرير فبمزيده فائدة، ناقلاً أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني محيلاً على الدلائل التي في كتب الفقه، وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقريرها والاستدلال عليها على كتب النحو.

وربما أذكر الدليل إذا كان الحكم غريباً أو خلاف مشهور ما قال معظم الناس، بادئا بمقتضى الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ، مرجحاً له بذلك[1]، ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه، منكباً في الإعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها، مبيناً أنها مما يجب أن يعدل عنه وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب؛ إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام فلا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة في شعر الشماخ[2]، والطرماح[3] وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة.

---

(١) قال الدكتور بدر بن ناصر البدر: « بذلك: هكذا في المخطوط ١/ ٣ ب، وفي المطبوع « له لذلك »، وهو خلاف المعنى المراد ». أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: (٧٢، حاشية: ٢).

(٢) الشماخ: ابن ضرار بن حرملة المازني الذبياني، وقيل: الشماخ لقبه، واسمه معقل بن ضرار، شاعر مخضرم، كان شديد متون الشعر، أرجز الناس على البديهة، شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان سنة ٢٢هـ. انظر: الإصابة: (٣/ ٣٥٥)، والوافي بالوفيات: (١٦/ ١٠٣ - ١٠٤)، وخزانة الأدب: (٣/ ١٨٦ - ١٨٧).

(٣) الطرماح: -بكسر الطاء والراء المهملتين وتشديد الميم وآخره حاءٌ مهملة- ابن حكيم الطائي، شاعر إسلامي فحل، نشأ بالشام، ثم انتقل إلى الكوفة، فلزم خالداً القسري، فأكرمه، واستجاد شعره، توفي سنة ١٢٥هـ، وله ديوان شعر مطبوع. انظر: الأغاني (٤٣/ ١٢)، وخزانة الأدب: (٨/ ٧٤ - ٧٥)، والبيان والتبيين: (١/ ٣٩).

ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها إفراداً وتركيباً بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصاً.

ثم أتبع آخر الآيات بكلام منثور أشرح به مضمون تلك الآيات على ما أختاره من تلك المعاني أجملها في أحسن تلخيص، وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير.

وصار ذلك أنموذجاً لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن، وستقف على هذا المنهج الذي سلكته إن شاء الله تعالى.

وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية[١] مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنبت كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ، وتركت أقوال الملحدين الباطنية[٢]، المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى، وعلى علي -كرم الله وجهه-، وعلى ذريته ويسمونه علم التأويل » [٣].

٣ - ذكر العلوم التي يجب أن تتوفر في المفسر:

وذكر منها: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم البيان والبديع، وعلم الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم الكلام، وعلم القرآن.

وبيّن ~ أنه لا ينبغي أن يقدم على تفسير كتاب الله إلا من أحاط بجمله غالبها، من كل وجه منها[٤].

٤ - ذكر الشروط التي يجب توفرها في المفسر:

وذكر منها: أن يكون المفسر بارعاً في علم النحو، والمعاني، والبيان، وعلم الإعراب،

---

(١) الصوفية: نسبة إلى لبس الصوف، وأول ما ظهرت الصوفية في البصرة؛ حيث كان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك، ما لم يكن في سائر أهل الأمصار، والتصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة، وهم ثلاثة أصناف: صوفية الحقائق، وصوفية الأرزاق، وصوفية الرسم. انظر: مجموع الفتاوى: (١١/ ٦ - ١٩).

(٢) الباطنية: لزمهم هذا اللقب؛ لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه. انظر: الملل والنحل، للشهرستاني: (٢/ ٢٩).

(٣) البحر المحيط: (١/ ١٠٣ - ١٠٤).

(٤) انظر: البحر المحيط: (١/ ١٠٥- ١٠٩).

آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعاً بين أمرين: تحقيق وحفظ، مسترسل الطبيعة منقادها، مشتعل القريحة وقادها، يقظان[(١)].

٥- ذكر ثلاثة من التفاسير التي اعتمدها كمرجعٍ له في تفسيره، وهي: الكشاف للزمخشري[(٢)]، والمحرر الوجيز لابن عطية[(٣)]، والتحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير لأبي عبدالله محمد بن سليمان المقدسي، المعروف بابن النقيب[(٤)]،[(٥)].

٦- ذكر بعض فضائل القرآن، والترغيب في تفسير القرآن[(٦)].

٧- ذكر موقفه من التفسير بالرأي؛ حيث قال ~ : « وما روى عنه ﷺ من قوله: (من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)[(٧)] محمول على من تسور على تفسيره برأيه دون النظر في أقوال العلماء وقوانين العلوم كالنحو واللغة والأصول، وليس من اجتهد

---

(١) تفسير البحر المحيط: (١/ ١١١).

(٢) الزمخشري: محمود بن عمر الزمخشري، أبو القاسم، جار الله، كان متفننا في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، إمام عصره في فنونه، وكان معتزلياً، توفي سنة ٥٣٨هـ. انظر: الكامل في التاريخ: (٩/ ٣٣٠)، ومرآة الجنان: (٣/ ٢٦٩).

(٣) ابن عطية: عبدالحق بن غالب بن عطية المحاربي، ولد سنة ٤٨١ هـ، فقيه عالم بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب، توفي سنة ٥٤٦هـ. انظر: نفح الطيب: (٢/ ٥٢٦ - ٥٢٨)، وبغية الوعاة: (٢/ ٦٣ - ٦٤).

(٤) تقدمت ترجمته في مبحث شيوخه، ص٤٠

(٥) انظر: البحر المحيط: (١/ ١١٣).

(٦) انظر: البحر المحيط: (١/ ١١٦ - ١١٩).

(٧) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله - ﷺ -، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، (٥/ ٢٠٠)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب: من قال في القرآن بغير علم، (٥/ ٣١)، والروياني في مسنده: (٢/ ١٤٥)، وأبو يعلى في مسنده: (٣/ ٩٠)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢/ ١٦٣)، والأوسط: (٥/ ٢٠٨)، والبيهقي في شعب الإيمان، الشعبة التاسعة عشرة: باب في تعظيم القرآن، فصل في ترك التفسير بالظن قال الله ﷻ (٢/ ٤٢٣)، كلهم عن جندب بن عبدالله البجلي.

والحديث ضعفه الشيخ العلامة الألباني. انظر: مشكاة المصابيح: (١/ ٧٩)، وضعيف الجامع الصغير وزياداته: (٥/ ٢٢٨).

ففسر على قوانين العلم والنظر بداخل في ذلك الحديث، ولا هو يفسر برأيه ولا يوصف بالخطأ »[(١)].

٨- ذكر المفسرين من الصّحابة، والتابعين[(٢)].

٩- ذكر منهج التفسير في العصور المتقدمة له والمتأخرة؛ حيث قال ~ : « وكانت تآليف المتقدمين أكثرها إنما هي شرح لغة ونقل سبب ونسخ وقصص؛ لأنهم كانوا قريبي عهد بالعرب، وبلسان العرب، فلما فسد اللسان، وكثرت العجم، ودخل في دين الإسلام أنواع الأمم المختلفوا الألسنة، والناقصوا الإدراك احتاج المتأخرون إلى إظهار ما انطوى عليه كتاب الله تعالى من غرائب التركيب، وانتزاع المعاني، وإبراز النكت البيانية حتى يدرك ذلك من لم تكن في طبعه، ويكتسبها من لم تكن نشأته عليها، ولا عنصره يحركه إليها »[(٣)].

١٠ - ختم مقدمته تلك بتعريف التفسير؛ حيث قال ~ : « التفسير: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك »[(٤)].

فتلك مجمل الأصول التي كان ينطلق منها الإمام أبو حيان ~ في تفسيره والتي حاول تطبيقها تفصيلاً، فكان لها الأثر البالغ في تميّزه وجودة منهجه وانضباطه، ومن ثَم قوة ترجيحاته.

ومما سبق يتبين أن منهج أبي حيان في تفسيره يمكن الحديث عنه من عدة جوانب ذكرها أبو حيان في مقدمته. وسأذكر جوانب أخرى في المباحث التالية مع ذكر أمثلة عليها من الجزء الخاص برسالتي.

(١) البحر المحيط: (١/ ١١٩).

(٢) انظر: البحر المحيط: (١/ ١١٩ - ١٢٠).

(٣) البحر المحيط: (١/ ١٢٠).

(٤) البحر المحيط: (١/ ١٢١).

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن

ذكر العلماء أن أحسن طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن، فهو من أهمّ أنواع التفسير بالمأثور؛ وذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً[1]، فما أُجْمِلَ في مكان فُسِرَ في مكان آخر، وما اخْتُصِرَ في مكان بُسِطَ في مكان آخر[2]..، وقد كان أبو حيّان ~ يرد كثيراً من الأقوال التي تقال بدون مستندِ نقلٍ، معللاً بقوله: « الذي يصحّ في ذلك هو ما ذكره الله في كتابه، وما صحّ عن نبيه ﷺ »[3]، كذلك يقول: « ولا ينبغي أن يعْتَمد إلاّ على ما صحّ في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ »[4].

وهذا المنهج واضح في تفسيره البحر المحيط؛ حيث يذكر عند تفسيره لكثير من الآيات نظيرها من الآيات التي تدور على المعنى المراد منها، أو تؤيّدها، أو تشير إلى موضوعها، وقد يضعف بالقرآن أقوالاً غير صحيحة وغير ذلك. **وهذه بعض نماذج على ذلك:**

١ - في بيان معنى الكلمة:

أ - قال أبو حيان ~ في تفسيره قوله -تعالى-: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥]: «ومعنى من أمر ربي أي: فعل ربي كونها بأمره، وفي ذلك دلالة على حدوثها والأمر بمعنى الفعل وارد قال -تعالى-: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[هود:٩٧] أي: فعله»[5].

ب - وقال أبو حيان في تفسير قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف:٧٩]: « ولا خلاف عند أهل اللغة أن « وراء » يجوز بمعنى « قدام » وجاء في التنزيل قال الله -تعالى-: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية:١٠]، وقال -تعالى-: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم:١٧]، وقال: ﴿وَمِن

(١) انظر: البحر المحيط: (٢/ ١٤٤).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (١٣/ ٣٦٣)، والبرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٩٢)، وأضواء البيان (١/ ٦٧).
(٣) البحر المحيط: (١/ ٤٠٩).
(٤) المرجع السابق: (١/ ٥٥٨).
(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ٧٤)، وانظر المسألة رقم (٤٢) من سورة الأسراء.

﴿ وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾ [المؤمنون:١٠٠] » (١).

٢ – في بيان المراد من الآية:

أ – قال أبو حيان ~ في تفسير قوله –تعالى–: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[النحل:٩٩]: « والسلطان هنا: التسليط والولاية، والمعنى: أنهم لا يتقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من إتباع خطواته كما قال –تعالى–: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾[الإسراء:٦٥]، وكما أخبر تعالى عنه، فقال في قصة أوليائه: ﴿ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ ﴾ [إبراهيم:٢٢] » (٢).

ب – وقال في تفسير قوله –تعالى–: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ ﴾ [الإسراء:٢٠]: « والظاهر أن هذا الإمداد هو في الرزق في الدنيا.... ويمد الجميع بالرزق وإنما يقع التفاوت في الآخرة ويدل على هذا التأويل ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء:٢٠] » (٣).

٣ – بيان المعنى بالنظير:

أ – قال أبو حيان ~ في تفسير قوله –تعالى–: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف:٥٣]: « وقيل: معنى (فظنوا): أيقنوا قاله أكثر الناس، ومعنى ﴿ مُّوَاقِعُوهَا ﴾ مخالطوها واقعون فيها كقوله: ﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ [التوبة:١١٨]، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة:٤٦] » (٤).

ب – وقال في تفسير قوله –تعالى–: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء:٥٢]: « والظاهر أن الدعاء حقيقة أي يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الأخيرة كما قال: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [ق:٤١] » (٥).

---

(١) انظر البحر المحيط (٦/ ١٤٥)، وانظر المسألة رقم (٧٤) من سورة الكهف.

(٢) انظر البحر المحيط (٥/ ٥١٧)، وانظر المسألة رقم (١١) من سورة النحل.

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ١٩)، وانظر المسألة رقم (٧) من سورة الإسراء.

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٣٠)، وانظر المسألة رقم (٥١) من سورة الكهف.

(٥) البحر المحيط (٦/ ٤٥)، وانظر المسألة رقم (٤٨) من سورة الإسراء.

ج – وقال عند تفسير قوله –تعالى–: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء:٥٣]: « والذي يظهر أن لفظة (عبادي) مضافة إليه تعالى كثر استعمالها في المؤمنين في القرآن، كقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ [الزمر:١٧–١٨]، وقوله: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ [الفجر:٢٩]، وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان:٦] » (١).

د – وقال ~ عند تفسير قوله –تعالى–: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٣]: « والظاهر أن المراد بالإنسان هنا ليس واحداً بعينه بل المراد به الجنس كقوله –تعالى–: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ ﴾ [العاديات:٦] وقوله –تعالى–: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾ [المعارج:١٩] وهو راجع لمعنى الكافر » (٢).

٤ – الاستدلال للمعنى بالآيات:

أ – قال ~ في تفسير قوله –تعالى–: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم:٥٠]: « ولسان الصدق: الثنآء الحسن الباقي عليهم آخر الأبد....

ولسان العرب: لغتهم وكلامهم، استجاب الله دعوته﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء:٨٤] فصيره قدوة حتى عظّمه أهل الأديان كلهم وادَّعوه، وقال –تعالى–: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨] و﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٣] و﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٣] وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم، كما أعلى ذكره وأثنى عليه » (٣).

ب – وقال أبو حيان ~ في تفسير قوله –تعالى–: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم:٨٥]: « والظاهر أن هذه الوفادة بعد انقضاء الحساب وأنها النهوض إلى الجنة، كما قال: ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٥] » (٤).

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٤٧)، وانظر المسألة رقم (٢٥) من سورةالإسراء .

(٢) انظر البحر المحيط (٦/ ٧٣)، وانظر المسألة رقم (٣٨) من سورةالإسراء .

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٨٥)، انظر المسألة رقم (٣٠) من سورة مريم .

(٤) البحر المحيط (٦/ ٢٠٣)، انظر المسألة رقم (٥٥) من سورة مريم .

٥ - تضعيفه بالآية أقوالاً غير صحيحة:

أ- قال ~ عند تفسير قوله -تعالى-: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النحل:٨٩]: « وقال الأصم: أبو بكر[١]: المراد بالشهيد: هو أنه تعالى ينطق عشرة من أجزاء الإنسان حتى تشهد عليه لأنه قال في صفة الشهيد (من أنفسهم)، وهذا بعيد لمقابلته بقوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٤١] فيقتضي المقابلة أن الشهداء على الأمم أنبياؤهم كرسول الله ﷺ »[٢].

إلى غير ذلك من المواطن التي فسر فيها القرآن بالقرآن ~ ، وسيأتي مزيد بيان لذلك في مبحث الترجيح بالنظائر القرآنية، والترجيح بالسياق -إن شاء الله تعالى-.

(١) أبو بكر الأصم: شيخ المعتزلة وكان ديناً وقوراً، جسوراً على الفقر، منقطعاً عن الدولة إلا أنه كان فيه ميل عن الإمام علي رضي الله عنه، مات سنة إحدى ومائتين. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٤٠٢).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٥١١)، وانظر المسألة رقم (٤) من سورة النحل .

المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالسّنة

تأتي السّنة النبوية الثابتة في المرتبة الثانية من طرق التفسير بالمأثور، فإذا لم نجد التفسير في القرآن فنعمد لأقوال النبي ﷺ؛ لأنها شارحة للقرآن، وموضحة له، ورسول الله ﷺ هو أعلم الناس بتفسير وبيان كلام الله ﷻ، قال الله -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤]، ويقول -تعالى-: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل:٦٤]، وقال النبي ﷺ: « ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه » [1] يعني: السنة[2]؛ فإذا صح قول للرّسول ﷺ في بيان معنى آية لم يلتفت إلى قول غيره[3].

قال الشاطبي[4] ~ : « السنة بمنزلة التفسير والشرح لمعاني أحكام الكتاب، ودل على ذلك قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤] » [5].

وقال: « السنة راجعة في معناها إلى الكتاب فهي تفصيل مجمله وبيان مشكله وبسط مختصره؛ وذلك لأنها بيان له وهو الذي دل عليه قوله -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، فلا تجد في السنة أمراً إلا والقرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية » [6].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (٤/ ١٣٠)، والطبراني في مسند الشاميين: (٢/ ١٣٧)، والبغوي في المصابيح، انظر: مشكاة المصابيح: (١/ ٥٧). وصححه الشوكاني. انظر: تحفة الأحوذي، باب: ما جاء في لبس الفراء، (٥/ ٣٢٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (١٣/ ٣٦٣).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، للنحاس: (١/ ٢٤٤).

(٤) الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، المتبحر المحدث الأصولي النظار الجهبذ، صاحب الموافقات والاعتصام وغير ذلك، المتوفى في سنة ٧٩٠هـ. انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات: (١/ ١٩١).

(٥) الموافقات: (٤/ ٩).

(٦) الموافقات: (٤/ ٢١٢).

وقد اهتم أبو حيّان ~ بهذا الطريق من طرق التفسير بالمأثور، وذكره في تفسيره في مواطن كثيرة، تعدد فيها إيراده للسنة النبوية، فتارة في بيان معنى الآية، أو لتأييد قول في تفسير الآية، أو رد لأقوال في تفسير الآية أو يستشهد بها لبيان نزول الآية، وأخرى لإيضاح حكم شرعي وغير ذلك وأحياناً يشير إلى ذلك الأمر في السنة دون ذكر الحديث[1]، **وفيما يلي نماذج من ذلك:**

١ - في بيان معنى كلمة:

أ - قال أبو حيان ~ عند تفسير قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]: « ومعنى لا تقف: لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل، نهى أن (يقول مالا يعلم، وأن يعمل بما لا يعلم) [2] .... وفي الحديث: " من قفا مؤمناً بما ليس فيه، حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج "[3] » [4].

ب - وقال في معنى قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨]: « ومعنى مشهوداً: تشهده الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار كما جآء في الحديث " أنهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر "[5]....، والذي ينبغي بل لا يعدل عنه

---

(١) انظر البحر المحيط (٥/ ٥٣١)، (٦/ ٢٧)، (٦/ ١٣٧).

(٢) وفي طبعة البحر (أن نقول مالا نعلم، وأن نعمل بما لا نعلم) .

(٣) تخريج الحديث: أخرجه أبو داود، كتاب الأقضية، باب فيمن يعين على خصومه من غير أن يعلم أمرها (٣/ ٣٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧)، وكلاهما من طريق عمارة بن غزية عن يحيي بن راشد عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله - ﷺ -: " من حالت شفاعته... وفيه " ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، حبس في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج مما قال " وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) البحر المحيط (٦/ ٣٢)، وانظر المسألة رقم (١٦) من سورة الإسراء .

(٥) تخريج الحديث: أخرجه الطبري واللفظ، انظر جامع البيان (١٥/ ١٣٩)، وأحمد في مسنده (١٣/ ٢٣٨)، وابن ماجه في سننه (١/ ٢٢٠)، والنسائي في سننه (١/ ٢٤١)، والترمذي في سننه (١/ ٤٥٠)، وقال: حديث حسن صحيح، وبلفظ قريب رواه البخاري كتاب الأذان، باب فضل الجماعة (٢/ ١٣١)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة (١/ ٤٥٩)، ولفظ البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً " تفضل صلاة الجمع على صلاة الرجل وحده خمساً وعشرين درجة، قال: وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر " قال أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ =

ما فسره به الرسول ﷺ من قوله فيه: " يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار "(١).

٢ - في الجزم بقول تفسيري في الآية لصحة الحديث الوارد في معناها :

أ - قال أبو حيان ~ في تفسير قوله -تعالى-: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧]: « والظاهر أن قوله (وجوههم) حقيقة كما قال -تعالى-: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر:٤٨] وقوله -تعالى-: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان:٣٤] وفي هذا حديث " قيل: يا رسول الله كيف يمشي الكافر على وجهه؟، قال: أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجلين قادراً على أن يمشيه في الآخرة "(٢). قال قتادة: بلى وعزة ربنا » (٣).

ب - في قوله -تعالى-: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣)﴾ [الكهف:٧٣] قال أبو حيان ~ : « والظاهر حمل النسيان على وضعه وقد قال عليه الصلاة والسلام " كانت الأولى من موسى نسياناً "(٤) وهذا قول الجمهور.... ولا يعتمد إلا قول الرسول " كانت الأولى من موسى نسياناً " » (٥).

٣ - في إيضاح حكم شرعي:

قال أبو حيان ~ في تفسير قوله -تعالى-: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ﴾ [الكهف:٤٧]: « وجّوز قائل هذا تحية الكافر، وأن يُبدأ بالسلام المشروع،... وما أُستدل بهم متأول، ومذهبهم محجوج بما ثبت في صحيح مسلم " لا تبدؤوا اليهود والنصارى

= ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾ وقد روى ابن جرير الجزء الأخير من الحديث.

(١) البحر المحيط (٦/ ٦٩)، وانظر المسألة رقم (٣٣) من سورة الإسراء .

(٢) تخريج الحديث: أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة الفرقان (٦/ ١٣٧)، ومسلم في صفة القيامة (٨/ ١٣٥).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٨٠)، وانظر المسألة (٤٧) من سورة الإسراء .

(٤) تخريج الحديث: أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سأل أي الناس أعلم؟ (١/ ٥٦)، وفي كتاب التفسير، باب سورة الكهف (٤/ ١٧٥٢).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٤١)، وانظر المسألة (٦٨) من سورة الكهف .

بالسلام "[١]» [٢].

٤ - في ترجيح سبب النزول:

قال ~ في تفسير قوله -تعالى-: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل:١٢٦]: « أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره في يوم أحد، ووقع ذلك في صحيح البخاري[٣] وفي كتاب السير، وذهب النحاس إلى أنها مكية[٤]،... ولكن ما روى الجمهور أثبت » [٥].

٥ - في تضعيف أقوال غير ثابتة في السنة :

أ - قال أبو حيان ~ : « وأما أسماء فتية أهل الكهف فأعجمية لا تنضبط بالشكل ولا النقط والسند في معرفتها ضعيف، والرواة مختلفون في قصصهم، وكيف كان اجتماعهم، وخروجهم ولم يأت في الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا في القرآن إلا ما قص تعالى علينا من قصصهم » [٦].



(١) تخريج الحديث: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (٤/ ١٧٠٧).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٨٤)، وانظر المسألة رقم (٢٦) من سورة مريم .

(٣) هذا الحديث ليس في البخاري كما ذكر أبو حيان - رحمه الله -، بل هذه القصة لم تثبت بإسناد صحيح، فأسانيدها فيها مقال. انظر دراسة المسألة رقم (١٦) سورة النحل، ص٢٢٠ ، هامش (٣) .

(٤) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ١١٣).

(٥) البحر المحيط (٦/ ٥٣١)، وانظر المسألة رقم (١٦) من سورة النحل .

(٦) البحر المحيط (٦/ ٩٨)، وانظر المسألة رقم (٦) من سورة الكهف .

المطلب الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة

أكثر أبو حيان ~ من نقل أقوال السلف والخلف في تفسيره؛ مما زاد من مكانة هذا التفسير وقوته؛ حيث أنه أسند في كل فن إلى أقوال أهل الفن فيه، وقد أكثر من ذكر أقوال الصحابة ﭫ في تفسير الآيات؛ حيث تعتبر أقوالهم ﭫ في التفسير من أهم طرقه؛ وذلك لما لتفسير الصحابة من قوة؛ فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح والعمل الصالح، وهم أهل اللغة، فهم أعلم بتفسير كلام الله -تعالى-(١).

وتفسير الصحابي ينظر فيه، فإن فسروه من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه، وحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك،... فإن تعذر الجمع جاز للمقلد أن يأخذ بأيها شاء(٢).

وقد عزز أبو حيان ~ تفسيره بنقل أقوال الصحابة ﭫ، إلا أن أبا حيان ~ ذكر أقوالهم بلا إسناد؛ وذلك ربما طلباً للاختصار.

وممن نقل عنهم أبو حيان من الصحابة:

١ - عمر بن الخطاب(٣).

٢ - عبدالله بن مسعود(٤).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (١٣/ ٣٦٤)، والبرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٨٨ - ١٨٩).

(٢) انظر:البرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٨٩).

(٣) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزي بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي ابن كعب بن لؤي أمير المؤمنين أبو حفص القرشي العدوي، الفاروق، أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة، وكان إسلامه فتحاً على المسلمين، وفرجاً لهم من الضيق، استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وولي الخلافة عشر سنين ونصفا، انظر: تاريخ الخلفاء: (١/ ١٠٨- ١٤٦)، والإصابة: (٤/ ٥٨٨ - ٥٩٠)، وتقريب التهذيب: (١/ ٤١٢). انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٦/ ٨٧).

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم = ⇦

٣ - علي بن أبي طالب[(١)].

٤ - أبو هريرة[(٢)].

٥ - ابن عباس[(٣)].

٦ - عبدالله بن عمر[(٤)].

= بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، الإمام الحبر، فقيه الأمة أبو عبدالرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري حليف بني زهرة،كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدراً، وهاجر الهجرتين، ومناقبه غزيرة، توفي سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: ثلاث وثلاثين. انظر: التاريخ الكبير: (٥/ ٢)، وسير أعلام النبلاء: (١/ ٤٦١ - ٤٩٩) والإصابة: (٤/ ٢٣٣ - ٢٣٥).

انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٦/ ٧٤).

(١) علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن، أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فربى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة: « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى »، قتل في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر، انظر: الإصابة: (٤/ ٥٦٤-٥٦٩)، وتاريخ الخلفاء: (١/ ١٦٦ - ١٨٧).

انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥١٧)، (٦/ ١٣١).

(٢) أبو هريرة: عبدالرحمن بن صخر الدوسي، كان حافظاً ذكياً مفتياً صاحب صيام، ولي إمرة المدينة مرات، توفي سنة ٥٧هـ وقيل: سنة ٥٩هـ. انظر الإصابة (٧/ ٤٢٥-٤٤٤)، والكاشف (٢/ ٤٦٩). انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥١٧)، (٦/ ١٠٥، ١٢٧).

(٣) ابن عباس: عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب أبو العباس الهاشمي حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، مات سنة ٧٠هـ، وهو بالطائف، وقيل: ٦٨هـ. انظر التاريخ الكبير (٥/ ٣-٥)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣١-٣٥٩). انظر على سبيل المثال البحر المحيط: (٥/ ٥١٧، ٥٢٤، ٥٢٨)، (٦/ ١٩، ٢٧، ٤٥، ٥٣، ١٠٥، ١٢٧، ١٤٦).

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبدالرحمن القرشي ثم العدوي، من المكثرين عن النبي - ﷺ -، ومن أشد الناس إتباعا للأثر مات سنة ٧٢ هـ، وقيل: ٧٣هـ. انظر: التاريخ الكبير: (٥/ ٢)، الإصابة: (٤/ ١٨١ - ١٨٧). انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٤٥، ١٣٠).

٧ – أنس بن مالك[١].

٨ – البراء بن عازب[٢]، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن النجار، وأمه أم سليم بنت ملحان، خدم النبي ﷺ تسع سنين، وقيل: عشر سنين، توفي سنة ٩٢ هـ، وقيل: ٩٣هـ. انظر: طبقات ابن سعد: (٧/ ١٧-٢٥)، والإصابة: (١/ ١٢٦ – ١٢٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٦/ ٦، ١٣٠).

(٢) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن الخزرج، وأمه حبيبة بنت أبي حبيبة بن الحباب، شهد مع النبي ﷺ خمس عشرة غزوة، توفي سنة ٧٢هـ. انظر: طبقات ابن سعد: (٤/ ٣٦٤ – ٣٦٨)، والإصابة: (١/ ٢٧٨). انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٤١٢).

المطلب الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين

نقل كثير من المفسرين أقوال التابعين في تفاسيرهم إذا لم يجدوا التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا عن الصحابة، وتعد أقوالهم في التفسير من طرق التفسير بالمأثور.

وأقوال التابعين حجة إذا أجمعوا على الشيء، أما إذا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة الثابتة، أو أقوال الصحابة، أو عموم لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق في ذلك[(١)].

وقد يقع في عباراتهم - أي التابعين - تباين في الألفاظ، يحسبها الناظر إليها اختلافاً وليست كذلك؛ فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن[(٢)].

وقد أكثر أبو حيان ~ من النقل عن التابعين ومنهم:

١ - الحسن البصري[(٣)].

٢ - قتادة بن دعامة السدوسي[(٤)].

٣ - مجاهد بن جبر[(٥)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (١٣/ ٣٦٨ - ٣٧٠)، والبرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٨٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (١٣/ ٣٦٨ - ٣٧٠).

(٣) الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت، الإمام الحجة، توفي سنة ١١٠هـ. انظر: لسان الميزان (٧/ ١٩٧)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣ - ٥٨٨)، وطبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٣). انظر: على سبيل المثال: (٥/ ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٧)، (٦/ ١١، ١٩، ٢٧، ٤٥، ٧٣، ١٢٣، ١٢٧).

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب، الحافظ المفسر، توفي سنة ١١٧هـ وقيل: ١١٨هـ. انظر: صفة الصفوة: (٣/ ٢٥٩)، والكاشف: (٢/ ١٣٤)، وطبقات المفسرين للداوودي: (١/ ١٤). انظر: على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥١٤، ٥١٧، ٥٢٤)، (٦/ ٣٩، ٨٩، ١٠٢، ١٢٧).

(٥) مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، إمام في القراءة والتفسير، حجة، توفي سنة ١٠٤هـ. انظر: الكاشف: (٢/ ٢٤٠)، وتقريب التهذيب: (١/ ٥٢٠)، وطبقات الداوودي: (١/ ١١).

⇦ =

٤ – سعيد بن جبير[1].

٥ – عبدالرحمن بن زيد بن أسلم[2].

٦ – الضحاك[3].

٧- عكرمة[4].

وغيرهم من التابعين –رحمهم الله تعالى-.

= وانظر: على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥٠٨، ٥١٤، ٥١٧، ٥٢٤)، (٦/ ٤١، ٤٥، ٥٥، ٧٣، ١٢٣).

(١) سعيد بن جبير الأسدي الوالبي مولاهم، أبو محمد وأبو عبد الله، أحد الأعلام، ثقة، ثبت، فقيه، مات شهيداً سنة ٩٥هـ. انظر: الكاشف: (١/ ٤٣٣)، وتقريب التهذيب: (١/ ٢٣٤)، وطبقات المفسرين، للداوودي: (١/ ١٠).

انظر: على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥١٧، ٥٢٤)، (٦/ ٢٧، ٣٠، ٤٥، ١٠٢، ١٠٨، ١٢٧، ١٢٩).

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني العدوي مولاهم، توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: الكاشف: (١/ ٦٢٨)، وتقريب التهذيب: (١/ ٣٤٠)، وطبقات الداوودي: (١/ ١١). انظر: على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥١٧)، (٦/ ٧٣).

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب التفسير كان من أوعية العلم، توفي سنة ١٠٢ هـ، وقيل: ١٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (٤/ ٥٩٨ – ٦٠٠)، وغاية النهاية: (١/ ٣٣٧)، وطبقات المفسرين للداودي: (١/ ١٠). انظر: على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥١٧)، (٦/ ٤٥، ٧٣).

(٤) عكرمة بن عبدالله البربري المدني، مولى ابن عباس، أبو عبدالله، كان عالماً بالقرآن ومعانيه، توفي سنة ١٠٥ هـ، وقيل: ١٠٦ هـ، وقيل: سنة ١٠٧هـ. انظر: طبقات المفسرين للداوودي: (١/ ١٢)، وغاية النهاية: (١/ ٥١٥)، ووفيات الأعيان: (٣/ ٢٦٥). انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥١٧)، (٦/ ٢٧، ٥٥).

موقف أبي حيان ~ من الإسرائيليات[١]:

صرح أبو حيان ~ بموقفه من كل ما ليس له علاقة بالتفسير، أو بمدلول الآية ومنها التواريخ الإسرائيلية في مقدمة تفسيره[٢]، وأنه لا يصحّ أن تورد في التفسير، إدراكاً منه لخطورة ذلك، وأن فيه تحميلاً للنص القرآني بغير وجه مشروع، لذا تجده دائماً يعقب على كثير من المواطن التي يتأتّى فيها أخبار بني إسرائيل بقوله: « وأما أسماء فتية أهل الكهف فأعجمية لا تنضبط بشكل ولا نقط والسند في معرفتها ضعيف، والرواة مختلفون في قصصهم، وكيف كان اجتماعهم وخروجهم، ولم يأت في الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا في القرآن إلا ما قص تعالى علينا من قصصهم »[٣].

وقال ~ : « ونقل المفسرون الخلاف في أوقات تقليبهم، وفي عدد التقليبات عن ابن عباس وأبي هريرة وقتادة ومجاهد وابن عياض بأقوال متعارضة متناقضة ضربنا عن نقلها صفحاً، وكذلك لم نتعرض لاسم كلبهم ولا لكونه كلب زرع أو غيره، لأن مثل هذا العدد والوصف والتسمية لا يدرك بالعقل، وإنما يدرك بالسمع، والسمع لا يكون في مثل هذا إلا عن الأنبياء أو الكتب الإلهية ويستحيل ورود هذا الاختلاف عنها »[٤].

وقال ~ في قصة يأجوج ومأجوج: « وقد اختلف في عددهم وصفاتهم، ولم يصح

---

(١) الإسرائيليات: تشمل ما تأثر به تفسير القرآن من الثقافتين اليهودية والنصرانية، وكل دخيل على التفسير مما فيه مبالغة، ودسّ وكذب وتحريف، ولو كان مروياً عن غير أهل الكتاب، أو متعلقاً بقصص غير واردة في أسفار أهل الكتاب، كقصة هود وقومه عاد، وصالح وقومه ثمود، وغيرهم، وإنما سميت هذه الأخبار على اختلاف مصادرها بالاسرائيليات تغليباً للجانب اليهودي الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه، لكثرة أهله ولظهورهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً. انظر التفسير والمفسرون (١/ ١١٣-١١٤)، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لأبي شبهة ص(٧١).

(٢) انظر البحر المحيط (١/ ١٠٤).

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ٩٨).

(٤) انظر البحر المحيط (٦/ ١٠٥).

في ذلك شيء » [(١)].

وقال في مدة حمل مريم بعيسى – عليها السلام: « وهذه أقوال مضطربة متناقضة كان ينبغي أن يضرب عنها صفحاً إلا أن المفسرين ذكروها في كتبهم وسوّدوا بها الورق » [(٢)].

ورغم هذا التحفظ الذي أبداه أبو حيان ~ إلا أننا نجده قد خالف هذا المنهج الذي سلكه – وهذه بعض الأمثلة التي خالف فيها منهجه من خلال دراسة الجزئية الخاصة برسالتي –:

أ – قال أبو حيان ~ في تحديد مكان أهل الكهف: «ويترجح كون أهل الكهف بالأندلس لكثرة دين النصارى بها، حتى إنها هي بلاد مملكتهم العظمى، ولأن الأخبار بما هو في أقصى مكان من أرض الحجاز أغرب وأبعد أن يعرفه أحد إلا بوحي من الله تعالى»[(٣)].

ب – وقال ~ في تعيّن ذي القرنين: « وذو القرنين هو الاسكندر اليوناني... وثبت في علم التاريخ الذي هذا شأنه ما كان إلا الاسكندر فوجب القطع بأن المراد بذي القرنين هو الاسكندر بن فيلفوس اليوناني » [(٤)].

فنجد أن أبا حيان ~ لم يجرد تفسيره من المرويات الإسرائيلية فقد تطرق إليها وإن كان مقلاً في ذكرها، أو ذَكَرها ولم يصرح بنقدها علانية، أو رَدَها، إلا أنه لم نجده يجزم بها في تفسير آية، ولعل السبب في نقله لها يرجع إلى طبيعة النظرة إلى هذه الإسرائيليات من جواز رواية ما له صلة بالتاريخ، فينقل للاستفادة منها في فهم التاريخ، فإذا مس ذلك المنقول عصمة الأنبياء، فإنه يرده ويرفضه.

---

(١) انظر البحر المحيط (٦/ ١٥٤).

(٢) انظر البحر المحيط (٦/ ١٧١).

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ٩٨).

(٤) انظر البحر المحيط (٦/ ١٥٠).

المطلب الخامس: عنايته بالقراءات

يعتبر تفسير البحر المحيط مرجعاً من مراجع توثيق القراءات؛ وذلك لتمكن أبي حيان ~ في القراءات، وإيراده لها، مع بيانه للمتواتر منها والشاذ، وتوجيهه لتلك القراءات، مما جعل الباحثين يهتمون بهذا التفسير في علم القراءات، وأُلِفَ في ذلك عدة رسائل جامعية.

ومما ذكره أبو حيان في ذلك ما يلي:

١ - ذكر القراءات متواترها وشاذها .

يذكر أبو حيان ~ القراءات الشاذة ويبين أنها من باب التفسير للآيات، وهذا هو المقصد لكثير من العلماء من ذكرهم للقراءات الشاذة؛ فهي تعتبر تفسيراً للقراءة المشهورة، وتبيين معانيها، ويستنبط منها معرفة صحة التفسير(١).

أ - قال أبو حيان ~ في تفسير قوله -تعالى-: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء:٩٣]: « وقرأ الجمهور ﴿مِّن زُخْرُفٍ﴾ وعبد الله (من ذهب) (٢)، ولا تحمل على أنها قراءة لمخالفة السواد، وإنما هي تفسير، وقال مجاهد(٣): كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيت في قراءة عبدالله (من ذهب) (٤).

ب - وقال ~ في تفسير قوله -تعالى-: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف:١-٢]: « وحفص(٥) يسكت على قوله (عوجاً) سكتة خفيفة ثم يقول

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٤١٢ - ٤١٣).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (٨/ ١٤٨)، الدر المنثور (٥/ ٣٤٠).

(٣) انظر جامع البيان (٨/ ١٤٨)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٩).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٧٨).

(٥) حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر بن أبي داوود الأسدي الكوفي، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً على عاصم بن أبي النجود (مات سنة ١٨٠هـ على الصحيح). انظر غاية النهاية (١/ ٢٥٤-٢٥٥).

(قيماً)، وفي بعض مصاحف الصحابة (ولم يجعل له عوجاً لكن جعله قيماً)[1] ويحمل ذلك تفسير المعنى لا أنها قراءة »[2].

٢ – ذكر توجيه تلك القراءات.

معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل قارىء فن جليل، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى الأئمة به عناية فائقة.

وفائدته: أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه، أو مرجحاً، إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يسقط القراءة الأخرى، وهذا غير مرضي؛ لأن كلتيهما متواترة[3]، وقال أبو حيان ~ : «ولا وجه لترجيح إحدى القراءتين على الأخرى؛ لأن كلاً منهما متواتر فهما في الصحة على حد سواء»[4]، وقال ~ : « وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون والنحويون بين القراءتين لا ينبغي؛ لأن هذه القراءات كلها صحيحة مروية ثابتة عن الرسول ﷺ، ولك منها وجه ظاهر حسن في العربية فلا يمكن فيها ترجيح قراءة من قراءة »[5]، وقال: « وقد تقدم لنا غير مرة أنا لا نرجح بين القراءتين المتواترتين »[6].

ومما ذكره أبو حيان ~ في ذلك ما يلي:

أ – قال أبو حيان ~ عند تفسير قوله –تعالى–: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤﴾ [مريم:١٤]: «.... ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ أي: كثير البر والإكرام والتبجيل، وقرأ

---

(١) انظر مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص(٨١).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٩٤).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٤١٩).

(٤) انظر البحر المحيط (١/ ١٩٩).

(٥) انظر البحر المحيط (٢/ ٢٦٥).

(٦) انظر البحر المحيط (٤/ ٨٧)، و اضاف الدكتور محمد بن فوزان العمر : ((و المقصود من الترجيح بين القرائتين هو الترجيح لغة ، ولا يصح الترجيح بين القرائتين سنداً ، لأن كلا القرائتين المتواترتين ثابتةً عن النبي ﷺ)) .

الحسن وأبو جعفر[١] في رواية وأبونهيك[٢] وأبو مجلز[٣] (وبِراً بوالديه)[٤] في الموضعين بكسر البآء أي: وذا بر »[٥].

ب - قال أبو حيان ~ عند قوله -تعالى-: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾ [مريم:٥١]: « قرأ الكوفيون (مُخْلَصاً) [٦] بفتح اللام، وهي قراءة أبي رزين[٧] ويحيي[٨] وقتادة أي: أخلصه الله للعبادة والنبوة، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦﴾ [ص:٤٦] وقرأ باقي السبعة[٩] والجمهور بكسر اللام أي: أخلص العبادة عن الشرك والرياء، أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله »[١٠].

إلى غير ذلك من المظاهر المتعددة في العناية بالقراءات إلا أنه نص على ما ذكرت في

---

(١) يزيد بن القعقاع بن شبرمة المدني المخزومي مولاهم، أبو جعفر، القاريء المشهور، تابعي جليل، أحد القراء العشرة، توفي سنة ١٣٠هـ. انظر معرفة القراء الكبار ص(١٤٠)، وغاية النهاية (٢/ ٣٨٦)، وتقريب التهذيب (٢/ ٧٠٦).

(٢) القاسم بن محمد، أبو نهيك الأسدي، أو الضبي، أصله من الكوفة، سكن مرو، من الذين عاصروا وصغار التابعين ذكره ابن حبان في الثقات. انظر تهذيب الكمال (٣٤/ ٣٥٦)، والتاريخ الكبير (٧/ ١٥٨)، والثقات لابن حبان (٥/ ٣٠٦).

(٣) أبو مجلز: لاحق بن حميد بن سعيد، ويقال: شعبة السدوسي، أبو مجلز البصري الأعور، قدم خراسان وله دار بمرو، مشهور بكنيته، من أوساط التابعين، توفي سنة ١٠٩هـ. انظر تهذيب الكمال (٣١/ ١٧٦)، والكاشف (٢/ ٣٥٩)، وتاريخ الكبير (٨/ ٢٥٨).

(٤) انظر المحتسب (٢/ ٤٢).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٦٨).

(٦) النشر، (٢/ ٢٩٥)، (٢/ ٣١٨)، حجة القراءات ص(٤٤٤)، السبعة في القراءات (٣٤٨).

(٧) أبو رزين: مسعود بن مالك، الأسدي، الكوفي، من كبار التابعين، ثقة فاضل مات سنة ٨٥هـ. انظر التقريب (١/ ٥٢٨)، الأسامي والكنى لابن حنبل (١/ ١٢٦).

(٨) يحيى بن وثاب الأسدي مولاهم، ثقة عابد، خاشع مقرئ، مات سنة ١٠٣هـ. التهذيب (١١/ ٢٥٨)، الكاشف (٢/ ٣٧٨).

(٩) انظر الحجة في القراءات السبع ص(١٩٤)، السبعة ص(٤١٠).

(١٠) انظر البحر المحيط (٦/ ١٨٧).

مقدمته.

المطلب السادس: عنايته بأسباب النزول

اعتنى بذكر أسباب النزول كثير من المفسرين في تفاسيرهم، لما لمسوه من شدة الحاجة إليه في تفسير القرآن الكريم، وقد أفرده جماعة منهم بالتأليف.

ويراد بسبب النزول: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه والمعنى: أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ، أو سؤال وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله -تعالى- ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال[1].

وفي ذكر أسباب النزول فوائد جمة منها:

١ - بيان وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

٢ - تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

٣ - الوقوف على المعنى، وإزالة الإشكال، فبيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز.

قال الشاطبي: « ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال، وينشأ عن هذا الوجه الوجه الثاني؛ وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال، حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع »[2].

٤ - أن اللفظ قد يكون عاماً، ويقوم الدليل على تخصيصه.

٥ - دفع توهم الحصر.

٦ - تيسير الحفظ وتسهيله، وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها[3].

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ٩٩)، ومباحث في علوم القرآن: (٧٧).

(٢) الموافقات: (٣/ ٣٤٧).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٤٥ - ٥٠)، والإتقان في علوم القرآن: (١/ ٨٢)، ومناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ١٠٢ - ١٠٧)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم: (١٣٢)، ومباحث في علوم القرآن: (٧٩ - ٨٢).

ولا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها[١].

وقد اعتنى أبو حيان ~ بذكر أسباب النزول كما ذكر ذلك في مقدمته، فيورد الأسباب في الآية دون الترجيح بينها أحياناً، وأحياناً يورد سبباً واحداً للآية، وقد يبين المعنى الصحيح للآية بسبب النزول، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

- في قوله -تعالى-: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠] قال أبو حيان ~ : « قال ابن عباس: تهجد رسول الله ﷺ ذات ليلة بمكة، فجعل يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم، فقال المشركون كان (محمدٌ)[٢] يدعوا إلها واحداً فهو الآن يدعو إلهين اثنين الله والرحمن، ما الرحمن إلا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة فنزلت، قاله في التحرير، ونقل ابن عطية نحواً منه عن مكحول[٣]، وقال عن ابن عباس: سمعه المشركون يدعوا يا الله يا رحمن، فقالوا: كان يدعو إلها واحداً وهو يدعو إلهين فنزلت، وقال: ميمون بن مهران[٤]: كان عليه السلام يكتب باسمك اللهم، حتى نزلت ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [النمل:٣٠] فكتبها، فقال مشركوا العرب هذا الرحيم نعرفه فما الرحمن؟ فنزلت »[٥].

- في قوله -تعالى-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف:١] قال أبو حيان ~ : « وسبب نزولها أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث[٦]،

---

(١) انظر:، مناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ١٠٧)، ومباحث في علوم القرآن: (٧٦ - ٧٧).

(٢) سقط من طبعة البحر .

(٣) مكحول الشامي، أبو عبدالله الدمشقي، ثقة فقيه، إمام أهل الشام في زمانه، إلا أنه كثير الإرسال والتدليس، لم يسمع من يسمع من الصحابة إلا من ثلاثة: واثلة، وأنس، وأبي هند الداري، توفي سنة ١١٣هـ. انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٦٤-٤٧٤)، والكاشف (٢/ ٢٩١)، والتقريب (١/ ٥٤٥).

(٤) ميمون بن مهران: هو الجزري، أبو أيوب الرقي، تابعي ثقة، وكان فقيهاً فاضلاً ديناً، توفي سنة ١١٨هـ. انظر معرفة الثقات (٢/ ٣٠٧)، ومشاهير الأمصار (١/ ١١٧)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٤٩).

(٥) البحر المحيط (٦/ ٨٦).

(٦) النضر بن الحارث بن علقمة من كندة من عبدالدار القرشي، العبدري، قتل كافراً بإجماع أهل السير، =

وعقبة بن أبي معيط[1] إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفاً لهم، وصفا لهم صفته، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة فسألاهم، فقال الأحبار: سلوه فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول فأروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نباؤه، وسلوه عن الروح فأقبل النضر وعقبة إلى مكة فسألوه، فقال: غداً أخبركم ولم يقل إن شاء الله فاستمسك الوحي خمسة عشر يوماً فأرجف كفار قريش، وقالوا: إن محمداً قد تركه رَئِيُّه[2] الذي كان يأتيه من الجن، وقال بعضهم قد عجز عن أكاذيبه فشق ذلك عليه، فلما انقضى الأمد جاءه الوحي بجواب الأسئلة وغيرها، وروي في هذا السبب أن اليهود قالت: إن أجابكم عن الثلاثة فليس بنبيّ، وإن أجاب عن اثنتين وأمسك عن الأخرى فهو نبي، فأنزل الله سورة أهل الكهف، وأنزل بعد ذلك ويسألونك عن الروح »[3].

= قتله علي بن أبي طالب بأمر النبي ﷺ. انظر الإصابة: ٦/ ٤٣٠).

(١) عقبة بن أبي معيط: بضم الميم وفتح العين، فهو عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كان من شياطين قريش، وهو الفاسق الذي ذكره الله تعالى في كتابه، أسره رسول الله – ﷺ – يوم بدر وضرب عنقه صبراً. انظر الإكمال (٧/ ٢٠٨).

(٢) الرُّئيَّ والرئي: الجِنِّيُّ يراه الإنسان. انظر لسان العرب (٣/ ١٥٤١).

(٣) البحر المحيط: (٦/ ٩٣).

المطلب السابع: عنايته بالناسخ والمنسوخ

معرفة ناسخ القرآن من منسوخه، والعلم به أمر عظيم الشأن في التفسير والفقه، وقد صنف فيه جماعة من العلماء، ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقاص: « أتعرف الناسخ والمنسوخ؟، قال: الله أعلم، قال: هلكتَ وأهلكت »(١).

والنسخ في اللغة: يأتي بعدة معانٍ، منها:

١ - الإزالة، ومنه قوله -تعالى-: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الحج:٥٢].

٢ - التبديل، كقوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل:١٠١].

٣ - التحويل، كتناسخ المواريث - يعني تحويل الميراث من واحد إلى واحد -.

٤ - النقل من موضع إلى موضع، ومنه: نسخت الكتاب، إذا نقلت ما فيه حاكيا للفظه وخطه(٢).

وفي الاصطلاح: هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي(٣).

والنسخ مما خصت به أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وله حكم كثيرة منها:

١ - مراعاة مصالح العباد، ورعاية الأصلح لهم في كل وقت بحسب أحوالهم فيه.

٢ - التدرج بالتشريع إلى مرتبة الكمال في تربية النفس.

٣ - إن كان النسخ إلى أخف فالحكمة التيسير على الأمة.

٤ - إن كان النسخ إلى أشق فالحكمة زيادة الثواب مع ابتلاء المكلف.

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه: (٣/ ٢٢٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه: (٥/ ٢٩٠)، والطبراني في الكبير: (١٠/ ٢٥٩)، الناسخ والمنسوخ، للنحاس: (١/ ٤٩). قال الهيثمي: « وفيه أبو راشد مولى بني عامر ولم أر من ذكره ». مجمع الزوائد: (١/ ١٥٤).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: (٥/ ٤٢٤)، والناسخ والمنسوخ، للنحاس: (١/ ٥٧)، والبرهان في علوم القرآن: (٢/ ٣٣)، والإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٥٩)، ومناهل العرفان: (٢/ ٧١).

(٣) انظر: مناهل العرفان: (٢/ ٧٢).

٥ - إن كان النسخ إلى مساوٍ فالحكمة الابتلاء والاختبار للمكلف؛ لكمال الانقياد والعبودية لله -تعالى- [(١)].

ويرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي يقول: آية كذا نسخت كذا، وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به من علم التاريخ؛ ليعرف المتقدم والمتأخر، ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة؛ لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده ﷺ والمعتمد فيه النقل والتاريخ، دون الرأي والاجتهاد[(٢)].

وقد أولى أبو حيان جانب النسخ عناية كبيرة في تفسيره؛ وذلك لما في معرفة الناسخ والمنسوخ من الآيات من أهمية في فهم الآيات والعمل بها، ومن ذلك:

في قوله -تعالى-: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل:١٢٦] قال أبو حيان ~ : « قالت فرقة: هذه الآية منسوخة بآية القتال، وقالت فرقة: هي محكمة ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية، نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره يوم أحد، ووقع ذلك في صحيح البخاري[(٣)] في كتاب السير، وذهب النحاس إلى أنها مكية، والمعنى متصل بما قبلها اتصالاً حسناً لأنها تتدرج الذنب من الذي يدعى، وتوعظ إلى الذي يجادل إلى الذي يجازي على فعله، ولكن ما روى الجمهور أثبت انتهى » [(٤)].



(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٦٠)، ومناهل العرفان: (٢/ ٩٠ - ٩٢)، ومباحث في علوم القرآن: (٢٤٠).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٧١)، ومناهل العرفان: (٢/ ١٠٥ - ١٠٦).

(٣) تخريج الحديث: تقدم تخريجه انظر ص٧٥ .

(٤) البحر المحيط (٥/ ٥٣١)، وانظر المسألة رقم (١٦) من سورة النحل .

المطلب الثامن: عنايته بالمكي والمدني

من أشرف علوم القرآن علم المكي والمدني، وقد عني العلماء بتحقيق المكي والمدني عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، وهو تحديد دقيق يعطي للباحث المنصف صورة للتحقيق العلمي في علم المكي والمدني[1].

وللعلماء فى المراد بالمكي والمدني ثلاثة اصطلاحات:

أحدها: أن المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة.

الثانى: وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، وهذا القول لوحظ فيه زمن النزول، وهو تقسيم صحيح سليم؛ لأنه ضابط حاصر ومطرد لا يختلف بخلاف القولين الآخَرين؛ ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم.

الثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة[2].

ومن فوائده:

١ – معرفة الناسخ والمنسوخ؛ لأن فيه العلم بالمتأخر.

٢ – معرفة تاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام.

٣ – الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالما من التغيير والتحريف.

٤ – الاستعانة به في تفسير القرآن الكريم.

٥ – تذوق أساليب القرآن الكريم، والاستفادة منها في الدعوة إلى الله ﷻ[3].

ولا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ بيان للمكي والمدني؛ وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن: (٥٣).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٢٣٩)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: (١/ ٢٣)، ومناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ١٨٦ – ١٨٧)، ومباحث في علوم القرآن: (٦١ – ٦٢).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٢٣٩)، والإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٢ – ٢٣)، ومناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ١٨٨)، ومباحث في علوم القرآن: (٥٩ – ٦٠).

حاجة إلى هذا البيان كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل، ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عياناً[(١)].

وقد اعتنى أبو حيان ~ بذكر المكي والمدني في تفسيره، **ومن الأمثلة على ذلك:**

أ- في قوله -تعالى-: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل:١١٢] قال أبو حيان ~ : « وعن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة: أن القرية المضروب بها المثل مكة، كانت لا تغزى ولا يغار عليها، والأرزاق تجلب إليها وأنعم الله عليها بالرسول ﷺ فكفرت، فأصابها السنون والخوف، وسرايا الرسول وغزواته، ضربت مثلاً لغيرها مما يأتي بعدها، وهذا وإن كانت الآية مدنية، وإن كانت مكية فجوع السنين وخوف العذاب بسبب التكذيب، ويؤيد كونها مكية قول: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل:١١٣] ويجوز أن يكون قرية من قرى الأولين » [(٢)].

ب- في قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨] قال أبو حيان ~ : « والظاهر: أن المراد بمن أغفلنا كفار قريش، وقيل: عُيينة[(٣)] والأقرع[(٤)]، والأول أولى لأن الآية مكية » [(٥)].

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ١٨٩).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٥٢٤)، وانظر المسألة رقم (١٤) من سورة النحل .

(٣) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بالجيم مصغراً - بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة الفزاري أبو مالك لقب عيينة لأنه كان أصابته شجة فجحظت عيناه. قال ابن السكن: له صحبة، وكان من المؤلفة، ولم يصح له رواية أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حنيناً والطائف وكان ممن ارتد في عهد أبي بكر ثم عاد إلى الإسلام وكان فيه جفاء البوادي. انظر الإصابة (٤/ ٧٦٧)، والثقات (٣/ ٣١٢).

(٤) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الدارمي شهد فتح مكة وحنيناً والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه. انظر الإصابة (١/ ١٠١)، وتعجيل المنفعة (١/ ٣٩)، والثقات (٣/ ١٨).

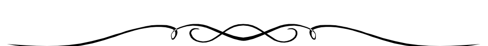
(٥) البحر المحيط (٦/ ١١٤)، وانظر المسألة رقم (٢٨) من سورة الكهف .

المبحث الثاني

تفسيره القرآن بالرأي

<u>وفيـه تمهيـد وأربعــة مطالـــب :</u>

- **المطلب الأول: تفسيره القرآن بمن جاء بعد عصر التابعين.**
- **المطلب الثاني: تفسيره القرآن باللغة .**
- **المطلب الثالث: عنايته بالمناسبات .**
- **المطلب الرابع: عنايته بأسرار التعبير .**



التمهيـــــد

التفسير بالرأي منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم، والمراد بالرأي هنا: الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد موفقاً، أي: مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه، بعيداً عن الجهالة والضلالة فالتفسير به محمود، وإلا فمذموم(1).

قال الزركشي ~ : « واعلم أن القرآن قسمان: أحدهما: ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد، والأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد التفسير عن النبي ﷺ، أو عن الصحابة، أو عن رؤوس التابعين...

الثاني: مالم يرد فيه نقل عن المفسرين وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق » (٢).

وبين الزركشي حكم التفسير بمجرد الرأي فقال ~ : « ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، وقوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٩]، وقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤] فأضاف البيان إليهم.

وعليه حملوا... قوله ﷺ: [من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ](٣)»(٤).

قال ابن كثير ~ بعد ذكره لأقوال السلف في تحرجهم عن تفسير بعض الآيات التي لاعلم لهم بها: « فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: (٢/ ٣٦).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٨٨ - ١٨٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله - ﷺ -، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: (٥/ ٢٠٠)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب من قال في القرآن بغير علم: (٥/ ٣١)، والرويّاني في مسنده: (٢/ ١٤٥)، وأبو يعلى في مسنده: (٣/ ٩٠)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢/ ١٦٣) والأوسط: (٥/ ٢٠٨)، والبيهقي في الشعب: (٢/ ٤٢٣)، ح: (٢٢٧٧)، كلهم عن جندب ﷺ، ضعفه الألباني في ضعيف الجامع: (٥/ ٢٢٨)، رقم: (٥٧٤٨).

(٤) البرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٧٨ - ١٧٩).

تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه » (١).

وقد كان أبو حيان ~ من العلماء الذين يرون جواز التفسير بالرأي إذا استوفى المفسر شروطه فقال: « ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة، وارتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه، فلن يحتاج في فهم ما تركب من تلك الألفاظ إلى مفهم ولا معلم، وإنما تفاوت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه؛ فلذلك اختلفت أفهامهم وتباينت أقوالهم، وقد جربنا الكلام يوماً مع بعض من عاصرنا، فكان يزعم أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تراكيبه بالإسناد إلى مجاهد، وطاوس، وعكرمة وأضرابهم، وأن فهم الآيات متوقف على ذلك، والعجب له أنه يرى أقوال هؤلاء كثيرة الاختلاف متباينة الأوصاف متعارضة ينقض بعضها بعضاً،... وكان هذا المعاصر يزعم أن كل آية نقل فيها التفسير خلف عن سلف بالسند إلى أن وصل ذلك إلى الصحابة، ومن كلامه أن الصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن تفسيرها، هذا وهم العرب الفصحاء الذين نزل القرآن بلسانهم،... وعلى قول هذا المعاصر يكون ما استخرجه الناس بعد التابعين من علوم التفسير ومعانيه ودقائقه وإظهار ما احتوى عليه من علم الفصاحة والبيان والإعجاز، لا يكون تفسيراً حتى ينقل بالسند إلى مجاهد ونحوه، وهذا كلام ساقط» (٢).

وقال: « وما روي عنه ﷺ من قوله: [من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ] (٣) محمول على من تسور على تفسيره برأيه دون النظر في أقوال العلماء وقوانين العلوم كالنحو واللغة والأصول، وليس من اجتهد ففسر على قوانين العلم والنظر بداخل في ذلك

---

(١) تفسير القرآن العظيم: (١/ ٧).

(٢) البحر المحيط: (١/ ١٠٤).

(٣) تقدم تخريجه ص: (٩٥).

الحديث، ولا هو يفسر برأيه، ولا يوصف بالخطا »[1].

قال ابن الأثير في بيان معنى الحديث، وبيان أهمية النقل والسماع: « النهي يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتناول القرآن على وفقه محتجاً به لغرضه، ولو لم يكن له هوى لم يلح له منه ذلك المعنى، وهذا يكون تارة مع العلم كمن يحتج منه بآية على تصحيح بدعته عالما بأنه غير مراد بالآية، وتارة يكون مع الجهل بأن تكون الآية محتملة فيميل فهمه إلى ما يوافق غرضه، ويرجحه برأيه وهواه، فيكون فسر برأيه إذ لولاه لم يترجح عنده ذلك الاحتمال، وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن فيستدل به بما يعلم أنه لم يرد به....

الثاني: أن يتسارع إلى تفسيره بظاهر العربية بغير استظهار بالسماع والنقل يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة والاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بغير علم، فالنقل والسماع لا بد منهما أولاً، ثم هذه تستتبع التفهم والاستنباط، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر »[2].

وقد اعتنى أبو حيان ~ في تفسيره بنقل ما ورد في الآية من الأقوال، ولم يكتف بذلك بل كان يوجه الأقوال، ويرجح في بعض الأحيان، كما اعتنى بالتفسير بالرأي فأعمل فكره في عدة جوانب منها: اعتناؤه بتفسير القرآن باللغة، وذكره للمناسبات بين السور، والمناسبات بين الآيات بعضها ببعض في كثير من المواضع، كذلك اعتنى بذكر أسرار التعبير، وذكر اللطائف من الآيات، وهذا ما سيأتي ذكره فيما يلي.

---

(١) البحر المحيط: (١/ ١١٩).

(٢) فيض القدير: (٦/ ١٩٠).

المطلب الأول: تفسيره القرآن بأقوال من بعد عصر التابعين

ذكر أبو حيان ~ في مقدمته اعتماده في تفسيره على تفسير الزمخشري[(١)]، وتفسير ابن عطية[(٢)]، وكتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير لجمال الدين أبي عبدالله محمد بن سليمان ابن حسن بن حسين المقدسي المعروف بابن النقيب[(٣)] -رحمهم الله تعالى- إلا أنه لم يكتف بذلك فنقل أقوال غيرهم من المفسرين ممن جاءوا بعد عصر التابعين، واستفاد من تفاسيرهم فقد صنف كثير من العلماء في التفسير بعد عصر التابعين، كتباً مستقلة بالتفسير جمعوا فيها أقوال السابقين، ومنهم:

١ - السدي[(٤)].

٢ - مقاتل[(٥)].

٣ - سفيان الثوري[(٦)].

٤ - الطبري[(٧)].

---

(١) انظر: على سبيل المثال: (٥/ ٥١٤، ٥١٥، ٥١٧، ٥٢٤)، (٦/ ٣١، ٤٥، ٧٧، ٩٦).

(٢) انظر: على سبيل المثال: (٥/ ٥١١، ٥١٥، ٥٢٢، ٥٢٤)، (٦/ ٩، ٣١، ٣٣، ٤١، ٥٢، ٥٨، ٩٥).

(٣) انظر: على سبيل المثال: البحر المحيط: (٦/ ٧٤، ٨٦).

(٤) إسماعيل بن عبدالرحمن السدي - بضم المهملة وتشديد الدال - الكوفي، أبو محمد، المشهور المفسر كان عالماً بالتفسير، توفي سنة ١٢٧هـ. انظر الكاشف (١/ ٢٤٧)، وتقريب التهذيب (١/ ١٠٨)، وتهذيب التهذيب (١/ ٢٧٣ - ٢٧٤)، وطبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٥).
وانظر على سبيل المثال: (٥/ ٥١٤).

(٥) مقاتل بن سليمان البلخي، أبو الحسن، كبير المفسرين، مات سنة نيف وخمسين ومائة. انظر سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١ - ٢٠٢)، والكاشف (٢/ ٢٩٠)، وتقريب التهذيب (١/ ٥٤٥).
وانظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ١٥، ٧٣).

(٦) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري، أبو عبدالله الكوفي، الإمام الكبير أحد الأعلام، أمير المؤمنين في الحديث، ولد سنة سبع وتسعين على الصحيح، توفي سنة ١٦١هـ. انظر مشاهير علماء الأمصار (١٦٩)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩ - ٢٧٩)، وغاية النهاية (١/ ٣٠٨).

(٧) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين، ⇐ =

وغيرهم من العلماء -رحمهم الله تعالى-.

وقد اعتنى أبو حيان ~ بنقل أقوالهم في تفسيره، كما أنه استفاد ممن جاءوا بعدهم، ومنهم:

١ - الزجاج[(١)].

٢ - أبو جعفر النحاس[(٢)].

٣ - أبو العباس المهدوي[(٣)].

٤ - الماوردي[(٤)].

= صنف التاريخ الحافل، وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير وغيرهما من المصنفات النافعة في الأصول والفروع، توفي سنة ٣١٠هـ. انظر البداية والنهاية (١١/ ١٤٥ - ١٤٧)، وطبقات المفسرين للسيوطي (١/ ٩٥ - ٩٧)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ٢٦٤ - ٢٦٦).

انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥١٤)، (٦/ ١٩، ٣١، ٥٨، ٨٣، ٩٥، ١٠٨).

(١) الزجاج: إبراهيم بن السري، أبو إسحاق، عالم بالنحو، واللغة والتفسير توفي سنة ٣١١هـ. انظر نزهة الألباء ص(١٨٣)، وإنباه الرواة (١١/ ١٩٤)، ومعجم الأدباء(١/ ١٣٠).

انظر على سبيل المثال: (٦/ ٣٠، ٣٣، ٣٩، ١٣٠، ١٤٧).

(٢) أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري، أبو جعفر النحاس، إمام العربية، النحوي، صاحب التصانيف، توفي سنة ٣٣٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (١٥/ ٤٠١ - ٤٠٢)، وبغية الوعاة: (١/ ٣٦٢)، والوافي بالوفيات: (٧/ ٢٣٧ - ٢٣٨).

انظر على سبيل المثال: (٥/ ٥٣١)، (٦/ ٢٩).

(٣) أحمد بن عمار أبو العباس المهدوي، صاحب التفسير كان مقدماً في القراءات والعربية ألف كتباً مفيدة، مات في حدود سنة ثلاثين وأربعمائة. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي: (١/ ٣٠)، ومعرفة القراء الكبار: (١/ ٣٩٩).

(٤) علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي، له المصنفات الكثيرة في كل، فن، الفقه، والتفسير، والأصول، والأدب، توفي سنة ٤٥٠هـ. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي: (١/ ٨٣ - ٨٤)، وطبقات الشافعية: (١/ ٢٣٠ - ٢٣٢)، طبقات المفسرين، للداوودي: (١/ ١١٩ - ١٢٠).

انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥١٧)، (٦/ ٣٣، ١١١، ١١٥، ١٢٣).

٥ - البغوي[١].

٦ - الرازي[٢].

٧ - القرطبي[٣]. وغيرهم كثير -رحمهم الله تعالى-.



(١) الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، أبو محمد، الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة، المفسر، صاحب التصانيف، توفي سنة ٥١٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: (١٩/ ٤٣٩ - ٤٤٣)، والوافي بالوفيات: (١٣/ ٤١)، وطبقات الحفاظ: (٤٧٨). انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٣٧٠).

(٢) محمد بن عمربن الحسن التيمي الرازي، الإمام فخر الدين الرازي العلامة أبو عبدالله، المفسر المتكلم صاحب التصانيف المشهورة، ولد سنة ٥٤٤ هـ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى: (٨/ ٨١ - ٨٢)، وشذرات الذهب: (٥/ ٢١)، وطبقات المفسرين، للداوودي: (١/ ٢١٣ - ٢١٤). انظر على سبيل المثال: (٦/ ٣٠).

(٣) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبدالله القرطبي، مصنف التفسير المشهور، توفي سنة ٦٧١هـ. انظر: طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٤٦ - ٢٤٧)، وطبقات المفسرين، للسيوطي(٩٢)، وشذرات الذهب (٥/ ٣٣٥). انظر: على سبيل المثال: البحر المحيط: (٦/ ٣٣).

المطلب الثاني: تفسيره القرآن باللغة

أولاً: مصادره في اللغة، وبعض الأعلام الذين سماهم.

يعد أبو حيان ~ من علماء اللغة البارعين، وهو مرجع في ذلك، ولتقدمه في هذا المجال فقد تميز تفسيره بالاهتمام البالغ بهذا الجانب، وقد ذكر في مقدمته كثيراً من مصادره في ذلك عند ذكره للعلوم التي يحتاجها المفسر[1].

ومن علماء النحو واللغة الذين استفاد منهم، ونقل عنهم:

١ - سيبويه[2].

٢ - الكسائي[3].

---

(١) ذكر - رحمه الله - من مصادره في علم اللغة: كتاب ابن سيده، وكتاب الأزهري، والموعب لابن التياني، والصحاح للجوهري، والبارع لأبي علي القالي، ومجمع البحرين للصاغاني، والفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني.

ومن مصادره في الأفعال: كتاب ابن القوطية، وكتاب ابن طريف، وكتاب السرقنطي، وكتاب ابن القطاع.

ومن مصادره في علم النحو: كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، وكتاب تسهيل الفوائد لأبي عبدالله محمد بن مالك الجياني الطائي، وكتاب الممتع لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الحضرمي الإشبيلي.

ومن مصادره في علم البيان والبديع: ما جمعه أبو عبدالله محمد بن سليمان النقيب، وذلك في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير، وما وضعه أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري المسمى: منهاج البلغاء وسراج الأدباء. انظر: البحر المحيط: (١/ ١٠٥ - ١٠٧).

(٢) انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٥٣١)، (٦/ ٢٥، ٣٩، ١٥٧، ١٧٤، ١٩٦).

(٣) علي بن حمزة، أبو الحسن الكسائي، مولاهم الكوفي، المقري النحوي، مستقيم الحديث، مات سنة ١٨٧ هـ، وقيل: ١٨٩هـ. انظر: التاريخ الكبير: (٦/ ٢٦٨)، ومعرفة القراء الكبار: (١/ ١٠٠ - ١٠٧)، والثقات: (٨/ ٤٥٧ - ٤٥٨).

انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٥٢٦)، (٦/ ٢٠، ٨٣، ٩١، ٩٦، ١٠٦).

٣ - قطرب[1].

٤ - الفراء[2].

٥ - أبو عبيدة[3].

٦ - الأخفش[4].

٧ - المبرد[5].

---

(١) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب، لازم سيبويه، مات سنة ٢٠٦هـ. انظر إنباه الرواة (٣/ ٢١٩)، وبغية الوعاة (١/ ٢٤٢-٢٤٣). انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٥٢٤)، (٦/ ٤، ١٥٤).

(٢) يحيى بن زياد بن عبدالله، أبو زكريا الأسلمي النحوي الكوفي المعروف بالفراء شيخ النحاة، توفي سنة ٢٠٧هـ. انظر: غاية النهاية: (٢/ ٣٧١ - ٣٧٢)، وبغية الوعاة (٢/ ٣٣٣)، وتقريب التهذيب: (١/ ٥٩٠).

انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٥١٩، ٥٢٨)، (٦/ ٤، ٢٠، ٢٢، ٤١، ٤٣، ٩١، ١١٥، ١١٦، ١٢٥، ١٣٢، ١٤٩، ١٦٢، ١٧٣، ١٩٦).

(٣) معمر بن المثنى التيمي، أبو عبيدة النحوي البصري، العلامة، له تصانيف تقارب المائتين، توفي سنة تسع أو عشر أو إحدى عشر أو ثلاث عشرة ومائتين بالبصرة. انظر: طبقات المفسرين للداودي: (١/ ٣٠ - ٣١)، وإنباه الرواة: (٣/ ٢٧٦) = = وبغية الوعاة: (٢/ ٢٩٤). نظر: على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٥٣١)، (٦/ ٤، ٤٣، ٨٢، ٨٣، ٩١، ٩٢، ٩٥).

(٤) سعيد بن مسعدة المجاشعي، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط البلخي ثم البصري النحوي أخذ النحو عن سيبويه، صنف كتبا كثيرة منها كتاب في معاني القرآن، توفي سنة ٢١٠ هـ، وقيل: ٢١٥ هـ، وقيل: ٢٢١هـ. انظر: البداية والنهاية: (١٠/ ٢٩٣)، والوافي بالوفيات: (١٥/ ١٦١ - ١٦٢)، وسير أعلام النبلاء: (١٠/ ٢٠٦ - ٢٠٨).

انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٦/ ٨٣، ٩١، ١٠٠، ١١٥).

(٥) محمد بن يزيد بن عبدالأكبر، أبو العباس النحوي، المعروف بالمبرد، النحوي اللغوي الفقيه، توفي سنة ٢٨٦هـ. انظر: لسان الميزان: (٧/ ١٦٥)، وإنباه الرواة: (٣/ ٢٤١)، وبغية الوعاة: (١/ ٢٦٩).

انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٥٠٨)، (٦/ ٤٠).

٨ - الزجاج[١].

٩ - ابن الأنباري[٢].

١٠ - الجوهري[٣].

١١ - أبو البقاء[٤].

١٢ - الأستاذ أبو الحسن بن عصفور[٥].

وغيرهم من علماء اللغة -رحمهم الله تعالى-.

---

(١) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، وكان من أهل الفضل والدين، وجمال المذهب والاعتقاد ومن تصانيفه معاني القرآن في التفسير، توفي سنة ٣١١هـ. انظر: البداية والنهاية: (١١/ ١٤٨ - ١٤٩)، والبلغة: (١/ ٤٥)، وطبقات المفسرين للداودي: (١/ ٥٢).

انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٥١٨، ٥٢٦)، (٦/ ٤٣، ٩٣، ٩٦، ١٠١، ١٠٤، ١١٦، ١٣٢، ١٤٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٧، ١٦٨، ١٩٦).

(٢) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن فروة بن قطن بن دعامة، أبو بكر بن الأنباري، النحوي، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظا، ولد سنة ٢٧١ هـ، صنف كتباً كثيرة، توفي سنة ٣٢٨هـ. انظر: تاريخ بغداد: (٣/ ١٨١ - ١٨٦)، وإنباه الرواة: (٣/ ٢٠١)، وبغية الوعاة: (١/ ٢١٢).

انظر: على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٥١٤، ٥٢٩)، (٦/ ١١٣، ١١٦، ١٣٤، ١٦٨، ١٧٣).

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر الفارابي، إمام في النحو واللغة والصرف، صاحب الصحاح في اللغة، توفي سنة ٣٩٣ هـ، وقيل: ٣٩٨هـ. انظر: البلغة: (١/ ٦٦ - ٧٦)، وبغية الوعاة: (١/ ٤٤٦)، ولسان الميزان: (١/ ٤٠٠ - ٤٠١).

انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٤٥٨).

(٤) عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء، العكبري الأصل، البغدادي المولد، الفقيه الحنبلي الحاسب الفرضي النحوي الضرير، صنف مصنفات مفيدة، توفي سنة ٦١٦هـ. انظر: إنباه الرواة: (٢/ ١١٦)، وسير أعلام النبلاء: (٢٢/ ٩١ - ٩٣) وطبقات المفسرين للداوودي: (١/ ٢١٩)، انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط: (٥/ ٥٠٩، ٥٢٦، ٥٢٧)، (٦/ ٢٣، ٣٧، ٤٠، ٨١، ٩٤، ١٠٢).

(٥) انظر على سبيل المثال ما نقل عنه أبو حيان: البحر المحيط (٦/ ٨١، ١٠١، ١٣٣).

۞ ثانياً : عنايته بمعاني المفردات:

اهتم المفسرون ببيان غريب القرآن، وهو فن ضروري للمفسر، ويراد به: معرفة المدلول ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة اسماً وفعلاً وحرفاً، ومعرفة حقائق اللغة وموضوعاتها، والعناية بتدبر الألفاظ، ومراعاة السياق، ويلتمس كثيراً منه في الشعر؛ لأن الشعر ديوان العرب[١]، وقد ألفت كتب في ذلك، واشتهرت بكتب معاني القرآن[٢].

قال الزركشي ~ : « الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة؛ فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه، وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه.

قالوا: وليس ذلك في علم القرآن فقط؛ بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره وهو كما قالوا: إن المركب لايعلم إلا بعد العلم بمفرداته؛ لأن الجزء سابق على الكل في الوجود من الذهني والخارجي، فنقول: النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها.

وأما بحسب الأفراد فمن وجوه ثلاثة:

من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها، وهو يتعلق بعلم اللغة.

ومن جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة، وهو من علم التصريف.

ومن جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها، وهو من علم الاشتقاق » [٣].

وقد بدأ أبو حيان تفسيره للآيات ببيان للمفردات التي تحتاج إلى بيان من اللغة،

---

(١) روى عكرمة عن ابن عباس قال: « إذا سألتموني عن غريب اللغة، فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب ». انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٣٦٨).

(٢) البرهان في علوم القرآن: (١/ ٣٦٥ – ٣٧٠)، والإتقان في علوم القرآن: (٢/ ٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٩٠).

وذلك بذكر صيغ المفردة، وتصريفها[١]، وبيان معانيها اللغوية، مستدلاً بأشعار العرب، ذاكراً أقوال النحويين، وقد يضعف بعض الأقوال، وهو منهج قل أن نجده في التفاسير بهذا النحو، وفي بعض المفردات لم يفصل ذلك التفصيل بل اقتصر على بعض ما سبق، وإذا كان للكلمة معنيان ذكره في أول موضع لتلك الكلمة، ثم ينظر في كل موضع ما يناسب من المعنى حسب سياق الآيات.

وهذه نماذج على ذلك:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ [الإسراء:٥] قال أبو حيان ~ : « جاس يجوس جوساً وجوساناً تردد في الغارة قاله الليث[٢]، وقال أبو عبيدة: جاسوا فتشوا هل بقي ممن لم يقتل، وقال الفراء: قيلوا، وقال قطرب: نزلوا، وقيل: داسوا، وقال أبو زيد: الجوسي والجوس والعوس والهوس: الطواف بالليل، فالجوس والحوس: طلب الشيء باستقصاء »[٣].

ب - في قوله -تعالى-: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف:٦] قال أبو حيان ~ : « بخع يبخع وبخوعاً: أهلك من شدة الوجد، وأصله الجهد، قاله الأخفش والفرآء، وفي حديث عائشة ذكرت عمر فقالت: بخع الأرض أي جهدها حتى أخذ ما فيها من أموال الملوك "[٤] وقال الكسائي: بخع الأرض

(١) التصريف: هو ما يلحق الكلمة ببنيتها، وفائدته: حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، ويكون ذلك في الأسماء والأفعال، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر.
انظر: البرهان: (١/ ٣٧٣ - ٣٧٤).

(٢) الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي، أبوالحارث المصري، مولى عبدالرحمن بن خالد بن مسافر، من كبار اتباع التابعين، ثقة ثبت فقيه إمام، من نظراء مالك، توفي سنة ١٧٥هـ. انظر التهذيب (٨/ ٤١٨)، والتقريب (١/ ٤٦٤)، والكاشف (٢/ ١٥١).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٤).

(٤) انظر روح المعاني (١٥/ ٢٠٤)، ولسان العرب (٨/ ٥) وتاج العروس ص(٥٠٩٠)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/ ٢٥٨)، وغريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٥٨).

بالزراعة جعلها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة، وقال الليث: بخع الرجل نفسه قتلها من شدة وجده، وأنشد قول الفرزدق:

أَلَا أَيُّهَذَا البَاخِعُ الوَجْدَ نفسَهُ ... بِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدْيهِ المَقَادِيرُ[(١)]

أي: نحته بشد الحاء فخفف، قال أبو عبيدة: كان ذو الرمّة[(٢)] ينشد الوجد بالرفع، وقال الأصمعي[(٣)]: إنما هو الوَجْدَ بالفتح انتهى »[(٤)].

ج - في قوله- تعالى-: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [مريم:٩٨].

قال أبو حيان ~ : « الركز: الصوت الخفي، ومنه ركز الرمح غيب طرفه في الأرض، والركاز: المال المدفون، وقيل: الصوت الخفي دون نطق بحروف ولا فم قال الشاعر:

فَتَوَجَّسَتْ رِكْزَ الأَنِيسِ فَراعَهَا ... عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ والأَنِيسُ سقامها[(٥)] »[(٦)].

---

(١) البيت من الطويل وهو لذي الرمة، وليس للفرزدق، مجاز القرآن (١/ ٣٩٣) اللسان (١/ ٢٢٢) مادة بخع.

(٢) ذو الرمة: غيلان بن عقبة بن بهيش العدوي ويقال نهيس بن بني عدي بن عبد مناة العدوي المعروف بذي الرمة الشاعر المشهور، قال أبو عمرو بن العلاء فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة. توفي سنة ١١٧هـ انظر الإكمال (١/ ٣٧٦) تاريخ دمشق (٤٨/ ١٤٢)، تاريخ الإسلام (١/ ٨٦٥).

(٣) الأصمعي: عبدالملك بن قريب بن عبدالملك، أبو سعيد الأصمعي، البصري اللغوي، الإخباري، أحد الأعلام، قال المبرد: كان الأصمعي أسد الشعر والغريب والمعاني، مات سنة ٢١٥هـ، انظر الكاشف (١/ ٦٦٨)، مختصر تاريخ دمشق (١/ ٢٠٧٨).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٩١).

(٥) البيت من الكامل للبيد بن ربيعة العامري. انظر ديوان للبيد ص(١٧٤)، مجاز القرآن (٢/ ١٤).

(٦) البحر المحيط (٦/ ١٨٧).

۞ ثالثاً : عنايته بمعاني الحروف والأدوات :

اعتنى أبو حيان ~ ببيان معاني كثير من الحروف، والأدوات وأسرار الإتيان بها دون غيرها في تفسيره؛ وذلك لما لها من أثر كبير في فهم الآيات، فمن ذلك:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[الكهف:٧] قال أبو حيان ~ : « وجعلنا هنا بمعنى: خلقنا، والظاهر أن ﴿مَا﴾ يراد بها غير عاقل، وأنه يراد به العموم فيما لا يعقل، و﴿زِينَةً﴾ كل شيء بحسبه، وقيل: لا يدخل في ذلك ما كان فيه إيذاء من حيوان وحجر ونبات، لأنه لا زينة فيه، ومن قال بالعموم قال فيه زينة من جهة خلقه وصنعته وإحكامه، وقيل: المراد بها هنا خصوص ما لا يعقل » [1].

ب - في قوله -تعالى-: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الكهف:١٤] قال أبو حيان ~ : « واللام في ﴿لَّقَدْ﴾ لام توكيد، وإذا حرف جواب وجزاء، أي: لقد قلنا لن ندعوا من دونه إلهاً، قولاً شططاً أي: ذا شطط وهو التعدي والجور » [2].

إلى غير ذلك من المواضع التي يتبين فيها عناية أبي حيان ~ ببيان معاني الحروف والأدوات.

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٩٦)، وانظر المسالة رقم (٥) من سورة الكهف .

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٠٢)، وانظر المسألة رقم (١٠) من سورة الكهف .

۞ رابعاً: عنايته بالإعراب.

اهتم بعض المفسرين ببيان وجوه الإعراب، فبعضهم ذكره في ثنايا تفسيره، وبعضهم ألف فيه، وهي كتب إعراب القرآن، وهو علم يؤخذ من علم النحو، وفائدته: أنه يبين المعنى، ويميز المعاني، ويوقِف على أغراض المتكلمين[1].

والمتكلم في هذا العلم عليه مراعاة عدة أمور، منها:

١ - أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه، مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب؛ فإن الإعراب فرع المعنى.

٢ - أن يتجنب الأمور البعيدة، والأوجه الضعيفة، واللغات الشاذة؛ فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش.

٣ - أن يتجنب إطلاق لفظ الزائد فى كتاب الله تعالى، أو التكرار، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل كقولهم: الباء زائدة ونحوه، مرادهم أن الكلام لا يختل معناه بحذفها، لا أنه لا فائدة فيه أصلا؛ فإن ذلك لا يحتمل من متكلم، فضلا عن كلام الحكيم.

٤ - تجنب الأعاريب التى هى خلاف الظاهر والمنافية لنظم الكلام.

٥ - تجنب التقادير البعيدة والمجازات المعقدة، ولا يجوَّز فيه جميع ما يجوّزه النحاة فى شعر امرىء القيس وغيره.

٦ - البحث عن الأصلى والزائد في الكلمة[2].

وقد اعتنى أبو حيان ~ ببيان وجوه الإعراب عناية فائقة، فذكر الأقوال في ذلك مع المناقشة لها والترجيح، وبيان الضعيف منها، مع ذكر للقواعد النحوية، والإحالة في تقريرها والاستدلال عليها على كتب النحو، وبيان لما أجمع عليه علماءهم، مع عدم الخروج عن إجماعهم إلا بدليل بين، **فمن ذلك:**

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٣٧٧)، والإتقان في علوم القرآن: (٢/ ٢٦٠).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٣٧٨ - ٣٨٣)، والإتقان في علوم القرآن: (٢/ ٢٦١-٢٦٨)، وقد زاد أموراً أخرى غير ما ذكر.

أ – في قوله –تعالى–: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٩)﴾ [النحل:١١٠] قال أبو حيان ~ : « وقال أبو البقاء: خبر ﴿إِنَّ﴾ الأولى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ و﴿إِنَّ﴾ الثانية واسمها تكرير للتوكيد انتهى. وإذا كانت ﴿إِنَّ﴾ الثانية واسمها تكريراً للتوكيد كما ذكر، فالذي يقتضيه صناعة العربية أن يكون خبر ﴿إِنَّ﴾ الأولى هي قوله ﴿لَغَفُورٌ﴾ ويكون ﴿لِلَّذِينَ﴾ متعلقاً بقوله: ﴿لَغَفُورٌ﴾ أو بـ ﴿رَحِيمٌ﴾ على الإعمال، لأن ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ الثانية لايكون لها طلب لما بعدها من حيث الإعراب، كما أنك إذا قلت: قام زيد فزيد إنما هو مرفوع بقام الأولى، لأن الثانية ذكرت على سبيل التوكيد للأولى، وقيل: لا خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ الأولى في اللفظ، لأن خبر الثانية أغنى عنه انتهى. وهذا ليس بجيد، لأنه ألغى حكم الأولى، وجعل الحكم للثانية، وهو عكس ما تقدم، ولا يجوز »[1].

ب – في قوله –تعالى–: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (١٢)﴾ [الإسراء:١٢] قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن نصب ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ على الاشتغال وكان ذلك أرجح من الرفع لسبق الجملية الفعلية في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ وأبعد من ذهب إلى أن ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ معطوف على قوله ﴿وَالْحِسَابَ﴾.. »[2].

ج – في قوله –تعالى–: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ﴾ [الكهف:٤٥] قال أبو حيان ~ : « و﴿كَمَاءٍ﴾ قدره ابن عطية خبر مبتدأ محذوف أي: هذه الحياة الدنيا كماء، وقال الحوفي: الكاف متعلقة بمعنى المصدر أي: ضرباً ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾، وأقول: إن ﴿كَمَاءٍ﴾ في موضع المفعول الثاني لقوله ﴿وَاضْرِبْ﴾ أي: وصيّر لهم مثل الحياة الدنيا أي صفتها شبه مآء »[3].

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٥٢٢).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٣).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٢٦).

۞ خامساً : عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني.

أ - عنايته بأساليب اللغة والتركيب:

قال الزركشي عن أساليب تركيب اللغة: « وأما بحسب التركيب فمن وجوه أربعة:

الأول: باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابله من حيث إنها مؤدية أصل المعنى، وهو ما دل عليه المركب بحسب الوضع، وذلك متعلق بعلم النحو.

الثاني: باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى، أعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء، وهو الذي يتكلف بإبراز محاسنه علم المعاني.

الثالث: باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها، وباعتبار الحقيقة والمجاز، والاستعارة والكناية والتشبيه، وهو ما يتعلق بعلم البيان.

والرابع: باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابله، وهو يتعلق بعلم البديع »[(1)].

ومما ذكره أبو حيان ~ في ذلك ما يلي:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦] قال أبو حيان ~ : « وجمع الضمير في ﴿فَعَلَيْهِمْ﴾ على معنى ﴿مَّن﴾ وأفرد في ﴿شَرَحَ﴾ على لفظها، والظاهر أن ذلك إشارة إلى ما استحقوه من الغضب والعذاب، أي: كائن لهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة»[(2)].

ب - في قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦] قال أبو حيان ~ : « وقيل: الضمير في ﴿كَانَ﴾ و﴿مَسْـُٔولًا﴾ عائدان على القائل ما ليس له به علم، والضمير في (عنه) عائد

---

(١) البرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٧٣).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٥٢١).

على (كل) فيكون ذلك من الالتفات، إذ لو كان على الخطاب لكان التركيب كل أولئك كنت عنه مسؤولاً » [(١)].

ج - في قوله -تعالى-: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف:١٣] قال أبو حيان ~ : « وجآء لفظ ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ ﴾ موازياً لقوله: ﴿لِنَعْلَمَ ﴾ ثم قال: ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ ففيه إضافة الرب، وهو السيد والناظر في مصلحة عبيده، ولم يأت التركيب ﴿ءَامَنُوا۟ ﴾ بناءً للإشعار بتلك الرتبة وهي أنهم مربوبون له مملوكون، ثم قال: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ ولم يأت التركيب (وزادهم) لما في لفظة (نا) من العظمة والجلال، وزيادته -تعالى- لهم هدى: هو تيسيرهم للعمل الصالح، والانقطاع إليه، ومباعدة الناس، والزهد في الدنيا وهذه زيادة في الإيمان الذي حصل لهم » [(٢)].

د - في قوله -تعالى-: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ ﴾ [مريم:٣٥] قال أبو حيان ~ : «﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ ﴾ هذا تكذيب للنصارى في دعواهم أنه ابن الله وإذا استحالت البنوة فاستحالة الإلهية مستقلة أو بالتثليث أبلغ في الاستحالة، وهذا التركيب معناه الانتفاء، فتارة يدل من جهة المعنى الزجر ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:١٢٠]، وتارة على التعجيز ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ ﴾ [النمل:٦٠] وتارة على التنزيه كهذه الآية، ولذلك أعقب هذا النفي بقوله ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ ﴾ أي: تنزه عن الولد إذ هو مما لا يتأتى، ولا يتصور في المعقول ولا تتعلق به القدرة لاستحالته، إذ هو تعالى متى تعلقت إرادته بإيجاد شيء أوجده، فهو منزه عن التوالد»[(٣)].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٣٣).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٠٢).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٧٩).

ب- عنايته بالبلاغة:

يعتبر علم البديع والبيان من أهم أركان التفسير؛ فإنه لا بد للمفسر من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، من الحقيقة والمجاز، وتأليف النظم، وأن يؤاخي بين الموارد، ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك، ولا طريق إلى تحصيله لذوى الفطر السليمة إلا إتقان علمي المعاني والبيان والتمرن فيهما، وبه يعرف كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح[1].

وقد اهتم أبو حيان ~ ببيان دقائق الآداب من بديع وبيان، وذكر للأساليب البلاغية، **فمن ذلك:**

أ- في قوله -تعالى-: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ [الإسراء:٥٠-٥١] قال أبو حيان ~ : «﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ صلابته وزيادته على قوة الحديد وصلابته ولم يعيّنه، ترك ذلك في أفكارهم وجولانها فيما هو أصلب من الحديد، فبدأ أولاً بالصلب ثم ذكر على سبيل الترقي الأصلب منه ثم الأصلب من الحديد: أي افرضوا ذواتكم شيئاً من هذه، فإنه لا بد لكم من البعث على أي حال كنتم »[2].

ب- في قوله -تعالى-: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝﴾ [الكهف:١-٢] قال أبو حيان ~ : « و﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن، والعوج في المعاني: كالعوج في الأشخاص، ونكر ﴿عِوَجًا﴾ ليعم جميع أنواعه، لأنها نكرة في سياق النهي، والمعنى أنه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه، لا حوشية، ولا عيّ في تراكيبه ومبانيه، و﴿قَيِّمًا﴾ تأكيد لإثبات الاستقامة إن كان مدلوله مستقيماً »[3].

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٣٨٧).

(٢) البحر المحيط (٩/ ٤٤)، وانظر المسألة رقم (٢٢) من سورة الإسراء.

(٣) البحر المحيط (٩/ ٩٣)، وانظر المسألة رقم (٢) من سورة الكهف.

ج - في قولـه -تعـالى-: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾ [مريم:٤] قال أبو حيان ~ : « وأسند الـوهن إلى العظم لأنه عمود البدن، وبه قوامه وهو أصل بنائه، فإذا وهـن تـداعى مـا وراءه وتـساقطت قوتـه ولأنه أشد مافيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ووحد العظم لأنه يدل على الجنس وقصد إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشـد مـا تركـب منـه الجسد قـد أصـابه الوهن ولو جمع لكان قصداً آخر، وهـو أنـه لم يهـن منـه بعـض عظامـه ولكـن كلهـا... وقـال وشبه الشيب بشواظ النار في بياضه، وانتشاره، في الشعر، وفشوه فيه، وأخذه منه كل مأخـذ باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى مكان الرأس ومنبته، وهـو الـرأس، وأخـرج الـشيب مميـزاً ولم يـضف الـرأس اكتفـاء بعلـم المخاطـب أنـه رأس زكريـا عليه السلام... واشتعال الرأس، استعارة المحسوس للمحسوس إذ المستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع بينهما الانبساط والانتشار »[1].

(١) البحر المحيط (٩/ ١٦٣/ ١٦٤).

المطلب الثالث: عنايته بالمناسبات

إن معرفة المناسبة بين الآيات والسور علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، وقد أفرده بعض العلماء بالتأليف(١).

والمناسبة فى اللغة: المقاربة والمشاكلة، وفلان يناسب فلاناً، أى: يقرب منه، ويشاكله ومنه النسيب الذى هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة، ومنه المناسبة فى العلة فى باب القياس: الوصف المقارب للحكم؛ لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ولهذا قيل المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة فى فواتح الآى وخواتمها ومرجعها والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين ونحوه، أو التلازم الخارجى كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع فى باب الخبر(٢).

وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء(٣).

ومعرفة المناسبات والربط بين الآيات ليست أمراً توقيفياً، ولكنها تعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ تذوقه بلاغة القرآن، وأوجه بيانه، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى، منسجمة مع السياق، متفقة مع الأصول اللغوية، كانت مقبولة لطيفة(٤).

وقد اعتنى أبو حيان بذكر المناسبات بين الآيات بعضها ببعضها، وبين السور، ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٦١)، ومباحث في علوم القرآن: (٩٧).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٦١ – ٦٢)، والإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٢٣).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٦٢)، والإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٣٢٣).

(٤) انظر: مباحث في علوم القرآن: (٩٧).

أولاً: ما ذكره بين السور من المناسبات:

أ - قال ~ في مناسبة سورة الإسراء بعد النحل: « ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه -تعالى- لما أمره بالصبر، ونهاه عن الحزن عليهم وأن يضيق صدره من مكرهم، وكان من مكرهم نسبته إلى الكذب، والسحر والشعر، وغير ذلك مما رموه به، أعقب تعالى ذلك بذكر شرفه وفضله واحتفائه به وعلو منزلته عنده »(١).

ب - وقال في مناسبة سورة الكهف بعد الإسراء: « ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه لما قال: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء:١٠٥] وذكر به أهل العلم وأنه يزيدهم خشوعاً، وأنه -تعالى- أمر بالحمد له، وأنه لم يتخذ ولداً أمره تعالى بحمده على إنزال هذا الكتاب السالم من العوج، القيم على كل الكتب، المنذر من اتخذوا ولداً، المبشر المؤمنين بالأجر الحسن، ثم استطرد إلى حديث كفار قريش، والتفت من الخطاب في قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ إلى الغيبة في قوله ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ لما في عبده من الإضافة المقتضية تشريفه ولم يجيء التركيب (أنزل عليك) »(٢).

ج - وقال في مناسبة سورة مريم بعد الكهف: « ومناسبتها لما قبلها: أنه -تعالى- ضمّن السورة قبلها قصصاً عجباً كقصة أهل الكهف وقصة موسى مع الخضر وقصة ذي القرنين، وهذه السورة تضمنت قصصاً عجباً من ولادة يحيى بين شيخ فان وعجوز عاقر وولادة عيسى من غير أب، فلما اجتمعا في هذا الشيخ المستغرب، ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك »(٣).

ثانياً: ما ذكره من المناسبات بين الآيات بعضها ببعض:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل:٩٨] قال ~ : « لما ذكر تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، وذكر أشياء مما بين في الكتاب، ثم ذكر قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ ذكر ما يصون به

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٥).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٩٣).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٦٣).

القارئ قراءته من وسوسة الشيطان ونزغه، فخاطب السامع بالاستعاذة منه إذا أخذ في القراءة »[1].

ب - في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾ [النحل:١٠٤] قال ~ : « لما ذكر تعالى نسبتهم الافتراء إلى رسول الله ﷺ وأن ما أتى به من عند الله إنما يعلمه إياه بشر، كان ذلك تسجيلاً عليهم بانتفاء الإيمان، فأخبر -تعالى- عنهم أنهم لا يهد بهم الله أبداً، إذ كانوا جاحدين آيات الله، وهذا ما أتى به الرسول ضد المعجزات، وخصوصاً القرآن، فمن بالغ في جحد آيات الله سد الله عليه باب الهداية، وذكر تعالى، وعيده بالعذاب الأليم لهم »[2].

ج - في قوله -تعالى-: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠﴾ [الإسراء:١٠٠] قال أبو حيان ~ : « مناسبة قوله ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ﴾ الآية أن المشركين قالوا: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠﴾ فطلبوا إجراء الأنهار والعيون في بلدهم، لتكثر أقواتهم وتتسع عليهم، فبين تعالى أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم، ولما قدموا على إيصال النفع لأحد، وعلى هذا فلا فائدة في إسعافهم بما طلبوا، هذا ما قيل في ارتباط هذه الآية وقاله العسكري[3]، والذي يظهر لي أن المناسب هو أنه عليه السلام قد منحه الله مالم يمنحه لأحد من النبوة والرسالة إلى الأنس والجن فهو أحرص الناس على إيصال الخير وإنقاذهم من الضلال يثابر على ذلك ويخاطر بنفسه في دعائهم إلى الله ويعرض ذلك على القبائل وأحياء العرب سمحاً بذلك لا يطلب منهم أجراً، وهؤلاء أقرباؤه لا يكاد يجيب منهم أحد إلا الواحد بعد الواحد قد نجّوا في عناده وبفضائه، فلا يصل منهم إليه إلا الأذى، فنبه تعالى بهذه الآية على سماحته عليه السلام وبذلك ما أتاه الله، وعلى امتناع هؤلاء أن

---

(١) البحر المحيط (٥/ ٥١٧).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٥٢٠).

(٣) العسكري: الحسن بن عبدالله بن سهل البغدادي، أبو هلال العسكري، صنف أعلام المعاني في معاني العشر تفسير القرآن، التلخيص في اللغة، جمهرة الأمثال، وغيرها توفي سنة ٣٩٥هـ، انظر هداية العارفين (١/ ١٤٥).

يصل منهم شيء من الخير إليه، فقال لو ملكوا التصرف في خزائن رحمة الله التي هي وسعت كل شيء كانوا أبخل من كل أحد بما أوتوه من ذلك بحيث لا يصل منهم لأحد شيء من النفع، إذ طبيعتهم الإقتار وهو الإمساك عن التوسع في النفقه، هذا مع ما أوتوه من الخزائن فهذه الآية جاءت مبينة، تبين ما بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام من حرصه على نفعهم وعدم إيصال شيء من الخير منهم إليه »[1].

(١) البحر المحيط (٦/ ٨١).

المطلب الرابع: عنايته بأسرار التعبير

إن استنباط أسرار التعبير في الكلام يحتاج إلى فهم عميق لكتاب الله تعالى، وبراعة في اللغة والبلاغة، وقد أوتي أبو حيان ~ كلا الأمرين، مما جعل له عناية باستخراج أسرار التعبير في كثير من الآيات، ومن ذلك ما يلي:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتًا﴾ [النحل:٨٠] قال أبو حيان ~ : «لما ذكر الله تعالى ماامتنّ به عليهم من خلقهم، وما خلق لهم من مدارك العلم، ذكر ما أمتن به عليهم مما ينتفعون به في حياتهم، من الأمور الخارجية عن دوابهم، من البيوت التي يسكنونها من الحجر والمدر والأخشاب وغيرها... والظاهر أن (أثاثاً) مفعول، والتقدير: جعل من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً، وقيل: منصوب على الحال، على أن المعنى: جعل من أصوافها وأوبارها وأشعارها بيوتاً،... ولما لم تكن بلادهم بلاد قطن، وكتان، وحرير، أقتصر على هذه الثلاثة هنا واندرجت في قوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾»[1].

ب - في قوله -تعالى-: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦] قال أبو حيان ~ : «والظاهر (من) شرطية في موضع رفع على الابتداء، وهو استئناف إخبار، لا تعلق به بما قبله من جهة الإعراب، ولما كان الكفر يكون باللفظ وبالاعتقاد استثنى من الكافرين من كفر باللفظ وقلبه مطمئن بالإيمان، ورخص له في النطق بكلمة الكفر، إذ كان قلبه مؤمناً وذلك مع الإكراه، والمعنى: إلا من أكره على الكفر تلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان»[2].

ج - في قوله -تعالى-: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ [الإسراء:١٩] قال أبو حيان ~ : «﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ أي: ثواب الآخرة بأن يؤثروها على الدنيا ويعقد إرادته بها، وسعى فيما كلف من الأعمال والأقوال سعيها، أي: السعي المعد للنجاة فيها، ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ هو الشرط الأعظم

(١) البحر المحيط (٥/٥٠٧).

(٢) البحر المحيط (٥/٢٢٠).

في النجاة فلا تنفع إرادة ولا سعي إلا بحصوله، وفي الحقيقة هو الناشئ عنه إرادة الآخرة والسعي للنجاة، وحصول الثواب، وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث، لم ينفعه عمله، إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارة إلى من اتصف بهدف الأوصاف وراعي معنى من، فلذلك كان بلفظ الجمع، والله -تعالى- يشكرهم على طاعتهم وهو المشكور على ما أعطى من العقل وإنزال الكتب وإيضاح الدلائل، وهو المستحق للشكر حقيقة، ومعنى شكره تعالى المطيع إلا ثناء عليه وثوابه على طاعته » [(١)].

وبعد فهذه بعض أهم النقاط التي في منهج هذا المفسر الجليل ~ نجد فيها دقته وبراعته في عرض تفسيره، وتدرجه في بيان معاني القرآن الكريم، مع تمكن في الشرح والتوضيح، والتزام بالمنهج في معظم الكتاب -رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته-.

(١) البحر المحيط (٦/ ١٨).

الفصل الثاني

منهج أبي حيان في الترجيح في التفسير

وفيه تمهيد ومبحثان : -

التمهيد : تعريف التعارض، والترجيح، وذكر أسباب الاختلاف عند المفسرين.

المبحث الأول :صيغ الترجيح و آساليبه عند أبي حيان الأندلسي.

المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند أبي حيان الأندلسي.

تمهيد

تعريف التعارض، والترجيح، وذكر أسباب الاختلاف عند المفسرين

من العلوم المهمة التي ينبغي للمفسر معرفتها معرفة موهم المختلف، وهو ما يوهم التعارض بين آيات القرآن الكريم، وكلام الله -جل جلاله- منزه عن الاختلاف كما قال -تعالى-: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[1] ولكن قد يقع للمبتدئ أو الناظر ما يوهم اختلافاً، وليس به؛ فاحتيج لإزالته[2].

أولاً: تعريف التعارض:

التعارض في اللغة: هُوَ تَفَاعُلٌ من الْعُرْضِ - بِضَمِّ الْعَيْنِ - وهو النَّاحِيَةُ وَالْجِهَةُ، وَكَأَنَّ الْكَلَامَ الْمُتَعَارِضَ يَقِفُ بَعْضُهُ فِي عُرْضٍ بَعْضٍ، أَيْ: نَاحِيَتِهِ وَجِهَتِهِ، فَيَمْنَعُهُ من النُّفُوذِ إلَى حَيْثُ وُجِّهَ، ويقال: عارضه بمثل ما صنع، أي: أتى إليه بمثل ما أتى، وعارض الكتاب بالكتاب، أي: قابله[3].

وفي الِاصْطِلَاحِ: تَقَابُلُ الدَّلِيلَيْنِ على سَبِيلِ الْمُمَانَعَةِ[4].

ثانياً: تعريف الترجيح:

الترجيح لغة: يقال: رجح الميزان، يرجح ويرجح بالضم والفتح رجحاناً فيهما، أي: مال، ورجح الشيء بيده رزنه ونظر ما ثقله[5].

والترجيح عند الأصوليين: تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل[6].

قال الزركشي: « وَالْقَصْدُ منه - أي: الترجيح - تَصْحِيحُ الصَّحِيحِ، وَإِبْطَالُ الْبَاطِلِ، اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لم يُنَصِّبْ على جَمِيعِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ أَدِلَّةً قَاطِعَةً، بَلْ جَعَلَهَا ظَنِّيَّةً قَصْدًا

(١) سورة النساء: آية ٨٢.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: (١/ ٥٣)، والإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٧٩).

(٣) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه: (٤/ ٤٠٧)، ومختار الصحاح: (١/ ١٧٨).

(٤) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه: (٤/ ٤٠٧).

(٥) انظر: لسان العرب: (٢/ ٤٤٥)، ومختار الصحاح: (١/ ٩٩).

(٦) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه: (٤/ ٤٢٥).

لِلتَّوْسِيعِ على المُكَلَّفِينَ، لِئَلَّا يَنْحَصِرُوا في مَذْهَبٍ وَاحِدٍ؛ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ عليه، وإذا ثَبَتَ أَنَّ المُعْتَبَرَ في الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الأَدِلَّةُ الظَّنِّيَّةُ، فَقَدْ تُعَارَضُ بِعَارِضٍ في الظَّاهِرِ بِحَسَبِ جَلَائِهَا وَخَفَائِهَا، فَوَجَبَ التَّرْجِيحُ بَيْنَهُمَا وَالْعَمَلُ بِالْأَقْوَى، وَالدَّلِيلُ على تَعَيُّنِ الْأَقْوَى أَنَّهُ إذا تَعَارَضَ دَلِيلَانِ أو أَمَارَتَانِ، فَإِمَّا أَنْ يَعْمَلَا جميعاً، أو يُلْغَيَا جميعاً، أو يُعْمَلَ بِالرَّاجِحِ دُونَ المَرْجُوحِ، وَهَذَا مُتَعَيِّنٌ » [(١)].

والترجيح في التفسير: هو تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل، أو قاعدة تقويه، أو لتضعيف، أو ردِّ ما سواه [(٢)].

ثالثاً: أسباب الاختلاف في التفسير:

يذكر المفسرون في تفاسيرهم كثيراً من الأقوال في معنى كثير من الآيات، وقد يبدو للناظر فيها اختلاف الأقوال، إلا أن العلماء بيّنوا ذلك الاختلاف، وسببه ووجوهه.

قال الزركشي ~ : « يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم - أي: المفسرين -، ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، ويظنُّ مَنْ لا فهم عنده أن في ذلك اختلافاً فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه؛ لأنه أظهرُ عند ذلك القائل، أو لكونه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى واحد غالباً، والمراد الجميع، فليتفطن لذلك، ولا يفهم من اختلاف العبارات، اختلاف المرادات،...

هذا كله حيث أمكن الجمع، فأما إذا لم يمكن الجمع، فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم عنه إن استويا في الصحة، وإلا فالصحيح المتقدم، وكثيراً ما يذكر المفسرون شيئاً في الآية، على جهة التمثيل لما دخل في الآية، فيظن بعض الناس أنه قَصَر الآية على ذلك » [(٣)].

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه: (٤/ ٤٠٦).

(٢) انظر: قواعد التفسير عند المفسرين: (١/ ٣٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٧٦ - ١٧٧).

وللاختلاف في التفسير أسباب كثيرة، منها:

١ - وقوع المخبَر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى، كقوله -تعالى- في خلق آدم إنه ﴿مِن تُرَابٍ﴾[(١)]، ومرة ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[(٢)]، ومرة ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾[(٣)]، ومرة ﴿مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[(٤)].

قال الزركشي ~ : « وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة؛ لأن الصلصال غير الحمأ، والحمأ غير التراب، إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال »[(5)].

٢ - اختلاف الموضوع:

كقوله -تعالى-: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[(٦)]، وقوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾[(٧)]، مع قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾﴾[(٨)].

قال الزركشي ~ : « حمله غيره[(٩)] على اختلاف الأماكن؛ لأن في القيامة مواقف كثيرة فموضع يسأل ويناقش، وموضع آخر يرحم ويلطف به، وموضع آخر يعنف ويوبخ وهم الكفار، وموضع آخر لا يعنف وهم المؤمنون »[(١٠)].

---

(١) سورة آل عمران: آية ٥٩.

(٢) سورة الحجر: آية ٢٦.

(٣) سورة الصافات: آية ١١.

(٤) سورة الرحمن: آية ١٤.

(٥) المرجع السابق: (٢/ ٦٤).

(٦) سورة الصافات: آية ٢٤.

(٧) سورة الأعراف: آية ٦.

(٨) سورة الرحمن: آية ٣٦.

(٩) يقصد الحليمي - رحمه الله -؛ حيث ذكر قول له في المراد بالآيات المذكورة.

(١٠) البرهان في علوم القرآن: (٢/ ٦٤).

٣ - الاشتراك الواقع في الألفاظ واحتمالها للتأويلات، وهو على ثلاثة أقسام:

- اشتراك في موضوع اللفظ المفرد: كالقرء في قوله -تعالى-: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [1] فقد ورد في لغة العرب بمعنى: الطهر، وبمعنى: الحيض[2]، ويمتنع حمل الآية على المعنيين معاً؛ لأن القول بأحدهما يستلزم نفي الآخر[3].

- اشتراك في أحواله العارضة في التصريف نحو: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[4]، فتصريف لفظة ﴿يُضَآرَّ﴾ تحتمل أن تكون (يُضارَر) وتحتمل أن تكون (يضارِر)، فعلى الاحتمال الأول يكون النهي واقعاً على أن يُضر بالكاتب أو الشهيد، وعلى الاحتمال الثاني يكون النهي واقعاً على أن يَضرَّ الكاتب والشهيد[5].

- اشتراك من قبل التركيب نحو ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [6]، ففي قوله: ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ ضميران: الضمير الظاهر، وهو الهاء، وهو في محل نصب مفعول به، والمعنى: والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، والضمير المستتر، وهو في محل رفع فاعل، والمعنى: والعمل الصالح يرفعه الله [7].

٤ - دورانه بين العموم والخصوص نحو قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [8] قيل: هذه الآية حكمها عام، ثم خصصها قوله -تعالى-: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [9]، وقيل: إنها ليست مخصصة، بل المشركات هن عابدات الأوثان

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٢٨.

(٢) انظر: مختار الصحاح: (١/ ٢٢٠)، ولسان العرب: (١/ ١٣٢).

(٣) انظر: الموافقات: (٤/ ٢١١ - ٢١٢)، وفصول في أصول التفسير: (٦٦ - ٦٧).

(٤) سورة البقرة: آية ٢٨٢.

(٥) انظر: الموافقات: (٤/ ٢١١ - ٢١٢)، وفصول في أصول التفسير: (٦٩).

(٦) سورة فاطر: آية ١٠.

(٧) انظر: الموافقات: (٤/ ٢١١ - ٢١٢)، وفصول في أصول التفسير: (٦٨).

(٨) سورة البقرة: آية ٢٢١.

(٩) سورة المائدة: آية ٥.

من العرب وغيرهم ممن ليس لهم كتاب[1].

٥ - دعوى النسخ وعدمه: نحو قوله -تعالى-: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [2]، قيل: هي منسوخة بآية الزكاة، وقيل: هي محكمة، وهي في الصدقة العامة المندوب إليها[3].

٦ - أن يذكر في التفسير عن النبي ﷺ في ذلك شيء، أو عن أحد من أصحابه، أو غيرهم، ويكون ذلك المنقول بعض ما يشمله اللفظ، ثم يذكر غير ذلك القائل أشياء أخر مما يشمله اللفظ أيضاً، فينص المفسرون على نصهما فيظن أنه خلاف،كما نقلوا في ﴿ٱلْمَنَّ﴾: أنه خبز رقاق، وقيل: زنجبيل، وقيل: الترنجبين، وقيل: شراب مزجوه بالماء، فهذا كله يشمله اللفظ لأن الله من به عليهم،... فيكون المنّ جملة نعم ذكر الناس منها آحاداً[4].

٧ - أن يذكر في النقل أشياء تتفق في المعنى، بحيث ترجع إلى معنى واحد، فيكون التفسير فيها على قول واحد، ويوهم نقلها على اختلاف اللفظ أنه خلاف محقق، كما قالوا في (السلوى): إنه طير يشبه السماني، وقيل: طير أحمر صفته كذا، وقيل: طير بالهند أكبر من العصفور،.... فمثل هذا يصح حمله على الموافقة، وهو الظاهر فيها[5].

إلى غير ذلك من الأسباب التي تؤدي إلى الاختلاف في التفسير.



---

(١) انظر: الموافقات: (٤/ ٢١٣)، وفصول في أصول التفسير: (٧١).

(٢) سورة البقرة: آية ٢١٩.

(٣) انظر: الموافقات: (٤/ ٢١٣)، وفصول في أصول التفسير: (٧١).

(٤) انظر: الموافقات: (٤/ ٢١٥).

(٥) انظر: المرجع السابق: (٤/ ٢١٥).

المبحث الأول

صيغ الترجيح وأساليبه عند أبي حيان الأندلسي

وفيه خمسة مطالب :

- **المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح.**
- **المطلب الثاني: التفسير بقول مع النص على ضعف غيره.**
- **المطلب الثالث: التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض.**
- **المطلب الرابع: الاكتفاء بذكر القول الذي يراه راجحاً، دون ذكر بقية الأقوال الأخرى الواردة في الآية.**
- **المطلب الخامس: تقديم القول مع الاستدلال بما يفيد ترجيحه.**



المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح

التنصيص على القول الراجح من أوضح طرق الترجيح عند المفسّرين، وقد تنوعت صيغ التنصيص على القول الراجح عند أبي حيّان ~ في عدة طرق، وهذه بعض الصيغ التي استخرجتها من القدر المحدد لي دراسته :

١) التصريح باختيار أحد الأقوال في تفسير الآية:- كقوله:

- والذي اختاره[(١)].
- والذي نختاره[(٢)].
- والذي أقوله[(٣)].
- والمعنى عندي[(٤)].
- وترجيح ما ينبغي أن يرجح[(٥)].
- والصواب عندي[(٦)].
- والذي ينبغي، بل لا يعدل عنه[(٧)].
- والمعتمد ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما[(٨)].
- فوجب القطع أن المراد هو[(٩)].

---

(١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٤٣١).
(٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٢٣أ٢٥).
(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥٢٥)، (٦/ ١٦٦).
(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٦٦).
(٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٤٧).
(٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٩٥).
(٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٦٩).
(٨) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٤٠).
(٩) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٥٠).

- وهو الراجح[١].
- وظاهر النص دليل على أن[٢].
- والأظهر عندي[٣].
- والذي يظهر لي[٤].

<u>٢) التصريح بتصحيح أو تصويب أحد الأقوال:- كقوله:</u>

- والصحيح[٥].
- وهو صحيح المعنى[٦].
- والأول أصوب[٧].
- وهو كلام صحيح[٨].
- وهذا الكلام في غاية الظهور[٩].
- والأول أصح[١٠].
- ولا يعتمد إلا قول الرسول ﷺ[١١].

---

(١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٨٨).

(٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٧٤).

(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١١٦-١٤٧).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥١٦)، (٦/ ١١، ٤٧، ٨١، ١٢٨).

(٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٧، ٢٤، ٥٣، ٩٤، ١١٢، ١٢٨، ١٦٨).

(٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٤٧).

(٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٥٥، ١٥٣).

(٨) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٧).

(٩) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٧).

(١٠) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١١٣).

(١١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٤١).

- وقول الجمهور أثبت[١].
- وهو قول جمهور أهل العلم[٢].

٣) التنصيص على تحسين قول وتفضيله على غيره:- كقوله:

- والأولى[٣].
- أولى[٤].
- أرجح[٥].
- والأقرب من هذه الأقوال[٦].
- والأحسن[٧].
- والأجود[٨].
- الأول أولى[٩].
- وهو كلام حسن[١٠].
- وهو قول حسن[١١].

---

(١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥٣١).

(٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٥).

(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٣١، ٥٦، ١٧٦، ١٨٢، ٢٠٧).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٢، ١١٤، ١٨٨).

(٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٩٩، ١٧٨، ١٨٨).

(٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٦٠).

(٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٦٣، ٧١، ٨٥).

(٨) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٣٥، ٧٠).

(٩) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١١٤).

(١٠) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥٢٥).

(١١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٩٤).

- والمشهور[١].
- والوجه الثاني هو الظاهر[٢].
- ويرجح القول الأول[٣].
- والظاهر القول الأول[٤].
- والأظهر[٥].
- وهو قول الجمهور[٦].
- وهو قول الأكثرين[٧].

فهذه الصيغ ظاهرة في الدلالة على الراجح مِنَ الأقوال في تفسير الآية، وإن كان بعضها أبين من بعض في بيان الراجح.

---

(١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٤٩).

(٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٠٧).

(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٢٠٢).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٦٥).

(٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٦، ٩٤، ١١٩، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٤، ١٦٩، ١٨٤، ٢٠٢).

(٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥١٦)، (٦/ ٦، ١٢٧، ١٣٩، ١٤١، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٨).

(٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٢٠٧).

المطلب الثاني: التفسير بقول مع النصّ على ضعف غيره

التفسير بقول مع النص على ضعف غيره يؤدي إلى حصر القول الرّاجح، أو الأقوال الرّاجحة فيما عدا الأقوال المردودة، وإن لم يبين المفسر اختياره وترجيحه.

قال ابن عبدالبرّ[(١)] ~ في اعتبار العلماء لهذه الطريقة في الترجيح بين الأقوال بقوله: « ولا خلاف ين أهل العلم والنظر أنّ المسألة إذا كان فيها وجهان، فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما، أنّ الحقّ في الوجه الآخر، وأنه مستغنٍ عن قيام الدّليل على صحته، بقيام الدّليل على بطلان ضّده »[(٢)].

وفي تضعيف القول المرجوح طريقان:

الأول: التصريح بالنصّ على التضعيف، بأن يكون فيه لفظ الضعف، وما في معناه: كقول أبي حيّان ~ :

- ويبعد ما قاله بعض المتأولين[(٣)].
- وهو قول ضعيف[(٤)].
- وهذا بعيد[(٥)].
- ويبعد[(٦)].

---

(١) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي، أبو عمر، الإمام، شيخ الإسلام، حافظ المغرب، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف، ولد سنة ٣٦٨ هـ، توفي سنة ٤٦٣هـ). انظر: نفح الطيب: (٢٩/ ٩٩ - ١٠٠)، وتذكرة الحفاظ: (٣/ ١١٢ - ١١٣)، العبر في أخبار من غبر: (٣/ ٢٥٧).

(٢) التمهيد: (٢٠/ ١٩٩ - ٢٠٠).

(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٥١).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥٢٩، ٢٣٠)، (٦/ ١١٥، ١٩٢).

(٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥١١).

(٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٢٠).

- وأبعد من ذهب إلى[1].

- وهذا بعيد جداً[2].

- وهو بعيد[3].

- وهو تأويل بعيد[4].

- وهذا ضعيف بعيد[5].

- ومذهبهم محجوج بما ثبت في صحيح مسلم[6].

- ليس بصحيح[7].

- ولا يصح[8].

- ضعيف[9].

- ولا يصح هذا القول[10].

- وهذا فيه بعد[11].

- لا يصح بوجه[12].

---

(١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٥٤، ١٥٦).

(٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٦، ٣١، ١٥٦).

(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٨٢).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٢٣).

(٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٣١).

(٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٨٤).

(٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٠١).

(٨) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥١١) (٦/ ١٣٥، ١٥٩).

(٩) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٣٧).

(١٠) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٨٣).

(١١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٠٥).

(١٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥١١).

- وهذا في غاية البعد[١].

- وهذا مخالف لما ثبت في الصحيح[٢].

- وهذه أقوال في غاية الضعف[٣].

- وهذا لا يليق أن يحمل كلام الله الذي هو أفصح الكلام عليه[٤].

- وهذا غير لازم[٥].

- وفي هذا عندي نظر[٦].

- وهذا عندي لا يجوز[٧].

- لا يظهر[٨].

- وهو كلام ملفق من كلام المفسرين قبله[٩].

- وهذه كلها أقوال مضطربة[١٠].

- ولم يصح في ذلك شيء[١١].

- وليس كما قال[١٢].

---

(١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٧٩).

(٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٣٦).

(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٥٩).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٥٩).

(٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (/ ٥٩).

(٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٤٤).

(٧) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥٢٦).

(٨) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥٢٣) (٦/ ٣٣).

(٩) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥٣٠).

(١٠) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٠٠، ١٤٢، ١٧١).

(١١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٥٤).

(١٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٦٨).

الثاني: ما لم يكن صريحاً في النصّ على التضعيف، وذلك بذكر عبارة في سياق القول المرجوح تدّل على ضعفه: وذلك كقول أبي حيان ~ :

- ليس بجيد [١].
- ويحتاج هذا التوجيه إلى نظر [٢].
- ليس بسديد [٣].
- وهذا القول لا ينبغي أن يقال [٤].
- وهذا ليس بظاهر [٥].
- وهذا غريب [٦].

---

(١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٥/ ٥١٢، ٥٢٢) (٦/ ١٨، ١٨٤، ٢٠٢).

(٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٥٨).

(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٧٠).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٥٩).

(٥) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ٥٥).

(٦) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط (٦/ ١٤٩).

المطلب الثالث : التفسير بالقول الرّاجح،وذكره بصيغة الجَزْم، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض

استعمل العلماء هذه الصيغة في الترجيح؛ وذلك باعتماد قول وذكره بصيغة الجزم، كقال، ورَوى، وذَكر فلان، إشارة لترجيح هذا القول وتصويبه، وأما الأقوال التي لم يعتمدوها فذكروها بصيغة التمريض، كرُوِيَ، وقيل، وذُكِرَ، وما في معناها، إشارة إلى تضعيفهم لها. وهذه الطريقة يعمل بها علماء الحديث وغيرهم في التصحيح والتضعيف بين الأقوال(١).

وهذه الصيغة واضحة الدّلالة على الترجيح والاختيار، إلا أنها ليست في قوةّ الصّيغ السّابقة التي ينصّ فيها العالم على القول الرّاجح، وبيان القول المرجوح؛ لأن هذه الصّيغة يكون فيها احتمال، والأقوال الأخرى قد يكون فيها وجه من الصحة.

وأبو حيّان ~ استعمل هذه الصيغة، إلا أنه في الغالب يوجد في كلامه ما يشير إلى توجهه إلى القول الذي جزم به، وأغلبها استعماله للفظة (الظاهر):

كقوله ~ :

١ - والظاهر(٢).

٢ - ويظهر(٣).

٣ - والذي يظهر لي(٤).

---

(١) انظر: الباعث الحثيث: (٨٦)، والنكت على ابن الصلاح: (١/ ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٣٧)، وأصول الحديث: (٣٥٧ - ٣٥٨).

(٢) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٥)، (٦/ ٥، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٣، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٩، ٤٥، ٥١، ٥٣، ٥٦، ٦٣، ٧١، ٧٣، ٧٧، ٨٠، ٨٢، ٨٥، ٩٤، ١٠٠، ١٠٨، ١١٢، ١١٥، ١١٩، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٩، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٨، ١٩١، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣).

(٣) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥١٣)، (٦/ ٥، ١٣، ٤٦، ١١٣، ١١٩).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥١٦)، (٦/ ١١، ٤٧، ٨١، ١٢٨، ١٥٧، ١٨٨، ١٩٢).

٤ – والأظهر[١].

٥ – وهذا هو الظاهر[٢].

مثال ذلك:

أ – في قوله –تعالى–: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الإسراء: ١) قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن قوله ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ هو: المسجد المحيط بالكعبة بعينه، وهو قول أنس، وقيل: من الحجر، وقيل: من بين زمزم والمقام، وقيل: من شعب أبي طالب، وقيل: من بيت أم هاني، وقيل: من سقف بيته عليه الصلاة والسلام وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون أطلق المسجد الحرام على مكة »[٣].

ب – في قوله –تعالى–: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء:١٠٧] قال أبو حيان ~ :

« والظاهر أن الضمير في قوله ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ عائد على القرآن...، والظاهر أن الضمير في قوله (من قبل) عائد على القرآن كما عاد عليه في قوله: (به) ويدل عليه ما قبله وما بعده، وقيل: إن الضميران في (به) وفي (قبله) عائدان على الرسول ﷺ »[٤].

---

(١) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٦/ ٩٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٩، ١٨٤).

(٢) انظر البحر المحيط (٥/ ٥٢٧، ٥٢٨).

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ٦)، وانظر المسألة رقم (٢) من سورة الإسراء.

(٤) انظر البحر المحيط (٦/ ٨٥) باختصار يسير، وانظر المسألة رقم (٥٧) من سورة الإسراء.

المطلب الرابع: الاكتفاء بذكر القول الذي يراه راجحاً، دون ذكر بقية الأقوال الأخرى الواردة في الآية

وصورته أن يرد في معنى الآية عدة أقوال، فلا يذكرها أبو حيان ~ ، ويكتفي بذكر القول الذي يراه راجحاً فقط دون أن يذكر بقية الأقوال، فعدم إيراده لبقية الأقوال دليل على أنه حصر الصواب في المعنى الذي ذكره فقط.

ومثالـــه:

في قوله -تعالى-: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الإسراء:١٠٤].

أ- قال أبو حيان ~ في المراد بالأرض المأمور بسكناها: « والضمير من بعده عائد على فرعون أي من بعد إغراقه، والأرض المـأمور بسكناها: أرض الشام »[(١)]، فهو لم ينظر إلى بقية الأقوال الأخرى التي ذكرها المفسرون بل رجحه هذا القول فقط ولم يذكر غيره.

ب- قال أبو حيان ~ في المراد بوعد الآخرة: « والظاهر أن يكون الأمر بذلك حقيقة على لسان موسى عليه السلام، ووعد الآخرة: قيام الساعة »[(٢)].

فقد وردت أقوال أخرى للمفسرين في المراد بوعد الآخرة، كنزول عيسى عليه السلام، ووعد الكَرْة ووعد الإقامة، ولكنه لم يذكر إلا قيام الساعة وهذا دليل على أنه حصر الصواب في هذا المعنى دون غيره.

---

(١) انظر البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر المسألة رقم (٥٤) من سورة الإسراء .

(٢) انظر البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر المسألة رقم (٥٥) من سورة الإسراء .

المطلب الخامس: تقديم القول مع الاستدلال له بما يفيد ترجيحه

والمراد بالتقديم هنا أن يذكره عند سرد الأقوال أولاً، ولا يخفى أن لسياق الأقوال في مساق الترجيح طرقاً، منها: أن يقدم القول الراجح مع دليله؛ ليصدر الكلام به، فيظهر فضله على غيره من البداية.

وعليه فإن تقديم القول في سياق الترجيح قد يدل على الترجيح والاختيار، والتفضيل له على ما سواه، إذا حفّت بذلك القرائن، كأن يستدل له ويقرره بأوجه الترجيح المعتبرة ويذكر الأقوال المتأخرة ذكراً عارياً من الاستدلال.

وقد استخدم أبو حيان ~ هذه الطريقة، مثال ذلك:

أ. في قوله -تعالى-: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الإسراء:١٠٢]، قال أبو حيان ~ : « الثبور: الهلاك، يقال ثبر الله العدو أهلكه، وقال ابن الزبعري:

إذا أجَاري الشيطان في سنن الغَيَّ وَمَـنْ مَـال مِثْلَـهُ مَثْبُـور[1]

لذلك آل أمر فرعون إلى الهلاك، كان موسى عليه السلام يتوقع من فرعون أذى، كما قال: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ ، فأمر أن يقول له قولاً ليناً، فلما قال له الله لا تخف، وثق بحماية الله فصال فرعون صولة المحمي، وقابله من الكلام بما لم يقابله به قبل ذلك، ومثبور: مهلك في قول الحسن ومجاهد، وملعون في قول ابن عباس، وناقص العقل فيما روى ميمون بن مهران، ومسحور في قول الضحاك، قال: رد عليه مثل ما قاله له فرعون مع اختلاف اللفظ، مثبور: مصروف عن الخير مطبوع على قلبك من قولهم: ما ثبرك عن هذا، أي: ما منعك وصرفك »[2].

---

(١) البيت من الخفيق لعبدالله بن الزبعري من مقطوعة أربعة أبيات، قالها حين جاء النبي ﷺ مسلماً معتذراً عما فرط منه من هجائه بتحريض قريش على ذلك. انظر سيرة ابن هشام ص(٤١٩)، والجمهرة (٢/ ٢٧٧).

(٢) انظر البحر المحيط (٦/ ٦٧ - ٨٤) باختصار، وانظر دراسة مسألة رقم (٥٣) من سورة الإسراء.

ب. ما ذكره أبو حيان ~ عند قوله -تعالى-: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف:٦٥] قال: « والجمهور على أنه الخضر، وخالف من لا يعتد بخلافه فزعم أنه عالم آخر، وقيل: اليسع، وقيل: إلياس، وقيل: خضرون بن قابيل بن آدم عليه السلام »[1].

فهذه بعض الصّيغ في الترجيح في التفسير، والتي سار عليها أبو حيّان في تفسيره، واستخدمها في ترجيحه بين الأقوال.

(١) البحر المحيط: (٦/ ٤٣٩)، وانظر المسألة رقم (٦٤) من سورة الكهف.

المبحث الثاني

وجوه الترجيح عند أبي حيان الأندلسي

وفيه أحد عشر مطالب :

- **المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية.**
- **المطلب الثاني: الترجيح بالحديث النبوي.**
- **المطلب الثالث: الترجيح بظاهر القرآن.**
- **المطلب الرابع: الترجيح بالقراءات.**
- **المطلب الخامس: الترجيح بالسياق.**
- **المطلب السادس: الترجيح بأسباب النزول.**
- **المطلب السابع: الترجيح بمعرفة الناسخ والمنسوخ.**
- **المطلب الثامن: الترجيح بالعموم.**
- **المطلب التاسع: الترجيح بالمطلق والمقيد.**
- **المطلب العاشر: الترجيح بالمنطوق والمفهوم.**
- **المطلب الحادي عشر : الترجيح باللغة.**



المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية

من وجوه الترجيح التي استخدمها كثيراً أبو حيان ~ في تفسيره، الترجيح بالنظائر القرآنية، وهو يعني: الترجيح بدلالة آية أو آيات قرآنية، وهو وجه مقدم ومعتمد عند العلماء، فعند الاختلاف في تفسير آية، فإن كان أحد الدّليلين موافقاً لظاهر القرآن فيقدم؛ لأجل موافقته لآية أو آيات من كتاب الله(1)، كما أنّ القول الذي تؤيّده آيات قرآنية مقدّم على ما عُدِمَ ذلك(2).

وقد رجح أبو حيان بين الأقوال في تفسيره باستخدام النظائر القرآنية في مواضع عدة، ومن ذلك ما يلي:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء:٥٢] قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن الدعاء حقيقة أي: يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الأخيرة، كما قال: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق:٤١] »(3).

ب - في قوله -تعالى-: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء:٥٣] قال أبو حيان ~ : « والذي يظهر أن لفظة (عبادي) مضافة إليه تعالى كثر استعمالها في المؤمنين في القرآن كقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ [الزمر:١٧-١٨] وقوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾﴾ [الفجر:٢٩] وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان:٦] »(4).

ج - في قوله -تعالى-: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم:٥٠] قال أبو حيان ~ : « ولسان الصدق: الثناء الحسن الباقي عليهم آخر الأبد، قاله ابن عباس، وعبر باللسان كما عبر باليد وهي العطية، واللسان في كلام العرب

---

(1) انظر: المنخول من تعليقات الأصول لأبي حامد الغزالي: (٤٣١ - ٤٣٢)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي: (٤/ ٤٦٩).

(2) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، للحربي: (١/ ٣١٢).

(3) البحر المحيط (٦/ ٤٥)، وانظر المسألة رقم (٤٨) من سورة الإسراء.

(4) البحر المحيط (٦/ ٤٧)، وانظر المسألة رقم (٢٥) من سورة الإسراء.

الرسالة الرائعة كانت في خير أو شر.... ولسان العرب: لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته، ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [الشعراء:٨٤] فصيره قدوة حتى عظمه أهل الأديان كلهم وادَّعوه، وقال -تعالى-: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ [الحج: ٧٨] وقوله: ﴿بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [البقرة:١٣٥] وقوله: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [النحل:١٢٣] وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم، كما أعلى ذكره وأثنى عليه »[1].

(١) البحر المحيط: (٦/ ١٨٥)، وانظر المسألة رقم (٣٠) من سورة مريم .

المطلب الثاني: الترجيح بالحديث النبوي

اعتمد العلماء - رحمهم الله - في ترجيحهم بين الأقوال على حديث الرسول الله ﷺ، واشترطوا في ذلك ثبوته عن النبي ﷺ، فبينوا ما يحتج به من الأحاديث، وما لا يحتج به[1].

وقد سار أبو حيان ~ في ترجيحه بين الأقوال في تفسيره على ذلك، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:٤٦] قال أبو حيان ~ : « و﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ قال الجمهور: هي الكلمات المأثور فضلها «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، وقال ابن عباس { وابن جبير وأبو عمرو بن شرحبيل[2]: هي الصلوات الخمس، وعن ابن عباس ﷺ: أنه كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة، وقول الجمهور مروي عن رسول الله ﷺ[3]

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١٣/ ٣٦٣ - ٣٦٤)، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٢/ ١٩٢، ٢٠٠)، والموافقات في أصول الأحكام للشاطبي: (٤/ ٧ - ٨)، وقواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: (١/ ١٩١).

(٢) أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني، الكوفي، ذكره البخاري وغيره في التابعين، وثقه ابن معين وآخرون، وكان من أفاضل أصحاب عبدالله بن مسعود، مات سنة ٦٣هـ. انظر الإصابة (٥/ ١٤٦)، والطبقات الكبرى (٦/ ١٠٦).

(٣) تخريج الحديث: أخرجه بهذا اللفظ الطبري في جامع البيان (١٥/ ٢٩٥)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة، باب ثواب من سبح الله مائة تسبيحة وتحميدة ةتكبيرة (٦/ ٢١٢)، والإمام أحمد في مسنده باب حديث النعمان بن بشير ﷺ (٤/ ٢٦٧)، وقد ورد هذا الحديث من رواية أبي سعيد الخدري ﷺ قال: استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وما هي يارسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله » قال عنه الألباني: ضعيف. انظر الترغيب والترهيب (١/ ٢٣٧)، وشعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف (٢/ ٧٥)، وأما الروية التي استدل بها أبو حيان رحمه الله، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: خذوا جُنتكم قالوا: يا رسول الله: عدوٌ حضر، قال:لا، ولكن جنتكم من النار، قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنهن يأتين يوم القيامة مجنيات ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات » ورواه النسائي واللفظ له والحاكم، والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم وقال الألباني في صحيح الترغيب ولترهيب: صحيح (٢/ ٢١٢)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٩/ ٤٤) حديث رقم (٣٢٦٤).

من طريق أبي هريرة وغيره »[1].

ب - في قوله -تعالى-: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف:٦٠] قال أبو حيان ~ : « موسى المذكور في هذه الآية: هو موسى بن عمران عليه السلام، ولم يذكر الله في كتابه موسى غيره، ومن ذهب إلى أنه غيره - وهو موسى بن ميشا بن يوسف أو موسى بن افراثيم بن يوسف - فقول لا يصح بل الثابت في الحديث الصحيح[2] وفي التواريخ أنه موسى بن عمران نبي بني إسرائيل »[3].

ج - وفي قوله -تعالى-: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الكهف:٦١] قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن السرب كان في المآء ولا يفسر إلا مما ورد في الحديث الصحيح[4] أن الماء صار عليه كالطاق[5] »[6].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٢٧) وانظر المسألة رقم (٤٠) من سورة الكهف.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله (١/ ٥٦)، وفي كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام (٣/ ١٢٤٦)، وفي صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٤٧). وذلك لما جاء من طريق سعيد بن جبير قلت لابن عباس: ابن نوف البِكالي يزعم أن موسى نبي بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر، قال: كذب عدو الله حدثني أُبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل، أي الناس أعلم. فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه: أن لي عبداً بمجمع البحرين وهو أعلم منك).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٣٥) وانظر المسألة رقم (٥٨) من سورة الكهف.

(٤) انظر صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٣/ ١٢٤٦)، وفي كتاب التفسير، باب سورة الكهف (٤/ ١٧٥٢) ولفظه « واضطرب الحوت فخرج، فسقط في المآء فاتخذ سبيله في البحر سرباً، فأمسك الله عن الحوت جرية المآء فصار مثل الطاق، وفي رواية مسلم [فاضطرب الحوت في المآء فجعل لا يلتئم عليه حتى صار مثل الكوة » انظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٤٧).

(٥) الطاق: ما عُطف من الأبنية، أي: جُعل كالقوس من قنطرة ونافذة. انظر لسان العرب (١٠/ ٢٢١)، والقاموس المحيط ص(١١٦٩).

(٦) البحر المحيط (٦/ ١٣٧)، وانظر المسألة رقم (٦١) من سورة الكهف.

المطلب الثالث: الترجيح بظاهر القرآن

إن ألفاظ القرآن ثلاثة أقسام:

١ - نصوص لا تحتمل إلا معنى واحداً، فهي تفيد اليقين بمدلولها قطعاً، ولا يعدل عنها إلا بنسخ، وعامة ألفاظ القرآن من هذا الضرب.

٢ - ظواهر تحتمل غير معناها احتمالاً بعيداً مرجوحاً، ولكن قد اطردت في موارد استعمالها على معنى واحد، فجرت مجرى النصوص التي لا تحتمل غير مسماها، ولا يعدل عنها إلا بدليل على قصد المحتمل المرجوح.

٣ - ألفاظ مجملة تحتاج إلى بيان، ويتوقف عن العمل بها إلا بدليل على تعيين المراد(١).

والأصل في نصوص القرآن والسّنة أن تحمل على ظواهرها، وتفَسر على حسب ما يقتضيه ظاهر اللّفظ، ولا يجوز أن يعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا بدليل واضح يجب الرجوع إليه؛ لأنه لا يُعرف مراد المتكلم إلاّ بالألفاظ الدّالة عليه، والأصل في كلامه وألفاظه أن يكون دالاً على ما في نفسه مِن المعاني، وليس لنا طريق لمعرفة مراده -تعالى- غير كلامه وألفاظه، وكلّ تفسير ليس مأخوذاً من ظاهر ألفاظ الآية وسياقها فهو ردٌّ على صاحبه (٢).

والظّاهر لغة: الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوّة وبروز. من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر إذا انكشف وبرز، وبذلك سُمّي وقت الظهر الظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها، والأصل فيه كلّه ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة، فالظاهر: ضد الباطن، وظَهَر الشيء إذا تبين، وأظهرته: بينته:

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية: (٢/ ٦٧٠ - ٦٧٢)، ومذكرة في أصول الفقه: (٢١١)، والمستصفى من علم الأصول: (٣/ ٨٤)، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: (١/ ٣٩٨ - ٣٩٩)، والإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٩٥).

(٢) انظر: المنخول: (٤٣٢)، وقواعد الترجيح عند المفسرين: (١/ ١٣٧).

والظّهور: بدو الشيء الخفي [1].

والظّاهر اصطلاحاً: ما دلّ على معنى، واحتمل غيره احتمالاً مرجوحاً [2].

والظاهر على ضربين[3]:

الضرب الأول: الظاهر بالوضع، وهو نوعان

١) ظاهر بوضع الشرع، مثل الصلاة والصيام.

فالصيام: إمساك مخصوص في وقت مخصوص في زمان مخصوص، وكذلك الصلاة.

٢) ظاهر بوضع اللغة، مثل: الأمر إذ يحتمل الإيجاب كما يحتمل الندب، إلا أنه في الأول أظهر.

وكذلك النهي حيث يحتمل التحريم ويحتمل الكراهية، وهو في الأول أظهر.

وحكم هذا:- أنه يجب المصير إليه، وهو لا يجوز العدول عنه إلا بدليل أقوى منه يدل على صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى الاحتمال المرجوح، وهذا ما يسمى بالتأويل.

الضرب الثاني: الظاهر بالدليل، مثل: الأمر بصيغة الخبر.

وقد اعتمد أبو حيان ~ هذا الوجه في مواطن كثيرة جداً من تفسيره[4]، ولعل

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللُّغة: (٣/ ٤٧١)، مختار الصحاح: (١/ ١٧١)، ومفردات ألفاظ القرآن: (٥٤٠)، ولسان العرب: (٤/ ٥٢٣)، مادة: ظهر.

(٢) انظر: البحر المحيط، للزركشي: (٣/ ٢٥)، والبرهان في علوم القرآن: (٢/ ٢٣٤)، والإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٩٥).

(٣) انظر: التمهيد لأبي الخطاب (١/ ٨)، والمذكرة في أصول الفقه للشنقيطي (١٧٦).

(٤) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط: (٥/ ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٥)، (٦/ ٥، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٣، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٩، ٤٥، ٥١، ٥٣، ٥٦، ٦٣، ٧١، ٧٣، ٧٧، ٨٠، ٨٢، ٨٥، ٩٤، ١٠٠، ١٠٨، ١١٢، ١١٥، ١١٩، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٩، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٨، ١٩١، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٣).

الذي جعله ينحو هكذا أنه كان في أول أمره ببلاد الأندلس ظاهري المذهب، ثم لما وصل إلى مصر صار شافعياً.

يقول عنه ابن حجر - رحمهما الله -: « وكان ظاهريا، وانتهى إلى الشافعية، واختصر المنهاج، وحكى عن بعضهم قوله عن أبي حيان أنه لم يزل ظاهرياً، قلت: كان أبو حيان يقول: محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه »[(1)]. وقد صدقا فيما قالا، فالناظر في البحر المحيط يدرك غلبة استعمال الظاهر عرضاً للأقوال وترجيحاً.

وفي البحر المحيط يكثر استعمال أبي حيان للفظ الظاهر، ومن ذلك ما يلي:

أ - وفي قوله -تعالى-: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ [الإسراء:٤٤] قال أبو حيان ~ : « ونسبة التسبيح للسموات والأرض ومن فيهم من مَلَك وإنس وجن، حمله بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة، وأن ما لا حياة فيه ولا نمو يحدث الله له نطقاً، وهذا هو ظاهر اللفظ، ولذلك جآء (ولكن لا تفقهون تسبيحهم)... »[(2)].

ب - في قوله -تعالى-: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ٥٢﴾ [الإسراء:٥٢] قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن الدعاء حقيقة، أي: يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الأخيرة، كما قال تعالى ﴿يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ [ق:٤١] »[(3)].

ج - وفي قوله -تعالى-: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [الإسراء:٩٧] قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن قوله ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ حقيقة كما قال تعالى ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ [القمر:٤٨] وقوله ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان:٣٤]،... وقيل: (على وجوههم)

---

(١) الدرر الكامنة (٤/ ١٨٦).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٣٦)، وانظر المسألة رقم (١٨) من سورة الإسراء.

(٣) البحر المحيط (٦/ ٤٥)، وانظر المسألة رقم (٢٣) من سورة الإسراء.

مجاز يقال للمنصرف عن أمر خائباً مهموماً انصرف على وجهه» [(١)].

د - وفي قوله -تعالى-: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف:٥٠] قال أبو حيان ~ : « والظاهر من هذه الآية أنه ليس من الملائكة، وإنما هو من الجن » [(٢)].

(١) البحر المحيط (٦/ ٨٠)، وانظر المسألة رقم (٤٨) من سورة الإسراء .

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٢٩)، وانظر المسألة رقم (٤١) من سورة الكهف .

المطلب الرابع: الترجيح بالقراءات

الترجيح بالقراءات من الأوجه المعتمدة عند المفسرين في تعضيد الأقوال المختارة، وقد قرر بعض العلماء أن تعدد القراءات بمثابة تعدد الآيات.

قال ابن تيمية ~ : « فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها »[(١)].

وقال النّحاس ~ : « إذا قرئ الحرف على وجوه، فهو منزلة آيات، كلّ واحدة تفيد معنى »[(٢)].

فمتى ثبتت القراءة فلا يجوز ردها، أو رد معناها[(٣)].

وأما القصد من القراءة الشّاذة تفسير القراءة المشهورة، وتبيين معانيها، وأدنى ما يستنبط مِن علم هذه الحروف معرفة صحة التأويل[(٤)].

وقد استعمل أبو حيان ~ القراءات في ترجيحه بين الأقوال، ومن ذلك ما يلي:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف:٥١] قال أبو حيان ~ : « وقرأ أبو جعفر[(٥)]، والجحدري[(٦)]، والحسن، وشيبة[(٧)] (وما كنتَ)

---

(١) مجموع الفتاوى: (١٣/ ٣٩١).

(٢) إعراب القرآن للنحاس: (٤/ ١٨٠).

(٣) انظر: قواعد الترجيح: (١/ ٨٩).

(٤) البرهان في علوم القرآن: (١/ ٤١٢ - ٤١٣).

(٥) يزيد بن القعقاع بن شبرمة المدني، المخزومي، مولاهم، أبو جعفر، القاريء المشهور، تابعي جليل، أحد القراء العشرة توفي سنة ١٣٠هـ. انظر معرفة القراء الكبار ص١٤٠، وغاية النهاية (٢/ ٣٨٦).

(٦) عاصم بن أبي النجود الجحدري، أبو بكر الكوفي، أحد القراء السبعة، كان أهل الكوفة يختارون قراءته، توفي سنة ١٢٧هـ. انظر معرفة القراء الكبار ص(٥١)، وغاية النهاية (١/ ٣٤٦).

(٧) شيبة بن نصاح المخزومي، المدني، القاري، القاضي، مولى أم سلمةزوج النبي ﷺ أتي به إليها وهو صغير فمسحت رأسه، وكان ختن يزيد بن أبي القعقاع، وثقه النسائي توفي سنة ١٣٠هـ. انظر تهذيب الكمال (١٢/ ٦٠٨)، والتاريخ الكبير (٤/ ٢٤١).

بفتح التاء[١] خطاباً للرسول ﷺ، وقال الزمخشري: " والمعنى ما صح لك الإعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتز بهم "[٢]. انتهى، والذي أقول أن المعنى: إخبار من الله عن نبيه وخطاب منه تعالى له في انتفاء كينونته متخذ عضد من المضلين، بل هو مذ كان ووجد ﷺ في عناية التبري منهم وللبعد عنهم، لتعلم أمته أنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته، لم يعضد بمضل ولا مال إليه ﷺ »[٣].

ب – في قوله -تعالى-: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم:٧١-٧٢] قال أبو حيان ~ : « وقرأ الجمهور (منكم)[٤] بكاف الخطاب، والظاهر أنه عام للخلق، وأنه ليس الورود الدخول لجميعهم... وقرأ الجمهور (ثم)[٥] بحرف العطف وهذا يدل على أن الورود عام »[٦].

ج – في قوله -تعالى-: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾[الكهف:٧٩] قال أبو حيان ~ : « وقرأ الجمهور (وراءهم) وهو لفظ يطلق على الخلف وعلى الأمام، ومعناه هنا (أمامهم)، وكذا قرأ ابن عباس[٧] { } »[٨].



(١) انظر الاتحاف (٢/ ٢١٧)، والنشر (٢/ ٣١١)، والجامع للقرطبي (١١/ ٤)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٤).

(٢) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٢).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٣٠)، وانظر المسألة (٤٥) من سورة الكهف.

(٤) انظر النشر (٢/ ٢٥٩)، والتيسير ص(١٤٩).

(٥) انظر السبعة ص(٤١١)، والتيسير ص(١٤٩)، والنشر (٢/ ٢٥٩)، والحجة ص(٤٤٦).

(٦) البحر المحيط (٦/ ١٩٧)، وانظر المسألة رقم (٤٩) من سورة مريم .

(٧) صحيح البخاري، كتاب التفسير (٣/ ٢٥٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٩)، انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٥).

(٨) البحر المحيط (٦/ ١٤٦)، وانظر المسالة رقم (٧٤) من سورة الكهف .

المطلب الخامس: الترجيح بالسّياق

دلالة سياق الآيات من الأمور المهم مراعاتها في تفسير الآيات؛ وذلك لأنها ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته(١).

ومن أولى ما يرجح به بين الأقوال ما دلّ عليه سياق الكلام، وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حَمْلُه على أحدهما أوضح وأشدّ موافقة للسّياق، كان الحمل عليه أولى(٢).

فالسّياق يرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكلّ ذلك بعرف الاستعمال(٣).

والسّياق لغة: هو حدْو الشيء، يقال: سَاقَه يَسُوقُه سوقاً، والسّيقة: ما استيق من الدّواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها وأَسَقْتُه، والمساوقَة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً، يقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، أي بعضهم على إثر بعض، ليس بينهم جارية(٤).

والسّياق اصطلاحاً: بيان اللّفظ أو الجملة في الآية بما لا يُخرجه عن السّباق واللّحاق إلاّ بدليل صحيح يجب التسليم له(٥).

والسّياق القرآني ينقسم إلى: سِباق، ولِحاق.

فالسِّباق لغة: ما قبل الشيء، ومادة "سَبْق" تدل على التقديم، وعلى هذا فالسّبق

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي: (٢/ ٢١٨).

(٢) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: (٢٢٠).

(٣) البحر المحيط في الأصول: (٦/ ٥٢).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة: (٣/ ١١٧)، ولسان العرب: (١٠/ ١٦٦ - ١٦٩)، ومختار الصحاح: (١/ ١٣٥) مادة: ساق.

(٥) انظر: دلالة السّياق القرآني وأثرها في التفسير: (١/ ٦٢).

يعني: التَّقَدُّم[(١)].

والسِّباق اصطلاحاً: الكلام الذي يبين معنى ما بعده[(٢)].

أمّا اللّحاق لغة: مصدر لحق يلحق لحاقاً، وهو إدراك شيء وبلوغه إلى غيره، يقال: لحق فلان فلاناً، فهو لاحق[(٣)].

واللِّحاق اصطلاحاً: الكلام الذي يبين معنى ما قبله[(٤)].

وقد استخدم أبو حيّان ~ هذا الوجه في الترجيح بين الأقوال، فمن ذلك:

أ- في قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾[الإسراء:٨٩] قال أبو حيان ~ : « قال -تعالى- ﴿أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ قيل: من كان في عهد الرسول ﷺ من المشركين وأهل الكتاب، وقيل: أهل مكة وهو الظاهر، بدليل ما أتى بعده من قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾[(5)]...»[(٦)].

ب- في قوله -تعالى-: ﴿قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [الكهف:٨٦] قال أبو حيان ~ : « وقوله: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ بالقتل على الكفر ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أي بالحمل على الإيمان والهدى، إما أن تكفر فتعذب، وإما أن تؤمن فتحسن، فعبر بالتخيير بالمسبب عن السبب، قال الطبري: اتخاذ الحسن هو أسرهم مع كفرهم، يعني أنه خيّر مع كفرهم بين قتلهم وأسرهم، وتفصيل ذي القرنين ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ يدفع هذا القول ولما خيره تعالى بين تعذيبهم ودعائهم إلى الإسلام اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم، فقال: أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم وهو الكفر هنا بلا

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: (٣/ ١٢٩)، والكليات: (٥٠٨).

(٢) انظر: دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير: (١/ ٦٤).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللّغة: (٥/ ٢٣٨)، ولسان العرب: (١٠/ ٣٢٧)، ومختار الصحاح: (١/ ٢٤٧)، مادة "لحق".

(٤) انظر: دلالة السّياق القرآني وأثرها في التفسير (١/ ٦٥).

(٥) سورة الإسراء: ٩٠.

(٦) البحر المحيط (٦/ ٧٧)، وانظر المسألة رقم (٤٦) من سورة الإسراء.

خلاف فذلك المعذب في الدارين، وأما من آمن وعمل ما يقتضيه الإيمان فله جزاء الحسنى»[1].

(١) انظر البحر المحيط (٦/ ١٥٢)، وانظر المسالة رقم (٨٦) من سورة الكهف .

المطلب السادس: الترجيح بأسباب النزول

تقدم ذكر عناية أبي حيان بذكر أسباب النزول، وقد اعتمده، واستدلّ به على ترجيح بعض الأقوال في التفسير، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء:٤٥]، قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن المعنى جعلنا بين رؤيتك وبين أبصار الذين لا يؤمنون بالآخرة؛ كما ورد في سبب النزول »[1] .

ب - في قوله -تعالى-: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨] قال أبو حيان ~ : « قال كفار قريش لو أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك، يعنون عماراً وصهيباً، وسلمان، وابن مسعود وبلالاً ونحوهم من الفقراء. وقالوا إن ريح جبابهم تؤذينا فنزلت ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية وعن سلمان أن قائل ذلك عيينة بن حصن، والأقرع وذووهم من المؤلفة، فنزلت الآية على هذا مدنية، والأول أصح، لأن السورة مكية »[2].

---

(١) انظر البحر المحيط (٦/ ٣٩)، وانظر المسالة رقم (١٩) من سورة الكهف .

(٢) انظر البحر المحيط (٦/ ١١٣)، وانظر المسألة رقم (٢٦) من سورة الكهف .

المطلب السابع: الترجيح بمعرفة الناسخ والمنسوخ

اعتنى أبو حيان ~ بذكر الناسخ والمنسوخ في تفسيره، وقد سلك في مسألة النسخ بأنه قد يرد دعوى النسخ التي قيلت في الآية، إذا لم تتوفر فيها شروط النسخ، أو إذا كانت تحتمل مخصصات أخر، أو لأن ما في الآية خبر، والنسخ لا يدخل الأخبار، أو غير ذلك.

وقد يقبل النسخ، ويقول به، إذا كانت الأدلة تدل عليه، ومن ذلك ما يلي:

أ) في قوله- تعالى-: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل:١٢٦]، قال أبو حيان ~ : « قالت فرقة: هذه الآية منسوخة بآية القتال، وقالت فرقة: هي محكمة ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية، نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره يوم أحد، ووقع ذلك في صحيح البخاري[1] في كتاب السير، وذهب النحاس إلى أنها مكية، والمعنى متصل بما قبلها اتصالاً حسناً لأنها تتدرج الذنب من الذي يدعي وتوعظ إلى الذي يجادل إلى الذي يجازي على فعله، ولكن ما روى الجمهور أثبت انتهى »[٢].



(١) تخريج الحديث: سبق تخريجه انظر ص٧٥.

(٢) انظر البحر المحيط (٥/ ٥٣١)، وانظر المسالة رقم (١٦) من سورة النحل.

المطلب الثامن: الترجيح بالعموم

يعتبر العموم عند العلماء من الأدلة المعتبرة في الترجيح بين الأقوال، وقد أجمعوا على إجراء ألفاظ الكتاب والسنة على العموم إلا ما دل الدليل على تخصيصه، وكانوا يطلبون دليل الخصوص لا دليل العموم[1].

والعموم لغة: شمول أمر لمتعدد سواء كان الأمر لفظاً أو غيره، ومنه قولهم: عمهم الخبر إذا شملهم وأحاط بهم[2].

واصطلاحاً: لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر[3].

ويستدل على عموم اللفظ بقبوله الاستثناء منه، إلا في العدد[4].

وصيغ العموم متعددة منها:

١ - الألفاظ الموضوعة للجمع، مثل:

(كل، وجميع، ومعشر، وعامة، وكافة، وقاطبة).

٢ - الألفاظ المبهمة، مثل:

- الأسماء الموصولة، مثل: (ما، مَنْ، التي، الذي، اللذان، اللاتي، الذين).
- أسماء الشرط، منها: (أي، مَنْ، ما، أين، أنّى).
- أسماء الاستفهام، منها: (أي، مَنْ، ما، أين، متى).
- المعرف بالإضافة، وهو نوعان: (اسم الجنس المضاف، والجمع المضاف).

٣ - الجمع، واسم الجمع، واسم الجنس المعرف بأل.

---

(١) انظر: العدة لأبي يعلى (٢/ ٤٩٢).

(٢) انظر: الكليات: (٦٠٠)، وإرشاد الفحول: (١/ ١٩٧)، والبحر المحيط في أصول الفقه: (٢/ ١٧٩).

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٤٣)،، وروضة الناظر: (١/ ٢٢٠)،، وإرشاد الفحول: (١/ ١٩٧) وشرح الكوكب المنير: (٣/ ١٠٢)، والبحر المحيط في أصول الفقه: (٢/ ١٧٩).

(٤) انظر: التبصرة في أصول الفقه: (١٠٨)، وشرح الكوكب المنير: (٣/ ١٥٣).

٤ - النكرة في سياق النهي، أو في سياق النفي، أو في سياق الشرط، أو في سياق الامتنان[(١)].

ويستفاد العموم أيضاً من غير هذه الصيغ فلا يؤخذ من اللفظ، بل يؤخذ من المعنى وهذا ما يسمى بالعموم المعنوي[(٢)].

وقد اعتمد أبو حيّان هذا الوجه من وجوه الترجيح في تفسيره (البحر المحيط)، وهذه بعض الأمثلة لذلك:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف:١-٢]، قال أبو حيان ~ : «والعوج في المعاني: كالعوج في الأشخاص، ونكر ﴿عِوَجَا﴾ ليعم جميع أنواعه، لأنها نكرة في سياق النفي»[(٣)].

ب - في قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف:٥٤]، وقال أبو حيان ~ : « قيل: الإنسان هنا النضر بن الحارث[(٤)]، وقيل ابن الزبعري[(٥)]، وقيل: أبي بن خلف[(٦)]، وكان جداله في البعث حيث أتى بعظم فذره، فقال: أيقدر الله على إعادة هذا قاله ابن السائب[(٧)]، قيل: كان من

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٤٣ - ٤٤)، ومباحث في علوم القرآن: (٢٢٣ - ٢٢٤)، شرح الكوكب المنير: (٣/ ١١٩ - ١٥٣)، والمحصول: (٢/ ٣١١ - ٣١٣).

(٢) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه: (٣/ ١٤٦)، والواضح في أصول الفقه للأشقر (١٨٨ - ١٩٢).

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ٩٤)، وانظر المسالة رقم (٢) من سورة الكهف .

(٤) النضر بن الحارث بن علقمة بن كندة بن عبدالدار القرشي العبدري، قتل كافراً بإجماع أهل السير، قلته علي بن أبي طالب بأمر النبي ﷺ انظر الإصابة (٦/ ٤٣٠).

(٥) عبد الله بن الزبعري - بكسر الزاي وسكون المهملة بعدها راء مقصورة - بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم القرشي السهمي، كان من أشعر قريش وكان شديداً على المسلمين ثم أسلم في الفتح، انظر الإصابة (٤/ ٨٧).

(٦) أبي بن خلف الجمحي، قتله رسول الله ﷺ بيده يوم أحد. انظر سيرة ابن هشام (٤/ ٨٥).

(٧) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النظر، نسابة، مفسر، شيعي، كذاب متروك الحديث، توفي سنة ١٤٦هـ. انظر التاريخ الكبير (١/ ١٠١)، المجروحين (٢/ ٣٥٣)، الوافي بالوفيات (٣/ ٨٣).

يعثل من ملك وجنّ يجادل والإنسان أكثر هذه الأشياء جدلاً، انتهى. وكثيراً ما يذكر الإنسان في معرض الذمّ، وقد تلا للرسول ﷺ قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ حين عاتب علياً -كرم الله وجهه-. على النوم عن صلاة الليل، فقال له عليّ: (إنما نفسي بيد الله[1]، فاستعمل الإنسان على العموم) [2].

ج - في قوله -تعالى-: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠﴾ [مريم:٥٠]، قال أبو حيان ~ : « وقوله ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ قال الحسن: هي النبوة: وقال الكلبي: المال والولد، والأحسن أن يكون الخير الديني والدنيوي من العلم والمنزلة والشرف في الدنيا، والنعيم في الآخرة » [3].

د - في قوله -تعالى-: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم:٥٩]، قال أبو حيان ~ : « والشهوات عامٌ في كل مشتهى يشغل عن الصلاة وذكر الله، وعن علي: من بنى الشديد، وركب المنظور، ولبس المشهور »[4].



(١) تخريج الحديث: صحيح البخاري، أبواب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب (١/ ٣٧٩)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي في من نام الليل أجمع حتى أصبح (١/ ٥٣٧).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٣١)، وانظر المسألة رقم (٥٣) من سورة الكهف .

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٨٥)، وانظر المسألة رقم (٢٩) من سورة الكهف .

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٩٠)، وانظر المسألة رقم (٣٨) من سورة مريم .

المطلب التاسع: الترجيح بالمطلق والمقيد

تعريف المطلق والمقيد:

المطلق في اللغة: التخلية والإرسال، وأطلق الأسير خلاه، وأطلق الناقة من عقالها فطلقت هي بالفتح، وأطلق يده بالخير، وطلقها أيضا بالتخفيف، والطليق الأسير الذي أطلق عنه إساره وخلي سبيله [(١)].

والمقيد في اللغة: مأخوذ من القَيْد، وهو معروفٌ، ثم يستعار في كل شيء يحبس [(٢)].

والمطلق في الاصطلاح: هو ما تناول واحداً غير معين باعتبار حقيقة شاملة لجنسه، نحو: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ [المجادلة:٣] [(٣)].

والمقيد في الاصطلاح: هو ما تناول معيناً، أو موصوفاً بزائد على حقيقة جنسه، نحو: ﴿شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾ [النساء:٩٢] [(٤)].

والقاعدة عند العلماء أنه متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه، وإلا فلا، بل يبقى المطلق على إطلاقه، والمقيد على تقييده؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب [(٥)].

والضابط فيه أن الله -تعالى- إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقاً نُظِر، فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به، وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر [(٦)].

إذا ورد شيء من نصوص الوحي مطلقاً غير مقيد بقيدٍ، أو شرط، فلا يجوز تقييده، بل يجب العمل بالنص وتفسيره على إطلاقه وإبهامه، إلا إذا قام الدليل على التقييد، ومن

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: (٣/ ٦٣٠)، ومختار الصحاح: (١/ ١٦٦)، ولسان العرب: (١٠/ ٢٢٧)، مادة: طلق.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: (٥/ ٤٤)، ومختار الصحاح: (١/ ٢٣٣).

(٣) انظر: المختصر في أصول الفقه: (١/ ١٢٥).

(٤) انظر: المختصر في أصول الفقه: (١/ ١٢٥)، وشرح الكوكب المنير: (٣/ ٣٩٣).

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٨)، والإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٩١).

(٦) انظر: البرهان في علوم القرآن: (٢/ ١٥).

خالف ذلك بحمل النصوص المطلقة على غير إطلاقها فقوله مردود، وفعله تحكم في تفسير النصوص بلا دليل، فلا يقبل منه ذلك أبداً.

كما أنّ النص إذا ورد مقيداً فلا بد أن يفسر ويُعمل به بمقتضى قيده، ومن أوله بما يؤدي إلى بطلان قيده فلا يقبل منه ذلك، ولا يعتمد عليه، بل هو رد على صاحبه(١).

وقد اعتمد أبو حيان ~ على هذا الوجه في ترجيحه بين الأقوال التفسيرية، ومن ذلك ما يلي:

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ ① ﴾[فاطر: ١]، قال: ((و الظاهر عموم الخلق، و قال الفراء: هذا في الأجنحة التي للملائكة. أي يزيد في خلق الملائكة الأجنحة، و قالوا في هذه الزيادة: الخلق الحسن، أو حسن الصوت، أو حسن الخط، أو الملاحة في العينين، أو الأنف، أو خفة الروح، أو الحسن، أو جعودة الشعر، أو العقل، أو العلم، أو الصنعة، أو العفة في الفقراء، و الحلاوة في الفم، وهذه الأقوال على سبيل التمثيل لا الحصر، و الآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق، وقد شرحوا هذه الزيادة بالأشياء المستحسنة))(٢).

(١) انظر: التعارض والترجيح، للبرزخي: (٢/ ٤٠ - ٤١).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٢٨٦).

المطلب العاشر: الترجيح بالمنطوق والمفهوم

دلالة الألفاظ على المعاني قد يكون مأخذها من منطوق الكلام الملفوظ به نصاً أو احتمالاً بتقدير أو غير تقدير، وقد يكون مأخذها من مفهوم الكلام سواء وافق حكمها حكم المنطوق أو خالفه – وهذا هو ما يسمى: بالمنطوق والمفهوم –[1].

فالمنطوق: ما دل عليه اللفظ في محل النطق[2].

والمفهوم: ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق[3].

و ينقسم المنطوق إلى أقسام:

الأول: النص: هو ما يفيد بنفسه معنى صريحاً لا يحتمل غيره. كقوله -تعالى-: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ [البقرة:١٩٦] فإن وصف عشرة بكاملة قطع احتمال العشرة لما دونها مجازاً.

الثاني: الظاهر: هو ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً، فهو يشترك مع النص في أن دلالته في محل النطق، ويختلف عنه في أن النص يفيد معنى لا يحتمل غيره، والظاهر يفيد معنى عند الإطلاق مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً كقوله -تعالى-: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ [البقرة:١٧٣] فإن الباغي يطلق على الجاهل. ويطلق على الظالم، ولكن إطلاقه على الظالم أظهر وأغلب فهو إطلاق راجح، والأول مرجوح.

والمؤول: هو ما حمل لفظه على المعنى المرجوح لدليل يمنع من إرادة المعنى الراجح، فهو يخالف الظاهر في أن الظاهر يحمل على المعنى الراجح حيث لا دليل يصرفه إلى المعنى المرجوح، أما المؤول فإنه يحمل على المعنى المرجوح لوجود الدليل الصارف عن إرادة المعنى

---

(١) مباحث في علوم القرآن: (٢٥٠).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٩٥).

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ٩٦)، وشرح الكوكب المنير: (٣/ ٤٧٣ – ٤٨٠)، ومباحث في علوم القرآن: (٢٥٢).

الراجح. وإن كان كل منهما يدل عليه اللفظ في محل النطق، كقوله -تعالى-: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء:٢٤]، فإنه محمول على الخضوع والتواضع وحسن معاملة الوالدين، لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة.

و ينقسم المفهوم إلى قسمين:-

الأول: مفهوم الموافقة، وهو ما وافق حكمه حكم المنطوق، وهو نوعان:

النوع الأول: فحوي الخطاب وهو: ما كان المفهوم فيه أولى بالحكم من المنطوق سواء، كدلالة قوله -تعالى-: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء:٢٣] على الضرب لأنه أشد.

النوع الثاني: لحن الخطاب، وهو: ما ثبت الحكم فيه للمفهوم كثبوته للمنطوق سواء، كدلالة قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ [النساء:١٠] على تحريم الإحراق، لأنه مساوٍ للأكل في الإتلاف.

الثاني: مفهوم المخالفة، وهو: ما يخالف حكمه المنطوق، وهو أنواع: مفهوم (صفة، وشرط، وغاية، وحصر) [(١)].

وقد استخدم أبو حيان ~ الترجيح بالمفهوم في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أ) في قوله -تعالى-: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، قال أبو حيان ~ في معنى قوله ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾: « وإذا كان قد نهى أن يستقبلهما بهذه اللفظة الدالة على الضجر، والتبرم بهما، فالنهي عما هو أشد كالشتم والضرب هو بجهة الأولى » [(٢)].

---

(١) شرح الكوكب المنير (٣/ ٤٧٣-٤٨٠)، إرشاد الفحول (١/ ٥٧٠)، مباحث في علوم القرآن ص(٢٥٩).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٢٥).

ب) وفي قولـه- تعـالى-: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦]، قال أبو حـيان ~ : «ومعـنى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴾ لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل، نهى أن نقـول مـا لا نعلـم، وأن نعمل بما لا نعلم، ويدخل فيه النهي عن إتباع التقليد، لأنه إتباع بما لا يعلم صحته»[1] .

(١) البحر المحيط (٦/ ٣٢)، وانظر المسألة رقم (١٦) من سورة الإسراء .

المطلب الحادي عشر: الترجيح باللغة

القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، قال -تعالى-: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٥]، ويعتبر أبو حيان ~ من أجل علماء اللغة العربية بالإضافة إلى كونه مفسراً، وقد امتلأ تفسيره البحر المحيط بكثير من الدرر اللغوية، وكان منها ما استخدمه في الترجيح بين الأقوال، وقد تعددت جوانب استخدام اللغة عنده في الترجيح، فمنها:

۞ أولاً: الترجيح بما يسمى عند العرب:

ومن ذلك:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء:١٠٥] قال أبو حيان ~ : « وقوله ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ هو مردود على قوله: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن) الآية وهكذا طريقة كلام العرب وأسلوبها تأخذ في شيء وتستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى الآخر وتعود إلى ما ذكرته أولاً » [(١)].

ب - في قوله -تعالى-: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف:٧٤]، قال أبو حيان ~ : « وكان هذا الغلام لم يبلغ الحلم، ولهذا قال ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ و قيل: كان الغلام بالغاً شاباً، والعرب تبقي على الشاب اسم الغلام » [(٢)].

۞ ثانياً: الترجيح في مرجع الضمير لأقرب مذكور:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء:٣] قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن الضمير في (إنه) عائد علة نوح » [(٣)].

ب - في قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر المسألة رقم (٥٦) من سورة الإسراء .

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٤١)، وانظر المسألة رقم (٧٠) من سورة الكهف .

(٣) البحر المحيط (٦/ ٨)، وانظر المسألة رقم (٣) من سورة الإسراء .

جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ [الإسراء:١٠١] قال أبو حيان ~ : « والظاهر أنه خطاب للرسول محمد ﷺ أمره أن يسألهم عما أعلمه به من غيب القصة ثم قال: (إذ جاءهم) يريد آباءهم وأدخلهم في الضمير إذ هم منهم » [(١)].

ج - في قوله -تعالى-: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء: ١٠٣ - ١٠٤]، قال ابو حيان ~ : « والضمير في من بعده عائد على فرعون أي. من بعد إغراقه » [(٢)].

۞ ثالثاً: اتساق الضمائر:

أ - في قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٩ - ١٠٠] قال أبو حيان ~ : « والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد ﴿رَبِّهِمْ﴾، وقيل: على الشيطان، وهو الظاهر لاتفاق الضمائر » [(٣)].

ب - في قوله -تعالى-: ﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ [مريم:٨٢] قال أبو حيان ~ : « فالأظهر أن الضمير في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ عائد على أقرب مذكور محدث عنه، فالمعنى أن الآلهة سيجحدون عبادة هؤلاء إياهم، ويجوز أن يكون الضمير للمشركين ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا كما قالوا ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[(٤)] لكن قوله: ﴿وَيَكُونُونَ﴾ يرجح القول الأول، لا تساق الضمائر لواحد، على القول الآخر يختلف الضمائر إذ يكون في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ للمشركين، وفي ﴿وَيَكُونُونَ﴾ للآلهة » [(٥)].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٨٢)، وانظر المسألة رقم (٥١) من سورة الإسراء.

(٢) البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر المسألة رقم (٥٤) من سورة الإسراء.

(٣) البحر المحيط (٦/ ٥١٨)، وانظر المسألة رقم (١٢) من سورة الإسراء.

(٤) سورة الأنعام: آية ٢٣.

(٥) البحر المحيط (٦/ ٢٠٢)، وانظر المسألة رقم (٥٢) من سورة مريم.

وبعد... فهذه مجمل القواعد التي ظهر لي مراعاة أبي حيان ~ لها أثناء ترجيحه بين الأقوال التفسيرية التي قيلت في الآيات القرآنية، وهناك غيرها لا تأخذ أهمية ما ذكر.

القسم الثاني

ترجيحات أبي حيان الأندلسي

من الآية (٨٠) من سورة النحل

إلى آخر سورة مريم

(جمعاً ودراسة وموازنة)

ترجيحات أبي حيان الأندلسي
في
سورة النحل

قال – تعالى –: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]

وفيها مسألتان:

[١] المسألة الأولى: المراد بالنعمة في قوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالنعمة هي نعم الله عموماً، وأنه سبحانه في هذه عندما وبخ وقرع الكافرين على إنكار نعم الله لم يخص نعمة دون أخرى، حيث قال: ~ : « ثم أخبر عنهم (المشركون) على سبيل التقريع والتوبيخ، بأنهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها، وعرفانهم للنعم التي عُدت [عليهم][2] حيث يعترفون بها، وأنها منه –تعالى– وإنكارهم لها حيث يعبدون غير الله، وجعل ذلك إنكاراً على سبيل المجاز، إذ لم يرتبوا على معرفة نعم الله مقتضاها من عبادته وإفراده بالعبادة دون ما نسبوا إليه من الشركاء، قال قريباً من هذا المعنى: مجاهد، وقال السدي[3]: النعمة هنا محمد ﷺ، والمعنى: يعرفون بمعجزاته وآيات نبوته وينكرون ذلك بالتكذيب[4]، ورجحه الطبري[5] وعن مجاهد: إنكارهم قولهم، ورثناها من آبائنا[6] وعن ابن عون[7] إضافتها إلى الأسباب لا إلى

---

(١) سورة النحل آية ٨٣.

(٢) سقطت كلمة [عليهم] في المطبوع .

(٣) إسماعيل بن عبدالرحمن السدي، أبو محمد،صاحب التفسير، والمغازي، والسّير، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، توفي سنة ١٢٧هـ، على الأرجح، انظر التاريخ الكبير (١/ ٣٦٠)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٤)، الوافي بالوفيات (٩/ ١٤٢).

(٤) انظر تفسير سفيان الثوري ص(١٦٦)، جامع البيان للطبري (١٤/ ١٨٨)، تفسير القرآن المسمى ببحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٨٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١٣٧).

(٥) انظر جامع البيان للطبري ص(١٤/ ١٨٩).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (٤/ ١٨٩)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٤٢).

(٧) عبد الله بن عون بن أرطبان، أبو عون البصري، ثقة ثبت فاضل من أقران أيوب في العلم والعمل والسن، من السادسة، مات سنة خمسين على الصحيح انظر التقريب (١/ ٣٠٥)، والظاهر أن المراد به هو عون بن عبدالله كما ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٣٦٥)، وهو: عون بن عبدالله بن عُتبه بن مسعود الهُذلي، أبو عبدالله الكوفي، ثقة، عابد، مات قيل سنة عشرين ومائة، انظر التقريب (١/ ٤٥٦).

مسببها[١]، وحكى صاحب الغنيان: يعرفونها في الشدة ثم ينكرونها في الرخاء[٢]، وقيل: إنكارهم هي بشفاعة آلهتهم عند الله، وقيل: (يعرفونها) بقلوبهم ثم (ينكرونها) بألسنتهم »[٣].

◈ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالنعمة التي أخبر الله -تعالى ذكره- عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها مع معرفتهم بها على قولين:

القول الأول:

أنها نعم الله ﷻ عامة في الدنيا، وفي إنكارها عدة أقوال، من أهمها:-

أولاً: أنهم يقولون إن هذه النعم كانت لآبائهم، وقد ورثوها عنهم، وقد روي عن مجاهد[٤] أنه قال: نعم الله: المساكن والأنعام وسرابيل الثياب والحديد يعرفه كفار قريش، ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا ورثناه عنهم.

ثانياً: أنهم يقولون: لولا فلان لكان كذا فهذا إنكارهم، قاله: عون بن عبدالله[٤].

ثالثاً: يعرفون أن النعم من الله ولكن يقولون هذه بشفاعة آلهتنا[٤].

والقول بالعموم هو ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره من المفسرين: (الفرآء، والسمرقندي[٥]، والزمخشري، وابن عطية، والنسفي[٦]،

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ١٨٩)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١٣٧).

(٢) انظر روح المعاني (٧/ ٤٤٢).

(٣) البحر المحيط (٥/ ٥٠٨-٥٠٩).

(٤) سبق توثيقه انظر الصفحة السابقة ص١٦٩ .

(٥) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث، علامة وأئمة الحنفية ومن الزهاد المتصرفين من علماء القرن الرابع الهجري، انظر طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢٤٥)، الأعلام للزركلي (٨/ ٢٧).

(٦) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، فقيه، حنفي، مفسر، توفي سنة ٧١٠هـ، انظر الفوائد البهية في تراجم الحنفية لمحمد اللكنوي (١٠١)، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ⇐=

وابن كثير[١]، وأبو السعود[٢] والشوكاني[٣]، والطاهر بن عاشور[٤]، والمراغي[٥])[٦].

القول الثاني:

إن المراد بالنعمة ها هنا: محمد ﷺ يعرفون أنه نبي ثم يكذبونه، حيث أن هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله ﷺ وعما بعث به، فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبله وما بعده، إذ لم يكن معنى يدل على انصرافه عما قبله وعما بعده فالذي قبله قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٧]، وما بعده ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[٨]، وهو رسولها، فإذا كان ذلك كذلك. فمعنى الآية:

= لابن حجر (٢/ ١٥١).

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين حافظ، مفسر، مؤرخ فقيه، توفي سنة ٧٧٤هـ، انظر ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي (٥/ ٣٦)، الدرر الكامنة لابن حجر (١/ ٢١٨)، طبقات الحفاظ للسيوطي ص(٥٥٩).

(٢) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، مفسر، شاعر، من علماء الترك المستعربين، توفي سنة ٩٨٢هـ، انظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١٠/ ٥٨٤)، الأعلام (٧/ ٥٩).

(٣) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مفسر، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمين، توفي سنة ١٢٥٠هـ، انظر البدر الطالع (٧٣٢)، والأعلام (٦/ ٢٩٨).

(٤) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، شيخ جامع الزيتونة توفي سنة ١٣٩٣هـ، انظر الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٤).

(٥) أحمد بن مصطفى بن محمد بن عبدالمنعم المراغي، باحث مصري، عارف بالتفسير، من دعاة التجديد والإصلاح، وممن تولوا مشيخة الأزهر، توفي سنة ١٣٦٤هـ، انظر الأعلام (٧/ ١٠٣).

(٦) انظر في ذلك كله على الترتيب: معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٨٥)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤١٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٠٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٧٦٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٨٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٢٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٤٢)، تفسير المراغي (٥/ ٢٤٢).

(٧) سورة النحل: آية ٨٢-٨٣.

(٨) سورة النحل: آية ٨٤.

يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك، ثم ينكرونك ويجحدون بك وهذا مروي عن مجاهد[(١)]، والسِّدي[(١)] واختاره من المفسرين: (الطبري، والزجاج والنحاس)[(٢)].

◈ **الترجيح:**

والراجح - والله تعالى أعلم - وهو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من المراد بالنعمة هي النعم عامة وذلك لما يأتي:-

١. لأن الآية دالة على العموم وفهمها على العموم أقرب للصواب، أي أنهم يعرفون نعم الله التي أنعم بها عليهم ويعترفون بأنها من عند الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم[(٣)] والحمل على العموم أولى، وأفردت النعمة لأن المراد بها المصدر، أي: جنس النعمة، وتطلق على المفرد والجمع.

٢. للنظائر القرآنية، فالعدد لا يكون للكثير المتعدد، مثل قوله -تعالى-: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾[(٤)]

٣. والإنعام بنبوة محمد ﷺ من ضمن نعم الله التي لا تعد ولا تحصى قال الكلبي: هذه السورة تسمى سورة النعم لما ذكر الله فيها من كثرة نعمه على خلقه[(٥)].



(١) سبق توثيقه انظر ص١٦٩ .

(٢) انظر في ذلك كله على الترتيب: جامع البيان للطبري (١٤/ ١٨٩)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢١٦)، معاني القرآن للنحاس(٤/ ٩٩).

(٣) انظر تعليق الشيخ محمد على الصابوني على معاني النحاس (٤/ ١٠٠).

(٤) سورة النحل: آية ١٨.

(٥) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٠٧).

[٢] المسألة الثانية: المراد بالكفر في قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالكفر في قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ هو الكفر المطلق، والذي هو مقابل الإيمان، وهذا بخلاف من خصه بكفر النعمة؛ حيث قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن المراد من ﴿وَأَكْثَرُهُمُ﴾ موضوعه الأصلي، وقال الحسن: وكلهم ما من أحد يقوم بواجب حق الشكر[1]، فجعله من كفران النعمة، والظاهر أن الكفر هنا: هو مقابل الإيمان، وقيل: أكثر أهل مكة، لأن منهم من أبى، وقيل: معنى ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الجاحدون المعاندون، لأن فيهم من كان جاهلاً لم يعرف فيعاند »[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالكفر في الآية على قولين: هل هو كفر نعمة أم الكفر العام؟!

---

(١) لم أجد هذا القول الذي نقله أبو حيان عن الحسن كما جاء هنا، بل الثابت عن الحسن عند قوله -تعالى-: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (النحل: ٨٣) قوله: " وجميعهم كفار. فذكر الأكثر والمراد به الجميع" انظر زاد الميسر لابن الجوزي (٤/ ٣٦٥). وقال الماوردي بعد أن ذكر قول الحسن: وهذا معنى قول الحسن. انظر النكت والعيون (٣/ ٢٠٧)، وذكر السمرقندي القول دون نسبته للحسن. انظر بحر العلوم (٢/ ٢٨٥). وانظر تفسير الحسن البصري جمع وتوثيق ودراسة د/ محمد عبدالرحيم، وأكثّر المفسرون عند هذه الآية بهذا التساؤل لماذا عبر عن الكل بالأكثر؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ مع أنهم كلهم كافرون! فالجواب من وجوه:

أ - إنما قال الله ﷻ: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ﴾ لأنه لما كان فيهم من لم تقم عليه الحجة كالصبي وناقص العقل فأراد بالأكثر البالغين الأصحاء.

ب - أن المراد بالكافر: الجاحد المعاند، فقال: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ﴾، لأن كان فيهم من لم يكن معانداً، بل جاهلاً بصدق الرسول ﷺ ولم يظهر له كونه نبياً حقًا من عند الله.

ج - ذكر الأكثر وأراد الجميع لأن أكثر الشيء يقدم مقام الكل، كقوله -تعالى-: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان:٢٥]، انظر اللباب لابن عادل (١٢/ ١٣٦).

(٢) البحر المحيط (٥/ ٥٠٩).

القول الأول:

أن المراد بالكفر هنا: مقابل الإيمان، وهو ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (الطبري، وأبو الليث السمرقندي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والنسفي) [1].

القول الثاني:

أن المراد بالكفر هنا: كفران النعم وجحدها.

◈ **الترجيح:**

الراجح والله تعالى أعلم هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن المراد بالكفر هو الكفر الذي هو مقابل الإيمان ؛ لأنه إذا أطلق الكفر في القرآن الكريم، فإن المراد الكفر المطلق الكامل، أي: كفر التوحيد وكفر العبودية إلا إذا دل دليل على أنه كفر النعمة من خلال السياق.

---

(١) انظر ذلك كله على الترتيب: جامع البيان للطبري (١٤/ ١٧٨)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٢٨٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩١)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤١٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٠٥).

قال -تعالى-: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[٣] المسألة: المراد بالشركاء في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالشركآء عامٌ في كل شريك اتخذ من دون الله؛ حيث قال: « والظاهر أن قوله: ﴿شُرَكَآءَهُمْ﴾ عام في كل من اتخذوه شريكاً لله، من صنم ووثن وأدمي وشيطان وملك فيكذبهم من له منهم عقل، فيكون ﴿فَأَلْقَوْا۟﴾ عائدًا على من له الكلام، ويجوز أن يكون عامًا ينطق الله -تعالى- بقدرته الأوثان والأصنام، وإضافة الشركاء إليهم على هذا القول لكونهم هم الذين جعلوا شركاء لله، وقال الحسن: شركاؤهم الشياطين شركوهم في الأموال والأولاد[2]، لقوله -تعالى-: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[3] وقيل: شركاؤهم في الكفر، وعلى القول الأول ﴿شُرَكَآءَهُمْ﴾ في أن اتخذوهم آلهة مع الله وعبدوهم أو ﴿شُرَكَآءَهُمْ﴾ في أن جعلوا لهم نصيباً من أموالهم وأفعالهم »[4].

---

(١) سورة النحل آية: ٨٦.

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٧٨)، اللباب لابن عادل (١٢/ ١٣٧).

(٣) سورة الإسراء آية: ٦٤.

(٤) البحر المحيط (٥/ ٥١٠)، وانظر النهر (٥/ ٥٢٥).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالشركاء على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

أن المراد بالشركاء: الأصنام والأوثان، وخصها بالذكر لأن سوق الآيات لتوبيخ كفار العرب وأكثرهم عبدة الأصنام[١] وإنما وصفهم الله بكونهم شركاء لأن الكفار كانوا يسمونها بأنها شركاء، ولأنهم جعلوا لهم نصيبًا من أموالهم، وقد اختاره: (البغوي، والرازي[٢]، وابن عادل[٣]، والطاهر بن عاشور، والقاسمي[٤]) [٥].

القول الثاني:

أن المراد بالشركاء: الشياطين، وقال به الحسن، وذلك لأنه -تعالى- حكى عن أولئك الشركاء أنهم ألقوا إلى الذين أشركوا أنهم لكاذبون. والأصنام جمادات فلا يصح فيهم هذا القول[٦].

---

(١) حاشية القونوي (١١/ ٣٥٧).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري، أبو عبدالله الرازي، إمام مفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل توفي سنة ٦٠٦هـ، انظر طبقات الشافعية للأسنوي (٢/ ١٢٣)، والوافي بالوفيات للصفدي (٤/ ٢٤٨)، وشذرات الذهب لابن العماد (٥/ ٢١)، والأعلام (٦/ ٣١٣).

(٣) عمر بن علي سراج الدين الحنبلي، أبو حفص، عالمٌ في التفسير، جَمَّاعةٌ له، توفي سنة ٨٨٠هـ، انظر الأعلام (٥/ ٨٥)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٧/ ٣٠٠)، كشف الظنون (٥/ ٧٩٤).

(٤) محمد جمال الدين بن محمد الحلاق القاسمي، إمام الشام في عصره، علمًا بالدين وتضلعًا من فنون الأدب، كان سلفي العقيدة ولا يقول بالتقليد توفي سنة ١٣٢٢هـ. انظر الأعلام (٢/ ١٣٥).

(٥) انظر كل ذلك بالترتيب التالي: معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٧٨)، اللباب لابن عادل (١٢/ ١٣٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٤٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٤١).

(٦) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٧٨).

القول الثالث:

أن المراد بالشركاء: عامٌ في كل من اتخذوه شريكاً لله من صنم، ووثن، وآدمي، وشيطان، وملك، .. وغيرهم وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والواحدي[1]، وابن عطية، وابن الجوزي[2]، والقرطبي، وابن كثير وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي[3]) [4].

◈ **الترجيـــــح**:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين، من أن المراد بالشركاء عام في كل ما يعبد من دون الله. وذلك لما يلي:

١ - لأن القول بأن المراد بالشركآء: هم الشياطين وليس الأصنام والجمادات لا يصح؛لأن الله سبحانه وتعالى قادر على خلق الحياة في تلك الجمادات وعلى خلق العقل والنطق فيها وحينئذ يصح منها هذا القول[5].

---

(١) علي بن أحمد الواحدي، أبو الحسن، مفسر علامة، مصنف التفاسير الثلاثة " البسيط والوسيط والوجيز" توفي سنة ٤٦٨هـ انظر معجم الأدباء (٣/ ٥٥٦)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٢٦٤)، سير أعلام النبلاء(١٨/ ٣٣٩)، طبقات المفسرين للسيوطي(٧٨).

(٢) عبد الرحمن بن على البكري القرشي الحنبلي، جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، صاحب التصانيف، علامة السير والتاريخ، بحر التفسير، توفي سنة ٥٩٧هـ. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ١١٦)، وشذرات الذهب (٤/ ٣٢٩).

(٣) أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي إمام المفسرين في عصره تطلع منذ صغره إلى العلم، وظهرت عليه علامات النبوغ والذكاء حتى أنه اشتغل بالتدريس وهو في الثالثة عشر من عمره. توفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر الأعلام (٨/ ٤٢)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٣/ ١٠٧).

(٤) انظر ذلك على الترتيب: جامع البيان للطبري (١٤/ ١٩٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ٧٨)، المحرر الوجيز ابن عطية (٣/ ٤١٤) زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٦٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٠٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٢/ ٥٩٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٨٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٣١)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٤٤).

(٥) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٧٨).

٢- إن من خص الشركاء بالأوثان فذلك لأن كفار العرب أكثرهم عبدة الأصنام، وإلا فالحمل على العموم أولى، والمراد بالشركاء كل ما اتخذوه شريكًا لله تعالى من وثن ونبي وملك[١].

٣- لما تقرر من أن المشركين والآلهة بأنواعها تبعث يوم القيامة ليقال لهم: من كان يعبد شيئًا فليتبعه؛ كما ثبت في الصحيح من حديث أنس [من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت][٢].

(١) حاشية القونوي (١١/ ٣٥٧).

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم (٥/ ٢٤٠٣)، وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٣).

قال -تعالى-: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾(١)

وفيها مسألة واحدة:

[٤] المسألة: معنى قوله تعالى: ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالشهيد هو النبي ﷺ حيث؛ قال أبو حيان ~ : « والشهيد نبي تلك الأمة يشهد عليهم بإيمانهم وبكفرهم، والمعنى أنه يبعث الله أنبياء الأمم فيهم منهم، والخطاب في ذلك للرسول ﷺ والإشارة بهؤلاء إلى أمته وقال ابن عطية: ويجوز أن يبعث الله شهداء من الصالحين [مع] (٢) الرسل، وقد قال بعض الصحابة: إذا رأيت أحداً على معصية فانهه، فإن أطاعك وإلا كنت عليه شهيدًا يوم القيامة انتهى(٣). وكان الشهيد من أنفسهم، لأنه كان كذلك حين أرسل إليهم في الدنيا من أنفسهم، وقال الأصم أبو بكر(٤): المراد بالشهيد: (هو أنه تعالى ينطق عشرة من أجزاء الإنسان حتى تشهد عليه، لأنه قال في صفة الشهيد: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٥). وهذا بعيد لمقابلته بقوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ فيقتضي المقابلة أن الشهداء على الأمم أنبياؤهم، كرسول الله ﷺ » (٦).

◈ الدراسة والموازنة:

جاءت هذه الآية وفي ضمنها وعيد، والمعنى اذكر يا أيها الرسول ذلك اليوم وهوله، يوم يبعث الله المخلوقات ويبعث الشاهد والمشهود وقد اختلف في معنى الشهيد في الآية

---

(١) سورة النحل: آية٨٩.

(٢) سقطت كلمة [مع] في المطبوع .

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤١٥).

(٤) أبو بكر الأصم شيخ المعتزلة وكان ديناً وقورًا، جسورًا على الفقر، منقطعًا عن الدولة، إلا أنه كان فيه ميل عن الإمام علي مات سنة إحدى ومئتين. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٤٠٢).

(٥) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٨٠)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ١٤٠).

(٦) البحر المحيط (٥/ ٥١١)، وانظر النهر (٥/ ٥٢٥).

على أقوال: منها:

القول الأول:

أن المراد بالشهيد: هو النبي ﷺ ومنهم أي: من نفس الأمة في اللسان والسير وفهم الأغراض والإشارات حتى يتمكن الرسول من إفهامهم والرد على معانديهم ولا يتمكن ذلك غير من هو من الأمة فلذلك لم يبعث الله قط نبيًا إلا من الأمة المبعوث إليهم وهذا ما رجحه أبو حيان وعليه جمهور المفسرين[١]، وقد استدل لهذا القول بأنه نظر الآية التي انتهى إليها عبدالله بن مسعود، حين قرأ على رسول الله ﷺ سورة النساء، فلما وصل إلى قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[٢]، فقال له رسول الله ﷺ: حسبك، فقال ابن مسعود: فالتفت فإذا عيناه تذرفان[٣].

القول الثاني:

أن المراد بالشهيد هو أنه -تعالى- ينطق عشرة من أعضاء الإنسان، حتى أنها تشهد عليه، وهي: الأذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان، والدليل عليه أنه قال في صفة الشهيد: أنه من أنفسهم وهذه الأعضاء لاشك أنها من أنفسهم، وبه قال أبو بكر الأصم[٤].

---

(١) انظر تفسير يحي بن سلام (١/ ٨٣)، تفسير ابن وهب (١/ ٤٤٢)، جامع البيان لابن جرير الطبري (١٤/ ١٩٣)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢١٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٦)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٨٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٠٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ٧٨)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤١٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٨٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٠٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٠٦)، ارشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٨٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٣٢)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٥٠)، التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٦/ ٢٥٠)، تفسير المراغي (٥/ ٢٤٦).

(٢) سورة النساء: آية ٤١.

(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ (٤/ ١٦٧٣).

(٤) سبق توثيقه ص١٧٩ .

◈ **التَّرجيـــح:**

والـراجح - والله تعـالى أعلـم - هـو قـول أبي حيـان رحمـه تعـالى وهـو قـول جمهـور المفسرين لما يلي:

١. أن معنى قوله -تعالى-: ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِم﴾ أي: على الأمة، فيجب أن يكون غيرهم؛ لأنه يكون أقطع للمعذرة، وأظهر في تمام الحجة عليهم[١].

٢. أن قوله -تعالى-: ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ يوجب أن يكون ذلك الشهيد من الأمة، وأما القـول الثـاني وإن كـان يـشهد لـه قولـه -تعـالى-: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾[٢] إلا أن السياق يرده، حيث إن آحاد الأعضاء لا يصح وصفها بأنها من الأمة[٣].

---

(١) تفسير المراغي (٥/ ٢٤٦).

(٢) سورة فصلت: آية ٢٠ - ٢١

(٣) مفاتيح الغيب (٢٠/ ٨٠).

قال -تعالى-: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[1] وفيها مسألة واحدة:

[٥] المسألة: المراد بعهد الله في الآية:

رجح أبو حيان أن المراد بالعهد هو عام في كل عهد إلتزمه الإنسان؛ حيث قال أبو حيان ~ : « وعهد الله (علمٌ)[2] لما عهده الإنسان وإلتزامه مما يوافق الشريعة، وقال الزمخشري: هي البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[3] انتهى، وكأنه لحظ ما قيل: إنها نزلت في الذين بايعوا الرسول ﷺ على الإسلام[4] رواه عن بريده[5]. وقال قتادة ومجاهد: فيما كان من تحالف الجاهلية في أمر بمعروف أو نهي عن منكر[6]. وقال ميمون بن مهران[7]: الوفاء لمن عاهدته مسلماً كان أو كافراً فإنما العهد لله[8]

---

(١) سورة النحل:آية٩١.

(٢) وفي المطبوع (عامٌ) .

(٣) سورة الفتح : آية١٠.

(٤) الكشاف (٣/ ٤٦٩)، جامع البيان (١٤/ ١٩٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٩٩)، الدر المنثور (٥/ ١٤٢).

(٥) كذا في المخطوط والمطبوع والصواب هو مزيدة بوزن كبيرة، ابن جابر، أو ابن مالك، وهو اصح. العَصَري بفتح المهملتين - العبدي - صحابي، مقل. انظر الإصابة لابن حجر (٨/ ١٣٦)، والتقريب (٢/ ٥٧٨).

(٦) جامع البيان للطبري (١٤/ ١٩٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤١٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٦٩).

(٧) ميمون بن مهران الجزري، أبو أيوب، كوفي الأصل، ونزل الرقة، ثقة فقيهة، ولي الجزيرة لعمر بن عبدالعزيز وكان يرسل، روى له البخاري تعليقاً، ومسلم، والأربعة، مات سنة١١٧هـ. التقريب لابن حجر (٢/ ٢٩٦).

(٨) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٨٦).

وقال الأصم: الجهاد وما فرض في الأموال من حق[١]، وقيل: اليمين بالله ولا تنقضوا العهود الموثقة بالأيمان[٢]. نهي عن نقضها تهمماً بها بعد توكيدها، أي: توثيقها باسم الله وكفالة الله وشهادته ومراقبته، لأن الكفيل مراع لحال المكفول به » [٣].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ في الآية على اختلاف بينهم، فيمن عُني بهذه الآية وفيما نزلت، وذكروا أقوالاً منها:

القول الأول:

أنها نزلت في البيعة،...

وأن عهد الله هي البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام وأستدل لهذا القول: بقوله - تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [٤] أي لا تنقضوا أيمان البيعة بعد توكيدها، أي بعد توثيقها باسم الله، وقد اختاره: (الزمخشري، والنسفي، وأبو السعود) [٥].

واحتج عليه بأن هذه السورة مكية نزلت حين كان المؤمنون مستضعفين فيما بين قريش فهي البيعة الأولى[٦].

القول الثاني:

أنها نزلت في التزام الحلف الذي كان في الجاهلية وجاء الإسلام بالوفاء، وهو قول (

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٨٦).

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٨٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢١٠).

(٣) البحر المحيط (٥/ ٥١٤)، وانظر النهر (٥/ ٥٢٩).

(٤) سورة الفتح: آية ١٠.

(٥) انظر ذلك على الترتيب التالي: (الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٠٧)، وإرشاد العقل السليم (٤/ ٨٨).

(٦) حاشية القونوي (١١/ ٣٦٧).

قتادة ومجاهد وابن زيد)[١] واستدل أصحابه بقول النبي ﷺ: (لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة)[٢].

القول الثالث:

أنها نزلت في كل عقد يمين، عقده الإنسان على نفسه مختاراً يجب عليه الوفاء به ما لم تدع ضرورة إلى حنثه وذلك لقول النبي ﷺ: (من حلف على يمين فليأت الذي هو خير)[٣] وهو قول الشعبي[٤]،[٥]، وقد اختاره: (السمرقندي، والماوردي، والبغوي، والفخر الرازي، وابن كثير)[٦].

القول الرابع:

إن المراد بالعهد في قوله: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾: الوفاء بالوعد، واختاره: (الواحدي وابن الجوزي، وابن عادل)[٧]، وقد احتج على هذا القول بأنه تخصيص بلا

---

(١) سبق توثيقه انظر ص١٨٢ .

(٢) أخرجه مسلم:كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم،باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم (٤/ ١٩٦١)حديث (٢٥٣٠) عن جبير بن مطعم.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الأيمان باب نذر من حلف يمينا فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير والنسائي كتاب الأيمان والنذور، باب الكفارة بعد الحنث (٧/ ١٠)، واحتج عليه بأنه يجب ألا يحمل العهد على اليمين لأنا لو حملناه على اليمين لكان قوله بعد ذلك: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ تكرار لأن الوفاء بالعهد والمنع من النقض متقاربان لأن الأمر بالفعل يستلزم النهي عن الترك. اللباب (١٢/ ١٤٧).

(٤) عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمر الهَمَدَاني، علامة عصره وحافظ زمانه توفي سنة ١٠٤هـ، انظر تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٧)، طبقات الحفاظ للسيوطي (٤٢).

(٥) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٢).

(٦) انظر ذلك على الترتيب التالي: (بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٨٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢١٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٨٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٦٠١).

(٧) انظر ذلك على الترتيب التالي: (الوسيط للواحدي (٣/ ٨٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٦٩)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ١٤٧).

مخصص مع مخالفته للرواية المذكورة[(١)].

القول الخامس:

القول بالعموم وإن العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب وعلى هذا فالمراد بعهد الله يشمل العهد بين العبد وربه وعهد العباد فيما بينهم كالبيع والشراء والعقود وغيرها، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الطبري، وابن عطية والقرطبي، والشهاب الخفاجي[(٢)]، والقونوي[(٣)]، والشوكاني، والآلوسي، والسعدي[(٤)]) [(٥)].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى اعلم - هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من المفسرين ؛ بأن المراد بالعهد وهو القول بالعموم وذلك لما يلي:

---

(١) انظر حاشية القونوي (١٢/ ١٤٧).

(٢) الإمام القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري المعروف بالخفاجي، الأديب الحنفي من تصانيفه نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض، عناية القاضي وكفاية الراضي وهي هذه الحاشية التي على تفسير البيضاوي، توفي سنة١٠٦٩هـ، انظر هدية العارفين (١/ ١٦٠-١٦١).

(٣) إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي الحنفي أبو المفدى عصام الدين المفسر الأصولي المنطقي له حاشية على تفسير البيضاوي والرسالة العلمية توفي سنة ١١٩٥هـ، انظر الأعلام للزركلي (١م٣٢٥-٣٢٦)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي (١/ ٢٣٥-٢٥٤).

(٤) عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر آل سعدي، أبو عبدالله، من قبيلة تميم، كان ذا معرفة تامة بالفقه والأصول والفروع، واشتغل بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، توفي سنة ١٣٧٦هـ . انظر مقدمة تفسيره تيسير الكريم الرحمن (١/ ٥-٩).

(٥) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٤/ ١٩٧)، المحرر الوجيز لابن عطية(٣/ ٤١٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٠/ ١١١) حاشية الشهاب(٥/ ٦٤٢)، حاشية القونوي (١١/ ٣٦٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٣٥)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٥٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٤٤)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٥٤).

١. للنظائر القرآنية لهذا العموم، قال -تعالى-: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ۚ﴾ (١)، وقوله -تعالى-: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ (٢) فالآية عامة في كل عهد، قال الشنقيطي: (ظاهرها شامل لجميع العهود فيما بين العبد وربه، وفيما بينه وبين الناس) (٣)، قال الطبري ~ : «وجائز أن تكون نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ بنهيهم عن نقض بيعتهم حذرًا من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين، وأن تكون نزلت في الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم لقلة عددهم في آخرين لكثرة عددهم، وجائز أن تكون في غير ذلك ولا خبر تَثْبُت به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء، ولا دلالة في كتاب ولا حجة عقل أي ذلك عُنِيَ ذلك بها، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قلنا ؛ لدلالة ظاهرة عليه، وأن الآية كانت قد نزلت لسبب من الأسباب، ويكون الحكم بها عامًا في كل ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه » (٤). يقول الشوكاني ~ : « وظاهره العموم في كل عهد يقع من الإنسان من غير فرق بين أهل البيعة وغيره وهو خلاف ما يفيده العهد المضاف إلى اسم الله – سبحانه – من العموم الشامل لجميع عهود الله، لو فرض أن السبب خاص بعهد من العهود لم يكن ذلك موجبًا لقصره على السبب، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » (٥).

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٥٢.

(٢) سورة الإسراء: آية ٣٤.

(٣) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٥٠).

(٤) جامع البيان للطبري (١٤/ ١٩٧).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٥).

قال -تعالى-: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[1] وفيها مسألة واحدة:

[٦] المسألة: هل المراد من ضرب المثل التعيين أم العموم؟:

رجح أبو حيان ~ أن المراد من ضرب المثل في هذه الآية هو: العموم وليس تعيين مُشبه معين، حيث قال أبو حيان ~ : «﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ ﴾ أي: في نقض العهد بعد توكيده بالله، كالمرأة الورهاء[2] تبرم فتل غزلها، ثم تنقضه نكثاً[3] وهو ما يحل فتله، والتشبيه لا يقتضي تعيين المشبه به، وقال السدي وعبدالله بن كثير[4]: هي امرأة حمقاء كانت بمكة[5]، وعن الكلبي[6] ومقاتل[7]: هي من قريش خرقاء اسمها ريطة[8] بنت سعد بن نعيم، تلقب بجفراء اتخذت مغزلاً قدر ذراع، وصنارة مثل إصبع، وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت

---

(١) سورة النحل آية: ٩٢.

(٢) وره، كَفَرَحَ: حمق، والنعت: أوره، وورهاء، انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٠٤)، والقاموس المحيط ص(١٣١).

(٣) نكثاً: يعني أنقاضا وكل شيء نقض بعد الفتل فهو أنكاث واحدها: نكث، حبلا كان ذلك أو غزلا، يقال منه: نكث فلان هذا الحبل فهو ينكثه نكثا، والحبل منتكث: إذا انتقضت قواه. وإنما عني به في هذا الموضع بنكث العهد والعقد، انظر القاموس المحيط ص(١٦٢)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٤/ ٢١٧).

(٤) عبد الله بن كثير، أبو معبد المكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة، كان فصيحاً بليغاً مفوهاً، عالماً بالعربية، توفي سنة ١٢٠هـ انظر وفيات الأعيان (٣/ ٣٠-٣١)، وغاية النهاية (١/ ٤٤٣).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ١٩٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤١٨).

(٦) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النظر، نسابة مفسر، شيعي، كذاب، متروك الحديث، توفي سنة١٤٦هـ. انظر التاريخ الكبير(١/ ١٠١)، والمجروحين (٢/ ٣٥٣)، والوافي بالوفيات (٣/ ٨٣).

(٧) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلْخي، أبو الحسن الخراساني كبير المفسرين، على ضعف فيه واتهام، توفي سنة نيف وخمسين ومائة. انظر سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١-٢٠٢)، وطبقات المفسرين للأدنة وي (٢٠).

(٨) ريطة بنت سعد بن نعيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية، انظر نسب قريش ص(١٧).

تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن[1] وعن مجاهد: هذا فعل نساء أهل نجد، تنقض إحداهن غزلها، ثم تنفشه وتخلطه بالصوف فتغزله[2]، وقال ابن الأنباري[3]: ريطة بنت عمرو المرية ولقبها الجفراء من أهل مكة وكانت معروفة عند المخاطبين[4]،[5] ».

❖ **الدراسة والموازنة:**

يقول تعالى ذكره ناهيًا عبارة عن نقض الأيمان بعد توكيدها،وآمرًا بوفاء العهود، وممثلاً ذلك بناقضة غزلها من بعد إبرامه وناكثته من بعد إحكامه: ولا تكونوا أيها الناس في نقضكم أيمانكم بعد توكيدها وإعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق، وقد اختلف المفسرون في المراد بهذا المثل على قولين:

القول الأول:

أن المراد من ضرب المثل: امرأة معينة، ومعروفة عند المخاطبين ؛ وللمفسرين فيها أقوال:

الأول: أنها امرأة حمقاء كانت بمكة تسمى ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة كانت تفعل ذلك فيها وقع التشبيه،قاله الفراء[6]، وحكاه عبدالله بن كثير والسدي[7] ولم يسميا المرأة.

---

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٣).

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٣).

(٣) محمد بن القاسم بن بشار، أبو بكر الأنباري، أعلم أهل زمانه بالنحو والأدب، سمع من ثعلب، وكان أحفظ من تقدم من الكوفيين، توفي سنة ٣٢٨هـ، انظر تاريخ بغداد (٣/ ١٨١)، البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٦٥).

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٦٩).

(٥) البحر المحيط (٥/ ٥١٤)، والنهر الماد (٥/ ٥٢٩).

(٦) معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢١١).

(٧) سبق توثيقه انظر ص١٨٧ .

والثاني: أن هذا فعل نساء من أهل نجد، تنقض إحداهن حبلها، ثم تنفشه ثم تخلطه بالصوف فتغزله[٧]، وقد حكاه هذا القول من المفسرين: (النحاس، والسمرقندي، والماوردي والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، والنسفي، وابن عادل الحنبلي، والطاهر بن عاشور) [١].

القول الثاني:

أن ذلك لضرب المثل، لا على امرأة، وهو قول مجاهد[٢] وقتادة[٢] وابن زيد[٢] هذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد حكاه من المفسرين: (ابن عطية، والفخر الرازي، القرطبي، وابن كثير، وابن عادل الحنبلي، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي والسعدي، والمراغي، ومحمد نسيب الرفاعي[٣]) [٤].

---

(١) انظر في ذلك كله الترتيب التالي: (معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٨٩)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢١١)، الوسيط للواحدي (٣/ ٨٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٣)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١١٢)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٠٣)، اللباب لابن عادل (١٢/ ١٤٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(٦/ ٢٦٤).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ١٩٨)،المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤١٨).

(٣) محمد نسيب بن عبدالرزاق بن محي الدين الرفاعي، أبو غزوان، مفسر، فقيه، داعية، كان رفاعي الطريقة ثم أصبح سلفياً كان عَفّ اللسان رحب الصدر، متسامح حتى مع خصومه، وكان فصيح العبارة، بديع الإلقاء بالشعر توفي سنة ١٤١٣ هـ ، انظر ذيل الأعلام للعلاونة (٣/ ٢٠٥)، مقدمة مجموعة رسائل محمد نسيب الرفاعي ص(١٠).

(٤) انظر على الترتيب: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤١٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٨٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١١٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٣٩٧)، اللباب لابن عادل (١٢/ ١٤٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٣٦)، روح المعاني (٧/ ٤٥٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٤٥)، تيسير الكريم المنان للسعدي (٣/ ٥٥)، تفسير المراغي (٥/ ٢٥٢)، تيسير العلي القدير لمحمد نسيب الرفاعي (٢/ ٦٠٢).

❖ **التَّرجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من المفسرين وهو القول بعدم التعيين أي لا تكونوا في نقض الأيمان كالمرأة التي نكتت غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته، وذلك لأن:

١ـ أن المراد بالآية: المثل، وذلك لدلالة السياق، إذ في الآية السابقة لها النهي عن نقض الأيمان بعد توكيدها، والمراد بالمثل: الوصف دون التعيين لأن القصد بالأمثال صرف المكلف عنه إذا كان قبيحاً، والحث والدعوة إليه إذا كان حسنًا وذلك يتم به من دون التعيين[1].

٢ـ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٨٧).

قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾ (١) وفيها مسألة واحدة:

[٧] المسألة: هل ورد تكرار عن اتخاذ الأيمان دخلاً ؟

رجح أبو حيان ~ بأنه لم يتكرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً، وإنما جاء النهي الإنشائي المستأنف عن اتخاذ الأيمان دخلاً على العموم؛ حيث قال أبو حيان ~ : « قالوا: كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً(٢) تهمماً بذلك ومبالغة في النهي عنه لعظم موقعه في الدين، قال ابن عطية: وتردده في معاملات الناس(٣)، وقال الزمخشري: تأكيداً عليهم وإظهاراً لعظم ما يرتكب منه(٤)، انتهى. وقيل: إنما كرر لاختلاف المعنيين، لأن الأول نهي فيه عن الدخول في الحلف، ونقض العهد بالقلة والكثرة وهنا نهي عن الدخل في الأيمان التي يراد بها اقتطاع حقوق، فكأنه قال ﴿دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ لتتوصلوا بها إلى قطع أموال المسلمين(٥)، وأقول: لم يتكرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً، وإنما سبق إخبار بأنهم اتخذوا أيمانهم دخلاً معللاً بشيء خاص وهو: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ﴾ وجاء النهي بقوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ﴾ استئناف إنشاء عن اتخاذ الأيمان دخلاً على العموم، فيشمل جميع الصور من الحلف في المبايعة، وقطع الحقوق المالية وغير ذلك » (٦).

---

(١) سورة النحل: آية ٩٤.

(٢) الدَّخَلُ: محركة: ما داخلك من فساد في عقل أو جسم، وقد دُخِل كفرِحَ وعُنِيَ دَخْلاً ودَخَلاً، والغدر والمكر والداء والخديعة والعيب في الحسب، والشجر الملتف والقوم الذين ينتسبون إلى من ليسوا منهم، القاموس المحيط للفيروز لآبادي ص(٨٩٨)، الصحاح للجوهري (٢/ ١٢٧٢)، وقال الراغب الأصفهاني الدَّخَلُ: كناية عن الفساد والعداوة المستبطنة كالدغل، مفردات ألفاظ القرآن ص(٣٠٩)، وقيل الدخل أعم من الدغل فالدَّغَل يدل على التباس والتواء من شيئين يتداخلان. انظر الترجمان عن غريب القرآن لأبي المحاسن اليماني ص(٢٠٤).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٤١٩).

(٤) الكشاف (٣/ ٤٧١).

(٥) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٧١)، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٨٩).

(٦) البحر المحيط (٥/ ٥١٥)، وانظر النهر الماد (٥/ ٥٣١).

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون هل تكرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً أم لم يرد على أقوال: منها:-

القول الأول:

أنه ورد تكرار وكان تهمماً ومبالغة في النهي عن الأيمان،لعظم موقعه من الدين وتردده في معاشرات الناس، وأن هذا التكرار للتأكيد عليهم وإظهارًا لعظم ما يترتب منه واختاره: (الزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، وأبو السعود، والبيضاوي[1]، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور والقاسمي) [2].

القول الثاني:

أنه بعد أن حذر من النهي عن نقض العهود والأيمان على الإطلاق كرر النهي عن أيمان مخصوصة وهي أيمان الخديعة، واختاره: (ابن الجوزي، والفخر الرازي، وابن عادل، والمراغي) [3].

القول الثالث:

إنه لم يتكرر النهي فإن ما سبق إخبار بأنهم اتخذوا أيمانهم دخلاً معللاً بشيء خاص وهو أن تكون أمة هي أربى من أمة وجاء النهي المستأنف الإنشائي عن اتخاذ الأيمان دخلاً على العموم فيشمل جميع الصور من الحلف في المبايعة وقطع الحقوق المالية وغير ذلك وانفرد أبو حيان ~ [4] بهذا الرأي.

---

(١) عبدالله بن عمرو بن محمد الشيرازي، أبو سعيد البيضاوي، قاض، فقيه، أصولي، مفسر توفي سنة ٦٨٥هـ، انظر طبقات الشافعية (٨/ ١٥٧)،طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٤٨).

(٢) انظر ذلك على الترتيب: الكشاف (٣/ ٤٧١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤١٩)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١١٣)، مدراك التنزيل ص(٦٠٧)، إرشاد العقل السليم (٤/ ٨٩)، حاشية الشهاب (٥/ ٦٤٦)، حاشية القونوي (١١/ ٣٧٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٣٧)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٦٠)،التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٤٤).

(٣) انظر زاد المسير (٤/ ٣٧١)، مفاتيح الغيب (٢٠/ ٨٩)،اللباب لابن عادل (١٢/ ١٥١)، تفسير المراغي (٥/ ٢٥٤).

(٤) سبق توثيقه انظر الصفحة السابقة ص١٩١ .

◈ الترجيح:

الراجح – والله أعلم – أنه ورد تكرر في الآية عن اتخاذ الأيمان دخلاً وذلك لأنه تصريح بالنهي بعد التضمن، أي: بعد النهي ضمناً بقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ [1] وكونه نهياً مستفاداً من جعله حالاً من فاعل لا تكونوا، فيكون هو قيداً للنهي، فلما ورد النهي على المقيد مع قيده يكون القيد داخلاً في حيز النهي، فإذا نهوا عن كونهم كالناقضة غزلها حال اتخاذهم أيمانهم دخلاً بينهم فقد نهوا في ضمنه، فكأنه قيل: ولا تنقضوا عهودكم بعد توكيدها بالأيمان، مشبهين بالناقضة غزلها أنكاثاً، متخذين إيمانكم دخلاً بينكم[2].

وقال الشهاب الخفاجي: (وقد اعترض عليه (التكرار) أبو حيان بأنه لم يتكرر النهي إذ ذكر أولاً على طريق الإخبار منهم بأنهم اتخذوا أيمانهم دخلاً معللاً بأمر خاص، وجاء النهي المستأنف الإنشائي عن اتخاذ الأيمان دخلاً على العموم ليشمل ما عداه من الحقوق المالية وغيرها،وردّ بأن قيد المنهي عنه منهي عنه، فليس إخباراً صرفاً ولا عموم في الثاني لأن قوله: (فتزل قدم....) إشارة إلى العلة السابقة إجمالاً لتقدم ذكرها كما أشار (البيضاوي) على أنه قد يقال: إن الخاص مذكور في ضمن العام أيضاً فلا محيص عن التكرار أيضاً، ولو سلم ما ذكره فتأمّل) [3].

---

(١) سورة النحل:آية ٩٤.

(٢) حاشية القونوي (١١/ ٣٧٣)، وحاشية ابن التمجيد علي البيضاوي (١١/ ٣٧٣).

(٣) حاشية الشهاب علي البيضاوي (٥/ ٦٤٦).

قال -تعالى-: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [١] وفيها مسألة واحدة:

[٨] المسألة الأولى: المراد بالحياة الطيبة ، ومتى تكون ؟

رجح أبو حيان ~ بأن الحياة الطيبة تكون في الحياة الدنيا؛ حيث قال أبو حيان ~ : « والظاهر من قوله -تعالى-: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ أن ذلك في الدنيا وهو قول الجمهور، ويدل عليه قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم﴾ يعني في الآخرة، وقال الحسن[٢] ومجاهد[٣]، وابن جبير[٤]، وقتادة[٥]، وابن زيد[٦]: ذلك في الجنة، قال شريك[٧]،[٨]: في القبر، وقال علي[٩]، ووهب بن منبه[١٠] وابن عباس[١١] والحسن[١٢] في رواية: هي القناعة، وعن ابن عباس[١٣] والضحاك[١٤]: الرزق الحلال، وعنه أيضاً: السعادة[١٥]، وقال

---

(١) سورة النحل آية: ٩٧.

(٢) انظر جامع البيان (١٤/ ٢٠٤)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٤).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٠٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢١٢).

(٤) انظر جامع البيان (١٤/ ٢٠٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٥).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٠٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢١٢).

(٦) انظر جامع البيان (١٤/ ٢٠٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١١٥).

(٧) شريك بن عبدالله النخعي الكوفي صدوق يخطئ كثيرًا، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة مات سنة سبع أو ثمان وسبعين. انظر التقريب(١/ ٢٤٣).

(٨) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٧٢).

(٩) انظر جامع البيان (١٤/ ٢٠٤)،بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٩٠).

(١٠) انظر تفسير يحيى بن سلام (١/ ٨٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ٨١).

(١١) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٤)، النكت والعيون للماوردي(٣/ ٢١٢).

(١٢) انظر جامع البيان (١٤/ ٢٠٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٧٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٥).

(١٣) انظر جامع البيان (١٤/ ٢٠٣)، معاني القرآن للنحاس(٤/ ١٠٣).

(١٤) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٥٨٥)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٢١٥)، بحر العلوم (٢/ ٢٩٠).

(١٥) انظر جامع البيان (١٤/ ٢٠٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١٤٤).

عكرمة[(١)]: الطاعة، وقال قتادة: الرزق في يوم بيوم، وقال إسماعيل بن أبي خالد[(٢)]،[(٣)]: الرزق الطيب والعمل الصالح.

قال أبو بكر الورّاق[(٤)]،[(٥)]: حلاوة الطاعة وقيل العاقبة والكفاية وقيل الرضا بالقضاء ذكرهما الماوردي[(٦)]، وقال الزمخشري: المؤمن مع العمل الصالح إن كان موسراً، فلا مقال فيه، وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله -تعالى-، والفاجر إن كان معسراً فلا إشكال في أمره، وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه[(٧)]، وقال ابن عطية: طيب الحياة للصالحين بانبساط نفوسهم، ونبلها وقوة رجائهم، والرجاء للنفس أمر ملذ، وبأنهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم، فإن أنضاف إلى هذا مال حلال وصحة وقناعة، فذاك كمال وإلا فالطيب فيما ذكرنا راتب[(٨)] »[(٩)].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في المراد بالحياة الطيبة وأين تكون؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

أنها في الدنيا ولكن اختلفت أقوال المفسرين فيها على أوجه: فمنهم من قال هي:

---

(١) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ٨١).

(٢) إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولاهم، البجلي، ثقة، ثبت من الرابعة، مات سنة ست وأربعين. انظر التقريب للحافظ بن حجر (١/ ٥٠).

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٧٢).

(٤) محمد بن يحي بن سليمان بن سليمان بن زيد بن زياد المروزي، أبوبكر الوراق، نزيل بغداد، وصاحب أبي عبيد توفي ٢٩٨هـ، تهذيب الكمال (٢٦/ ٦١٢).

(٥) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٥)، الجامع القرطبي (١٠/ ١١٥).

(٦) انظر النكت والعيون (٣/ ٤٧٢).

(٧) انظر الكشاف (٣/ ٤٧٢).

(٨) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٤١٩).

(٩) انظر البحر المحيط (٥/ ٥١٧)، وانظر النهر الماد (٥/ ٥٣١).

القناعة، ومنهم من قال: هي الرزق الحلال، ومنهم من قال: هي السعادة ومنهم من قال: هي الطاعة، ومنهم من قال: هي رزق يوم بيوم، ومنهم من قال: هي الرزق الطيب والعمل الصالح، ومنهم من قال: هي العافية والكفاية، ومنهم من قال: هي الرضا بالقضاء، وعلى اختلاف أقوال المفسرين إلا أنها كلها تعود على أنها في الحياة الدنيا؛ بدليل أنه -تعالى- أعقبه بقوله: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ولا شبهة في أن المراد منه ما يكون في الآخرة.

وعلى هذا جمهور المفسرين[1] على اختلافهم في أنواع الأوجه وهو ما رجحه أبو حيان ~ .

القول الثاني:

أنها تكون في الآخرة قاله: (الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد)[2] وذلك إنما يكون في الجنة، وقد اختاره: السمرقندي[3]، والدليل قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾[4]، فبين أن هذا الكدح باق إلى أن يصل إلى ربه وذلك ما قلناه وأما بيان أن الحياة الطبية في الجنة، فلأنها حياة بلا موت، وغنى بلا فقر، وصحة بلا مرض، وملك بلا زوال، وسعادة بلا شقاء، فثبت أن الحياة الطيبة ليست إلا تلك الحياة.

---

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٠٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ٨١)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٧٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤١٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٠٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٦٠٣)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ١٥٤)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٩١)، حاشية الشهاب (٥/ ٦٤٨)، حاشية القونوي (١١/ ٣٧٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٣٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٧٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٤٦).

(٢) سبق توثيقه في أصل المسألة، ص١٩٤ .

(٣) انظر بحر العلوم (٢/ ٢٩٠)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٦٣).

(٤) سورة الانشقاق: آية ٦.

القول الثالث:

أنها في القبر، وهذا قول شريك(١)، وقال به: السدي(٢).

القول الرابع:

أن أهل الإيمان والعمل الصالح لهم الجزآء في الدنيا الحياة الطيبة والحسنى يوم القيامة فلهم أطيب الحياتين. فهم أحياء في الدارين، وقد اختاره: ابن القيم(٣) ،(٤)، والطاهر بن عاشور(٥).

❖ **الترجيـــــح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو القول: بأن لهم الحياة الطيبة في الحياتين، وذلك لأن المقصود من ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾: ينبني: بيان نوع الحياة بقوله -تعالى-: ﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ وذلك المصدر هو المقصود: أي لنجعلنّ له حياة طيبة، وابتدئ الوعد بإسناد الإحياء إلى ضمير الجلالة تشريعاً له كأنه قيل: فله حياة طيبة منا، ولما كانت حياة الذات لها مدة معينة كثر إطلاق الحياة على مدتها فوصفها بالطيب بهذا الاعتبار، أي طيب ما يحصل فيها، فهذا الوصف مجاز عقلي، أي: طيباً ما فيها، ويقارنها من الأحوال العارضة للمرء في مدة حياته، فمن مات من المسلمين الذين عملوا صالحاً، عوضه الله عن عمله ما فاته من وعده، ويفسر هذا المعنى: ما ورد: في الصحيح عن خباب بن الأرت(٦) قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ

---

(١) سبق توثيقه ص١٩٤ .

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٩١).

(٣) ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزّرعي الدمشقي، أبو عبدالله،شمس الدين، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيميه وسجن معه توفي سنة ٧١٥هـ، انظر الوافي بالوفيات (٢/ ٢٧١)، شذرات الذهب (٨/ ٢٨٧).

(٤) انظر بدائع التفسير (٣/ ٥٠).

(٥) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٧٣).

(٦) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد التميمي، أبو عبدالله، قيل مولى أم أنمار بنت سباع الخزاعية من السابقين للإسلام، وكان يعذب في الله، شهد بدراً توفي سنة ٣٧هـ بالكوفة. انظر =

نبغي بذلك وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئاً، كان منهم مصعب بن عمير، قتل يوم احد، فلم يترك ألا نمرة، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطي بها رجلاه خرج رأسه، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها[1]، والطيب ما يطيب ويحسن، وضد الطيب الخبيث والسيئ، وهذا وعد بخيرات الدنيا، وأعظمها الرضى بما قسم لهم من أملهم بالعاقبة والصحة والعافية وعزة الإسلام في نفوسهم... وقد عقب بوعد جزاء الآخرة بقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فأختص هذا بأجر الآخرة، بالقرينة بخلاف نظيره المتقدم آنفاً فأنه عام في الجزائيين[2]، وإما القول بأن الواو في قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ يقتضي المغايرة فهذا ليس على إطلاقه لأنه من باب المغايرة في الصفات وليس في الذات ولا مانع من وصفه الحياة الطيبة.

= الإصابة (٢/ ٢٥٨).

(١) أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣/ ١٤٢٥)، صحيح مسلم كتابه الجنائز باب في كفن الميت (٢/ ٦٤٩).

(٢) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٧٣).

قال -تعالى-: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[1]، وفيها مسألتان:

[٩] المسألة الأولى: موضع الاستعاذة عند القراءة.

رجح أبو حيان ~ أن محل الاستعاذه يكون قبل القراءة بخلاف ظاهر الآية؛ حيث قال أبو حيان ~ : « والظاهر تعقب[2] الاستعاذه، وقد روى ذلك بعض الرواة عن حمزة[3] وروي عن ابن سيرين[4] أنه قال: كلما قرأت الفاتحة حين تقول: أمين فاستعذ[5]، وروي عن أبي هريرة[6] ومالك[7] [8] وداود[9] [10]: تعقبها القراءة

(١) سورة النحل: آية ٩٨.

(٢) في المطبوع (بعقب) والأصح ما أثبته في الأصل .

(٣) حمزة بن حبيب الزيات القارئ، أبو عمارة الكوفي التميمي مولاهم،صدوق زاهد ربما وهم، مات سنة١٥٦هـ.انظر التقريب لأبن حجر (١/ ٣٩).

(٤) محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر أبن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت، كبير القدر كان لا يرى الرؤية بالمعنى مات سنة ١١٠هـ. انظر التقريب لأبن حجر (٢/ ٥٢٢).

(٥) انظر مصنف عبدالرزاق (٢/ ٨٦)، مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٢٦٩).

(٦) انظر الوسيط الواحدي (٣/ ٨٣)،الجامع القرطبي (١٠/ ١١٥)،زاد المسير لأبن الجوزي (٤/ ٣٧٣).

(٧) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي الحميري أبو عبدالله المدني، الفقيه، إمام دار الهجرة من كبار أتباع التابعين توفي سنة ١٧٩هـ، انظر التهذيب(١٠/ ٥)، الكاشف(٢/ ٢٣٤).

(٨) قال ابن العربي: من أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ .. ﴾ الآية قال ذلك بعد قراءة أم القرآن، من قرأ في الصلاة، وهذا لم يرد به أثر ولا يعضده نظر، فإذا كان هذا كما قال بعض الناس: إن الاستعاذه كان تخصيص ذلك بقراءة أم القران في الصلاة دعوى عريضة ولا تشبه أصل مالك ولا فهمه فالله أعلم بسر هذه الرواية. أحكام القرآن (٣/ ١٥٩).

(٩) داود بن علي بن حلف الأصبهاني الفقيه الظاهري أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسمو بأهل الظاهرية لأخذهم بظاهر الأدلة، وإعراضهم عن القياس، توفي سنة ٢٧٠هـ. تاريخ بغداد (٨/ ٣٦٩)، الأنساب (٤/ ٩٩)، وفيات الأعيان (١/ ١٧٥)، تذكرة الحفاظ (٢/ ١٣٦).

(١٠) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥٩)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١١٥).

كما روي عن حمزة[١] والجمهور[٢] على ترك هذا الظاهر، وتأويله بمعنى: فإذا أردت القراءة، قال الزمخشري[٣]: لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل، وعلى حسبه فكان بسبب قوي وملابسة ظاهرة، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾[٤]، وكقوله: "إذا أكلت فسم الله"[٥]، وقال ابن عطية: - فذلك - وصلة بين الكلام والعرب تستعملها في مثل هذا، وتقدير الآية: فإذا أخذت في قراءة القرآن فاستعذ[٦]» [٧].

◈ **الدراسة والموازنة:**

أمر الله نبيه محمد ﷺ بأن يستعيذ الله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن، ولكن أُختلف العلماء في موضع الاستعاذه عند القراءة على قولين:

القول الأول:

أن ظاهر قوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾[٨]، أن الاستعاذة وتكون بعد القراءة، وقد قال بذلك من الصحابة ﭫ: أبو هريرة[٩] ﭬ، ونسب ذلك لمالك[٩]، وقال به ابن سيرين[٩]، وحمزة[٩]، وداود[٩]،

---

(١) انظر الدر المصون (٧/ ٢٨٦)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ١٥٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٩١).

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ٨٣)، الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (١/ ٩)، والنشر لابن الجزري (١/ ٢٥٤).

(٣) انظر الكشاف (٣/ ٤٧٢).

(٤) سورة المائدة: آية ٦.

(٥) تخريج الحديث: مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وقال الألباني: صحيح. انظر السلسلة الصحيحة (١/ ٦٧٧).

(٦) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٤٢٠).

(٧) انظر البحر المحيط (٥/ ٥١٧).

(٨) سورة النحل: آية٩٨.

(٩) سبق توثيقه انظر ص١٩٩ .

وإبراهيم النخعي[١][٢] وأبو حاتم السجستاني[٣][٤].

القول الثاني:

أن الاستعاذه تكون قبل القراءة، وهذا الذي عليه جمهور المفسرين[٥]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ .

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن محل الاستعاذه قبل القراءة وهو ما رجحه أبو حيان ~ وذلك:

١ـ اتفاق جميع أصحاب المعاني على أن معنى الآية: إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ، ليس معناه استعذ بعد أن تقرأ القرآن، ومثله[إذا أكلت فقل بسم الله][٦].

٢ـ قال الكيا الطبري[٧]: ونقل عن بعض السلف: التعوذ بعد القراءة مطلقًا احتجاجاً

(١) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو النخعي، أبو عمران الكوفي، فقيه أهل الكوفة، كان عجباً في الورع والخير، رأساً في العلم توفي سنة ١٩٦هـ انظر تهذيب التهذيب(١/ ١٥٥)، الكاشف للذهبي (١/ ٢٢٧).

(٢) انظر مصنف عبدالرزاق (٢/ ٨٧).

(٣) أبو حاتم السجستاني: سهل بن محمد بن عثمان النحوي المقري البصري، كان صدوقاً من أعلم الناس بالأصمعي، توفي سنة ٢٥٥هـ، انظر التهذيب (٤/ ٢٢٦)، الكاشف (١/ ٤٧٠).

(٤) انظر تفسير ابن كثير(٢/ ٣٩٩)، النشر لابن الجزري (١/ ٢٥٤)، زاد المسير (٤/ ٣٧٣).

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢١٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٩١)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢١٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ٨٣)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٢٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٧٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١١٥)، اللباب لابن عادل (١٢/ ١٥٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٩١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٣٩)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٦٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٧٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٤٧).

(٦) سبق تخريجه في ص٢٠٠ .

(٧) علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الشهير بـ (الكيا الهرَّاسي) فقيه شافعي، مفسر، والكيا في اللغة =

بقوله -تعالى-: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [(١)] ولا شك أن ظاهر ذلك يقتضي أن تكون الاستعاذة بعد القراءة؛ كقوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾ [(٢)]، إلا أن غيره محتمل مثل قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾[(٣)] وقوله ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [(٤)]، وليس المراد به أن يسألها من وراء حجاب بعد سؤال متقدم، ومثله قول القائل: إذا قلت فاصدق، وإذا أحرمت فاغتسل، يعني قبل الإحرام، والمعنى في جميع ذلك: إذا أردت ذلك، فكذلك الاستعاذة[(٥)].

٣ـ يعضد هذا المعنى ما روي عن جبير بن مطعم[(٦)] عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين افتتح الصلاة قال: (اللهم أني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه) [(٧)]، وروى أبو سعيد الخدري[(٨)]: أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة[(٩)]، قال ابن حزم[(١٠)]: إلا أنه صح إجماع جميع قراءة أهل الإسلام جيلاً بعد جيل على الابتداء بالتعوذ

= الأعجمية: الكبير القدر، الهراسي: فارسية بمعنى الذعر، توفي سنة٥٠٤هـ، انظر طبقات الشافعية للأسنوي (٢/ ٢٩٢)، شذرات الذهب(٤/ ٨).

(١) سورة النحل آية: ٩٨.

(٢) سورة النساء آية: ١٠٣.

(٣) سورة الأنعام: آية١٥٢.

(٤) سورة الأحزاب: آية ٥٣.

(٥) انظر الجامع لأحام القرآن للقرطبي (١٠/ ١١٥).

(٦) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي، كان من أكابر وعلماء النسب، أسلم قبل فتح مكة ومات في خلافة معاوية ﷺ. سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين. انظر الإصابة(١/ ٤٦٢).

(٧) أخرجه أبو داود حديث رقم (٧٦٤)، وابن ماجه (٨٠٧)، وأحمد (٤/ ٨٥) وصححه الحاكم (١/ ٢٣٥) ووافقه الذهبي.

(٨) أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري، مشهور بكنيته، من المكثرين في الرواية، من أصحاب الشجرة، فقيه، نبيل، توفي بالمدينة سنة ٦٣ أو ٦٤ أو ٦٥هـ. انظر الإصابة (٣/ ٧٨).

(٩) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٥٠)، وأبو داود (٢/ ٤٧٧)،وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢/ ٥١).

(١٠) أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي الظاهري، الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد صاحب التصانيف، كان شافعياً ثم انتقل إلى القول بالظاهر ونفى القول بالقياس وتمسك بالعموم، وكان =

قبل الأخذ في القراءة مُبلغًا إلينا من عهد رسول الله ﷺ فهذا قاض على كل ذلك[(١)].

إن المعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة: لئلا يلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه،ويمنعه من التدبر والتفكر ؛ ولهذا ذهب الجمهور إلى أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة[(٢)].

= صاحب فنون فيه دين وتورع وتزهد وتحر للصدق. توفي سنة ٤٥٦هـ. انظر تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١١٤٦).

(١) المحلى (٢/ ٢٨١).

(٢) انظر تفسير ابن كثير(٢/ ٣٩٩).

[١٠] المسألة الثانية: حكم الاستعاذة.

رجح أبو حيان ~ أن حكم الاستعاذة مستحب؛ حيث قال أبو حيان ~ : « أمر بالاستعاذة فالجمهور على الندب[1]، وعن عطاء[2]،[3] الوجوب »[4].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف العلماء في حكم الاستعاذة عند قراءة القرآن على قولين:

القول الأول:

أنها مستحبة قبل قراءة القرآن الكريم،سواء كان ذلك في الصلاة أو خارجها، وهذا مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والمفسرين[5]، وهذا الذي رجحه أبو حيان ~ .

القول الثاني:

أنها واجبة في الصلاة وغيرها، روي ذلك عن عطاء[6]،

---

(١) انظر المبسوط للسرخسي (١/ ١٣)، والمحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٥٨).

(٢) عطاء ابن أبي رباح، واسم أبي رباح: أسلم القرشي، مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال، روى له الجماعة مات سنة ١١٤هـ مع المشهور، وقيل: إنه تغير بآخره، ولم يكن ذلك منه، التقريب (٢/ ٢٧).

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن أبي عطية (٣/ ٤٢٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٩١)، اللباب لابن عادل (١٢/ ١٥٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٩١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٤٠)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٦٥).

(٤) البحر المحيط (٥/ ٥١٧).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٠٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٢٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٧٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ٩١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٣٩٩)، اللباب لابن عادل (١٢/ ١٥٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٩١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٤٠)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٦٥).

(٦) سبق توثيقه انظر نفس الصفحة هامش (٣).

وابن حزم[1]، وجميع الظاهرية.

❖ **الترجيــــح:**

الـراجح - والله تعـالى أعلـم - أن حكـم الاسـتعاذة مـستحب، وأمـا الأمـر في الآيـة فمحمول على الندب، ويؤيـده الإجماع، قـال السرخـسي[2] بعـد أن ذكـر قـول عطـاء: (هـو مخالف لإجماع السلف،فقد كانوا مجمعين على أنها سنة)[3].

(١) انظر المحلى (٣/ ٣١٨/ ٣٢٢).

(٢) محمـد بـن أحمـد بـن أبي سـهل، أبـو بكـر السرخـسي، كـان مـن كبـار فقهـاء الحنفيـة، أصـولياً، منـاظراً مـن المجتهدين في المسائل. توفي سـنة ٤٩٠هـ. انظـر طبقـات الـشافعية الكـبرى للـسبكي (٤/ ١١٦)، معجـم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٨/ ٢٦٤).

(٣) المبسوط (١/ ١٣)، المغني لابن قدامة (١/ ٥٥٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٢٠).

قال -تعالى-: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١)

وفيها مسألة واحدة:

[١١] المسألة: المراد بالسلطان في الآية.

رجح أبو حيان ~ أن المراد من السلطان هو التسلط والولاية، وأخذ بظاهر النص ونفى التسلط مطلقاً؛ حيث قال أبو حيان ~ : « ونفى -تعالى- سلطان الشيطان عن المؤمنين، والسلطان هنا: التسليط والولاية،والمعنى: أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته،كما قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (٢)، وكما أخبر -تعالى- فقال في قصة أوليائه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ ﴾ (٣)، وقيل المراد بالسلطان: الحجة، وظاهر الأخبار انتفاء سلطنته على المؤمنين مطلقاً(٤)، وقيل: ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم منه، وقيل: ليس له قدرة أن يحملهم على ذنب » (٥).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالسلطان في قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، على قولين:

---

(١) سورة النحل:آية ٩٩.

(٢) سورة الإسراء:آية ٦٥.

(٣) سورة إبراهيم:آية ٢٢.

(٤) نفى أبو حيان تسلط الشيطان مطلقًا، وتُعقب بأنه إذا لم يكن له تسلط فلم أمروا بالاستعاذة منه، روح المعاني (٧/ ٤٦٥)، وقاله القرطبي: وقد بينا أن هذا عامٌ يدخله التخصيص، وقد أغوى آدم وحواء عليهما السلام بسلطانه، وقد شوش على الفضلاء أوقاتهم بقوله من خلق ربك، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١١٦).

(٥) البحر المحيط (٥/ ٥١٧ - ٥١٨)، انظر النهر الماد (٥/ ٥٣٤).

القول الأول:

أن المراد بالسلطان: التسلط، وللمفسرين فيه عدة أوجه:

أحدها: ليس له عليهم سلطان بحال؛ لأن الله صرف سلطانه عنهم بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [1]، والثاني: ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم منه، الثالث: ليس له قدرة على أن يحملهم على ذنب لا يغفر، وقد اختار هذا القول من المفسرين: (الزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، والشهاب الخفاجي، والقونوي والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والسعدي، والمراغي) [2] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ إلا أنه نفى تسلطه مطلقًا، وتعقب بأنه إذا لم يكن له تسلط فلم أمروا بالاستعاذة منه[3].

القول الثاني:

أن المراد بالسلطان: الحجة، فالمعنى: ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي، قاله: مجاهد، واختاره: (الطبري، والنحاس، وأبو الليث السمرقندي، والبغوي) [4].

---

(١) سورة الحجر: آية ٤٢.

(٢) انظر ذلك على الترتيب: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٧٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٢٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١١٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٠٨)، واللباب لابن عادل (١٢/ ١٥٦)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٩١)، حاشية الشهاب (٥/ ٦٥٠)، حاشية القونوي (١١/ ٣٨٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٤٠)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٦٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٧٩)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٤٧)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ٥٨)، تفسير المراغي (٥/ ٢٥٧).

(٣) انظر روح المعاني (٧/ ٤٦٥).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (٤/ ٢٠٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٩١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٦).

◈ **الترجيــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين أن المراد بالسلطان في قوله سبحانه و–تعالى–: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾[(١)] هو سلطان التسلط والولاية، ويكون معنى الآية أي ليس له تسلط وقدرة على المؤمنين بالإغواء والكفر،لأنهم في حمى الرحمن ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ أي إنما تسلطه وسيطرته على الذين يطيعونه ويتخذونه وليًا[(٢)]. ونفي سلطان الشيطان مشروط بأمرين:

الإيمان والتوكل، قال –تعالى–: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾[(٣)]، والسلطان: مصدر بوزن الغفران، وهو التسلط والتصرف المكين، فالمعنى: أن الإيمان مبدأ لتوهين سلطان الشيطان في نفس المؤمن، فإذا انضم إليه التوكل على الله اندفع سلطان الشيطان عن المؤمن المتوكل[(٤)].

---

(١) سورة النحل: آية ١٠٠.

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٥).

(٣) سورة النحل: آية ٩٩.

(٤) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٧٩).

قال -تعالى-: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ (١٠٠) ﴾[1]
وفيها مسألة واحدة:

[١٢] المسألة: مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير يعود إلى إبليس، أي: والذين هم بإشراكهم إبليس في العبادة مشركون بالله؛ حيث قال أبو حيان ~ : « والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على ﴿رَبِّهِمْ﴾، وقيل: على الشيطان، وهو الظاهر لاتفاق الضمائر، والمعنى: والذين هم بإشراكهم إبليس مشركون بالله، أو تكون الباء للسببية، والأمر بالاستعاذة تقتضي أنها تصرف كيد الشيطان، كأنها متضمنة التوكل على الله والانقطاع إليه »[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في هاء الكناية في قوله -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ على قولين:

القول الأول:

أنها ترجع إلى الله -تعالى- وأن الباء للتعدية، ورجح لموافقته الاستعمال، قال الله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[3] وغير ذلك من نظائره، وقد اختار هذا القول: (الطبري، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي، والقونوي، والشوكاني)[4].

---

(١) سورة النحل: آية ١٠٠.

(٢) انظر البحر المحيط (٥/ ٥١٨).

(٣) سورة النساء: آية ٤٨.

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٠٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٩١)، الوسيط للواحدي (٣/ ٨٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٦)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٧٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١١٦)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٩٢)، حاشية الشهاب (٥/ ٦٥٠)، حاشية القونوي (١١/ ٣٨٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٤٠).

القول الثاني:

أنها ترجع للشيطان، لتتحد الضمائر، وأن الباء للسببية فالمعنى: الذين هم من أجله مشركون بالله، ولم يرد أنهم بإبليس كافرون، ولو كانوا هكذا لكانوا مؤمنين، وإنما أراد به الذين هم من أجله مشركون بالله -تعالى- كما يقال: صار فلان ذلك عالمًا، أي: من أجلك[1]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وعلى ذلك باتفاق الضمائر، واختاره من المفسرين: (ابن عطية، والسمين الحلبي، وابن عادل، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والمراغي)[2].

القول الثالث:

إن اللفظ الكريم يحمل كلا المعنيين، على أن يراد كل معنى على حده ولا يجمع بينهما وهذا ما اختاره القاسمي[3].

◈ الترجيـــح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو القول بأن كلا المعنيين يحتملهما اللفظ، ويصح إرادته فيجوز أن يراد كل معنى على حده، ولا يجمع بينهما، فيكون اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، والقرآن حمال ذو وجوه ومعاني كثيرة.



(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٩١).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٢٠)، الدر المصون للسمين (٧/ ٢٨٦)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/ ١٥٦)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٦٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٧٩)، تفسير المراغي (٥/ ٢٥٧).

(٣) انظر محاسن التأويل للقاسمي (٥٤٧١).

قال -تعالى-: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ﴾(١)، وفيها مسألة واحدة:

[١٣] المسألة: مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ يعود على المصادر المفهومة من الأفعال السابقة من الهجرة والجهاد والصبر؛ حيث قال أبو حيان ~ : « والضمير في ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾ عائد على المصادر المفهومة من الأفعال السابقة أي: من بعد الفتنة والهجرة والجهاد والصبر"، وقال ابن عطية: والضمير في ﴿بَعۡدِهَا ﴾ عائد على الفتنة، أو الهجرة، أو التوبة، والكلام يعطيها، وإن لم يجر لها ذكر صريح(٢) »(٣).

◊ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن الضمير عائد علي الفعلة، أي: من بعد فعلتهم هذه لغفور، أي: لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا من كلمة الكفر بألسنتهم، وهم لغيرها مضمرون، وللإيمان معتقدون، رحيم أن يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله وتوبتهم، قد اختار هذا القول: (الفراء، والطبري، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي)(٤).

---

(١) سورة النحل: أية ١١٠.

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٢٥).

(٣) انظر البحر المحيط (٥/ ٥٢٢).

(٤) انظر على الترتيب: معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٤)، جامع البيان للطبري (١٤/ ٢١٨)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٢٠)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٩٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ٨٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٩٩).

القول الثاني:

إن الضمير عائد على الفتنة وهو قول مقاتل[١].

القول الثالث:

الضمير عائد على عدة أفعال،أي من بعد هذه الأفعال وهي الهجرة والجهاد والصبر وقد اختار هذا القول: (الزمخشري، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والنسفي، وأبو السعود)[٢].

القول الرابع:

إن الضمير عائد على الفتنة والهجرة والجهاد والصبر، هذا ما رجحه أبو حيان ~ وهذا مثل القول السابق، إلا أن أبا حيان قد عمّ وأضاف الفتنة وهو ما رجحه: (السمين الحلبي، وابن عادل الحنبلي)[٣].

القول الخامس:

أن الضمير عائد على الفتنة أو على الفعلة أو الهجرة أو التوبة، وقال بهذا ابن عطية[٤] وأضاف ذكر التوبة وإن لم يجر بها ذكركما قال أبو حيان ~ .

---

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٨٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٢/ ٤٠٢)، وقد يعد هذا القول داخل في الأول لأن بعض المفسرين قال الفعلة وبعض قال الفتنة وبعضهم قال: أن الفعلة هي الإجابة إلى الفتنة، انظر تيسير العلي القدير للرفاعي (٢/ ٦٠٧).

(٢) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٧٧)،زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٨٠)،مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٠١)،مدارك التنزيل للنسفي ص(٦١٠)،إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٩٦).

(٣) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٢٩٢)،اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ١٧٠).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٢١١ .

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله أعلم - هو قول أبي حيان ~ وهو القول بالعموم في مرجع الضمير، وهي المصادر في هاجروا وجاهدوا واصبروا، وإن لم يذكر بعض المفسرين الفتنة لدخولها في الصبر[1]، يقول الطاهر بن عاشور: وكل تلك الاحتمالات تشير إلى أن المغفرة والرحمة لهم جزاء على بعض تلك الأفعال أو كلها[2].

---

(١) انظر حاشية القونوي (١١/ ٣٩٦).

(٢) انظر التحرير والتنوير (٦/ ٣٠١).

قال -تعالى-: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [(1)]، وفيها مسألة واحدة:

[١٤] المسألة: المراد بالقرية:

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالقرية مكة؛ حيث قال أبو حيان ~ : « وعن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة[(2)]: أن القرية المضروب بها المثل مكة،كانت لا تغزى ولا يغار عليها، والأرزاق تجلب إليها أنعم الله عليها بالرسول ﷺ فكفرت، فأصابها السنون والخوف، وسرايا الرسول وغزواته، ضربت مثلاً لغيرها مما يأتي بعدها، وهذا وإن كانت الآية مدنية، وإن كانت مكية فجوع السنين وخوف العذاب بسبب التكذيب، ويؤيد كونها مكية قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [(3)]، ويجوز أن يكون قرية من قرى الأولين، وعن حفصة[(4)]،[(5)]: أنها مدنية، وقال ابن عطية: (يتوجه عندي أنها قصد بها قرية معينة، جعلت مثلاً لمكة على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة)[(6)]، وقال الزمخشري: (يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن يكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها، فضربها الله مثلاً لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها) [(7)]. انتهى، ولا يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة،

---

(١) سورة النحل: آية ١١٢.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٢٠-٢٢١)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٥)، الدر المنثور (٥/ ١٥٣).

(٣) سورة النحل: آية ١١٣.

(٤) حفصة بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، هي أم المؤمنين، تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث من الهجرة توفت سنة ٤١هـ انظر الإصابة (٧/ ٥٨١)، الطبقات الكبرى (٨/ ٨١).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٢١)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٥)، الدر المنثور (/ ١٥٣١٥).

(٦) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٤٢٦).

(٧) انظر الكشاف (٣/ ٤٧٨).

بل لابد من وجودها لقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [1] » [2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في القرية التي ذكرت في قوله -تعالى-: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

إن المراد بالقرية: مكة،كانت آمنة، لا يهاج أهلها، ولا يغار عليها، أنعم الله عليها بالنعمة العظيمة، وهو محمد ﷺ فكفروا به، وبالغوا في إيذائه، فسلط الله عليهم البلاء، وعذبهم بالجوع سبع سنين، والخوف، فكان يبعث إليهم السرايا فيغيرون عليهم، وهو قول: (ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد) [3] وقد اختاره: (الفراء، والطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، وابن كثير، والطاهر بن عاشور، والسعدي، والمراغي) [4] وهو ما رجحه أبو حيان ~ .

القول الثاني:

أن المراد بالقرية: المدينة، ومن ذلك ما روي عن حفصة: زوج النبي ﷺ أنها كانت خارجة من مكة إلى المدينة، فأُخبِرت أن عثمان قد قتل فرجعت وقالت: ارجعوا بي، فوالذي

---

(١) سورة النحل: آية ١١٣.

(٢) انظر البحر المحيط (٥/ ٥٢٤)، وانظر النهر (٥/ ٥٤١).

(٣) سبق توثيقه انظر الصفحة السابقة ص٢١٤ .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٤)، جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٢٠)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٢١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٠٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٩٤)، الوسيط الواحدي (٣/ ٨٨)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٠٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٨١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٢٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٤٠٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٠٥)، تيسير الكريم المنان لابن سعدي (٣/ ٦٢)، تفسير المراغي (٥/ ٢٦٥).

نفسي بيده إنها للقرية التي قال الله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾[1]، وروي أيضاً عن: (عائشة[2] < وعن ابن شهاب[3]) [4] وقد رده ابن عطية قائلاً: إن الأمر ليس كذلك وإنما أرادت أن المدينة قد وقعت في محذور المثل وحل بها ما حل بالتي جعلت مثلاً[5].

القول الثالث:

أنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى، إنما جعلت مثلاً لأهل مكة على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة، ومثل مكة يكون غير مكة، وقد اختاره: (الزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي) [6].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - بأن المراد بالقرية مكة وهو ما رجحه أبو حيان ~ وذلك:

١/ لدلالة السياق القرآني لقوله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ ﴾ فهذه الآية وما بعدها من الآيات خطاب لأهل مكة، وحالهم وتمام للمثل المضروب.

---

(١) سورة النحل: آية ١١٢.

(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، أم عبدالله،الفقيهة، توفيت سنة ٥٧هـ.
انظر: الإصابة (٨/ ١٦)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٥٨).

(٣) محمد بن مسلم الزهري، الفقيه المدني، نزيل الشام مشهور بالأمانة والجلالة، من التابعين، توفي١٢٥هـ.
انظر تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٠٩).

(٤) انظر النكت والعيون (٣/ ٢١٧)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١٥٣).

(٥) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٤٢٦).

(٦) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٧٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٢٦)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٠٢)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦١١)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٩٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٤٧) روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٧٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٥٣).

٢/ إن مما يقوي الاحتمال بأن تكون القرية المضروب بها المثل، هي: مكة، أن هذه الآية قد نزلت بعد أن أصابهم الجوع الذي أنذروا به، في قوله -تعالى-: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [1] وهو الدخان الذي كان يراه أهل مكة أيام القحط الذي أصابهم بدعاء النبي ﷺ[2].

(١) سورة الدخان: آية ١٠ـ ١١.

(٢) حيث قال عليه الصلاة والسلام: " اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف، أخرجه البخاري: كتاب الدعوات؛ باب الدعاء على المشركين (٥/ ٢٣٤).

قال -تعالى-: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[١٥] المسألة: معنى السوء.

رجح أبو حيان ~ بأن معنى السوء: عامٌ في كل ما يسوء صاحبه من كفر، أو معصيته، أو غيره؛ حيث قال أبو حيان ~: « والسوء هنا: قال ابن عباس: الشرك قبل المعرفة بالله[2]. انتهى، والسوء: ما يسوء صاحبه من كفر ومعصية وغيره »[3].

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى السوء على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بالسوء: الشرك. وهو قول ابن عباس رضي الله عنه، وقد اختاره: (الواحدي، والقرطبي)[4].

القول الثاني:

أن المراد بالسوء: ما يسوء صاحبه من كفر ومعصية، وهذا ما رجحه أبو حيان ~، وقد اختار هذا القول: (الزمخشري، والسمين الحلبي، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي، وابن عادل، والآلوسي، والمراغي)[5].

---

(١) سورة النحل: آية ١١٩.

(٢) انظر تفسير الواحدي (٣/ ٨٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٢٩).

(٣) انظر البحر المحيط (٥/ ٥٢٨).

(٤) انظر تفسير الواحدي (٣/ ٨٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٢٩).

(٥) انظر ذلك على الترتيب التالي الكشاف للزمخشري (٢٠/ ١٠٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٣٠١)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٠١)، حاشية الشهاب (٥/ ٦٦٨)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ١٨١)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٨٣)، تفسير المراغي (٥/ ٢٧٠).

◈ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم -: أن المراد بالسوء ما يسيء صاحبه من كفر أو معصية ويدخل فيه الافتراء على الله -تعالى- وذلك لأن القول بالعموم أولى.

قال -تعالى-: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[١٦] المسألة: هل الآية مكية أو مدنية ؟

رجح أبو حيان ~ أن الآية مدنية وهو قول جمهور المفسرين؛ حيث قال أبو حيان ~ : « قالت فرقة: هذه الآية منسوخة بآية القتال[2]، وقالت فرقة: هي محكمة، قال -تعالى-: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أطبق أهل التفسير أن هذه الآية مدنية، نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره في يوم أحد، ووقع ذلك في صحيح البخاري[3] وفي كتاب السير، وذهب

---

(١) سورة النحل: آية ١٢٦.

(٢) القول بالنسخ مروي عن ابن عباس، وزيد بن أسلم، انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٣٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٣٨٧)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ١٧٩).

و القول بالنسخ مما شغف به بعض المفسرين، إلا أن الكثير من المحققين من المفسرين يرون أن الآية محكمة لا نسخ فيها، لأنها فيمن ظلم بظلامه، فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما نال ظالمه، انظر المصفى في علم الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي ص(٤٢)، لباب النقول للسيوطي ص(١٣٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١١٥).

(٣) هذا الحديث لم يرد في صحيح البخاري كما قال أبو حيان، بل ذكره الحافظ في الفتح، وهذا الحديث من رواية ابن عباس، ورواية أبي هريرة ﷺ، ومدار إسناده على رجل ضعيف في كل منهما فحديث ابن عباس فيه علتان:

الأولى: ضعف عبدالعزيز بن عمران، والثانية: اضطراب إسماعيل بن أبي عياش، وقد أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٣/ ١٨٣)، والقاضي الحسين بن إسماعيل المحاملي في أماليه (١٢٧، ٣٤٤)، وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٦٢)، والدار قطني في سننه (٤/ ١١٦)، وأعله بعبد العزيز بن عمران فهو ضعيف، وفي (٤/ ١١٨) قال: لم يروه غير إسماعيل بن عياش وهو مضطرب الحديث.

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه الطحاوي (٣/ ١٨٣)، والطبراني في الكبير (٣/ ١٤٣)، والحاكم (٣/ ٢١٨)، ومداره على صالح بن بشير المري. وهو ضعيف كما في التقريب (١/ ٢٧١) وبه أعله ابن كثير في تفسيره (٢/ ٦١٤)، وأشار إلى هذا الضعف الحافظ ابن حجر. فتح الباري (٧/ ٤٣٠)، وانظر الدر المنثور (٥/ ١٧٩) و(٥/ ١٧٨)، وقال الألباني: ضعيف انظر سلسلة الضعيفة (٢/ ٢٨).

النحاس إلى أنها مكية[1]، والمعنى متصل بما قبلها اتصالاً حسناً؛ لأنها [تندرج الرتب][2] من الذي يدعي و[يوعظ][3] إلى الذي يجادل [إلى الذي يجازي على فعله][4]، ولكن ما روى الجمهور أثبت، وذهبت فرقة منهم: ابن سيرين[5] ومجاهد[6] إلى أنها نزلت فيمن أُصيب بظُلامة أن لا ينال من ظالمه إذا تمكن إلا مثل ظُلامته لا يتعداها إلى غيرها»[7].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في هذه الآية هل هي مدنية أو مكية؟ وهل فيها نسخ، أو لا؟ على ثلاثة أقوال منها:

القول الأول:

أن سورة النحل كلها مكية إلا هذه الآيات الثلاث، وأنها نزلت في شأن التمثيل بحمزة - رضي الله تعالى عنه - يوم أحد، وقد وهم أبو حيان ~ وقال: بأنها وردت في البخاري، ولكن هذه القصة لم تثبت بإسناد صحيح، فأسانيدها فيها مقال، قال القرطبي: إنه مما أطبق عليه المفسرون[8]، ولكن قول القرطبي هذا مردود بدليل: أن عدداً من المفسرين، يرى أن هذه الآية مكية، وقد اختار هذا القول: (الفراء، والزجاج، وأبو الليث السمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، والنسفي،

---

(١) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ١١٣).

(٢) في المطبوع (تتدرج الرتب).

(٣) في المطبوع (توعظ).

(٤) هذه الجملة زائدة في المطبوع.

(٥) انظر صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه (٢/ ٨٦٨)، جامع البيان لابن جرير الطبري (١٤/ ٢٣٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٢١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٣٢).

(٦) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري (١٤/ ٢٣٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٢١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٣٢).

(٧) انظر البحر المحيط (٥/ ٥٣١)، والنهر (٥/ ٥٤٩).

(٨) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٣٣).

والآلوسي)[1].

القول الثاني:

أن هذه الآية مكية، وأن معناها متصل بما قبلها، لأنها تتدرج الرتب من الذي يدعي ويوعظ إلى الذي يجادل إلى الذي يجازي على فعله، قال النحاس: « ويدلك على أن هذا نزل بمكة قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ وأكثر مكرهم، وحزنه ﷺ كان بمكة[2]، ويناسب هذا نسق الآيات التي قبلها وبعدها، وعليه ذهبت طائفة من المفسرين إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، وأنها أمر من الله -تعالى- لمن عوقب من المؤمنين بعقوبة أن يَعاقب بمثل الذي عوقب به إن اختار ذلك، وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته خير، فالآية محكمة لها وجه صحيح من التأويل يمكن حملها عليه[3]، وقد اختار هذا القول: (النحاس، وابن عطية، والفخر الرازي، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي، والقونوي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي) [4].

القول الثالث:

إنها مما تكرر نزوله، قال السيوطي[5]: (إن بعض القرآن قد يتكرر نزوله تذكيراً

---

(١) انظر معاني القرآن للفرآء (٢/ ١١٥)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٢٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٩٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ٩١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٠٣)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٣٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦١٤)، روح المعاني للألوسي (٧/ ٤٩٠).

(٢) معاني القرآن للنحاس (٤/ ١١٣).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٤/ ٢٣٣).

(٤) انظر ذلك على الترتيب التالي: (معاني القرآن للنحاس(٤/ ١١٣)، المحرر الوجيز لابن عطية(٤/ ٤٣٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١١٣)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٠٥)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٥/ ٦٧٥)، حاشية القونوي على البيضاوي (١١/ ٤٢١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٣٥)، محاسن التأويل للقاسمي(٤/ ٥٦٠)).

(٥) الإمام الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن كمال الدين أبي المناقب أبي بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، توفي سنة٩١١هـ. انظر شذرات الذهب (٨/ ٥١).

وموعظة ومنها خواتيم سورة النحل)[1]، فتكون الآية مكية ومدنية.

❖ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن الآية محكمة، لا نسخ فيها، وهي مكية وذلك لما يلي:

١. لأن القول بأنها نزلت بشأن حمزة ﷺ إنما هو من باب المثال لما دلت عليه الآية، والقصة لم تثبت بإسناد صحيح، فأسانيدها فيها مقال، ويؤيد القول بالإحكام ارتباط الآية بسابقها ولاحقها ارتباطاً وثيقاً فيكون النسق واحداً، ويكون معناها أن من ظلم مظلمة فله أن يعاقب على قدرها، ومن صبر وعفى فذاك الأفضل والأولى، قال الطاهر بن عاشور: « فهذه الآية متصلة بما قبلها أتم اتصال، وحسبك وجود العاطف فيها، وهذا تدرج في رتب المعاملة من معاملة الذين يدعون ويوعظون إلى معاملة الذين يجادلون ثم إلى معاملة الذين يجازون على أفعالهم وبذلك حصل حسن الترتيب في أسلوب الكلام »[2].

٢. أن القول بأن الآية منسوخة مردود من أوجه:

أولاً: أن هذه الآية مكية، ويدل على ذلك نظم السياق القرآني؛ حيث أنها نزلت بمكة، ولم يؤمر النبي ﷺ بقتال، وقتل حمزة ﷺ كان بالمدينة في أُحد.

ثانياً: ضعف أسانيد رواية قصة حمزة ﷺ.

ثالثاً: اختيار المحققين من المفسرين بأن الآية محكمة وأنه لا نسخ فيها، وإنما مقصودها: تعليم حسن الأدب في الدعوة إلى الله، والقول بالنسخ مما شغف به بعض المفسرين، ولا فائدة في تكثير القول به[3].



(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ١٠٢).

(٢) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٣٥).

(٣) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١١٥).

ترجيحات أبي حيان الأندلسي
في
سورة الإسراء

قال -تعالى-: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] وفيها مسألتان:

[١/١٧] المسألة الأولى: كيفية الإسراء.

رجح أبو حيان ~ أن الإسراء كان بجسده، وروحه عليه الصلاة والسلام؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن هذا الإسراء كان بشخصه، ولذلك كذبت قريش به وشنعت عليه، وحين قص ذلك على أم هاني[2] قالت: لا تحدث الناس بها فيكذبوك[3]، ولو كان مناماً ما استنكر ذلك، وهو قول جمهور أهل العلم، وهو الذي ينبغي أن يعتقد، وحديث الإسراء مروي في المسانيد عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، وذكر أنه رواه عشرون من الصحابة[4]، قيل: وما روي عن عائشة ومعاوية[5]: أنه كان مناماً، فلعله لا يصح عنهما، ولو صح لم يكن في ذلك حجة؛ لأنهما لم يشاهدا ذلك لصغر عائشة وكفر معاوية إذ ذاك، ولأنهما لم يسندا ذلك إلى الرسول ﷺ ولا حدّثا به عنه، وعن الحسن: كان في المنام رؤيا رآها » [6].

---

(١) سورة الإسراء: آية ١.

(٢) أم هانئ بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، أخت علي بن أبي طالب (شقيقته)، أمها فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أم طالب، وعقيل، وجعفر، وجمانة، اختلف في اسمها فقيل: هند، وقيل فاختة كانت تحت هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن مخزوم، أسلمت عام الفتح، وفر زوجها إلى نجران، وأقام فيها إلى أن مات فيها مشركاً، انظر: الاستيعاب لابن عبدالبر (١/ ٦٣٨)، أسد الغابة لابن الأثير(١/ ١٤٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٥/ ٦)، وفي سنده محمد بن السائب الكلبي وهو متروك ساقط، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبدالأعلى بن أبي المساور وهو متروك كذاب، انظر مجمع الزوائد (١/ ٧٦).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٢/ ٤٠٨-٤١٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٦٦)، قال الحافظ بن كثير رحمه الله: [وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، منهم من ساقه بطوله ومنهم من أختصره على ما وقع في المسانيد وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، وأعرض عنه الزنادقة الملحدون]. باختصار.

(٥) معاوية بن أبي سفيان: صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي، أمير المؤمنين أبو عبدالرحمن، صحابي أسلم يوم الفتح توفي سنة ٦٠هـ، انظر الإصابة (٦/ ١٥١)، الطبقات الكبرى (٧/ ٤٠٦).

(٦) انظر البحر المحيط (٦/ ٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ٣).

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في كيفية إسرائه عليه الصلاة والسلام على أقوال:

القول الأول:

أنه أسرى بجسده وروحه عليه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى فيه بالأنبياء[(١)]، ثم عرج به إلى السماء ثم رجع به إلى المسجد الحرام فصلى فيه صلاة الصبح من صبيحة ليلته، وهذا ما عليه معظم جمهور السلف والخلف[(٢)] وهو ما رجحه أبو حيان ~ .

القول الثاني:

أنه أسري بروحه في المنام ورؤيا الأنبياء وحي، وذهبت إلى هذا عائشة[(٣)] < ومعاوية رضي الله عنه[(٤)] والحسن البصري[(٤)] وابن إسحاق[(٥)]،[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً) (النساء: ١٦٤) (٦/ ٢٧٣٠)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم (١/ ١٤٥).

(٢) انظر الشفا للقاضي عياض (٢/ ٢٦٩)، السيرة لابن هشام (٢/ ١٠٤)، جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١)، معالم التنزيل للبغوي(٣/ ١٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٣٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٣٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٥٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٦٦)، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي (٣/ ٦٨)، تفسير المراغي(٥/ ٢٨٣).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١) حيث قالت:[ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه]، انظر الدر المنثور للسيوطي(٤/ ٢٨٨)، سيرة ابن هشام (٢/ ٧)، البداية والنهاية لابن كثير(٣/ ١١٠)، وهذا متن منكر، فقد صحت الروايات المرفوعة والموقوفة بالإسراء جسداً وروحاً، وعائشة < لم تكن زوجة النبي صلى الله عليه وسلم يومها، انظر تخريج الكشاف لابن حجر(٣/ ٤٩٣).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١).

(٥) محمد بن إسحاق بن يسار القرشي، أبو بكر، علامة حافظ، من أحسن الناس سرداً للأخبار توفي سنة ١٥٠هـ، انظر التاريخ الكبير(١/ ٤٠)، مشاهير علماء الأمصار (١٣٩).

(٦) انظر السيرة لابن إسحاق (٢/ ٣٠٤).

وكانوا يتأولون قوله -تعالى-: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [(١)] أنها في المعراج.

القول الثالث:

ذهبت طائفة إلى التفصيل، فقالوا: كان الإسراء بجسده يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح، واستدلوا على هذا التفصيل بقوله: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ ، فجعله غاية للإسراء بذاته ﷺ، فلو كان الإسراء من بيت المقدس إلى السماء وقع بذاته لذكره[(٢)].

القول الرابع:

ذهبت طائفة منهم: القاضي أبو بكر[(٣)]، والبغوي[(٤)] إلى تصديق القائلين بأنه في المنام والقائلين بأنه في اليقظة وتصحيح الحديثين في ذلك بأن الإسراء كان مرتين إحداهما في نومه ﷺ قبل النبوة فأسري بروحه توطئة وتيسيراً لما يضعف عنه قوى البشر وإليه الإشارة بقوله -تعالى-: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [(٥)] ثم أسري بروحه وبدنه بعد النبوة، وقالوا: بأن هذا الحق الذي به يحصل الجمع بين الأخبار[(٦)] واختاره: (الطاهر بن عاشور) [(٧)]، وقد رده القاسمي قائلاً: (والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة، ويا عجبا لهؤلاء الذين زعموا أنه كان مرارا كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة يفرض عليهم الصلوات خمسين ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى

---

(١) سورة الإسراء: آية ٦٠.

(٢) انظر تحفة الأحوذي للمبارك فوري، أبواب الصلاة باب ومن سورة بني إسرائيل (٥/ ٤٥٠).

(٣) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي، القاضي أبو بكر الباقلاني، من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب ا لشاعرة، ولد في البصرة عام ٣٣٨هـ سكن بغداد، توفي فيها عام ٤٠٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي(١٧/ ١٩٣)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥/ ٣٧٩).

(٤) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١١٠)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٩).

(٥) الإسراء: آية ٦٠.

(٦) انظر روح المعاني للألوسي (٨/ ٩).

(٧) انظر التحرير والتنوير (٦/ ٢٣).

تصير خمسا، فيقول أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ثم يحطها عشراً عشرا) [١].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن الإسراء كان بجسده وروحه ﷺ يقظة إلى بيت المقدس، ثم إلى السموات، وهو ما رجحه أبو حيان ~ وعليه الجمهور، وذلك لما دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة ولا حاجة إلى التأويل وصرف هذا النظم القرآني وما يماثله من ألفاظ الأحاديث إلى ما يخالف الحقيقة، ولا مقتضى لذلك إلاّ مجرد الاستبعاد وتحكيم محض العقول القاصرة عن فهم ما هو معلوم من أنه لا يستحيل عليه سبحانه شيء، ولو كان ذلك مجرد رؤيا كما يقوله من زعم: أن الإسراء كان بالروح فقط، وأن رؤيا الأنبياء حق لم يقع التكذيب من الكفرة للنبي ﷺ عند إخباره لهم بذلك حتى ارتدّ من ارتدّ ممن لم يشرح بالإيمان صدراً، فإن الإنسان قد يرى في نومه ما هو مستبعد، بل ما هو محال ولا ينكر ذلك أحد؛ وأما التمسك لمن قال بأن هذا الإسراء إنما كان بالروح على سبيل الرؤيا بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [٢] فعلى تسليم أن المراد بهذه الرؤيا هو هذا الإسراء فالتصريح الواقع هنا بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ والتصريح في الأحاديث الصحيحة الكثيرة بأنه أسرى به لا تقصر عن الاستدلال بها على تأويل هذه الرؤيا الواقعة في الآية برؤية العين، فإنه قد يقال لرؤية العين رؤيا، وكيف يصح حمل هذا الإسراء على الرؤيا مع تصريح الأحاديث الصحيحة بأن النبي ﷺ ركب البراق؟ وكيف يصح وصف الروح بالركوب؟ وهكذا كيف يصح حمل هذا الإسراء على الرؤيا؟ مع تصريحه ﷺ بأنه كان عندما أسري به بين النائم واليقظان[٣].

---

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٦٦)، شرح الطحاوية (١/ ٢٢٣).

(٢) سورة الإسراء: آية ٦٠.

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٧).

[٢/١٨] المسألة الثانية: المراد بالمسجد الحرام.

رجح أبو حيان أن المراد بالمسجد الحرام هو المسجد بمعناه المعروف والمشهور بين الخاص والعام؛ حيث قال: « والظاهر أن قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ هو: المسجد المحيط بالكعبة بعينه، وهو قول أنس[(١)]، وقيل: من الحجر، وقيل: من بين زمزم والمقام، وقيل: من شعب أبي طالب، وقيل: من بيت أم هانئ، وقيل: من سقف بيته عليه الصلاة والسلام، وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون أطلق المسجد الحرام على مكة » [(٢)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالمسجد الحرام في الآية على قولين:

القول الأول:

أن المراد به المسجد بعينه والمشهور بين الخاص والعام واستدلوا بظاهر الآية وبما أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة[(٣)] قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا في الحجر -وفي رواية في الحطيم- بين النائم واليقظان إذ أتاني آت فشق ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبي فغسله ثم أعيد مكانه ثم أتيت بدابَّة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له البراق فحملت عليه[(٤)]، وفي بعض الروايات أنه جاءه

---

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن النجار الأنصاري أبو حمزة المدني، خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين من الرواية، مات سنة ٩٢هـ أو ٩٣هـ، انظر الإصابة (١/ ١٢٦)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ١٧).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٦).

(٣) مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي الأنصاري المازني، صحابي حدّث أنس بن مالك عنه حديث الإسراء وهو في الصحيحين، قال عنه الذهبي: شيخ أنس في حديث المعراج، مات بالمدينة، انظر الإصابة (٥/ ٧٢٨)، الكاشف(٢/ ٢٣٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج (٣/ ١٤١٠)، وكتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة عليهم السلام (٣/ ١١٧٣)، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ (١/ ١٤٥)، والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن، باب سورة بني إسرائيل (٥/ ٣٠١)، وابن =

جبريل وميكائيل -عليهما السلام- وهو مضطجع في الحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر فاحتملته الملائكة -عليهم السلام- وجاؤوا به إلى زمزم والمقام[1]. وقد رجح أبو حيان ~ هذا القول مستدلاً بظاهر الآية واختاره: (الطبري، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والقاسمي، والسعدي)[2].

القول الثاني:

أن المراد بالمسجد الحرام: الحرم، وأطلق عليه لإحاطته به، فهو مجاز بعلاقة المجاورة الحسية والإحاطة، أو لأن الحرم كله محل للسجود ومحرم ليس بحل، فهو حقيقة لغوية وكان ﷺ إذ ذاك في دار فاختة أم هانئ بنت أبي طالب < نائماً في بيتها بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها[3]، واستند أصحاب هذا الرأي إلى قوله -تعالى-: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾[4] أي مكة، واختاره: (الفرآء، وابن وهب، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، وابن عادل، والطاهر بن عاشور)[5].

= خزيمة في صحيحه: كتاب الصلاة، باب بدء فرض الصلوات الخمس(١/ ١٥٣)، وقال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: متفقٌ عليه من حديث مالك بن صعصعة مطولاً (٣/ ٤٩٢).

(١) انظر روح المعاني للألوسي (٨/ ٧).

(٢) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦١٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٢/ ٤٠٧)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٠٩)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٦٣)، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي(٣/ ٦٨).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: « ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند، وكأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، وأخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٣٧٧ - ٣٧٨) كتاب التفسير سورة الإسراء (١١٢٨٥) من طريق عوف بن أبي جميلة عن زرارة بن أبي أوفى عن بن عباس مرفوعاً (لما كان ليلة أسري..)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٧٦ــ ٧٧) - كتاب معرفة الصحابة من حديث عائشة، وأخرجه الطبراني في الكبير(٢٤/ ٤٣٢) (١٠٥٩)، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٦٦ - ١٦٧) كلاهما من حديث أم هانئ من طرق مختلفة، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٥٨) لأبي يعلى الموصلي في مسنده ولم أجده فلعله من المفقود - والله المستعان ».

(٤) سورة الفتح: آية ٢٧.

(٥) انظر معاني القرآن للفرآء (٢/ ١١٥)، الواضح في التفسير لابن وهب (١/ ٤٤٩)، معاني القرآن للزجاج =

◈ **الترجيـــح:**

الراجح -والله أعلم- أن المراد بالمسجد الحرام هو المسجد الحرام بعينه، أي: أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام وقد كان فيه حين أسري به؛ وذلك لما يأتي:

١. لظاهر القرآن الكريم حيث قال -تعالى-: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

٢. أن أدلة القائلين بأن المراد به المسجد الحرام بعينه أقوى؛ لأن أحاديث الشيخين مقدمة على أحاديث غيرهما[1].

= (٣/ ٢٢٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١١٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٩٩)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/ ١٩٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(٦/ ١٣).

(١) انظر تخريج الأحاديث في دراسة المسألة ص٢٢٩ .

قال -تعالى-: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾[1] وفيها مسألة واحدة:

[٣/١٩] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير يعود على نوح عليه السلام؛ حيث قال ~: « والظاهر أن الضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد على نوح، قال سلمان الفارسي[2]: كان يحمد الله على طعامه[3]، وقال إبراهيم شكره إذا أكل قال: بسم الله، فإذا فرغ قال: الحمد لله[4] وقال قتادة: كان إذا لبس ثوباً قال: بسم الله، وإذا نزعه قال: الحمد لله[5]، وقيل: الضمير في أنه عائد إلى موسى. انتهى »[6].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٣.

(٢) سلمان الخير الفارسي، أبو عبدالله ابن الإسلام، أصله من أصبهان، وقيل: من رامهرمز، كان أول مشاهده الخندق، وشهد بقية المشاهد وفتوح العراق توفي سنة ٣٤هـ، انظر الإصابة (٣/ ١٤١)، الطبقات الكبرى (٤/ ٧٥).

(٣) انظر المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٣٦٠)، جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٤)، الدر المنثور للسيوطي (٤/ ١٦٢).

(٤) ذكره في الدر (٥/ ٢٠٩) وعزاه إلى عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد عن إبراهيم (٤/ ١٦٢)، وابن المبارك في الزهد عن مجاهد ص(٣٣٠)، وأخرج أحمد نحوه في الزهد عن القرظي ص(٥٠)، انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١١٢)، تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤).

(٥) انظر الزهد لابن المبارك عن محمد القرظي ص(٣٢٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٠٩)، وزاد نسبته إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٦٢).

(٦) انظر البحر المحيط (٦/ ٨)، وانظر النهر (٦/ ٥).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ على قولين:

القول الأول:

أن مرجع الضمير عائدٌ على نوح عليه السلام وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وعليه جمهور المفسرين[1].

القول الثاني:

أن الضمير يعود على موسى عليه السلام، وقد ذكر ذلك عدد من المفسرين دون نسبة القول إلى أحدٍ بعينه[2].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن مرجع الضمير يعود على نوح عليه السلام وذلك لما يلي:

١ - عود الضمير على أقرب مذكور فالأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[3].

---

(١) أنظر جامع البيان للطبري(١٥/ ٢٤)، الواضح في التفسير لابن وهب (١/ ٤٥٠)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٠١)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٢٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ٩٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١١٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٣٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٥)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ١٢٤)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/ ٢٠٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١١١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٥٨)، روح المعاني للألوسي (٨/ ١٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٧٣)، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي (٣/ ٦٩).

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٢/ ٢٢٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٤٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١١١)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٧).

(٣) قواعد الترجيح لحسين الحربي (٢/ ٦٢١).

٢ - ملاءمته لما قبله فكأنه قال: لا تتخذوا من دوني وكيلاً ولا تشركوا بي، لأن نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً، فإنما يكون العبد شكوراً لو كان موحداً لا يرى حصول شيء من النعم إلا من فضل الله، وأنتم ذرية قومه فاقتدوا بنوح عليه السلام كما أن أبائكم اقتدوا به[(١)] قال العلماء: ووجه الإنعام على الخلق بهذا القول أنهم كانوا في صلب من نجا، قال قتادة: (الناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة) [(٢)].

٣ - روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (أنا سيد الناس يوم القيامة) بطوله، وفيه (فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكورا، فاشفع لنا إلى ربك) وذكر الحديث بكماله[(٣)].

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ١٢٤).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٥).

(٣) صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب قوله -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ (٣/ ١٢١٥) وكتاب التفسير باب سورة بني إسرائيل (٤/ ١٧٤٥).

قال -تعالى-: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾ [١]، وفيها مسألة واحدة:

[٤/٢٠] المسألة: معنى ﴿بَعَثْنَا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى البعث في الآية هو: الإرسال والتسليط؛ حيث قال ~: « والبعث هنا: الإرسال والتسليط، وقال الزمخشري: معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا، ولم نمنعهم، على أن الله عز وعلا أسند بعث الكفرة إلى نفسه فهو كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [٢] وكقول الداعي: وخالف بين كلمتهم، وأسند الجوس - وهو التردّد خلال الديار بالفساد - إليهم، فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم[٣] انتهى. وفي قوله خلينا بينهم وبين ما فعلوا: دسيسة الاعتزال، وقال ابن عطية: ﴿بَعَثْنَا﴾ يحتمل أن يكون الله أرسل إلى ملك تلك الأمة رسولاً يأمره بغزو بني إسرائيل فتكون البعثة بأمر، ويحتمل أن يكون عبر بالبعث عما ألقي في نفس الملك [الذي] [٤] غزاهم[٥] انتهى » [٦].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى كلمة ﴿بَعَثْنَا﴾ في الآية على أقوال.

القول الأول:

إن معنى بعثنا أي: أرسلنا وسلطنا، والمراد به الذين تسلطوا على بني إسرائيل بالقتل

---

(١) سورة الإسراء: آية ٥.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٢٩.

(٣) الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٥).

(٤) وفي المطبوع (أي).

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٣٩).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٩).

والنهب والأسر، فبين -تعالى- أنه هو الذي بعثهم على بني إسرائيل، ولا شك أن قتل بني إسرائيل ونهب أموالهم وأسر أولادهم كان مشتملًا على الظلم الكبير والمعاصي العظيمة، قال ابن القيم: (الله -سبحانه- الخالق لكل شيء، فهو الخالق للعباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء، والرب -سبحانه- هو الذي جعله فاعلاً لذلك، وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب، (فجعله فاعلاً) خير، و(المفعول) شر قبيح، فهو -سبحانه- بهذا الجعل قد وضع الشيء موضعه لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها، فهو خير وحكمة ومصلحة، ولإن كان وقوعه من العبد عيباً ونقصاً وشراً » [1]، وهذا مذهب أهل السنة[2] وقد اختاره عدد من المفسرين[3] وهو ما رجحه أبو حيان ~ رادًا على الزمخشري ومبينًا مذهبه الاعتزالي[4]، المبني على أنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريده.

القول الثاني:

أن المراد بالبعث هو أن الله أرسل إلى ملك تلك الأمة رسولاً يأمره بغزو بني إسرائيل فتكون البعثة بأمر، واختاره: (الماوردي، وابن عطية) [5].

---

(١) شفاء العليل في الباب الحادي والعشرون في تنزيه القضاء الإلهي عن الشر ودخوله في المقضي (٢/ ٥٠٩).

(٢) انظر شفاء العليل لابن القيم (٢/ ٥٠٩)، شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٤٩)، مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٩٤)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ص(٦٢٥).

(٣) الواضح لابن وهب (١/ ٤٥٠)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٠٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٥)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ١٢٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦١٦)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٢١٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤١٩) روح المعاني للألوسي (٨/ ١٨).

(٤) انظر الكشاف (٣/ ٤٩٥)، يقول الزمخشري: (فإن قلت: كيف جاز أن يبعث الله الكفره على ذلك ويسلطهم.....) يقول الإمام أحمد هذا السؤال إنما يتوجه على قدري يوجب على الله تعالى بزعمه رعاية ما يتوهمه بعقله مصلحة، وأما السني إذا سئل هذا السؤال أجاب عنه بقوله ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ والله الموفق، انظر الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني، مطبوع بحاشية الكشاف.

(٥) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٢٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٣٩).

القول الثالث:

إن معنى بعثنا أي: خلينا بينكم وبينهم خذلانًا لكم بظلمكم[1]، والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك أولوا البعث: بالتخلية، وعدم المنع، بناءً على مسألة القبح العقلي فلا يسند مثله إلى الله فجعلوه مجازًا عن عدم المنع ولا قبح فيه وتارة قالوا: لا قبح في نفس البعث وإنما القبح في التخريب والتحريق المسند إليهم[2].

◈ **الترجيح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو أن معنى بعثنا: أرسلنا وسلطنا، ومذهب أهل السنة أن أفعاله - سبحانه- كلها خير، وإنما يكون الشر في مفعولاته المنفصلة، فإنه - سبحانه - خالق الخير والشر ثم لأن أسماء الله كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً، وإن من أسمائه ما يطلق عليه باعتبار الفعل، نحو الخالق والرازق والمحي والمميت وهذا يدل على أن أفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها، لأنه لو فعل الشر لاشتق له منه اسم ولم تكن أسماؤه كلها حسنى وهذا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه، لا يضاف إليه فعلاً ولا وصفاً، وإنما يدخل في مفعولاته، وفرق بين الفعل والمفعول؛ فالشر قائم بمفعوله المباين له لا يفعله الذي هو فعله، فتأمل هذا فإنه خفي على كثير من المتكلمين، وزلت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وهدا الله أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ~ : « إن الشر لم يضف إلى الله في الكتاب والسنة إلا على أحد وجوه ثلاث:

---

(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٢٩) ونسبه إلى الحسن، الوسيط للواحدي (٣/ ٩٧)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٥).

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوي (٣/ ٤٩٥).

(٣) فائدة جليلة في قواعد الأسماء والصفات في القاعدة الحادية عشر: أسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك (ص١١٣) للدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر.

إما بطريق العموم كقوله -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[(١)]، وإما بطريقة إضافته إلى السبب كقوله -تعالى-: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾[(٢)]، وإما بحذف فاعله كقوله عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾[(٣)] »[(٤)].

(١) سورة الرعد: آية ١٦.

(٢) سورة الفلق: آية ٢.

(٣) سورة الجن: آية ١٠.

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٩٤).

قال -تعالى-: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[١]

وفيها مسألة واحدة:

[٥/٢١] المسألة: معنى حصيرًا.

رجح أبو حيان ~ أن معنى حصيراً: سجناً ومحبساً حيث قال أبو حيان ~ :

« ثم ذكر ما أعد لهم في الآخرة: وهو جعل جهنم لهم حصيرًا والحصير السجن، قال لبيد[٢]:

ومقامُهُ غُلْبُ الرِّجالِ كَأَنَّهمْ جِنٌّ لَدَى بَابِ الحَصِيرِ قِيَامُ[٣]

وقال الحسن: يعني فراشًا[٤]، وعنه أيضًا مأخوذ من الحصر[٥]، والذي يظهر أنها حاصرة لهم محيطة بهم من جميع جهاتهم[٦]، فحصير معناه: ذات حصر، إذ لو كان للمبالغة

---

(١) سورة الإسراء: آية ٨.

(٢) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة الكلابي الجعفري، أبو عقيل، الشاعر المشهور، قال المرزباني في معجمه: كان فارسًا شجاعًا شاعرًا سخيًا، قال الشعر في الإسلام دهرًا. ثم أسلم، ولما كتب عمر إلى عامله بالكوفة سل لبيدًا والأغلب العجلي ما أحدثا من الشعر في الإسلام؟ فقال لبيد: أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران فزاد عمر في عطائه. توفي سنة ٤٠هـ وكان عمره ١٤٥ سنة منها تسعون في الجاهلية والباقي في الإسلام، انظر الإصابة (٥/ ٦٧٥)، التاريخ الكبير (٧/ ٢٤٩).

(٣) انظر ديوان لبيد ص(١٦١)، التهذيب (٩/ ٣٦٢)، جامع البيان (١٥/ ٥٣)، اللسان (٤/ ١٩٣)، واستشهد به على أن المراد بالحصير الحصر.

(٤) جامع البيان للطبري (١٥/ ٥٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٢٦)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٣١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٠)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢١٧).

(٥) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٠٢).

(٦) جوز أبو حيان أن تكون حصير بمعنى فاعل: أي حاصره، محيطة بهم وعلى هذا فكان ينبغي أن تؤنث بالتاء كجبيرة، وأجيب بأنها على النسب أي ذات حصر كقوله ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ أي ذات انفطار، وقال أبو البقاء: لم يؤنثه لأن فعيل بمعنى فاعل. وهذا منه سهو، لأنه يؤدي إلى أن تكون الصفة التي على فعيل إذا كانت بمعنى فاعل جاز حذف التاء منها، وليس كذلك لما تقدم من أن فعيلاً بمعنى فاعل يلزم تأنيثه، =

لزمته التاء لجريانه على مؤنث، كما تقول: رحيمة وعليمة، ولكنه على معنى النسب كقوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾[1]، أي: ذات انفطار »[2].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في معنى كلمة حصيرًا على قولين:

القول الأول:

إن معنى كلمة حصيرًا: سجنًا، قاله: ابن عباس[3]، والضحاك[4]، وقتادة[5]، وقال مجاهد: يحصرون فيها[6]، وقال أبو عبيدة[7] وابن قتيبة[8][9]: محبسًا.

وقال الزجاج: ﴿حَصِيرًا﴾: حبسًا، أخذ من قولك: حصرت الرجل، إذا حبسته فهو محصور، وهذا حصيره، أي محبسه والحصير: المنسوج سمي حصيرًا، لأنه حصرت طاقاته

= وبمعنى مفعول يجب تذكيره، وما جاء شاذًا من النوعين يؤول، وقيل: لم يؤنث لأن تأنيث جهنم مجازي، وقيل: لأنها في معنى السجن والمحبس، وقيل: لأنها بمعنى: فراش، انظر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٣١٩).

(١) سورة المزمل: آية ١٨.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١١)، وانظر النهر الماد (٦/ ٩).

(٣) انظر فتح الباري (٨/ ٢٤٥)، كتاب التفسير باب سورة بني إسرائيل، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣١٩)، جامع البيان للطبري (١٥/ ٥٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٢٨)، الدر المنثور (٥/ ٢١٦).

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٥٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٢٦)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٣١).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٥٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣١٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٢٦).

(٧) انظر فتح الباري (٨/ ٢٤٥).

(٨) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، أبو محمد، محدث، مفسر، مؤرخ، أديب، توفي سنة ٢٧٦هـ، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ٢٩٦)، الوافي بالوفيات (١٧/ ٦٠٧).

(٩) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩).

بعضها مع بعض، ويقال للجنب: حصيرًا لأن بعض الأضلاع محصور مع بعض[1] وقال ابن الأنباري: حصيرًا بمعنى حاصرة، فصرف من حاصرة إلى حصير كما صرف مؤلم إلى أليم[2] هذا ما رجحه أبو حيان ~ .

وقد اختاره: (الزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، وابن عطية، والرازي والنسفي، وابن كثير، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)[3].

القول الثاني:

أن معنى حصير: فراشًا ومهادًا، قاله: الحسن[4]، قال أبو عبيدة: ويجوز أن تكون جهنم لهم مهادًا بمنزلة الحصير، والحصير البساط الصغير[5]، ورجحه الطبري[6]، وقال: أن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس، وقال الثعلبي[7]: وهو وجه حسن[8].

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٢٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩).

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٢٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٢٦)، بحر العلوم للسمرقندي (٤/ ٣٠٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ٩٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٢٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦١٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٢٨)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٢٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٩).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٢٣٩ .

(٥) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٥٥).

(٧) الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق النيسابوري، صاحب التفسير، كان أوحد زمانه في علم القرآن، وكان بارعًا في العربية، موثقًا أخذ عنه أبو الحسن الواحدي، وكان كثير الحديث، كثير الشيوخ، توفي سنة ٤٢٨هـ. انظر الوافي بالوفيات للصفدي (١/ ٩٨٤)، طبقات المفسرين للسيوطي (١/ ١٧).

(٨) انظر الكشف والبيان للثعلبي (٦/ ٨٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٤٧).

◈ **الترجيـــح:**

والراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن معنى الحصير: السجن والمحبس وذلك لما يأتي:

١ـ لأن حصر جاءت في اللغة بمعنى: الحبس والمنع، قال ابن فارس[١]: الحاء والصاد والراء أصل واحد، وهو الجمع والحبس والمنع[٢]، قال الجوهري[٣]: حصره يحصره حصرًا: ضيق عليه وأحاط به، والمعنى أنهم محبوسون في جهنم لا يتخلصون منها أبداً[٤].

٢ـ لاختيار جمهور المفسرين بأن معني حصيرًا أي محبسًا[٥] وإن اختلفوا في اشتقاقه فهو إما محبسًا، أي مكانًا للحبس المعروف فإن كان اسماً للمكان فهو جامد لا يلزم تذكيره وتأنيثه، وإن كان بمعنى حاصرًا أي محيطًا بهم وفعيل بمعنى فاعل يلزم مطابقته، فإما لأنه على النسب كلابن وتامر، أو لحمله على فعيل بمعنى مفعول، أو لأن تأنيث جهنم غير حقيقي أو لتأويلها بمذكر[٦] وخلاصة ذلك أن لهم في الدنيا ما تقدم وصفه من العذاب، وفي الآخرة ما يكون محيطًا بهم من عذاب جهنم فلا يتخلصون منه أبدًا[٧].



---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي، أبو الحسن، من أئمة اللغة والأدب، توفي سنة ٣٩٥هـ. انظر نزهة الألباء لابن الأنباري ص(٢٣٥)، وإنباء الرواة عن أنباء النحاة للقفطي(١/ ١٢٧)، وبغية الوعاة للسيوطي(١/ ٣٥٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٧٢).

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو النصر الفارابي، كان من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنةً وعلمًا، إمامًا في اللغة والأدب، توفي في حدود الأربعمائة على الأرجح انظر نزهة الألباء (٣٩٨)، بغية الوعاة (١/ ٤٤٦).

(٤) انظر الصحاح للجوهري، وتهذيب اللغة للأزهري مِادة (حبس).

(٥) سبق توثيقه انظر ص٢٤١ .

(٦) انظر حاشية الشهاب (٦/ ٢٠-٢١).

(٧) انظر تفسير المراغي (٥/ ٢٩٠).

قال -تعالى-: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ (١) وفيها مسألة واحدة:

[٦/٢٢] المسألة الأولى: التعذيب المنفي هل هو عذاب استئصال أو عامٌّ في الدارين؟

رجح أبو حيان ~ أن العذاب المنفي في الآية عامٌّ في الدارين أي أن الله ﷻ لا يعذب عباده إلا بعد الإعذار إليهم؛ حيث قال ~ : « والمعنى حتى [نبعث](٢) رسولاً فيكذب ولا يؤمن بما جاء به من عند الله والتعذيب أعم من أن يكون في الدنيا بالهلاك وغيره من العذاب، أو في الآخرة بالنار فهو يشملها، ويدل على الشمول قوله: في الهلاك في الدنيا بعده هذه الآية ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ ﴾ وفي آخره ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾، وآي كثيرة نُص فيها على الهلاك في الدنيا بأنواع من العذاب حين كذبت الرسل، وقوله في عذاب الآخرة ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ (٣)، وكلما تدل على عموم أزمان الإلقاء فتعم الملقين، وقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (٤) وذهب الجمهور(٥) إلى أن هذا في حكم الدنيا، أي إن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا من بعد الرسالة إليهم والإنذار، وقال مقاتل(٦): المعنى وما كنا مستأصلين في الدنيا لما اقتضته الحكمة الإلهية حتى يبعث رسولاً إقامة الحجة عليهم وقطعًا للعذر عنهم كما فعلنا بعاد وثمود والمؤتفكات غيرها » (٧).

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٥.

(٢) وفي المطبوع (يبعث) .

(٣) سورة الملك: آية ٨.

(٤) سورة فاطر: آية ٢٤.

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٥٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود(٤/ ١١٨)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٣٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٣٤).

(٦) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٣٤).

(٧) البحر المحيط (٦/ ١٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٣).

◈ **الدراسة والموازنة:**

لما ذكر - سبحانه - اختصاص المهتدي بهدايته والضال بضلاله، وعدم مؤاخذة الإنسان بجناية غيره، ذكر أنه لا يعذب عباده إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فبين سبحانه أنه لم يتركهم سدى ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم واختلف المفسرون في هذا العذاب المنفي في الآية هل هو في الدنيا؟ أو هو عام في الدنيا والآخرة، على قولين:

القول الأول:

إن هذا حكم في الدنيا، أي أن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا من بعد الرسالة إليهم والإنذار أي عذاب استئصال وهو المناسب لما بعده، وهو قول الجمهور[1].

القول الثاني:

أن العذاب المنفي في الآية عامٌ في الدنيا والآخرة، أي الجنس الشامل للدنيوي والأخروي فيكون القول الأول داخلٌ فيه، وهو بعض أفراده، واختاره من المفسرين: (ابن عطية، وابن كثير، والشوكاني، والقاسمي، والمراغي)[2] وهو ما رجحه أبو حيان ~ .

(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٣٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٥٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود(٤/ ١١٨)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٣٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٥٢).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣/ ٣١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٦٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٨٠)، تفسير المراغي (٥/ ٢٩٦).

❖ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ومن معه من المفسرين من العذاب المنفي هو العام للدنيا والآخرة وذلك لما يأتي:

١- لقوله -تعالى-: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا﴾ (١).

٢- لأن القول بالعموم أولى، فيكون القول الأول داخل فيه وهو بعض أفراده(٢).

٣- قال ابن عطية ~ : « والذي يقتضيه النظر أن بعثة آدم - عليه السلام - بالتوحيد وبث المعتقدات في بنيه مع نصب الأدلة الدالة على الصانع مع سلامة الفطر توجب على كل أحد من العالم الإيمان وإتباع شريعة الله، ثم تجدد ذلك في زمن نوح - عليه السلام - بعد غرق الكفار وهذه الآية أيضًا يعطي احتمال ألفاظها نحو هذا في الذين لم تصلهم رسالة وهم أهل الفترات الذين قد وجودهم بعض أهل العلم. أهـ(٣).

وروي عن أبي هريرة: أن الله ﷻ يبعث يوم القيامة رسولاً إلى أهل الفترة والأبكم والأخرس والأصم، فيطيعه منهم من كان يريد أن يطيعه في الدنيا وتلا الآية » (٤).

---

(١) سورة الملك: آية ٨.

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١١٨).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٤).

(٤) تخريج الحديث: أخرجه الطبري (١٥/ ٥٤)، عن أبي هريرة موقوفًا، ورواه أحمد في المسند (٤/ ٣٤)، مرفوعا إلى النبي ﷺ « أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة فأما الأصم فيقول: رب جاء الإسلام وما أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني - أي يرمونني - بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، وأما الذي مات في الفترة يقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطعنه، فيرسل إليهم أن أدخلوا النار، فوالذي نفس محمد بيده، لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا ». وانظر الدر المنثور (٤/ ١٦٨)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٥١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح (٧/ ٢١٨).

قال -تعالى-: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾[1]

وفيها مسألة واحدة:

[٧/٢٣] المسألة: المراد بالعطاء.

رجح ابو حيان ~ أن العطاء والإمداد يكون في الرزق، واستدل بسياق الآية حيث أن رزقه - سبحانه - لا يضيق عن مؤمن ولا كافر؛ حيث قال: « والظاهر أن هذا الإمداد هو في الرزق في الدنيا وهو تأويل الحسن[2] وقتادة[3]، أي أن الله يرزق في الدنيا مريدي العاجلة الكافرين ومريدي الآخرة المؤمنين، ويمد الجميع بالرزق، وإنما يقع التفاوت في الآخرة، ويدل على هذا التأويل: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾ ، أي: أن رزقه لا يضيق عن مؤمن ولا كافر. وعن ابن عباس[4]: أن معنى من عطاء ربك من الطاعات لمريد الآخرة، والمعاصي لمريد العاجلة فيكون العطاء عبارة عما قسم الله للعبد من خير أو شر، وينبو لفظ العطاء على الإمداد بالمعاصي »[5].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالعطاء على قولين:

القول الأول:

أن المراد بالعطاء: هو: رزق الدنيا، أي: أن الله -تعالى- يرزق في الدنيا مريدي

---

(١) سورة الإسراء: آية ٢٠.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧١)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٠٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٠١)، الدر المنثور للسيوطي(٥/ ٢٢٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٧٢).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧١٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٦)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٤٧).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٢٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٧٢).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ١٩)، والنهر الماد (٦/ ١٧).

الآخرة المؤمنين، ومريدي العاجلة من الكافرين ويمدحهم بعطائه وإنما يقع التفاضل والتباين في الآخرة وهذا المعنى يناسب مع قوله: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾، أي: رزقه في الدنيا لا يضيق عن مؤمن ولا كافر وقلما تصلح هذه العبارة لمن يمد بالمعاصي التي توبقه، وهو تأويل الحسن[1] وقتادة[1] والسدي[2]، وقد اختاره: (الفراء، والزجاج، والنحاس، والسمر قندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي والرازي والقرطبي، والنسفي، والشوكاني، والقاسمي، والمراغي)[3] وهذا القول الذي رجحه أبو حيان ~ .

القول الثاني:

إن المراد بالعطاء: ما قسمه الله للعبد من خير أو شر وعن ابن عباس[4] وابن زيد[5] أن معنى من عطاء ربك: من الطاعات لمريد الآخرة، والمعاصي لمريد العاجلة وقد اختار هذا القول: (الطبري، وابن كثير)[6].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين، وذلك لما يلي:

---

(١) سبق توثيقه انظر ص٢٤٦ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٢)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٢٢).

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٠)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٣٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٠٦)، الوسيط (٣/ ١٠٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٢٦)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٦)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٤٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٥٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦١٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٧٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٨٢)، تفسير المراغي (٥/ ٢٩٩).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٢٤٦ .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٢)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٢٢).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٦).

لدلالة السياق القرآني حيث قال - سبحانه -: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[(١)] أي: أن رزقه ﷻ لا يضيق في الدنيا عن مؤمن ولا كافر وقلما تصلح هذه العبارة لمن يمد بالمعاصي التي توبقه والمحظور الممنوع[(٢)].

وكذلك قوله -تعالى-: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ﴾[(٣)] يقول ابن عطية: « الآية تدل دلالة ما على أن العطاء في الآية التي قبلها: هو الرزق، وفي ذلك يترتب أن ينظر محمد ﷺ إلى تفضيل الله لبعض على بعض في الرزق ونحوه من الصور، والشرف، والجاه والحظوظ، وبين أن يكون التفضيل الذي ينظر إليه النبي ﷺ أن أعطى الله قومًا الطاعات المؤدية إلى الجنة، وأعطى آخرين الكفر المؤدي إلى النار، وهذا قول الطبري: وهذا إنما هو النظر في تفضيل فريق على فريق، وعلى التأويل الآخر فالنظر في تفضيل شخص على شخص من المؤمنين ومن الكافرين، كيفما قرنتهما، ثم أخبر ﷻ أن التفضيل الأكبر إنما يكون في الآخرة »[(٤)]، يقول الفخر الرازي: « إنه تعالى يمد الفريقين بالأموال ويوسع عليهما في الرزق مثل الأموال والأولاد وغيرهما من أسباب العز والزينة في الدنيا، لأن عطاءنا ليس يضيق عن أحد مؤمنًا كان أو كافر لأن الكل مخلوقون في دار العمل، فوجب إزاحة الضرر وإزالة العلة عن الكل وإيصال متاع الدنيا إلى الكل على القدر الذي يقتضيه الصلاح فبين تعالى أن عطاءه ليس بمحظور أي غير ممنوع»[(٥)].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٢٠.

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٦).

(٣) سورة الإسراء: آية ٢١.

(٤) المحرر الوجيز (٣/ ٤٤٦).

(٥) مفاتيح الغيب (٢٠/ ١٤٥).

قال -تعالى-: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾[١] وفيها مسألة واحدة:

[٨/٢٤] المسألة: المراد بالخطاب.

رجح أبو حيان ~ أن الخطاب في قوله -تعالى-: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ موجه لبني الإنسان، ولا يدخل فيه النبي محمد ﷺ؛ حيث قال ~: « والخطاب في لا تجعل للسامع غير الرسول، وقال الطبري[٢] وغيره: الخطاب لمحمد ﷺ والمراد لجميع الخلق »[٣].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالخطاب في قوله -تعالى-: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ على قولين:

القول الأول:

أن الخطاب للنبي ﷺ والمعنى عام لجميع المكلفين على نحو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[٤] وهو مخاطب في النظر ولا داعي إلى تلوين الخطاب، إذ كون الخطاب له عليه السلام والمراد به أمته شائع في القرآن[٥]، وقد اختاره: (ابن وهب، والطبري، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، وأبو السعود والطاهر بن عاشور)[٦].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٢٢.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٧٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٠٢).

(٣) انظر لبحر المحيط (٦/ ١٩)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٧).

(٤) سورة الطلاق: آية ١.

(٥) انظر حاشية القونوي (٤٧٥٨١).

(٦) انظر الواضح لابن وهب (١/ ٤٥٣)، جامع البيان للطبري (١٥/ ٧٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٠٢)، =

القول الثاني:

أن المراد بالخطاب الإنسان كأنه قيل: أيها الإنسان لا تجعل مع الله إلهًا آخر لأن ما بعده ليس مما يصف به نبيه وحبيبه ﷺ ولو على طريق الفرض والتقدير[(١)].

وهذا ما رجحه أبو حيان ~ . وقد اختاره: (الفخر الرازي، وابن كثير، وابن عادل الحنبلي، والمراغي) [(٢)].

❖ **الترجيـــــح:**

-والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من العلماء والمفسرين من أن المراد بالخطاب هو الإنسان ولا يشمل النبي ﷺ وذلك لدلالة السياق القرآني فهو من أقوى المرجحات لهذا الاختيار، قال الفخر الرازي: « وهذا الاحتمال عندي أولى، لأنه تعالى عطف عليه قوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [(٣)] إلى قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ [(٤)] وهذا لا يليق بالنبي ﷺ، لأن أبويه ما بلغا الكبر عنده فعلمنا أن المخاطب بهذا هو نوع الإنسان » [(٥)].



= معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٢٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٥٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٢٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٢٢)، التحرير والتنوير (٦/ ٦٤).

(١) انظر حاشية الشهاب على البيضاوي (٦/ ٣٥).

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٤٦)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي كثير (٣/ ٣٧)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/ ٢٤٦)، تفسير المراغي (٥/ ٣٠٣).

(٣) سورة الإسراء: آية ٢٣.

(٤) سورة الإسراء: آية ٢٣.

(٥) مفاتيح الغيب (٢٠/ ١٤٦).

قال -تعالى-: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[1] وفيها مسألة واحدة:

[٩/٢٥] المسألة: معنى (من) في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾.

رجح أبو حيان: أن (من) جاءت للتعليل، أي: اخفض لهما جناحك من أجل الرحمة؛ حيث قال ~ : « ومن الظاهر أنها للسبب أي: الحامل لك على خفض الجناح هو رحمتك لهما؛ إذ صارا مفتقرين لك حالة الكبر، كما كنت مفتقرًا إليهما حالة الصغر، قال أبو البقاء[2]،[3]: ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: من أجل الرحمة، أي من أجل رفقك بهما فـ(من) متعلقة بـ(اخفض) ويجوز أن يكون حالاً من ﴿جَنَاحَ﴾[4]، وقال ابن عطية[5]: ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ هنا لبيان الجنس، أي: إن هذا الخفض يكون الرحمة المستكمنة في النفس، لا بأن يكون ذلك استعمالاً، ويصح أن يكون ذلك لابتداء الغاية انتهى »[6].

◈ **<u>الدراسة والموازنة:</u>**

اختلف المفسرون في معنى (من) في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ على أقوال منها:

<u>القول الأول:</u>

أنها جاءت للتعليل، فتتعلق بـ«اخفض» أي: اخفض من أجل من الرحمة، وهذا ما رجحه

---

(١) سورة الإسراء: آية ٢٤.

(٢) عبدالله بن الحسين العُكبري، أبو البقاء النحوي الضرير، عالم بالقراءات، والأدب، واللغة، والفرائض والحساب، توفي سنة ٦١٦هـ، انظر إنباه الرواة (٢/ ١١٦)، سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٩١).

(٣) انظر الإملاء (٢/ ٩٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٣٤٤).

(٤) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٢٤٤).

(٥) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٤٤٩).

(٦) البحر المحيط (٦/ ٢٦).

أبو حيان ~ ، وقد اختار هذا القول: (الزمخشري، الفخر الرازي، الشوكاني)[1].

القول الثاني:

أنها لبيان الجنس، قال ابن عطية: أي: إن هذا الخفض يكون من الرحمة المستكمنة في النفس، واختاره: (الواحدي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي) [2].

القول الثالث:

أنها تكون في محل نصب على الحال من ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [3].

القول الرابع:

أنها لابتداء الغاية، وقد حكاه: (ابن عطية، القرطبي، الآلوسي، الطاهر بن عاشور، القاسمي) [4].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن (من) في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ ابتدائية على سبيل التعليل ولا تحتمل البيان حتى يقال: لو كان كذا لرجعت الاستعارة إلى التشبيه التجريدي - كقوله -تعالى-: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾[5] - إذ جناح الذل ليس من الرحمة أبدًا بل خفض جناح الذل جائز أن يقال: إنه رحمة وهذا بيّنٌ، يعني: أنه لو كان بيانًا لكان استعارة، ثم إنه بعد التنزل لا مجال له هنا[6].

---

(١) انظر الكشاف (٣/ ٥٠٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢/ ١٥٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٧١).

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٠٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٥٩).

(٣) حاشية القونوي (١١/ ٤٨٢).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٥٩)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٥٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٧١)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٨٣).

(٥) سورة البقرة: آية ١٨٧.

(٦) حاشية الشهاب (٦/ ٤٠).

قال الطاهر بن عاشور: « ومن ابتدائية: أي الذل الناشئ عن الرحمة لا عن الخوف أو عن المداهنة، والمقصود اعتياد النفس على التخلق بالرحمة باستحضار وجوب معاملته إياهما بها حتى يصير له خلقًا» (١).

(١) التحرير والتنوير (٦/ ٧١).

قال -تعالى-: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [1] وفيها مسألة واحدة:

[١٠/٢٦] المسألة: المراد بالخطاب في قوله -تعالى-: ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾.

رجح أبو حيان أن الخطاب عام لكل المكلفين، ويندرج تحت هذا العموم ما في النفس من البر والعقوق اندراجًا أوليًا؛ حيث قال: « ثم قال -تعالى-: ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ أي: ذوي صلاح، ثم فرط منكم تقصير في عبادة أو بر، وأبتم إلى الخير فإنه غفور لما فرط من هنَّاتِكُم، والظاهر أن هذا عام لكل من فرطت منه جنايته ثم تاب منها، ويندرج فيه من جنى على أبويه ثم تاب من جنايته، وقال ابن جبير: وهي في المارزة[2] تكون من الرجال إلى أبيه، لا يريد بذلك إلا الخير » [3].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالخطاب في قوله -تعالى-: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ على قولين:

القول الأول:

أن الخطاب خاص لما يجب للأبوين من البر ويحرم على الأولاد من العقوق ومن بدرت منه بادرة وهو لا يضمر العقوق، غفر له ذلك مستدلين بدلالة السياق وقد اختار هذا القول: (الطبري، وابن أبي حاتم، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري،

---

(١) سورة الإسراء: آية ٢٥.

(٢) وفي المطبوع (المبارزة)، الأثر الوارد عن سعيد بن جبير أنه قال: البادرة تكون من الرجل إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير، انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٩).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٢٧)، وانظر النهر الماد (٦/ ٢٥).

وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، وابن عادل، والقاسمي) [1].

القول الثاني:

إن الخطاب عام أي: بما في ضمائركم من الإخلاص وعدمه في كل الطاعات، ومن التوبة من الذنب الذي فرط منكم، والإصرار عليه ويندرج تحت هذا العموم ما في النفس من البر والعقوق اندراجا أوليًا، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الفخر الرازي، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور) [2].

◈ **الترجيح**:

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه حيث:

١. القول بالعموم أولى حيث أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص [3].

٢. لأن القول بالعموم يشمل القولين ويندرج القول الأول الخاص تحت العام اندراجًا أوليًا [4].

---

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٠)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٥)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٠٨)، والوسيط للواحدي (٣/ ١٠٤)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٢٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١١)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٤٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٠)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٦٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٢١، وتفسير العظيم لابن كثير (٣/ ٣٩)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٢٤)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٢٦١)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٨٤).

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٥٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٧٣)، روح المعاني للألوسي (١٨/ ٦١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٧٥).

(٣) قواعد الترجيح لحسين الحربي (٢/ ٥٢٧).

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٧٣).

٣. في قوله -سبحانه- (نفوسكم) إيراد لضمير الجمع، وفيه تنبيه على أن الخطاب فيما مر لواحد غير معين فيعم جميع المكلفين عمومًا شموليًا لا على سبيل البدل وصيغة التفضيل بالنسبة إلى المخاطبين[1].

(١) انظر حاشية القونوي (١١/ ٤٨٥).

قال -تعالى-: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾[1]

وفيها مسألة واحدة:

[١١/٢٧] المسألة: المراد بالخطاب ومعنى القرابة والحق:

رجح أبو حيان ~ أن الخطاب للعموم وليس خاص بالنبي ﷺ، وذي القربى هم: عموم قرابة الإنسان، وحقهم مجمل تخصصه السنة؛ حيث قال ~ : « لما أمر تعالى ببر الوالدين، أمر بصلة القرابة، قال الحسن: نزلت في قرابة الرسول ﷺ[2]، والظاهر أنه خطاب لمن خوطب بقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾[3] والحق هنا: ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة، والمواساة عند الحاجة بالمال، والمعونة بكل وجه، قال نحوه: ابن عباس[4] وعكرمة[5] والحسن[6] وغيرهم، وقال علي بن الحسين[7] فيها: هم قرابة الرسول ﷺ أمر بإعطائهم حقوقهم من بيت المال[8]،

---

(١) سورة الإسراء: آية ٢٦.

(٢) الذي روي عن الحسن أنه قال: (إنه قرابة الرجل من قبل أبيه وأمه)، انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢١).

(٣) سورة الإسراء: آية ٢٣.

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٣٦).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٤)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٤٤).

(٦) انظر تفسير الحسن (٢/ ٨٢)، جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢١)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٠٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٣٨)، وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٧) علي بن الحسين زين العابدين بن علي بن أبي طالب القرشي، أبو عبدالله الهاشمي العَلَوي، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة،كان ثقة عابدًا، صاحب صدقة سر، توفي سنة ٩٤هـ. انظر طبقات بن سعد (٥/ ٢١١)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٣٨٦).

(٨) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٠)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٦١).

والظاهر أن الحق هنا مجمل، وأن﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ عام في ذي القرابة فيرجع في تعين الحق، وفي تخصيص ذي القرابة إلى السنة »[١].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ على قولين:

القول الأول:

أنه قرابة الرجل من قبل أبيه وأمه، قاله: ابن عباس[٢]، والحسن[٢] وعلى هذا فالخطاب للكل، وذكر المفسرون للحق عدة معاني منها: برهم وصلتهم أو النفقة الواجبة لهم وقت الحاجة أو الوصية لهم عند الوفاة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ولكنه رجح أن الحق عامٌ ويرجع في تعيينه إلى السنة، وقد اختار هذا المعنى: (الطبري، والنحاس، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي)[٣].

القول الثاني:

أنهم قرابة الرسول ﷺ، فعلى هذا يكون حقهم: إعطاؤهم من الخمس، ويكون الخطاب للنبي ﷺ وللولاة أو من قام مقامهم، وهو قول علي بن الحسين[٤]، والسدي[٥].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٢٧)، وانظر النهر الماد (٦/ ٢٩).

(٢) سبق توثيقه انظر ص٢٥٧ .

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٤)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٤٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٠٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٠)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٥٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٦١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٩)، اللباب لابن عادل (٢/ ٢٦٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٢٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٧٤)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٦١)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٨٤).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٢٥٧ .

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٥).

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو قول أبي حيان ومن وافقه بأن المراد بالأقارب: هم أقارب الرجل من قبل أبيه وأمه، والخطاب للكل، وذلك لما يأتي:

١. لدلالة السياق القرآني، فهذا الخطاب معطوف على قوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [(١)]، والمعنى: بعد فراغك من بر الوالدين، يجب أن تشتغل ببر سائر الأقارب، الأقرب فالأقرب، ثم إصلاح أحوال المساكين، وأبناء السبيل[(٢)]، والعدول عن الخطاب بالجمع في قوله: ﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡ ﴾ إلى الخطاب بالإفراد في قوله: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ تفنن لتجنب كراهة إعادة الصيغة الواحدة عدة مرات، والمخاطب غير معين فهو في معنى الجمع، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ لأنها من جملة ما قضى الله به[(٣)].

٢. لقول النبي ﷺ: « يد المعطي العليا أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك »[(٤)].

٣. أن القول – بأن المراد به أقارب النبي ﷺ لا يصح، لعدم ملائمته لما قبله، وأيضًا تخصيص بلا مخصص، وحقهم: توقيرهم ومحبتهم وإعطائهم الخمس، وما قيل الخطاب قرينة على ذلك. فضعيف، لأن الخطاب عام لكل من يصلح أن يخاطب به[(٥)]، قال الطاهر بن عاشور: وليس لها تعلق بحقوق قرابة النبي ﷺ لأن حقوقهم في المال تقررت بعد الهجرة لما فرضت الزكاة، وشرعت الغنائم، والأفياء، وقسمتها ؛ ولذلك حمل جمهور العلماء هذه الآية على حقوق قرابة النسب بين الناس[(٦)].

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣.

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٥٤).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٧٦).

(٤) المسند (٣/ ١٣٦)، وقال الهيثمي في الزوائد: رجاله رجال الصحيح (٣/ ٦٦).

(٥) حاشية القونوي (١١/ ٤٨٦).

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٧٧).

قال -تعالى-: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[١٢/٢٨] المسألة: معنى قوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى الآية: إذا أعرضت عمن سألك ممن تقدم ذكرهم من الأقارب والمساكين.. لتعذره عندك ولإعسارك، فعلة الإعراض: هي الإعسار، والرحمة هي: الرزق؛ حيث قال ~: « قال ابن عطية ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾، قيل: نزلت في ناس من مزينة استحملوا الرسول، فقال: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فبكوا[2]، وقيل: في بلال[3] وصهيب[4] وسالم[5] وخباب سألوه ما لا يجد فأعرض عنهم[6]، وروي أنه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يعطي وسئل قال: رزقنا الله وإياكم من فضله[7].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٢٨.

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٢)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٦٢)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٣٩).

(٣) بلال بن رباح القرشي التيمي أبو عبدالله ويقال عبدالرحمن، ويقال: أبو عبدالكريم ويقال أبو عمرو، المؤذن مولى أبي بكر، كان من السابقين الأولين للإسلام توفي سنة ٢٠هـ بالشام، انظر الإصابة (١/ ٣٢٦)، الطبقات الكبرى (٧/ ٣٨٥).

(٤) صهيب بن سنان بن خالد بن عمرو [وقيل غير ذلك في نسبه]، أبو يحيى، وقيل: أبو غسان النمري المعروف بالرومي، صحابي، بدري من السابقين للإسلام توفي سنة ٣٨هـ في خلافة علي، وقيل: قبل ذلك بالمدينة، انظر الإصابة (٣/ ٤٤٩)، الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢٦).

(٥) سالم مولى أبي حذيفة وهو سالم بن معقل من أهل فارس من اصطخر وقيل من عجم الفرس كان مولى لامرأة من الأنصار بنت يعار زوجة أبي حذيفة، وبعد أن أعتقه أبو حذيفة تبناه ثم بعد نسخ التبني تولى أبا حذيفة ولازمه فعرف به، قتل يوم اليمامة سنة ١٢هـ في خلافة الصديق رضي الله عنه أجمعين، الطبقات الكبرى (٣/ ٨٥)، الاستيعاب لابن عبدالبر (٢/ ٥٦٧).

(٦) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٠٨)، المحرر الوجيز (٣/ ٤٥٠)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٢٣٩).

(٧) انظر معني القرآن الزجاج (٣/ ٢٢٧)، وذكره ابن حجر في الكافي الشاف (٢/ ٢٧٠)، ونسبه لابن حبان والحاكم عن أنس وإسناده ضعيف.

فالرحمة على هذا: الرزق المنتظر، وهو قول ابن عباس[1] ومجاهد[2] وعكرمة[3]، وقال ابن زيد: الرحمة (الأجر والثواب)، وإنما نزلت الآية في قوم كانوا يسألون رسول الله ﷺ فيأبى أن يعطيهم[4]، لأنه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد، فكان يعرض عنهم، وعنه في الأجر في منعهم: لئلا يعينهم على فسادهم، فأمره الله -تعالى- أن يقول لهم: ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ يتضمن الدعاء في الفتح لهم، والإصلاح انتهى من كلام ابن عطية[5]. وقال الزمخشري: وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد، فقل لهم: ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ولا تتركهم غير مجابين إذا سألوك، وكان رسول الله ﷺ، إذا سئل شيئًا وليس عنده، أعرض عن السائل، وسكت حياء[6]، ويجوز أن يكون معنى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ وإن لم تنفعهم، وتدفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة، ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك، لأن من أبى أن يعطي، أعرض بوجهه[7] انتهى. والذي يظهر أنه تعالى لما أمر بإيتاء ذي القربى حقه ومن ذكر معه، ونهاه عن التبذير قال: وإن لم يكن منك إعراض عنهم، فالضمير عائد عليهم، وعلل الإعراض بطلب الرحمة وهي كناية عن الرزق والتوسعة،

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٠)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٦٢)، الدر المنثور (٥/ ٢٤٠).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٦)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٣٩)، الدر المنثور (٥/ ٢٤٠).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٤٥).

(٤) انظر جامع البيان للطبري(١٥/ ٨٩)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٣٩)، المحرر الوجيز (٣/ ٤٥٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٦٢).

(٥) المحرر الوجيز (٣/ ٤٥٠).

(٦) قال الزيلعي في تخريج الكشاف: غريب (٢/ ٢٧٠)، وقد أخرجه ابن حبان في (١١/ ١٦٦)، والحاكم في المستدرك(٢/ ١٣٠)، من طريق حماد بن سلمة عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك - (رضي الله عنه) أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان... الحديث، وفيه[وكان لا يسأل إلا أعطاه أو سكت]. وعند الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٧٦ - ٣٧٧) من حديث علي قال: كان النبي ﷺ (إذا سئل شيئًا فأراد أن يفعله قال: نعم، وإذا أراد ألا يفعل سكت...) وفيه قصة طويلة قال الحافظ ابن حجر: وإسناده ضعيف، انظر الكاف الشاف لابن حجر، حاشية الكشاف (٣/ ٥١٣).

(٧) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٣).

وطلب ذلك ناشئ عن فقدان ما يجود به، ويؤتيه من سأله، وكأن المعنى: وإن تعرض عنهم لإعسارك، فوضع المسبب وهو ابتغاء الرحمة موضع السبب وهو الإعسار.. وقال ابن جبير: الضمير في (عنهم) عائد على المشركين[1]، والمعنى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ لتكذيبهم إياك ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ﴾ أي: نصر لك عليهم أو هداية من الله لهم، وعلى هذا القول الميسور: المدارة لهم باللسان قاله: أبو سليمان الدمشقي[2] »[3].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ على عدة أقوال منها:

القول الأول:

إذا أعرضت عمن سألك ممن تقدم ذكرهم من الأقارب والمساكين وأبناء السبيل.. لتعذره عنك، ولإعسارك، و﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: انتظارًا لرزق منه ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ أي: عدهم خيرًا ورد عليهم ردًا جميلاً، فعلة الإعراض: هي الإعسار والرحمة: الرزق، واختار هذا القول: (الطبري، والزجاج، والواحدي، وابن عطية، والقرطبي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني)[4]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ .

---

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٢).

(٢) عبد الرحمن بن ميسرة الكلبي، ويقال: الحضرمي، أبو سليمان الدمشقي، من كبار التابعين مقبول، من السابقة التقريب (١/ ٣٥١).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٢٧-٢٨)، وانظر النهر (٦/ ٢٩).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٩)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٠٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٦٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٢٥)، فتح القدير (٣/ ٢٧٥).

القول الثاني:

إذا أعرضت عمن سألك ممن تقدم ذكرهم حذراً أن ينفقه في معصية فمنعته ابتغاء رحمة له فقل لهم قولاً ميسوراً، أي: ليناً سهلاً، فعلة الإعراض: خوف إنفاقهم ذلك في معصية الله، والرحمة هي: الصلاح والتوبة، وهو قول ابن زيد[(١)]، واختاره: المهايمي[(٢)][(٣)].

القول الثالث:

إنْ أعرضت عن القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد، ورحمة لهم، فقل لهم قولاً ميسورًا، فوضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق مبتغ له، فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء، مسبباً عنه، فوضع المسبب موضع السبب، وقد أختار هذا القول: (السمرقندي، والزمخشري، والرازي، والنسفي، وابن عادل، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)[(٤)].

القول الرابع:

إذا أعرضت عن المشركين لتكذيبهم، إذا الرحمة: انتظار النصر عليهم، والهداية لهم، قاله: سعيد بن جبير[(٥)]، وعلى هذا فالقول الميسور هو: المدارة لهم باللسان، وقاله أبو سليمان الدمشقي[(٥)].

---

(١) سبق توثيقه انظر ص٢٦١ .

(٢) على بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المهايمي، من كبار علماء الهند من قرية ميهام التي تبعد عن مدينة بومباي بثلاثة أميال عاش ومات فيها سنة٨٣٥هـ، انظر الأعلام للزركلي(٤/ ٢٥٧).

(٣) انظر محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٨٤).

(٤) انظر بحر العلوم (٢/ ٣٠٨)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٥٠٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٢١)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٢٦٤)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٦٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٨٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٨٤).

(٥) سبق توثيقه انظر ص٢٦٢ .

القول الخامس:

أنهم أناس من مزينة جاؤوا يستحملون رسول الله ﷺ فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فبكوا فنزلت الآية، قاله الخرساني[١] [٢] فالرحمة هنا بمعنى: الفيء[٣].

القول السادس:

أنها نزلت: في خباب، وبلال، وعمار، ونحوهم، من الفقراء، كانوا يسألون رسول الله ﷺ فلا يجد ما يعطيهم، فيعرض عنهم ويسكت، قاله مقاتل[٤]، فالرحمة هنا بمعنى: الرزق.

◈ **الترجيـــــح:**

والراجح - والله تعالى أعلم - هو رأي أبي حيان ومن وافقه من العلماء بأن معنى قوله -تعالى-: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: إن أعرضت عن ذي القربى، والمسكين، وابن السبيل؛ لأمر اضطرك إلى ذلك الإعراض ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: لفقد رزق ربك، ولكنه أقام المسبب الذي هو ابتغاء رحمة الله مقام السبب الذي هو فقد الرزق؛ لأن فاقد الرزق مبتغ له، وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح الله به عليك ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ أي: قولاً سهلاً ليناً، كالوعد الجميل، أو الاعتذار المقبول، قال الكسائي[٥]: يسرت له القول أي: لينته . قال الفراء: معنى الآية إن تعرض

---

(١) عطاء الله أبي مسلم: مسرة، وقيل: عبدالله، أبو عثمان أو أبو أيوب أو أبو محمد أو أبو صالح الخرساني البلخي، مولى المهلب، من صغار التابعين، صدوق، يهم كثيرًا ويرسل ويدلس، توفي سنة١٣٥هـ، انظر التاريخ الكبير (٦/ ٤٧٠).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٢).

(٣) قال الآلوسي: أن هذا غير ظاهر بناء على ما سمعت من أن هذه السورة مكية والآية المذكورة ليست من المستثنيات (روح المعاني (٨/ ٦٣).

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٠٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٢).

(٥) علي بن حمزة، أبو الحسن الكسائي، أحد القراء السبعة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، وهو إمام الكوفيين في النحو، توفي بالري سنة١٨٩هـ انظر معرفة القراء الكبار (٧٢)، وغاية النهاية (١/ ٥٣٥).

عن السائل إضافة وإعسارًا فقل لهم قولاً ميسورًا، عدهم عدة حسنة[(١)]، ويجوز أن يكون المعنى: وإن تعرض عنهم ولم تنفعهم لعدم استطاعتك فقل لهم قولاً ميسوراً[(٢)]، قال الطبري: « وهذا القول الذي ذكرنا عن أبي زيد[(٣)] مع خلافه لأقوال أهل التأويل في تأويل هذه الآية، بعيد المعنى، مما يدل عليه ظاهرها، وذلك أن الله -تعالى- قال لنبيه ﷺ: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ فأمره أن يقول إذا كان إعراضه عن القوم الذين ذكرهم انتظار رحمة منه يرجوها من ربه﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ وذلك الإعراض ابتغاء الرحمة، لن يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون إعراضًا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها لنفسه، فيكون معنى الكلام كما قلنا، وقاله أهل التأويل، وخلاف قوله أن يكون إعراضًا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها للسائلين الذين أمر نبي الله ﷺ بزعمه أن يمنعهم ما سألوه خشية عليهم من أن ينفقوه في معاصي الله، فمعلوم أن سخط الله على من كان غير مأمون منه صرف ما أُعْطي من نفقة ليتعدى بها على طاعة الله في معاصيه، أخوف من رجاء رحمته له، وذلك أن رحمة الله إنما ترجى لأهل طاعته لا لأهل معاصيه، إلا أن يكون أراد توجيه ذلك إلى أن نبي الله ﷺ أمر بمنعهم ما سألوه، لينيبوا عن معاصي الله، ويتوبوا بمنعه إياهم ما سألوه، فيكون ذلك وجهًا يحتمله تأويل الآية، وإن كان لقول أهل التأويل مخالفًا[(٤)])).

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٢).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٧٥).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٢٦١ .

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٨٩).

قال -تعالى-: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾[1] وفيها ثلاث مسائل:

[١٣/٢٩] المسألة الأولى: المراد بالإسراف في القتل:

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالإسراف في القتل هو: ما كانت تفعله الجاهلية من قتل الجماعة بالواحد، وقتل غير القاتل، والمُثلة، ومكافأة الذي يقتل من قتله؛ حيث قال ~ : « والإسراف المنهي عنه أن يقتل غير القاتل قاله: (ابن عباس والحسن)[2]، أو يقتل اثنين بواحد قاله: ابن جبير[2]، أو أشرف من الذي قتل قاله: ابن زيد[3] أو يمثل، قاله: قتادة، أو يتولى هو قتل القاتل دون السلطان، ذكره الزجاج[4] وقال أبو عبدالله الرازي: (السلطنة مجملة يفسرها ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ﴾[5] ويدل عليه أنه مخيّر بين القصاص والدية، وقوله عليه الصلاة والسلام يوم الفتح: « من قتل قتيلا فأهله بين خيرتين، إن أحبوا قتلوا، وإن أحبوا أخذوا الدية »[6]، فمعنى (الإسراف في القتل) لا يقدم على استيفاء القتل، ويكتفي بأخذ الدية أو يميل إلى العفو، ولفظة (في) محمولة على الباء: أي فلا يصير مسرفًا بسبب

---

(١) سورة الإسراء: آية ٣٣.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٩٦ـ ٩٧)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٤١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٥)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٦٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٤٨).

(٣) و في المطبوع (أبو زيد) .

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٥).

(٥) سورة البقرة: آية ١٧٨.

(٦) أخرجه الترمذي كتاب الديات، باب ولي القتيل في القصاص والعفو (٤/ ٢١)، وقال الترمذي: حسن صحيح، قال الألباني صحيح ولفظه (إنكم معشر خزاعة قتلتم هذا الرجل من هذيل وإني عاقله فمن قتل قتيل بعد اليوم فأهله بين خيرتين إما أن يقتلوا أو يأخذوا العقل)، وعند مسلم في كتاب الحج باب تحريم مكة، (٢/ ٩٨٨) ولفظه (من قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يعطي وإما أن يفاد أهل القتيل).

إقدامه على القتل ويكون معناه الترغيب في العفو، ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾[1] انتهى ملخصاً)[2]، ولو سُلم أن (في) بمعنى الباء لم يكن صحيح المعنى، لأن من قتل بحق قتل موليه لا يصير مسرفا بقتله، وإنما الظاهر -والله أعلم- النهي عما كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد، وقتل غير القاتل والمثلة ومكافأة الذي يقتل (لمن)[3] قتله وقال مهلهل[4] حين قتل بجير بن الحارث بن عباد[5]: بؤ بشسع نعل كُليب[6] »[7].

◈ **الدراسة والموازنة:**

أختلف المفسرون في المراد بالإسراف في القتل على عدة أقوال منها:

---

(١) سورة البقرة آية: ١٧٨.

(٢) مفاتيح الغيب (٢٠/ ١٦٢).

(٣) وفي المطبوع (من).

(٤) مهلهل بن ربيعة التغلبي، واسمه عدي وإنما قيل له مهلهل لأنه أول من أرق الشعر وقصده فيما ذكروا، أنظر التمهيد لابن عبدالبر (٦/ ٤٨٢) أخو كليب بن ربيعة التغلبي وهو كليب بين ربيعة التغلبي، وهو كليب وائل الذي يضرب به المثل في العز، فيقال أعز من كليب وائل، وكليب وأخوه مهلهل هما خالا امرئ القيس بن حجر الكندي، انظر معجم الشعراء (١/ ٧٨)، طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي(١/ ٣٩).

(٥) ذكر أبو عبيد أن مهلهلاً بن ربيعة لما قتل ابن أخيه بجيرا بن الحارث بن عباد في الحرب التي كانت بين بكر وتغلب ابني وائل وهي حرب البسوس وبلغ ذلك الحارث وكان قد تخلف عن حربهم قال: نعم القتيل قتيلاً أصلح الله بين ابني وائل، فقيل له: إن مهلهلاً لما قتله قال: بؤ بشسع نعل كُليب فعندها قال الحارث: الأمور مخلوجة وليست بسًلكي، انظر فصل المثال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري (١/ ٣٠٥).

(٦) قول (بؤ بشسع نعل كُليب) في يقال بؤ به أي كن ممن يقتل به وفيه البواء: السواء، وفيه الشسع: واحد شسوع النعل التي تشد إلى زمامها، انظر لسان العرب (١/ ٣٦) وكانوا يقتلون غير القاتل إذا لم يكن به بواء.

(٧) البحر المحيط (٦/ ٣٠)، وانظر النهر (٦/ ٣٢).

القول الأول:

أن يقتل غير القاتل، قاله: ابن عباس[١] واختاره: (الفراء، والسمرقندي، الطاهر بن عاشور)[٢].

القول الثاني:

أن يقتل اثنين بواحد، قاله: سعيد بن جبير[٣].

القول الثالث:

أن يقتل أشرف من الذي قتل، قاله: ابن زيد[٤].

القول الرابع:

أن يمثل بالمقتول، وهو قول قتادة[٥].

القول الخامس:

أن يتولى هو قتل القاتل دون السلطان، اختاره الزجاج[٦].

القول السادس:

النهي عما كانت الجاهلية تفعله من هذه الأمور جميعها أو بسطها مثل قتل الجماعة للواحد وقتل غير القاتل، والمثلة، ومكافأة الذي يقتل من قتله، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وهو ما اختاره: (الطبري، البغوي، وابن عطية والقرطبي، والنسفي، ابن عادل،

(١) سبق توثيقه أنظر ص٢٦٦ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٠)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٩٤).

(٣) سبق توثيقه أنظر ص٢٦٦ .

(٤) سبق توثيقه أنظر ص٢٦٦ .

(٥) سبق توثيقه أنظر ص٢٦٦ .

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣٧).

أبو السعود،و الآلوسي، والسعدي، والمراغي)[١].

القول السابع:

أن (في) بمعنى الباء أي لا يصير مسرفًا بسبب إقدامه على القتل، أي معناه الترغيب في العفو، وقد اختاره الفخر الرازي[٢]، وقد ضعف أبو حيان هذا القول، وقال: إن من قتل بحق قاتل موليه لا يصير مسرفاً بقتله[٢].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من جمهور المفسرين بأن معنى الإسراف في القتل هو ما كانت تفعله الجاهلية، ويدخل فيها كل أوجه التأويل التي ذكرها السلف – رحمهم الله – وذلك:

١ـ لاحتمال الكلام ذلك، وإن في نهي الله – جل ثناؤه – بعض خلقه عن الإسراف في القتل، نهى منه جميعهم عنه[٣]، قال القفال[٤]: ولا يبعد حمله على الكل، لأن جملة هذه المعاني مشتركة في كونها إسرافا[٥]، والإسراف مجاوزة الحد، إما أن يمثل بالقاتل، أو يقتله بغير ما قتل به، أو يقتل غير القاتل[٦].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٩٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٦٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٢٢)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٢٧٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود(٤/ ١٢٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٦٨)، تفسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ٧٩)، تفسير المراغي (٥/ ٣١٢).

(٢) سبق توثيقه أنظر ص٢٦٧ .

(٣) جامع البيان للطبري (١٥/ ٩٧).

(٤) القفال: محمد بن على بن إسماعيل أبو بكر الشاشي، الفقيه الأديب المعروف بالقفال، أحد أئمة الشافعية، انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٨٣)، طبقات الشافعية (٣/ ٢٠٠).

(٥) انظر مفاتيح للفخر الرازي (٢٠/ ١٦٢).

(٦) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٧٩).

٢ـ الحمل على العموم أولى؛ لأن القرآن حمال ذو وجوه ومعاني كثيرة، ولا ينبغي تفسير الإسراف في القتل بأحد الأوجه التي ذكرها السلف، بل يجب الجمع بينها، واعتبار أن هذا الاختلاف هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، فكلٌ فسر الإسراف: بأحد الأوجه الموجودة في الجاهلية.

[١٤/٣٠] المسألة الثانية: المشار إليه في قوله: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المشار إليه في قوله ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ : هو ولي المقتول؛ حيث قال ~ : « والظاهر عود الضمير (في يسرف) على الولي ...، وأبعد من ذهب إلى أن الضمير في ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ ليس عائدًا على الولي، وإنما يعود على العامل الدال عليه ﴿وَمَن قُتِلَ﴾ أي: لا يسرف في القتل تعديًا وظلمًا، فيقتل من ليس له قتله، وقرأ الجمهور[١] (فلا يسرف) بياء الغيبة، وقرأ الأخوان[٢]، وزيد بن علي[٣]، وحذيفة[٤] وابن وثاب[٥]، والأعمش[٦]، ومجاهد بخلاف، وجماعة، وفي نسخة: من تفسير ابن عطية، وابن عامر[٧]، وهم بتاء الخطاب بخلاف، والظاهر أنه خطاب الولي، فالضمير له، وقال الطبري[٨]: الخطاب للرسول ﷺ والأئمة من بعده أي: لا تقتلوا غير القاتل انتهى »[١].

---

(١) قرأ: نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ووافقهم ابن عامر بياء الغيبة، انظر الكنز ص(١٨٦)، والإرشاد ص(٤٠٩)، تقريب النشر ص(٢٨٨)، النشر (٢/ ٣٠٧)، الإتحاف (٢/ ١٩٧).

(٢) الأخوان هم: حمزة والكسائي .

(٣) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين المدني ثقة من الرابعة وهو الذي ينسب إليه الزيدية، خرج في خلافة هشام بن عبدالملك فقتل في الكوفة سنة ١٢٢هـ، انظر التقريب (١/ ٢٢٤)، تهذيب التهذيب (٣/ ٣٦٢).

(٤) حذيفة بن حِسْل بن جابر العبسي، و اليمان لقب حِسْل بن جابر، أبو عبدالله، صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين، صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين، لم يعلمهم أحدٌ غيره، توفي سنة ٣٦هـ . انظر أسد الغابة (١/ ٥٧٢)، الحلية (١/ ٣٣٨).

(٥) يحي بن وثاب، تقدمت ترجمته ص٨٥ .

(٦) سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الأسدي الكاحلي مولاهم الكوفي الإمام الجليل، أخذ القراءات عرضًا عن إبراهيم النخعي وزر بن حبيش وعاصم ويحي بن وثاب وغيرهم، روى القراءات عنه عرضًا حمزة الزيات وابن أبي ليلى وجماعة، مات سنة ١٤٨هـ، انظر الكاشف (١/ ٣٢٠)، غاية النهاية (١/ ٣١٥-٣١٦).

(٧) لم يقرأ ابن عامر بالتاء فهو شاذ عنه وقراءته كما سبق بالياء انظر هامش رقم (١) في نفس الصفحة.

(٨) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٩٥).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المشار إليه في قوله -تعالى-: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

أنه ولي المقتول لا يتعدى أمر الله، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (الفراء، والنحاس، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن كثير، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والسعدي، والمراغي) [(٢)].

القول الثاني:

أن الإشارة إلى القاتل الأول، والمعنى: فلا يسرف القاتل بالقتل تعديًا وظلمًا، وهو قول مجاهد[(٣)].

القول الثالث:

أنه العامل الدال عليه أي: لا تقتل بالمقتول ظلمًا غير قاتله، واختاره: الطبري[(٤)].

◈ **الترجيح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من المفسرين بأن المشار إليه بالنفي فلا قوله -تعالى-: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ هو ولي المقتول، وذلك لما يلي:

١. يعود الضمير على أقرب مذكور؛ حيث قال -تعالى-: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٣٠-٣١) باختصار يسير، وانظر النهر الماد (٦/ ٣٢).

(٢) انظر ترتيبه على النحو التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٠٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣١)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٢)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٧٩)، تفسير المراغي (٥/ ٣١٢).

(٣) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٥).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٩٥).

حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾﴾ [(١)] وبذلك تتحد الضمائر في الآية وفق السياق القرآني.

٢. عود الضمير إلى الولي مظنة الإسراف في القتل بحسب ما تعوده أهل الجاهلية، وعلى ما ترجح في معنى الإسراف في القتل[(٢)]، فهو أبين، وأقوى، وأظهر، ويؤيده قول ابن عباس { : (بيّنةٌ من الله ﷻ أنزلها، يطلبها ولي المقتول العقل، أو القَود، وذلك السلطان)[(٣)]، ولقد قرأ الجمهور (يسرف) بياء الغيبة فيعود الضمير على الولي، وأما على قراءة حمزة، والكسائي، وخلف، (تسرف) بتاء الخطاب، فهو للولي أيضًا، إلا أنه يحتاج فيه إلى تحويل المخاطبة فيكون في الآية التفات من الغيبة إلى الخطاب، اهتمامًا بالأمر[(٤)].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٣٣.

(٢) انظر الراجح في معنى الإسراف في القتل في ص٢٦٩

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٩٤)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٩)، العقل: الدية، وعاقلة الرجل عصبته، والقود: القصاص. انظر أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ص(٢٩٢، ص٢٩٦).

(٤) انظر معاني النحاس (٤/ ١٥٢).

[١٥/٣١] المسألة الثالثة: مرجع الضمير في قوله -تعالى- : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ عائدٌ على الولي لا على المقتول ولا على القتل ولا القاتل؛ حيث قال ~ : « والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائدٌ على الولي لتناسق الضمائر، ونصره إياه بأن أوجب له القصاص، فلا يستزاد على ذلك، أو نصره بمعونة السلطان، وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق، وقيل: يعود الضمير على المقتول، نصره الله حيث أوجب القصاص بقتله في الدنيا، ونصره بالثواب في الآخرة، قال ابن عطية: وهو أرجح؛ لأنه المظلوم، ولفظه النصر تقارن الظلم، - كقوله ﵇ -، (ونصر المظلوم وإبرار القسم) [(١)] وكقوله: (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا) [(٢)] إلى كثير من الأمثلة، وقيل: على القتل، وقال أبو عبيد: على القاتل، لأنه إذا قتل في الدنيا وخلص بذلك من عذاب الآخرة فقد نصر، وهذا ضعيف بعيدُ القصر [(٣)]. وقال الزمخشري: وإنما يعين أن يكون الضمير في أنه الذي يقتله الولي بغير حق، ويسرف في قتله، فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف. انتهى [(٤)]، وهذا بعيد جداً » [(٥)].

---

(١) تخريج الحديث: صحيح البخاري كتاب المظالم، باب نصر المظلوم (٢/ ٨٦٣) ونص الحديث: عن البراء بن عازب - ﷺ - عنهما قال: (أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع فذكر (عيادة المريض وإتباع الجنائز وتشميت العاطس ورد السلام ونصر المظلوم وإجابة الداعي، وإبرار القسم).

(٢) تخريج الحديث: صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا (٢/ ٨٦٣)، ونص الحديث: عن أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا) قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا قال: (تأخذ فوق يديه) وفي روايه قال: (تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره) .

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٣).

(٤) انظر الكشاف (٣/ ٥١٦).

(٥) البحر المحيط (٦/ ٣١). وانظر النهر الماد (٦/ ٣٢).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في هاء الكناية في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ على عدة أقوال منها:-

القول الأول:

أنها ترجع إلى الولي، فالمعنى: إنه كان منصورًا بتمكينه من القَودَ، قاله قتادة[(١)] والجمهور[(٢)]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (الطبري، والسمرقندي، والواحدي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، السعدي)[(٣)].

القول الثاني:

أنها ترجع إلى لمقتول، فالمعنى: إنه كان منصورًا بقتل قاتله، قاله مجاهد[(٤)] واختاره: (الزجاج، والنحاس، والبغوي، وابن عطية)[(٥)].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٩٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٤١)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٢٧٦).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٥).

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٩٧)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٠٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٦٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٢٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٧٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٦٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٩٤) محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٨٨)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٧٨).

(٤) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٢٩)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٤١)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٢٧٦)، الدر المنثور (٥/ ٢٤٨).

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥١)، مدارك التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٣).

القول الثالث:

أنها ترجع إلى الدم، فالمعنى: إن دم المقتول كان منصورًا، أي: مطلوبًا به[(١)].

القول الرابع:

أنها ترجع إلى القتل، وذكر القولين الفراء[(٢)].

القول الخامس:

أنها ترجع للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله، فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف، ذكر هذا القول الزمخشري[(٣)] وقد ضعفه أبو حيان ~ .

القول السادس:

أنها ترجع على القاتل لأنه إذا قتل في الدنيا وخلص بذلك من عذاب الآخرة فقد نصر، قاله أبو عبيد[(٣)]، وقد ضعف ابن عطية[(٣)] وأبو حيان[(٣)] هذا القول، لأنه بعيد المقصد.

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من العلماء بأن هاء الكناية ترجع إلى الولي وإليه تعود وذلك لما يلي:

١ـ لتناسب الضمائر كما ذكر أبو حيان؛ حيث أن معنى الآية ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا، فلا يسرف هذا الولي في القتل؛ لأن هذا الولي منصور من عند الله، قال الطاهر ابن عاشور: (وجملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ تعليل للكف عن الإسراف في القتل)[(٤)].

٢ـ لأن هذا الولي هو المظلوم، ووليه المقتول وهو إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول، وهو المنصور أيضًا، لأن الله - جل ثناؤه - قضى في كتابه المنزل، أن سلطه على قاتل وليه، وحكّمه فيه، بأن جعل إليه قتله إن شاء، واستبقاءه على الدية إن أحب، والعفو عنه إن رأى،

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (٧٥/ ٩٧).

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٣).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٢٧٤

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٩٦).

وكفى بذلك نصرة له من الله جل ثناؤه[١].

٣ـ يؤيد هذا المعنى ما جاء في القراءة التفسيرية قراءة أبي بن كعب: (ولا تسرفوا في القتل إن ولي المقتول كان منصورًا) [٢].

وأما من قال بأن هذه القراءة تعود على الولي أو المقتول لأن القاتل متعدد في النظم في قوله -تعالى-: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ ﴾ فإن الولي في الآية عام فهو في معنى الأولياء فيجوز جمع ضميره وبهذا الاعتبار يكون التفاتًا وتوافق القراءتين ليس بلازم[٣].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٩٨).

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥١)، مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص(٨٠)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٤٨).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٦٨).

قال -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[١]، وفيه مسألتان:

[١٦/٣٢] المسألة الأولى: معنى قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى لا تقف أي: لا تتبع ما لا علم لك به من قول، أو فعل، فهو نهي عن الحكم بما لا يكون معلومًا؛ حيث قال:

« ومعنى ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا تتبع مالا علم لك به من قول أو فعل، [يقول ما لا يعلم، وأن يعمل بما لا يعلم][٢] بما لا نعلم، ويدخل فيه النهي عن إتباع التقليد، لأنه إتباع بما لا يعلم صحته، وقال ابن عباس: معناه: لا ترم أحدًا بما لا تعلم[٣]، وقال قتادة: لا تقل رأيت ولم تره، وسمعت ولم تسمعه، وعلمت ولم تعلمه[٤]، وقال محمد بن الحنفية[٥]: لا تشهد بالزور[٦]، وقال ابن عطية: ولا تقل، لكنها [لفظة][٧]تستعمل في القذف والعضة انتهى[٨]، وفي الحديث (من قفا مؤمنًا بما ليس فيه، حبسه الله في ردغة الخبال[٩] حتى يأتي

---

(١) سورة الإسراء: آية ٣٦.

(٢) و في المطبوع (نقول مالا نعلم، وأن نعمل بما لا نعلم) .

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٠٠)، زاد المسير لابن الجوزي ٠٥/ ٢٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٥٠).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٠٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٥٠).

(٥) محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، والحنفية أمه، كنيته أبو القاسم ويقال أبو عبدالله، كان من أفاضل أهل البيت مات برضوى سنة ٧٣هـ، ويقال سنة ٨٠هـ وهو ابن خمس وستين سنة ودفن بالبقيع، انظر تهذيب التهذيب (٩/ ٣١٥)، التاريخ الكبير للبخاري (١/ ١٨٢).

(٦) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٥٠).

(٧) وفي المطبوع (كلمة) .

(٨) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٥).

(٩) رَدَغة الخبال: الردغة بفتح الدال وباهاء هي المآء والطين والوحل وجمعها رَدَاغ، وأصل الخبال: الفساد ثم =

بالمخرج)[1]، وقال في الحديث أيضاً:

(نحن بنو النضر بن كنانة لا [نقفو أمنا][2]، ولا ننتفي من أبينا) [3].

ومنه قول النابغة الجعدي[4]:

وَمْثِلِ الدُّمَى شُمُّ العَرانِينِ سَاكِنٌ   بِهِنَّ الحَيَا لاَ يَتْبعنَّ التَّقَافِيَا[5]

وقال الكميت[6]:

= استعمل في النقصان والهلاك، والخبال: صديد أهل النار. انظر تاج العروس (٧٠١٨)، لسان العرب (٨/ ٤٢٦)، وردغة الخبال: الشيء المختلط من صديد وعصارة أهل النار، انظر غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٢٩٠)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٢/ ٥١٥).

(١) تخريج الحديث: أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأقضية باب فيمن يعين على خصرمة من غير أن يعلم أمرها (٣/ ٣٠٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٧)، كلاهما من طريق عمارة بن غزية عن يحي بن راشد عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ (من حالت شفاعته... وفيه، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه، حبس في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج مما قال)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) و في المطبوع (لا تقفو منا).

(٣) تخريج الحديث: أخرجه رواه ابن ماجه (٢/ ٢٦)، وأحمد (٥/ ٢١٢،٢١١)، والطيالسي (١٠٤٩) واللفظ الآتي له من حديث الأشعث بن قيس قال: قلت يا رسول الله إنا نزعم أنا منكم أو أنكم منا، قال رسول الله ﷺ: نحن بنو النضير ابن كنانة لا ننتفي من أبينا ولا نقفر أُمنا، فقال الأشعث: لا أجد أحدًا أوتي بأحد نفى قريشًا من كنانة إلا جلدته الحد » قال العلامة البوصيري في الزوائد من إسناد ابن ماجة هذا: إسناد صحيح، رجاله رجال ثقات لأن عقيل بن طلحة وثقة ابن معين والنسائي وذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجال الإسناد على شرط مسلم.

(٤) النابغة الجعدي هو قيس بن عبدالله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن عامر بن صعصعة وهو الشاعر يكنى أبا ليلى، قيل: كان يقول الشعر ثم تركه في الجاهلية ثم عاد إليه بعد أن أسلم، وكان طويل العمر في الجاهلية وفي الإسلام، مات بأصبهان زمن ابن الزبير وله مائتان وعشرون سنة انظر الإصابة (٦/ ٣٩٦-٣٩٣).

(٥) البيت للنابغة الجعدي وهو من شواهد أبي عبيدة مجاز القرآن (١/ ٣٧٩)، ولسان العرب (قفو) (١٥/ ١٩٢)، والطبري (١٥/ ١٠٠)، شاهد على أن معنى التقاضي: التقاذف.

(٦) الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة بن رباب بن الأشتر بن حجوان، شاعر من شعراء الإسلام وهو سليل أسرة من الشعراء، أبوه معروف شاعر وأمه سعدة شاعرة وأخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر وابنه معروف الكميت شاعر، انظر الأغاني (٢٢/ ١٥١)، معجم الشعراء (١/ ٧٥).

فَـلاَ أَرمِـي الـبَرِيءَ بِغَـيرِ ذَنْـبٍ وَلَا أَقفُـوا[الحَواصِـن][1] إِن قُفِينَـا[2]

وحاصل هذا: أنه نهى عن إتباع مالا يكون معلومًا، وهذه قضية كلية تندرج تحتها أنواع، فكل من القائلين حمل على واحد من تلك الأنواع » [3].

❖ **الدراسة والموازنة:**

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ قال الفراء: أصل ﴿ تَقْفُ ﴾ من القيافة، وهي تتبع الأثر، وفيه لغتان: قَفَا يقْـفُو، وقاف يقوف، وأكثر القراء يجعلونها من (قفوت) فيحرك الفاء إلى الواو، ويجزم القاف كما تقول: لا تدْعُ، والعرب تقول: قُفْتُ أثره، وقَفَوت، ومثله: عاث وعثا من الفساد وهو كثير[4]، قال الزجاج: « من قرأ بإسكان الفاء وضم القاف من قاف يقوف، فكأنه إذا تبعت أثره[5]، وقال ابن قتيبة: (لا تقف)، أي: لا تُتْبِعه الظنُّون والحدس، وهو من القفآء مأخوذ، كانك تقفوا الأمور أي: تكون في أقفائها وأواخرها تتعقبها، والقائف: الذي يعرف الآثار، فكأنه مقلوب عن القافي[6]، وللمفسرين في المراد بقوله: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ أقوال منها:

القول الأول:

لا ترم أحدًا بما ليس به علم، رواه العوفي عن ابن عباس[7] .

---

(١) وفي المطبوع (الحواضن) .

(٢) البيت من شواهد الفراء (٢/ ١٢٣)، على أن العرب تقول قفا الشيء إذا تتبعه كما تقول قافه وكما قال الشاعر: عاقي، يريد عائق.

(٣) البحر المحيط (٦/ ٣٢). وانظر النهر الماد (٦/ ٣٥).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٣-١٢٤).

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣٩).

(٦) انظر مدارك التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٣).

(٧) سبق توثيقه انظر ص٢٧٨ .

القول الثاني:

لا تقل: رأيت، ولم ترَّ، ولا سمعتَ، ولم تَسمع، رواه (عثمان بن عطاء)[1] عن أبيه عن ابن عباس، وبه قال قتادة[2]، واختاره: (ابن جرير الطبري، والزجاج، والسمرقندي والواحدي، والنسفي) [3].

القول الثالث:

لا تشرك بالله شيئًا، رواه عطاء أيضًا عن ابن عباس[4].

القول الرابع:

لا تشهد الزور، قاله: محمد بن الحنفية[5].

القول الخامس:

أنه معنى الآية: لا تتبع الحدس والظنون، قاله القتيبي[6]، واختاره: (البغوي)[7].

القول السادس:

القول بالعموم أي لا تتبع ولا تقتف بالأعلم لك به من قول أو فعل وحاصله يرجع إلى النهي عن الحكم بما لا يكون معلومًا وهي قضية يندرج تحتها أنواع كثيرة، وكل واحد

---

(١) عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني أبو مسعود المقدسي ضعيف من الساسة مات سنة ١٥٥هـ، انظر التقريب(١/ ٣٨٥).

(٢) سبق توثيقه انظر ص٢٧٨ .

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٠٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٢٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١١)، الوسيط الواحدي (٣/ ١٠٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٢٣).

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٦).

(٥) سبق توثيقه انظر ص٢٧٨ .

(٦) القتيبي هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد صاحب التصانيف صدوق قليل الرواية، قال الخطيب: كان ثقة دينًا فاضلاً، توفي سنة ٢٧٦هـ، له من التصانيف غريب القرآن وغريب الحديث، ومشكل القرآن ومشكل الحديث، وغير ذلك انظر لسان الميزان (٣/ ٣٥٧).

(٧) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٢)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٦٧).

من المفسرين حمله على واحد من تلك الأنواع، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره هذا القول: (النحاس، والزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي) [1].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو قول أبي حيان ~ وجمهور المفسرين من أن معنى قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ هو لا تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل وحاصله يرجع إلى النهي عن الحكم بما لا يكون معلومًا، قال ابن فارس: « القاف والفاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إتباع الشيء لشيء ومن ذلك القفو، يقال قفوت أثره وقفيت فلانًا بفلان، إذا أتبعته إياه وسميت قافية البيت قافية لأنها تقفو سائر الكلام،أي تتلوه وتتبعه، وقولهم: قفوت الرجل إذا قذفته بفجور هو من هذا، كأنه أتْبَعَهَ كلامًا قبيحًا وفي الحديث: (لا نقفو أمنًا) [2] » [3]، قال الرازي: (أي لا تتبع وتقتف ما لا علم لك به من قول أو فعل، وحاصله يرجع إلى النهي عن الحكم بما لا يكون معلومًا وهذه قضية كلية يندرج تحتها أنواع كثيرة، وكل واحد من المفسرين حمله على واحد من تلك الأنواع) [4].

---

(١) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥٦)، الكشاف (٣/ ٥١٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٦)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٦٦)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٦٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٣)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/ ٢٨٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٢٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٨١)، روح المعاني للآلوسي(٨/ ٧١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٠١)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٨٩).

(٢) سبق تخريج الحديث انظر ص٢٧٩ .

(٣) انظر مقاييس اللغة (٥/ ١١٣).

(٤) انظر مفاتيح الغيب (٢٠/ ١٦٦)، وهذا المعنى قد ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٦٧)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٣)، والآلوسي في روح المعاني (٨/ ٧١).

[١٧/٣٣] المسالة الثانية: المراد بالمسئول في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.

رجح أبو حيان أن الجوارح هي المسئولة في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾(١)، حيث قال ~ : «كل مبتدأ والجملة خبره، واسم كان عائد على كل، وكذا الضمير في مسؤولاً والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ عائد على ما من قوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فيكون المعنى: إن كل واحد من السمع والبصر والفؤاد يسأل عما لا علم له به: أي عن [اقتفاء](٢) ما لا علم به وهذا الظاهر، وقال الزجاج(٣): يستشهد بها كما قال ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾(٤) وقال القرطبي في أحكامه: يسأل الفؤاد عما اعتقده والسمع عما سمع، والبصر عما رأى(٥)، وقال ابن عطية: إن الله تعالى يسأل سمع الإنسان وبصره وفؤاده عما قال مما لا علم له به، فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي(٦)، وقيل: الضمير في ﴿كَانَ﴾ و﴿مَسْـُٔولًا﴾ عائد على أن [القائف](٧) ما ليس له به علم والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ عائد على ﴿كُلُّ﴾ فيكون ذلك من الالتفات، إذ لو كان على الخطاب لكان التركيب كل أولئك كنت عنه مسئولا»(٨).

---

(١) سورة الإسراء: آية ٣٦.
(٢) وفي المطبوع (انتفاء).
(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣١).
(٤) سورة النور: آية ٣٤.
(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٦٩).
(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٦).
(٧) وفي المطبوع (القائل).
(٨) البحر المحيط (٦/ ٣٣). وانظر النهر الماد (٦/ ٣٥).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالمسئول في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ على قولين:

القول الأول:

إن الإنسان هو المسئول والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده، فالإنسان راع على جوارحه، فكأنه قال: كل هذه كان الإنسان عنه مسئولا، فهو على حذف مضاف، واختاره: (الواحدي، والفخر الرازي، وابن كثير، وابن عادل والشوكاني، والقاسمي) [1].

القول الثاني:

أي يسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختار هذا المعنى كل من: (الطبري، والزجاج، والسمرقندي، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، وأبو السعود، والطاهر بن عاشور) [2].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من المفسرين بأن الجوارح هي المسئولة وذلك لما يلي:

١- ظاهر الآية يدل على أن هذه الجوارح هي المسئولة.

---

(١) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٠٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٦٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٣)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٢٨٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٨٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٨٨).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٠٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٣٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١١)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٥٦)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٦٩)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٢٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٠٢).

٢- ثبت بالقرآن أنه - تعلى - يخلق الحياة في الأعضاء ثم إنها تشهد على الإنسان والدليل عليه قوله -تعالى-: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم﴾ [1]، ولذلك لا يبعد أن يخلق الحياة، والعقل والنطق في هذه الأعضاء، ثم إنه تعالى يوجه السؤال إليها.

٣- قال القرطبي: هذا المعنى أبلغ في الحجة، فإنه يقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخزي والعار، كما قال -تعالى-: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ [2]، وقوله ﴿شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [3] [4].

(١) سورة النور: آية ٢٤.

(٢) سورة يس: آية ٦٥.

(٣) سورة فصلت: آية ٢٠.

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٦٩).

قال -تعالى-: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ (١)، وفيها مسألة واحدة:

[١٨/٣٤] المسألة: تسبيح المخلوقات.

رجح ~ أن تسبيح المخلوقات حقيقة، وليس مجازاً؛ حيث قال ~: «ونسبة التسبيح للسموات والأرض ومن فيهن من مَلك وإنس وجن، حمله بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة، وأن ما لا حياة فيه ولا نمو يحدث الله له نطقًا، وهذا هو ظاهر اللفظ، ولذلك جاء ﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وقال بعضهم: ما كان من نام حيوان وغيره يسبح حقيقة، وبه قال عكرمة قال: الشجرة تسبح، والاسطوانة لا تسبح(٢)، وسئل الحسن عن الخوان(٣) أيسبح؟ فقال: قد كان يسبح مرة يشير إلى أنه حين كان شجرة كان يسبح، وحين صار خوانًا مدهونًا صار جمادًا لا يسبح(٤)، وقيل: التسبيح المنسوب لما لا يعقل مجاز، ومعناه أنها تسبح بلسان الحال، حيث يدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته وكماله، فكأنها تنطق بذلك، وكأنها تنزه الله عما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها، ويكون قوله: ﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ خطابًا للمشركين، وهم وإن كانوا معترفين بالخالق أنه الله، لكنهم لما جعلوا معه آلهة لم ينظروا ولم يقروا، لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه، فإذا لم يفقهوا التسبيح، ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق، فيكون التسبيح المسند إلى السموات والأرض ومن فيهن على سبيل المجاز قدرًا مشتركًا بين الجميع، وإن كان يصدر التسبيح حقيقة ممن فيهن من ملك وإنس وجان، ولا يحمل نسبته إلى السموات والأرض على المجاز، ونسبته إلى الملائكة والثقلين على الحقيقة لئلا يكون جمعًا بين المجاز

---

(١) سورة الإسراء: آية ٤٤.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٠٧)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٥٤).

(٣) الخوان: مائدة الطعام من خشب، انظر لسان العرب(٣/ ٤١١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٠٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٤٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٥٦).

والحقيقة بلفظ واحد » [١].

◈ الدراسة والموازنة:

يقول -تعالى- تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن، أي: من المخلوقات، وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته. وقد اختلف المفسرون في قوله -تعالى-: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ هل هذا العموم مخصص أو لا ؟ على أقوال:

القول الأول:

إنه ليس مخصوصًا، والمراد به تسبيح الدلالة وكل محدث يشهد على نفسه بأن الله ﷻ خالق قادر، وأن هذا التسبيح من باب المجاز وأن المراد بقوله: (لا يفقهون) أي الكفار الذين يعرفون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله ﷻ في الأشياء، وقد اختار هذا القول: (الواحدي، الزمخشري، والفخر الرازي، وابن عادل الحنبلي، وأبو السعود، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والمراغي) [٢].

القول الثاني:

هذا التسبيح حقيقة، و(كل شيء) على العموم يسبح تسبيحًا لا يسمعه البشر، ولا يفقه، ولو كان ما قاله الأولون من أنه: أثر الصنعة والدلالة لكان أمرًا مفهومًا، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يُفقه، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختار هذا القول: (الطبري، الزجاج، والبغوي، والقرطبي، وابن كثير، والشوكاني، والقاسمي، والسعدي)[٣].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٣٨). وانظر النهر الماد (٦/ ٣٩).

(٢) انظر البحر المحيط للواحدي (٣/ ١٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٧٤)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٣٩٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٣٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٨٠)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١١٤)، تفسير المراغي (٥/ ٣١٩).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٠٧)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٤٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٧٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٨٦)، (٤/ ٥٩٢)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ٨٤).

القول الثالث:

إن قوله (من شيء) عموم ومعناه الخصوص في كل حي ونام، ليس ذلك في الجمادات بدليل ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: (لعلهما لا يعذبان ما دامتا رطبتين) [(١)] وقد اختاره: (النحاس، والسمرقندي) [(٢)].

◈ **الترجيح:**

والراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من العلماء من أن التسبيح على حقيقته والعموم على ظاهره وأن كل المخلوقات تسبح لله - سبحانه - هذا التسبيح الذي معناه التنزيه وإن كان البشر لا يسمعون ذلك ولا يفهمونه وذلك لما يلي:

١ - لقوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ﴾ [(٣)] فإنه: لو كان المراد تسبيح الدلالة لكان أمرًا مفهومًا لكل أحد، قال الراغب الأصفهاني: « إنه تسبيح على الحقيقة بدلالة قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ﴾ ودلالة قوله: ﴿وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ ، بعد ذكر السموات والأرض، لا يصح أن يكون تقديره (يسبح له من السموات ويسجد له من في الأرض) لأن هذا مما نفقهه، ولأنه محال أن يكون ذلك تقديره، ثم يعطف عليه بقوله: ﴿وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ ، والأشياء كلها تسبح له وتسجد، بعضها بالتسخير، وبعضها بالاختيار، والآية تدل على أن المذكورات تسبح باختيار، لما ذكر من الدلالة » [(٤)].

٢- ويؤيد حمل الآية على العموم قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ

---

(١) تخريج الحديث: حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: « إنهما ليعذبان في القبر، وما يعذبان بكبير، فأما أحدهما كان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتنزه عن البول »، ثم أخذ جريدتين من شجرة، وغرس أحدهما في قبر والأخرى في قبر الآخر، فقال: « لعلهما لا يعذبان ما دامتا رطبتين » والحديث أخرجه البخاري رقم (٢١٨)، (١٣٧٨) و(٦٠٥٢)، ومسلم رقم (٢٩٢) والترمذي رقم (٧٠) والنسائي رقم (٣٩-٣٠).

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٥٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٣).

(٣) سورة الإسراء: آية ٤٤.

(٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص١٩٣ مادة سبح.

بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ (١) وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾(٢) وقوله: ﴿وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ (٣) وغير ذلك من الآيات.

٣- ولما ثبت في الصحيح أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام(٤) وهم يأكلون مع رسول الله ﷺ، وهكذا حديث حنين الجذع(٥)، وحديث أن حجر بمكة كان يسلم على النبيﷺ(٦)، وغير ذلك من الأحاديث.

٤- قال الشوكاني: (إن مدافعه عموم هذا الآية بمجرد الاستبعادات ليس دأب من يؤمن بالله سبحانه ويؤمن بما جاء من عنده) (٧).



(١) سورة ص: آية ١٨.

(٢) سورة البقرة: آية ٧٤.

(٣) سورة مريم: آية ٩٠.

(٤) تخريج الحديث: صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١٣١٤).

(٥) تخريج الحديث: صحيح البخاري وكتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١٣١٤)، فعن جابر رضي الله عنه قال: (كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت).

(٦) تخريج الحديث: أخرج الإمام مسلم في كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ و تسليم الحجر عليه قبل النبوة (٤/ ١٧٨٢) ، عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن .

(٧) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٨٦).

قال -تعالى-: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[١٩/٣٥] المسألة: المراد بالحجاب.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ أي أن الله يستره من أعين الكفار فلا يرونه وحمل اللفظ على حقيقته كما في أسباب النزول الواردة؛ حيث قال: « والظاهر أن المعنى جعلنا بين رؤيتك وبين أبصار الذين لا يؤمنون بالآخرة، كما ورد في سبب النزول[2].

وقال قتادة[3] والزجّاج[4] وجماعة ما معناه: جعلنا بين فهم ما تقرأ وبينهم حجاباً فلا يقرون بنبوتك ولا بالبعث، فالمعنى قريب من الآية بعدها »[5].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٤٥.

(٢) قال أبو حيان: نزلت ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ في أبي سفيان والنضر وأبي جهل وأم جميل امرأة أبي لهب، كانوا يؤذون الرسول إذا قرأ القرآن، فحجب الله أبصارهم إذا قرأ فكانوا يمرون به ولا يرونه قاله الكلبي: " وعن ابن عباس نزلت في امرأة أبي لهب، دخلت منزل أبي بكر وبيدها فهر والرسول ﷺ عنده، فقالت: هجاني صاحبك، قال: ما هو بشاعر، قالت: قال ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ وما يدريه ما في جيدي؟ فقال لأبي بكر: « سلها هل ترى غيرك فإن ملكاً لم يزل يسترني عنها » فسألها فقالت: أتهزأ بي ما أرى غيرك؟ فانصرفت ولم تر الرسول ﷺ » البحر (٦/ ٣٨) والحديث حسن بشواهده. أخرجه أبو يعلى (٢٥) وابن حبان (٦٥١١) والبزار (٢٢٩٤) من حديث ابن عباس، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٥٢٩) وقال: قال البزار: (إسناده حسن، مع أن فيه عطاء بن السائب اختلط)، وحسنه الحافظ في الفتح (٨/ ٧٣٨)، وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٦) من حديث زيد بن أرقم، وأعله الحاكم بالإرسال ووافقه الذهبي وأخرجه الحميدي (٣٢٣)، والحاكم (٢/ ٣٦١)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١١٠) من حديث أسماء وصححه ووافقه الذهبي مع أن في إسناده ابن تدرس وهو مجهول وللحديث شواهد ضعيفة لكن تتأيد بمجموعها، ويعلم أن للحديث أصلاً والله أعلم.

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٠٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣١٣)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٦٠).

(٤) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٤٢).

(٥) البحر المحيط (٦/ ٣٩)، وانظر النهر الماد (٦/ ٤١).

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى الحجاب المستور في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [1] على قولين:

القول الأول:

أن معنى حجابًا مستورًا أي: حائلاً وساترًا، والمعنى: وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا، أي: حائلاً وساترًا يمنعهم من تفهم القرآن وإدراكه لئلا يفقهوه فينتفعوا به، وعلى هذا فالحجاب المستور هو ما حجب الله به قلوبهم عن الانتفاع بكتابه والآيات الشاهده لهذا المعنى كثيرة. كقوله -تعالى-: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ﴾ [2] وقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [3]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [4] إلى غير ذلك من الآيات، وممن قال بهذا القول في معنى الآية: (قتادة والزجاج) [5]، وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والنحاس، والبغوي، وابن كثير، وأبو السعود، والقاسمي) [6].

القول الثاني:

أن المراد بالحجاب المستور أن الله يستره عن أعين الكفار فلا يرونه، واستدل بسبب نزول الآية[7] على هذا المعنى، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الواحدي،

---

(١) سورة الإسراء: آية ٤٥.

(٢) سورة فصلت: آية ٥.

(٣) سورة البقرة: آية ٧.

(٤) سورة الكهف: آية ٥٧.

(٥) سبق توثيقه انظر ص٢٩٠ .

(٦) انظر(جامع البيان للطبري (١٥/ ١٠٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٦)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٣٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٣).

(٧) سبق توثيقه انظر ص٢٩٠ هامش (٢) .

والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي)[(١)].

◈ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن المراد بالحجاب المستور هو ما حجب الله به قلوبهم عن الانتفاع بكتابِه، وذلك لما يلي:

١ـ للنظائر القرآنية لهذه الآية كما مر بيانه في دراسة المسألة، فإن خير ما يفسر به القرآن هو القرآن[(٢)].

٢ـ إذا كان المعنى: (إنا جعلنا بينك وبين المشركين حجابًا حتى لا يرونك) فإنه ضعيف من عدة أوجه كما ذكره عدد من المفسرين.

أ - فإنه لا يفهم منه أنهم ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ ﴾[(٣)].

ب - إن هذا المعنى مختص بسبب معين بشرذمة قليلة مثل أم جميل بنت حرب. والظاهر عموم الموصول لكل من لا يؤمن بالله، فإن هذا المعنى لا يلائم ما قبله، فإنه عامٌ، ولا يلائم ما بعده لأنه بيان له[(٤)].



(١) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١١٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٧٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٧٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٢٥)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣٠٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٨٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٨٤).

(٢) انظر ص٢٩١ .

(٣) سورة البقرة: أية ٧ .

(٤) حاشية القونوي (١١/ ٥١٧ - ٥١٨).

قال -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦)﴾[١]، وفيها مسألة واحدة:

[٢٠/٣٦] المسألة: مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مَرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ على الكفار المتقدم ذكرهم في الآيات؛ حيث قال: « والظاهر عود الضمير في ﴿وَلَّوْا﴾ على الكفار المتقدم ذكرهم، وقالت فرقة: هو ضمير الشياطين لأنهم يفرون من القرآن دل على ذلك المعنى، وإن لم يجر لهم ذكر، وقال أبو الجوزاء أوس بن عبدالله[٢]: ليس شيء أطرد للشيطان من القلب من لا إله إلا الله ثم تلا ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ﴾ الآية[٣] وقال علي بن الحسين هو: البسملة[٤] »[٥].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون فيما يرجع إليه الضمير في قوله: ﴿وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ على قولين:

القول الأول:

إن الضمير يعود على المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة وهو قول ابن زيد[٦] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ لدلالة السياق، واختاره: (الطبري، والسمرقندي،

---

(١) سورة الإسراء: آية ٤٦.

(٢) أبو الجوزاء هو أوس بن عبدالله الربعي البصري، قال ابن حبان في الثقات كان عابدًا فاضلاً، وقال العجلي: بصري، ثقة، قتل سنة ٨٣هـ في الجماجم، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب للحافظ بن حجر (١/ ٣٨٣).

(٣) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦٠).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٧٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٦١).

(٥) البحر المحيط (٦/ ٤٠)، وانظر النهر الماد (٦/ ٤١).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١١٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٣)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٦١).

والفخر الرازي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود)[١].

القول الثاني:

إن الضمير يعود على الشياطين، وهو قول ابن عباس[٢].

◈ **الترجيح**:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من أن مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ فإنه يعود على المشركين وذلك لما يلي:

١ـ لسياق الآيات فإن ما قبل الآيات وما بعده يتحدث عن المشركين، فإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك[٣].

٢ـ يقول ابن كثير ~ عن القول بأن الضمير يعود على الشياطين: «وهذا غريب جدًا في تفسيرها، وإلا فالشياطين إذا قرأ القرآن أو نودي بالآذان أو ذكر الله انصرفوا »[٤].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١١٠)، بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣١٤)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٧٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٧)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣٠١)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٣٥).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١١٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٧)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٦١).

(٣) قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/ ١٢٥).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٧).

قال -تعالى-: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ (١)، وفيها مسألة واحدة:

[٢١/٣٧] المسألة: معنى مسحوراً.

رجح أبو حيان أن معنى مسحورًا من السحر، أي: خبل عقله السِحر؛ حيث قال: « والظاهر أن ﴿مَّسْحُورًا﴾ من السِحر أي: خبل عقله السحر، وقال مجاهد: مخدوعًا(٢) نحو ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ (٣) أي: تخدعون، وقال أبو عبيدة: ﴿مَّسْحُورًا﴾ معناه أن له سحرًا: أي رئة(٤) فهو لا يستغني عن الطعام والشراب، فهو مثلكم وليس بملك، وتقول العرب للجبان: قد انتفخ سحره، ولكل من أكل أو شرب من آدمي وغيره مسحور، قال:

أَرَانَــا مُوضِــعِين لأَمْــرِ غَيْــبٍ ... وَنُــسْحَرُ بِالطَّعَــامِ وبِالــشَّرَابِ(٥)

أي نغذي ونعلل ونسحر، قال لبيد:

فَــإِنْ تَــسْأَلِينَا فِــيمَ نَحْــنُ فَإِنَّنَــا ... عَـصَافِيرُ مِـنْ هَـذَا الأَنَـامِ المُسَحَّرِ(٦)

قال ابن قتيبة: لا أدري ما الذي حمل أبا عبيدة على هذا التفسير المستكره مع أن السلف فسروه بالوجوه الواضحة، وقال ابن عطية(٧): الآية التي بعد هذا تقوي أن اللفظة

---

(١) سورة الإسراء: آية ٤٧.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١١١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦١)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٤٧).

(٣) سورة المؤمنون: آية ٨٩.

(٤) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦١)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٤)، النكت والعيون (٣/ ٢٤٧).

(٥) البيت لامرئ القيس انظر ديوانه ص(٩٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨٢)، والطبري (١٥/ ١١١) واللسان: مادة (سحر)، وأرانا موضعين، والإيضاع: ضرب من السير السريعة.

(٦) انظر ديوان لبيد (٥٦)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨١)، والطبري (١٥/ ١١١) واللسان: (سحر) وفي شرحه: عصافير: صغار ضعاف أي نحن أولاد قوم قد ذهبوا ومسحر معلل بالطعام والشراب.

(٧) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٤٦١).

من السِحر بكسر السين لأن في قولهم ضرب مثل، وأما على أنها من السَحر الذي هو الرئة ومن التغذي وأن تكون الإشارة إلى أنه بشر فلم يضرب له في ذلك مثل بل هي صفة حقيقة له » (١).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى كلمة ﴿مَّسۡحُورًا ﴾ على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

إن معنى مسحورًا: الذي سُحر فُذهب بعقله، وهو قول ابن عباس(٢)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (البغوي، والزمخشري، ابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي ابن كثير، والسمين الحلبي، ابن عادل، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي) (٣).

القول الثاني:

إن معنى مسحورًا، أي: مخدوعاً، قاله: مجاهد(٤)، واختاره: (النحاس، والسمرقندي، والواحدي) (٥).

القول الثالث:

إن معنى مسحورًا، أي: له سَحْر، أي رئة، وكلُ دابة أو طائر أو بشر يأكل فهو مسحور أو مسَّحر، لأن له سَحْرًا وهو الرئة ومنه قول عائشة < : توفي رسول الله ﷺ بين

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٤١)، وانظر النهر الماد (٦/ ٤١).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٣٢).

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٧)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٦١)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٠/ ١٧٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٢٥)، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٣٦٦)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣٠٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٨٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٨٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٤).

(٤) سبق توثيقه أنظر ص٢٩٥ .

(٥) انظر معاني القرآن للنحاس(٤/ ١٦١)، بحر العلوم للسمرقندي(٢/ ٣١٤)، الوسيط للواحدي(٣/ ١١).

سحري ونحري[١] . فكأن مقصد الكفار بهذا التنبيه على أنه بشر أي ذا رئة وليس ملكاً، وهو قول أبي عبيدة[٢]، واختاره: (ابن جرير الطبري، والزجاج) [٣].

❖ **الترجيح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن معنى (مسحوراً) أي: سحر فاختلط عقله وزال عن حد الاعتدال، وذلك لما يلي:

١ـ قال ابن الأعرابي: المسحور الذاهب العقل الذي أفسد، من قولهم طعام مسحور إذا أفسد عمله، وأرضى مسحورة أصابها من المطر أكثر مما ينبغي فأفسدها[٤].

٢ـ من فسّر السَحر بالرئة بعيد لفظًا ومعنى، قال ابن عادل الحنبلي: (وقد رد الناس على أبي عبيدة قوله، لبعده لفظًا ومعنى، وقال ابن قتيبة: لا أدري ما الذي حمل أبا عبيدة على هذا التفسير المستنكر، مع ما فسره السلف بالوجوه الواضحة) [٥].

٣ – قال السمين الحلبي: (إن السَحر الذي هو الرئة لم يضرب له فيه مثلاً بخلاف السِحر فإنهم ضربوا له فيه المثل، فما بعد الآية من قوله: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ لا يناسب إلا السِحر بالكسر[٦].



(١) تخريج الحديث: صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ما جاء في قبر النبي ﷺ (١/ ٤٦٨)، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة (٤/ ١٨٩٣).

(٢) سبق توثيقه أنظر ص٢٩٥ .

(٣) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري (١٥/ ١١٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٤٣).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٨٧).

(٥) انظر اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣٠٣)، وانظر قول ابن قتيبة في زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٥) (٥/ ٣٢ – ٣٣)، البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤١).

(٦) الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٣٦٦) وهذا معنى قول ابن عطية رحمه الله، انظر المحرر الوجيز (٣/ ١٧٩)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٧).

قال -تعالى-: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١)﴾ (١)، وفيها مسألة واحدة:

[٣٨/ ٢٢] المسألة الأولى معنى قوله -تعالى-: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن الذي يكبر في قوله -تعالى-: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ عامًا ولم يُعيّن، بل ترك ذلك إلى أفكار القوم وجولاتها فيما هو أصلب من الحديد؛ حيث قال ~ : «﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ صلابته وزيادته على قوة الحديد وصلابته، ولم يعيّنه، ترك ذلك إلى أفكارهم وجولانها فيما هو أصلب من الحديد، فبدأ أولاً بالصلب، ثم ذكر على سبيل الترقي الأصلب منه، ثم الأصلب من الحديد، أي افرضوا ذواتكم شيئاً من هذه فإنه لا بد لكم من البعث على أي حال كنتم، وقال: ابن عمر، وابن عباس، وعبدالله بن عمر، والحسن، وابن جبير، والضحاك، الذي يكبر: الموت(٢): أي لو كنتم الموت لأماتكم ثم أحياكم، وهذا التفسير لا يتم إلاّ إذا أريد المبالغة، لا نفس الأمر، لأن البدن جسم والموت عرض ولا ينقلب الجسم عرضاً ولو فرض انقلابه عرضاً لم يكن ليقبل الحياة لأجل الضدية، وقال مجاهد(٣): الذي يكبر السموات والأرض والجبال(٤)، ولما ذكر أنهم لو كانوا أصلب شيء وأبعده من حلول الحياة به كان خلق الحياة فيه ممكناً» (٥).

---

(١) سورة الإسراء: آية ٥٠-٥١.

(٢) انظر أقوالهم: جامع البيان للطبري (١٥/ ١١٤)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٥) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٤٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٣٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٨) الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٦٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٣).

(٣) هذا القول ثابت عن قتادة، والذي ثبت عن مجاهد هو قوله: (كونوا ما شئتم)، انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١١٥).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١١٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٤٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣/ ٤٨).

(٥) البحر المحيط (٦/ ٤٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ٤٦).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى الذي يكبر في قوله -تعالى-: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أنه: الموت[1]، قاله: ابن عمر، وابن عباس، والحسن، وابن جبير، والضحاك، قال الحافظ ابن كثير: {والمعنى على هذا القول: لو فرض أنكم صرتم الموت الذي هو ضد الحياة، لأحياكم الله إذا شاء، فإنه لا يمتنع عليه إذا أراده}[2]، واختاره: (الفراء، والزجاج، والنحاس، والقرطبي، وابن كثير) [3].

القول الثاني:

أنه: السماء والأرض والجبال، قاله قتادة[4] واختاره: (النسفي) [5].

القول الثالث:

أنه ما يكبر في صدوركم من كل ما استعظموه من خلق الله تعالى، قاله: مجاهد[6]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الطبري، والسمر قندي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، وابن القيم، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والسعدي) [7].

---

(١) سبق توثيقه انظر ص٢٩٨ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣/ ٤٨).

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٥)، معان القرآن للزجاج(٣/ ٢٤٤)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١٠/ ١٧٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٨).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٢٩٨ .

(٥) النظر مدارك التنزيل للنسفي(ص٦٢٦).

(٦) جامع البيان للطبري (١٥/ ١١٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٤٨).

(٧) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ١١٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٥)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٦٢)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ١٨٠)، بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ٨٣)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل(١٢/ ٣٠٧)، ⇐ =

القول الرابع:

أنه أراد البعث لأنه كان أكبر شيء في صدورهم، قاله: الكلبي[1].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من معنى ﴿يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾: هو عدم تعيين ذلك الشيء وذلك لو فرضتم شيئاً آخر أبعد من قبولِ الحجر والحديد للحياة، بحيث يستبعد عقلكم قبوله للحياة، ولا حاجة إلى تعيين ذلك الشيء؛ لأنَّ المراد أنَّ أبدان النَّاس، وإن انتهت بعد موتها إلى أيِّ صفة فرضت، وإن كانت في غاية البعد عن قبول الحياة، فإنَّ الله قادرٌ على إعادة الحياة إليها[2].

١ - جاءت كلمة ﴿خَلْقًا﴾ نكرة وهي تفيد العموم، فلا مجال للتخصيص، قال ابن عطية ~ : (لا وجه لتخصيص شيء دون شيء)[2].

٢ - أن الكبر في الأصل للمحسوسات ويوصف به المعاني كا العظيم ثم شاع فيما يستبعد وقوعه وهوالمراد في قوله ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾[3].

٣ - قال الشوكاني: [لو كان المعنى: لو كنتم الموت لأماتكم الله ثم بعثكم، ولا يخفى ما في هذا من البعد، فإن معنى الآية: الترقي من الحجارة إلى الحديد، ثم من الحديد إلى ما هو أكبر في صدور القوم منه، والموت نفسه ليس بشيء يعقل ويحسّ حتى يقع الترقي من الحديد إليه[4].

= الإرشاد لأبي السعود(٤/ ١٣٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٠)، روح المعاني للآلوسي(٨/ ٨٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٢٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٤)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٨٦).

(١) انظر اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣٠٦).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٦٢).

(٣) انظر حاشية الشهاب على البيضاوي (٦/ ٦٦).

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٠).

قال -تعالى-: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]، وفيها مسألتان:

[٢٣/٣٩] المسألة الأولى: معنى الدعاء في الآية، حقيقة أو مجاز.

رجح أبو حيان ~ أن معنى الدعاء في الآية حقيقة، خلافا للزمخشري وغيره الذين قالوا بأن الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز؛ حيث قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن الدعاء حقيقة أي: ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ بالنداء الذي يسمعكم، وهو النفخة الأخيرة، كما قال: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [2]، ويقال: إن إسرافيل عليه السلام ينادي: أيتها الأجسام البالية والعظام النخِرة، والأجزاء المتفرقة عودي كما كنت[3]، وروي في الحديث أنه قال ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم»[4]. ومعنى ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ توافقون الداعي فيما دعاكم إليه، وقال الزمخشري: الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز، والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون انتهى[5] »[6].

(١) سورة الإسراء: آية ٥٢.

(٢) سورة ق: آية٤١.

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٨٩).

(٤) تخريج الحديث: سنن أبي داود كتاب الأدب باب في تغيير الأسماء.(٢/ ٧٠٥)، قال الحافظ ابن حجر: أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان من حديث أبي الدرداء رفعه " إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم " ورجاله ثقات، إلا أن في سنده انقطاعا بين عبدالله بن أبي زكريا راويه عن أبي الدرداء [وأبي الدرداء] فإنه لم يدركه، فتح الباري (٧/ ٥٧٧)، قال الألباني: ضعيف انظر ضعيف الجامع (١/ ٤٨٥) رقم [٢٠٣٦]، والسلسلة الضعيفة (١١/ ٤٦٢) رقم [٥٤٦٠].

(٥) الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٥٤).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ٤٦).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في الدعاء المذكور في الآية هل هو دعاء حقيقي يسمعه الناس، أو يحمل على الأمر التكويني بإحيائهم ومجاز في الأحياء والتسخير لحضور الحساب؟ على قولين:

القول الأول:

أنه دعاء حقيقي يسمعه جميع الناس سواء كان الداعي هو الله ﷻ، أو الملائكة الذين يسوقون الناس إلى أرض المحشر، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختار هذا القول: (السمرقندي، والماوردي، والواحدي، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني)(١).

القول الثاني:

أنه الدعاء والنداء يحمل على الأمر التكويني بإحيائهم، فأطلق عليه الدعاء لأن الدعاء يستلزم إحياء المدعو وحصول حضوره، فهو مجاز في الأحياء والتسخير لحضور الحساب، قال البيضاوي: (أي: يوم يبعثكم فتنبعثون، استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر أمرهما)(٢)، قال الآلوسي: (إن فيه إشارة إلى امتناع الحمل على الحقيقة لما يلزم من الحمل عليها، خطاب الجماد، وهو الأجزاء المتفرقة، ولو لم تمتنع إرادة الحقيقة لكان ذلك كناية عن البعث والانبعاث لا مجازاً، والمجوز لإرادتها يقول إن الدعوة بالأمر التكويني وهو مما يوجه إلى المعدوم)(٣)، وقد اختاره: (الزمخشري، وأبو السعود، والبيضاوي، والآلوسي)(٤).

---

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٤٩)، الوسيط للواحدي (٣/ ١١١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٦٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٣٣)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ١٨١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٧٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٩)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/ ٣٠٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٠).

(٢) حاشية القونوي على البيضاوي (١١/ ٥٢٧).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٨٩).

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٤)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٣٧)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٦/ ٦٧) حاشية القونوي على البيضاوي (١١/ ٥٢٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٨٩).

❖ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن الدعاء حقيقي يسمعه الجميع، وليس بمجاز وذلك لما يلي:

١ - قد ثبت الدعاء بنص القرآن والسنة كما قال -تعالى-: ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [(١)] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ [(٢)] وقال ﷺ: « إن الله لينادي يوم القيامة: أين جيراني، أين جيراني؟ قال: فتقول الملائكة: ربنا! ومن ينبغي أن يجاورك؟ فيقول: أين عمار المساجد؟ » [(٣)].

٢ - قال القرطبي: « وقال علماؤنا: وهو الصحيح، فإن النفخ في الصور إنما هو سبب لخروج أهل القبور، بالحقيقة إنما هو خروج الخلق بدعوة الحق، قال الله -تعالى-: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ فيقومون يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، قال: فيوم القيامة يوم يبدأ بالحمد ويختم به، قال الله -تعالى-: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ وقال في آية أخرى ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [(٤)] » [(٥)].



---

(١) سورة ق: آية٤١.

(٢) سورة القمر: آية ٦.

(٣) تخريج الحديث: مسند الحارث كتاب الصلاة، باب في عمار المساجد(١/ ٢٥١)، قال الألباني: صحيح، انظر السلسلة الصحيحة (٦/ ٢٣١) رقم (٢٧٢٨).

(٤) سورة الزمر: آية ٧٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٧٩).

[٢٤/٤٠] المسألة الثانية : المراد بالخطاب في الآية :

رجح أبو حيان ~ بأن الخطاب للكفار لأن ذلك موافق لسياق الآية؛ حيث قال ~ : ((والظاهر أن الخطاب للكفار إذ الكلام قبل ذلك معهم فالضمير لهم ...))، وقيل تم الكلام عند قوله: ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [(١)]، و﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾ خطاب مع المؤمنين لا مع الكافرين لأنهم يستجيبون لله ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ يحمدونه على إحسانه إليهم فلا يليق هذا إلاّ بهم، وقيل: يحمده المؤمن اختياراً والكافر اضطراراً، وهذا يدل على أن الخطاب للكافر والمؤمن وهو الذي يدل عليه ما روي عن ابن جبير[(٢)]، وإذا كان الخطاب للكفار وهو الظاهر [فيحتمل][(٣)] أن يكون الظن على بابه: فيكون لما رجعوا إلى حالة الحياة وقع لهم [ظن][(٤)] أنهم لم ينفصلوا عن الدنيا إلاّ في زمن قليل إذ كانوا في ظنهم نائمين، ويحتمل أن يكون بمعنى اليقين من حيث علموا أن ذلك منقض متصرم[(٥)] » [(٦)].

❖ <u>الدراسة والموازنة</u>:

اختلف المفسرون في المراد بالخطاب في قوله -تعالى-: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾ على أقوال:

<u>القول الأول:</u>

أن المراد بالخطاب الكفار بدليل أن قبل هذه الآية كله خطاب مع الكفار وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختار هذا القول: (الواحدي، والبغوي،وابن عطية، والفخر

---

(١) سورة الإسراء: آية ٥١.

(٢) المراد بقوله: [ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون، سبحانك اللهم وبحمدك] انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٤)، البحر المحيط لأبي حيان(٦/ ٤٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٦٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٣٥)، روح المعاني للآلوسي(٨/ ٩٠).

(٣) وفي المطبوع (فيحمل) .

(٤) و في المطبوع (الظن) .

(٥) الصرم: القطع البائن صرمه يصرمه صرماً، انظر اللسان (١٢/ ٣٣٤) .

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٥-٤٦) باختصار يسير، وانظر النهر الماد (٦/ ٤٦).

الرازي، والقرطبي، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)[1].

القول الثاني:

أن المراد بالخطاب المؤمنون لا الكفار، وأن الكلام مع الكفار تم عند قوله: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ وأما قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ فهو خطاب مع المؤمنين لأن هذا الكلام هو اللائق بالمؤمنين لأنهم يستجيبون لله بحمده، ويحمدونه على إحسانه إليهم، وقد ذكر هذا القول أغلب المفسرين[2] دون ترجيحه، أو اختياره.

القول الثالث:

أن الخطاب للمؤمنين والكافرين، وجميع العالمين يقومون وهم يحمدون الله لما يظهر لهم من قدرته، قاله: سعيد بن جبير[3].

◈ **الترجيـــــح**:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن الخطاب للكافرين وذلك:

١- موافقته للسياق القرآني فالآيات السابقة كلها تتحدث عن الكفار وإدخال الكلام في معاني ما قبله أولى من الخروج به عن ذلك[4].

٢- قال الآلوسي: « ضمير المخاطبين - وهم الكفار - كما هو الظاهر، والباء للملابسة أي: فتستجيبون ملتبسين بحمده، أي: حامدين له -تعالى- على كمال قدرته،

---

(١) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١١٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٦٣)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ١٨٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٧٩)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/ ٣٠٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٨٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٣٠).

(٢) انظر المراجع السابقة.

(٣) سبق توثيقه ص٣٠٤.

(٤) قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/ ١٢٥).

وقيل معترفين بأن الحمد له على النعم لا تنكرون ذلك، لأن المعارف هناك ضرورية، ولا بُعد في صدور الحمد من الكافر يوم القيامة وإن لم ينفعه »[(١)].

(١) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٨٩-٩٠).

قال -تعالى-: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ (١)، وفيها مسألة واحدة:

[٢٥/٤١] المسألة: المراد بالخطاب في قوله -تعالى-: ﴿لِّعِبَادِى﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالخطاب في قوله -تعالى-: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ يعود على المؤمنين؛ حيث قال ~ : « فأمر الله -تعالى- نبيه أن يوصي المؤمنين بالرفق بالكفار، واللطف بهم في القول وأن لا يعاملوهم بمثل أفعالهم وأقوالهم، فعلى هذا يكون المعنى ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُوا۟﴾ للمشركين الكلم ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، وقيل: المعنى ﴿يَقُولُوا۟﴾ أي: يقول بعض المؤمنين لبعض الكلام التي هي أحسن، أي: يجل بعضهم بعضاً ويعظمه، ولا يصدر منه إلاَّ الكلام الطيب والقول الجميل، فلا يكونوا مثل المشركين في معاملة بعضهم بعضاً بالتهاجي والسباب والحروب والنهب للأموال والسبي للنساء والذراري، وقيل: عبادي هنا المشركون إذ المقصود هنا: الدعاء إلى الإسلام، فخوطبوا بالخطاب الحسن ليكون ذلك سبباً إلى قبول الدين؛ فكأنه قيل: قل للذين أقروا أنهم عباد لي يقولوا: ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الولد واتخاذ الملائكة بنات فإن ذلك من نزغ الشيطان ووسوسته وتحسينه، وقيل: ﴿عِبَادِى﴾ شامل للفريقين المؤمنين والكافرين على ما يأتي تفسير ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ والذي يظهر أن لفظة ﴿عِبَادِى﴾ مضافة إليه -تعالى- كثر استعمالها في المؤمنين في القرآن كقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ (٢) وقوله: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ (٣) وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ (٤) » (٥).

---

(١) سورة الإسراء: آية ٥٣.

(٢) سورة الزمر: آية ١٧-١٨.

(٣) سورة الفجر: آية ٢٩.

(٤) سورة الإنسان: آية ٦.

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٧)، وانظر النهر الماد (٦/ ٤٨).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالخطاب في الآية على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بهم: المؤمنون، ويمكن أن يكون خطابهم للمشركين، والمعنى: أي: قل لعبادي المؤمنين، إنهم يقولون عند محاورتهم للمشركين: الكلمة التي هي أحسن من غيرها من الكلام الحسن كقوله – سبحانه –: ﴿ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [(١)] وهذا المعنى الذي رجحه أبو حيان ~ ، واختار هذا القول: (السمرقندي، والواحدي، والبغوي والزمخشري، وابن عطية، والنسفي، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي والمراغي) [(٢)].

القول الثاني:

أن المراد بهم: المؤمنون ولكن يكون خطابهم للمؤمنين أيضاً، أي: فيما بينهم خاصة، بحسن الأدب وليانة القول، وخفض الجناح واطراح نزغات الشيطان، وقد اختار هذا القول: (الطبري، والقرطبي، وابن كثير) [(٣)].

القول الثالث:

أن المراد بهم: المشركون، وذلك لأن المقصود من هذه الآيات الدعوة فلا يجد في مثل هذا الموضع أن يخاطبوا بالخطاب الحسن، ليصير ذلك سبباً لجذب قلوبهم، وميل طباعهم، إلى قبول الدين الحق، والمعنى قل لعبادي الذين اعترفوا بأني خالقهم وهم يعبدون الأصنام:

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٤٦.

(٢) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١١٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٣٨)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٦٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٢٦)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣١٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٣٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩١)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٩٠).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١١٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٨٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٩).

يقولوا التي هي أحسن: من كلمة التوحيد والإقرار بالنبوة(١).

القول الرابع:

أن المراد بهم جميع الخلق، أي: كلا الفريقين المؤمنين والكافرين.

القول الخامس:

أي: خطاب للمؤمنين، ويكون خطابهم عاماً للناس عامة، فهو أمر بكل كلام يقرب إلى الله مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، واختاره:(ابن الجوزي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والسعدي) (٢).

◈ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن المراد بالخطاب في قوله -تعالى-: ﴿لِّعِبَادِى﴾ هو المؤمنون، وأمرهم بأن يقولوا الكلمة الحسنة للمشركين؛ وذلك لما يأتي:

١- لأن الإضافة لتشريف المضاف، والكلمة تقال للمشركين لأن المخاشنة لهم ربما تنفرهم عن الإجابة أو تؤدي إلى ما قال الله - سبحانه - ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٣) قال الشوكاني: وهذا أولى، كما يشهد به السبب(٤).

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٨٠).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٣٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٣٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٥)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٨٧).

(٣) سورة الأنعام: آية١٨٠.

(٤) سبب نزول الآية كما أخرج ابن جرير (٥/ ٣٠٤)، عن قتادة قال: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله عدواً بغير علم فأنزل الله ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

٢- لسياق الآيات فيما بعد، حيث قال - سبحانه -: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ (1) وجاء في معناه: أي إن يشأ يرحمكم بأن يحفظكم من الكفار، أو إن يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم(٢).

(١) سورة الإسراء: آية ٥٤.

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٢).

قال -تعالى-: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾[1]، وفيها مسألتان:

[٢٦/٤٢] المسألة الأولى: معنى الإحاطة.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ﴾ أي: أن حكمته وقدرته محيطة بالناس فهم في قبضته، فهم لا يقدرون على أمر من الأمور إلا بقضائه وقدره؛ حيث قال ~ : « لما طالبوا الرسول بالآيات المقترحة وأخبر الله بالمصلحة في عدم المجيء بها طعن الكفار فيه، وقالوا: لو كان رسولاً حقاً لأتى بالآيات المقترحة فبين الله أنه ينصره ويؤيده وأنه ﴿أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ﴾، فقيل: بعلمه فلا يخرج شيء عن علمه، وقيل: بقدرته فقدرته غالبة كل شيء، وقيل: الإحاطة هنا: الإهلاك، كقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ والظاهر أن الناس عام، وقيل: أهل مكة بشره الله -تعالى- أنه يغلبهم ويظهر عليهم، و﴿أَحَاطَ﴾ بمعنى يحيط: عبر عن المستقبل بالماضي لأنه واقع لا محالة، والوقت الذي وقعت فيه الإحاطة بهم قيل يوم بدر، وقال العسكري: هذا خبر غيب قدمه قبل وقته، ويجوز أن يكون ذلك في أمر الخندق ومجيء الأحزاب يطلبون ثأرهم ببدر فصرفهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، وقيل: يوم بدر، ويوم الفتح، وقيل: الأشبه أنه يوم الفتح فإنه اليوم الذي أحاط أمر الله بإهلاك أهل مكة فيه وأمكن منهم، وقال الطبري: «﴿أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ﴾ في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك فالآية إخبار له أنه محفوظ من الكفرة مِن أن يقتل وينال بمكروه عظيم، أي فلتبلغ رسالة ربك ولا تتهيب أحداً من المخلوقين »[2]، قال ابن عطية: « وهذا تأويل بين جار مع اللفظ، وقد روي نحوه عن الحسن[3] والسدّي[4] إلاّ أنه

---

(١) سورة الإسراء: آية ٦٠.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٢٧).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٢٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٧٠).

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٨).

لا يناسب ما بعده مناسبة شديدة، ويحتمل أن يجعل الكلام مناسباً لما بعده توطئة له »[١]، فأقول: اختلف الناس في [زمان ٱلرُّءۡيَا][٢]، فقال الجمهور: هي رؤيا عين ويقظة، وهي ما رأى في ليلة الإسراء من العجائب، قال الكفار: إن هذا لعجب نخبّ إلى بيت المقدس شهرين إقبالاً وإدباراً ويقول محمد جاءه من ليلته وانصرف منه، فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفاء المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية، فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ ﴾ أي: في [ضلالتهم][٣] وهدايتهم، وإن كل واحد ميسر لما خلق له أي فلا تهتم أنت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم، فقد قيل لك: إن الله محيط بهم مالك لأمرهم، وهو جعل رؤياك هذه فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر »[٤].

◈ **الدراسة والموازنة:**

الإحاطة في الأصل: هي الاستيلاء على الشيء من كل جهاته، كأنه أحيط من كل جهاته بحيطان منيعة، واستولى عليه، ولكن تستعمل بمعنى الإتيان على الشيء من كل جهاته، أحطت بهذا، يعني وصلت إلى نهايته؛ أي: أتيت عليه حتى استوليت عليه، وعرفته، وصارت معلوماته، أو تفاصيله ظاهرة عندي، والله ﷻ وصف نفسه بالإحاطة قال -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾﴾ [٥] يعني محيط بالخلق، أي مستول عليهم، وكذلك محيط بعلومهم، ومحيط بجميع المخلوقات، وما يحصل منها، قال -تعالى-: ﴿قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [٦] وأما المخلوقون فعاجزون إلا بما فتحه الله عليهم، قال -تعالى-: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٍ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [٧] أي لا يقدرون على أن يحيطوا

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٦٨).

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) وفي المطبوع (إضلالهم).

(٤) انظر البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥٢)، وانظر النهر الماد (٦/ ٥٤).

(٥) سورة البروج: آية ٢٠.

(٦) سورة الطلاق: آية ١٢.

(٧) سورة البقرة: آية ٢٥٥.

بشيء من العلوم التي يعلمها أو التي يمكن تعليمها إلا بما يشاؤه. من صفات الكمال أن الله أحاط بكل شيء علماً[(١)]، ولكن اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ ، على أقوال منها:

القول الأول:

أن الإحاطة بمعنى القدرة، أي: أن حكمته وقدرته محيطة بالناس، فهم في قبضته وقدرته، ومتى كان الأمر كذلك فهم لا يقدرون على أمر من الأمور إلا بقضائه وقدره، والمقصود كأنه -تعالى- يقول: ننصرك ونقويك حتى تبلغ رسالتنا وتظهر ديننا، قال الحسن: حال بينهم وبين أن يقتلوه كما قال -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [(٢)]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والزجاج، والنحاس، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني، والسعدي، والشنقيطي) [(٣)].

القول الثاني:

أن الإحاطة بمعنى: العلم، أي أحاط علمه بالناس، قاله الكلبي[(٤)]، وقال مقاتل: أحاط علمه بالناس يعني أهل مكة أن يفتحها الرسول ﷺ[(٥)]، واختاره: (السمرقندي، وأبو السعود، والآلوسي، والقاسمي) [(٦)].

---

(١) انظر شرح لمعة الاعتقاد لسماحة الشيخ عبدالله بن جبرين ص(٤٠)، وانظر فتح المجيد ص(٤٦٣)، معارج القبول (٣/ ٩٢٠).

(٢) سورة المائدة: آية ٦٧.

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٢٧)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ١٤٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ١١٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٦٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣/ ٥٢)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (١٢/ ٣٢٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٦)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٩٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣١٥).

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٨).

(٥) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٠).

(٦) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٤١)، روح المعاني للألوسي (٨/ ١٠٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٧).

القول الثالث:

أن الإحاطة وهي: الهلاك وذكره بلفظ الماضي لتحقق وقوعه، وعنى بهذا الإهلاك الموعود ما جرى يوم بدر ويوم الفتح، وقد اختاره: (الزمخشري، والقرطبي، والطاهر بن عاشور)[1].

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن معنى قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ أي: إن الله قد أحاط بكل شيء علماً وقهراً، كل مخلوق عزة وحكمة، ووسع كل شيء رحمة وعلماً، وذلك لما يلي:

- لأن صفة الإحاطة تأتي بمعنيين:

أولاً: صفة الإحاطة بمعنى كمال العلم والإدراك، وهذه هي معنى المعية العامة.

ثانياً: بمعنى القهر والجبروت، وهذه الإحاطة التي بمعنى القهر تنقسم إلى قسمين: ناجز ومتأخر، فالناجز منها هو أخذ الله الوبيل الذي يأخذ به المكذبين، فأخذه الوبيل الذي يأخذهم به هو من إحاطته بمعنى قهره، وجبروته، فهو قهر ناجز، وأما المتأخر فهو أخذهم يوم القيامة، ففي قوله -تعالى-: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[2] هذا كله من الناجز ثم قال: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾[3] فهذا هو المتأخر، والناجز مقتض للمتأخر، فإذا جاء اخذه الشديد فأهلك قوماً في الدنيا بكفرهم، فذلك متضمن لعذابهم يوم القيامة، لأن من مات على الكفر فلا بد أن يعذب يوم القيامة، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾[4] والإحاطة في هذه الآية المقصود بها: القهر الناجز، لأن

(١) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٨٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٤٦).

(٢) سورة القمر: آية ٤٣-٤٥.

(٣) سورة القمر: آية ٤٦.

(٤) سورة الإسراء: آية ٦٠.

ذلك نزل في أصحاب بدر فقد أحاط الله بهم، فساقهم إلى حتوفهم، وقدمهم إلى تعجيل العذاب لهم نسأل الله السلامة والعافية، ولهذا أوحى إلى رسول الله ﷺ أماكن مصارعهم، وهذا تجلى الإحاطة الناجزة بالعباد: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾[1] لكن الناس هنا لها وجهان: فإما أن يكون المقصود بها الناس عموماً، أي: جميع الخلائق من البشر، فهذه إحاطة قهر، فهو سبحانه وتعالى غالب على أمر الجميع، وإما أن يكون المقصود بالناس المهلكين منهم بالخصوص، فتكون الآية مثلاً نازلاً في أصحاب بدر، وتختص بأهل القليب، ويكون هذا من العام المراد به الخصوص[2].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٦٠.

(٢) شرح صفة الإحاطة في سلسلة الأسماء والصفات للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي ص(١٠)، وانظر الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لسماحة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، باب من صفات الكمال أن الله قد أحاط بكل شيء علماً ص(٤٠).

[٢٧/٤٣] المسألة الثانية: المراد بالشجرة الملعونة.

رجح أبو حيان ~ رأي جمهور المفسرين، بأن المراد بالشجرة الملعونة هي: شجرة الزقوم، كما نزل ذلك في سورة الصافات؛ حيق قال أبو حيان ~ : « والظاهر أنه أريد بالشجرة حقيقتها، فقال ابن عباس: هي الكشوث[1] المذكورة في قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[2] وعنه أيضاً: هي ﴿شَجَرَةٍ﴾ التي تلتوي على الشجرة فتفسدها[3]، قال: والفتنة قولهم: ما بال الحشائش تذكر في القرآن، وقال الجمهور: هي شجرة الزقوم لما نزل أمرها في الصافات وغيرها، قال أبو جهل وغيره: (هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنها تنبت الشجر والنار تأكل الشجر وما نعرف الزقوم إلاّ التمر بالزبد، ثم أمر أبو جهل جارية له فأحضرت تمراً وزبداً وقال لأصحابه: تزقموا)[٤] فافتتن أيضاً بهذه المقالة بعض الضعفاء... وقال قوم ﴿شَجَرَةٍ﴾ هنا: مجاز عن واحد وهو أبو جهل، وقيل: هو الشيطان، وقيل: مجاز عن جماعة وهم اليهود الذين تظاهروا على رسول الله ﷺ ولعنهم الله -تعالى- وفتنتهم أنهم كانوا ينتظرون بعثة الرسول ﵇، فلما بعثه الله كفروا به وقالوا: ليس هو الذي كنا ننتظره فثبطوا كثيراً من الناس بمقالتهم عن الإسلام، وقيل: بنو أمية، حتى إن من المفسرين من لا يعبر عنهم إلاّ بالشجرة الملعونة لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة وأخذ الأموال من غير حلها وتغيير قواعد الدين وتبديل الأحكام، ولعنها في القرآن ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى

---

(١) قال الجوهري: الكَشوثُ: نبت يتعلَّق بأغصان الشجر، من غير أن يضرِب بعِرْقٍ في الأرض قال الشاعر: هو الكُشوثُ فلا أصلٌ ولا ورقٌ... ولا نسيمٌ ولا ظلٌّ ولا ثَمَرُ، انظر لسان العرب (٢/ ١٨١)، تاج العروس ص(١٢٩٧).

(٢) سورة إبراهيم: آية ٢٦.

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٣)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٦)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣١)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤١).

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾[٢]....

وقيل لملوك بني أمية بعد الخلافة التي قال النبيّ ﷺ: « الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً عضوضاً »[٣] والأول أصوب »[٤].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالشجرة الملعونة الوارد ذكرها في الآية على أقوال، منها:

القول الأول:

أنها شجرة الزَّقُّوم، وهو قول ابن عباس[٥]، وبه قال مجاهد[٦]، وسعيد بن جبير[٧]، وعكرمة[٨]، ومسروق[٩]، والنخعي[١٠]، والجمهور[١١]، وهذا ما رجحه أبو حيان

---

(١) سورة هود: آية ١٨.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٥٧.

(٣) تخريج الحديث:، شرح مسلم للنووي كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش (٣/ ١٤٥٢)، سنن الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في الخلافة حديث رقم (٢٢٢٦)، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، قال الألباني: صحيح، انظر حديث رقم ٣٣٤١ صحيح الجامع (١/ ٥٦٦).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥٣-٥٤) باختصار يسير.

(٥) انظر تفسير عبدالرزاق (٢/ ٣٠٣)، جامع البيان للطبري (١٤/ ١٣١).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦٩).

(٧) انظر تفسير عبدالرزاق (٢/ ٣٠٣)، جامع البيان للطبري (١٤/ ١٣١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦٩).

(٨) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦٩).

(٩) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤١).

(١٠) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤١).

(١١) انظر قول الجمهور على الترتيب التالي: معاني القرآن للفرآء (٢/ ١٢٦)، جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٣)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٤٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٦٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤١)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٦٨)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/ ١٨٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٨٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٢٨)، تفسير القرآن العظيم ⇐ =

~ ، وقال مقاتل: لما ذكر الله -تعالى- شجرة الزَّقُّوم قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً يخوِّفكم بشجرة الزَّقُّوم، ألستم تعلمون أن النار تحرق الشجر؟ ومحمد يزعم أن النار تنبت الشجر، فهل تدرون ما الزقوم؟ فقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى[1]: إن الزَّقُّوم بلسان بَرْبَر: التمر والزُّبْد، فقال أبو جهل: يا جارية أبغينا تمراً وزُبداً، فجاءته به، فقال لمن حوله: تَزَقَّمُوا من هذا الذي يخوِّفكم به محمدٌ، فأنزل الله -تعالى-: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا﴾[2] قال ابن قتيبة: كانت فتنتهم بالرؤيا قولهم: كيف يذهب إلى بيت المقدس، ويرجع في ليلة؟! وبالشجرة قولهم: كيف يكون في النار شجرة؟![3]

القول الثاني:

أن الشجرة الملعونة هي: الشجرة التي تلتوي على الشجر، يعني الكشوثي، وهذا مروي عن ابن عباس[4].

القول الثالث:

أنهم اليهود، تظاهروا على رسول الله ﷺ مع الأحزاب، ذكره الماوردي[5].

القول الرابع:

إن الشجرة كناية عن الرجال، وأن النبي ﷺ أُري بني أمية على المنابر، فساءه ذلك، فقيل له: إنها الدنيا يُعْطَوْنَها، فَسُرِّيَ عنه، فالفتنة هاهنا: البلاء، قال ابن الجوزي: [روي

= لابن كثير (٣/ ٥٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٦)، روح المعاني للألوسي (٨/ ١٠٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٨).

(١) عبد الله الزبعري بن قيس السهمي القرشي أبو سعد: شاعر قريش في الجاهلية كان شديدا على المسلمين إلى أن فتحت مكة فهرب إلى نجران فقال فيه حسان أبياتاً فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة، انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٨٧).

(٢) سورة الإسراء: آية ٦٠.

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤١).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٣١٧ .

(٥) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٤).

عن سعيد بن المسيب، وإن كان مثل هذا لا يصح، ولكن قد ذكره عامة المفسرين][١].

قال القرطبي: وقال ابن عباس: هذه الشجرة بنو أمية، وأن النبي ﷺ نفى الحكم، وهذا قول ضعيف محدث والسورة مكية، فيبعد هذا التأويل، إلا أن تكون هذه الآية مدنية[٢].

قال ابن كثير: وهذا القول غريب ضعيف، وبعد أن ذكر السند عن ابن عباس قال: وهذا السند ضعيف جدًا، فإن " محمد بن الحسن بن زَبَالة " متروك، وشيخه ضعيف بالكلية[٣].

وعده شيخ الإسلام ابن تيمية من أحاديث الرافضة وقال: (لا يقول مثله من يرجو الله وقاراً، ولا من يؤمن بالله وكتابه) [٤].

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من أن المراد بالشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم، وذلك كما قال الطبري: (لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك) [٥]، وأما القول بأن المراد بها بني أمية فلا يصح لأن تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[٦].



(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٤).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٨٥).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٢).

(٤) منهاج السنة (٧/ ٢٤٦)، ونسبه في مجموع الفتاوى إلى الباطنية (١٣/ ٢٣٧-٢٣٨)، والمنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (١/ ١٥٦-٤٥٦).

(٥) جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٢).

(٦) قواعد الترجيح (١/ ٢٨٨).

قال -تعالى-: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾[1] وفيها أربع مسائل:

[٢٨/٤٤] المسألة الأولى: معنى قوله - تعالى -: ﴿بِصَوْتِكَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله -تعالى-: ﴿بِصَوْتِكَ﴾ في الآية هو دعاء الشيطان للإنسان إلى معصية الله ﷻ؛ حيث قال أبو حيان ~ : « والصوت هنا الدعاء إلى معصية الله، وقال مجاهد: الغناء والمزامير واللهو[2]، وقال الضحاك: صوت المزمار[3] وذكر الغزنوي[4]: أن آدم أسكن ولد هابيل أعلى الجبل، وولد قابيل أسفله، وفيهم بنات حسان، فزمر الشيطان فلم يتمالكوا أن انحدروا واقترنوا[5]، وقيل: الصوت هنا الوسوسة »[6].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى صوت الشيطان في الآية: على عدة أقوال:

القول الأول:

أن معنى الصوت هو: الدعاء إلى معصية الله، وهو قول ابن عباس[7]، قال ابن عطية:

---

(١) سورة الإسراء: آية ٦٤.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٧٢).

(٣) تفسير الضحاك (١/ ٥٣١).

(٤) أحمد بن إسماعيل بن عيسى أبو بكر الغَزْنَوِيّ الجوهري المفسر، أحد أئمة غَزْنَة وفضلائهم، سافر إلى خراسان والحجاز والعراق، ولقي أبا القاسم القشيري وسمع منه، وعاش بعد العشرين وخمسمائة، انظر طبقات المفسرين للسيوطي (١/ ٢٤) طبقات المفسرين للأدنه وي (١/ ١٦١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٨٧).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ٥٦).

(٧) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٥).

(وهو الصواب، لأنه يعم جميع ذلك)[١]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الفراء، والزجاج، والسمر قندي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن القيم، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والسعدي، والمراغي)[٢].

القول الثاني:

أن معنى الصوت: الغناء، والمزامير، واللهو، وهو قول: مجاهد، والضحاك[٣].

القول الثالث:

أن معنى الصوت: الوسوسة، قال الطاهر بن عاشور: والصوت: يطلق على الكلام كثيراً، لأن الكلام صوت من الفم، واستعير هنا لإلقاء الوسوسة في نفوس الناس[٤].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من أن معنى ﴿بِصَوْتِكَ﴾ أي: دعائك إلى المعصية. قال الطبري: « وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله -تبارك وتعالى- قال لإبليس: واستفزز من ذرّية آدم من استطعت أن تستفزّه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتا دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافا للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله -تبارك

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٠).

(٢) انظر ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للفرآء (٢/ ١٢٧)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٠)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣١٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٠)، مفاتيح الغيب للرازي(٢١/ ٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٨٧)، بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ٨٩)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٤٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠١)، روح المعاني للألوسي (٨/ ١٠٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٩)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٩٢)، تفسير المراغي (٥/ ٣٣٤).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٣٢٠ .

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(٦/ ١٥٣).

وتعالى- اسمه ﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾[1] »[2]، قال ابن القيم ~ : «الصوت الشيطاني يستفز بني آدم، وصوت الشيطان كل صوت في غير طاعة الله نسب إلى الشيطان لأمره به ورضاه به، وإلا فليس هو الصوت نفسه، فصوت الغناء، وصوت النوح، وصوت المعازف، والأوتار، وغيرها، كلها من أصوات الشيطان التي يستفز بها بني آدم فيستخفهم ويزعجهم»[3].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٦٤.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٧).

(٣) بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ٨٩).

[٤٥/ ٢٩] المسألة الثانية: معنى قوله -تعالى-: ﴿بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[(١)].

رجح أبو حيان ~ أن لإبليس خيلاً ورجلاً من [جنسه الجن][(٢)] حقيقة؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن إبليس له خيل ورجالة من الجن من جنسه، قاله قتادة[(٣)]، والخيل تطلق على الأفراس حقيقة وعلى أصحابها مجازاً وهم الفرسان، ومنه: [يا خيل الله اركبي][(٤)]، والباء في ﴿بِخَيۡلِكَ﴾ قيل: زائدة، وقيل: من الآدميين، أضيفوا إليه لانخراطهم في طاعته، وكونهم أعوانهم على غيرهم قاله مجاهد[(٥)]، وقال ابن عطية: وقوله: ﴿بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ وقيل: هذا مجاز واستعارة بمعنى اسع سعيك، وابلغ جهدك. انتهى[(٦)]، وقال أبو علي[(٧)]:ليس للشيطان خيل، ولا رجل، ولا هو مأمور، إنما هذا زجر، واستخفاف به، كما تقول لمن تهدده: (اذهب فاصنع ما شئت واستعن بما شئت)، وقال الزمخشري: (فإن قلت): ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله؟ (قلت): هو كلام وارد مورد التمثيل، مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتاً يستفزهم من أماكنهم، ويقلقهم عن مراكزهم، واجلب عليهم بجنده: من خيالة، ورجالة،

---

(١) سورة الإسراء: آية ٦٤.

(٢) وفي المطبوع (ورجاله من الجن).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٢).

(٤) تخريج الحديث: سنن أبي داود كتاب الجهاد باب في النداء عند النفير يا خيل الله اركبي (٢/ ٣٠)، وساق في الباب حديث سمرة بن جندب أن النبي ﷺ سمى خيلنا بخيل الله، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٨٦-١٨٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٥-٣٦٦) موقوفاً على علي بن أبي طالب، وقال: صحيح على شرط البخاري مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٢).

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٠).

(٧) الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي، أبو علي،أحد الأئمة في علم العربية توفّي سنة ٣٧٧هـ، انظر نزهة الألباء ص(٢٣٣)، والوافي بالوفيات (١١/ ٣٧٦).

حتى استأصلهم انتهى[١] »[٢].

❖ **الدراسة والموازنة**:

قال -تعالى-: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ أي: أجمع عليهم الجموع من جندك، يقال أجلب عليه وجلب، أي: جمع عليه الجموع، قال الفراء: هو من الجلبة وهو الصياح[٣]، وقال أبو عبيدة: أجلبوا وجلبوا: من الصياح[٤]، وقال الزجاج في (فعل وأفعل): أجلب على العدو وجلب إذا جمع عليه الخيل[٤]، وقال ابن السكيت: يقال: هم يجلبون عليه، بمعنى: أنهم يعينون عليه[٤]، وروى ثعلب عن ابن الأعرابي: أجلب الرجل على الرجل، إذا توعده بالشر وجمع عليه الجمع[٤]، فعلى قول الفراء معنى الآية: صح عليهم بخيلك ورجلك، وعلى قول الزجاج: اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائدك، وعلى هذا تكون الباء في قوله ﴿بِخَيْلِكَ﴾ زائدة، وعلى قول ابن السكيت معناه: أعن عليهم بخيلك ورجلك ومفعول الإجلاب على هذا القول محذوف تقديره: استعن على إغوائهم بخيلك ورجلك، وهو يقرب من قول ابن الأعرابي، ولكن اختلف المفسرون في المراد بقوله -تعالى-: ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

أن لإبليس جنداً دخيلاً من الشياطين من جنسه، وهذا ظاهر الآية، وقاله: قتادة[٥]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (السمرقندي)[٦].

القول الثاني:

كل راكب أو راجل في معصية الله فهو من خيل إبليس وجنوده، وهذا قول:

---

(١) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣١).

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥٥-٥٦)، وانظر النهر (٦/ ٥٧).

(٣) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٦).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥)، ومفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٦).

(٥) سبق توثيقه انظر ص٣٢٣ .

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٣).

ابن عباس[(١)]، ومجاهد[(٢)]، واختاره: (الزجاج، والنحاس، والماوردي، والواحدي، والبغوي، والقرطبي، والنسفي وأبو السعود، والسعدي)[(٣)].

القول الثالث:

أن المراد ضرب المثل، كما يقال للرجل المجد في الأمر: جئت بالخيل والرجل، واختاره: (الزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، وابن عادل، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)[(٤)].

◈ **الترجيح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- أن معنى قوله -تعالى-: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ أي: كل راكب وماش في معصية الله -تعالى- من الانس والجن، فهو من جند إبليس، ومنه قوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾[(٥)]، ولا يضر أن يكون في الكلام استعارة تمثيلية، أو كناية عن الاتباع، وجميع مكائد الشيطان وأما قول أبي حيان: بأن للشيطان خيلاً ورجلاً فيحتاج إلى دليل ينص على ذلك »[(٦)].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٧)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٧)، الدر المنثور (٥/ ٢٧٣).

(٢) سبق توثيقه انظر ص٣٢٣.

(٣) انظر ترتيبه على النحو التالي: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٠)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٧٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١١٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٨٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٣٠)، ارشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٤٤)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٩٢).

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٦)، روح المعاني للفخر الرازي (٨/ ١٠٦)، اللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٣٣٠)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٥٤).

(٥) سورة مريم: آية ٨٣.

(٦) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٥٤).

[٣٠/٤٦] المسألة الثالثة: معنى المشاركة في الأموال.

رجح أبو حيان ~ أن مشاركة إبليس لبني آدم في الأموال، هي ما أخذ من غير حقه، وما وضع في غير حقه؛ حيث قال ~ : « والمشاركة في الأموال، قال الضحاك: ما يذبحون لآلهتهم[1]، وقال قتادة: البحيرة[2] والسائبة[3][4]، وقيل: ما أصيب من مال وحرام، وقيل: ما جعلوه من أموالهم لغير الله، وقيل: ما صرف في الزنا، والأولى: ما أخذ من غير حقه وما وضع في غير حقه » [5].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المشاركة التي عنيت بقوله -تعالى-: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ على عدة أقوال:

القول الأول:

هو أمر الشيطان لبني آدم بأن ينفقوا أموالهم في غير طاعة الله واكتسابها من غير حلها وهو ما رجحه أبو حيان ~ وعبر عنه بقوله: (ما أخذ من غير حقه وما وضع في غير

---

(١) انظر تفسير الضحاك (١/ ٥٣١)، جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٩)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤).

(٢) البحيرة: الناقة التي تُبْحرُ أذنها، أي تُشَقُّ، قال الفراء وحكمها حكم السائبة وهي أمها، والسائبة الناقة التي ولدت عشرة أبطن كلها إناث سُيِّبت فلم تركب ولم يشرب لبنها إلا ولدها والضيف حتى تموت وإذا ماتت أكلها الرجال والنساء، وبحرت أذن ابنتها انظر الترجمان عن غريب القرآن لأبي المحاسن اليماني ص(١٠٨).

(٣) السائبة: هي بنت البحيرة وهي التي تُسَيَّبُ في المرعى، فلا تُردُّ عن حوض، ولا علف، وذلك إذا ولدت خمسة أبطن، انظر مفردات القرآن للراغب ص(٤٣١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٣).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ٥٦)، وانظر النهر (٦/ ٥٧).

حقه)، وهو قول: مجاهد[١]، والحسن[١]، وابن عباس[١]، وابن زيد[١]، وغيرهم، وقد اختاره من المفسرين: (الفراء، والطبري، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، ابن عطية، الفخر الرازي، القرطبي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي)[٢].

القول الثاني:

إن المراد به ما كان من تحريم المشركين ما كانوا يحرمون من الأنعام كالبحائر والسوائب وغير ذلك وهو قول: لابن عباس[٣] وقتادة.

القول الثالث:

أن المراد ما كان المشركون يذبحونه لآلهتهم، وهو قول الضحاك[٤].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٩)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٣).

(٢) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٧)، جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٩)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٠)، بحر العلوم للسمر قندي (٢/ ٣٢٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١١٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٦)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٨٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٣٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٣)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٤٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠٠)، روح المعاني للألوسي (٨/ ١٠٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٨).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٣٨-١٣٩)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٦)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٨٧).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٣٢٦ .

❖ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن معنى المشاركة في الأموال هي: عبارة عن كل تصرف قبيح في المال سواء كان ذلك القبيح بسبب أخذه من غير حقه، أو وضعه في غير حقه ويدخل فيه الربا والغصب والسرقة والمعاملات الفاسدة، قال الطبري: « عني بذلك كل مال عصى الله فيه بإنفاق في حرام أو اكتساب من حرام، أو ذبح للآلهة، أو تسييب، أو بحر للشيطان، وغير ذلك مما كان معصياً به أو فيه وذلك أن الله قال: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى الله فيه فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا لخصوص بعض ذلك دون بعض »[(١)] قال الآلوسي: « والتعميم أولى »[(٢)].

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠).

(٢) انظر روح المعاني للألوسي (٨/ ١٠٦).

[٣١/٤٧] المسألة الرابعة: معنى المشاركة في الأولاد.

رجح أبو حيان ~ أن مشاركة إبليس عليه من الله ما يستحق لبني آدم في الأولاد؛ بأنه كل تصرف في الولد يؤدي إلى ارتكاب منكر وقبيح؛ حيث قال ~ : « والمشاركة في الأولاد، قال ابن عباس: تسميتهم عبدالعزى وعبد اللات وعبد الشمس وعبد الحارث[١]، وعنه أيضاً ترغيبهم في الأديان الباطلة كاليهودية والنصرانية[٢] وعنه أيضاً إقدامهم على قتل الأولاد[١]، قال الحسن وقتادة: ما مجّسوه وهوّدوه ونصّروه وصبغوهم غير صبغة الإسلام[٣] وقال مجاهد: عدم التسمية عند الجماع فالجان ينطوي إذ ذاك على إحليله فيجامعه معه[٤]. وقيل: ترغيبهم في القتال والقتل وحفظ الشعر المشتمل على الفحش، والأولى أنه كل تصرف في الولد يؤدي إلى ارتكاب منكر وقبيح »[٥].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في صفة شركة إبليس لبني آدم في أولادهم على أقوال منها:

القول الأول:

أنه أولاد الزنا وهو قول: ابن عباس[٦]، وسعيد بن جبير، ومجاهد[٦]، والضحاك[٦]، واختاره: (الواحدي، وابن الجوزي)[٧].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٨٧).

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٨٧).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١١٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤).

(٤) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٣)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٨٧).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ٥٦)، وانظر النهر الماد (٦/ ٥٧).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (٥/ ١٣٩ـ١٤٠)، تفسير الضحاك (١/ ٥٣١)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢٠)، النكت والعيون للماوردي(٣/ ٢٥٥)، زاد المسير لابن الجوزي(٥/ ٤٤)، ابن كثير(٣/ ٥٣).

(٧) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١١٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤).

القول الثاني:

أنه الموءودة من أولادهم، وهو قول آخر عن ابن عباس[(١)].

القول الثالث:

أنه تسمية أولادهم عبيداً لأوثانهم، كعبد شمس، وعبد العزى، وعبد مناف، وهو قول آخر عن ابن عباس[(٢)].

القول الرابع:

أنه ما مجسوا وهودوا ونصروا وصبغوا من أولادهم غير صبغة الإسلام، قاله: الحسن وقتادة[(٣)].

القول الخامس:

أنه كل تصرف في الولد يؤدي إلى ارتكاب منكر وقبيح أي كل ما عصي الله فيه أو به وهذا الذي رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الطبري، والزجّاج، والزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي والقاسمي)[(٤)].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٣).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٤)، الجامع للقرطبي (١٠/ ١٨٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٣).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٣٢٩ .

(٤) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٠)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧١)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٣٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٤)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٤٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠٠)، روح المعاني للألوسي (٨/ ١٠٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٥٩٨).

القول السادس:

أن هذا الكلام مجاز لا على وجه الحقيقة، إنما يراد به المثل، وهذا ما اختاره: أبو الليث السمرقندي[(١)].

◈ **الترجيح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن معنى المشاركة في الأولاد: أن كل تصرف من المرء في ولده على وجه يؤدي إلى ارتكاب منكر، أو قبيح فهو داخل فيه، قال الطبري: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال لا كل ولد ولدته أنثى عصى الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بها بفعله به أو فيه، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه، لأن الله لم يخصص بقوله: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكل ما عصى الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو فيه، فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به إبليس فيه »[(٢)]، قال ابن كثير: « وهذا الذي قاله الطبري: متجه، وكل السلف -رحمهم الله- فسر بعض المشاركة، فقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: « يقول الله ﷻ إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم »[(٣)]،[(٤)].



(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢٠).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٠).

(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٤/ ٢١٩٧)، صحيح ابن حبان كتاب الرقائق باب الخوف والتقوى (٢/ ٤٢٢).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٤).

قال -تعالى-: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1] وفيها مسألة واحدة:

[٣٢/ ٤٨] المسألة: معنى التكريم والتفضيل في الآية.

رجح أبو حيان ~ أن تكريم بني آدم لا ينحصر في صورة معينة، بل جعلهم الله ذوي كرم أي شرف ومحاسن جمة لا يحيط بها نطاق الحصر، وما ذكر المفسرون إنما هو على سبيل التمثيل لا على الحصر؛ حيث قال ~ : « ولما ذكر -تعالى- ما امتن به عليهم من إزجاء الفلك في البحر ومن تنجيتهم من الغرق، تمم ذكر المنة بذكر تكرمتهم ورزقهم وتفضيلهم، أو لما هددهم بما هدد من الخسف والغرق وأنهم كفروا نعمته، ذكر ما أنعم به عليهم ليتذكروا ويشكروا نعمه ويقلعوا عن ما كانوا فيه من الكفر ويطيعوه -تعالى-، وفي ذكر النعم وتعددها هز لشكرها، وكرّم معدى بالتضعيف من كرم: أي جعلناهم ذوي كرم، بمعنى الشرف والمحاسن الجمة كما تقول «ثوب كريم»، «فرس كريم»: أي جامع للمحاسن وليس من كرم المال، وما جاء عن أهل التفسير من تكريمهم وتفضيلهم بأشياء ذكرها هو على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر في ذلك، كما روي عن ابن عباس: أن التفضيل بالعقل[2] وعن الضحاك: بالنطق[3]، وعن عطاء: بتعديل القامة وامتدادها[4]، وعن زيد بن أسلم: بالمطاعم واللذات[5]، وعن يمان[6]: بحسن الصورة[7]، وعن محمد بن كعب: بجعل محمد

---

(١) سورة الإسراء: آية ٧٠.

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٥).

(٣) انظر تفسير الضحاك (١/ ٥٣٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٥).

(٤) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١١٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٥).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٧).

(٦) يمان بن رئاب الخرساني، قال الدار قطني: ضعيف، يرى رأي الخوارج، انظر الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/ ٢١٨).

(٧) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٧).

عليه الصلاة والسلام منهم[١]، وعن ابن جرير: بالتسليط على غيره من الخلق وتسخيره له[٢]، وقيل: بالحظ، وقيل: باللحية للرجل والذؤابة للمرأة، وعن ابن عباس: بأكله بيده وغيره بفمه[٣]، وقيل: بتدبير المعاش والمعاد، وقيل: بخلق الله آدم بيده، قال ابن عطية: (وقد ذكر أن من الحيوان ما يفضل بنوع ما ابن آدم كجري الفرس وسمعه وإبصاره وقوة الفيل وشجاعة الأسد وكرم الديك، وقال: وإنما التكريم والتفضيل بالعقل الذي يملك به الحيوان كله وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل إلى نعيمه) . انتهى[٤] »[٥].

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في تكريم بني آدم فيما يكون على عدة أقوال:

القول الأول:

إن التكريم بالإيمان، وهو قول أبي صالح عن ابن عباس[٦].

القول الثاني:

إن سائر الحيوان يأكل بفيه، إلا ابن آدم فإنه يأكل بيده، ورواه ميمون بن مهران عن ابن عباس[٧].

---

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٧).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٤٥).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٣٩)، معاني القرآن للنحاس(٤/ ١٧٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١١٨)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٧٦).

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٣).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ٥٨)، وانظر النهر الماد (٦/ ٦١).

(٦) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٧).

(٧) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٧).

القول الثالث:

أن التكريم بالعقل، وروي عن ابن عباس[١]، واختاره: (الزجاج، والواحدي، وابن عطية، والقرطبي، والشوكاني، والقاسمي) [٢].

القول الرابع:

أن التكريم بالنطق والتمييز قاله: الضحاك[٣].

القول الخامس:

أن التكريم بتعديل القامة وامتدادها، قاله: عطاء[٤].

القول السادس:

أن التكريم بأن جعل محمد ﷺ منهم، قاله: محمد بن كعب[٥].

القول السابع:

أن التكريم بالمطاعم واللذات في الدنيا قاله زيد بن أسلم[٦].

القول الثامن:

أن التكريم بحسن الصورة، قاله: يمان[٧]، واختاره: (ابن كثير) [٨].

---

(١) سبق توثيقه انظر ص٣٣٢ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١١٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٩٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٠١).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٣٣٢ .

(٤) سبق توثيقه انظر ص٣٣٢ .

(٥) سبق توثيقه انظر ص٣٣٢ .

(٦) سبق توثيقه انظر ص٣٣٢ .

(٧) سبق توثيقه انظر ص٣٣٢ .

(٨) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٥).

القول التاسع:

أن التكريم بتسليطهم على غيرهم من الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم قاله: ابن جرير الطبري[(١)].

القول العاشر:

أن التكريم بالأمر والنهي، ذكره الماوردي[(٢)].

القول الحادي عشر:

أن التكريم بأن جعلت اللحى للرجال والذوائب للنساء، ذكره الثعلبي[(٣)].

القول الثاني عشر:

إن تكريم بني آدم لا ينحصر في صورة معينة، بل جعلهم الله ذوي كرم، أي: شرف ومحاسن جمة لا يحيط بها نطاق الحصر وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره من المفسرين: (أبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والسعدي)[(٤)].

◈ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن تكريم بني آدم وتفضيلهم لا ينحصر في صورة معينة وذلك لأن الله -تعالى- عندما كرم بني آدم فقد كرمهم بجميع وجوه الإكرام وليس بوجه واحد، فقد كرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، وما ذكره المفسرون فهو على سبيل التمثيل لا الحصر كما قال أبو حيان ~ ، قال الآلوسي: « والكل في الحقيقة على سبيل التمثيل، ومن ادعى الحصر في واحد كابن

---

(١) سبق توثيقه انظر ص٣٣٣ .

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٥٧).

(٣) انظر الكشف والبيان (٦/ ١١٥).

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٤٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٠٣)، وروح المعاني للألوسي (٨/ ١١٢) التحريروالتنوير للطاهر بن عاشور (٩/ ١٦٥)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٩٥).

عطية حيث قال: إنما التكريم بالعقل لا غير، فقد ادعى غلطاً، ورام شططاً، وخالف صريح العقل، وصحيح النقل، ولذا استدل الشافعي بالآية على عدم نجاسة الآدمي بالموت »[١]، والقول بالعموم أولى، فيجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد الدليل بالتخصيص[٢].

(١) روح المعاني للآلوسي (٨/ ١١٢).

(٢) انظر قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

قال -تعالى-: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾[١]، وفيها مسألة واحدة:

[٣٣/٤٩] المسألة: معنى مشهوداً.

رجح أبو حيان ~ أن معنى مشهوداً: تشهد الملائكة حفظة الليل، وحفظة النهار؛ حيث قال ~ : « ومعنى مشهوداً تشهده الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار، كما جاء في الحديث [أنهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر][٢] وهذا قول الجمهور، وقيل: يشهده الكثير من المصلين في العادة، وقيل: من حقه أن تشهده الجماعة الكثيرة ...، وقال محمد بن سهل بن عسكر[٣] مشهوداً: يشهده الله وملائكته، وذكر حديث أبي الدرداء أنه -تعالى- ينزل في آخر الليل، ولأبي عبدالله الرازي كلام في قوله مشهوداً: على عادته في تفسير كلام كتاب الله [على][٤] مالا تفهمه العرب[٥]، والذي ينبغي بل لا يعدل عنه ما فسره به الرسول ﷺ من قوله فيه يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وقال فيه الترمذي: حديث حسن صحيح »[٦].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٧٨.

(٢) تخريج الحديث: أخرجه الطبري واللفظ له، انظر جامع البيان (١٥/ ١٣٩)، وأحمد في مسنده (١٣/ ٢٣٨)، وابن ماجة في سننه (١/ ٢٢٠)، والنسائي في سننه (١/ ٢٤١) والترمذي في سننه (١/ ٤٥٠)، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، وبلفظ آخر قريب رواه البخاري كتاب الأذان باب فضل الجماعة (٢/ ١٣١)، ومسلم في كتاب المساجد باب فضل صلاة الجماعة (١/ ٤٥٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ولفظه [تفضل صلاة الجمع على صلاة الرجل وحده خمساً وعشرين درجة... قال وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر، قال أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ وقد روى ابن جرير (١٥/ ١٦١) الجزء الأخير من حديث البخاري.

(٣) محمد بن سهل بن عسكر التميمي مولاهم أبو بكر البخاري نزل بغداد، ثقة من الحادية عشر مات سنة٢٥١هـ، انظر التقريب لابن حجر (١/ ٤٨٢).

(٤) سقط من المطبوع .

(٥) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٤).

(٦) انظر البحر المحيط (٦/ ٦٩)، وانظر النهر (٦/ ٦٩).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بكلمة [مَشْهُودًا]: في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ على عدة أقوال منها:

القول الأول:

أن قرآن الفجر تشهد: ملائكة الليل وملائكة النهار الحفظة الكتبة؛ لما ثبت عن النبي ﷺ (إنهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر)[١]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختار هذا القول من المفسرين: (الفراء، والطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والماوردي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي)[٢].

القول الثاني:

أنه يشهده الله وملائكته، وهو قول محمد بن سهل بن عسكر، قال ابن عطية: (وذكر في ذلك الحديث أن الله -تعالى- ينزل في آخر الليل، ونحو هذا مما ليس بالقوي)[٣]، ورجحه ابن القيم[٤].

القول الثالث:

أنه تشهد الجماعة الكثيرة، قاله: ابن بحر[٥].

---

(١) سبق تخريجه انظر الصفحة السابقة. ص٣٣٧ .

(٢) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٩)، جامع البيان للطبري (١٥/ ١٦١)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٦)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٦٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٤٨)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٥٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٩٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٣٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣/ ٥٨)، فتح القدير (٣/ ٣١١)، روح المعاني للألوسي (٨/ ١٣١)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٠٦).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٨).

(٤) بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ٩٣).

(٥) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٦٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٤).

القول الرابع:

أنه يشهد قرآن الفجر الكثير من المصلين.

القول الخامس:

أنه تشهده وتحضر فيه شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة، والانتباه بالنوم الذي هو أخو الموت، وهذا ما رجحه الفخر الرازي[(١)]، وقد انتقده أبو حيان في ذلك وقال: «ولأبي عبدالله الرازي كلام في قوله: [مَشْهُودًا] على عادته في تفسير كلام الله ما لا تفهمه العرب»[(٢)].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من معنى مشهودا في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي تشهد ملائكة الليل والنهار الحفظة الكتبة؛ وذلك:

١ - لورود النص الثابت عن النبي ﷺ[(٣)]، وإذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مُرجح له على ما خالفه[(٤)]، قال الآلوسي بعدما ذكر أقوال الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿مَشْهُودًا﴾ في الآية: « وأنت تعلم أنه لا يوجد للحصر المدلول عليه بقوله: وهذا هو المراد، ثم إبداء ذلك الاحتمال مع أنه بعدما صح تفسير النبي ﷺ له بما سمعت لا ينبغي أن يقال في غيره هذا هو المراد، ولا يخفى ما في هذه الجملة من الترغيب والحث على الاعتناء بأمر صلاة الفجر؛ لأن العبد في ذلك الوقت مشيع كراماً ومتلقي كراماً، فينبغي أن يكون على أحسن حال يتحدث به الراحل ويرتاح له النازل »[(٥)].

٢ - اختيار الجمهور من أقوى المرجحات، فتفسير الجمهور السلف مقدم على غيره.



---

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٤).

(٢) انظر البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٦٩).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٣٣٧ .

(٤) انظر قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

(٥) روح المعاني (٨/ ١٣١).

قال -تعالى-: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[(١)]، وفيها مسألتان:

[٣٤/٥٠] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ يعود على القرآن أي: فتهجد بالقرآن في الصلاة؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود على القرآن لتقدمه في الذكر، ولا تلحظ الإضافة فيه والتقدير فتهجد بالقرآن في الصلاة، وقال ابن عطية: والضمير ﴿بِهِۦ﴾ عائد على وقت المقدر في وقم وقتاً من الليل[(٢)]. انتهى»[(٣)].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ على قولين:

القول الأول:

أن مرجع الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود على القرآن، أي: فتهجد بالقرآن في الصلاة، واستدل بذلك على تطويل القراءة في صلاة التهجد وهو قول ابن عباس[(٤)]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والواحدي، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والنسفي، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)[(٥)].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٧٩.

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٨).

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ٦٩)، وانظر النهر (٦/ ٦٩).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٦٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٥٤)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٢٥) بلا نسبة.

(٥) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ١٦٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٥٤)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٢٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ١٩٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٣٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١١)، روح المعاني للألوسي (٨/ ١٣٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٨٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦١٢).

القول الثاني:

أن مرجع الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود على الوقت المقدر في النظم الكريم، أي: قم وقتا من الليل فتهجد فيه فتكون الباء بمعنى (في)، وقد اختاره: (السمرقندي، وابن عطية)[1].

◈ **الترجيح**:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من أن مرجع الضمير في [الجار والمجرور] في قوله -تعالى-: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ يعود على القرآن، قال الشوكاني: «والضمير المجرور راجع إلى القرآن، وما قيل من أنه منتصب على الإغراء، والتقدير عليك بعض الليل فبعيدٌ جداً » [2]، قال الآلوسي: « وبه للقرآن من حيث هو لا بقيد إضافته إلى الفجر، واستدل بذلك على تطويل القراءة في صلاة التهجد، وقد صرح العلماء بندب ذلك، وفي صحيح مسلم من حديث[3] حذيفة: « صليت وراء النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة، ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مسترسلاً إذا مر بآية تسبيح سبح » [4].



(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٨).

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١١).

(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (١/ ٥٣٦).

(٤) انظر روح المعاني للألوسي (٨/ ١٣٢).

[٣٥/٥١] المسألة الثانية: المراد بالمقام المحمود.

رجح أبو حيان ~ من أن معنى المقام المحمود هو: المقام الذي يشفع فيه الرسول ﷺ، حيث قال أبو حيان ~ : « وفي تفسير المقام المحمود أقوال:

أحدهما: أنه أمر الشفاعة التي يتدافعها الأنبياء حتى تنتهي إليه ﷺ والحديث في الصحيح وهي عدة من الله تعالى له عليه الصلاة والسلام، وفي هذه الشفاعة يحمده أهل الجمع كلهم، وفي دعائه المشهور « وابعثه المقام المحمود الذي وعدته » (١) واتفقوا على أن المراد منه: الشفاعة.

والثاني: أنه في أمر شفاعته لأمته في إخراجه لمذنبهم من النار، وهذه الشفاعة لا تكون إلا بعد الحساب ودخول الجنة ودخول النار، وهذه لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلمآء، وقد روى حديث هذه الشفاعة وفي آخره حتى لا يبقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود، قال ثم تلا هذه الآية ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾(٢) وعن أبي هريرة أنه عليه السلام قال: [المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي](٣) فظاهر الكلام تخصيص شفاعته لأمته، وقد تأوله من حمل ذلك على الشفاعة العظمى التي يحمده بسببها الخلق كلهم على أن المراد لأمته وغيرهم، أو يقال إن كل مقام فيها محمود.

الثالث: عن حذيفة: يجمع الله الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فأوّل مدعوّ محمد

---

(١) تخريج الحديث: صحيح البخاري في تفسير سورة بني إسرائيل باب عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً (٤/ ١٧٤٨)، وفي كتاب التوحيد باب وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة (٦/ ٢٠٧٨)، سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن باب سورة بني إسرائيل (٥/ ٣٠٨).

(٢) سورة الإسراء: آية ٧٩.

(٣) تخريج الحديث: أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٦٨)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٣٤٢)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة بني إسرائيل (٥/ ٣٠٣) وقال الترمذي « حديث حسن »، وأحمد في المسند (٢/ ٤٤٤-٤٧٨)، وقال الألباني حديث حسن انظر السلسلة الصحيحة (٥/ ٤٨٤) حديث رقم (٢٣٦٩).

ﷺ، فيقول: [لبيك وسعديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك، وبك وإليك، لا منجى ولا ملجأ إلا إليك، تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت]، قال: فهذا [معنى][١] قوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾] [٢].

الرابع: قال الزمخشري: معنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه، وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات. انتهى[٣]. وهذا قول حسن ولذلك نكر ﴿مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ فلم يتناول مقاماً مخصوصاً بل كل مقام محمود صدق عليه إطلاق اللفظ.

الخامس: ما قالته فرقة، منها: مجاهد، وقد روي أيضاً عن ابن عباس، أن المقام المحمود هو: أن يجلسه الله معه على العرش، وذكر الطبري في ذلك حديثاً[٤] وذكر النقاش[٥] عن أبي داود السجستاني[٦] أنه قال: من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متّهم ما زال أهل العلم يحدّثون بهذا[٧].

---

(١) سقط من المطبوع.

(٢) تخريج الحديث: أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٣٤٣)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير (٦/ ٣٨١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٦٣-٣٦٤)، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٣) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٢).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٦٨).

(٥) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سند أبو بكر المقرئ النقاش، موصلي الأصل، كان عالماً بحروف القرآن حافظاً للتفسير صنف فيه كتاباً سماه شفاء الصدور، وله تصانيف في القراءات وغيرها، توفي سنة ٣٥١هـ انظر تاريخ بغداد (٢/ ٢٠١)، تذكرة الحفاظ للسيوطي (٣/ ٩٠٨).

(٦) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني، أبو داود ثقة حافظ مصنف السنن وغيرها من كبار العلماء، توفي سنة ٢٧٥هـ، انظر تاريخ بغداد (٩/ ٥٥)، تذكرة الحفاظ للسيوطي (٢/ ٥٩١).

(٧) ورد هذا الحديث عن مجاهد مرفوعاً وموقوفاً، فمرفوعاً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أورده الذهبي في "العلو" ص٥٥ من طريق سلمة بن الأحمر عن أشعث بن طليق عن ابن مسعود قال الذهبي: [وهذا حديث منكر لا يُفرح به، وسلمة هذا متروك الحديث، وأشعث لم يلحق ابن مسعود] أ.هـ، قال الألباني ⇦=

قال ابن عطية: يعني من أنكر جوازه على تأويله[١] ...، قال الواحدي: « هذا القول مروي عن ابن عباس، وهو قول رذل موحش فظيع لا يصح مثله عن ابن عباس، ونص الكتاب ينادي بفساده من وجوه:

الأول: أن البعث ضد الإجلاس، بعثت [البعير البارك][٢]، وبعث الله الميت أقامه من قبره، فتفسيره البعث بالإجلاس تفسير الضد بالضد.

= عن هذا الخبر: باطل، انظر " السلسلة الضعيفة " ٨٦٥ ثم أشار إلى أن الحديث موصولا من طريق آخر عن ابن مسعود، ولا يصح أيضا ثم أحال عليه برقم (٥١٦٠). ورواه الديلمي من حديث ابن عمر مرفوعاً، كما في الدرر (٥/ ٢٨٧)، ورواه الطبراني عن ابن عباس موقوفاً كما في المجمع (٤/ ٥١)،وقال الهيثمي: فيه ابن لهيعة وهو ضعيف إذا لم يتابع، وعطاء بن دينار قيل لم يسمع من سعيد بن جبير، وله طريق آخر عن ابن عباس أشار إليه الذهبي في العلو، وفي سنده عمرو بن مدرك الرازي وهو متروك وجويبر المفسر وهو متروك ولذلك قال الذهبي: إسناده ساقط ويروى مرفوعا، وهو باطل، وورد من قول عبدالله بن سلام، وقال الذهبي عن أثر ابن سلام: " موقوف ولا يثبت إسناده " إنما هذا شيء قاله مجاهد، وأما أثر مجاهد فقال الذهبي في العلو ص(٧٣): " هذا القول طرق خمسة، وأخرجه ابن جرير (١٥/ ١٦٨) في " تفسيره "، وعمل فيه المروزي مصنفا، وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف مختلط قال الحافظ الذهبي في ترجمة مجاهد في الميزان (٣/ ٤٢٩): « ومن أنكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ قال: يجلسه معه على العرش أ.هـ وقد نُسِبَ إلى الإمام الدار قطني أنه قال: حديث الشفاعة في أحمد إلى أحمد المصطفى نسنده، فأما حديث أتى بإقعاده على العرش فلا نجحده أقول: لم يصح نسبة القول إلى الدار قطني كما أشار إلى ذلك العلامة الألباني (٢/ ٢٥٦)، وأما قول أبي داود السجستاني أنه قال: [من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متّهم ما زال أهل العلم يحدّثون بهذا الحديث]. فإن هذا الحديث لم يثبت ولذا فلا داعي للتمسك به فضلاً عن اتهام منكره في دينه، ومن الغلو الفاحش قول بعض المحدثين: " لو أن حالفاً حلف بالطلاق أن الله يقعد محمداً ﷺ على العرش واستفتاني، لقلت له: صدقت وبررت "، قال الذهبي رحمه الله متعقباً هذا القول: فأبصر حفظك الله من الهوى كيف آل الغلو بهذا المحدث إلى وجوب الأخذ بأثر منكر، واليوم يردون الأحاديث الصريحة في العلو، بل يحاول بعض الطغام أن يرد قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أ.هـ وقول الذهبي في العلو أي الذي يليق بكمال الله من غير مكان ولا جهة.

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٩).

(٢) و في المطبوع (التارك) .

الثاني: لو كان جالساً -تعالى- على العرش لكان محدوداً متناهياً فكان يكون محدثاً.

الثالث: أنه قال: ﴿مَقَامًا﴾ ولم يقل مقعداً ﴿مَّحْمُودًا﴾، والمقام موضع القيام لا موضع القعود.

الرابع: أن الحمقى والجهّال يقولون إن أهل الجنة يجلسون كلهم معه -تعالى- ويسألهم عن أحوالهم الدنيوية فلا مزية له بإجلاسه معه.

الخامس: أنه إذا قيل "بعث السلطان فلاناً لا يفهم منه أجلسه مع نفس"[(١)]. انتهى[(٢)].

وقال في النهر: « والمقام المحمود: قال أبو هريرة: أنه ﷺ قال: المقام هو الذي أشفع فيه لأمتي » [(٣)]، [(٤)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في تعيين هذا المقام المحمود الوارد في الآية على أقوال منها:

القول الأول:

أنه المقام الذي هو يقومه النبي ﷺ يوم القيامة للشفاعة يوم القيامة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه، وهذا القول هو الذي دلت عليه الأدلة الصحيحة في تفسير الآية، وحكاه ابن جرير عن أكثر أهل التأويل[(٥)] قال الواحدي: وإجماع المفسرين على أن المقام المحمود، هو مقام الشَّفاعة[(٦)]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والنحاس والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والفخر الرازي،

---

(١) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٢).

(٢) انظر البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٧٠- ٧١) باختصار يسير.

(٣) سبق تخريجه انظر ص٣٤٢ .

(٤) انظر النهر (٦/ ٦٩).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٦٦-١٧٠).

(٦) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٢).

والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل الحنبلي، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والسعدي والمراغي) [1].

القول الثاني:

أن المقام المحمود إعطاء النبيّ لواء الحمد يوم القيامة، قال الشوكاني: «ويمكن أن يقال: إن هذا لا ينافي القول الأوّل، إذ لا منافاة بين كونه قائماً مقام الشفاعة وبيده لواء الحمد » [2].

القول الثالث:

أن المقام المحمود: هو أن الله – سبحانه – يجلس محمداً ﷺ معه على كرسيه، قاله: مجاهد[3].

القول الرابع:

أنه مطلق في كل مقام يجلب الحمد من أنواع الكرامات، ذكره الزمخشري وقد استحسنه أبو حيان ~ حيث قال: « وهذا قول حسن، ولذلك نكر ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ فلم يتناول مقاماً مخصوصاً بل كل مقام محمود صدق عليه إطلاق اللفظ »، ويجاب عنه بأن الأحاديث الصحيحة الواردة في تعيين هذا المقام المحمود متواترة، فالمصير إليها متعين، قال الشوكاني: « وليس في الآية عموم في اللفظ حتى يقال: الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومعنى قوله: (وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد) أنه عام في كل ما هو كذلك،

---

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ١٦٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٥٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٠١)، مدارك التنزيل ص(٦٣٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٥٨)، فتح القدير (٣/ ٣١٢)، روح المعاني للألوسي (٨/ ١٣٤)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٨٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦١٣)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٩٩)، تفسير المراغي (٥/ ٣٤٦).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٢).

(٣) سبقت دراسة القول في أصل المسألة فلا داعي لإعادته انظر ص٣٤٣-٣٤٤ هامش.

ولكنه يعبر عن العام بلفظ المطلق، كما ذكره في ذبح البقرة، ولهذا قال هنا، وقيل: المراد: الشفاعة، وهي نوع واحد مما يتناوله، يعني: لفظ المقام، والفرق بين العموم البدليّ والعموم الشموليّ معروف »[١].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ، وجمهور المفسرين من أن المراد بالمقام المحمود هو: مقام الشفاعة، وذلك لما يلي:

١- لما أخرجه البخاري[٢] في حديث الشفاعة عن ابن عمر: أن المقام المحمود في تفسير سورة بني إسرائيل، باب عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، في حديث الشفاعة عن ابن عمر: أن المقام المحمود هو: مقام الشفاعة، قال الشوكاني: « وقال الواحدي: أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو القول الذي دلت عليه الأدلة الصحيحة في تفسير الآية »[٣]، وإذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه[٤].

٢- قال الرازي: « القول الأول أولى، لأن سعيه في الشفاعة يفيده إقدام الناس على حمده فيصير محموداً، ولما ثبت أن لفظ الآية مشعر بهذا المعنى إشعاراً قوياً، ثم وردت الأخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى، وجب حل اللفظ عليه، ومما يؤكد هذا الوجه الدعاء المشهور وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، يغبطه به الأولون والآخرون، واتفق الناس على أن المراد منه: الشفاعة »[٥].



---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٢).

(٢) سبق تخريجه انظر ص٣٤٢ .

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٢).

(٤) انظر قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

(٥) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٢٧).

قال -تعالى-: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾[١]، وفيها مسألتان:

[٣٦/٥٢] المسألة الأولى: المراد بـ(مدخل الصدق ومخرجه).

رجح أبو حيان ~ أن معنى مدخل الصدق ومخرج الصدق عام يشمل جميع الموارد والمصادر الدنيوية والأخروية وأن جميع ما ورد عن المفسرين إنما هو من باب التمثيل لا التعيين؛ حيث قال ~: «ولما أمره -تعالى- بإقامة الصلاة، والتهجد، ووعده بعثه ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وذلك في الآخرة، أمره بأن يدعوه بما يشمل أموره الدنيوية والأخروية، فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ والظاهر أنه عام في جميع موارده ومصادره دنيوية وأخروية، والصدق هنا لفظ يقتضي رفع المذام واستيعاب المدح؛ كما تقول: رجل صدق، إذ هو مقابل رجل سوء، وقال ابن عباس والحسن وقتادة: هو إدخال خاص وهو في المدينة، وإخراج خاص وهو من مكة[٢]، فيكون المقدم في الذكر هو المؤخر في الوقوع، ومكان الواو هو الأهم فبدئ به. وقال مجاهد وأبو صالح: ما معناه إدخاله فيما حمله من أعباء النبوة وأداء الشرع وإخراجه منه مؤدّياً لما كلفه من غير تفريط[٣]، وقال الزمخشري: أدخلني القبر ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ إدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيئات، وأخرجني منه عند البعث إخراجاً مرضياً ملقى بالكرامة آمناً من السخط، يدل عليه ذكره على ذكر البعث[٤]، وقيل: إدخاله مكة ظاهراً عليها بالفتح، وإخراجه منها آمناً من المشركين، وقال محمد بن

---

(١) سورة الإسراء: آية ٨٠.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٥)، سنن الترمذي كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل (٥/ ٣٠٤)، وقال الألباني: ضعيف الإسناد، مسند أحمد (١/ ٢٢٣)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف مستدرك الحاكم (٣/ ٤)، وقال: هو: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٢).

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٥).

المنكدر[1]: إدخاله الغار وإخراجه منه سالماً[2]، وقيل: الإخراج من المدينة والإدخال مكة بالفتح، وقيل: الإدخال في الصلاة والإخراج منها، وقيل: الإدخال في الجنة والإخراج من مكة، وقيل: الإدخال فيما أمر به والإخراج مما نهاه عنه، وقيل: ﴿أَدْخِلْنِي﴾ في بحار دلائل التوحيد والتنزيه، ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من الاشتغال بالدليل إلى معرفة المدلول والتأمل في آثار محدثاته إلى الاستغراق في معرفة الأحد الفرد، وقال أبو سهل: حين رجع من تبوك وقد قال المنافقون: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ يعني إدخال عز وإخراج نصر إلى مكة، والأحسن في هذه الأقوال أن تكون على سبيل التمثيل لا التعيين، ويكون اللفظ كما ذكرناه يتناول جميع الموارد والمصادر »[3].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في معنى مُدخل الصدق الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يرغب إليه في أن يدخله إياه، وفي مخرج الصدق الذي أمره أن يرغب إليه في أن يخرجه إياه على أقوال:

القول الأول:

مدخل الصدق هو: مُدْخل رسول الله ﷺ المدينة، حين هاجر إليها، ومُخْرَج الصدق: مُخْرجه من مكة، حين خرج منها مهاجرا إلى المدينة، وعلله من رجحه بأن هذه الآية جاءت عقيب قوله -تعالى-: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾[4]، وقد اختاره عدد من المفسرين منهم: (الطبري والواحدي، والفخر الرازي، وابن كثير)[5].

---

(١) محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير بالتصغير التيمي المدني، ثقة فاضل من الثالثة مات سنة ١٣٠هـ انظر التقريب (١/ ٥٠٨)، والثقات لابن حبان (٥/ ٣٥٠).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٥٧).

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ٧١)، وانظر النهر الماد (٦/ ٦٩).

(٤) سورة الإسراء: آية ٧٦.

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٢)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٢٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٢).

القول الثاني:

أن مدخل الصدق هو دخوله المدينة لما رجع من معسكره في الشام ومخرج الصدق إلى مكة، وقد اختاره الفراء[(١)].

القول الثالث:

أدخلني في الدين وأخرجني من الدنيا وأنا على الحق، واختاره الزجاج[(٢)].

القول الرابع:

هو خروجه من مكة ودخوله مكة يوم الفتح آمناً، وهو قول: الضحاك[(٣)].

القول الخامس:

أدخلني القبر، مدخل صدق وأخرجني منه عند البعث مخرج صدق، واختاره: (الزمخشري[(٤)]، والنسفي)[(٥)].

القول السادس:

إدخاله مكة ظاهراً عليه بالفتح، وإخراجه منها آمنا من المشركين.

القول السابع:

إدخاله الغار، وإخراجه منه سالماً.

القول الثامن:

إدخاله فيما حمله من أعباء النبوة وأراء الشرع، وإخراجه منه مؤدياً لما كلفه من غير تفريط.

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٩).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٧).

(٣) تفسير الضحاك (٢/ ٥٣٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٥).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٣٤٨ .

(٥) انظر مدارك التنزيل للنسفي ص٦٣٤.

القول التاسع:

الإدخال في الصلاة، والإخراج في الجنة.

القول العاشر:

الإدخال فيما أمر به، والإخراج عما نهاه عنه.

القول الحادي عشر:

أن معنى مدخل الصدق ومخرج الصدق عام يشمل جميع الموارد والمصادر الدنيوية الأخروية، أن ما ذكره المفسرون إنما هو من التمثيل لا التعين، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (ابن عطية، وابن القيم والآلوسي، والطاهر ابن عاشور، والقاسمي، والسعدي، والمراغي)[1].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن المراد إدخاله عليه الصلاة والسلام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من مكان أو أمر وإخراجه منه فيكون عاماً في جميع الموارد والمصادر وذلك لما يلي:

١- لأنه الوجه الموافق لظاهر اللفظ والمطابق لمقتضى النظم فسابقه ولاحقه لا يختصان بمكان دون آخر[2]، يقول ابن القيم: « هناك خمسة أشياء: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعد الصدق، وحقيقة الصدق في هذه الأشياء وهو الحق الثابت المتصل بالله،الموصل إلى الله، وهو ما كان به وله، من الأقوال والأعمال، وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة، فمدخل الصدق، ومخرج الصدق: أن يكون دخوله

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٧٩)، بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ٩٨)، انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٣٧)، انظر التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور(٦/ ١٨٦)، انظر محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦١٦)، انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٩٩)، انظر تفسير المراغي (٥/ ٣٤٧).

(٢) انظر روح المعاني للألوسي (٨/ ١٣٧).

وخروجه حقاً ثابتاً بالله، وفي مرضاته، بالظفر بالبقية وحصول المطلوب ضد مخرج الكذب ومدخله الذي لا غاية له يوصل إليها، فكل مدخل ومخرج كان بالله ولله، فصاحبه ضامن على الله، فهو مدخل صدق ومخرج صدق، ولذلك فسر مدخل الصدق ومخرجه بخروجه ﷺ من مكة، ودخوله المدينة، ولا ريب أن هذا على سبيل التمثيل، فإن هذا المدخل والمخرج من أجل مداخله ومخارجه ﷺ وإلا فمداخله، ومخارجه كلها مداخل صدق، ومخارجه مخارج صدق، إذ هي لله وبالله وبأمره ولابتغاء مرضاته » [1].

٢- لأنه دعاء، والأوجه أن يكون عاماً في جميع ذلك، ولا يخصص إلا بقرينة.

٣- لأن أدلة أصحاب الأقوال الأخرى ليست في قوة التخصيص، فتبقى على عمومها.

---

(١) انظر بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ٩٨-٩٩) باختصار يسير.

[٣٧/٥٣] المسألة الثانية: المراد بالسلطان النصير.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالسلطان: الحجة البينة، ونصيراً مبالغة في الناصر؛ حيث قال ~ : « والسلطان هنا: قال الحسن: التسليط على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود[1]، وقال قتادة: ملكاً عزيزاً تنصرني به على كل من ناواني[2][3]، وقال مجاهد: حجة بينة[4] وقيل: كتاباً يحوي الحدود والأحكام، وقيل: فتح مكة، وقيل: في كل عصر سلطاناً ينصر دينك، ونصيراً مبالغة في ناصر، وقيل: فعيل بمعنى مفعول أي منصوراً، وهذه الأقوال كلها محتملة لقوله: ﴿سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ » [5]، واختار في النهر « أن معنى السلطان: أي:حجة بينةً، ونصيراً مبالغة في الناصر » [6].

❖ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في المراد بالسلطان النصير في الآية على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بالسلطان اجعل لي ملكاً عزيزاً تنصرني على من ناوأني وعزاً أقيم به دينك وأدفع به عنه من أراده بسوء، وهو قول قتادة، وقد اختاره: (الطبري، وابن كثير، والشوكاني، والطاهر بن عاشور) [7].

---

(١) انظر معاني القرآن للنحاس(٤/ ١٨٦)، النكت والعيون للماوردي(٣/ ٢٦٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٥٧)، زاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ٥٧).

(٢) ناوَأْتُ الرَّجُلَ: مُناوَأَةً ونِوَاءً: فاخَرْتُه وعادَيْتُه، انظر لسان العرب(٦/ ٤٥٦٨).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٦٧) زاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ٥٧).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٦)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٦٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٥٧)، زاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ٥٧).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ٧٠).

(٦) انظر النهر الماد (٦/ ٦٩).

(٧) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٣)، فتح القدير للشوكاني ⇐ =

القول الثاني:

أي: اجعل نصرتي من عندك بتسليطي بالقدرة والحجة، وهو قول مجاهد، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ في النهر، وقد اختاره: (الزجاج، والواحدي، والفخر الرازي، النسفي، والقاسمي، والسعدي) [(1)].

القول الثالث:

أن المراد بالسلطان: التسليط على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود، وهو قول الحسن.

القول الرابع:

أن المراد بالسلطان: كتاباً يحوي الحدود والأحكام.

القول الخامس:

أن المراد بالسلطان: فتح مكة.

القول السادس:

أن المراد بالسلطان: كل ما يفيده الغلبة على أعداء الله -تعالى-، وظهور دينه - جل شأنه -، وأن أقوال المفسرين محتملة لهذا العام، وهذا ما قاله أبو حيان ~ في البحر، واختار في النهر أنه: الحجة البينة، وقد اختاره: الآلوسي [(2)].

= (٣/ ٣١٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٨٧).

(١) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٣٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦١٦)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٩٩).

(٢) انظر روح المعاني للألوسي (٨/ ١٣٨).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن المراد بالسلطان أي: ملكاً عزيزاً، أو سلطاناً نصيراً لكتاب الله ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، فإن السلطان رحمة من الله جعله بين اظهر عباده، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم، قال ابن كثير ~ : « واختار ابن جرير قول الحسن، وقتادة، وهو الأرجح، لأنه لابد مع الحق من قهر لمن عاداه وناوأه ولهذا يقول -تعالى-: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [1] الآية، وفي الحديث " إن الله ليزع بالسلطان ما لم يزع بالقرآن "[2]، أي: ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد وهذا هو الواقع » [3] وقال الطاهر بن عاشور والنصير: « مبالغة في الناصر: أي سلطاناً ينصرني، وإذاً قد كان العمل القائم به النبي هو الدعوة إلى الإسلام كان نصره تأييداً له فيما هو قائم به، فصار هذا الوصف تقييداً للسلطان بأنه لم يسأل سلطاناً للاستعلاء على الناس، وإنما سأل سلطاناً لنصره فيما يطلب النصرة وهو التبليغ وبث الإسلام في الناس» [4].



---

(١) سورة الحديد: آية ٢٥.

(٢) تخريج الحديث: هذا الحديث لا يصح مرفوعاً، وإنما يصح موقوفاً عن عثمان ﷺ، وهو في المدونة لابن القاسم عن مالك عن عثمان ﷺ عن عمر ﷺ في تاريخ الخطيب البغدادي مسنداً ولا يصح، انظر التمهيد لابن عبدالبر (١/ ١١٨)، وانظر تاريخ بغداد (٤/ ١٠٧).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٣).

(٤) انظر التحرير والتنوير (٦/ ١٨٧).

قال -تعالى-: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[٣٨/٥٤] المسألة الأولى: المراد بالإنسان.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالإنسان جنس الإنسان، وليس المراد به فرداً بعينه؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن المراد بالإنسان هنا ليس واحداً بعينه بل المراد به الجنس، كقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾[2] وقوله -تعالى-: ﴿۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩﴾[3] الآية وهو راجع لمعنى الكافر »[4].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بكلمة الإنسان الواردة في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾ الآية، على أقوال:

القول الأول:

أن المراد به شخص بعينه وهو: الوليد بن المغيرة، وهذا قول ابن عباس[5] رضي الله عنه، واستبعده الفخر الرازي[6].

القول الثاني:

أن المراد به جنس الكافر لدلالة السياق بعده، فالكافر يعمل على شاكلته؛ أي أن

---

(١) سورة الإسراء: آية: ٨٣.

(٢) سورة العاديات: أية ٦.

(٣) سورة المعارج: آية ١٩.

(٤) البحر المحيط (٦/ ٧٣)، وانظر النهر الماد (٦/ ٧٤).

(٥) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٤) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١:٢٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٥٨)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٣٧٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٤٠).

(٦) مفاتيح الغيب (٢١/ ٢٩).

الكفار بهذه الصفات والمؤمنين بخلافها وكل يعمل على ما يليق به، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (السمرقندي، وابن عطية، والقونوي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي) (١).

القول الثالث:

أن المراد به نوع الإنسان من شأنه، أنه إذا فاز بمقصوده، ووصل إلى مطلوبه، اغتر وصار غافلاً عن عبودية الله -تعالى- متمردا عن طاعة الله، كما ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾(٢) وقد اختاره: (الرازي، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي) (٣).

◈ **الترجيـــح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من أن المراد بالإنسان في الآية هو الجنس وهو راجع لمعنى الكافر (جنس باعتبار بعض أفراده، وهم الكفار)، وليس المراد به فرداً بعينه لما يلي:

١. لدلالة السياق القرآني فقوله -تعالى-: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ (٤)، قال ابن عطية: « ثم قال ﷻ ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد: ﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ أي: على طريقته، وبحسب نيته، ومذهبه الذي يشبهه، وهو شكله ومثل له، وهذه الآية تدل دلالة ما على أن (الإنسان) أولاً لم يرد به العموم، أي: أن الكفار بهذه الصفات والمؤمنون خلافها، وكل منهم يعمل على ما يليق به، والرب تعالى أعلم بالمهتدي » (٥).

---

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨٠)، حاشية القونوي (١١/ ٥٧٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٩١) محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦١٩).

(٢) سورة العلق: آية ٦.

(٣) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٩)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٣٧٠)، فتح القدير (٣/ ٣١٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٤٠).

(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٤.

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨١).

قال القاسمي: (الآية وصف للجنس باعتبار بعض أفراده عمن هو على هذه الصفة)[١].

٢. النظائر القرآنية لهذا المعنى قال -تعالى-: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠)﴾[٢]..

وقوله -تعالى-: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١)﴾[٣].

إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٧٩).

(٢) سورة هود: آية ٩ - ١٠.

(٣) سورة فصلت: آية ٤٩ - ٥١.

قال -تعالى-: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾[١]، وفيها مسألة واحدة:

[٣٩/٥٥] المسألة: معنى شاكلته.

رجح ابو حيان ~ معنى ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي: على مذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلالة؛ حيث قال ~: «الشاكلة: الطريقة والمذهب الذي جبل عليه، قال الفراء، وهو مأخوذ من الشكل، يقال: ليست على شكلي ولا شاكلتي، والشكل المثل والنظير والشِكل بكسر الشين الهيئة، يقال جارية حسنة الشكل»[٢]، وقال ~: «والشاكلة قال ابن عباس: ناحيته[٣]، وقال مجاهد: طبيعته[٤]، وقال الضحاك: حدته[٥] وقال قتادة والحسن: نيته[٦]، وقال ابن زيد: دينه[٧]، وقال مقاتل: خلقه[٨]، وهذه أقوال متقاربة»[٩].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٨٤.

(٢) البحر المحيط (٦/ ٦٧).

(٣) جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٥٨) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٥٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٠٨)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٨٩).

(٤) جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨١)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٠٨).

(٥) انظر تفسير الضحاك (١/ ٥٣٦)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٨).

(٦) جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٨)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٥٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٥٩)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٠٨)، الدر المنثور للسيوطي(٥/ ٢٨٩).

(٧) جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٦٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٥٩)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٠٨).

(٨) الصواب خليقته أنظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٥٨)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٠٨).

(٩) البحر المحيط (٦/ ٧٣).

وقال في النهر: « شاكلته أي: على مذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلالة، من قولهم: طريق ذو شواكل، وهي الطرق التي تشعبت منه »[(١)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرين في معنى كلمة شاكلته في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾[(٢)]. على أقوال:

القول الأول:

أن معنى شاكلته: ناحيته، وهو قول ابن عباس[(٣)] واختاره: (الفراء وابن عطية)[(٤)].

القول الثاني:

أن معنى شاكلته: طبيعته، وهو قول مجاهد[(٥)].

القول الثالث:

أن معنى شاكلته: حدّته، وهو قول الضحاك[(٦)].

القول الرابع:

أن معنى شاكلته: نيته، وهو قول قتادة والحسن[(٧)].

القول الخامس:

أن معنى شاكلته: دينه، وهو قول ابن زيد[(٨)].

---

(١) انظر النهر الماد (٦/ ٧٤).

(٢) سورة الإسراء: آية ٨٤.

(٣) سبق توثيقه انظر ٣٥٩ .

(٤) انظر معاني الفراء (٢/ ١٣٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨١).

(٥) سبق توثيقه انظر ٣٥٩ .

(٦) سبق توثيقه انظر ٣٥٩ .

(٧) سبق توثيقه انظر ٣٥٩ .

(٨) سبق توثيقه انظر ٣٥٩ .

القول السادس:

أن معنى شاكلته: خلقه، وهو قول مقاتل[1].

القول السابع:

أن معنى شاكلته: أي على طريقته ومذهبه، وطريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق وكل يعمل على ما يشبهه، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الزجاج، والنحاس، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، والسمين الحلبي، وابن القيم، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والقونوي، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)[2].

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من المراد من (شاكلته) في قوله -تعالى-: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ أي: على مذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلالة، هو جميع الأقوال السابقة متقاربة وذلك لما يلي:

– لأن المشاكلة من باب المماثلة، ويدخل فيه معنى المذهب والطريقه والناحية والنية، قال ابن فارس: «الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة، نقول: هذا شكل هذا، أي: مثله، ومن ذلك يقال: أمر مشكل، كما يقال: أمر مشتبه، أي: هذا شابه هذا، وهذا دخل في

---

(١) سبق توثيقه انظر ٣٥٩ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٨٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٤)، معالم التزيل للبغوي (٣/ ١٥٨) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٥٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٣٠)، والجامع للقرطبي (١٠/ ٢٠٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٣٤، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٠٥)، وبدائع التفسير لابن القيم (٣/ ١٠١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٤)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣٧٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٥٤)، حاشية القونوي (١١/ ٥٧٧)، وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٤٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٩٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦١٩).

شكل هذا»[١]، وقال الفيروز آبادي: «والشاكِلَةُ: الشَّكْلُ، والناحية والنية والطريقة والمذهب»[٢].

قال السمين الحلبي: « وقوله –تعالى–: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ أي ناحيته، ووجهته، وطريقته، ومنه: طريق ذو شواكل: إذا كان تتشعب منه طرق كثيرة، وقيل على سجيته التي قيدته، فهو من شكّلت الدابة، أي قيدته بالشَّكال، ومنه استعير: شكّلت الكتاب أي قيدته بالضبط، وذلك أن سلطان السجية قاهر للإنسان وهو في المعنى كقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: { كلٌّ ميسر لما خلقه الله له من شقي أو سعيد }[٣]...

وأصل المشاكلة من الشكل، أي من تقييد الدابة – كما تقدم تحقيقه – وقال قتادة: « على شاكلته أي جانبه وعلى ما ينوي »[٤]، وقال ابن عرفة[٥]: « على شاكلته: على خليقته ومذهبه ويقال: ليس هذا شكلي أي مذهبي، وكلها أقوال متقاربة »[٦].

واختلاف أقوال السلف من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٠٤).

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص٩١٧.

(٣) تخريج الحديث: صحيح البخاري كتاب التفسير، باب سور الليل (٤/ ١٨٩١)، في كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ (٦/ ٢٧٤٤)، وصحيح مسلم كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٤/ ٢٠٣٩).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٣٥٩ .

(٥) ابن عرفة: الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي، مولاهم البغدادي المؤدب مسند وقته تفرد عنه جماعة من المشايخ وروى عنه الترميذي، وابن ماجة وروى عنه النسائي في غير السنن بواسطة توفي سنة ٢٥٧هـ انظر الوافي بالوفيات (١/ ١٦٦٠) تاريخ بغداد (٧/ ٣٩٤).

(٦) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢/ ٢٨٦–٢٨٧) باختصار يسير.

قال -تعالى-: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [١]، وفيها أربع مسائل:

[٤٠/٥٦] المسألة الأولى: المراد بالروح.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالروح هي جنس الروح التي تسري في جسد بني أدم؛ حيث قال ~ : « والروح على قول الجمهور هنا: الروح التي في الحيوان، وهو اسم جنس، وهو الظاهر، وقال قتادة: هو جبريل عليه السلام، قال: وكان ابن عباس يكتمه[٢]، وقيل: عيسى ابن مريم عليه السلام، وعن عليّ أنه: ملك، وذكر من صفاته ما الله أعلم به، ولا يصح عن عليّ[٣].

وقيل: الروح القرآن، ويدل عليه الآية قبله والآية بعده، قيل: خلق عظيم روحاني أعظم من الملك، وقيل: الروح جند من جنود الله لهم أيد وأرجل يأكلون الطعام، ذكره: العزيزي[٤].

وقال أبو صالح: خلق كخلق آدم، وليسو بني آدم لهم أيد وأرجل ولا ينزل ملك من السماء إلا ومعه واحد منهم[٥]، والصحيح من هذه الأقوال القول الأول » [٦].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٨٥.

(٢) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري (١٥/ ١٨٠)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٦٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٥٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨١).

(٣) رواه ابن جرير (١٥/ ١٨٠)، وزاد السيوطي في الدر (٥/ ٢٩١) نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد وأبي الشيخ في العظمة واسناده: ضعيف، وفي سنده مجهول، وقال ابن كثير: في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٥): (وهذا أثر غريب عجيب)، وقال الآلوسي في روح المعاني (٨/ ١٤٥): (ولا يصح عن علي كرم الله وجهه).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١١).

(٥) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٩٠).

(٦) البحر المحيط (٦/ ٧٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٧٥).

◈ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في الروح على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بالروح: الروح التي تسري في الجسد، وهي من الأسرار الخفية التي لا يعلمها إلا رب البرية (واحتج أغلب المفسرين بما أخرج الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: أخبرنا ما الروح؟ وكيف تعذب الروح التي في الجسد؟ وإنما الروح من الله ﷻ فنزلت الآية..) [1]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الفراء، والطبري، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، وابن كثير، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)[2] .

القول الثاني:

أن المراد بالروح: ملك من الملائكة على خلقة هائلة وقد روي عن علي أنه ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله -تعالى- بكلها، وقد روي عن علي رضي الله عنه ولا يصح عنه[3] ويضعفه أن هذا التفصيل لما عرفه علي فالنبي ﷺ أولى أن يكون قد عرفه فلم يخبرهم به.

---

(١) انظر فتح الباري (٨/ ٢٥٥-٢٥٦)، كتاب التفسير باب ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾، انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٩) ولكن هذا النقل عن ابن عباس مسلسل بالضعفاء كما حقق ذلك الشيخ أحمد شاكر رحمه الله، انظر جامع البيان (١/ ٢٦٣-٢٦٤).

(٢) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٠)، جامع البيان للطبري (١٥/ ١٧٩)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٠)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٨١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٣١)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٣٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٥)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٤٤)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٩٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٢٠).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٣٦٣ هامش (٣) .

القول الثالث:

أن المراد بالروح: خلْق من خلق الله ﷻ صورهم على صور بني آدم وهو قول مجاهد[١] قال الفخر الرازي: « ولم أجد في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئا يمكن التمسك به في إثبات هذا القول، وأيضا فهذا شيء مجهول فيبعد صرف هذا السؤال إليه »[٢].

القول الرابع:

أن المراد بالروح أنه جبريل ؑ، قاله: ابن عباس[٣].

القول الخامس:

أن المراد بالروح: القرآن، قاله: الحسن[٤]، وذلك لأن الله سماه روحا كما قال -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [٥] فيكون معناه أن القرآن من أمر الله -تعالى- ووحيه الذي أنزل عليّ وليس هو مني، وكذلك للسياق القرآني فما قبل وما بعد في وصف القرآن فوجب أن يكون المراد بالروح القرآن حتى تكون آيات القرآن كلها متناسبة ومتناسقة[٦] واختاره (القاسمي)[٧].

القول السادس:

أن المراد بالروح: عيسى ابن مريم، هو من أمر الله -تعالى- وليس كما ادعته النصارى ابن الله.

---

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٠).

(٢) مفاتيح الغيب (٢١/ ٣٣).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٣٦٣ .

(٤) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٠).

(٥) سورة الشورى: آية ٥٢.

(٦) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٣٢).

(٧) محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٢٨).

القول السابع:

أنه المراد بالروح المسئول عنها في الآية ما وقع في قوله -تعالى-: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ (١).

وقد اختار هذا القول ابن القيم ~ وانتصر له انتصاراً شديداً ؛ حيث قال: « وأكثر أهل السلف بل كلهم على أن الروح المسئول عنها الآية ليست أرواح بني آدم بل هو الروح الذي أخبر الله عنه في كتابه يوم القيامة مع الملائكة وهو ملك عظيم... قال: « وأما أرواح بني ادم فلم يقع تسميتها في القرآن إلا نفساً » (٢).

القول الثامن:

انها من جنس ما استأثر الله -تعالى- بعلمه من الأسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها قول البشر وقد اختاره: (القرطبي، وأبو السعود، والسعدي) (٣).

◈ **الترجيـــــح**:

الراجح – والله تعالى أعلم – أن المراد بالروح هو القرآن و ذلك لما يلي :

١. لدلالة السياق القرآني فقبل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾(٤) ، وبعدها قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦﴾(٥) وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنهما .

٢. موافقته للنظائر القرآنية ، من ذلك قوله تعالى ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا

(١) سورة النبأ: آية ٣٨.

(٢) انظر بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ١٠٣)، انظر الروح لابن القيم ص١٥٠ – ص١٥٤ باختصار.

(٣) انظر الجامع لإحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٥٤)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢/ ٣٢٧).

(٤) سورة الإسراء: آية ٨٢

(٥) سورة الإسراء: آية ٨٦

تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾[1] ،
و قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾[2] ، والقول الذي تشهد له النظائر القرآنية مقدم على غيره .

(١) سورة طه : آية ١١٤

(٢) سورة الشورى: آية ٥٢

[٤١/٥٧] المسألة الثانية: عن أي شيء كان السؤال؟

رجح أبو حيان ~ أن السؤال كان عن ماهية الروح وحقيقتها؛ حيث قال ~ : « والظاهر: أنهم سألوا عن ماهيتها وحقيقتها، وقيل: عن كيفية مداخلتها الجسد الحيواني وانبعاثها فيه وصورة ملابستها له، وكلاهما مشكل لا يعلمه إلا الله، وقد رأيت كتاباً يترجم بكتاب [النفخة والتسوية] لبعض الفقهاء المتصوفة يذكر فيها أن الجواب في قوله -تعالى-: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ إنما هو للعوام، وأما الخواص فهم عنده يعرفون الروح، وأجمع علماء الإسلام على أن الروح مخلوقة، وذهب كفرة الفلاسفة وكثير ممن ينتمي إلى الإسلام إلى أنها قديمة، واختلاف الناس في الروح بلغ إلى سبعين قولاً »[(١)].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في السؤال الوارد عن أي: شيء كان السؤال؟، على عدة أقوال منها:

القول الأول:

أن السؤال عن حقيقة الروح وماهيتها، وهذا مار حجه أبو حيان ~ واختاره: (الزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، وأبو السعود والشوكاني، والسعدي)[(٢)].

القول الثاني:

أن السؤال عن كيفية مداخلتها الجسد الحيواني وانبعاثها فيه وصورة ملابستها له، واختاره: (الفخر الرازي، وابن عادل، والآلوسي، والقاسمي، والمراغي)[(٣)].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٧٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٧٥).

(٢) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨١)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢١١)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٥٤)، فتح القدير (٣/ ٣١٥)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥/ ٣٥٠).

(٣) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٣١)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٣٧٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٤٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ١٩٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٢٤)، تفسير المراغي (٥/ ٣٥٠).

◈ **التـرجيــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وذلك: لأن معرفة حقيقة الشيء أهم وأقدم من معرفة حال من أحواله[1].

قال القرطبي: « وذهب أكثر أهل التأويل إلى أنهم سألوه عن الروح الذي يكون به حياة الجسد، وقال أهل النظر منهم: إنما سألوه كيفية الروح ومسلكه في بدن الإنسان، وكيف امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به؟، وهذا شيء لا يعلمه إلا الله ﷻ »[2].

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٠).

[٤٢/٥٨] المسألة الثالثة: معنى قوله - تعالى -: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (١).

رجح أبو حيان ~ أن معنى ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: من فعل ربي؛ حيث قال ~ : « ومعنى من أمر بي أي: فعل ربي كونها بأمره، وفي ذلك دلالة على حدوثها والأمر بمعنى الفعل وارد، قال -تعالى-: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (٢) أي: فعله، ويحتمل أن يكون أمراً واحد من الأمور، وهو اسم جنس لها: أي: من جملة أمور الله -تعالى- التي استأثر بعلمها، وقيل: من وحي ربي وكلامه ليس من كلام البشر ويتخرج على قول من قال: إن الروح هنا القرآن، وقيل: من علم ربي » (٣).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ على أقوال:

القول الأول:

أي: من فعل ربي؛ حيث أن الأمر يكون مصدر من أمر يأمر أي: الروح ما أمره أمراً بالكون فكان، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقال: إن الأمر بمضي الفعل وارد؛ كقوله - تعالى-: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: فعله، واختاره: (الفخر الرازي، وابن عادل الحنبلي)(٤).

القول الثاني:

أي: من وحي ربي، وكلامه ليس من كلام البشر؛ ويتخرج على هذا أن الروح هنا: القرآن واختاره: (يحيى بن سلام) (٥).

---

(١) سورة الإسراء: آية ٨٥.

(٢) سورة هود: آية ٩٧.

(٣) البحر المحيط (٦/ ٧٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٧٥).

(٤) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ٣٢)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٣٧٥).

(٥) انظر تفسير يحيى بن سلام (١/ ١٦٠).

القول الثالث:

أي: من علم ربي، والأمر اسم جنس للأمور، أي للروح من جملة أمور الله التي استأثر بعلمها فهي إضافة خلق إلى خالق، واختاره: (الفراء، والطبري، والواحدي، والبغوي والزمخشري، وابن الجوزي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني)[1].

◈ **الترجيح**:

الراجح – والله تعالى أعلم – أن معنى قوله –تعالى-: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: من علم ربي، وذلك لأن:

١. الأمر اسم جنس للأمور، أي للروح من جملة أمور الله واستأثر بعلمها.

٢. لقوله –تعالى-: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي وما أطلعكم من علمه إلا على القليل فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء –تبارك وتعالى- والمعنى أن علمكم في علم الله قليل وهذا الذي سألوا عنه من أمر الروح مما استأثر الله –تعالى- به ولم يطلعكم عليه كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى[2].

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٠)، جامع البيان للطبري (١٥/ ١٨٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٠)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٠)، مدارك التنزيل ص٦٣٤، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٥)، إرشاد العقل السليم لابي السعود (٤/ ٥٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٥).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٥).

[٤٣/٥٩] المسألة الرابعة: لمن الخطاب في قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١].

رجح أبو حيان ~ أن الخطاب في قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ موجه إلى اليهود حيث أنهم هم السائلون عن الروح؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن الخطاب في ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ هم: الذين سألوا عن الروح، وهم طائفة من اليهود، وقيل: اليهود بجملتهم، وقيل: الناس كلهم، قال: ابن عطية: وهذا هو الصحيح لأن قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ﴾ إنما هو أمر بالقول لجميع العالم إذ جميع علومهم محصورة وعلمه تعالى لا يتناهى[٢]»[٣].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون فيمن خوطب بقوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أنه موجه إلى اليهود، حيث هم السائلون، وكانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها الكثير، قاله: قتادة[٤] وعلى هذا قراءة ابن مسعود والأعمش (وَمَا أُوْتُوا)[٥] واستدل أصحاب هذا القول بأن اليهود حين نزلت هذه الآية ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قالوا: « يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أفعنيتنا أم قومك؟ قال: كلا قد عَنَيْتُ قالوا: فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء، فقال الرسول ﷺ: { هي في علم الله قليل، وقد أتاكم ما إن عملتم به انتفعتم } فأنزل الله: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ

(١) سورة الإسراء: آية ٨٥.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨٢).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٧٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٧٥).

(٤) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٩٢).

(٥) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٠٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٤٦)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٢٥٦).

مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾» [1].

هذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره من المفسرين: (الواحدي، وابن الجوزي)[2].

القول الثاني:

أن الخطاب موجه إلى جميع العالم؛ لأن قوله -تعالى-: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ خطاب عام وهو أمر بالقول لجميع العالم، إذا جميع علومهم محصورة، وعلمه تعالى لا يتناهى، وعليه قراءة الجمهور، وقد اختاره: (الطبري، الماوردي، الزمخشري، وابن عطية، والقرطبي النسفي) [3].

❖ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن الخطاب موجه إلى الجميع وذلك لما يلي:

١. لأن قوله -تعالى-: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [4] خطاب عام وهو أمر بالقول لجميع العالم إذ جميع علومهم محصورة وعلمه -تعالى- لا يتناهى[5].

٢. لأن هذا المعنى يتوافق مع قراءة الجمهور ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ ومعنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة[6].

---

(١) اخرجه النسائي في كتاب التفسير، باب سورة الكهف (٦/ ٣٩٢)، جامع البيان للطبري (١٥/ ١٨١)، قال الآلوسي: قال العراقي إنه غير صحيح، انظر روح المعاني (٨/ ١٤٦).

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٠).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٨١)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧١)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٠) مدارك التنزيل للنسفي ص٦٣٤.

(٤) سورة الإسراء: آية ٨٥.

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨٢).

(٦) قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/ ١٠٤).

٣. قال الطبري: « وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: خرج الكلام خطاباً لمن خوطب به والمراد به جميع الخلق، لان علم كل أحد سوى الله، - وإن كان كثيراً - في علم الله قليل، وإنما معنى الكلام، وما أوتيتم - أيها الناس - من العلم إلا قليلاً من كثير مما يعلمه الله[1].

فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(١) جامع البيان للطبري (١٥/ ١٨١).

قال -تعالى-: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [1]، وفيها مسألة واحده:

[٦٠/٤٤] المسألة الأولى: معنى قوله -تعالى-: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾.

رجح أبو حيان ~ : أن معنى قوله -تعالى-: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾إنا كما نحن قادرون على إنزاله وقادرون على إذهابه؛ حيث قال ~ : « ولما ذكر تعالى ما أنعم به من تنزيل القرآن على رسوله ﷺ شفاء ورحمة وقدرته على ذلك، ذكر قدرته على أنه لو شاء لذهب بها أوحى، ولكنه -تعالى- لم يشأ ذلك، والمعنى: نحن قادرون على إنزاله، نحن قادرون على إذهابه، وقال أبو سهل: هذا تهديد لغير الرسول ﷺ بإذهاب ما أوتوا ليصدهم عن السؤال مالم يؤتوا علم الروح وعلم الساعة، وروي: «لا تقوم الساعة حتى يرتفع القرآن»[2] الحديث، وفي حديث عن ابن مسعود: «يسري به في ليلة فيذهب بما في المصاحف وبما في القلوب[3] ثم قرأ عبدالله: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾، وقال صاحب التحرير:

---

(١) سورة الإسراء: آية ٨٦.

(٢) تخريج الحديث: أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٢٥) عن عبدالله بن عمرو بن عاص رضي الله عنه قال: « لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل يقول: أتلي ولا يعمل بي)، كتاب السنن الواردة لأبي عمرو الداني باب ما جاء في رفع القرآن.

(٣) تخريج الحديث: أخرجه الطبري في جامع البيان (١٥/ ١٨١)، وعبدالرزاق في المصنف (٣/ ٣٦٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٤٥) في كتاب فضائل القرآن، وفي (٧/ ٥٠٥) كتاب الفتن، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٥٣)، والواحدي في الوسيط (٣/ ١٢٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٤) في كتاب الفتن، كلهم من طريق عبدالعزيز بن رفيع عن شداد بن معقل قال سمعت ابن مسعود يقول: « إن أول ما تفقدون... » وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٢): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة، قال الحافظ بن حجر في تخريج الكشاف (٣/ ٥٥٠)، أخرجه عبدالرزاق من طريق الطبراني، وأخرجه ابن أبي شيبة وابن مردويه كلهم من طريق شداد بن معقل، عن عبدالله بن مسعود وزاد في آخره: ثم قرأ عبدالله: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾.

« ويحتمل عندي في تأويل الآية وجه غير ما ذكر وهو أنه ﷺ لما أبطأ عليه الوحي [حين][1] سئل عن الروح شق ذلك عليه وبلغ منه الغاية، فأنزل الله -تعالى- تهذيباً له هذه الآية ويكون التقدير أيعز عليك تأخر الوحي، فإنا لو شئنا ذهبنا بما أوحينا إليك جميعه، فسكت النبي ﷺ وطاب قلبه ولزم الأدب انتهى »[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾[3] الآية على أقوال منها:

القول الأول:

أي إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثر وهذا امتنان من الله ببقاء القرآن محفوظاً، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره من المفسرين: (الطبري، الزجاج، والنحاس، والسمرقندي والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني والآلوسي، والطاهر بن عاشور)[4].

---

(١) و في المطبوع (لما).

(٢) البحر المحيط (٦/ ٧٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٧٥)، وقد نقل أبو حيان رحمه الله تعالى هذه العبارة عن صاحب التحرير و لم يعقب و هذه العبارة لا تصح و لا تليق بمقام النبي ﷺ .

(٣) سورة الإسراء: آية ٨٦.

(٤) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ١٨٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٥٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٩٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٠) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٩) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦١)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٤٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٦)، اللباب غي علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣٨٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٨) روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٥٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٠١).

القول الثاني:

لأذهبنا بقبضك إلينا حتى لا ينزل عليك، قاله الماوردي[١].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما اختاره أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن معنى قوله -تعالى-: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾هو إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف وذلك لما يلي:

١. إن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود وقد فسر شيخ الإسلام ابن تيمية ~ قول السلف واليه يعود برفع القرآن قبل يوم القيامة وقد وردت أحاديث[٢] كثيرة مرفوعة وموقوفة في رفع القرآن من الصدور قيل قيام الساعة.

منها حديث حذيفة ﷺ مرفوعاً: (يدرس الإسلام كما يدرس (وشي الثوب)[٣] حتى لا يدري ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليُسري على كتاب الله ﷻ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، ويبقى الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا أباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله، فنحن نقولها)[٤].

٢. هو اختيار جمهور المفسرين[٥].

٣. قال أبو السعود: « والمراد من الذهاب به: المحو من المصحف والصدور، وهو ابلغ من الإذهاب »[٦].

---

(١) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧١).

(٢) انظر الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٩٢-٢٩٤).

(٣) وشي الثوب : نقشه ، و الشية هي العلامة . انظر شرح سنن ابن ماجة (٢/ ١٣٤٤) .

(٤) تخريج الحديث: اخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم (٢/ ١٣٤٤)، وصححه البوصيري والحاكم (٤/ ٤٧٣-٤٥٤) على شرط مسلم، كما صححه الألباني في السلسة الصحيحة رقم (١/ ١٧١) رقم (٨٧)، وفي حكم تارك الصلاة ص(٥٢).

(٥) انظر ص ٣٧٦ .

(٦) انظر إرشاد العقل السليم (٤/ ١٥٥).

قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ (١)، وفيها مسألتان:

[٤٥/٦١] المسألة الأولى: معنى ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالمثل هو القول الغريب السائر في الآفاق حيث قال ~ : « والظاهر أن المراد بالمثل هو القول الغريب السائر في الآفاق، والقرآن ملآن من الأمثال التي ضربها الله -تعالى-، وقال الزمخشري: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه(٢)، وقال أبو عبدالله الرازي: [﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ إشارة إلى التحدي به بالجهات المختلفة كالتحدي بكل القرآن كالذي هنا وبسورة مثله وبكلام من سورة كقوله ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ ومع ظهور عجزهم أبو إلا كفوراً]. انتهى ملخصاً(٣).

وقيل: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من الترغيب والترهيب وأنباء الأولين والآخرين وذكر الجنة والنار » (٤).

◇ __الدراسة والموازنة:__

اختلف المفسرون في المراد بالمثل في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ على أقوال منها:

__القول الأول:__

أي: بيَّنا للناس منه من كل لون: من الحلال والحرام، والأحكام والحدود والوعد والوعيد، الترغيب والترهيب، وأقاصيص الأولين، واختاره: (السمرقندي، والبغوي،

---

(١) سورة الإسراء: آية ٨٩.

(٢) الكشاف (٣/ ٥٥١).

(٣) مفاتيح الغيب (٢١/ ٤٦).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٧٧)، وانظر النهر الماد (٦/ ٧٧).

والقرطبي، وابن عادل، والشوكاني)[1].

القول الثاني:

أي: كل معنى، هو كالمثل في غرابته وحسنه، وهذا مارجحه أبو حيان ~ ، فقد راعى معنى المثل في الغربة والعجابة، واختاره: (الزمخشري، والنسفي، وأبو السعود والآلوسي، والقاسمي)[2].

القول الثالث:

أي بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه، واختاره: (ابن كثير)[3].

◈ **الترجيــــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه، وذلك لأن معنى المثل يستعمل في الشيء الغريب العجيب من الصفة والحال والقصة وقد شاع استعماله بهذا المعنى في أمثال القرآن والسنة[4]، وفي اللغة: أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا أي نظيره، والمِثْل والمِثال في معنى واحد[5]، ويطلعه المثل في لغة العرب على النظير والانتصاب واللطوء بالأرض، والزوال عن الموضع والتسوية والتصوير[6]، ويستعمل في المثل السائر والشيء العجيب من الصفة والحال، قال الخطيب القزويني:

---

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٢٨)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٢) اللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٣٨٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٩).

(٢) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥١)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٣٥، ارشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٥٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٥٩)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٢٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٦).

(٤) الامثال في القرآن لمنصور العبدلي ص(٢٦).

(٥) مقاييس اللغة (٥/ ٢٩٦).

(٦) مفردات االفاظ القرآن للراغب ص(٧٥٩).

«وأعلم أن المثل السائر لما فيه غرابة، استعير لفظه المثل للحال أو الصفة أو القصة، إذا كان لها شأن وفيها غرابة، وهو في القرآن كثير» [1].

قال الشهاب الخفاجي: « قال -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾أصل التصريف التحويل والتغيير فالمراد به هنا تغيير الأساليب والعبارات في بعض المعاني ليزداد تقريره ورسوخه في النفوس وما ذاك إلا ليزدادوا تدبراً وإذعاناً فكان حالهم على العكس.. (من كل مثل) أي: من كل معنى هو كالمثل في غرابته وقوعه موقعها في الأنفس[2])، أي: ليس المراد بالمثل هنا معناه المتعارف بل ما هو مشابه له في الغرابة فمثل: « استعارة مصرحة » [3].

(وقد استعملت في القرآن الكريم الحجج والبراهين القاطعة في قوتها وحسنها وغرابتها من الأمثال والمعاني الغريبة العجيبة فيتفق قول ابن كثير مع قول أبي حيان والجمهور)[4].

---

(١) الايضاح في علوم البلاغة ص٢٨٨.

(٢) انظر حاشية الشهاب (٦/ ١٠٤).

(٣) انظر حاشية القونوي (١١/ ٥٨٥).

(٤) إضافة من د/ عبدالعزيز عزت.

[٤٦/٦٢] المسألة الثانية: المراد بقوله - تعالى -: ﴿أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ [(١)].

رجح أبو حيان ~ أن المراد ﴿أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ هم أهل مكة لدلالة السياق، حيث قال ~ : «﴿أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ قيل: من كان في عهد الرسول ﷺ من المشركين وأهل الكتاب، وقيل: أهل مكة وهو الظاهر، بدليل ما أتى بعده من قوله -تعالى-: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ [(٢)] » [(٣)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بأكثر الناس في قوله -تعالى-: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [(٤)] على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بأكثر الناس هم أكثر أهل مكة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الواحدي، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي) [(٥)].

القول الثاني:

أن المراد بأكثر الناس هم: المشركون، وأهل الكتاب، وجميع من كان مشركاً.

---

(١) سورة الإسراء: آية ٨٩.

(٢) سورة الإسراء: آية ٩٠.

(٣) البحر المحيط (٦/ ٧٧)، وانظر النهر الماد (٦/ ٧٧).

(٤) سورة الإسراء: آية ٨٩.

(٥) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٤٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٢)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣٨٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣١٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٥٩).

◈ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن المراد بأكثر الناس في قوله -تعالى-: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ هم أهل مكة وذلك لما يلي:

لدلالة السياق القرآني على هذا القول، حيث الضمائر في الآيات التالية لأهل مكة قال -تعالى-: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾[1].

قال الآلوسي: وستظهر أبو حيان أنهم أهل مكة بدليل الضمائر الآتية لهم[2]، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه[3].

(١) سورة الإسراء: آية ٩٠-٩٣.

(٢) روح المعاني (٨/ ١٥٩).

(٣) قواعد الترجيح (١/ ٢٩٩).

قال -تعالى-: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾[1]، وفيها ثلاث مسائل:

[٤٧/٦٣] المسألة الأولى: معنى قوله -تعالى-: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله -تعالى-: ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ هو حقيقة وليس من باب المجاز كما فسره بعض المفسرين؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن قوله: ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ حقيقة كما قال -تعالى-: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [2]، وقوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [3]، وفي هذا حديث قيل: يا رسول الله، كيف يمشي الكافر على وجهه؟، قال: أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجلين قادراً على أن يمشيه في الآخرة على وجهه، قال قتادة: بلى وعزة ربنا[4].

وقيل: ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ مجاز يقال للمنصرف عن أمر خائباً مهموماً انصرف على وجهه ويقال للبصير كأنما يمشي على وجهه، وقيل هو مجاز عن سحبهم على وجوههم على سرعة من قول العرب قدم القول على وجوههم إذا أسرعوا » [5].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٩٧.

(٢) سورة القمر: آية ٤٨.

(٣) سورة الفرقان: آية ٣٤.

(٤) تخريج الحديث: أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب تفسير سورة الفرقان (٦/ ١٣٧)، ومسلم في صفة القيامة (٨/ ١٣٥)، وأحمد في المسند (٣/ ١٦٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) البحر المحيط (٦/ ٨٠)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٠).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في كيفية الحشر في قوله -تعالى-: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن الحشر على وجوههم حقيقة بأن يمشيهم الله على وجوههم، وهذا هو الظاهر من نصوص الكتاب والسنة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (النحاس، والسمرقندي، والواحدي، والزمخشري، والقرطبي، والنسفي، وأبن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي)[١].

القول الثاني:

أن المعنى: ونحشرهم مسحوبين على وجوههم، قاله: ابن عباس { [٢]، ورجحه القاسمي[٣]، وقال: « أي ناكسي الرؤوس لانجذابهم إلى الجهة السفلية، إذ الوجه يعبر به عن الذات الموجودة مع جميع عوارضها ولوازمها » و القول الثاني قد يدخل في القول الأول.

القول الثالث:

أن المعنى: نحشرهم مسرعين مبادرين، فعبر بقوله: ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ عن الإسراع؛ كما تقول العرب: قد مر القوم على وجوههم: إذا أسرعوا، قاله: ابن الأنباري[٤].

---

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٩٧)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٣٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٩)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٦٦).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٦).

(٣) انظر محاسن التأويل (٤/ ٦٣٢).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٦).

◈ **الترجيـــح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن معنى قوله -تعالى-: ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ على الحقيقة وليس من باب المجاز وذلك لما يلي:

١. لقوله -تعالى-: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾[(١)]، والقرآن يفسر بعضه بعض فهذه الآية تحكي حالهم بعد دخولهم النار والآية التي نحن بصددها تحكي حالهم في الحشر.

٢. لحديث الشيخين، عن أنس بن مالك: أن رجلا قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: « أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا، قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة »[(٢)]، فإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه[(٣)]، وقال الآلوسي: « وزعم بعضهم أن الكلام على المجاز، وذلك كما يقال للمنصرف خائباً عن أمر مهموماً: انصرف على وجهه، فإياك أن تلتفت إلى تأويل نطقت السنة بخلافه »[(٤)].

قال الطاهر بن عاشور: « ولما كان ذلك يستدعي مشيهم عَدَّي الحشر بحرف (على) لتضمينه معنى يمشون، والمقصود من ذلك الجمع بين التشويه والتعذيب لأن الوجه أرق تحملا لصلابة الأرض من الرجل وهو جزاء مناسب للجرم، لأنهم روجوا الضلالة في صورة الحق، ووسموا الحق بسمات الضلال، فكان جزاؤهم أن حولت وجوههم أعضاء مشي عوضاً عن الأرجل »[(٥)].

---

(١) سورة القمر: آية ٤٨.

(٢) سبق تخريجه انظر ص٣٨٣.

(٣) قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/ ١٩١-٢٠٦).

(٤) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٦٦).

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢١٧).

[٤٨/٦٤] المسألة الثانية : معنى قوله - تعالى - : ﴿عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا﴾ .

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله -تعالى-: ﴿عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا﴾ في قوله - تعالى-: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [1]، هو حقيقة، وذلك عند قيامهم من قبورهم، وليست من باب الاستعارة والتشبيه؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن قوله ﴿عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا﴾ هو حقيقة؛ وذلك عند قيامهم من قبورهم، ثم يرد الله إليهم أبصارهم وسمعهم ونطقهم فيرون النار، ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكي الله عنهم، وقيل: هي استعارات إما لأنهم من الحيرة والذهول يشبهون أصحاب هذه الصفات، وإما من حيث لا يرون ما يسرهم ولا يسمعونه ولا ينطقون بحجة وقال الزمخشري: كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون من سماعه فهم في الآخرة كذلك، لا يبصرون ما يقّر أعينهم، ولا يسمعون ما يلذ أسماعهم، ولا ينطقون بما يقبل منهم ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [2] » انتهى[3]. وهذا قول: ابن عباس، والحسن قالا: المعنى عمياً عما يسرهم، بكماً عن التكلم بحجة، صماً عما ينفعهم، وقيل: عمياً عن النظر إلى ما جعل الله لأوليائه بكماً عن مخاطبة الله صماً عما مدح الله به أولياءه[4]، وانتصب ﴿عُمۡيٗا﴾ وما بعده على الحال، والعامل فيها (نحشرهم)، وقيل: يحصل لهم ذلك حقيقة عند قوله: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [5] فعلى هذا تكون حالاً مقدراً، لأن ذلك لم يكن مقارناً لهم وقت الحشر » [6].

---

(١) سورة الإسراء: آية ٩٧.

(٢) سورة الإسراء: آية ٧٢.

(٣) انظر الكشاف الزمخشري (٣/ ٥٥٤).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٩٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٠٠).

(٥) سورة المؤمنون: آية ١٠٨.

(٦) البحر المحيط (٦/ ٨٠).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في قوله -تعالى-: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

أنهم عمياً لا يرون شيئاً يسرهم، وبكماً لا ينطقون بحجة، وصماً لا يسمعون شيئاً يسرهم، قاله ابن عباس، وقال في رواية: عمياً عن النظر إلى ما جعل لأوليائه، وبكماً عن مخاطبة الله، وصماً عما مدح به أولياءه، وهو قول ابن عباس والحسن(١)، وقد اختاره: (السمرقندي، والواحدي، وأبو السعود، والقاسمي) (٢).

القول الثاني:

أنهم حشروا في النار عمي الأبصار بكم الألسن صم الأسماع ليكون ذلك زيادة في عذابهم وهذا الأمر على حقيقته ثم أبصروا؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ (٣)، وتكلموا لقوله -تعالى-: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾(٤)، وسمعوا بقوله -تعالى-: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (٥).

قال مقاتل بن سليمان: بل إذا قال لهم: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾(٦) صاروا عمياً لا يبصرون صماً لا يسمعون، بكماً لا يفقهون،وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (القرطبي، والشوكاني، والآلوسي) (٧).

---

(١) سبق توثيقه انظر ص٣٨٦ .

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٩)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٣٢).

(٣) سورة الكهف: آية ٥٣.

(٤) سورة الفرقان: آية ١٣.

(٥) سورة الفرقان: آية ١٢.

(٦) سورة المؤمنون: آية ١٨.

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٦٦).

القول الثالث:

كما أنهم في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه، فهم في الآخرة كذلك: لا يبصرون ما يقّر أعينهم، ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم، ولا ينطقون بما يقبل منهم كما قال -تعالى-: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾[(١)]، إما لأنهم من الحيرة والذهول يشبهون أصحاب هذه الصفات، أو كما كانت هذه صفاتهم في الدنيا فهكذا في الآخرة صفاتهم، وهو قول: (الزمخشري، والنسفي، والطاهر بن عاشور)[(٢)].

◈ **الترجيح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ~ بأن معنى قوله -تعالى-: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ على حقيقته، ويكون ذلك في مبدأ الأمر ثم يرد الله إليهم أبصارهم ونطقهم وسمعهم فيرون النار ويسمعون زفيرها كما حكى الله -تعالى- عنهم في غير موضع، ولا يعكر عليه أن بعض الآيات تدل على سلب بعض القوى عنهم لإختلاف الأحوال والأوقات[(٣)].

قال الشوكاني: « والأبكم الذي لا ينطق، والأصم الذي لا يسمع، وهذه هيئة يبعثون عليها في أقبح صورة وأشنع منظر، قد جمع الله لهم بين عمى البصر وعدم النطق وعدم السمع مع كونهم مسحوبين على وجوههم »[(٤)].



---

(١) سورة الإسراء: آية ٧٢.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٣٧، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢١٧).

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٦٦).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٣).

[٤٩/٦٥] المسألة الثالثة: معنى قوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى (خبت) هو سكون اللهب، خلافاً لما في القاموس بأن تفسير ﴿خَبَتْ﴾: سكنت، وطفئت، وتفسير طفئت: بذهب لهبها[1]، وخلافاً لمن فسر خبت: بحميت؛ حيث قال أبو حيان ~ : « خبت النار تخبوا: إذا سكن لهبها، وخمدت إذا سكن جمرها، وضعف، وهمدت إذا طفئت جملة، قال الشاعر:

أَمِنْ زينبَ ذي النارُ قَبيل الصبح ماتخْبُو

إذا ما خَمدتْ يُلْقى عليها المَنْدَلُ الرطبُ[2]

وقال آخر:

وَسْطهُ كاليَرَاعِ أو سُرُجُ المجدل طَوْرَا يَخْبُو وطَوْراً يُنِرُ[3] »[4].

وقال أبو حيان ~ : قال ابن عباس: كلما فرغت من إحراقهم فيسكن اللهب القائم عليهم قدر ما يعادون، ثم يثور فتلك زيادة السعير[5]، فالزيادة في حيزهم، وأما جهنم فعلى حالها من الشدة لا يصيبها فتور فعلى هذا يكون ﴿خَبَتْ﴾ مجازاً عن سكون لهبها مقدار ما تكون إعادتهم، كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها، ثم يعيدها لا يزالون على الإفناء والإعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم، لأنه أدخل في الانتقام من الجاحد، وقد دل على ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ

---

(١) القاموس ص(١١٥١)، وانظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٦٧).

(٢) البيتان من الهزج لعمر بن أبي ربيعه، رواية الديون:

لمن نار قبيل الصبح عند البيت ماتخبو

إذا ما أوقدت يلهي عليها المندل الرطب.

(٣) البيت من الخفيف لعدي بن زيد انظر: ديوانه (٨٥)، الدرر (١/ ٦٩)، اللسان (٦/ ٤٨٣٢) واستشهد به على أن (تخبو) بمعنى تضعف.

(٤) البحر المحيط (٦/ ٦٧) .

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٩٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٠٠).

جَزَآؤُهُم ﴾ والإشارة بذلك إلى ما تقدم من حشرهم على تلك الحال وصيرورتهم إلى جهنم والعذاب فيها »[(١)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى ﴿خَبَتْ﴾ في قوله -تعالى-: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾[(٢)] على أقوال منها:

القول الأول:

أن خَبَت النار من تَخْبُوا خَبْواً (على وزن فعل)، وخَبُواً (على وزن فعول) أي سكن لهيبها[(٣)] وقوله -تعالى-: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾، أي سكن لهبها، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي والزمخشري، وابن عطية، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور والقاسمي)[(٤)].

القول الثاني:

كلما طفئت أوقدت قاله مجاهد[(٥)]، واختاره: (النسفي)[(٦)].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٨٠) باختصار، وانظر النهر الماد (٦/ ٨١).

(٢) سورة الإسراء: آية ٩٧.

(٣) انظر اللسان (١٤/ ٢٢٣)، مادة (خبا).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٩٣)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٦١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٩٧)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٤)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨٧)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٦٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢١٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٣٣).

(٥) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٦).

(٦) انظر مدارك التنزيل للنسفي ص٦٣٧.

القول الثالث:

أن معنى كلما خبت أي: أرادت أن تخبو[1].

القول الرابع:

أن معنى خبت: حميت، قال الآلوسي: « ومن الغريب ما أخرجه ابن الأنباري عن أبي صالح من تفسير (خبت) في الآية بحميت وهو خلاف المشهور والمأثور »[2].

◈ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن معنى خبت سكن لهيبها لا انطفأت أو حميت، وقال الراغب: خبت النار تخبو سكن لهبها، وصار عليها خباء من الرماد أي غشاء، وأصل الخباء: الغطاء الذي يتغطى به، وقيل لغشاء السنبلة خباء[3].

قال الآلوسي: « وربما يتوهم أن بين هذه الآية وقوله -تعالى-: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾[4] تعارضاً لأن الخبو يستلزم التخفيف وهو مدفوع بأن الخبو سكون اللهب واستلزمه تخفيف عذاب النار ممنوع »[5].

---

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٦).

(٢) روح المعاني (٨/ ١٦٧).

(٣) انظر مفردات الفاظ القرآن ص٢٧٤.

(٤) سورة البقرة: آية ٦٢.

(٥) روح المعاني (٨/ ١٦٧).

قال -تعالى-: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[٥٠/٦٦] المسألة: المراد بالإنسان في الآية.

رجح أبو حيان ~ أن هذه الآية عامة، والمراد بالإنسان في قوله -تعالى-: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ هو جنس الإنسان؛ حيث قال ~: «والإنسان هنا للجنس»[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالإنسان في قوله -تعالى-: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ على قولين:

القول الأول:

أن المراد بالإنسان جنس الإنسان، وأن هذه الآية عامة وليست خاصة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد حكاه الماوردي[3]، على أنه قول الجمهور وقد اختار هذا القول: (الزمخشري، وابن عطية، وابن كثير، والآلوسي، والقاسمي)[4].

القول الثاني:

أن المراد بالإنسان الكافر المعهود السابق في قوله -تعالى-: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾[5]، أي أهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها واستشهد أصحاب هذا الرأي بقول الحسن: أنها نزلت في

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٠.

(٢) البحر المحيط (٦/ ٨٢).

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٦).

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٠)، وحاشية الشهاب (٦/ ١١٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٣٤).

(٥) سورة الإسراء: آية ٩٠.

المشركين[١]، واختاره: (الزجاج وابن الجوزي، والرازي، وابن عادل الحنبلي)[٢].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من أن المراد بالإنسان في الآية هو جنس الإنسان وذلك لما يلي:

١- لأن الحمل على العموم أولى، وذلك لأن جنس الإنسان مجبول على البخل، لان مبني أمره الحاجة، ومن قال بالقول الثاني فيكفي على العموم اندراج أهل مكة فيه[٣]، يقول ابن كثير ~ : « والله -تعالى- يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله وهداه، فإن البخل والجزع والهلع صفةٍ له كما قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[٤] ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز، ويدل هذا على كرمه وجوده وإحسانه - سبحانه - وقد جاء في الصحيحين « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحآء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه »[٥]،[٦].



(١) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٤).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٦١)، زاد المسير لأبن الجوزي (٥/ ٦٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٥٣)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٣٩٩).

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧١).

(٤) سورة المعارج: آية ١٩-٢٢.

(٥) اخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى (لما خلقت بيدي) (٦/ ٢٦٩٧) ، ومسلم في كتاب الزكاة باب الحث على النفقه و تبشير المنفق بالخلف (٢/ ٦٨٩) .

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٠).

قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ (١)، وفيها مسألتان:

[٥١/٦٧] المسألة الأولى: المراد بالخطاب في الآية.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالخطاب هو النبي ﷺ؛ حيث قال ~: «والظاهر أنه خطاب للرسول محمد ﷺ، أمره أن يسألهم عما أعلمه به من غيب القصة ثم قال: ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ يريد آباءهم وأدخلهم في الضمير إذ هم منهم، وقال الزمخشري: (سلهم عن إيمانهم، وعن حال دينهم أو سلهم أن يعاضدوك، وتكون قلوبهم وايديهم معك، ويدل عليهم قراءة رسول الله ﷺ (فَسَلْ بني إسرائيل) (٢)، على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش، وقيل: فسل - يا رسول الله - المؤمنين من بني إسرائيل: وهم عبدالله بن سلام، وأصحابه عن الآيات، لتزداد يقيناً وطمأنينة قلب، لان الدلالة إذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ (٣)» انتهى (٤).

وهذا القول هو القول الأول وهو ما أعلمه به من غيب القصة، ولما كان متعلق السؤال محذوفاً احتمل هذه التقديرات» (٥).

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٠١.

(٢) انظر شواذ القرآن لابن خالويه ص٨١، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٠٢).

(٣) سورة البقرة: آية ٢٦٠.

(٤) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٨).

(٥) البحر المحيط (٦/ ٨٢-٨٣)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٣).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في هذا الخطاب الموجه في الآية على أقوال:

القول الأول:

أن الخطاب موجه للنبي ﷺ أي: سلهم - يا محمد - إذ جاءهم موسى بهذه الآيات، وقوله -تعالى- (فاسأل) على معنى الأمر لرسول الله ﷺ وبهذا قرأ الجمهور[1]، وإنما أمر أن يسأل من آمن منهم عما أخبر عنهم، ليكون حجة على من لم يؤمن منهم، وهذا ما رجحه أبو حيان، واختاره: (الواحدي، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي وابن عادل والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والمراغي)[2].

القول الثاني:

أن الخطاب موجه لموسى عليه السلام، وقرأ ابن عباس[3] (فسأل بني اسرائيل) على معنى الخبر عن موسى أنه سأل فرعون أن يرسل معه بني اسرائيل، ولا يجوز أن يكون خطاباً للنبي ﷺ لئلا تختلف القراءات ولإنفكاك النظم، واختاره: (السمرقندي، والزمخشري، والنسفي، وأبو السعود)[4].

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠٩)، وانظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٠).

(٢) انظر ذلك على الترتيب التالي: الوسيط للواحدي (٣/ ١٣١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨٨)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٠١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٢٦)، تفسير المراغي (٥/ ٣٦٣).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٣٩٤ .

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣١)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٣٨، ارشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦١).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من أن الخطاب في قوله -تعالى-: ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ موجه للنبي ﷺ وذلك لأن من قال إنه موجه لموسى عليه السلام فإنه إنما حمله على هذا الوجه حتى تتوافق القراءتان ولا داعي لهذا الحمل، لأن قراءة ابن عباس شاذة كما سبق[1]، ومعنى القراءة المتواترة أولى وهو الصواب، قال الطبري: (والقراءة التي لا استجيز أن يقرأ بغيرها، هي القراءة التي عليها قراءة الأمصار، لإجماع الحجة من القراء على تصويبها ورغبتهم عما خالفهم)[2].

قال الآلوسي: « والمعنى فاسأل – يا محمد – مؤمني أهل الكتاب عن ذلك إما لأن تظاهر الأدلة أقوى، وإما من باب التهييج والإلهاب، وإما للدلالة على أنه أمر محقق عندهم ثابت في كتابهم »[3].

---

(١) سبق توثيقه انظر ص٣٩٤ .

(٢) جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٠).

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٣) .

[٥٢/٦٨] المسألة الثانية : معنى ﴿مَّسْحُورًا﴾ .

رجح أبو حيان ~ أن معنى مسحورا اسم مفعول أي سحرت بكلامك هذا؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن قوله مسحورا اسم مفعول، أي: قد سُحِرْتَ فكلامك هذا مختل، وما يأتي به غير مستقيم، وهذا خطاب بنقيض، وقال: الفراء[(١)] والطبري[(٢)] مفعول بمعنى فاعل أي ساحر، فهذه العجائب التي يأتي بها من أمر السحر، وقالوا مفعول بمعنى: فاعل مشؤوم، وميمون وإنما هو شائم ويامن » [(٣)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بكلمة ﴿مَّسْحُورًا﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

أن معنى مسحورا أي: مخدوعاً، قاله: ابن عباس[(٤)].

القول الثاني:

أن معنى مسحور أي: مغلوباً، قاله: مقاتل[(٥)] واختاره (السمرقندي) [(٦)].

القول الثالث:

أن معنى مسحورا أي: سُحِرْت، قاله: ابن السائب[(٧)] أي مفعول على بابه، أي: أنك سحرت فكلامك مختل وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (البغوي، والزمخشري، وابن عطية، والنسفي، وابن عادل، وابو السعود، والشوكاني، والآلوسي،

---

(١) لم أجده في معاني القرآن للفراء، انظر توثيقه في معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٨).

(٢) جامع البيان للطبري (١٥/ ١٩٩).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٨٣)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٣).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٩٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٠٠).

(٥) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٦).

(٦) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣١).

(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٨).

والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والمراغي) [١].

القول الرابع:

أن معنى مسحوراً أي: ساحراً، فوضع مفعولاً في موضع فاعل، وهذا مروي عن الفراء وأبي عبيد[٢]، وقال ابن جرير: أعطيت علم السحر، واختاره: (الطبري، والنحاس، والواحدي، والقرطبي، وابن كثير) [٣].

◈ **الترجيح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين أن ﴿مَسۡحُورًا﴾ على بابه أي: إنك قد سحرت فكلامك مختل، وما يأتي به من غير مستقيم، وذلك لأن حمل المعنى على ظاهر اللفظ أولى.

قال ابن عطية بعد ما ذكر قول الفراء والطبري: « وهذا لا يتخرج إلا على النسب، أي: ذا سحر ملكته وعلمته، فأنت تأتي بهذه الغرائب لذلك وهذه مخاطبة تنقص، فيستقيم أن ﴿مَسۡحُورًا﴾ مفعولاً على ظاهره، وعلى أن يكون بمعنى ساحر يعارضه ما حكى عنهم أنهم قالوا له على جهة المدح: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[٤]، فإما أن يكون القائلون هنالك ليس فيهم فرعون، وإما أن يكون فيهم لكنه تنقل من تنقصه إلى تعظيمه، وفي هذا نظر))[٥].

---

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٦)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٨٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٣٨، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٠١)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٤)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٢٦)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٣٥)، تفسير المراغي (٥/ ٣٦٣).

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٨).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٠)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٠١)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٠).

(٤) سورة الزخرف: آية ٤٩.

(٥) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٤٨٩).

قال -تعالى-: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[٥٣/٦٩] المسألة: معنى ﴿مَثْبُورًا﴾.

رجح أبو حيان ~ تعالى أن معنى الثبور: الهلاك، حيث قال: « الثبور: الهلاك يقال ثبر الله العدو ثبوراً أهلكه، وقال ابن الزبعري[2]:

إذا أُجَارِي الشيطان في سنن الغَيِّ ... ومَنْ مال مِثْلَهُ مَثْبُور[3] »

و لذلك آل أمر فرعون إلى الهلاك، كان أولاً[4] وقال أبو حيان: « موسى عليه السلام يتوقع من فرعون أذى، كما قال: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾[5]، فأمر أن يقول له: قولاً ليناً، فلما قال له الله: ﴿لَا تَخَفْ﴾: وثق بحماية الله فصال على فرعون صولة المحمي، وقابله من الكلام بما لم يكن ليقابله به قبل ذلك، ومثبور: مُهْلَك في قول: الحسن ومجاهد[6]، وملعون، في قول: ابن عباس[7] وناقص العقل فيما روى

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٢.

(٢) عبدالله بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي، ابن الزبعري بكسر الزاي والموحدة وسكون المهملة بعدها رآء مقصورة، كان من أشعر قريش وكان شديداً على المسلمين، أسلم في عام الفتح، انظر الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر (٤/ ٨٧).

(٣) البيت من الخفيف انظر سيرة ابن هشام ص٤١٩، الجمهرة (٢/ ٢٧٧)، تفسير الطبري (١٥/ ٢٠١)، القرطبي (١٠/ ٣٣٨) وهذا البيت لعبد الله بن الزبعري من مقطوعة أربعة أبيات، قالها حين جاء إلى النبي ﷺ مسلماً معتذراً عما فرط منه من هجائه بتحريض قريش على ذلك وأباري: أجاري وأعارض، والسنن بالتحريك: وسط الطرق، ومثبور هالك، وهذا محل الشاهد عند المؤلف رحمه الله.

(٤) البحر المحيط (٦/ ٦٧).

(٥) سورة طه: آية ٤٥.

(٦) انظر جامع البيان (١٥/ ٢٠٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٠٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٨٩)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢١٨).

(٧) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٠٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٨٩)، الدر المنثور =

ميمون بن مهران[١][٢]، ومسحور في قول الضحاك[٣]، قال: رد عليه مثل ما قال له فرعون مع اختلاف اللفظ، وعن الفراء[٤] مثبور: مصروف عن الخير مطبوع على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك » [٥].

❖ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في معنى كلمة مثبوراً على أقوال منها:

القول الأول:

إن المثبور هو: الملعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٦]، وبه قال الضحاك[٧]، ورده الآلوسي وقال: « والأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبرؤون من أن يلعنوا أو يسبوا، وأكرم من أن يلعنوا أو يسبوا » [٨].

= للسيوطي (٥/ ٣٠٢).

(١) ميمون بن مهران الجزري، أبو أيوب، أصله كوفي، ولي الجزيرة لعمر بن عبدالعزيز، روى له البخاري في الأدب المفرد، ومسلم وأبو داود والترميذي والنسائي وابن ماجة، ثقة كبير القدر، توفي ١١٧هـ، انظر تقريب التهذيب (١/ ٥٥٦).

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٨)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٠٢).

(٣) انظر تفسير الضحاك (١/ ٥٣٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٠٨).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٢)، وانظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٦).

(٥) البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٣).

(٦) سبق توثيقه انظر ص٣٩٩.

(٧) انظر تفسير الضحاك (١/ ٥٣٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٠٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٨٩).

(٨) روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٥٧).

القول الثاني:

أن المثبور هو: المغلوب، رواه العوفي عن ابن عباس[1]، وبه قال الضحاك[1]، واختاره: (الكلبي[2]، ومقاتل[2]).

القول الثالث:

أن المثبور هو: الناقص العقل، رواه ميمون بن مهران[3] عن ابن عباس وقال ابن زيدهو: المخبول[4].

القول الرابع:

أن المثبور هو: المُهْلَك، رواه ابن أبي طلحه عن ابن عباس[5]، وهو: قول الحسن[6]، ومجاهد، وبه قال أبو عبيده[7]، وابن قتيبة[8].

قال الزجاج[9]: يقال: ثُبر الرجل فهو مثبور: إذا أُهلك، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (السمرقندي، الزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي والنسفي وابن القيم، وابن كثير، والسمين الحلبي، وابن عادل الحنبلي، والشوكاني، والآلوسي والطاهر بن عاشور، والقاسمي)[10].

---

(١) انظر تفسير الضحاك (١/ ٥٣٧)، جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٢).

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٨).

(٣) انظر ص٤٠٠ هامش (٢).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٨٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٨).

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٩).

(٦) سبق توثيقه انظر ص٣٩٩ .

(٧) الوسيط للواحدي (٣/ ١٣١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٩).

(٨) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٦٩).

(٩) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٦٣).

(١٠) انظر ذلك على الترتيب: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٤٨٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٥٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٨)، مدارك التنزي للنسفي ص٦٣٨، بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ١١٠)، تفسير =

القول الخامس:

أن المثبور هو: الممنوع من الخير، تقول العرب: ما شرك عن هذا، أي: ما منعك، قاله الفرآء[١]، واختاره: (الطبري، والنحاس، وأبو السعود، والمراغي) [٢].

القول السادس:

إن المثبور هو: المسحور، وهو قول الضحاك، قال: رد عليه مثل ما قال له فرعون مع اختلاف اللفظ.

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن معنى كلمة مثبور أي مهلك وذلك لما يلي، أصل الثبور الهلاك، قال ابن فارس: « والثاء والباء والراء أصولٌ ثلاث: الأول: السهولة، والثاني: الهلاك، والثالث: المواظبة على الشيء فالأرض السهلة هي الثَّبْرَة، وأما الهلاك فالثبور، ورجل مثبور هالك...

وفي كتاب الله -تعالى-: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [٣]، وأما الثالث فيقال: ثابرت على الشيء، أي: واظبت » [٤].

قال الراغب: « الثبور: الهلاك والفساد » [٥].

= القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٢٣)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٤١٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٢٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٣٥).

(١) سبق توثيقه انظر ص٤٠٠ هامش (٤).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٠٣)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦١) تفسير المراغي (٥/ ٣٦٤).

(٣) سورة الفرقان / آية ١٤.

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٠١).

(٥) مفردات الفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص(١٧١)، انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(٣٢٣).

قال الفخر الرازي: « وقال الزجاج: يقال: ثبر الرجل فهو مثبور إذا هلك، والثبور الهلاك، ومن معروف الكلام فلان يدعو بالويل والثبور عن مصيبة تناله، وقال -تعالى-: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [1]، واعلم أن فرعون لما وصف موسى بكونه مسحور أجابه موسى بأنك مثبور، يعني هذه الآيات ظاهرة وهذه المعجزات ظاهرة ولا يرتاب العاقل في أنها من عند الله وفي أنه -تعالى- إنما أظهرها لأجل تصديقي وأنت تنكرها فلا يحملك على هذا الإنكار إلا الحسد والعناد والغي والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك كانت عاقبته الدمار والثبور » [2].

(١) سورة الفرقان: آية ١٤.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٥٦).

قال -تعالى-: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[1]، وفيها مسألتان:

[٥٤/٧٠] المسألة الأولى: الأرض المأمور بسكناها.

رجح أبو حيان ~ أن الأرض المأمور بسكناها في قوله -تعالى-: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾، هي: أرض الشام؛ حيث قال ~ : « والضمير في من بعده عائد على فرعون أي من بعد إغراقه، والأرض المأمور بسكناها أرض الشام »[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في الأرض المأمور بسكناها في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن الأرض المأمور بسكناها هي أرض الشام، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الطبري، والسمرقندي، والبغوي، وابن الجوزي، وابن عطية، والقرطبي، وابن عادل الحنبلي، والطاهر بن عاشور، والمراغي)[3].

القول الثاني:

أنها هي الأرض التي أراد أن يستفزكم منها فرعون، وهي: أرض مصر، وقد

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٣).

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٣)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٣٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٩)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢٠/ ٤٠٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٨٨)، تفسير المراغي (٥/ ٣٦٤).

اختاره: (الزمخشري وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي) [١].

القول الثالث:

إنها أرض ما وراء الصين، قاله مقاتل[٢]، وهذا بعيدٌ جداً.

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من المفسرين بأن الأرض المأمور بسكناها هي أرض الشام وذلك لأنها هي الأرض المقدسة التي أمر بسكناها، قال الطاهر بن عاشور: « والأرض الأولى هي المعهودة وهي أرض مصر، والأرض التي الثانية هي أرض الشام وهي المعهود لبني إسرائيل بوعد الله إبراهيم إياها » [٣].

قال ابن عطية: « ومتى ذكرت الأرض عموما فإنما يراد بها ما يناسب القصة المتكلم فيها وقد يحسن عمومها في بعض القصص، وقوله -تعالى-: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم ﴾ أي يستخفهم ويقلعهم، إما بقتل أو بإجلاء والأرض أرض مصر، فأغرق الله فرعون وجنوده وهذا كان نهاية الأمر، ثم ذكر الله -تعالى- أمر بني إسرائيل بعد إغراق فرعون بسكن أرض الشام » [٤].



(١) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٨)، والإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٦٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٦)، وروح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٦).

(٢) انظر زاد المسير لأبن الجوزي (٥/ ٧٠).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٢٨).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٠) باختصار وتصرف يسير.

[٥٥/٧١] المسألة الثانية : المراد بوعد الآخرة .

رجح أبو حيان ~ بأن المراد بوعد الآخرة هو: قيام الساعة؛ حيث قال ~ : «والظاهر أن يكون الأمر بذلك حقيقة على لسان موسى عليه السلام، ووعد الآخرة: قيام الساعة»[١].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بوعد الآخرة على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بوعد الآخر: قيام الساعة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره من المفسرين: (الطبري، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن عادل الحنبلي، وأبو السعود، والشوكاني والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والمراغي)[٢].

القول الثاني:

أن المراد بوعد الآخرة: وعد الكرة، ووعد الإقامة، قاله: مقاتل[٣].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٣).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٢)، والوسيط للواحدي (٣/ ١٣١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٨)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٠)، وزاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ٧٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٥٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٩)، ومدارك التنزيل للنسفي ص٦٣٨، واللباب في علوم الكتاب لأبن عادل الحنبلي (١٢/ ٤٠٣)، وارشاد العقل السليم لابي السعود (٤/ ١٦٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٦)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٢٨)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٣٦)، تفسير المراغي (٥/ ٣٦٤).

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٨).

القول الثالث:

أن المراد بوعد الآخرة هو: نزول عيسى – عليه السلام – من السماء، قاله: قتادة [١]، وهو قول: الكلبي [٢].

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن المراد بوعد الآخرة هو قيام الساعة وذلك لما يلي:

١. لأنه قول الجمهور كما سبق [٣]، قال الطاهر بن عاشور: « وعد الآخرة ما وعد الله به الخلائق على السنة الرسل من البعث والحشر،و معنى الآية حكمنا بينهم في الدنيا بفرق الكفرة وتمليك المؤمنين وسنحكم بينهم يوم القيامة » [٤].

وقال القونوي [٥] – بعد أن ذكر قول البيضاوي من أن المراد بوعد الآخرة الكره أو الساعة أو الدار الآخرة –: أشار إلى أن الموصوف مقدر بوجوه شتى وظاهرة الدار الآخرة لأنه مذكور في موضع آخر وكذا الحياة والساعة، وأما الكرة فليست في هذه المرتبة في الظهور [٦] مع أنه قدمها [٧].



(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٨).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٩).

(٣) انظر دراسة المسألة ص٤٠٦ .

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٢٨-٢٢٩) باختصار يسير.

(٥) القونوي هو عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي ابو الفداء القونوي، المتوفي سنة ١١٩٥هـ، كان عارفاً بالمنطق والتفسير والأصول وغير ذلك، عمل حاشية على تفسير الإمام البيضاوي المتوفي سنة ٦٨٥هـ. انظر هدية العارفين (١/ ٢٢٢)، الأعلام (١/ ٣٢٥)، معجم المؤلفين (٢/ ٢٩٤) .

(٦) أشار به إلى أن فيه نوع مقصود في الترتيب إلا أن يقال إنه أراد ذكر ماهو المرجوح أولاً ثم الراجح المختار ثانياً.

(٧) يقصد الإمام البيضاوي ، انظر حاشية القونوي (١١/ ٦٠٦).

قال -تعالى-: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥)﴾[١]، وفيها مسألة واحدة:

[٥٦/٧٢] المسألة: مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ عائد على القرآن الكريم؛ حيث قال ~ : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ هو مردود على قوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ﴾[٢] الآية وهكذا طريقة كلام العرب وأسلوبها، تأخذ في شيء وتستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى الآخر ثم تعود إلى ما ذكرته أولاً، وأبعد من ذهب إلى أن الضمير في أنزلناه عائد على موسى عليه السلام وجعل منزلاً كما قال -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾[٣]، أو عائد على الآيات التسع وذكر على المعنى أو عائد على الوعد المذكور قبله »[٤].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في هاء الكناية يعود على ماذا؟ فذهبوا في ذلك إلى أقوال، منها:

القول الأول:

إنها عائدة على القرآن الكريم لأنه سبق ذكره في وسط السورة في أكثر من موضع، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره من المفسرين: (الطبري والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، ابن عادل الحنبلي، وأبو السعود والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)[٥].

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٥.

(٢) سورة الإسراء: آية ٨٨.

(٣) سورة الحديد: آية ٢٥، أي جعل منزلاً كما هو شأن الحديد أنظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٢٤).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٨٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٦).

(٥) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٢)، ⇐ =

القول الثاني:

أن الضمير يعود على موسى عليه السلام [١].

القول الثالث:

أن الضمير يعود على الآيات التسع[٢].

القول الرابع:

أن الضمير يعود على الوعد المذكور[٣].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن الضمير (هاء الكناية) تعود على القرآن الكريم وذلك لما يلي:

١- لأن هذا قول جمهور المفسرين [٤].

٢- تقديم قاعدة: إعادة الضمير إلى المحدث عنه على غيرها من قواعد الضمائر، وجرت عادة العرب في كلامهم بالاستطراد في أمر ثم العود إلى ما ذكرته أولاً، وقد تقدم ذكر القرآن في سورة الإسراء في أكثر من موضع قال ابن عطية ~ : « وأشار بالقرآن على

= الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٦)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٨)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٠)، وزاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ٧٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٥٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢١٩)، ومدارك التنزيل للنسفي ص٦٣٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٢)، واللباب في علوم الكتاب لأبن عادل الحنبلي (١٢/ ٤٠٤)، وارشاد العقل السليم لابي السعود (٤/ ١٦٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٦) روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٦)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٢٨).

(١) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٢٤)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٠٤).

(٢) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٢٤)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٠٤).

(٣) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٢٤)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٠٤).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٤٠٨ .

ذكر متقدم لشهرته كما قال -تعالى-: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾[1] وهذا كثير »[2]، قال السمين الحلبي: « والضمير في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ الظاهر عوده للقرآن: إما الملفوظ به في قوله -تعالى- قبل ذلك: ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [3]، ويكون ذلك جرياً على قاعدة أساليب كلامهم، وهو أن يستطرد المتكلم في ذكر شيء لم يسبق له كلامه أولاً ثم يعود إلى كلامه الأول، وإما للقرآن غير الملفوظ أولاً، لدلالة الحال عليه كقوله -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[4] »[5].

---

(١) سورة ص: آية ٣٢.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٠).

(٣) سورة الإسراء: آية ٨٨.

(٤) سورة القدر: آية ١.

(٥) الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٢٤).

قال -تعالى-: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾[1]، وفيها ثلاث مسائل:

[٥٧/٧٣] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله: ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ وفي قوله: ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن الضمير في قوله -تعالى-: ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ والضمير في قوله: ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ في الآية يعودان على القرآن حيث قال: « والظاهر أن الضمير في قوله -تعالى-: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ عائد على القرآن... والظاهر أن الضمير في قوله: ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ عائد على القرآن كما عاد عليه في قوله ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾، ويدل عليه ما قبله وما بعده، وقيل: الضميران في: ﴿بِهِۦٓ﴾ و في ﴿قَبْلِهِۦٓ﴾ عائدان على الرسول ﷺ »[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ وفي قوله: ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن مرجع الضمير في الموضعين يعود على القرآن، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الطبري، والسمرقندي، والماوردي، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، القرطبي وابن عادل الحنبلي، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)[3].

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٧.

(٢) البحر المحيط (٦/ ٨٥) باختصار يسير، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٦).

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٢)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٨٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٢)،، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٩)،، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩١)، وزاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ٧١)، مفاتيح =

القول الثاني:

أن مرجع الضمير في الموضعين يعود على النبي ﷺ، وهو قول: ابن زيد[١]، وقول ابن زيد هذا لا يتم إلا مع تقدير محذوف، والأصل إجراء الكلام على ظاهره، ولهذا عقب الآلوسي على قول ابن زيد قائلاً: « ويأباه السياق واللحاق »[٢].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن مرجع الضمير في قوله: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ﴾[٣] وقوله: ﴿مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾[٤] يعود على القرآن الكريم لذلك لدلالة السياق القرآني.

قال الطبري: « وجعلت الهاء التي في قوله: ﴿مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾[٥] من ذكر القرآن، لأن الكلام بذكره جرى قبله، وذلك قوله: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ﴾[٦] وما بعده في سياق الخبر عنه فلذلك وجبت مصلحة ما قلنا إذا لم يأت بخلاف ما قلنا فيه حجة يجب التسليم لها »[٧].

قال الشوكاني: « وقيل الضمير في قوله: ﴿مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ راجع إلى النبي ﷺ، والأولى ما ذكرناه من رجوعه إلى القرآن لدلالة السياق على ذلك، وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ

= الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٥٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٢٠) واللباب في علوم الكتاب لأبن عادل الحنبلي (١٢/ ٤٠٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٨)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٣٣).

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٨)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩١)، وزاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ٧١) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٢٠)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٠٤).

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٩).

(٣) سورة الإسراء: آية ١٠٧.

(٤) سورة الإسراء: من آية ١٠٧.

(٥) سورة الإسراء: من آية ١٠٦.

(٦) سورة الإسراء: آية ١٠٧.

(٧) جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٩)، وانظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٩).

وحاصلها أنه إن لم يؤمن به هؤلاء الجهال الذين لا علم عندهم ولا معرفة بكتب الله ولا بأنبيائه، فلا تبال بذلك، فقد آمن به أهل العلم وخشعوا له وخضعوا عند تلاوته عليهم خضوعاً ظهر أثره البالغ بكونهم يخرّون على أذقانهم سجداً لله » [1].

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٨).

[٥٨/٧٤] المسألة الثانية: المراد بالذين أوتوا العلم.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالذين أوتوا العلم هم مؤمنو أهل الكتاب؛ حيث قال ~ : « والذين أوتوا العلم، هم: مؤمنو أهل الكتاب، وقيل: ورقة بن نوفل[(١)]، وزيد بن عمرو بن نفيل[(٢)]، ومن جرى مجراهما، فإنهما كانا ممن أوتي العلم. واطلعا على التوراة والإنجيل، ووجد فيهما صفته ﷺ، وقيل: هم جماعة من أهل الكتاب جلسوا وهم على دينهم فتذكروا أمر النبي ﷺ وما أنزل عليه، وقرئ عليهم منه شيء فخشعوا وسجدوا لله وقالوا: هذا وقت نبوة المذكور في التوراة، وهذه صفته، ووعد الله به واقع لا محالة وجنحوا إلى الإسلام هذا الجنوح فنزلت هذه الآية فيهم، وقيل: المراد بالذين أوتوا العلم من قبله هو محمد ﷺ » [(٣)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [(٤)] على أقوال منها:

القول الأول:

أنهم مؤمنو أهل الكتاب، قاله: مجاهد[(٥)]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد

---

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصي القرشي الأسدي ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ، ذكره الطبري، والبغوي، وابن السكن في الصحابة، قال الحافظ ابن حجر ولكن الحديث الذي ثبت في الصحيح فيه أن ورقة أقر بنبوة النبي ﷺ ولكن مات قبل الدعوة، وفي إثبات الصحبة له نظر، انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٦٠٧)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٣/ ٣).

(٢) زيد بن عمرو بن نفيل العدوي والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، ابن عم عمر ابن الخطاب، ذكره البغوي وابن منده وغيرها في الصحابة، وفيه نظر لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين، انظر الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر (٣/ ٦١٣)، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٦٣).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٨٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٦).

(٤) سورة الإسراء آية: ١٠٧.

(٥) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٨٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٠٤).

اختاره: (الطبري، والسمرقندي، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، وابن كثير، وأبو السعود، والآلوسي)[(١)].

القول الثاني:

أنهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قاله ابن زيد[(٢)].

القول الثالث:

أنهم: طلاب الدين؛ كورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، ومن جرى مجراهما، قال القرطبي: «وعلى هذا ليس يريد أوتوا الكتاب، بل يريد أوتوا علم الدين»[(٣)]، واختاره: (الواحدي، والبغوي، والفخر الرازي، وابن عادل، والشوكاني، والطاهر بن عاشور)[(٤)].

القول الرابع:

أنهم أمة محمد ﷺ ، قاله: الحسن[(٥)].

---

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٨)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٢)، للزمخشري (٣/ ٥٥٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٢٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٢)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٨).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٢٠).

(٤) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٥٨)، اللباب في علوم الكتاب لأبن عادل الحنبلي (١٢/ ٤٠٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٣٣).

(٥) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٨٠).

◊ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ هم أهل العلم من أهل الكتاب، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [1] وكقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [2]، قال أبو السعود: «﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من التميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل ورأوا فيها نعتك ونعت ما أنزل إليك» [3].

---

(١) سورة سبأ: آية ٦.

(٢) سورة الشعراء: آية ١٩٧.

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦٢).

[٥٩/٧٥] المسألة الثالثة: مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ﴾[١].

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ﴾ يعود على القرآن؛ حيث قال ~ : « والظاهر في قوله: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أن الضمير في ﴿يُتْلَىٰ﴾ عائد على القرآن، وقيل: هو عائد على التوراة، وما فيها من تصديق للقرآن ومعرفة النبي عليه الصلاة والسلام »[٢].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير يتلى في قوله -تعالى-: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن مرجع الضمير يعود على القرآن، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الطبري، والسمرقندي، والبغوي والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير وابن عادل، وأبو السعود،و الشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)[٣].

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٠٧.

(٢) البحر المحيط (٦/ ٨٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ٨٦).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٢)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٧)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٩)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩١)، زاد المسير لأبن الجوزي (٥/ ٧١)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٥٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٢٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٣٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٢)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٤٠٧)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦٢)، فتح القدير للشوكاني (٦/ ٢٣٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٧٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٣٣).

القول الثاني:

أنه يعود على التوراة وما فيها من تصديق القرآن ومعرفة النبي ﷺ، وهو قول : (ابن زيد، وابن جريج) [(١)].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿ يُتْلَىٰ ﴾ يعود على القرآن وذلك لما يلي:

١- لدلالة السياق القرآني، قال الطبري: « وإنما قلنا: عني بقوله: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[(٢)] القرآن؛ لأنه في سياق ذكر القرآن لم يجر ذكرٌ لغيره من الكتب، فيصرف الكلام إليه » [(٣)] ودلالة السياق من أقوى أدلة الترجيح.

٢- لأنه قول الجمهور، وتفسير جمهور السلف مقدم على غيره[(٤)].

---

(١) جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٨-٢٠٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٢٠)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٠٤).

(٢) سورة الإسراء: آية ١٠٧.

(٣) جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٠٩).

(٤) قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/ ٢٨٨).

قال -تعالى-: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ [١]، وفيها مسألة واحدة:

[٦٠/٧٦] المسألة : المراد بالصلاة في الآية .

رجح أبو حيان ~ أن كلمة الصلاة تحتمل معنيين، فهي تحتمل معنى الدعاء، كما قال: ابن عباس، وعائشة - ﭫ - ، وتحتمل: أيضاً: قراءة القرآن في الصلاة؛ كما ورد عن ابن عباس { ، حيث قال ~ : « والصلاة هنا الدعاء، قاله: ابن عباس[٢] وعائشة[٣] وجماعة، وعن ابن عباس[٤] أيضاً: هي قراءة القرآن في الصلاة، فهو حذف مضاف أي بقراءة الصلاة، ولا يلبس تقدير هذا المضاف لأنه معلوم أن الجهر والمخافته معتقبان على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأذكار وكان عليه الصلاة والسلام يرفع صوته بقراءته فيسب المشركون ويلغون، فَأمِر بأن يخفض من صوته حتى لا يُسمع المشركين، وأن لا يخفت حتى يسمعه من وراءه من المؤمنين، .... وقال ابن عباس والحسن: لا تحسن علانيتها وتسيء

---

(١) سورة الإسراء: آية ١١٠.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١١)، المحرر الوجيز لأبن عطية (٣/ ٤٩٢)، تفسير القرآن العظيم لأبن كثير (٣/ ٧٣)، الدر المنثور (٥/ ٣٠٨).

(٣) انظر جامع البان للطبري (١٥/ ٢١١)، وأخرجه البخاري كتاب التفسير باب ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ (٨/ ٤٠٥)، وكتاب الدعوات باب الدعاء في الصلاة (١١/ ١٣١)، وكتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ﴾ (١٣/ ٥٠١)، ومسلم في كتاب الصلاة باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية (١/ ٣٢٩)، والموطأ باب العمل في الدعاء ص١٥٢ وفي الدر المنثور (٥/ ٣٠٨)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/ ٤٩٩)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٤٠).

(٤) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير باب ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ (٨/ ٤٠٤ - ٤٠٥)، والتوحيد بقوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ (١٣/ ٤٦٣)، وباب قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ﴾ (١٣/ ٥٠٠)، ومسلم في الصلاة باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية (١/ ٣٢٩) والترمذي في التفسير باب ومن سورة بني اسرائيل (٥/ ٣٠٦ - ٣٠٧)، والنسائي (٢/ ١٧٧) وابن جرير في جامع البيان (١٥/ ٢١٢)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٠٦) وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مرداويه والطبراني والبيهقي في سننه (٤/ ٢٠٦).

سريتها[١] وعن عائشة: الصلاة يراد بها هنا التشهد[٢]، وقال ابن سيرين: كان الأعراب يجهرون بتشهدهم[٣]، فنزلت الآية في ذلك، وكان أبو بكر يسر قراءته وعمر يجهر بها، فقيل لهما في ذلك، فقال أبو بكر: إنما أناجي ربي وهو يعلم حاجتي، وقال عمر: أنا أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان[٤]، فلما نزلت قيل لأبي بكر: أرفع أنت قليلاً، وقيل لعمر: اخفض أنت قليلاً[٥]، وعن ابن عباس أيضاً: المعنى ولا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت بصلاة الليل[٦]، وقال ابن زيد: معنى الآية: النهي عن ما يفعله أهل الإنجيل والتوراة من رفع الصوت أحياناً فيرفع الناس معه ويخفض أحياناً فيسكت الناس خلفه[٧] انتهى »[٨].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في المراد بالصلاة في قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ على ثلاث أقوال:

القول الأول:

أنه عني بالصلاة هنا الدعاء، ومعنى ذلك ولا تجهر بدعائك ولا تخافت به، وكما في

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/ ٤٩٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٣)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٠٩).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (١٣/ ٤٩٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٣)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٠٩).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧٣).

(٤) الوَسَن والوسْنه والسِّنَة: شدة النوم أو أوله، أو النعاس، انظر لسان العرب (٦/ ٤٨٣٩)، ترتيب القاموس (٤/ ٦١٢).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١٤)، وزاد في الدر المنثور (٥/ ٣٠٧) نسبته لسعيد بن منصور والبيهقي في شعب الإيمان وابن المنذر وفيه قال ابن سيرين نبئت أن أبا بكر رضي الله عنه كان إذا قرأ... الحديث وهو منقطع كما ترى بين ابن سيرين وأبي بكر.

(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٢)، زاد المسير لأبن الجوزي (٥/ ٧٣).

(٧) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٢).

(٨) البحر المحيط (٦/ ٨٧)، وانظر النهر (٦/ ٨٩).

صحيح البخاري عن عائشة < قالت: (أنزل ذلك في الدعاء)[١]، قال النحاس في ناسخه: (وهذا أحسن ما قيل في هذه الآية لان فيه هذا التوقيف عن عائشة)[٢] والمعروف من كلام العرب أن الصلاة: الدعاء، ولا يقال للقراءة صلاة إلا على المجاز، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه[٣] وأبي هريرة[٤] ومجاهد[٤] .

القول الثاني:

أنه عني بذلك الصلاة المشروعة، واختلف قائلوا ذلك فيما نهى عنه من الجهر بها والمخافتة فيها على خمسة أوجه:

الوجه الأول:

أنه نهى عن الجهر بالقراءة فيها لأن رسول ﷺ بمكة كان يجهر بالقراءة جهراً شديداً، فكان إذا سمعه المشركون سبّوه، فنهاه الله -تعالى- عن شدة الجهر، وأن لا يخافت بها حتى لا يسمعه أصحابه، ويبتغي ذلك سبيلاً، قاله ابن عباس[٥]، واختاره: (الطبري، الزجاج، والسمرقندي والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وابو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والسعدي، والمراغي)[٦].

---

(١) سبق توثيقه انظر ص٤١٩ .

(٢) انظر الناسخ والمنسوخ (٢/ ٤٩٩).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٤١٩ .

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧٣).

(٥) سبق توثيقه انظر ص٤٢٠ .

(٦) انظر ذلك في كله على الترتيب التالي، انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١٦)، معاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٣)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٢٣)، ومدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٢)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٢٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٨٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ٦٣٨)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ١٠٨)، تفسير المراغي (٥/ ٣٦٧).

الوجه الثاني:

أنه نهى عن الجهر بالقراءة في جميعها، وعن الإسرار بها في جميعها، وأن يجهر في صلاة الليل ويسر في صلاة النهار.

الوجه الثالث:

أنه نهى عن الجهر بالتشهد في الصلاة، قاله ابن سيرين[1].

الوجه الرابع:

أنه نهى عن الجهر بفعل الصلاة لأنه كان يجهر بصلاته بمكة، فتؤذيه قريش، فخافت بها واستسر فأمره الله ألا يجهر بها كما كان، ولا يخافت بها كما صار، ويبتغي بين ذلك سبيلاً، قاله عكرمة[1].

الوجه الخامس:

يعني لا تجهر بصلاتك تحسنها مرائياً بها في العلانية، ولا تخافت بها تسيئها في السريرة، قال الحسن: تحسّن علانيتها وتسيء سريرتها[1].

القول الثالث:

أن المراد بالصلاة في الآية المعنيين: الدعاء، والقراءة فيكون معنى الآية: أي لا ترفع صوتك بقراءتك أو بدعائك ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك الجهر والخفاء سبيلاً [2]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ؛ حيث قال في النهر: « والصلاة هنا: الدعاء قاله: ابن عباس، ومعلوم أن الجهر والمخافتة معتقبان على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأركان وكان ﷺ يرفع صوته بقراءته، فيسب المشركون ويلغون، فأمر بأن يخفض من صوته حتى لا يُسمعْ المشركون، وأن لا يخافت حتى يسمعه من وراءه من المؤمنين » [3]، وقد اختاره: (البغوي، وابن عطية، والفخر الرازي، وابن عادل الحنبلي، والطاهر بن عاشور) [4].

---

(١) سبق توثيقه انظر ص٤٢٠ .

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٩) .

(٣) انظر النهر الماد (٦/ ٨٩).

(٤) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٦٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٥٩) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٤١١)، التحرير والتنوير للطاهر ⇐ =

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو مارجحه أبو حيان ومن وافقه من المفسرين بأن المراد المعنيين أي لا ترفع صوتك بقراءتك أو بدعائك ولا تخافت بها، وابتغ بين الجهر والخفاء سبيلاً، وذلك لمايلي:

١- جائز أن تطلق الصلاة على القراءة لأنها من أعمالها، وأن يراد بها الدعاء لأنه معروف من اللغة قال الراغب: « قال كثير من أهل اللغة: هي الدعاء، والتبريك، والتمجيد ويقال صليت عليه أي: دعوت له وزكيت... والصلاة التي هي العبادة المخصوصة أصلها الدعاء، وسميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه »[(١)].

٢- ويمكن الجمع بين القولين بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة، فنهى النبي ﷺ عن الجهر بقراءته ودعائه جهراً قوياً يكون سبباً في نيل المشركين وشبه وعن المخافته بهما حتى لا يسمعه من يريد سماعه، فإذا قالوا منه بسبب القراءة سينالون منه بسبب الدعاء أيضاً فالجمع ممكن، ويشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: { إذا صلى عند البيت ورفع صوته بالدعاء... فنزلت }[(٢)].

٣- قال الطاهر بن عاشور: «والصلاة تحتمل الدعاء، وتحتمل العبادة المعروفة، وقد فسرها السلف هنا بالمعنيين، ومعلوم أن من فسر الصلاة بالعبادة المعروفة فإنما أراد قراءتها خاصة لأنها التي توصف بالجهر والمخافته، وعلى كلا الاحتمالين فقد جهر النبي ﷺ بذكر الرحمن فقال فريق من المشركين: ما الرحمان؟ وقالوا: إن محمداً يدعو إلهين، وقام فريق منهم يسب القرآن ومن جاء به أو يسب الرحمان ظنا أنه رب آخر غير الله تعالى وغير آلهتهم فأمر الله رسوله أن لا يجهر بدعائه أو لا يجهر بقراءة صلاته في الصلاة الجهرية»[(٣)].

= ابن عاشور (٦/ ٢٣٧٨).

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص٤٩١.

(٢) انظر فتح الباري (٨/ ٢٥٨)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٠٢)، وانظر أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٢٢٢)، والفتاوى لابن تيمية (١٥/ ٣٣).

(٣) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٣٧).

ترجيحات أبي حيان الأندلسي

في

سورة الكهف

قال -تعالى-: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١﴾[1] وفيها مسألتان:

[١/٧٧] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾:

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في ﴿لَّهُۥ﴾ عائد على الكتاب؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن الضمير في ﴿لَّهُۥ﴾ عائد على الكتاب، وزعم قوم أن الضمير في (له) عائد على (عبده) والتقدير: على عبده وجعله قيماً »[٢].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ على قولين:

القول الأول:

أنه عائدٌ على الكتاب، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (ابن عادل الحنبلي، والسمين الحلبي، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)[٣].

القول الثاني:

أنه عائد على عبده، وذهب اليه القاشاني[٤] حيث قال: « أي: لم يجعل لعبده زيغاً وميلاً، وجعله قيماً، يعني مستقيماً كما أمر بقوله: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[5] أو قيماً بأمر

---

(١) سورة الكهف: آية ١.

(٢) البحر المحيط (٦/ ٩٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٩٤).

(٣) انظر اللباب لابن عادل (١٢/ ٤١٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٣٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٩٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٤٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨).

(٤) هو كمال الدين أبي الغنام: عبدالرزاق بن جمال القاشاني السمرقندي، له كتاب تأويلات القرآن، المعروف بتأويلات القاشاني، وهو تفسير بالتأويل على اصطلاح التصوف، توفي القاشاني سنة ٨٧٨هـ، انظر كشف الظنون (١/ ٣٣٦).

(٥) سورة هود: آية ١١٢.

العباد وهدايتهم، إذ التكميل يترتب على الكمال، لأنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من تقويم نفسه وتزكيتها، أقيمت نفوس أمته مقام نفسه، فأمر بتقويمها وتزكيتها، ولهذا المعنى سمي إبراهيم -صلوات الله عليه- أمة، وهذه القيّمية أي: القيام بهداية الناس، داخلة في الاستقامة المأمور هو بها في الحقيقة)) (١).

❖ **الترجيح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ عائد على الكتاب وذلك لما يلي:

١. للنظائر القرآنية التي تشهد أن القرآن غير ذي عوج، قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (٢)، وقوله -تعالى-: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ (٣).

٢. لأن هذا هو الظاهر كما ذكر القاسمي ~ (٤)، وقال الآلوسي: « وزعم بعضهم أن ضمير (له) عائد على (عبده) وحينئذ لا يتأتى جميع التخاريج الإعرابية المترتبة على عودة الكتاب » (٥).

---

(١) نقلاً عن محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨).

(٢) سورة الزمر: آية ٢٧ – ٢٨.

(٣) سورة الأنعام: آية ١١٥.

(٤) انظر محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨).

(٥) روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٩٣) بتصرف يسير.

[٢/٧٨] المسألة الثانية: معنى العوج في قوله -تعالى-: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾[1].

رجح أبو حيان ~ أن معنى عوجاً أي لا تناقض في الكتاب ولاختلاف في معانيه وأنه في غاية الاستقامة حيث قال ~: « والعوج في المعاني: كالعوج في الأشخاص ونكر ﴿عِوَجَا ۜ﴾ ليعم جميع أنواعه، لأنها نكرة في سياق النفي، والمعنى: أنه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه، ولا حوشيه[2]، ولاعيّ[3] في تراكيبه ومبانيه »[4].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى كلمة ﴿عِوَجَا ۜ﴾ في قوله -تعالى-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

أنه لم يجعله مختلفاً كما قال -تعالى-: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[5] أي: مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تفاوت بل يصدق بعضة بعضاً، لا عوج

---

(١) سورة الكهف: آية ١.

(٢) حوشي فيه: والحوشي الوحشي، حُوشي الكلام: وحشيه وغريبة، ويقال فلان يتتبع حوشي الكلام ووحْشي الكلام وعُضْيّ الكلام بمعنى واحد، وفي حديث عمر: ولم يتتبع حَوشي الكلام أي: وحشيه، وعقده، وغريبه، والغريب المشكل منه، أنظر لسان العرب لإبن منظور (٦/ ٢٩٠)، النهاية في غريب الأثر لابن الجوزي (١/ ١٠٨٢)، وأضاف د/ عبدالعزيز عزت: فالقرآن لا حوشي فيه بمعنى: ليس فيه البعيد غير المستعمل أو المنفر غير الفصيح.

(٣) العيّ: الجهل، وفي حديث { شفآء العي السؤال } وعييَ به يَعْيا عيّاً، وعيَّ بالإدغان والتشديد مثل عَيِيَ، ومنه حديث الهَدْي فأزحفت عليه بالطريق فعيَّ بشأنها أي عجز عنها وأشكل عليه أمرها، قال الجوهري: العي خلاف البيان وقد عَيَّ في منطقه وفي المثل: أعْيَا من باقِلٍ، ويقال: عَيَّ بأمره، وعَيي إذا لم يهتد لوجهه، انظر لسان العرب لابن منظور (١٥/ ١١)، النهاية في غريب الأثر لابن الجوزي (٣/ ٦٢٦).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٩٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٩٤).

(٥) سورة النساء: آية ٨٢.

فيه، ولا ميل عن الحق، وقال أهل اللغة (عِوجاً) بكسر العين في الأقوال وبنصب العين في الأشخاص ويقال في خلافه عِوج، وفي هذه الخشبة عَوج[1]، قال الزمخشري: والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان[2]، وهذا مارجحه أبو حيان ~ وقد اختار هذا القول: (الطبري، والزجاج، وأبو الليث السمرقندي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي وابن كثير، وابن عادل، وابو السعود، والشهاب الخفاجي، والقونوي، والشوكاني والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والسعدي، والمراغي)[3].

القول الثاني:

أنه لم يجعله مخلوقاً، كما روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال في قوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[4]، قال: غير مخلوق[5].

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٤).

(٢) الكشاف (٣/ ٥٦٤).

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٢٠)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٦٧)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٣٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٣)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٧٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧٦)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٦٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٢٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٥)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤١٨)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٦٣)، حاشية الشهاب (٦/ ١٢٢)، حاشية القونوي (١٢/ ٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٣٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٩٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٤٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ١٠٩)، تفسير المراغي (٥/ ٣٧٣).

(٤) سورة الزمر: آية ٢٨.

(٥) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٧٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٢٩).

القول الثالث:

أي لم يجعله متلبساً لا يفهم، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[1]، واختاره: (الواحدي)[2].

القول الرابع:

أنه العدول عن الحق إلى الباطل وعن الاستقامة إلى الفساد[3].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن المراد من (عوجاً): نفي العوج عنه، وإثبات أنه المستقيم، قال الطاهر بن عاشور: «والعوج حقيقته: انحراف جسم ما عن الشكل المستقيم فهو ضد الاستقامة، ويطلق مجازاً على الانحراف عن الصواب والمعاني المقبولة المستحسنة.

والذي عليه المحققون من أئمة اللغة أن مكسور العين ومفتوحها سواء على الاطلاقين الحقيقي والمجازي، والمراد بالعوج هنا عوج مذلولات كلامه بمخالفتها للصواب وتناقضها وبعدها عن الحكمة وإصابة المراد، والمقصود: إبطال ما يرميه به المشركون من قولهم افتراه، وأساطير الأولين، وقول كاهن، لأن تلك الأمور لا تخلو من عوج قال -تعالى-: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[4] والمعنى: أن (هذا الكتاب) متصف بكمال أوصاف الكتب من صحة المعاني السلامة من الخطأ والاختلاف »[5].

قال الشنقيطي ~ : « وقوله -تعالى- في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ أي: لم يجعل في القرآن عوجاً، أي لا اعوجاج فيه البتة، لا من جهة الألفاظ، ولا من جهة

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٢/ ٢٢٠)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٨٦).

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٥).

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٨٣).

(٤) سورة النساء: آية ٨٢.

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٤٧-٢٤٨) باختصار يسير.

المعاني، أخباره وأحكامه عدل، سالم من جميع العيوب في ألفاظه ومعانيه، وأخباره وأحكامه، لأن قول قوله (عوجاً) نكرة في سياق النفي فهي تعم جميع أنواع العوج، وما ذكره -جل وعلا- هنا من أنه لا اعوجاج فيه بينه في مواضع أخر كثيرة كقوله: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ﴾ [1] وقوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥) ﴾ [2]، فقوله: (صدقاً) أي: في الأخبار، وقوله: (عدلاً) أي: في الأحكام، وكقوله -تعالى-: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ [3]، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً » [4].

---

(١) سورة الزمر: آية ٢٧-٢٨.

(٢) سورة الأنعام: آية ١١٥.

(٣) سورة النساء: آية ٨٢.

(٤) أضواء البيان (٢/ ٣٣٢-٣٣٣).

قال -تعالى-: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [1] وفيها مسألة واحدة:

[٣/٧٩] المسألة الأولى: معنى ﴿قَيِّمًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيماً، بعد أن بيّن أن المراد بقوله: ﴿عِوَجَا﴾ أي: أنه في غاية الاستقامة لا تناقض ولا اختلاف في معانيه؛ حيث قال ~ : «و﴿قَيِّمًا﴾ تأكيد لإثبات الاستقامة إن كان مدلوله مستقيماً، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه[2] والضحاك[3]، وقيل: ﴿قَيِّمًا﴾ بمصالح العباد وشرائع دينهم وأمور معاشهم ومعادهم، وقيل: ﴿قَيِّمًا﴾ على سائر الكتب بتصديقها» [4].

---

(١) سورة الكهف: آية ٢.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٧٩)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٨٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٧٢)، ذهب الفراء في معاني القرآن (٣/ ١٣٣) أن معنى الآية فيها تقديم وتأخير، وذكره الطبري ورجحه فقال: أنزل الكتاب عدلاً وقيماً، ولم يجعل له عوجاً، فالقيّم مؤخر ومعناه التقديم وروي ذلك عن ابن عباس، ولم يرتض الفخر الرازي هذا القول، حيث قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ يدل على كونه كاملاً في ذاته، وقوله ﴿قَيِّمًا﴾ يدل على كونه مكملاً لغيره، كاملاً في ذاته، متقدم بالطبع على كونه مكملاً لغيره، فثبت بالبرهان أن الترتيب الصحيح ما ذكره القرآن، وفساد ما قالوه من التقديم والتأخير، انظر مفاتيح الغيب (٢١/ ٦٤).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١٩)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٦)، ونسبه إلى ابن المنذر عن الضحاك، وقاله ابن كثير في تفسيره (٣/ ٧٥)، ولم يعزه إلى أحد، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٢٩).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٩٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ٩٤).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى كلمة ﴿قَيِّمًا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن معنى ﴿قَيِّمًا﴾ أي معتدلاً مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تفاوت بل يصدق بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض، لا عوج فيه، ولا ميل عن الحق وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما[1] وقول الضحاك[1]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، والسمين الحلبي، والشوكاني، والآلوسي، والسعدي والشنقيطي)[2].

قال الفخر الرازي: « وهذا عندي مشكل، لأنه لا معنى لنفي الاعوجاج إلا حصول الاستقامة، فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار »[3].

القول الثاني:

أن معنى ﴿قَيِّمًا﴾ أنه: قيم على سائر الكتب يصدقها ويحفظها، كقوله -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[4]،

---

(١) سبق توثيقه انظر ص٤٣١ .

(٢) انظر ذلك على الترتيب التالي: انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢١٩)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٦٧)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٣٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٧٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٢٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٣٤)، القدير للشوكاني (٣/ ٣٣٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٩٢)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ١٠٩).

(٣) انظر مفاتيح الغيب (٢١/ ٦٤).

(٤) سورة المائدة: آية ٤٨.

وقد اختاره: (الفراء) [1] وذكر ابن عطية أن ما ذهب إليه الفراء محتمل، وإن كان ليس من لفظ الاستقامة[2].

القول الثالث:

أن معنى ﴿قَيِّمًا﴾ بمصالح العباد ومالا بد لهم منه عن الشرائع، قال ابن عطية: « وهذا المعنى يؤيده ما بعده من النذارة والبشارة اللذين عمَ العالم » [2]، وذهب الشنقيطي إلى أن هذا القول راجع إلى القول الأول (قول الجمهور) [3].

قال الفخر الرازي: إنه سبب لهداية الخلق وأنه يجري مجرى من يكون قيماً للأطفال، فالأرواح البشرية كالأطفال، والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم » [4]، واختاره: (الفخر الرازي، وابن عادل الحنبلي، وأبو السعود، والطاهر بن عاشور، والقاسمي) [5].

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٣).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٥).

(٣) أضواء البيان (٢/ ٣٣٣).

(٤) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٦٤).

(٥) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٦٤)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤١٨)، ارشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٤٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن معنى (قيماً): أي مستقيماً لا ميل فيه ولا زيغ وذلك لما يلي:

١. للنظائر القرائية التي تشهد لهذا المعنى:

أ/ قال -تعالى-: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ (١).

ب/ وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٢).

٢. لأن هذا القول عليه أكثر المفسرين، وعلماء اللغة(٣)، وغريب القرآن(٤):

قال الشنقيطي ~ : « وهذا الذي فسرنا به قوله -تعالى-: (قيماً) هو قول الجمهور وهو الظاهر وعليه فهو تأكيد في المعنى لقوله -تعالى-: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ (٥)، لأنه قد يكون الشيء مستقيماً في الظاهر وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر، ولذلك جمع الله -تعالى- بين نفي العوج وإثبات الاستقامة » (٦).

قال القرطبي: « وقول الضحاك فيه حُسن، وأن المعنى: مستقيم، أي مستقيم الحكمة، لا خطأ فيه، ولا فساد، ولا تناقض » (٧).



---

(١) سورة البينة: آية ١ - ٣.

(٢) سورة الإسراء: آية ٩.

(٣) قال ابن منظور: (قيماً أي مستقيماً، قال أبو إسحاق: القيم هو المستقيم، والقيم مصدر كالغر والكبر)، لسان العرب (١٢/ ٥٠٣).

(٤) انظر التبيان في غريب القرآن (١/ ٢٠٠).

(٥) سورة الكهف: آية ١.

(٦) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٣٣)، انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٤).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٢٩).

قال -تعالى-: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥﴾ [1] وفيها مسألة واحدة:

[٤/٨٠] المسألة: مرجع الضمير في (به) في قوله -تعالى-: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ﴾.

رجح أبو حيان ~ من أن مرجع الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد على الولد الذي أدّعوه؛ حيث قال ~: « والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ الظاهرُ عائدٌ على الولد الذي أدعوه، قال المهدوي[2]: « فتكون الجملة صفة للولد » [3]، قال ابن عطية: « وهذا معترض لأنه لا يصفه إلا القائل وهم ليس قصدهم أن يصفوه، والصواب عندي أنه نفي مؤتنف اخبر الله -تعالى- به بجهلهم في ذلك، فلا موضع للجملة من الإعراب، ويحتمل أن يعود على الله -تعالى-، وهذا التأويل أذم لهم وأقضى في الجهل التام عليهم وهو قول الطبري[4] انتهى » [5]، وقيل: والمعنى ماهم بالله من علم فينزهوه عما لا يجوز عليه، ويحتمل أن يعود على القول المفهوم من قالوا: أي ماهم بقولهم هذا من علم، فالجملة في موضع الحال أي قالوا جاهلين من غير فكر ولا روية ولا نظر في ما يجوز ويمتنع، وقيل: يعود على الاتخاذ المفهوم من اتخذ: أي ماهم بحكمة الإتخاذ إلا من علم إذ لا يتخذه إلا من هو عاجز مقهور يحتاج إلى مُعين يشد به عضده وهذا مستحيل على الله » [6].

---

(١) سورة الكهف: آية ٥.

(٢) سبق ترجمته، انظر ص٩٩ .

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٥)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤١٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٩٥) وهذه الجملة منفية ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾ فيها ثلاث أوجه:

أظهرها: أنها مستأنفة، سيقت لإخبار بذلك.

الثاني: أنها صفة للولد، قاله المهدوي، ورده ابن عطية: بأنه لا يصفه بذلك إلا القائلون، وهم لم يقصدوا وصفه بذلك.

الثالث: أنها حالٌ من فاعل « قالوا »، أي: قالوه جاهلين، انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٣٩).

(٤) جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٢٣).

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٥).

(٦) البحر المحيط (٦/ ٩٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ٩٤).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن الضمير يعود على الله ﷻ، أي ما لهؤلاء القائلين هذا القول - (اتخذ الله ولد) - بالله، - إنه لا يجوز أن يكون له ولد - من علم، فلجهلهم بالله وعظمته قالوا ذلك، ولا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذي هم عليه اليوم كان لهم بالله وعظمته علم، واختاره: (الطبري)[1].

القول الثاني:

أن الضمير يعود على أقوالهم، أي ما لهؤلاء القائلين هذا القول من مقالهم من حجة ولا بيان، ولأنهم قالوا جهلاً وافتراء على الله، واختاره: (ابن وهب[2]، والسمرقندي، والواحدي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، وابن كثير، والطاهر بن عاشور)[3].

القول الثالث:

أن الضمير يعود على الولد الذي ادّعوه وبإتخاذه، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الزمخشري، والنسفي، وأبو السعود، والشوكاني، والشنقيطي)[4].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٢٣).

(٢) أبو محمد عبدالله بن محمد بن وهب الدينوري، الحافظ العالم المفسر طواف الأقاليم، قال الذهبي: ما عرفت له متناً يهتم به فأذكره أما في تركيب الاسناد فلعله، توفي سنة ٣٠٨هـ، انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠٠)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٤٥).

(٣) انظر الواضح في تفسير القرآن الكريم لابن وهب (١/ ٤٦٨)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٣٤)،، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٢٩)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ٧٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٥١).

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٤٥، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٣٤)، أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٣٣٧).

القول الرابع:

أن الضمير يحتمل أن يعود على الجميع في قوله: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾ أي: بالولد أو باتخاذه، أو بالقول المدلول عليه بـ﴿ٱتَّخَذَ﴾، وبـ﴿قَالُواْ﴾، أو بالله، وقد اختاره: (ابن عادل الحنبلي، والسمين الحلبي، والشهاب الخفاجي، والقونوي، والآلوسي، القاسمي)[1].

◈ الترجيح:

الراجح -والله تعالى أعلم- هو أن الضمير يعود على جميع ما ذكر من أقوال، فالقرآن حمال ذو وجوه، ولا مانع في أن يرجع الضمير إلى جميع هذه الأقوال، وقال الشهاب الخفاجي شارحاً لاختيار البيضاوي هذا القول: (وذكر وجوهاً في المرجع والضمير المجرور بالباء: فالأول: أنه راجع للولد وقدّمه لظهوره ومعنى عدم علمهم به أنه محال ليس مما يعلم، والثاني: أنه راجع إلى الاتخاذ الذي ضُمّن الفعل في قوله -تعالى- ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾، والعدل في قوله: ﴿ٱعْدِلُواْ﴾ [2] وفي نسخة بالواو بدل أو فيكون مع ما قبله وجهاً واحداً - أي: للولد واتخاذه -، والثالث: أو بالقول المفهوم من ﴿قَالُواْ﴾ أي: ليس قولهم هذا ناشئاً عن علم وتفكر ونظر فيما يجوز عليه -تعالى- وما يمتنع، والرابع: أو بالله عطف على قوله: بالولد، إذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ إليه[3].



(١) انظر اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٤٢٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٣٧)، حاشية الشهاب (٦/ ١٣٠)، حاشية القونوي (١٢/ ١٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٩٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨).

(٢) سورة المائدة: آية ٨.

(٣) انظر حاشية الشهاب علي البيضاوي (٦/ ١٣٠) باختصار.

قال -تعالى-: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾[1] وفيها مسألة واحدة:

[٥/٨١] المسألة: معنى ﴿مَا﴾ في قوله -تعالى-: ﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن (ما) في قوله -تعالى-: ﴿مَا عَلَى﴾ هنا لغير العاقل، وأنه يراد به العموم، أي: أن عموم مالا يعقل سواء كان حيواناً، أو نباتاً، أو معدناً، أي: جعلنا جميع ما عليها من غير ذوي العقول زينة للأرض ولأهلها؛ حيث قال ~ : « وارتباط قوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ الآية بما قبلها: هو على سبيل التسلية للرسول ﷺ، لأنه -تعالى- أخبر أنه خلق ما على الأرض من الزينة للابتلاء، والاختبار: أي للناس أيهم أحسن عملاً، فليسوا على نمط واحد في الاستقامة وإتباع الرسل بل لابد أن يكون فيهم من هو أحسن عملاً ومن هو أسوأ عملاً، فلا تغتم ولا تحزن على من فُضلت عليه بأنه يكون أسوأ عملاً مع كونهم يكفرون بي لا أقطع عنهم موادّ هذه النعم التي خلقتها، وجعلنا هنا بمعنى: خلقنا، والظاهر أن ﴿مَا﴾ يراد بها غير العاقل، وأنه يراد به العموم فيما لا يعقل، وزينة كل شيئ بحسبه ، وقيل: لا يدخل في ذلك ماكان فيه إيذاء من حيوان وحَجرٍ ونبات، لأنه لا زينة فيه، ومن قال بالعموم قال فيه زينة من جهة خلقه وصنعته وإحكامه، وقيل: المراد بها هنا: خصوص مالا يعقل، فقيل: الأشجار والأنهار، وقيل: النبات لما فيه من الاختلاف والأزهار وقيل: الحيوان المختلف الأشكال والمنافع والأفعال، وقيل: الذهب والفضة والنحاس، والرصاص والياقوت، والزبرجد، والجوهر، والمرجان، وما يجري مجرى ذلك من نفائس الأحجار، قال الزمخشري: ﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها[2]، وقالت فرقة: أراد النعم، والملابس، والثمار، والخضرة، والمياه، وقيل: ﴿مَا﴾ هنا: لمن يعقل، فعن مجاهد هو: الرجال[3]، وقاله ابن

---

(١) سورة الكهف: آية ٧.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٦).

(٣) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٧٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٦)، وجاء عن مجاهد أيضاً =

جبير عن ابن عباس ﷺ[(١)]، وروى عكرمة أن الزينة: الخلفاء، والعلماء، والأمراء[(٢)] »[(٣)].

❖ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في المراد (بها) في قوله -تعالى-: ﴿مَا عَلَيْهَا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن المراد به عموم مالا يعقل أي: سواء كان حيواناً أو نباتاً أو معدناً، أي جعلنا جميع ما عليها من غير ذوي العقول زينة لها، تتزين به وتتحلى، وهو شامل لزينة أهلها أيضاً، وزينة كل شيء بحسبه بالحقيقة، وإنما هو زينة لأهلها وأن كل ما على الأرض زينة لها من غير تخصيص حتى ما كان فيه إيذاء من حيوان، أو حجر، أو نبات، لأنه يدل على وجود خالقه - سبحانه - واتصافه بصفات الكمال والجلال، ووجود ما يحصل به هذا العلم في شيء زينة له، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وهو قول مجاهد[(٤)]، وقد اختاره: (الواحدي، والبغوي، وابن عطية، والفخر الرازي والقرطبي، وابن عادل الحنبلي، وأبو السعود، والآلوسي، والقاسمي، والطاهر بن عاشور والشنقيطي، والسعدي، والمراغي)[(٥)].

= أنه قال في معنى الآية ﴿مَا عَلَيْهَا﴾ أي: أن كل ما على الأرض زينة لها، أنظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٢٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧٧) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣١٧).

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧٧).

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٨٥)، المحرر الوجيز (٣/ ٤٩٦).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٩٦)، وانظر النهر الماد (٦/ ٩٥).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٤٣٨ .

(٥) انظر ذلك على الترتيب التالي: الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٧٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٦٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٣٠)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٢٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٦٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ١٩٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٩) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٥٧)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٣٩)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١١٢) تفسير المراغي (٥/ ٣٧٤).

القول الثاني:

أن المراد (بها) خصوص مالا يعقل، وأن ﴿مَا عَلَيْهَا﴾ يعني ما على الأرض مما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها، وهو قول: قطرب[1]،[2] وخصص بعضهم (ما) بالأشجار والأنهار، والخضرة والمياه وما يجري مجرى ذلك وهو قول: مقاتل[3]، وقد اختاره: (الزمخشري، والنسفي، والشوكاني)[4].

القول الثالث:

تكون (ما) في موضع (من) لأنها في موضع إبهام، قاله ابن الأنباري[5]، وعلى هذا يكون المراد به الرجال، وهو قول ابن عباس ﷺ[6]، والحسن[7]، واختاره: (ابن وهب والسمرقندي)[8] وقيل المراد به: الأنبياء والعلماء والخلفاء وهو قول عكرمة[9]، وقد رد هذا القول الفخر الرازي قائلاً: (وبالجملة فليس بالأرض إلا المواليد الثلاث وهي: المعادن والنبات والحيوان، وأشرف أنواع الحيوان والإنسان والأولى أن لا يدخل في هذه الزينة

---

(١) قطرب: هو محمد بن المستنير بن أحمد البصري، أبو علي المتوفي سنة ٢٠٦هـ وهو أحد أئمة النحو واللغة، أخذ عن سيبويه وجماعة من علماء البصريين وسماه سيبويه قطرباً لأنه كان يبكر في المجيء إليه فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل، انظر شذرات الذهب (٢/ ١٥)، تاريخ بغداد (٣/ ٢٩٨)، وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٢١٥).

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٥).

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٨٥).

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٤٢، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٣٤).

(٥) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧٧).

(٦) سبق توثيقه انظر ص٤٣٩ .

(٧) انظر تفسير الحسن البصري (٢/ ٩٨)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٤٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣١٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٣٤).

(٨) انظر الواضح في تفسير القرآن الكريم لابن وهب (١/ ٤٦٨)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٥).

(٩) سبق توثيقه انظر ص٤٣٩ .

المكلف لأنه -تعالى- قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ فمن يبلوه يجب أن لا يدخل في ذلك، فأما سائر النبات والحيوان فإنهم يدخلون فيه كدخول سائر ما ينفع به)[1].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من العلماء من أن معنى (ما) في قوله -تعالى-: ﴿مَا عَلَى﴾ المراد به العموم، أي: أن كل ما على الأرض زينة لها من غير تخصيص وذلك لما يلي:

١. أنه من أنواع البيان أن يذكر لفظ عام ثم يصرح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه، كقوله -تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾[2] مع تصريحه بأن البدن داخلة في هذا العموم بقوله: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[3] ومن ذلك قوله -تعالى- في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾[4] قد صرح في مواضع أخر ببعض الأفراد الداخلة فيه كقوله -تعالى-: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[5] وقوله: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[6][7].

٢. قال ابن الجوزي وقول مجاهد أعمُّ، يدخل فيه النبات، والماء، والمعادن وغير ذلك فإن قيل: قد تري بعض ما على الأرض سَمِجاً وليس بزينة، فالجواب: انا إن قلنا: إن المراد شيء مخصوص، فالمعنى: إنا جعلنا بعض ما على الأرض زينة لها، فخرج مخرج العموم ومعناه الخصوص، وإن قلنا: هم الرجال أو العلماء، فلعبادتهم أو لدلالتهم على خالقهم

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٦٨).

(٢) سورة الحج آية: ٣٢.

(٣) سورة الحج آية: ٣٦.

(٤) سورة الكهف آية: ٧.

(٥) سورة الكهف آية: ٤٦.

(٦) سورة النحل آية: ٨.

(٧) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٤٠).

وإن قلنا: النبات والشجر، فلأنه زينة لها تجري مجرى الكسوة والحلية، وإن قلنا: إنه عامٌ في كل ما عليها فلكونه دالاً على خالقه، فكأنه زينة الأرض من هذه الجهة[1].

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٧٨).

قال -تعالى-: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ ﴾[1]، وفيها مسألتان:

[٦/٨٢] المسألة الأولى: أسماء فتية أهل الكهف.

رجح أبو حيان ~ أنه لا سبيل لمعرفة أسماء فتية أهل الكهف، لأن السند في معرفتها ضعيف، ولم يأت في الحديث الصحيح بيان ذلك حيث قال ~ : «وأما أسماء فتية أهل الكهف فأعجمية لا تنضبط بالشكل ولا نقط، والسند في معرفتها ضعيف، والرواة مختلفون قي قصصهم، وكيف كان اجتماعهم وخروجهم؟، ولم يأت في الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا في القرآن إلا ما قص -تعالى- علينا من قصصهم»[2].

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في ذكر تفاصيل قصة أصحاب الكهف وأسمائهم على قولين:

القول الأول:

ذكر بعض المفسرين في أسماء فتية أهل الكهف وكيف كان اجتماعهم وخروجهم؟ قال ابن عطية: (وأما أسماؤهم فهي أعجمية، والسند في معرفتها واه، ولكن التي ذكر الطبري هي هذه مكسيليمنيا وهو أكبرهم والمتكلم عنهم، ومجسيلينيا وتمليخا وهو الذي معنى بالورقة إلى المدينة عند بعثهم من رقدتهم، مرطوس وكشوطونس، وبيرونس، ودينموس، ويطونس، واختلف الرواة في قصصهم هؤلاء الفتية وكيف كان اجتماعهم وخروجهم إلى الكهف؟ وأكثر المؤرخون في ذلك)[3]، وممن أكثر من ذلك: (الطبري، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، والمراغي)[4].

---

(١) سورة الكهف آية: ٩.

(٢) البحر المحيط (٦/ ٩٨)، وانظر النهر الماد (٦/ ٩٩).

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٨).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٣٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٧٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٣٤)، تفسير المراغي (٥/ ٣٧٦).

القول الثاني:

أعرض كثير من المفسرين عن إيراد تفاصيل قصة أصحاب الكهف أو إيراد أسمائهم بل بعضهم نبه على أن هذا من الدخيل الذي لم يأت به قرآن ولا سنة صحيحة، وهذا هو رأي أبي حيان ~ وممن نبه على ذلك ابن كثير ~ [(١)].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ من عدم إيراد الدخيل، وهذا المنهج الذي سلكه أبو حيان وهو الذي تتابع عليه المحققون من أهل العلم، لأنه ليس له علاقة بالتفسير أو بمدلول الآية[(٢)].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٠).

(٢) انظر مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ضمن الفتاوى (١٣/ ٣٤٥).

[٧/٨٣] المسألة الثانية: مكان أهل الكهف.

رجح أبو حيان ~ أن مكان أهل الكهف بالأندلس؛ حيث قال ~ : « روي أنهم كانو في الروم، وقيل: في الشام، وأن بالشام كهفاً فيه موتى، ويزعم مجاوره أنهم أصحاب الكهف، وعليهم مسجدٌ وبناءٌ يسمى الرقيم ومعهم كلب رمة، والأندلس في جهة غرناطة بقرب قرية تسمى لوشة(١) كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة، وأكثرهم قد أنجرد لحمه وبعضهم متماسك، وقد مضت القرون السالفة ولم نجد من علم شأنهم، ويزعم ناس أنهم أصحاب الكهف، قال ابن عطية: « دخلت إليهم فرأيتهم منذ أربع وخمسمائة وهم بهذه الحالة وعليهم مسجد قريب منهم بناء رومي يسمى الرقيم كأنه قصر مخلد قد بقي بعض جدرانه، وهو في فلاة من الأرض خربة وبأعلى حضرة غرناطة مما يلي القبلة آثار مدينة قديمة يقال لها مدينة دقنوس، وجدنا في آثارها غرائب من قبور ونحوها، وإنما استسهلت ذكر هذا مع بعده لأنه عجب يتخلد ذكره ما شاء الله ﷻ انتهى » (٢)، وحين كنا بالأندلس كان يزورون هذا الكهف ويذكرون أنهم يغلطون في عدتهم إذا عدوهم، وأن معهم كلباً، ويرحل الناس إلى لوشة لزيارتهم وأما ما ذكرت من مدينة دقنوس التي يقبلي غرناطة فقد مررت عليها مراراً لا تحصى وشاهدت فيها حجارة كباراً، ويترجح كون أهل الكهف بالأندلس لكثرة دين النصارى بها، حتى أنها هي بلاد مملكتهم العظمى، ولأن الإخبار بما هو في أقصى مكان من أرض الحجاز أغرب وأبعد أن يعرفه أحد إلا بوحي من الله تعالى » (٣).

---

(١) لوشة: بالأندلس من أقاليم البيرة، بينهما ثلاثون ميلاً، وبها جبل فيه غار يصعد إليه فيه أربعة أنفار موتى لا يعلم أول أمرهم، ولا وقت موتهم، انظر الروض المعطار في خبر الاقطار ص(٥١٣)، مدينة أندلسية تقع في مقاطعة غرناطة جنوب إسبانيا، تطل على نهر الشنيل، الموسوعة الحرة.

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١١).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٩٨)، وانظر النهر الماد (٦/ ٩٩).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرين في مكان أصحاب أهل الكهف على أقوال:

القول الأول:

أن الكهف يقع في بلاد الروم في بلد يقال له (أَبْسُس) [(١)] بفتح الهمزة وسكون الموحدة وضم السين بعدها سين أخرى مهملة، وكان بلداً من ثقور طرطوس[(٢)] بين حلب[(٣)] وبلاد أرمينية[(٤)] وأنطاكية[(٥)] وليست هي (أفسس) المعروفة في بلاد اليونان بشهرة هيكل المشتري فيها فإنها من بلاد اليونان وإلى أهلها كتب بولس رسالته المشهورة، وقد اشتبه ذلك على بعض المؤرخين والمفسرين، وهي قريبة من (مِرْعش) من بلاد أرمينية

(١) أبسس: بالفتح ثم السكون وضم السين المهملة وسين أخرى: اسم لمدينة خراب قرب أبلستين من نواحي الروم يقال منها أصحاب الكهف والرقيم، وقيل هي مدينة دقيانوس وفيها آثار عجيبة مع خرابها، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٧٣).

(٢) طرطوس مدينة كبيرة كثيرة المتاجر، والعمارة والخصب الزائد، بناها هارون الرشد سنة ١٧٠ هـ، انظر الروض المعطار ص(٣٨٨)، معجم البلدان (٤/ ٣٠)، هي مركز محافظة طرطوس وهي مدينة سورية على ساحل البحر المتوسط وتبعد ١٠٠ كم عن اللاذقية، الموسوعة الحرة.

(٣) حلب: بالتحريك مدينة بالشام معروفة، وهي مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات، طيبة الهواء، جانبها قلعة منيعة، يقال إن هذه القلعة كانت في قديم الزمان ربوة يأوي إليها إبراهيم الخليل عليه السلام بغنيمات فيحلبها هنالك ويتصدق بلبنها فلذلك سميت حلب، لنظر الروض المعطار ص(١٩٧)، معجم البلدان (٢/ ٢٨٢)، وهي مدينة معروفة تقع شمال سوريا، وهي عاصمة محافظة حلب، الموسوعة الحرة.

(٤) أرمينية: بكسر أوله وبفتح وسكون ثانيه وكسر الميم وبآء ساكنة وكسر النون ويآء حفيفة مفتوحة: اسم لصقيع عظيم واسع في جهة الشمال والنسبة إليها أرميني على غير قياس بفتح الهمزة وكسر الميم، انظر معجم البلدان (١/ ١٦٠)، الروض المعطار ص(٢٥)، كانت مملكة آسيا الصغرى يطلق عليها أرمينية العظمى شرق نهر الفرات وأرمينيا اليوم دولة تقع جنوب القوقاز، تقع بين البحر الأسود وبحر قزوين.

(٥) أنطاكية: بتخفيف الياء مدينة من الثغور الشامية معروفة، قال اللغويون: كل شيء عند العرب من قبل الشام فهو أنطاكي، وليس في أرض الإسلام ولا أرض الروم مثلها، وهي مدينة حسنة الموضع كريمة البقعة ليس بعد دمشق أنزه منها، دخل الإسلام سنة ٩٣ هـ، انظر معجم البلدان (١/ ٢٠٠)، الروض المعطار ص(٣٨)، مدينة تاريخية تقع على الضفة اليسرى على نهر العاص على بعد ٣٠ كم من شاطئ البحر المتوسط.

وكانت الديانة النرانية دخلت في تلك الجهات وكان الغالب عليها دين عبادة الأصنام من الطريقة الرومية الشرقية قبل تنصر قسطنطين فكان أهل (أَبْسُس) نفراً من صالحي النصارى يقاومون عبادة الأصنام وكانوا في زمن الامبرطور (دوقيوس) ويقال (دقيانوس) الذي ملك في حدود سنة ٢٣٧ هـ، وكان ملكه سنة واحدة، وكان متعصباً للديانة الرومية وشديد البغض للنصرانية، فأظهر كراهية الديانة الرومانية، وتوعدهم دوقيوس بالتعذيب، فاتفقوا على أن يخرجوا من المدينة إلى جبل بينه وبين المدينة فرسخان يقال (بنجلوس) فيه كهف أووا إليه وانفردوا فيه بعبادة الله[1].. الخ قصة أصحاب الكهف.

وقد اختار هذا القول: (الطبري، والسمرقندي، والبغوي، والقرطبي، والطاهر بن عاشور) [٢]، وأكثر المؤرخين والمفسرين على هذا القول[٣].

القول الثاني:

أن مكان الكهف بالأندلس، قال ابن عطية: والأندلس في جهة غرناطة بقرب قرية (لوشة) كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة... الخ [٤].

وهذا ما رجحه أبو حيان ~ قائلاً: ويترجح كون أهل الكهف بالأندلس لكثرة دين النصارى فيها، حتى إنها هي بلاد مملكتهم العظمى[5]، وقد خالف منهجه في عدم إيراد الدخيل والتفاصيل التي لم يرد بها نص من كتاب ولا سنة صحيحة.

قال القرطبي: « ما ذكر ابن عطية من رؤيته لهم بالأندلس فإنما هم غيرهم لأن الله تعالى يقول في حق أصحاب الكهف ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ

---

(١) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦٢).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٣٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٧٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٣٣)، انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦١- ٢٦٣).

(٣) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦١).

(٤) انظر كلام ابن عطية في أصل المسألة ص٤٥٥ .

(٥) البحر المحيط (٦/ ٩٨).

مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾[١] »[٢].

قال الطاهر بن عاشور: « وقصة أهل الكهف لها اتصال بتاريخ طور كبير من أطوار ظهور الأديان الحق وبخاصة طور انتشار النصرانية في الأرض.

وللكهوف ذكر شائع في اللوذ إليها والدفن بها، وقد كان المتصرون يضطهدون في البلاد فكانوا يفرون من المدن والقرى إلى الكهوف يتخذونها مساكن فإذا مات احدهم دفن هنالك، وما الكهف الذي ذكره ابن عطية إلا واحد من هذه الكهوف.

غير أن ما ذكر في سبب نزول السورة من علم اليهود بأهل الكهف، وجعلهم العلم بأمرهم أمارة على نبوءة محمد ﷺ يبعد أن يكون أهل الكهف هؤلاء من الدين المسيحي فإن اليهود يتجافون عن كل خير فيه ذكر للمسيحية »[٣].

القول الثالث:

أن مكان الكهف غير معروف ولم يرد في ذلك خبر يعتمد عليه، وأعرض كثير من المفسرين عن ذكر مكان الكهف والخوض في تفاصيل قصتهم، واختار هذا القول ابن كثير[٤] ~ .

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم- هو قول ابن كثير ~ ومن وافقه من العلماء، بأن مكان الكهف غير معروف ولم يرد في ذلك خبر يعتمد عليه.

قال ابن كثير: «لم يخبرنا الله بمكان هذا الكهف في أي البلاد إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً فتقدم عن ابن عباس أنه قال:

---

(١) سورة الكهف: آية ١٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٣٣).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٠).

هو قريب من أُبلة[١]، وقال ابن إسحاق: هو عند نينوى[٢]، وقيل: ببلاد الروم، وقيل: ببلد البلقاء[٣]، والله أعلم أي البلاد هو ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله -تعالى- ورسوله إليه، فقد قال ﷺ: { ما تركت شيئاً يقربكم إلى الجنة ويباعدكم عن النار إلا وقد أعلمتكم به }[٤]، فأعلمنا -تعالى- بصفته ولم يعلمنا بمكانه » [٥].



(١) الأبلة: بضم الهمزة والباء وتشديد اللام على شاطيء دجلة البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأن البصرت مصرت في أيام عمر بن الخطاب ﷺ، وكانت الأبلة حينئذ مدينة مسالح من قِبَل كسرى انظر معجم البلدان (١/ ٧٧)، الاسم القديم لمدينة البصرة قبل أن ينشئ المسلمون القادمون من الحجاز مدينة البصرة في عصر الخليفة عمر بن الخطاب، الموسوعة الحرة.

(٢) نينوى: بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو بوزن طيطوى، وهي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل وكانت بأيدي ملوك الفرس حتى أتى الإسلام وفتحت، ومن متأخري علماءها محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النواوي، انظر معجم البلدان (٥/ ٣٣٩)، الروض المعطار ص(٥٨٦)، تقع مدينة قديمة اسسها الآشوريون، تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة شرقي جنوب مدينة الموصل. الموسوعة الحرة.

(٣) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وسميت البلقاء لأن بالق من بني عمان بن لوط عليه السلام عمرها، انظر معجم البلدان (١/ ٤٨٩)، الروض المعطار ص(٩٦)، من الأسماء القديمة للأردن، وهي الآن إحدى محافظات الأردن التي تضم عجمان الزرقاء والسلط، الموسوعة الحرة.

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ١٨٠٣، ولفظه: (ما بقي من شيء يقرب إلى الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم) صحيح عن أبي ذر قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علماً قال: فقال رسول ﷺ: فذكره. وله شاهد من رواية عمرو بن عبدالمطلب مرفوعا بلفظ ماتركت شيئاً مما أمركم الله به إلا قد أمرتكم به وماتركت شيئاً مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه، وإسناده مرسل حسن.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٠).

قال -تعالى-: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ (١) وفيها مسألة واحدة:

[٨/٨٤] المسألة: المراد بالرحمة.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالرحمة في الآية عام للمغفرة والرزق وغيره من الأمور التي تتسعها ~ ؛ حيث قال ~ : « ومعنى ﴿أَوَى﴾ جعلوه مأوى لهم ومكان اعتصام ثم دعوا الله تعالى أن يؤتيهم رحمة من عنده، وفسرها المفسرون بالرزق، وقال الزمخشري(٢): هي: المغفرة، والرزق، والأمن، من الأعداء.....، ولما دعوا بإيتاء الرحمة، وهي تتضمن الرزق وغيره، دعوا الله بأن يهيئ لهم من أمرهم الذي صاروا إليه من مفارقة دين أهليهم وتوحيد الله رشداً » (٣).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالرحمة في الآية على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بها الثبات على الدين:

قال الطاهر بن عاشور: « الخلق كلهم بمحل الرحمة من الله، ولكنهم سألوا رحمة خاصة وافرة في حين توقع ضدها، وقصدوا الأمن على إيمانهم من الفتنة، ولئلا يلاقوا في اغترابهم مشقة وألماً، وأن لا يهينهم أعداء الدين فيصيروا فتنة للقوم الكافرين ثم سألوا الله أن يقدر لهم أحوالاً تكون عاقبتها حصول ما خولهم من الثبات على الدين الحق والنجاة من مناواة المشركين » (٤)، وقد اختار هذا القول: (ابن وهب، والسمرقندي، والبغوي،

---

(١) سورة الكهف: آية ١٠.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٧).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٩٩)، وانظر النهر الماد (٦/ ٩٩).

(٤) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٢٦).

والطاهر بن عاشور)[١].

القول الثاني:

أن المراد بالرحمة: الرزق.

قال ابن عطية: « وقد كانوا أهل ثقة من رشد الآخرة ورحمتها، وينبغي لكل مؤمن أن يجعل دعاءه في أمر دنياه هذه الآية فقط فإنها كافية »[٢]، وقد اختار هذا القول: (الزجاج، والواحدي وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي)[٣].

القول الثالث:

أن المراد بالرحمة العموم فإنهم دعوا الله بأن يهب لهم رحمة عامة تسع مغفرة ورزقاً وأمناً من الأعداء وغير ذلك، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره من المفسرين: (الزمخشري، والفخر الرازي، والنسفي، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي والقاسمي)[٤].

---

(١) انظر الواضح في تفسير القرآن لابن وهب (١/ ٤٦٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦٦).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٠).

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٧٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٤٩٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٨٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٣٦).

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٧٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤٢)، زاد المسير لابن الجوزي، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٣١)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٧١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٣٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٠٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٠).

◈ **التر‌جيـــــح**:

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من العلماء من أن معنى الرحمة عام يسع الرزق والمغفرة والأمن من الأعداء وغيره، وذلك بما يلي:

للتنوين في كلمة ﴿رَحْمَةً﴾ وهذا التنوين إما للتعظيم أو للتنويع وتقديم ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ للاختصاص: أي رحمة مختصة بأنها من خزائن رحمتك، وهي المغفرة في الآخرة والأمن من الأعداء والرزق في الدنيا[1].

قال الفخر الرازي: « أي رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك وإحسانك وهي الهداية بالمعرفة والصبر والرزق والأمن من الأعداء وقوله: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ يدل على عظمة تلك الرحمة وهي التي تكون لائقة لفضل الله وواسع جوده »[2].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٣٧).

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٧٠).

قال -تعالى-: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ [١] وفيها مسألة واحدة:

[٩/٨٥] المسألة: المراد بالحزبين.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالحزبين هم من أصحاب الكهف، قال أبو حيان: « والظاهر: أن الحزبين هما منهم لقوله -تعالى- ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ [٢] وكأن الذين قالوا: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ علموا أن لبثهم تطاول، ويدل على ذلك أنه تعالى بدأ بقصتهم أولاً مختصرة من قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ إلى قوله: ﴿أَمَدًا﴾ ثم قصها -تعالى- مطولة مسهبة من قوله: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ﴾ إلى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾، وقال ابن عطية: والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية: أي ظنوا لبثهم قليلاً، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم، حيث كان عندهم التاريخ بأمر الفتية، وهذا قول الجمهور من المفسرين انتهى [٣].

وقالت فرقة: هما حزبان كافران اختلفا في مدة إقامة أهل الكهف،وقال السعدي: من اليهود والنصارى الذين علمو قريشاً السؤال عن أهل الكهف، وعن الخضر، وعن الروح، وكانوا قد اختلفوا في مدة إقامة أهل الكهف [٤] في الكهف، وقال مجاهد: قوم أهل الكهف كان منهم مؤمنون وكافرون اختلفوا في مدة إقامتهم في زمن أصحاب أهل الكهف [٥]، وقيل: حزبان من المؤمنين في زمن أصحاب أهل الكهف اختلفوا في مدة لبثهم، قاله:

---

(١) سورة الكهف: آية ١٢.

(٢) سورة الكهف: آية ١٩.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٠)، قال الآلوسي [وهذا زعم من ابن عطية]، انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٠٣).

(٤) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٠٣).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٣٨)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٨٩) الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٢٦).

الفراء[1]، وقال ابن عباس: الملوك الذين تداولوا ملك المدينة حزب وأهل الكهف حزب[2] وقال ابن بحر: الحزبان الله والخلق كقوله -تعالى-: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [3]،[4]، وهذه كلها أقوال مضطربة » [5].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في المراد بالحزبيين على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بالحزبين هما من أصحاب الكهف، لأن أصحاب الكهف لما انتبهوا واختلفوا في أمرهم كم ناموا، قال -تعالى-: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [6] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد ضعفه الطاهر بن عاشور قائلاً: « وفي هذا بعد من لفظ حزب إذا كان القائل واحد والآخرون شاكين، وبعيد أيضاً من فعل (أحصى) لأن أهل الكهف ما قصدوا الإحصاء لمدة لبثهم عند إفاقتهم بل خالوها زمناً قليلاً » [7]، وقد اختار هذا القول: (الزمخشري، والرازي، والنسفي، وابن عادل والآلوسي، والشنقيطي) [8].

---

(١) انظر معني القرآن للفراء (٢/ ١٣٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٧١).

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٧١)، اللباب لابن عادل (٢١/ ٤٣٦)، ارشاد العقل السليم لابي السعود (٤/ ١٧٣).

(٣) سورة البقرة: آية ١٤٠.

(٤) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٠٨).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٠٠)، وانظر النهر الماد (٦/ ٩٩).

(٦) سورة الكهف: آية ١٩.

(٧) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦٩).

(٨) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٧١)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٢٤)، اللباب في علوم الكتاب لأبن عادل الحنبلي (١٢/ ٤٣٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٠٣)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٤٣).

القول الثاني:

أن الحزبين هما: المختلفان في أمرهم من قوم الفتية، وهو قول مجاهد واختاره: الطاهر بن عاشور؛ حيث قال: « والحزب الجماعة الذين توقفوا على شيء واحد، فالحزبان أحدهما مصيب والآخر مخطئ في عد الأمر الذي مضى عليهم... فالوجه: أن المراد بالحزبيين حزبان من الناس، أهل بلدهم اختلفت أقوالهم في مدة لبثهم بعد أن علموا انبعاثهم من نومتهم أحد الفريقين مصيب والآخر مخطئ » (١).

القول الثالث:

أن أحد الحزبين الفتية، والثاني من حضر من أهل ذلك الزمان، واختاره: (ابن عطية، والقرطبي) (٢).

وقد قال ابن عطية: (وهذا قول الجمهور من المفسرين)، وقد رد الآلوسي دعوى الإجماع قائلاً: (وهذا زعم من ابن عطية) (٣).

القول الرابع:

أن أحد الحزبين مؤمنون، والآخر كفار من قوم أصحاب الكهف، وقد اختاره: (ابن وهب والسمرقندي، والواحدي، وابن الجوزي، والشوكاني) (٤).

القول الخامس:

أن أحد الحزبين الله ﷻ، والآخر الخلق، وتقديره: أنتم أعلم أم الله، وقاله ابن بحر (٥).

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦٩).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٣٦).

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٠٣).

(٤) انظر الواضح في تفسير القرآن الكريم لابن وهب (١/ ٤٦٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٣٩)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٨) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٨٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٣٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦٩).

(٥) سبق توثيقه انظر ص٤٥٤ .

القول السادس:

أن الطائفتين من المسلمين في زمان أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم، قاله الفراء.

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله أعلم - ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من أن المراد بالحزبين كليهما من أصحاب الكهف وذلك لما يلي:

١- إن الذي يدل عليه القرآن: أن الحزبين كليهما من أصحاب الكهف وخير ما يفسر به القرآن القرآن وذلك في قوله -تعالى-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾[1].

وكأن الذين قالوا: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول[2]، قال الآلوسي: (وهذا الظاهر أي من أصحاب الكهف، لأن اللام للعهد، ولا عهد لغير من سمعت، ولم يذكر غير أصحاب الكهف »[3].

٢- أما إذا قيل بأن قوله -تعالى-: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾[4] يدل على أنهم لم يحصوا مدة لبثهم فإنه يجاب عنه بأن رد العلم إلى الله لا ينافي العلم، بدليل أن الله -تعالى- أعلم نبيه بمدة لبثهم في قوله -تعالى-: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ﴾[5] ثم أمره برد العلم إليه في قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ ﴾[6]،[7].

---

(١) سورة الكهف: آية ١٩.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٤٣).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٠٣).

(٤) سورة الكهف: آية ١٩.

(٥) سورة الكهف: آية ٢٥.

(٦) سورة الكهف: آية ٢٦.

(٧) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٤٣).

فهو الموافق لسياق الآية والقول الذي تؤيده قرائن من السياق مرجح على ما خالفه[1].

(١) قواعد الترجيح (٢/ ٢٢٩).

قال -تعالى-: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ [١] وفيها مسألة واحدة:

[١٠/٨٦] المسألة: معنى شططا.

رجح أبو حيان أن معنى كلمة شططا في قوله -تعالى-: ﴿لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ هو الجور والتعدي والغلو، حيث قال أبو حيان: « الشطط: الجور وتعدي الحد والغلو[٢]، وقال الفراء[٣]: اشتط في الشؤم جاوز القدر، وشط المنزل:بعد شططا، وشط الرجل، وأشط الجار، وشطت الجارية شطاطاً وشطاطة طالت » [٤]،..... وقال أبو حيان: «واللام في ﴿لَّقَدْ﴾ لام توكيد، وإذا حرف جواب وجزاء، أي: لقد قلنا لن ندعوا من دونه إلها، قولا شططا أي: ذا شطط وهو التعدي والجور، وقال قتادة: شططا كذبا [٥]، وقال أبو زيد[٦]: خطأً [٧] » [٨].

---

(١) سورة الكهف: آية ١٤.

(٢) انظر الصحاح (١/ ٨٨٨).

(٣) لم أجده في معاني القرآن للفراء، ولكن نقله أهل اللغة عنه، انظر الصحاح (١/ ٨٨٨).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٩١)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٠٠).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ١٠٢)، معاني القران للنحاس (٤/ ٢٢٢)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٨٨)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٢٦).

(٦) الصواب ابن زيد وقد تقدمت ترجمته ص٨٠ .

(٧) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٤٢٠)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٢٦).

(٨) البحر المحيط (٦/ ١٠٢)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٠٠).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى كلمة ﴿شَطَطًا﴾ في الآية على أقوال.

القول الأول:

أن معنى كلمة شططا هو الجور، وتعدي الحد، والغلو، فالشطط: البعد عن الحق، وهو قول: السدي[(١)] وقد اختاره: (الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والنسفي، وابن عادل الحنبلي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والشينقطي)[(٢)].

القول الثاني:

أن معنى كلمة شططا أي: كذباً، قاله: قتادة. واختاره: (ابن وهب، وابن كثير)[(٣)].

القول الثالث:

أي: خطأ وقاله ابن زيد[(٤)].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥١).

(٢) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٤٠)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٧٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٢٢)، بحر العلوم للسمر قندي (٢/ ٣٤٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٣٨)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٨٤)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٢/ ٨٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤٣)، اللباب في علوم الكتاب لأبن عادل (١٢/ ٤٣٧)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٧٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٣٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٠٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٧٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٤٣).

(٣) انظر الواضح في تفسير القرآن الكريم لابن وهب (١/ ٤٦٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٧٩).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٤٥٨ .

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن معنى كلمة شططا أي الجور، وتعدي الحد، والبعد عن الحق، وأما ما ورد من أقوال أخرى فهي داخلة في هذا المعنى –والله تعالى أعلم– قال ابن فارس: « "وشط" الشين والطاء أصلان صحيحان: أحدهما البعد والآخر يدل على الميل، فأما البعد فقولهم شطت الدار، إذا بعدت تشط شطوطا. والشطاط: البعد، والشطاط: الطول، وهو قياس البعد، لأن أعلاه يبعد عن الأرض، ويقال: أشط فلان في الشوم، إذا تعدى وأتى الشطط، وهو مجاوزة القدر. قال –جل ثناؤه–: ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ [(١)]، ويقال أشط القوم في طلب فلان إذا أمضوا وأبعدوا.

وأما الميل فالميل في الحكم، ويجوز أن ينقل إلى هذا الباب الاحتجاج بقوله –تعالى–: ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي لا تمَلْ. يقال (شط وأشط) وهو الجور والميل في الحكم » [(٢)].

قال الشنقيطي ~ : « " والشطط " البعد عن الحق والصواب وإليه ترجع أقوال المفسرين تقول بعضهم ﴿شَطَطًا﴾: جوراً، تعدياً، كذباً، خطأً إلى غير ذلك من الأقوال.

وهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن من أشرك مع خالق السموات والأرض معبودا آخر فقد جاء بأمر شطط بعيد عن الحق والصواب في غاية الجور والتعدي، لأن الذي يستحق العبادة هو الذي يبرز الخلائق من العدم إلى الوجود، لأن الذي لا يقدر على خلق غيره مخلوق يحتاج إلى خالق يخلقه ويرزقه ويدبر شؤونه » [(٣)].

قال الآلوسي: « وفسره قتادة بالكذب، وابن زيد: بالخطأ، والسدي: بالجور والكل تفسير باللازم، وأصل معناه ما أشرنا إليه، لأنه من شط، إذا أفرط في البعد » [(٤)].

---

(١) سورة ص: آية ٢٢.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٦٦).

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٤٧-٣٤٨).

(٤) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٠٩).

قال -تعالى-: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾[1] وفيها ثلاث مسائل:

[١١/٨٧] المسألة الأولى: تفاصيل قصة أصحاب الكهف.

رجح أبو حيان ~ أن تفاصيل قصة أصحاب الكهف مما أورده المفسرون من أوقات تقليب أصحاب الكهف، وعدد تقليباتهم، واسم كلبهم، ونوعه مما لم يرد فيه نص وإنها أمور لا تدرك بالعقل؛ حيث قال ~ : « ونقل المفسرون الخلاف في أوقات تقليبهم وفي عدد التقليبات، عن ابن عباس[2] وأبي هريرة[3] وقتادة[4] ومجاهد[5] وابن عياض[6] أقوال متعارضة، متناقضة، ضربنا عن نقلها صفحاً، وكذلك لم نتعرض لاسم كلبهم، ولا لكونه كلب زرع، أو غيره، لأن مثل العدد والوصف والتسمية لا يدرك بالعقل، وإنما يدرك

---

(١) سورة الكهف: آية ١٨.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٤٧)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤١)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٩١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٨٧)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٢٧) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٤).

(٣) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٨٦٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٤١) اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٤٤).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٤٧)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٤).

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم لابن حاتم (٧/ ٢٣٥٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤١)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٩١) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٨٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٨٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٤١)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٤٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٢٨) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٤).

(٦) انظر انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٤٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٢٨) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٤).

بالسمع، والسمع لا يكون في مثل هذا إلا عن الأنبياء أو الكتب الإلهية ويستحيل ورود هذا الاختلاف عنها »[١].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في تفاصيل قصة أصحاب الكهف على قولين:

القول الأول:

أن هناك من المفسرين من أورد تفاصيل قصة أصحاب الكهف، وذكروها في كتبهم، وسوّدوا بها الورق، فقد قالوا أقوالاً متعارضة ومتناقضة في أوقات تقليبهم: (عن ابن عباس، وعن أبي هريرة وعن قتادة { ، ومجاهد، وأبو عياض وغيرهم)[٢]، وكذلك نقلوا أقوالاً كثيرة ومتعددة ومضطربة في اسم كلب أصحاب الكهف، ولونه، ونوعه، وممن نقل ذلك: (البغوي، والزمخشري، والقرطبي، وابن عادل، والسيوطي، والآلوسي)[٣].

القول الثاني:

أعرض كثير من المفسرين عن إيراد القصة، من أوقات تقليبهم واسم كلبهم ولونه وغير ذلك وكثير منهم[٤] عندما يذكر ذلك ينبه على أن هذه تقديرات لا سبيل للعقل إليها وأنها من الدخيل الذي لم يأت به قرآن ولا سنة صحيحة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ .

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٠٥).

(٢) سبق توثيقه انظر ص٤٦١ .

(٣) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٣)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٤١)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٤٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٢٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٤).

(٤) انظر لابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٥٠٤)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب (٢١/ ٨٦)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨١)، الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٦/ ٢٨)، والقاسمي في محاسن التأويل (٥/ ١٤)، والشنقيطي في أضواء البيان (٢/ ٣٥٤).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ~ بأن هذه التفاصيل مثل العدد والوصف والتسمية لا يدرك بالعقل فيجب الإعراض عنها وعدم إدخالها في التفسير، وذلك:

لأن هذه التفاصيل إنما تدرك بالنص من الكتاب والسنة، وحيث أنه لا نص فلا مجال للعقل في ذكرها ولا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن والسنة.

يقول الفخر الرازي: (أن هذه التقديرات لا سبيل للعقل إليها ولفظ القرآن لا يدل عليها وما جاء فيها خبر صحيح) [١].

ويقول ابن كثير: (واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها، ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها، ولا حاجة إليها، بل هي مما ينهى عنه فإن مستندها رجم بالغيب) [٢].

---

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٦).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨١).

[١٢/٨٨] المسألة الثانية: المراد بكلبهم.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالكلب، هو: الحيوان المعروف؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن قوله: ﴿وَكَلْبُهُم﴾ أريد به الحيوان المعروف، وأبعد من ذهب إلى أنه: أسد، وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنه رجل طباخ لهم تبعهم، أو أحدهم قعد عند الباب طليعة لهم، وحكى أبو عمرو الزاهد غلام ثعلب[١] أنه قرأ، (وكالئهم)[٢]:اسم فاعل من كلأ إذا حفظ ، فينبغي أن يحمل على أنه كلب لحفظه للإنسان . قيل: ويحتمل أن يراد بالكالئ الرجل، على ما يروي إذا بسط الذراعين، واللصوق بالأرض مع رفع الوجه للتطلع وهي هيئة الربيئة المستخفي بنفسه، وقرأ أبو جعفر الصادق[٣] (وكالبهم)[٤]، بالباء بواحدة، أي: صاحب كلبهم كما تقول: لابن وتامر، أي: صاحب لبن وتمر » [٥].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالكلب هل هو الحيوان المعروف؟ أو يراد به رجل تبعهم؟ على أقوال منها:

---

(١) أبو عمرو الزاهد غلام ثعلب هو: محمد بن عبدالواحد بن أبي هشام اللغوي، أبو عمر الزاهد لقب بغلام ثعلب: لشدة اتصاله بالإمام أحمد بن يحيى الشيباني الملقب بثعلب، وقيل لم يتكلم في العربية أحسن من أبي عمرو، وله كتاب (غرائب الحديث) صنفه على مسند أحمد وهو حسن جداً، ت ٣٤٥هـ، أنظر لسان الميزان (٥/ ٢٦٨)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٧٣)، تاريخ بغداد (٢/ ٣٥٧).

(٢) [كالئهم] قراءة شاذة انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٦٠)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٤٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٥)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٥٤).

(٣) جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين السّبط، الهاشمي القرشي، أبو عبدالله الصادق، سادس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، كان من أجلاء التابعين، ت ١٤٨هـ، انظر حلية الأولياء (٣/ ٢٢٥)، ومشاهير علماء الأمصار ص(١٢٧)، ووفيات الأعيان (١/ ٣٠٧)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٥).

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٦٠)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٤٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٥)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٥٤).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٠٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٠٧).

القول الأول:

أن المراد به الكلب الحيوان المعروف، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وهو قول الجمهور[١].

القول الثاني:

أنه كان أسداً، وسمي الأسد كلباً، وهو قول ابن جريج[٢]، لأن النبي ﷺ دعا على عتيبة بن أبي لهب، فقال: { اللهم سلط عليه كلباً من كلابك } فافترسه أسد[٣]، قال الآلوسي: وهذا خلاف الظاهر[٤].

القول الثالث:

أنه كان رجلاً طباخاً لهم، حكاه الطبري[٥]، ولم يسم قائله، قال ابن عطية[٦]: وهذا القول يضعفه بسط الذراعين، فإنها في العرف من صفة الكلب حقيقة، ومنه قول

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٤٧)،النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٩٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٤)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٨٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٤١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٠)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٤٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٨١)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٤)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٥٤).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٣)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٤٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٢٨).

(٣) تخريج الحديث: حسن لشواهد، حديث هبار بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبه قد تجهزوا للشام فدعا عليه النبي ﷺ (اللهم سلط عليه كلباً من كلابك) اخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٨٨)، مختصراً، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٣٨) مطولاً من حديث أبي عقرب ﷺ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال البيهقي: كذا قال ابن عباس بن الفضل وليس بالقوي، فقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/ ٤٨) حديث حسن وجاء من حديث هبار: أخرجه أبو نعيم في الدلائل ص(٣٨٩-٣٩٠) من طريق اسحاق بن عثمان بن عورة بن الزبير عن أبيه عن هبار بن الأسود وفيه تدليس ابن اسحاق وضعف محمد بن حميد الرازي.

(٤) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٥).

(٥) جامع البيان (١٥/ ٢٤٧).

(٦) المحررالوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٤).

النبي ﷺ: { ولا يبسط أحدكم ذراعية }[1].

❖ **الترجيح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين بأن المراد بالكلب هو: الحيوان المعروف وذلك:

١. أن هذا هو قول الجمهور وقد نص على هذا: (الماوردي، وابن عطية، والقرطبي، والآلوسي)[2].

٢. أن هذا هو ظاهر القرآن ويؤيده ظاهر القراءة المتواترة والتي تقضي على القراءات الشاذة مثل قراءة: (كالبهم) أو (كالئهم)، يقول الآلوسي: (وأبعد من هذا زعم من ذهب إلى أنه رجل طباخ لهم تبعهم، أو احدهم قعد على الباب طليعة لهم، نعم حكى أبو عمرو الزاهد غلام ثعلب: أنه قرئ (كالئهم) بهمزة مضمومة بدل الباء، والف بعد الكاف من كلأ إذا حفظ، ولا يبعد فيه أن يراد الرجل الربيئة لكن ظاهر القراءة المتواترة، يقتضي إرادة الكلب المعروف منه أيضاً، وإطلاق ذلك عليه لحفظه ما استحفظ عليه وحراسته إياه، وقيل في هذه القراءة أنها تفسير أو تحريف)[3].



(١) تخريج الحديث: صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب لا يفترش ذراعية في السجود (١/ ٢٨٣)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الاعتدال في السجود ووضع الكفين على الأرض ورفع المرفقين (١/ ٣٥٥).

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٩٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٤)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٤١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٥).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٥).

[١٣/٨٩] المسألة الثالثة: سبب غلبة الرعب من أصحاب أهل الكهف.

رجح أبو حيان ~ أن سبب غلبة الرعب من أصحاب الكهف هو لما ألقى الله عليهم من الهيبة والجلال، وليس بسبب طول شعورهم، وأظفارهم، أو لإيحاش المكان، وإظلامه؛ كما ذكر ذلك بعض المفسرين، حيث قال ~ : (وغلبة الرعب لما القى الله عليهم من الهيبة والجلال، فمن رام الاطلاع عليهم أدركته تلك الهيبة، ومعنى ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ﴾: أعرضت بوجهك عنهم، وأوليتهم كَشْحكَ[1]، وقيل: سبب الرعب طول شعورهم، وأظفارهم، وصفرة وجوههم، وتغيير أطمارهم، وقيل: لإظلام المكان، وإيحاشه، وليس هذان القولان بشيء، لأنهم لو كانوا بتلك الصفة لأنكروا أحوالهم، ولم يقولوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[2]، ولأن الذي بعث إلى المدينة لم يُنْكر إلا المعالم والبناء، لا حالة في نفسه، ولأنهم بحالة حسنة بحيث لا يفرق الرائي بينهم وبين الأيقاظ»[3].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في سبب غلبة الرعب من أصحاب الكهف على أقوال:

القول الأول:

أن غلبة الرعب منهم لما ألبسهم الله من الهيبة والإجلال، كي لا يصل إليهم واصل ولا تلمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله، وتوقظهم من رقدتهم وسلطانه في الوقت أراد أن يجعلهم عبرة لمن يشاء من خلقه، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده ليعلموا أن وعد الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الطبري، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي،

---

(١) الكَشْحُ: مابين الخاصرة إلى الضلع الخلف، وهو من لدن السرة إلى المتن: انظر لسان العرب (٢/ ٥٧١)، انظر مختار الصحاح (١/ ٥٨٦).

(٢) سورة الكهف: آية ١٩.

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٠٦)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٠٧).

والقرطبي، وابن كثر، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي) [(١)].

القول الثاني:

أن سبب الرعب منهم، هو: أنه قد طالت شعورهم، وأظفارهم، فلذلك كان الرائي لو رآهم لهرب منهم مرعوباً، واختاره: (الزجاج، والماوردي، والمهدوي، والقشيري) [(٢)].

القول الثالث:

أن سبب الرعب هو أن المكان موحشٌ مظلمٌ ينفر الناس عنه[(٣)].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وعليه أكثر المفسرين لما ألقى الله عليهم من الهيبة والجلال وذلك:

١- لأنه لو كان سبب الرعب منهم طول شعورهم وأظفارهم وصفرة وجوههم وتغيير أطمارهم أو كان سبب الرعب منهم إظلام المكان وإيحاشة، فإنهم لو كانوا بتلك الصفة أنكروا أحوالهم ولم يقولوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ولأن الذي بعث إلى المدينة لم ينكر إلا المعالم والبناء، لا حال نفسه، أنهم بحالة حسنة؛ حيث لا يفرق الرائي بينهم وبين الأيقاظ وهم في فجوة موصوفة بما مر، فكيف يكون مكانهم موحشاً[(٤)].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٤٩)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٤)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٨٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٤٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨١)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٤٦)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٧٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٥).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٨٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٩٢)، المحررالوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٤٣).

(٣) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧١).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٠٦).

قال الآلوسي: (فالذي ينبغي أن يعول عليه أن السبب في ذلك ما القى الله تعالى عليهم من الهيبة وهم في كهفهم، وأن شعورهم وأظفارهم إن كانت قد طالت فهي لم تطل إلى حد ينكره من يراهم، واختار بعض المفسرين أن الله -تعالى- لم يغير حالهم وهيئتهم أصلاً ليكون ذلك آية بينة)[1].

---

(١) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٧).

قال -تعالى-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾[1] وفيها مسألة واحدة:

[١٤/٩٠] المسألة: سبب التلطف في القول.

رجح أبو حيان ~ أن سبب تلطف أصحاب الكهف في قولهم هو حتى لا يعرفهم أحد، حيث قال ~ : « وليتلطف في اختفائه وتخيله مدخلاً ومخرجاً، وقال الزمخشري: وليتكلف اللطف والنِّيقة[2] فيما يباشره من أمر المبايعه حتى لا يغبن، أو في أمر التخفي حتى لا يعرف[3]. انتهى، والوجه الثاني هو الظاهر »[4].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في سبب تلطف أصحاب الكهف في قولهم على أقوال:

القول الأول:

أن سبب التلطف هو حتى لا يعرفه أحد وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الطبري، والسمرقندي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، وابن كثير، والشوكاني والآلوسي، والقاسمي)[5].

---

(١) سورة الكهف: آية ١٩.

(٢) النِّيقة: من النيوق، تَنَوَّق فلان في مطعمه وملبسه إذا تجود وبالغ، القاموس المحيط (١/ ١١٦٩)، مختار الصحاح (١/ ٣٧٣).

(٣) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧٣).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٠٧)، وانظر النهر الماد (٦/ ١١٠).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٥٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٨٩)، تفسير القرآن ⇐ =

القول الثاني:

أن سبب التلطف هو حتى لا يغبن في الشراء وليتلطف: أي ليسترخص، واختاره: (الماوردي، والزمخشري، والنسفي، وأبو السعود)[(١)].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من أن سبب التلطف في القول هو: حتى لا يعرفه أحد وذلك لما يلي:

لدلالة السياق على ذلك يؤيد هذا المعنى قوله -تعالى-: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ أي لا يفعلن ما يؤدي إلى الشعور ويتسبب له، فهذا النهي يتضمن التأكد للأمر بالتلطف، ثم علل ما سبق من الأمر والنهي فقال: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي يطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم يقتلوكم بالرجم[(٢)]، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه[(٣)].



= العظيم لابن كثير (٣/ ٨٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢١٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٤).

(١) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٩٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧١)، مدراك التنزيل للنسفي ص٦٤٦، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٨٠).

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٢).

(٣) قواعد الترجيح (٢/ ٢٩٩).

قال -تعالى- : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [١] وفيها ثلاث مسائل:

[١٥/٩١] المسألة الأولى: مرجع الضمير في ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن الضمير في (إنهم) يعود على كفار المدينة؛ حيث قال ~ : « والضمير في (إنهم) عائد على ما دل عليه المعنى من كفار تلك المدينة، قيل: ويجوز أن يعود على (أحداً): لأن لفظه للعموم، فيجوز أن يجمع الضمير كقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [٢] ففي حاجزين ضمير جمع عائد على أحد، وقال الزمخشري الضمير في (إنهم) راجع إلى الأهل المقدر في [أيها] [٣] » [٤].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في (إنهم) على أقوال:

القول الأول:

أنه يعود على كفار تلك المدينة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الطبري، وابن عطية، وابن كثير، والشوكاني، والشنقيطي) [٥].

---

(١) سورة الكهف: آية ٢٠.

(٢) سورة الحاقة: آية ٤٧.

(٣) الكشاف (٣/ ٥٧٤) وقال الزمخشري: (معنى [أيها] أي: أهلها، فحذف الأهل، كما في قوله ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[سورة يوسف: آية ٨٢].

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٠٧-١٠٨)، وانظر النهر الماد (٦/ ١١٠).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٥٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٨) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٧١).

القول الثاني:

أنه يعود على أحد لأنه في معنى الجمع[(١)]، ورجحه القونوي وقال: لوقوعه في سياق النهي[(٢)] واختاره: الطاهر بن عاشور[(٣)].

القول الثالث:

أنه يعود على (أهل) المقدر في (أيها) في قوله -تعالى-: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾[(٤)]، واختاره: (الزمخشري، والنسفي، وأبو السعود والآلوسي)[(٥)].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن مرجع الضمير يعود على أحد وذلك لأن الضمير ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعود على ما أفاده العموم في قوله: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ فصار أحداً في معنى جميع الناس على حكم النكرة في سياق شبه النهي[(٦)].



---

(١) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٦٤).

(٢) حاشية القونوي (١٢/ ٤٥).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٨٦).

(٤) سورة الكهف: آية ١٩.

(٥) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤٦)، ارشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٨٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٢٠).

(٦) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٨٦).

[١٦/٩٢] المسألة الثانية: المراد بالظهور.

رجح أبو حيان المراد بالظهور في قوله: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ بالاطلاع عليهم والعلم بمكانهم؛ حيث قال ~ : « والظهور هنا: الإطلاع عليهم والعلم بمكانهم، وقيل: العلو والغلبة » (١).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالظهور في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ على أقوال منها:

القول الأول:

أي يطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (الطبري، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والقاسمي، والشنقيطي) (٢).

القول الثاني:

من العلو والغلبة، قال الفخر الرازي: « من قولهم ظهرت على فلان إذا علوته وظهرت على السطح إذا صرت فوقه، ومنه قوله -تعالى-: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾(٣) أي عاليين: وكذلك قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (٤) أي ليعليه » (٥)، واختاره: (ابن عطية،

---

(١) انظر البحر المحيط (٦/ ١٠٨)، وانظر النهر الماد (٦/ ١١٠).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٥٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٨٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨١)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٥١)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٨٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٥)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٧١).

(٣) سورة الصف: آية ١٤.

(٤) سورة التوبة: آية ٣٣.

(٥) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٨٨).

والفخر الرازي، القونوي، والطاهر بن عاشور) [١].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن كلا المعنيين وارد في معنى الظهور في قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾ ، أي: يطلعوا عليكم، ويغلبوكم، وذلك:

لأن معنى الظهور في اللغة: يأتي بمعنى الإطلاع، ويأتي بمعنى الظفر والغلبة، قال ابن فارس: (الظاء والهاء والراء أصلٌ صحيح واحد يدل على قوة وبروز، من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف) [٢]، قال الآلوسي: (ومعنى ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يطلعوا عليكم، ويعلموا بمكانكم، أو يظفروا بكم، وأصل معنى ظهور صار على ظهر الأرض، ولما كان ما عليها يشاهد، ويتمكن منه استعمل تارة في الاطلاع، وتارة في الظفر والغلبة) [٣].

---

(١) انظر، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٦) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٨٨)، حاشية القونوي (١٢/ ٤٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٨٦).

(٢) مقاييس اللغة (٣/ ٤٧١).

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٢٠).

[١٧/٩٣] المسألة الثالثة: معنى ﴿يَرۡجُمُوكُمۡ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى يرجموكم هو: الرجم بالحجارة، كما هو ظاهر الآية؛ حيث قال ~ : « والظاهر: الرجم بالحجارة وكان الملك عازماً على قتلهم لو ظفر بهم، والرجم كان عادة فيما سلف لمن خالف من الناس، إذ هي اشفى ولهم فيها مشاركة، وقال حجاج[(١)]: معناه: بالقول، يريد السب، وقاله: ابن جبير[(٢)] » [(٣)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى ﴿يَرۡجُمُوكُمۡ﴾ في الآية على أقوال:

القول الاول:

أن المراد به: الرجم بالحجارة وهو أخبث أنواع القتل ، وهو قول الزجاج[(٤)]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (السمرقندي، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، والقونوي، والشوكاني والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والشنقيطي) [(٥)].

---

(١) حجاج بن محمد المصيصي، أبو محمد الأعور، مولى سليمان بن مجالد مولى أبو جعفر المنصور، ترمذي الأصل، من صغار أتباع التابعين، ثقة ثبت لكنه اختلط في آخر عمره لما قدم بغداد ت ٢٠٤هـ، انظر الطبقات الكبرى (٧/ ٣٣٣)، التهذيب (٢/ ١٨٠)، وقوله هو قول: ابن جريج انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٥٦).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٥٦)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٩٥)، زاد المسير (٥/ ٨٩).

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ١٠٨)، وانظر النهر الماد (٦/ ٩٣).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (١٥/ ٢٥٦).

(٥) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤١) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٨٩) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٨٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٤٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤٦) حاشية القونوي (٢١/ ٤٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٢٠)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٨٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٥)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٧١).

القول الثاني:

أن المراد به: السب بالقول، وهو قول سعيد بن جبير، وحجاج، وابن جريج، قال الآلوسي: (وهو للنفوس الأبية أعظم من القتل) [١]، واختاره: (الطبري، والبغوي) [٢].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن معنى الرجم هو : الرجم بالحجارة ، وهو أخبث أنواع القتل ، وذلك لما يلي:

١. هو ظاهر القرآن، قال الفخر الرازي: (والرجم بمعنى القتل، كثير في التنزيل؛ كقوله -تعالى-: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾[٣] وقوله: ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾[٤]، وأصله: الرمي)، قال الزجاج: « أي يقتلوكم بالرجم، والرجم أخبث أنواع القتل » [٥].

٢. قال ابن عطية: « وهو الأصح، لأنه كان عازماً على قتلهم لو ظفر بهم، والرجم فيما سلف هي كانت على ما ذكر " قتلة مخالف دين الناس "، إذ هي اشفى لحملة ذلك الدين، ولهم فيها مشاركة » [٦].

٣. قال الزركشي[٧]: « وكل شيء في القرآن يرجمنكم فهو القتل، غير التي في سورة مريم - عليها السلام -، لأرجمنك يعني لأشتمنك » [٨].



(١) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٢٠).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٥٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٥).

(٣) سورة هود: آية ٩١.

(٤) سورة الدخان: آية ٢٠.

(٥) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٨٨)، وانظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٧٦).

(٦) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٥٠٦).

(٧) محمد بن بهادر عبدالله الزركشي، أبو عبدالله، الشيخ بدر الدين، التركي الأصل المصري الدار، صاحب البحر المحيط في الأصول، ت٧٩٤هـ، انظر الدرر الكامنة (٣/ ٢٤١)، وشذرات الذهب (٦/ ٣٣٥).

(٨) البرهان في علوم القرآن (١/ ١١٧).

قال -تعالى- : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [1] وفيها مسألتان:

[١٨/٩٤] المسألة الأولى: المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ﴾.

رجح أبو حيان أن المشار إليهم في قوله -تعالى-: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ﴾ أنهم أهل مدينتهم؛ حيث اختصموا في البعث، فبعث الله أهل الكهف ليعلموا ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾، وأن القيامة لا شك فيها؛ حيث قال ~ : « ومفعول ﴿أَعْثَرْنَا﴾ محذوف تقديره (أعثرنا عليهم أهل مدينتهم) والكاف في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ للتشبيه، والتقدير وكما أنمناهم وبعثناهم؛ لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم، والضمير في ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ عائد على مفعول ﴿أَعْثَرْنَا﴾ واليه ذهب الطبري[2] ووعد الله هو (البعث)، لأن حالتهم في نومهم وانتباهتهم بعد المدة المتطاولة كحال من يموت ثم يبعث، و﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ أي لا شك ولا ارتياب في قيامها والمجازاة فيها، وكان الذين أعثروا على أهل الكهف، قد دخلتهم فتنة الحشر، وبعث الأجساد من القبور فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه... فأعثر الله على أهل الكهف، فلما بعثهم الله -تعالى- تبين الناس أمرهم، ورجع من كان شك في أمر بعث الأجساد إلى اليقين، وإلى هذا وقعت الإشارة بقوله: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ ، وإذ معمولة لأعثرنا أو ليعلموا، وقيل: يحتمل أن يعود الضمير في (ليعلموا) على أصحاب الكهف أي جعل الله أمرهم آية لهم دالة على بعث الأجساد من القبور، وقوله: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ على هذا القول ابتداء خبر عن القوم الذين بعثوا على عهدهم » [3].

(١) سورة الكهف: آية ٢١.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٦٠).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٠٨)، وانظر النهر الماد (٦/ ١١٠).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المشار إليهم في قوله -تعالى-: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ على قولين:

القول الأول:

أن المشار إليهم بهذا العلم من أهل مدينتهم حين اختصموا في البعث، فبعث الله أهل الكهف ليعلموا ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ وأن القيامة لا شك فيها، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الطبري، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، والسمين الحلبي، وابن عادل وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والمراغي)[(١)].

القول الثاني:

أن المشار إليهم هم أهل الكهف، بعثهم الله ليروا بعد علمهم أن وعد الله حق، وقاله الماوردي[(٢)].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من العلماء بأن المشار إليهم في قوله -تعالى-: (ليعلموا) هم أهل مدينتهم؛ وذلك لما يلي:

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٦٠)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٧٦)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٨٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٤٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٢)، الدر المصون (٧/ ٤٦٥)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٥٢)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٨٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٢١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٨٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٥)، تفسير المراغي(٥/ ٣٨٨).

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٩٥)، زاد المسير لأبن الجوزي (٥/ ٩٠).

١. لدلالة السياق عليه فقوله -تعالى-: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي كما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة، أطلعنا عليهم أهل المدينة حين دخلها من بعثوه للطعام، وإخراج ورقهم المتقادمة العهد ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم أن وعد الله بالبعث حق، لأن حالهم في توقعهم وانتباهتهم بعدها كمال من يموت ثم يبعث ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي الموعود فيها بالبعث ﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ إذ لابد من الجزاء بمقتضى الحكمة[1].

قال الشوكاني: «﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أي أطلعنا الناس عليهم وسمي الإعلام اعثاراً لأن من كان غافلاً عن شيء فعثر به نظر إليه وعرفه، فكان الإعثار سبباً لحصول العلم ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: ليعلم الذين أعثرهم الله عليهم أن وعد الله بالبعث حق[2].

٢. لأن هذا القول هو اختيار الجمهور[3].

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٤/ ١٥).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٣).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٤٧٩ .

[١٩/٩٥] المسألة الثانية: القائل لقوله تعالى: ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن قوله -تعالى-: ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾ من كلام المتنازعين؛ حيث قال ~ : « والظاهر أن قوله: ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾ من كلام المتنازعين داخل تحت القول أي أمروا بالبناء، واخبروا بمضمون هذه الجملة كأنهم تذكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم، فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا: ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾ وقيل: يحتمل أن يكون من كلام الله -تعالى- رد لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين أو الذين تنازعو فيه على عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب »[١].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في هذه الجملة الاعتراضية، قوله -تعالى-: ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾ من قول مَنْ؟ على أقوال:

القول الأول:

أن قوله -تعالى-: ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾ من كلام المتنازعين كأنهم لما تذكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أسمائهم وأحوالهم ومدة لبثهم، فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا: ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الزمخشري، والفخر الرازي، والنسفي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي)[٢].

القول الثاني:

أن قوله -تعالى-: ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾ من كلام الله -تعالى- رداً لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين، وقد اختاره من المفسرين: (الواحدي، وابن عادل،

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٠٨-١٠٩).

(٢) انظر، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٨٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤٦)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٨١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٢٤).

والقاسمي، والمراغي)[1].

القول الثالث:

أن قوله -تعالى-: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ من كلام أولئك الذين يتنازعوا فيه على عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب.

◈ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه أن الجملة الاعتراضية في قوله -تعالى-: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ من كلام المتنازعين وذلك:

لملائمته لما قبله؛ قال أبو السعود: « هو كلام المتنازعين كأنهم لما رأوا عدم اهتدائهم إلى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضاً للأمر إلى علام الغيوب »[2]

قال الآلوسي: « والظاهر أنه - (القول من كلام المتنازعين) - حكاية عن المفسرين وهو شديد الملائمة جداً لكون التنازع في أمرهم من الموت والحياة وأما كونه من كلامه - سبحانه - للرد على المتنازعين من المفسرين لا يخلو عن بعد وأما الاحتمال الأخير - (انه من كلام المتنازعين فيه على عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب) - فبعيدٌ جداً »[3].

(١) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٤١)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٥٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٦)، تفسير المراغي (٥/ ٣٨٨).

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٨١).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٢٤).

قال -تعالى-: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾[1] وفيها ثلاث مسائل:

[٢٠/٩٦] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله: ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾.

رجح أبو حيان أن مرجع الضمير في ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ عائد على المتقدم ذكرهم وهم المتنازعون في حديثهم قبل ظهورهم عليه، حيث قال ~ : « والظاهر أن الضمير في ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ عائدٌ على من تقدم ذكرهم، وهم المتنازعون في حديثهم قبل ظهورهم عليه، فأخبر -تعالى- نبيه بما كان من اختلاف قومهم في عددهم، وكون الضمير عائد على ما قلنا ذكره الماوردي[2]، وقيل: يعود على نصارى نجران[3]، تناظروا مع الرسول ﷺ في عددهم، فقالت الملكانية[4]: الجملة الأولى واليعقوبية[5]: الجملة الثانية، والنسطورية[6]:

---

(١) سورة الكهف: آية ٢٢.

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٩٧).

(٣) نجران: بالفتح ثم السكون، وآخره نون وهو في عدة مواضع: منها نجران من مخاليف اليمين من ناحية مكة، انظر مراصد الاطلاع (٣/ ١٣٥٩)، والآن تعرف نجران بأنها منطقة جنوب غرب المملكة على الحدود مع اليمن، الموسوعة الحرة.

(٤) الملكانية: هي التي يعرف أتباعها في عالمنا العصري بالكاثوليك، وهم الذين يرون أن الله - تعالى عن قولهم - ثلاثة أقانيم أب وابن وروح قدس كلها لم تزل، وأن عيسى عليه السلام إله تام كله، وإنسان تام كله ليس أحدها غير الأخر... وأن الانسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والانسان، وأنها معاً شيء واحد ابن الله - تعالى الله عن كفرهم. انظر الفصل لابن حزم (١/ ٤٩)، الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٠).

(٥) اليعقوبية: وهي التي يعرف أتباعها اليوم (بالأردثوذكس) وهم الذين يرون أن المسيح هو الله تعالى نفسه، وأن الله تعالى مات وصلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاث أيام بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وأن الله تعالى عاد مُحدثاً وأن المحدث عاد قديماً، وأنه تعالى كان في بطن مريم محمولاً به، انظر الفصل (١/ ٤٩)، الملل والنحل (٢/ ٣٠).

(٦) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأية وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة، قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، =

الجملة الثالثة، وهذا يروي عن ابن عباس ﷺ، وفي الكشاف: أن السيد، قال الجملة الأولى، وكان يعقوبياً، والعاقب قال الثانية وكان نسطورياً والمسلمون قالوا الثالثة، وأصابوا، وعرفوا ذلك بإخبار الرسول عن جبريل - عليهما الصلاة والسلام - فتكون الضمائر في ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ و﴿يَقُولُونَ ﴾ عائداً على نصارى نجران وبعضها على المؤمنين [١]......

وقال ابن عطية: الضمير في قوله ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ يراد به أهل التوراة من معاصري محمد ﷺ وذلك أنهم اختلفوا في عدد أهل الكهف هذا الاختلاف المنصوص[٢] » [٣].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ و﴿يَقُولُونَ ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أنهم: نصارى نجران، ناظروا الرسول ﷺ في عدة أهل الكهف فقالت الملكانية: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالت اليعقوبية: هم خمسة وسادسهم كلبهم، وقال النسطورية: هم سبعة وثامنهم كلبهم، رواه الضحاك عن ابن عباس [٤]ﷺ، وقد اختاره من المفسرين: (السمرقندي، والواحدي والبغوي، والزمخشري، والنسفي، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني)[٥].

= والعلم، والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت المكانية ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم، انظر تفصيل هذا الضلال المبين في الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٩).

(١) انظر الكشاف (٣/ ٥٧٥).

(٢) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٥٠٧).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٠٩)، وانظر النهر الماد (٦/ ١١١).

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩١).

(٥) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٢)، معالم التنزيل للبغوي ⇐=

القول الثاني:

أنهم: أهل التوراة من معاصري النبي ﷺ، وهو قول السدي[1]، (وأشار الآلوسي إلى أن السين في (سيقولون) للاستقبال، اشارة إلى أن النزاع في أمرهم حصل زمن النبي ﷺ، أي: في المستقبل البعيد بالنسبة لقصتهم أو يقولون فعل مضارع وفاعل، والضمير يعود على الخائضين في قصتهم في زمن النبي ﷺ من أهل الكتاب والمؤمنين)[2]، وقد اختاره: (ابن عطية، والقرطبي، والآلوسي والقاسمي)[3].

القول الثالث:

أنهم المتنازعون في حديثهم من أهل مدينتهم قبل ظهورهم عليه، فأخبر الله -تعالى- نبيه بما كان من اختلاف قومهم في عددهم، ذكره الماوردي[4] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ في البحر وأكده في النهر، وقد اختاره: (الرازي)[5].

◈ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من العلماء بأن مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ و﴿يَقُولُونَ ﴾ عائد على المتنازعين في حديثهم من أهل قريتهم قبل ظهورهم عليهم، وذلك:

لدلالة السياق على ذلك والمتنازعون هم المتقدم ذكرهم، فأخبر الله -تعالى- نبيه ﷺ بما كان من اختلاف قومهم في عددهم والأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور مالم يرد

= (٣/ ١٨٥)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤٧)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٥٦)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٨٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٤).

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٢٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٣٢).

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٣٣).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٤٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٢٨) محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٨).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٤٨٣ .

(٥) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٩٠١).

دليل بخلافه[١].

قال الطاهر بن عاشور: ولا يستقيم جعل الضمير عائد إلى أهل الكتاب، لأنه هذه الآيات مكية باتفاق الرواة والمفسرين[٢].

(١) قواعد الترجيح لحسين الحربي (٢/ ٦٢١).

(٢) التحرير والتنوير (٦/ ٢٩٥).

[٢١/٩٧] المسألة الثانية: عدد أصحاب الكهف.

رجح أبو حيان ~ ما رجحه جمهور الصحابة والتابعين وأئمة التفسير من أن عدد أصحاب الكهف سبعة وثامنهم كالبهم حيث قال ~ : « وقرئ ﴿وَثَامِنُهُمْ كَالِبُهُمْ﴾[(١)] أي صاحب كلبهم، وزعم بعضهم أنهم ثمانية رجال، واستدل بهذه القراءة، واوّل قوله: ﴿كَلْبُهُمْ﴾ على حذف مضاف أي: وصاحب كلبهم، وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾ ليس داخلاً تحت قولهم، بل لقولهم هو قوله: ويقولون سبعة، ثم أخبر -تعالى- بهذا على سبيل الاستئناف، وإذا كان استئنافاً من الله دل ذلك على أنهم ثمانية بالكلب وأما ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ و﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فهو من جملة المحكي من قولهم لأن كلاً من الجملتين صفة وإلى أن: -أن العدة ثمانية بالكلب- ذهب الأكثرون من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير »[(٢)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في عدد أصحاب الكهف على قولين:

القول الأول:

أنهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، وهو قول ابن عباس {[(٣)]، وإلى هذا القول ذهب: أكثر الصحابة، والتابعين، وأئمة التفسير، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الفراء، والطبري، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، والقرطبي، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي،

---

(١) قراءة شاذة: وهي قراءة ابن جريج، وابن اسحاق، انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٩٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٦٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٣٤).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١١٠)، وانظر النهر الماد (٦/ ١١٢).

(٣) قال السيوطي في الدرالمنثور (٥/ ٢٣٠): « اخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ١٧٥) بسند صحيح عن ابن عباس وصححه ابن كثير في تفسيره (٣/ ٨٣)، وابن الجوزي في الزاد (٥/ ٩٢) ».

والقاسمي، والشنقيطي، والسعدي والمراغي)[١].

القول الثاني:

أنهم كانوا ثمانية، قاله: ابن جريج[٢]، وابن اسحاق[٣] وقال ابن الأنباري: (وقيل: معنى قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: صاحب كلبهم، كما يقال: السخاء حاتم، والشعر زهير، أي: السخاء: سخاء حاتم، والشعر: شعر زهير)[٣]، وقال ابن كثير عن قول ابن عباس ﷺ: بأنهم سبعة فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس ﷺ، وأما عن القول عنه بأنهم ثمانية فقد قال: « هكذا وقع في هذه الراوية، ويحتمل أن هذا من كلام ابن اسحاق ومن بينه وبينه، فإن الصحيح عن ابن عباس ﷺ أنهم كانوا سبعة وهو ظاهر الآية »[٤].

القول الثالث:

أنه ليس في الانتهاء إلى عدد الثمانية إيماء إلى أنه العدة في نفس الأمر، وهو قول الطاهر بن عاشور[٥]، قال القاسمي: « وبالجملة فالنظم الكريم بأسلوبه هذا، لا يدل على أن الأخير هو الحق كما علمت، وأما ماروي عن ابن عباس { من قوله: (أنا من القليل الذي استثنى الله ﷻ كانوا سبعة)، فهو من الموقوف عليه، ولو رفع إلى النبي ﷺ لقلنا به،

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٥/ ٣٣٠)، جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٦٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٧٧)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٨) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٩٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٤٩٦)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٥٦)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٨٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٣٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٨)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٧٢)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٢١) تفسير المراغي (٥/ ٣٩٠).

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٩)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٤٩).

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٧٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٦)، الجامع القرطبي (١٠/ ٢٤٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٢).

(٥) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٩١).

على أنه اختلف عن ابن عباس في عدتهم فروي عنه أنهم ثمانية، حكاه ابن إسحاق عن مجاهد عنه، وروي عنه سبعة، وهو حكاية قول قتادة وعكرمة عنه ثم رأيت الرازي نقل عن القاضي (عبدالجبار المعتزلي) أنه قال: إن كان ابن عباس قد عرفه ببيان الرسول صح، وإن كان قد تعلق بحرف الواو فضعيف. انتهى »[(1)].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما عليه أكثر الصحابة والتابعين وأئمة التفسير من أن عدد أصحاب الكهف ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وهو ما رجحه أبو حيان ~ وذلك لما يلي:

١. لأن الله – جلا وعلا – أخبر عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف، فذكر ثلاثة أقوال، على أنه لا قائل برابع، وجاء في الآية الكريمة بقرينة تدل على أن القول الثالث هو الصحيح والأولان باطلان، لأنه لما ذكر القولين بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[(2)] اتبع ذلك بقوله ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي قولاً بلا علم، كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه فإنه لا يكاد يصيب، وإن أصاب بلا قصد كقوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[(3)] وقال القرطبي: الرجم: القول بالظن يقال لكل ما يخرص: رجم فيه، ومرجوم، ومرجم، كما قال زهير:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم[(4)]

ثم حكى القول الثالث بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فأقره، ولم يذكر بعده أن ذلك رجم بالغيب فدل على أنه الصحيح[(5)].

---

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٩).

(٢) سورة الكهف: آية ٢٢.

(٣) سورة سبأ: آية ٥٣.

(٤) وهذا البيت لزهير بن أبي سلمى، انظر ديوانه ص٨١، شرح المعلقات (١/ ١١٢).

(٥) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٧٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ~ في قاعدةٍ له في التفسير: « اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام – مقام حكاية الأقوال، وتعليم ما ينبغي في مثل هذه، فإنه -تعالى- أخبر عنهم بثلاث أقوال، ضعّف القولين الأولين وسكت عن الثالث، فدل على صحته، إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فيقال في مثل هذا: (قل ربي أعلم بعدتهم) فإنه ما يعلم بذلك إلا قليلاً من الناس ممن أطلعه الله عليه، فبهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب فهذا أحسم ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن ينبه على الصحيح منها، ويبطل الباطل، ويذكر فائدة الخلاف وثمرته، لئلا يقع النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيشتغل به عن الأهم، فأما من حكى خلافاً في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها، فهو ناقص، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكى الخلاف ويطلقه ولا يبنيه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقص أيضاً »[(١)].

٢. لأنه هذا الاختيار هو الذي عليه أكثر الصحابة والتابعين وأئمة التفسير[(٢)].

٣. لما صح عن ابن عباس { أنه قال: «أنا من القليل الذي يعلمهم كانوا سبعة»[(٣)]، وتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[(٤)].



(١) انظر مقدمة في التفسير (١/ ٩٦).

(٢) سبق توثيقه انظر دراسة المسألة ص٤٨٧ .

(٣) انظر تخريج الأثر ص٤٨٧ هامش (٣).

(٤) قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/ ٢٧١).

[٢٢/٩٨] المسألة الثالثة: معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى مراءً ظاهراً أي مر غير متعمق فيه، وهو أن تقص عليهم ما أوحي إليك فحسب من غير تجهيل ولا تعنيف حيث قال ~ : (ثم نهاه تعالى عن الجدال فيهم، أي: في عدتهم، والمراء، وسمي مراجعته لهم مراء على سبيل المقابلة لمماراة أهل الكتاب له في ذلك، وقيده بقوله ﴿ظَٰهِرًا﴾ أي: غير معمق فيه، وهو أن تقص عليهم ما أوحي إليك فحسب من غير تجهيل، ولا تعنيف، كما قال: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (١) وقال ابن زيد: ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ وهو قولك لهم ليس كما تعلمون(٢)، وحكى الماوردي: إلا بحجة ظاهرة(٣)، وقال ابن الانباري: إلا جدال متيقن عالم بحقيقة الخبر(٣)، والله -تعالى- ألقى إليك مالا يشوبه باطل، وقال ابن بحر: ﴿ظَٰهِرًا﴾ يشهده الناس(٤)

وقال التبريزي(٥): ﴿ظَٰهِرًا﴾ ذاهباً بحجة الخصم(٦).

وأنشد: وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها(٧)، أي ذاهب » (٨).

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٤٦.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٦٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٣٤).

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٣٤).

(٤) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٣٤).

(٥) التيربزي: هو يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى الشيباني، أبو زكريا ابن الخطيب التبريزي، كان إماماً في النحو واللغة والآداب، من مصنفاته: شرح القصائد العشر، وتفسير القرآن، وله تهذيب غريب الحديث، والملخص في اعراب القرآن، ت سنة ٥٠٢هـ.
انظر طبقات المفسرين للأدنه وي (١/ ١٥١)، تاريخ دمشق (٦٤/ ٣٤٧).

(٦) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٣٤).

(٧) صدر البيت: وعيَّرَها الواشوان أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارُها والبيت لأبي ذؤيب، انظر ديوان الهذليين القسم الأول ص٢١ جـ١ دار الكتب وقد ورد هذا الشاهد الذي أنشده التبريزي في حديث ابن الزبير لما قيل له يا ابن ذات النطاقين فأنشد: وتلك شكاةٌ...، انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ١٢٠٦)، ولسان العرب (١٤/ ٤٣٩).

(٨) البحر المحيط (٦/ ١١١)، وانظر النهر الماد (٦/ ١١٢).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ على أقوال:

القول الأول:

إن معنى ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ أي غير متعمق فيه وذلك بالاقتصار على ما تعرض له الوحي المبين من غير تجهيل، ولا تعنيف، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والزجاج، والواحدي، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، والقرطبي، وابن عادل الحنبلي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والمراغي)[1].

القول الثاني:

إن معنى ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ أي: القول لهم ليس كما تعلمون، وهو قول ابن زيد[2]، وقال ابن عطية: (ولا يحتاج هو على أمر مقرر في ذلك، فإن ذلك يكون مراء في باطن الأمر)[3].

القول الثالث:

إن معنى ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ هو: ما كان بحجة واضحة، وظاهرة وهو قول الماوردي[4].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٦٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٧٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٨) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٩١)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٥٠)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٥٨)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٨٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٣٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ١٨)، تفسير المراغي (٥/ ٣٩٠).

(٢) سبق توثيقه انظر ص٤٩١ .

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٨).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٤٩١ .

القول الرابع:

إن معنى ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ هو: جدال العالم المتيقن بحقيقة الخبر، وهو قول ابن الانباري[1].

القول الخامس:

إن معنى ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ هو: ما يشهده الناس، وهو قول ابن بحر[1].

القول السادس:

إن معنى ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ هو: الذاهب بحجة الخصم، يقال ظهر إذا ذهب وهو قول التبريزي[1].

◈ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن معنى ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ أي: غير متعمق فيه، وذلك لأن معنى المماراة على ما ذكر الراغب[2]: المحاجة فيما فيه مرية أي: تردد، وأصل ذلك من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها للحلب، وفسرها غير واحد بالمجادلة، وهي المحاجة مطلقاً، أي إذا قد وفقت على أن الخائضين مخطئاً ومصيباً فلا تجادلهم في شأن الفتية ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ غير متعمق فيه، وذلك بالاقتصار على ما تعرض له الوحي المبين من غير تجهيل ولا تعنيف، وجميع الأقوال الأخرى تدخل في عموم هذا المعنى، وهو باب اختلاف التنوع لا اختلاف تضاد، قال ابن عطية: « ولم يبح له في هذه الآية أن يماري، ولكن قوله: ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ استعارة من حيث يماريه أهل الكتاب، سميت مراجعته لهم ﴿مِرَآءً﴾ ثم قيد بأنه ظاهر، ففاق المراء الحقيقي المذموم »[3].



(١) سبق توثيقه انظر ص٤٩١ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص٧٦٦.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٠٨).

قال -تعالى-: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [1] وفيها ثلاث مسائل:

[٢٣/٩٩] المسألة الأولى: معنى قوله - تعالى - : ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن قوله -تعالى-: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾ من كلام الله -تعالى-، وليس من كلام القوم، حيث قال ~ : «الظاهر أن قوله (لبثوا..) الآية: إخبار من الله تعالى بمدة لبثهم نياماً في الكهف إلى أن أطلع الله عليهم، قال مجاهد[2]: وهو بيان لمجمل لقوله -تعالى-: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ ولما تحرر هذا العدد بإخبار من الله تعالى أمر نبيه أن يقول: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ فخبره هذا هو الحق والصدق الذي لا يدخله ريب لأنه عالم غيب السماوات والأرض.....، وقال قتادة ومطر الوراق[3]: (ولبثوا) إخباراً من بني إسرائيل[4] واحتجوا بما في مصحف عبدالله (وقالوا لبثوا) [5]، وعلى غير قراءة عبدالله يكون معطوفاً على المحكي بقوله: (سيقولون)، ثم أمر الله نبيه أن يرد العلم إليه بما لبثوا رداً عليهم، وتفنيداً لمقالتهم، قيل: هو من قول المتنازعين في أمرهم وهو الصحيح على مقتضى سياق الآية، ويؤيده ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ جعل ذلك من الغيوب التي هو -تعالى- مختص بها»[6].

---

(١) سورة الكهف: آية ٢٥-٢٦.

(٢) الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٣٢).

(٣) مطر الوراق: مطر بن طهمان الوراق، أبو رجاء السلمي مولاهم، الخرساني، مولى علياء السلمي، سكن البصرة، وكان يكتب المصاحف. ت١٢٩هـ. انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ٥١)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٥٢).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٦٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٣٢).

(٥) قراءة عبدالله بن مسعود، انظر الدر المثور للسيوطي (٥/ ٣٣٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٨)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٢٤٠)، فقال الحافظ ابن كثير: (٣/ ٨٤)، ورواية قتادة قراءة ابن مسعود، منقطعة، ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يُحتج بها والله أعلم.

(٦) البحر المحيط (٦/ ١١٢)، وانظر النهر الماد (٦/ ١١٦).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في قائل هذه العبارة ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن ذلك من كلام الله أي: إعلام من الله عن مبلغ ما لبثوا في كهفهم، وأما قوله ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ فهو: كلام قد تقدم، وقد تخلل بينه وبين هذه الآية ما يوجب انقطاع أحدهما عن الآخر، وهو قوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ و قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ لا يوجب أن ما قبله حكاية وذلك لأنه -تعالى-أراد: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فارجعوا إلى خبر الله دون ما يقوله أهل الكتاب، وهو قول: مجاهد ، والمحققين من المفسرين إما اكتفاء به دون القول الآخر، أو بالنص على أنه الصحيح ، أو الظاهر، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ في البحر وأكده في النهر، وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، والبيضاوي، والسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، وابن عاشور والسعدي)[1].

القول الثاني:

أن هذا القول حكاية عما قال الناس في حقهم، وليس بمقدار لبثهم، وهو قول ابن عباس ﷺ، وقال قتادة: هذا قول أهل الكتاب ، وقد رده الله -تعالى- بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾ و يعضده ما جاء في قراءة ابن مسعود ﷺ (وقالوا لبثوا) يعني: أنه

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٦٧)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٧٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٤٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٧)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٠)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٥١)، أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/ ٤١٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٤)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٨٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٣٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٠٠)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٢٢).

قاله الناس، وما ذهب إليه قتاده لم يرضه أكثر المفسرين ، وقالوا: بأنه عدول عن ظاهر القرآن بلا مبرر، ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتج بها والله أعلم[1]، وقد اختاره: (مقاتل والثعلبي، والماوردي، وابن الجوزي، والرازي، وابن عادل، والقاسمي)[2].

◈ **الترجيــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين بأن قوله -تعالى-: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ وهو إخبارٌ من الله -تعالى- بمدة لبثهم نياماً في الكهف إلى أن أطلع الله عليهم، وذلك لما يلي:

١. أن هذا ظاهر القرآن، ولا يجوز صرف إخبار الله إلى أنه حكاية عن غيره إلا بدليل[3]

٢. لدلالة السياق عليه، فقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أي: إذا سُئلت عن لبثهم وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من الله -تعالى- فلا تتقدم فيه بشيء بل قل في مثل هذا: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾[4] أي: لا يعلم ذلك إلا هو، ومن أطلعه عليه في خلقه.

قال ابن كثير[5] ~ وفي هذا الذي زعمه قتادة نظر، فإن الذي بأيدي أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة من غير تسع يعنون بالشمسية ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾.



---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٤).

(٢) انظر تفسير مقاتل (٢/ ٢٨٥)، الكشف و البيان للثعلبي (٦/ ٦٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩٦)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٩٥)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٦٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٣).

(٣) سورة الكهف: آية ٢٥.

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٧٩).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٤).

[٢٤/١٠٠] المسألة الثانية: المدة المشار إليها في قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المدة المشار إليها هي مدة قيام أصحاب الكهف في كهفهم إلى أن أطلع الله عليهم، حيث قال ~ : « والظاهر أن قوله و﴿وَلَبِثُوا﴾ الآية: إخبار من الله تعالى بمدة لبثهم نياماً في الكهف إلى أن أطلع الله عليهم، قال مجاهد: هو بيان لمجمل قوله -تعالى-: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١﴾ ، ولما تحرر هذا العدد بإخبار من الله -تعالى- أمر نبيه أن يقول: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ فخبره هذا هو الحق والصدق الذي لا يدخله ريب لأنه عالم غيب السموات والأرض والظاهر أن قوله ﴿بِمَا لَبِثُوا﴾: إشارة إلى المدة السابقة ذكرها، وقال بعضهم ﴿بِمَا لَبِثُوا﴾ إشارة إلى المدة التي بعد الاطلاع عليهم إلى مدة الرسول ﷺ» [١].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في المدة المشار إليها في قوله -تعالى-: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ على قولين:

القول الأول:

أن المدة المشار إليها هي مدة نيامهم في الكهف إلى أن أطلع الله عليهم، وهو كما قال مجاهد: بيان لمجمل قوله -تعالى-: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١﴾، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره من المفسرين: (الواحدي، وابن عطية والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني والآلوسي)[٢].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١١٢)، وانظر النهر (٦/ ١١٦).

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١١)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٩٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٥١)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٤٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٤)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٦٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٤٠).

القول الثاني:

أن المدة المشار إليها هي المدة من لدن دخولوهم الكهف إلى زمن النبي ﷺ، وقد اختاره: (ابن جرير الطبري، والماوردي، وابن الجوزي) [١].

القول الثالث:

أن المدة المشار إليها في قوله -تعالى-: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ هي المدة بعد الاعثار عليهم إلى وقت عدمهم بالبلاء قال الضحاك: إلى أن ماتوا[٢] وهو قولٌ لابن عطية[٣].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من أن المدة المشار إليها هي مدة بقائهم ونيامهم في الكهف إلى أن اطلع الله عليهم، وذلك:

لدلالة السياق فإن مدة نيامهم في الكهف هي السابق ذكرها، ولا ذكر لما قاله البعض من أن المدة هي من لدن دخولهم الكهف إلى زمن النبي ﷺ، وإعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر[٤].



(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٦٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩٦).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٥١).

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٠).

(٤) انظر قواعد الترجيح لحسين الحربي (٢/ ٥٩٣).

[٢٥/١٠١] المسألة الثالثة: المراد بقولة - تعالى -: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ .

رجح أبو حيان ~ أن المراد بقوله: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ أي تسع سنين؛ حيث قال ~ : «وقيل: لما قال ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ كانت منبهمة، هي: الساعات والأيام، والشهور، والأعوام، واختلفت بنو إسرائيل بحسب ذلك فأمره -تعالى- برد العلم إليه يعني في التسع، وهذا بعيد، لأنه إذا سبق عدد مفسر وعطف عليه ما لم يفسر حمل تفسيره على السابق، وحكى النقاش[(١)]: أنها ثلاثمائة شمسية ولما كان الخطاب للعرب زيدت التسع إذحساب العرب هو بالقمر لاتفاق الحسابين[(٢)]» [(٣)].

◈ <u>الدراسة والموازنة</u>:

اختلف المفسرون في المراد بقوله -تعالى-: ﴿وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ على أقوال:

<u>القول الأول</u>:

المراد به العدد أي تسع سنين فيكون المعنى أنهم لبثوا في كهفهم ثلاث مئه سنين وتسع سنين، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والزجاج، والنحاس والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والنسفي، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي) [(٤)].

---

(١) النقاش: محمد بن الحسن بن زياد بن هارون، أبو بكر الموصلي النقاش، نزيل بغداد، إمامٌ علم، مقرئ مفسر، ذو نسك وورع، وصدق لهجة، مؤلّف كتاب (شفاء الصدور في التفسير) ت سنة ٣٥١هـ، انظر تاريخ بغداد (٢/ ٢٠١)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٣)، غاية النهاية (٢/ ١١٩).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٠).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١١٢)، وانظر النهر الماد (٦/ ١١٦).

(٤) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٧٧)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٨٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٣٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٨)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٠٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٠٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥١)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٨٨)، القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٩).

القول الثاني:

أن المراد بالتسعة هو مابين السنين الشمسية والسنين القمرية، وهو قول النقاش، قال الشهاب الخفاجي: « واعترض عليه بأن دلالة اللفظ عليه غير ظاهرة مع أنه لا يوافق ما عليه من الحساب والمنجمون »[(١)].

وقال القاسمي: « ودعوى أن فيها إشارة إلى أنها ثلاثمائة بحساب أهل الكتاب بالأيام واعتبار السنة الشمسية، وثلاثمائة وتسع بحساب العرب واعتبار القمرية بياناً للتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين، دعوى يتوقف تصحيحهما على ثبوت أهل الكتاب ازدادوا بالسنة الشمسية وأنه قص علينا ما أراده بالسنة الهلالية، فلذلك قال: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ لنقف على تحديد ما عنوه، ومن اين يثبت ذلك؟ وما الداعي لهذا العمق المشوس، والآية جلية بنفسها في دعواهم مدة لبثهم، وقد يريدون السنة الشمسية أو الهلالية، وبأي منها قالوا: فقد رد عليهم بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ أي بمقدار لبثهم، فلا تقفوا ماليس لكم به علم، وماهو غيبٌ يرد إليه - سبحانه - كما قال: ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: ما غاب فيهما وخفي من أحوال أهلهما»[(٢)].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ تعالى ومن وافقه من المفسرين من أن المراد بقوله: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ هو العدد ، وذلك:

لأن العدد يعرف تفسيره، وإذا تقدم تفسيره استغنى بما تقدم عن إعادة ذكر التفسير (أي تسع سنين)، تقول: عندي مائة درهم وخمسة فيكون الخمسة قد دل عليها ذكر الدرهم.

وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾[(٣)] وعشراً معناه وعشر مدد، وتلك المدد كل مدة منها يوم وليلة، والعرب تقول:

---

(١) حاشية الشهاب على البيضاوي (٦/ ١٦٠)، وانظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٣٩).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٣).

(٣) سورة البقرة: آية ٢٣٤.

ما رأيته منذ عشر، وأتيته لعشر خلون، فيغلبون الليالي على ذكر الايام والأيام داخلة في الليالي والليالي مع اليوم مدة معلومة من الدهر فتأنيث عشر يدل على أنه لا يراد به أشهر فهذا أحسن ما فُسر في هذه الآية[1].

أما القول بأن ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ شمسية ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعًا﴾ قمرية قول ضعيف لما يلي:

أولاً: لا يمكن أن نشهد على الله أنه أراد هذا، قال الشيخ ابن عثيمين ~ : « لكن القرآن العظيم أبلغ كتاب، فمن أجل تناسب رؤوس الآيات قال: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعًا﴾ وليس كما قال بعضهم: بأن السنين الثلاثمائة بالشمسية وازدادوا تسعاً بالقمرية، فإنه لا يمكن أن نشهد على الله بأنه أراد هذا! من الذي يشهد على الله أنه أراد هذا المعنى »[2].

ثانياً: أن عدة الشهور والسنوات عند الله بالأهلة، قال -تعالى- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾[3] وقال -تعالى-: ﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾[4]،[5].

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٧٩).

(٢) انظر تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص٥٠.

(٣) سورة يونس: آية ٥.

(٤) سورة البقرة: آية ١٨٩.

(٥) انظر تفسير سورة الكهف للشيخ ابن عثيمين ص٥٠.

قال الله -تعالى-: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ (١) وفيها ثلاث مسائل:

[٢٦/١٠٢] المسألة الأولى: سبب نزول الآية:

رجح أبو حيان ~ أن سبب نزول الآية أن كفار قريش هم الذين اعترضوا على مجالسة النبي ﷺ لبعض أصحابه الفقراء مثل: سلمان وأبي ذر وعمارٍ وصهيبٍ ﭫ وغيرهم وذلك لأن السورة مكية؛ حيث قال أبو حيان ~ : « قال كفار قريش لو أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك، يعنون عماراً وصهيباً، وابن مسعود، وبلالاً، ونحوهم من الفقراء وقالوا: إن (ريح جبابهم) (٢) تؤذينا (فنزلت): ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ الآية، وعن سلمان(٣) أن قائل ذلك: عيينة بن حصن(٤)، والأقرع(٥) ،وذووهم من المؤلفة فنزلت، فالآية

---

(١) سورة الكهف: آية ٢٨.

(٢) ريح جبابهم: أي ريح ثيابهم، والجباب بمعنى: الثِّياب والخُلقان، انظر لسان العرب (١/ ٧٣٣)، والقاموس المحيط ص(١٧١).

(٣) عن سلمان الفارسي قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا: يارسول الله إنك لو جلست في صدر المسجد ونحيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم جلسنا اليك وحادثناك وأخذنا عنك فأنزل الله الآية فقال النبي ﷺ الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات، وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٣٤)، وعزاه لأحمد في الزهد عن ثابت وأخرجه الطبري في جامع البيان (١٥/ ٢٧١)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٣٢)، والواحدي في أسباب النزول ص(٢٠١).

(٤) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بالجيم مصغراً، بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة الفزاري، أبو مالك، يقال كان اسمه حذيفة فلقب عينية لأنه كان أصابته شجة فجحظت عيناه قال ابن السكن: له صحبة، وكان من المؤلفة ولم يصح له رواية أسلم قبل الفتح وشهدها، وعاش إلى خلافة عثمان، انظر الإصابة (٤/ ٧٦٧).

(٥) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي، شهد فتح مكة وحنيناً والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه، وانما قيل له الأقرع لقرع كان برأسه وكان شريفاً في الجاهلية وفي =

على هذا مدنية، والأول أصح لأن السورة مكية)[١].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في سبب نزول قوله -تعالى-: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الآية، على قولين:

القول الأول:

أن سبب النزول هو اعتراض كفار قريش على مجالسة النبي ﷺ لبعض أصحابه الفقراء:

وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والزجاج، والزمخشري وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، وابن كثير، وابو السعود، والشوكاني، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والشنقيطي)[٢].

القول الثاني:

أن سبب النزول هو اعتراض بعض المؤلفة قلوبهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس على مجالسة النبي ﷺ لبعض أصحابه الفقراء، قال الماوردي: نزلت هذه الآية في المدينة وقال الآلوسي (وأقول: أكثر الروايات تؤيد هذا القول ، وعليه تكون الآيات مستثناه من حكم السورة، وكم مثل ذلك)[٣]، واختاره: (السمرقندي، والماوردي،

= الإسلام وقتل في اليرموك والله أعلم، انظر الإصابة (١/ ١٠١).

(١) البحر المحيط (٦/ ١١٣)، وانظر النهر الماد (٦/ ١١٨).

(٢) انظر جامع البيان (١٥/ ٢٧١)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٨١)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٩٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٤٩، تفسير القرآن العظيم ابن كثير (٣/ ٨٥)، ارشاد العقل السليم (٤/ ١٨٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٢)، التحرير والتنوير لطاهر بن عاشور (٦/ ٣٠٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٧)، اضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٧٩).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٥٠).

والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، وابن عادل، والآلوسي)[1].

❖ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ تعالى وجمهور المفسرين من أن سبب النزول هو: اعتراض كفار قريش على مجالسة النبي ﷺ لبعض أصحابه وذلك

١- لما رواه مسلم في صحيحه[2] عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه، فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ وأما استدل به بعض المفسرين من أن سبب نزول الآية هو اعتراض المؤلفة كما في أصل المسألة[3] فإن إسناده ضعيف جدا فيه سليمان بن عطاء، قال البخاري: منكر الحديث وأيضا فإن المتن فيه نظر فإن السورة مكية، وإسلام سلمان ؓ مدني، وكذا عيينة بن حصن وفد في المدينة، وإذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجح لما وافقه، وإسناد مسلم مقدم على غيره من الأسانيد لصحته.

٢- للنظائر القرآنية الدالة على هذا السبب قال- تعالى-: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[4] وقوله -تعالى-: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾[5].

وإن ما طلبه الكفار من محمد ﷺ من طرده فقراء المؤمنين وضعفائهم تكبراً عليهم وازدراء بهم طلبه أيضاً قوم نوح ؇ وأنه امتنع من طردهم أيضاً كقوله -تعالى- عنهم:

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٢)،، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٠٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٦٦)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٨٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٢).

(٢) تخريج الحديث: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ؓ، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ؓ (٤/ ١٨٧٨).

(٣) انظر تخريج الحديث في أصل المسألة ص٥٠٢ هامش (٣).

(٤) سورة الأنعام آية ٥٢.

(٥) سورة عبس: آية ١.

﴿ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1] وقوله أيضاً عنهم: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا ﴾[2] وقال عن نوح في امتناعه من طردهم: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات[4].

٣- ما استدل به أبو حيان ~ من أن الآيات مكية : من أقوى ما يرجح هذا القول؛ حيث قال الطاهر بن عاشور: « وهذه الآيات مكية باتفاق الرواة والمفسرين » [5].

---

(١) سورة الشعراء: آية ١١١.

(٢) سورة هود: آية ٢٧.

(٣) سورة الشعراء: آية ١١٤-١١٥.

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٧٩).

(٥) التحرير والتنوير (٦/ ٢٩٥).

[١٠٣/ ٢٧] المسألة الثانية: معنى قوله - تعالى - ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ أي: أن الله خلق في قلبه الغفلة والضلال؛ حيث قال ~ : «وقال الزمخشري: (﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان، أو وجدناه غافلاً عنه، كقولك « أجبنته » و« أفحمته » و« أبخلته »: إذا وجدته كذلك، أو من أغفل إبله، إذا تركها بغير سمة. أي:لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان، وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ انتهى»[١]. وهذا على مذهب المعتزلة، والتأويل الآخر تأويل الرماني[٢] وكان معتزلياً قال: لم نسمه بما نسم به قلوب المؤمنين بما يبين به فلاحهم كما قال: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [٣] من قوله (بغير غفل): لم يكن عليه سمة «كتاب غفل» لم يكن عليه إعجام[٤]، وأما أهل السنة فيقولون: إن الله -تعالى- أغفله حقيقة وهو خالق الضلال فيه»[٥].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى- ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ على قولين:

القول الأول:

إن معنى قوله: ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ أي: جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا، وهو قول أهل السنة والجماعة[٦] الذين يضيفون فعل العبد إلى الله -تعالى- من حيث كونه مخلوقاً له، وإلى

---

(١) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٢).

(٢) الرماني: علي بن عيسى بن علي بن عبدالله أبو الحسن النحوي، المعروف بالرماني، كان من أهل المعرفة متفننا في علوم كثيرة من الفقه والقرآن والنحو واللغة والكلام على مذهب المعتزلة وتوفي سنة ٣٨٤هـ. انظر تاريخ بغداد (١٢/ ١٦)، لسان الميزان (٤/ ٢٤٨).

(٣) سورة المجادلة: آية ٢٢.

(٤) روح المعاني (٨/ ٢٥٢)، وقال الآلوسي معقبا على قول الرماني: فالإغفال المذكور استعادة لجعل ذكر الله تعالى الدال على الإيمان في القلب بمنزلة الكتابة وهو تأويل رفيق الحاشية، لطيف المعنى، وإن كان خلاف الظاهر فهو مما لا بأس به لمن لم يكن غرضه منه الهرب من مذهب أهل السنة».

(٥) البحر المحيط (٦/ ١١٤).

(٦) انظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم (١/ ٦٤).

العبد من حيث كونه مقروناً بقدرته واختياره ، ولا تنافي بين الإضافتين، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الطبري والماوردي، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي والرازي، والقرطبي، وأبو السعود والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي والشنقيطي)[(١)].

القول الثاني:

إن معنى قوله: ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ أي: غافلاً عن الذكر بالخذلان، أو وجدناه غافلاً من أجبنته، وأفحمته، وأبخلته، إذا وجدته كذلك، وهو قول المعتزلة[(٢)]، وقالوا إن إغفال القلب قبيح، ولا يسند القبيح إلى الله، وإن رعاية الأصلح واجبة على الله -تعالى-[(٣)] وهو قول المعتزلة وقد اختاره: (الزمخشري، والنسفي)[(٤)].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو مذهب أهل السنة والجماعة وهو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من العلماء من أن معنى ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ أي: جعلنا قلبه غافلاً وذلك:

١- لأن ما يعرض للعبد من غفلة ومعصية، إنما هو بمشيئة الله -تعالى-، إذ لا يقع شيء البتة كائناً من كان إلا بمشيئته الكونية والقدرية -جل وعلا-، قال -تعالى- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [(٥)] وقال -تعالى- ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٧٢)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩٨) مفايح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٩٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٥٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٨٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٩)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٢٥٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٠٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٦)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٨١).

(٢) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٢)، المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبدالجبار (٨/ ٣)، تحت عنوان الكلام في المخلوق، ذكر اختلاف الناس في أفعال العباد.

(٣) انظر حاشية القونوي (١٢/ ٦٩)، إن خلق القبيح لا يوجب الاتصاف به وإن الله لا يجب عليه شيء.

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٢)، مدارك التنزيل ص(٦٤٩).

(٥) سورة الإنسان: آية ٣٠.

﴿أَشْرَكُواْ﴾[1] وقال -تعالى- ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[2] وقال -تعالى- ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[3] وقال -تعالى- ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[4] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على إن كل شيء من خير وشر لا يقع إلا بمشيئة خالق السماوات والأرض فما يزعمه المعتزلة، ويحاول الزمخشري في تفسيره دائما تأويل آيات القرآن على نحو ما يطابقه من استقلال قدرة العبد وإرادته فأفعاله دون مشيئة الله، لا يخفى بطلانه كما تدل عليه الآيات المذكورة آنفا وأمثالها في القرآن كثيرة[5].

قال ابن القيم ~ :

« إن الله – سبحانه – اغفل قلب العبد عن ذكره فغفل هو، فالإغفال فعل الله، والغفلة فعل العبد، ثم اخبر عن إتباعه هواه، وذلك فعل العبد حقيقة، والقدرية تحرف هذا النص وأمثاله بالتسمية والعلم، فيقولون معنى أغفلنا قلبه: سميناه غافلاً أو وجدناه غافلاً أي: علمناه كذلك، وهذا من تحريفهم، بل أغفلته مثل أقمته وأفقدته وأغنيته وأفقرته أي جعلته كذلك، وأما ما أفعلته أو أوجبته فلا يقع في أفعال الله البته، إنما يقع في أفعال العاجز أن يجعل جبانا وبخيلا وعاجزا فيكون معناه صادفته.

كذلك وهل يخطر بقلب الداعي اللهم أقدرني أو أوزعني وألهمني أي سمني وأعلمني كذلك وهل هذا إلا كذب عليه وعلى المدعو – سبحانه –، والعقلاء يعلمون علماً ضرورياً أن الداعي إنما سأل الله أن يخلق له ذلك ويشاءه له ويقدره عليه حتى القدري إذا غابت عنه بدعته وما تقلده عن أشياخه وأسلافه وبقي وفطرته لم يخطر بقلبه سوى ذلك.

وأيضاً فلا يمكن أن يكون العبد هو المغفل لنفسه عن الشيء فإن إغفاله لنفسه مشروط بشعوره به وذلك مضاد لغفلته عنه بخلاف إغفال الرب -تعالى- له فإنه لا يضاد

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٠٧.

(٢) سورة السجدة: آية ١٣.

(٣) سورة الأنعام: آية ٣٥.

(٤) سورة البقرة: آية ٧.

(٥) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٨١).

علمه بما يغفل عنه العبد، وبخلاف غفلة العبد فإنها لا تكون إلا مع شعوره بالمغفول عنه وهذا ظاهر جداً فثبت أن الإغفال فعل الله بعبده ، والغفلة فعل العبد» [1].

(١) انظر شفاء العليل (١/ ٦٤).

[٢٨/١٠٤] المسألة الثالثة: المراد بـ ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بـ ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾: هم كفار قريش؛ حيث قال أبو حيان ~ : « والظاهر أن المراد بمن أغفلنا: كفار قريش، وقيل: عُيينة، والأقرع، والأول أولى، لأن الآية مكية » [1].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد في قوله -تعالى-: ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن المراد به كفار قريش، فعن ابن عباس ﷺ [2] أنه قال: نزلت في أمية بن خلف[3] وقد اختاره: (الواحدي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والشوكاني والقاسمي)[4].

القول الثاني:

أن المراد به: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وقد اختاره: (الطبري، والنحاس والسمرقندي، والبغوي، وابن عادل) [5]، ولكن يرد هذا القول أن وفد عيينة بن حصين في المدينة والسورة مكية باتفاق المفسرين.

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١١٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ١١٨).

(٢) أنظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩٨)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٥٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٣٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥١).

(٣) أمية بن خلف بن وهب حذافة الجمحي، كان إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه فأنزل الله ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ قتل يوم بدر وألقى في القليب انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠١).

(٤) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩٨)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٥٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٧).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٧٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٣١)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٤) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٩)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٧٠).

القول الثالث:

إن المراد به من هذه صفته ، وذكره ابن عطية[١]، وهذا لا يتعارض مع القول الأول، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله ، تعالى ، أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من المراد بمن أغفلنا قلبه هم: كفار قريش ، وذلك:

١. لدلالة السياق القرآني ، حيث أنه كان سبب نزول الآية ، كما سبق[٢]:أن كفار قريش اعترضوا على مجالسة النبي ﷺ لبعض أصحابه الفقراء، فإعادة الضمير إلى المحدّث عنه أولى من إعادته إلى غيره[٣].

٢. لأن الآيات مكية، قال الطاهر بن عاشور: (وهذه الآيات مكية باتفاق الرواة والمفسرين) [٤].

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٢).

(٢) انظر الترجيح في المسألة رقم (٢٦) ص٥٠٢ .

(٣) قواعد الترجيح (٢/ ٦٠٣).

(٤) التحرير والتنوير (٦/ ٢٩٥).

قال الله -تعالى-: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [1] وفيها مسألتان:

[٢٩/١٠٥] المسألة الأولى: معنى السُرداق.

رجح أبو حيان ~ أن معنى السرداق في الآية هو النار المحيطة بالكافرين يوم القيامة؛ حيث قال ~ : « السُرداق: قال أبو منصور الجواليقي[2] هو فارسي معرب، وأصله سراد[3] وهو: الدهليز، قال الفرزدق[4]:

تَمنيتهُمُ حَتى إِذَا مَا لَقِيتُهُم ... تَرَكْتُ لهم قَبْلَ الضِّرَابِ السُّرادِقَا[5]

وبيت مسردق أي ذو سرادق » [6].

وقال ~ : « والسُرداق: قال ابن عباس رضي الله عنه: حائط من نار محيط بهم[7]،

---

(١) سورة الكهف: آية ٢٩.

(٢) أبو منصور الجواليقي هو: موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، شيخ اللغة في زمانه، باشر مشيخة اللغة بالنظامية بعد شيخه أبي زكريا البتريزي، من تصنيفه كتاب (المعرب) توفي سنة ٥٨٩هـ.
انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ٢٢٠).

(٣) انظر المعرب للجواليقي ص(٢٤٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٧٨).

(٤) الفرزدق واسمه: همام بن غالب بن ضمضمة بن ناجية بن عقال التميمي، كنيته أبو فراس، سمي الفرزدق لأن وجهه كان مدوراً جهيماً شبه بالخبزة وهي الفرزدقه، وبيته كان من أشرف بيوت بني تميم، قال الشعر ٧٤ عام وتوفي سنة ١١٠هـ .
انظر معجم الشعراء (١/ ١٤٦)، الوافي الوفيات (١/ ٣٤٢٨).

(٥) انظر ديوان الفرزدق (١/ ٥٨٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٧٨).

(٦) البحر المحيط (٦/ ٩٢).

(٧) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٧٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٤٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩٩)، الدر المنثور (٥/ ٣٣٧).

وحكى أقضى القضاة الماوردي[١]: أنه البحر المحيط بالدنيا[٢] وحكى الكلبي: أنه عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار[٣]، وقيل: الدخان »[٤]، وقال في النهر: «السرادق: حائط من نار محيط»[٥].

◈ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالسرداق في الآية الكريمة، على أقوال:

القول الأول:

أن المراد به: حائط من نار جهنم يحيط بالكافرين، وهو قول ابن عباس ﵄، واستدل أصحاب هذا القول بما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: « سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة »[٦]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ بعد أن ذكر

---

(١) قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في تفسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد في باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه: ورد في الصحيح عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: « إن أخنع اسم عند الله رجل يسمي ملك الأملاك لا مالك إلا الله » معنى أخنع اسم: أي أشد الأسماء صغاراً، والخانع الذليل، وقد ألحق أهل العلم قاضي القضاة وقالوا ليس قاضي القضاة إلا من يقضي بالحق وهو خير الفاصلين انظر تيسير العزيز الحميد (١/ ٥٤٧-٥٤٩) باختصار يسير.

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٣).

(٣) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٤٥)، معالم التنزيل البغوي (٣/ ١٩٠).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١١٥).

(٥) انظر النهر الماء (٦/ ١١٨).

(٦) اخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم، باب ماجاء في صفة شراب أهل النار (٤/ ٧٠٤-٧٠٥)، وفي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة سأل سائل (٥/ ٤٤٦) من طريق رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث، عن دراج بن سمعان عن أبي الهيثم (سليمان بن عمرو بن عبيد) عن أبي سعيد الخدري به، وقال الترمذي: وهذا حديث لا نعرفه إلا عن طريق رشدين وقد تكلم فيه من قبل حفظه، والطبري (١٥/ ٢٧٥)، وابن مبارك في الزهد (١/ ٩٠)، مسند أحمد (٣/ ٢٩)، وصححه الحاكم (٤/ ٦٤٣)، سكت عنه الذهبي مع أنه من رواية درّاج بن سمعان عن الهيثم، وقال الذهبي في مواضيع كثيرة: درّاج ذو مناكير، قال الألباني: ضعيف، انظر ضعيف الجامع (١/ ١٠١٥) حديث رقم (٤٦٧٥) ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٢٣٣)، ضعيف الترمذي (١/ ٣٠٥)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف انظر تعليقه على مسند أحمد (٣/ ٢٩).

الأقوال وقدمه في البحر ورجحه في النهر، وقد اختاره: (البغوي، وابن عطية وابن كثير، والسعدي)[(١)].

القول الثاني:

أن المراد به: دخانها ولهيبها، يحيط بهم، وهو الذي قاله تعالى في قوله ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾[(٢)]، وهو قول قتادة،[(٣)] وقد اختاره (السمرقندي)[(٤)].

القول الثالث:

أن المراد به البحر المحيط بالدنيا وهو قول الماوردي[(٥)] واستدل أصحاب هذا القول بحديث: « البحر هو جهنم، وتلا هذه الآية ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ ثم قال: والله لا أدخلها أبداً ما دمت حياً ولا يصيبني منها قطرة»[(٦)]، وهذا القول ضعيف، لضعف الحديث الوارد فيه.

القول الرابع:

أن جميع الأقوال (الأول والثاني) مرجعها إلى شيء واحد وهو إحداق النار بهم من كل جانب، لأن السرداق يأخذ كل هذه المعاني، وقد اختاره: (الزجاج، والنحاس، والواحدي، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، وابن عادل، ووالشوكاني والآلوسي

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٨٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٢٥).

(٢) سورة المرسلات: آية ٣٠- ٣١.

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٣).

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٤٥).

(٥) سبق توثيقه انظر ص٥١٣ .

(٦) رواه الطبري في جامع البيان (١٥/ ٢٧٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٢٣) وصححه الحاكم (٤/ ٣٦٨) ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في الدر (٥/ ٣٣٨) نسبته لابن أبي الدنيا وابن ابي حاتم والبيهقي في البعث والبخاري في التاريخ، قال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على مسند أحمد: إسناده ضعيف، قال الألباني: ضعيف انظر السلسلة الضعيفه (٣/ ٩٢)، رقم ١٠٢٣ .

والقاسمي والشنقيطي، وابن عثيمين) [(١)].

❖ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن جميع الأقوال مرجعها إلى شيء واحد وهو إحاطة وإحداق النار بالكافرين من كل جانب، وذلك لما يلي:

• لأن معنى السرادق في اللغة - يأخذ كل هذه المعاني فالسرادق بضم السين وكسر الدال - ما أحاط بالبناء والجمع سرادقات وهو الفسطاط يمد فوق صحن البيت والخيمة والغبار، والدخان المرتفع المحيط بالشيء[(٢)].

قال الشنقيطي ~ : « والمراد بالسرادق في الآية الكريمة ففيه للعلماء أقوال مرجعها إلى شيء واحد، وهو إحداق النار بالكافرين من كل جانب، كما قال -تعالى-: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [(٣)] وقال -تعالى-: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [(٤)] وقال -تعالى-: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [(٥)] إلى غير ذلك من الآيات » [(٦)].



(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٨٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٣٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٦)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٣)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ١٠٢)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٥٦) اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٧٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٥٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٨)، اضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٨٣)، تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص٦٣.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي (١/ ١١٥٣).

(٣) سورة الأعراف: آية ٤١.

(٤) سورة الزمر: آية ١٦.

(٥) سورة الأنبياء: آية ٣٩.

(٦) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٨٢).

[٣٠/١٠٦] المسألة الثانية : معنى المهل.

رجح أبو حيان ~ أن معنى المهل ما أذيب من جواهر الأرض؛ حيث قال ~ : « والمهل: ما أذيب من جواهر الأرض، وقيل: دردي الزيت » [(١)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى كلمة (المهل) في الآية الكريمة على أقوال:

القول الأول:

أنه ماء غليظ كدُردِي الزيت، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما [(٢)]، واستدل أصحاب هذا القول بما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: { ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ قال كعكر الزيت فإذا اقرب إليه سقطت فروة وجهه فيه } [(٣)]، وقد اختاره: (السمرقندي، والواحدي وابن عطية والطاهر بن عاشور، وابن عثيمين) [(٤)].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٩٢).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٧٧)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٣٤)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٣)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩٩)، الدر المنثور (٥/ ٣٣٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٥٥).

(٣) أخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار (٤/ ٧٠٤-٧٠٥)، وفي كتاب التفسير باب ومن سورة سأل سائل (٥/ ٤٢٦) من طريق رشدين بن سعد بن عمرو عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا عن طريق رشدين وقد تكلم فيه، وأخرجه الطبري (١٥/ ٢٢٧) والحاكم (٢/ ٥٠١)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٥١٤-٥١٥) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث وصححه الحاكم، ووفقه الذهبي، قال الحافظ في تخريج الكشاف (٣/ ٥٨٤)، أخرجه الترمذي وقال: لا يعرف إلا من حديث رشدين ابن سعد وتعقب قوله: بأن أحمد وأبا يعلى أخرجاه من طريق ابن لهيعه عن دراج / وبأن ابن حبان والحاكم أخرجاه من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث، وقال الألباني: ضعيف، انظر الجامع الصحيح للترمذي تحقيق أحمد شاكر مذيلة بأحكام الألباني.

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٤٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٠٨)، تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص(٦٣).

القول الثاني:

أنه كل شيء أذيب حتى انماع، قاله: ابن مسعود[١]، وقال أبو عبيدة، والزجاج: كل شيء أذبته من نحاس أو رصاص أو نحو ذلك فهو (مهل) [٢].

القول الثالث:

هو ما أذيب من جواهر الأرض، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الزمخشري، والشنقيطي) [٣].

القول الرابع:

أنه قيح ودم أسود، كعكر الزيت قاله مجاهد[٤].

القول الخامس:

أنه الذي انتهى حره، قاله سعيد بن جبير[٥].

القول السادس:

أنه: الصديد، ذكره ابن الأنباري[٦]، وقيل: هذا الماء هو ما يسيل من عرق أهل الموقف في الآخرة وبكائهم، وما يجري منهم من دم وقيح، يسيل ذلك إلى وادٍ في جهنم، فيكون أول ما يغاث به أهل النار[٦].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٧٧)، تفسير بن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٤٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٧) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٠)، الدر المنثور (٥/ ٣٣٨) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٥٥).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٨٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٠).

(٣) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٣)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٨٣).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٧٧)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٥٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٣٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٤٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٠)، الدر المنثور (٥/ ٣٣٩).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٧٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩٩).

(٦) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٩٩).

القول السابع:

أنه: الرماد الذي ينفض عن الخبزة إذا خرجت من التنور، وقاله الحسن[(١)].

القول الثامن:

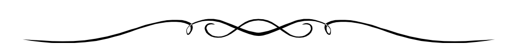
أن جميع هذه الأقوال متقاربة المعنى، وقد اختاره: (ابن جرير الطبري، والزجاج والنحاس، والقرطبي، وابن كثير، والقاسمي) [(٢)].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو أن جميع هذه الأقوال متقاربة المعنى وذلك لأن:

المهل في اللغة: يجمع هذه المعاني جميعها فالمهل - بضم الميم - اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضة والحديد، والصفر ما كان منها ذائباً، القطران الرقيق، الزيت الرقيق، السم، القيح أو صديد الميت خاصة، ما يتحات عن الخبز من الرماد، وقيل هو كعكر الزيت، أي: ما بقي في الإناء منه[(٣)].

والخلاصة: هو اسم جامع لكل المستقذرات التي تغشى منها النفس، وتتألم وتنفر[(٤)] قال ابن كثير: « وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها فهو أسود منتن غليظ حار ولهذا قال: ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ أي من حره إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه حتى تسقط جلدة وجهه فيه » [(٥)].



(١) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير أن هذا القول حكاه ابن الانباري، انظر الزاد (٥/ ٩٩).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٧٧)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٨٢)، معاني القرآن للنحاس (٤:٢٣٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٥٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٦) / محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٨).

(٣) لسان العرب (١١/ ٦٣٣)، إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين درويش (٤/ ٤٨١).

(٤) إعراب القرآن (٤/ ٤٨١)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٥٦).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٨٦).

قال -تعالى-: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾[1] وفيها مسألتان:

[٣١/١٠٧] المسألة الأولى: المراد بالصاحب.

رجح أبو حيان ~ أن المراد (بالصاحب) ليس أخاه أخذاً بظاهر اللفظ حيث قال ~ : «ويظهر من قوله: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أنه ليس أخاه... واستدل على أنه لم يكن أخاه بقوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ إذ لو كان أخاه لكان نفره وعشيرته نفر أخيه وعشيرته»[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد (بالصاحب) في الآية على قولين:

القول الأول:

أن المراد بالصاحب: أخاه، واستدل أصحاب هذا القول على بعض الروايات الواردة في أسباب نزول الآية والتي تقول إنهما كانا أخوين، فقيل: هما أخوان من بني إسرائيل، وقيل: هما أخوان مخزوميان من أهل مكة، أحدهما مؤمن، والآخر كافر، وقيل: هما المذكوران في سورة الصافات في قوله -تعالى-: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾[3]، وقد اختار هذا القول: (السمرقندي، الماوردي، والواحدي، والزمخشري، وابن الجوزي والرازي والقرطبي، والشوكاني)[4].

---

(١) سورة الكهف: آية ٣٤.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١١٩-١٢٠)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٢٣).

(٣) سورة الصافات: آية ٥١.

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٨)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٠٤)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ١٠٧)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٦١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٣).

القول الثاني:

أن المراد بالصاحب: ليس أخاه وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واستدل على أنه ليس بأخيه، لأنه لو كان أخاه لكان نفره وعشيرته هي نفر أخيه وعشيرته ، واختاره: (ابن عطية)[١]، قال الآلوسي في معنى ﴿نَفَرًا﴾: وقيل: عشيرته، ومن شأنهم أنهم ينفرون مع من هو منهم، واستدل بذلك على أنه لم يكن أخاه لأن العشيرة مشتركة بينهما وملتزم الأخوة لا يفسر بذلك »[٢].

القول الثالث:

أن المراد بالصاحب: هو الملازم والملابس سواء كان أخاه أو لم يكن ذلك، وهذا ما ذهب إليه بعض المحققين: كالآلوسي والطاهر بن عاشور)[٣]، كما أنه لم يحدد بعض المفسرين المراد بالصاحب ، كابن جرير، وابن كثير، وغيرهم، وكأنهم يشيرون إلى أن هذا ليس بكبير فائدة، وإنما تنحصر الفائدة في ضرب المثل، ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الأرزاء، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من التذكير والتدبر في العواقب فيكون معرضاً للصلاح والنجاح، قال الطاهر بن عاشور: «ولم يتعلق الغرض بذكر مكان هذا القول ولا سببه لعدم الاحتياج إليه في الموعظة»[٤].

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٦).

(٢) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦١).

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣١٩).

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣١٩).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن المراد (بالصاحب) هو الملازم والملابس سواء كان أخاه أولم يكن، وذلك لما يلي:

١. لعموم واتساع معنى الصاحب في اللغة، فإنه يأتي بمعنى الملازم والملابس سواء كان أخاه أولم يكن ذلك، قال الراغب: الصاحب: الملازم إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن - وهو الأصل والأكثر - أو بالعناية والهمة، ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته ويقال للمالك للشيء هو صاحبه وكذلك لمن يملك التصرف فيه[1] وقال الطاهر بن عاشور: « والصاحب هنا بمعنى المقارن في الذكر حيث انتظمهما خبر المثل، أو أريد الملابس المخاصم، والمراد بالصاحب هنا الرجل الآخر من الرجلين » [2].

٢. لأن المعنى اللغوي للصاحب لا ينافي القول بأنهما أخوان.

قال الآلوسي: « والمراد بالصاحب في الآية: المعنى اللغوي، فلا ينافي هذا العنوان القول بأنهما كانا أخوين خلافاً لمن وهم » [3].

---

(١) مفردات الراغب ص(٤٧٥).

(٢) روح المعاني (٨١/ ٢٦١).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣١٩).

[٣٢/١٠٨] المسألة الثانية: المراد بالنفر.

رجح أبو حيان ~ أن نفراً في المراد بـ(نفراً) في قوله -تعالى-: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ الأولاد؛ حيث قال ~ : « ويدل قوله: ﴿وَوَلَدًا﴾ على أن قوله صاحبه ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ عني به: الأولاد إن قابل كثرة المال بالقلة، وعزة النفر بقلة الولد » [(١)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد: ﴿نَفَرًا﴾ في الآية على أقوال:

القول الأول:

أن معنى نفراً: حشماً، وأعواناً، وعبيداً، وهو قول قتادة[(٢)]، وقد اختاره: (الزجاج والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي وابن كثير، وأبو السعود، والآلوسي، والقاسمي) [(٣)].

القول الثاني:

أن معنى نفراً: أولاداً ذكوراً وهو قول مقاتل[(٤)]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ في البحر، وأكده في النهر، وقد اختاره: (الطاهر بن عاشور) [(٥)] وقال: (والنفر: عشيرة الرجل الذين ينفرون معه، وأرد بهم هنا ولده كما دل عليه مقابلته

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٢٣)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٢٧).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٢)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٨٦).

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٨٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٤١)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٨)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٦)، الجامع للقرطبي، (١٠/ ٢٦٢)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٧)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٨٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦١)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٩).

(٤) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٢)، وزاد المسير لأبن الجوزي (٥/ ١٠٤)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٨٦).

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٢٠).

في جواب صاحبه بقوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [(١)] [(٢)].

القول الثالث:

أن معنى ﴿نَفَرًا﴾: عشيرةً ورهطاً، واختاره: (الطبري، والبغوي، والرازي، وابن عادل) [(٣)].

القول الرابع:

أنه أراد: الأتباع، والخدم، والأولاد، اختاره: (الشوكاني) [(٤)].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن معنى النفر يشمل هذه الأقوال فيدخل فيه الأولاد دخولاً أولياً، كما يدخل فيه الإتباع، والخدم، والرهط، والعشيرة، جميع هذه الأقوال متقاربة في معنى النفر وذلك لما يلي:

- لأن معنى النفر في اللغة يتسع لجميع هذه المعاني، فالنفر والنّفيرُ والنّفرة: عدة رجال يمكنهم النفرُ[(٥)]، قال السمين الحلبي: (النَّفرُ والنَّفرةُ والنَّفيرُ والنافرة: رهط الرجل الذين ينصرون ويذبون عنه) [(٦)].
- إن أقوال المفسرين في معنى النفر من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد وكلٌ فسره بشيء من المعنى: فا لأولاد، والأعوان، والأنصار، والأتباع، والخدم، والعشيرة، كلهم يتناولهم اللفظ . والله –تعالى– أعلم.

(١) سورة الكهف آية: ٣٩.
(٢) التحرير والتنوير للطاهر عاشور (٦/ ٣٢٠).
(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٨٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٢)، مفاتيح الغيب لفخر الرازي (٢١/ ١٠٧)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٨٦).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٤).
(٥) انظر مفردات الراغب ص٨١٧.
(٦) انظر عمده الحفاظ للسمين الحلبي (٤/ ٢٠٣).

قال -تعالى-: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ (١)
وفيها مسألتان:

[٣٣/١٠٩] المسألة الأولى : سبب إفراد الجنة بعد التثنية :

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالجنة إحدى جنتي الكافر؛ حيث قال ~ : « وأفرد الجنة في قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ من حيث الوجود، كذلك لأنه لا يدخلهما معاً في وقت واحد، وقال الزمخشري: « (فإن قلت) لم أفرد الجنة بعد التثنية (قلت): معناه ودخل ما هو جنته، ماله جنة غيرها، يعني لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون، فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير، ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منها(٢) ». انتهى. ولا يتصور ما قال لأن قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ إخبار من الله -تعالى- بدخول ذلك الكافر جنته، فلا بد أن قصد في الإخبار أنه دخل إحدى جنتيه، إذ لا يمكن أن يدخلهما معاً في وقت واحد، والمعنى: ودخل جنته يُري صاحبه ما هي عليه من البهجة والنضارة والحُسْن » (٣).

◈ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في سبب إفراد الجنة بعد التثنية مع أن له جنتين – على قولين:

القول الأول:

أنه وحد الجنة للدلالة على أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون، وهو قول: (الزمخشري، والرازي، والسمين الحلبي، والآلوسي) (٤).

القول الثاني:

أن المراد به إحدى جنتيه وأفرد الجنة من حيث الوجود، إذ لا يدخلهما معاً في وقت

(١) سورة الكهف: آية ٣٥.

(٢) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٦).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٢٠)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٢٤).

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٦)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ١٠٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٤٨٨)، روح المعاني للآلوسي (٧/ ٢٦١).

واحد، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (ابن عطية، والنسفي وأبو السعود، والشوكاني، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، و الشنقيطي) [(١)].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن افرد الجنة بعد التثنية، وذلك لما يلي:

١. لأن الإضافة هنا ﴿جَنَّتَهُۥ﴾ للعهد، والذي يدل عليه السياق والمحاورة . أن المراد: ودخل جنته مع صاحبه، قال القونوي: أي: ليس المراد البستان بخصوصه، بل يعمه وغيره فلا يكون المقام التثنية، وأن الإضافة هنا للاستغراق والعموم، فيتناول كل بستان له[(٢)].

٢. يمكن حمل إفراد الجنة على كونه لم يُدخل أخاه إلا مرة واحدة منها أو لكونهما لـما اتـصلا كانا كواحدة، لما أخرج ابن أبي حاتم عن السدي أنه قال في قوله -تعالى-: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ الجنة: البستان، فكان له بستان واحد وجدار واحد وكان بينهما نهر فلذلك كان جنتين وسماه الله - سبحانه - جنة من قبل الجدار المحيط به[(٣)].

قال الشوكاني: « وإفراد الجنة هنا: يحتمل أن وجهه كونه لم يدخل أخاه إلا واحدة منهما، أو لكونهما لما اتصلا كانا كواحدة، أو لأنه أدخله في الواحدة ثم واحدة أو لعدم تعلق الغرض بذكرهما، وما أبعد ما قاله صاحب الكشاف: أنه وحد الجنة للدلالة على أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون » [(٤)].



---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٥١، الارشاد لأبي السعود (٤/ ١٨٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٤)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٢٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٩)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٨٧).

(٢) حاشية القونوي (١٢/ ٨٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم لأبن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٠).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٤).

[١١٠/٣٤] **المسألة الثانية: مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾.**

رجح أبو حيان ~ أن المراد (بهذه) الجنة التي دخلها الكافر؛ حيث قال ~ : « والظاهر: أن الإشارة بقوله: ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إلى الجنة التي دخلها .... ويبعد قول من قال: يحتمل أن يشير بهذه إلى الهيئة من السموات والأرض وأنواع المخلوقات، ودل كلامه على أن المحاورة التي كانت بينهما هي: في فناء العالم الذي هذه الجنة جزء منه، وفي البعث الأخروي أن صاحبه كان تقرر له هذان الأمران، وهو يشك فيهما »[1].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في اسم الإشارة (هذه) في قوله -تعالى-: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ على ماذا يعود؛ على قولين:

القول الأول:

أنه يعود على الجنة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والواحدي، والبغوي، والزمخشري والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، الآلوسي، والطاهر بن عاشور والقاسمي، والشنقيطي)[2].

القول الثاني:

أنه يعود على الهيئة (هيئة السموات والأرض) وأنواع المخلوقات كما عبر بعض المفسرين بأنه أشار إلى فناء الدنيا، وقد اختاره: (الزجاج، والنحاس، وابن عطية)[3].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٢٠)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٢٤).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٨٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٨)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٨٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٢٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٩)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٨٦).

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٨٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٤١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٧).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين أن المراد (بهذه) يعود إلى الجنة، وذلك لما يلي:

- لدلالة السياق، قال ابن كثير ~ : « وذلك اغتراراً منه - صاحب الجنة - لما رأي فيها (من الزروع والثمار، والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف، وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة » [(١)].



(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٨).

قال -تعالى-: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾[1] وفيها مسألة واحدة:

[٣٥/١١١] المسألة : معنى قوله - تعالى - : ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾

رجح أبو حيان ~ أن معنى ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي: أن أصلك - أيها الإنسان - من تراب، وهو آدم ﷺ، أو أن ماء الرجل يتولد من أغذية راجعة إلى التراب . حيث قال ~ : « وقوله: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ إما أن يراد خلق أصلك من تراب وهو آدم ﷺ وخلقه أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقاً له، أو أريد أن ماء الرجل يتولد من أغذية راجعة إلى التراب، فنبه أولاً على ما تولد منه ماء أبيه، ثم ثانية على النطفة التي هي ماء أبيه وأما ما نقل من أن ملكاً وكل بالنطفة يلقي فيها قليلاً من تراب قبل دخولها في الرحم فيحتاج إلى صحة نقل » [2].

❖ <u>الدراسة والموازنة:</u>

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ على أقوال:

<u>القول الأول:</u>

معنى قوله -تعالى-: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي جعل أصل خلقك من تراب، حيث خلق أباك آدم منه، وهو أصلك، وأصل البشرية، فلكل فرد حظ من ذلك، وهذا مارجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري وابن عطية، وابن الجوزي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود والشوكاني والآلوسي، والشنقيطي، وابن عثيمين) [3].

---

(١) سورة الكهف: آية ٣٧.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٢١)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٢٦).

(٣) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٨٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٣)، الكشاف للزمخشري ⇐ =

القول الثاني:

أن معناه أي ماء الرجل يتولد من أغذية راجعة إلى التراب، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وهو داخل في القول الأول؛ لأن الفرع يلحق بالأصل، وقد اختاره: (أبو السعود، والشهاب الخفاجي، والقونوي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي والمراغي)[(١)].

القول الثالث:

بأن الملك الذي وكل بأمر النطفة يلقى فيها قليلاً من تراب قبل دخولها في الرحم، ثم يخلق الله -تعالى- منها ما شاء من ذكر أو أنثى، قال الآلوسي: (وتعقبه في البحر بأنه يحتاج إلى ثبوت صحته، وأنا أقول: غالب ظني أني وقفت على تصحيحه لكن في تخريج الآية عليه كلام لا يخفى) [(٢)].

ولم أقف على شيء في هذا المعنى، وإنما الصحيح ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: { إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك،ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً، فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة }[(٣)].

= (٣/ ٥٨٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٠٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٨)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٨٨)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٥)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٨٧)، تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص٧١.

(١) الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩٠)، حاشية الشهاب (٦/ ١٧٦)، حاشية القونوي (١٢/ ٨٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٢٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٣٠)، تفسير المراغي (٥/ ٤٠٢).

(٢) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٣).

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣/ ١١٧٤)، صحيح مسلم كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتاب رزقه وأجله وعمله وشقاوته (٤/ ٢٠٣٤)، سنن الترمذي كتاب القدر باب أن الأعمال بالخواتيم (٤/ ٤٤٦).

❖ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن معنى قوله - تعالى-: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي: جعلك - أيها الإنسان - من تراب وهو آدم عليه السلام أو أن ماء الرجل يتولد من أغذية راجعه إلى التراب وذلك لما يلي:

لأنه إما يكون أصل مادة الإنسان وهي الأغذية تتولد من تراب، ومن ثم تنقلب إلى نطفة، فتكون الأغذية التي أصلها من التراب مادة الإنسان؛ باعتبار ما تؤول إليه، أو إما أم مادة أصلك - أيها الإنسان - وهو آدم عليه السلام، فيكون الإنسان مجازاً باعتبار السببية فأما في الأول فالإسناد حقيقي لكن التراب مجاز لغوي، إذ المراد به النطفة مثل أعصر خمراً [(١)].

قال الآلوسي: «فإسناد الخلق من تراب حقيقة باعتبار أنه مادة أصله، وقيل: خلقك منه لأنه أصل مادتك، إذ ماء الرجل يتولد من أغذية راجعه إلى التراب فالإسناد مجاز من إسناد ما للسبب إلى المسبب فتدبر » [(٢)].

قال الشنقيطي ~ : « معنى خلقه إياه من تراب: أي خلق آدم الذي هو أصله من تراب، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [(٣)] ونظير الآية الآية في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [(٤)]، وقوله: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: بعد أن خلق آدم من التراب وخلق حواء من ضلعه، وجعلها زوجاً له، كانت طريق إيجاد الإنسان بالتناسل فبعد طور التراب طور النطفة، ثم طور العلقة إلى آخر أطواره قال -تعالى-: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [(٥)] وقد أوضح هذه الأطوار إيضاحاً تاماً في قوله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ

---

(١) انظر حاشية الشهاب (٦/ ١٧٦)، حاشية القونوي (١٢/ ٨٢).

(٢) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٢).

(٣) سورة آل عمران: آية ٥٩.

(٤) سورة الحج: آية ٥.

(٥) سورة نوح: آية ١٤.

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[1] »[2].

---

(١) سورة المؤمنون: آية ١٢-١٤.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٨٧).

قال -تعالى-: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾ (١) وفيها مسألة واحدة:

[٣٦/١١٢] المسألة: معنى ﴿زَلَقًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى الزلق: ما لا يثبت فيه القدم من الأرض حيث قال ~: « (والزلق) مالا يثبت فيه القدم من الأرض، فتصبح ﴿صَعِيدًا﴾ أي أرضاً بيضاء لا نبات فيها، لا من كرم، ولا من نخل، ولا زرع، قد اصطلم(٢) جميع ذلك، فبقيت يباباً قفراً يزلق عليها لأملاسها، والزلق: الذي لا يثبت فيه قدم، ذهب غراسه وبناؤه وسلب المنافع حتى منفعة المشي فيه فهو وحل لا ينبت ولا يثبت فيه القدم، وقال الحسن: الزلق الطريق الذي لا نبات فيه(٣)، وقيل: الخراب، وقال مجاهد: رملاً هائلاً(٤) وقيل الزلق: الأرض السبخة(٥) ».

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى (الزلق) على عدة أقوال:

القول الأول:

أن معنى (الزلق): الذي لا يثبت فيه قدم من الأرض، أي أرض ذهب غرسها وبناؤها وسلبت المنافع حتى منفعة المشي فيه، فهو وحل لا ينبت، ولا يثبت فيه قدم، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والزجاج، والماوردي، والواحدي،

---

(١) سورة الكهف: آية ٤٠.

(٢) الإصطلام: الاستئصال، اصطلم القوم: أبيدوا، انظر لسان العرب (٤/ ٢٤٨٩).

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٧).

(٤) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٣)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٩٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٧).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٢٣)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٢٧).

والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي) [(١)].

القول الثاني:

أن الزلق: الطريق الذي لا نبات فيه، وهو قول الحسن[(٢)]، واختاره: (الفراء، والنحاس والسمرقندي، والبغوي، وابن عادل) [(٣)].

القول الثالث:

أن الزلق: الرمل الهائل، وهو قول مجاهد[(٤)].

القول الرابع:

أن الزلق هو: الأرض السبخة.

---

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٨٧)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٠)، بحر العلوم للماوردي (٢/ ٣٠٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٠٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٠٩)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٦٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٩)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٢٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٩)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٦٧).

(٢) سبق توثيقه انظر ص٥٣٢ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٤٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٤٥) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٨)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٣)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٩٤).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٥٣٢ .

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن هذه الأقوال جميعها متقاربة وذلك لدلالة اللغة على ذلك قال ابن فارس: الزاء واللام والقاف أصل واحد يدل على تزلج الشيء عن مقامه، من ذلك الزلق، والمزلقة والمَزْلَق: الموضع لا يثبت عليه، وقال ابن الأعرابي: زلق الرجل رأسه: حلقه[1].

قال القرطبي: « معنى قوله -تعالى-: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ يعنى أرضاً بيضاء لا ينبت فيها نبات ولا يثبت عليها قدم، وهي أضر أرض بعد أن كانت جنة أنفع أرض، ﴿زَلَقًا﴾ تأكيد لوصف الصعيد أي تزل عنها الأقدام لملامستها، يقال: مكان زلق (بالتحريك) أي: دَحْض، وهو في الأصل مصدر قولك: زلِقت رجله مَزْلَق زَلَقاً، وأزلقها غيره، والمَزْلَقه: الموضع الذي لا يثبت عليه قدم وكذلك الزَّلاّقة، والزَّلْق المحلوق، كالنَّقْض والنَّقض، وليس المراد أنها تصيره مزلقة، بل المراد أنها لا يبقى فيها نبات كالرأس إذا حلق لا يبق عليه شعر قاله القشيري »[2].

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢١-٢٢) باختصار يسير.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٦٥).

قال -تعالى-: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾[1] وفيها مسألة واحدة:

[٣٧/١١٣] المسألة: مرجع الضمير في قوله: ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله: ﴿لَهُۥ طَلَبًا﴾ عائد إلى الماء الغائر؛ حيث قال ~ : « والضمير في ﴿لَهُۥ﴾: عائد على الماء، أي: لن يقدر على طلبه لكونه ليس مقدوراً على رد ما غوّره الله تعالى، وحكى الماوردي أن معناه: لن تستطيع طلب غيره بدلاً منه[2] »[3].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله: ﴿لَهُۥ طَلَبًا﴾ على قولين:

القول الأول:

أن مرجع الضمير يعود على الماء الغائر، أي: لن يقدر على طلبه لكونه ليس مقدوراً على رد ما غوره الله -تعالى-، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي)[4].

---

(١) سورة الكهف: آية ٤١.

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٨).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٢٣)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٢٧).

(٤) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٨٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٤٦)، بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٤٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٠٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٠٩)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٦٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٢)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٤٨٤)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٧).

القول الثاني:

أن مرجع الضمير يعود على: الماء مطلقاً وليس الماء المخصوص، أي: فلن تستطيع طلب غيره بدلاً منه، وهو قول: الماوردي.

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين من أن مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿لَهُۥ طَلَبًا﴾ يعود على الماء الغائر فذلك لما يلي

١. لأن هذا أبلغ في المعنى فيكون معنى الآية: أي لن يقدر على طلب الماء الغائر لكونه ليس مقدوراً على ما غوّر الله -تعالى-، قال القونوي: « قوله (ترددا في رده) تفسير طلباً توضيحاً للمراد منه وهو: التردد، والتحرك، والعمل في رده إلى الحالة الأولى لا مطلق الطلب، هذا أبلغ من القول فلن تطلب، أو فلن تصل، أو فلن تستطيع الوصول إليه ؛ لأن فيه بياناً لاستحالته، والعاقل لا يطلب المحال وإن استطاع الطلب لكن نفى الاستطاعة مبالغة في عدم رده، وإخراجه، فالمراد عدم استطاعة الوصول إليه »[1].

٢. لأنه خلاف ظاهر اللفظ، قال الآلوسي: « وقيل ضمير (له): للماء مطلقاً، لا للماء المخصوص، أي: فلن تستطيع لماء لها بدل ذلك الماء الغائر طلباً وهو الذي يقتضيه كلام الماوردي إلا أنه خلاف الظاهر »[2].

---

(١) حاشية القونوي (١٢/ ٨٧).

(٢) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٧).

قال -تعالى-: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [1] وفيها مسألتان:

[٣٨/١١٤] المسألة الأولى: معنى تقليب الكف.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾أي: أن صاحب الجنة يقلب كفية، كناية عن الندم؛ حيث قال ~ : « وتقلب كفيه ظاهره: أنه يقلب كفيه ظهراً لبطن وهو أن يبدي باطن كفه ثم يعوج كفه حتى يبدو ظهرها، وهي فعلة النادم المتحسر على شيء قد فاته المتأسف على فقدانه كما يكنى بقبض الكف والسقوط سقط في اليد وقيل: يصفق بيده الأخرى ويقلب كفيه ظهراً لبطن، وقيل: يضع باطن إحداهما على ظهر الأخرى ولما كان هذا الفعل كناية عن الندم عداه تعديه فعل الندم فقال: ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ كأنه قال: فأصبح نادماً على ذهاب ما انفق في عمارة تلك الجنة» [2].

◈ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بتقليب الكفين في قوله -تعالى-: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ على قولين:

القول الأول:

أن صاحب الجنة يقلب كفيه ندماً على ما أنفق فيها، وأسفاً على ما تلف، وسواء كان هذا التقليب بأن يقلب كفيه ظهراً لبطن؛ بأن يبدي باطن كفه ثم يعوج كفه حتى يبدو ظهرها، أو بأن يضع باطن إحداهما على ظهر الأخرى، أيا كانت صور التقليب فهو كناية عن الندم واستظهر أبو حيان ~ الوجه الأول منه، وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والنحاس، السمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي والقرطبي، والنسفي، وابن كثير وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي،

---

(١) سورة الكهف: آية ٤٢.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٢٣)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٢٧).

والطاهر بن عاشور، والقاسمي)[1].

القول الثاني:

أنه يقلب ملكه، فلا يرى فيه عوض ما أنفق وهلك، لأن الملك قد يعبر عنه باليد، من قولهم: في يده مال، أي: في ملكه، وقد اختاره الماوردي[2]، قال الشوكاني: وهو بعيد جداً[3].

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن معنى تقليب الكفين ندماً على ما تلف وأسفاً بأي صورة من صور التقليب.

قال الآلوسي: « ومعنى تقليب الكفين على ما استظهره أبو حيان أن يبدي بطن كل منهما ثم يعوج يده حتى يبدو ظهر كل، يفعل ذلك مراراً وقال غير واحد: هو أن يضع باطن إحداهما على ظهر الأخرى ثم يعكس الأمر ويكرر ذلك، وأيا كان فهو كناية عن الندم والتحسر وليس ذلك من قولهم: قلبت الأمر ظهراً لبطن كما في قول عمرو بن ربيعه:

وضربنا الحديث ظهراً لبطن وأتينا من أمرنا ما اشتهينا

فإن ذلك مجاز عن الانتقال من بعض الأحاديث إلى بعض »[4].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٨٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٤٦)، بحر العلوم للسمرقندي (٣/ ٣٤٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٣)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥١٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٠٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٦٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٩)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٤٨٥)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٢٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٣٢).

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٨)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٦٦).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٧).

(٤) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٨).

وقال الطاهر بن عاشور: « وتقليب الكفين: حركة يفعلها المتحسر، وذلك أن يقلبهما إلى أعلى ثم إلى قبالته تحسراً على ما صرفه من المال في إحداث تلك الجنة، فهو كناية عن التحسر، ومثله قولهم: قرع السن من ندم وقوله -تعالى-: ﴿عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾[١] »[٢]، ولأن هذا ظاهر اللفظ، وتقدير ما ظهر في القرآن أولى في بابه من كل تقدير[٣].

(١) سورة آل عمران: آية ١١٩.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٢٧).

(٣) قواعد الترجيح (٢/ ٤٢٩).

[١١٥/٣٩] المسألة الثانية: وقت تمني انتفاء الشرك.

رجح أبو حيان ~ أن تمني انتفاء الشرك صدر منه حال الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة؛ حيث قال ~ : « وتمنيه انتفاء الشرك، الظاهر: أنه صدر منه ذلك في حال الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة، وفي ذلك زجر للكفرة من قريش وغيرهم لئلا يجئ لهم حال يؤمنون فيها بعد نقم تحل بهم، قيل: أَرسل الله عليها ناراً فأكلَتها فتذكر موعظة أخيه، وعلم انه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا، وقال بعض المفسرين: هي حكاية عن قول الكافر: هذه المقالة في الآخرة، ولما افتخر بكثرة ماله»(١).

◈ **الدراسة والموازنة:**

أخبر -تعالى- انه لما سلبه ما انعم به عليه، وحقق ما انذر به أخوه، ندم على شركه حين لا تنفعه الندامة، ولكن اختلف المفسرون في وقت قول هذه المقالة (تمنى انتفاء الشرك) على قولين:

القول الأول:

هي حكاية عن قول الكافر هذه المقالة في الآخرة، وقد اختاره: (ابن عطية) (٢).

القول الثاني:

أنه قالها في الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة، ويكون فيها زجراً للكفرة من قريش وغيرهم، لئلا تجيء لهم حال يؤمنون فيها بعد نقم تحل بهم، وهذا ما رجحه ابو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والسمرقندي، والواحدي، والزمخشري، وابن الجوزي، والنسفي، والشوكاني، والآلوسي) (٣).

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٢٤)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٢٧).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطيه (٣/ ١٢٤).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٨٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٠٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٦٩).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى اعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ بان الكافر قال هذه المقالة وهي (تمني انتفاء الشرك) في الدنيا وذلك لما يلي:

١- لدلالة السياق على هذا المعنى، وجملة ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ معطوفة على ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ أو حال من ضميره، أي: وهو يقول تمنى عند مشاهدته لهلاك جنته بأنه لم يشرك بالله حتى تسلم جنته من الهلاك، أو كان هذا القول منه على الحقيقة لا لما فاته من الغرض الدنيوي، بل لقصد التوبة من الشرك والندم على ما فرط منه(١).

قال الطاهر بن عاشور: « وجملة ﴿وَيَقُولُ﴾ حكاية لتندمه على ما فرط منه حين لا ينفعه الندم بعد حلول العذاب، والمضارع للدلالة على تكرر ذلك القول منه » (٢).

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٧).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٢٧).

قال -تعالى-: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [1] وفيها مسألة واحدة:

[٤٠/١١٦] المسألة: المراد بالباقيات الصالحات.

رجح أبو حيان ~ ما رجحه الجمهور من أن المراد بالباقيات الصالحات هي الكلمات المأثور فضلها؛ حيث قال ~ : « و﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ قال الجمهور: هي الكلمات المأثور فضلها " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم "، وقال ابن عباس ﷺ وابن جبير وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل [2] هي: الصلوات الخمس [3]، وعن ابن عباس ﷺ: أنه كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة [4]، ورجحه الطبري [5]، وقول الجمهور مروي عن رسول الله ﷺ من طريق أبي هريرة ﷺ وغيره [6] .

---

(١) سورة الكهف: آية ٤٦.

(٢) أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني، الكوفي، ذكره البخاري وغيره في التابعين وثقه بن معين وآخرون، وكان من أفاضل أصحاب عبدالله بن مسعود، مات سنة ثلاث وستين، انظر الاصابة لابن حجر (٥/ ١٤٦)، الطبقات الكبرى (٦/ ١٠٦).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٩٢)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٠)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٥١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٩٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٥٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٠)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٦٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٥٠).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٩٦).

(٦) تخريج الحديث: أخرجه بهذا اللفظ الطبري في جامع البيان (١٥/ ٢٩٥)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ثواب من سبح الله مائة تسبيحة وتحميدة وتكبيرة (٦/ ٢١٢)، والإمام أحمد في مسنده باب حديث النعمان بن بشير ﷺ (٤/ ٢٦٧)، وورد هذا الحديث من رواية أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل: وماهي يا رسول الله؟ قال: ⇦=

وعن قتادة: كل ما أريد به وجه الله[1]، وعن الحسن وابن عطاء: أنها النيات الصالحة فإن بها تتقبل الأعمال وترفع[2] »[3].

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالباقيات الصالحات في قوله -تعالى-: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أنها الكلمات المأثور فضلها وهي قول: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) وهو قول: " عثمان بن عفان، وابن عباس - ﷺ -، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك "[4] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ في البحر ونصّ عليه في النهر، واستدل عليه بأن قوله ﷺ: (هن الباقيات الصالحات)[5] مقيد

= التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله " قال عنه الألباني في ضعيف الترهيب والترغيب: ضعيف (١/ ٢٣٧)، وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف (٢/ ٧٥)، وأما الرواية التي استدل بها أبو حيان رحمه الله فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال خذوا جُنتكم قالوا: يا رسول الله: عدوٌ حضر، قال: لا، ولكن جنتكم من النار، قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنهن يأتين يوم القيامة مجنيات ومعقبات وهن الباقيات الصالحات، قد رواه النسائي واللفظ له، والحاكم، والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح (٢/ ٢١٢)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٩/ ٤٤) حديث رقم (٣٢٦٤).

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٧) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٠)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٨٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٥١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٧٠).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٢٧)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٣٢).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٩٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٤٩)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٠٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٠)، الدر المنثور للسيوطي(٥/ ٣٤٩).

(٥) انظر النهر الماد (٦/ ١٣٢).

للحصر بعد التنصيص على مالا عموم فيه[1]، واختاره: (الواحدي، والبغوي، وابن كثير، والآلوسي) [2].

القول الثاني:

أنها الصلوات الخمس، قاله (ابن عباس ، وابن جبير)[3] وقد اختاره: (السمرقندي)[4].

القول الثالث:

أنها الأعمال الصالحة، فكل عمل صالح يبقى ثوابه فهو من الباقيات الصالحات، (فالصلوات الخمس، والصدقات، والصيام، والجهاد، وأعمال الخير والبر كلها)، وقد اختاره: (ابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، والزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي، وأبو السعود، والشوكاني، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والشنقيطي، وابن عثيمين) [5].

القول الرابع:

أنها: النيات الصالحة، وهو قول قتادة[6].

---

(١) روح المعاني الآلوسي (٨/ ٢٧٢).

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٥١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٧٢).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٥٤٢ .

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٤٩).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٩٦)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٥٠)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١١٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٦٩)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٩٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٣٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٣٤)، اضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٩١)، تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص(٧٩).

(٦) سبق توثيقه ص٥٤٣ .

◈ **الترجيــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – ان (الباقيات الصالحات) لفظ عام يشمل الصلوات الخمس، والكلمات الخمس المذكورة، وغير ذلك من الأعمال التي ترضي الله ﷻ وذلك:

١. لأن كل هذه الأعمال الصالحة من صلاة، وذكر، وغيرها، وصفها الله – سبحانه – بأنها غير زائلة، ولا فانية، كزينة الحياة الدنيا؛ حيث أنه قابل الباقيات الصالحات بالفانيات الزائلات؛ كما في قوله: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[1].

٢. لأن أقوال العلماء في معنى ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ كلها راجعه إلى شيء واحد وهي الأعمال التي ترضي الله ﷻ، قال الشوكاني: « والظاهر أن الباقيات الصالحات كل عمل خير، فلا وجه لقصرها على الصلاة، كما قال البعض، ولا لقصرها على نوع من أنواع الذكر، كما قال بعض آخر، ولا على ما كان يفعله فقراء المهاجرين باعتبار السبب، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبهذا تعرف أن تفسير الباقيات الصالحات في الحديث لا ينافى هذا اللفظ على هو عمل صالح من غيرها[2]، قال القاسمي: « وقع في كلام السلف تفسير ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ بالصلوات وأعمال الحج والصدقات والجهاد والعتق وقول: " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " والكلام الطيب وبغيرها، مما روي مرفوعاً وموقوفاً، والمرفوع من ذلك كله لم يخرّج في (الصحيحين) وكله على طريق التمثيل، وأن اللفظ الكريم يتناولها لكونها من أفراده » [3].

---

(١) سورة الكهف: آية ٤٥.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٥٩).

(٣) محاسن التأويل (٥/ ٣٥).

قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [1] وفيها ثلاث مسائل:

[٤١/١١٧] المسألة الأولى: هل إبليس من الجن أم من الملائكة؟

رجح أبو حيان ~ أن إبليس ليس من الملائكة، وإنما هو من الجن؛ حيث قال ~: «والظاهر من هذه الآية أنه ليس من الملائكة، وإنما هو من الجن قال قتادة: الجن هي من الملائكة خلقوا من نار السموم[2]، وقال شهر بن حوشب[3]: هو من الجن الذين ظفرت بهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء[4]، وقال الحسن وغيره: وهو أول الجن وبُداءتهم كآدم في الإنس[5]، وقال فرقة: كان ابليس وقبيلهُ جناً لكن الشياطين اليوم من ذريته فهو كنوح في الإنس، وقال الزمخشري: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس (من الساجدين) كأن قائلاً قال: ماله لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن، ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾، والفاء للتسبيب أيضاً جعل كونه من الجن سبباً في فسقه، لأنه لو كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله؛ لأن الملائكة معصومون البته لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والأنس، كما قال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ

---

(١) سورة الكهف: آية ٥٠.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٦)، الدر المنثور للسوطي (٥/ ٣٥٣).

(٣) شهر بن حوشب الأشعري الشامي الحمصي، ويقال الدمشقي، مولى اسماء بنت يزيد بن السكن، صدوق، كثير إرسال والأوهام توفي سنة ١١٢هـ، انظر تهذيب التهذيب (٤/ ٣٢٤)، التقريب (١/ ٢٦٩)، الثقات للعجلي (١/ ٤٦٢).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠١)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٢)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٤٥).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠١)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٣)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٨).

بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [1] وهذا الكلام المعترض تعمد من الله ﷻ لصيانة الملائكة من وقوع شبهة في عصمتهم، فما أبعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضادّه فزعم أنه كان ملكاً، ورئيساً على الملائكة، فعصى فلعن ومسخ شيطاناً، ثم ورّكه[2] على ابن عباس، انتهى[3] » [4].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في أصل إبليس على قولين:

القول الأول:

أن ابليس كان من الجن حقيقة، واستدل أصحاب هذا القول بظاهر النص، وقالوا بأن له ذرية وليس للملائكة ذرية، وأنه كفر والملائكة رسل الله، فهم معصومون من الكفر وهو قول (الحسن البصري، وابن زيد، والزهري) [5] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الزجاج، والزمخشري، والفخر الرازي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل، وابو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي) [6].

---

(١) سورة الانبياء: آية ٢٧.

(٢) ورّكه: أي اتهمه به، انظر لسان العرب (١٠/ ٥٠٩)، أي نسبه كذباً إلى ابن عباس { .

(٣) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٢).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٢٩).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٧٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٠٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٠٣).

(٦) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٣)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١١٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٤)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٥٠٨)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٧٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٤٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٩٨).

القول الثاني:

أنه كان من الملائكة، وانما قيل " من الجن " لأنه كان من قبيل من الملائكة يقال لهم: الجن، وهو المنقول عن (ابن عباس، وابن مسعود، وعلي بن ابي طالب - ﷺ -، ومجاهد، وقتادة، وابن جريج، وطاووس)[1]، وقد ذكر الشنقيطي ~ بأن هذه الأقوال هي من الاسرائليات التي لا معول لها: « وما يذكره المفسرون عن جماعة عن السلف كابن عباس وغيره: من أنه كان من أشراف الملائكة، ومن خزان الجنة، وأنه كان يدبر أمر السماء الدنيا، وأنه كان اسمه عزرائيل - كلمة من الإسرائيليات التي لا معول عليها »[2]، وقد اختار هذا القول بأنه من الملائكة: (الطبري، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والسمين الحلبي، والقاسمي، ومحمد رشيد رضا)[3].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من العلماء بأن إبليس: من الجن وذلك لما يلي:

١. لأن هذه الآية نص في ذلك، قال -تعالى-: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾[4] قال الشنقيطي: وهو أظهر شيء في الموضوع من نصوص الوحي[5]، وكفى بالآية حجة في الموضوع.

٢. لان إبليس له ذرية قال -تعالى-: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ

---

(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٢)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٧٣).

(٢) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٩٨).

(٣) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠١)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٥٠٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٣٦)، تفسير المنار (١/ ٢٦٥).

(٤) سورة الكهف: آية ٥٠.

(٥) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٩٨).

إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [1] أنكر على من حكم عليهم بالأنوثة وإذا انتفت الأنوثة، انتفت الذرية[2].

٣. لقوله -تعالى-: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [3] فإن الآية تدل دلالة صريحة على أن الجن غير الملائكة وإبليس من الجن[4].

٤. أن الملائكة معصومون كما قال -تعالى-: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [5] وإبليس ليس كذلك[6].

٥. اختلاف مادة خلق الجن عن الملائكة، إذا الملائكة من نور، وخلق إبليس من نار، قال ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[7].

٦. إن لفظ الجن في الحقيقة العرفية اختص بغير الملائكة، والحقيقة العرفية مقدمة على الحقيقة اللغوية[8].

٧. أما أمره بالسجود مع الملائكة فلا يكفي لأن يكون منهم، قال الزجاج: « فإن قال قائل: فكيف استثني مع ذكر الملائكة، فقال: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾، فكيف وقع الاستثناء وهو ليس من الأول ؟، فالجواب في هذا: أنه أُمر معهم بالسجود، فاستثني من أنه

---

(١) سورة الزخرف: آية ١٩.

(٢) انظر جامع البيان (١/ ٢٢٦)، ومفاتيح الغيب (٢/ ٢١٤).

(٣) سورة سبأ: ٤٠-٤١.

(٤) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢/ ٢١٣).

(٥) سورة التحريم: آية ٦.

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ١٧٨).

(٧) تخريج الحديث: صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة (٤/ ٢٢٩٤).

(٨) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢/ ٢١٤).

لم يسجد، والدليل على ذلك أنك تقول: أمرت عبدي وإخوتي فأطاعوني إلا عبدي، وكذلك قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾[1]، ورب العالمين ليس كمثله شيء، وقد جرى ذكره في الاستثناء، وهو استثناء ليس من الأول، ولا يقدر أحد أن يعرف معنى الكلام غير هذا[2].

(١) سورة الشعراء: آية ٧٧، من كلام إبراهيم عليه السلام ذكر أن الأصنام أعداؤه واستثنى رب العالمين وليس داخلا فيهم.

(٢) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٢٩٣).

[٤٢/١١٨] المسألة الثانية : معنى قوله - تعالى - ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾

رجح أبو حيان ~ أن معنى ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: فخرج عن أمر ربه حيث قال ~ : « والظاهر: أن معنى ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾: فخرج عما أمره ربه به من السجود، قال رؤبة[1] :

يَهْوِينَ فِي نَجْدٍ وَغَوْراً غائراً فَوَاسِقاً عَنْ قَصْدِهَا حَوَائِرَا[2]

و قيل: (ففسق) صار فاسقاً كافراً بسبب أمر ربه الذي هو قول: ﴿فَفَسَقَ﴾ حيث لم يمتثله، قيل: ويحتمل أن يكون المعنى ففسق بأمر ربه أي بمشيئته وقضائه لأن المشيئة يطلق عليها أمر كما تقول: فعلت ذلك عن أمرك، أي: بحسب مرادك »[3].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن معناها: خرج عن طاعة ربه، تقول العرب: فسقت الرُطبة من قشرها إذا خرجت منه، قاله الفراء[4]، وابن قتيبة[5]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والسمرقندي، والماوردي، والواحدي والزمخشري، وابن عطية، والنسفي وابن كثير،

---

(١) رؤبة بن العجاج ، أبو الجحاف من رجاز الإسلام و فصحائهم بدوي نزل البصرة وهو من مخضرمي الدولتين مدح بني أمية و بني العباس و مات في أيام المنصور . انظر الأغاني (٢٠ / ٢٥٩) .

(٢) هذا بيان من مشطور الرجز لرؤبة، أوردهما صاحب (مجموع أشعار العرب) ج٣ في ملحق ديوان رؤبة ص١٩٠، والبيت الثاني في اللسان [فسق]، والشاهد في فواسقاً بمعنى خوارج، وقد استشهد بهما أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٤٠٦)، قال: « ففسق عن أمر ربه »: جاز عنه، وكفر به، انظر تهذيب اللغة للأزهري (٨/ ٤١٤)، لسان العرب لابن منظور (١٠/ ٣٠٨).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٢٩)، وانظر النهر (٦/ ١٣٥).

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٤٧).

(٥) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٣).

وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والشنقيطي)[١].

القول الثاني:

أن معناها: أتاه الفسق لما أمر فعصى، فكان سبب فسقه عن أمر ربه حيث لم يمتثله قال الزجاج: وهذا مذهب الخليل[٢]، وسيبويه[٣]، وقد اختاره (الزجاج) [٤].

القول الثالث:

ففسق عن أمر ربه، أي: بسببه، وأن ﴿عَن﴾ سببية، كقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾[٥]، حكاه الزجاج[٦] عن قطرب[٧].

---

(١) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٤) الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٢)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٤) الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٧٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٤١)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٣٦)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٩٨).

(٢) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، أبو عبدالرحمن، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، توفي سنة ١٧٠هـ، انظر نزهة الألباء ص٤٥، وإبناه الرواة (١/ ٣٧٦)، ووفيات الأعيان (٢/ ٢٠٦).

(٣) سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو البشر إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، توفي ١٨٠ هـ، انظر تاريخ بغداد (١٢/ ١٩٥)، ونزهة الألباء (٢٥٤)، إبناه الرواة (٢/ ٣٤٦).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٤).

(٥) سورة هود: آية ٥٣.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٤).

(٧) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقُطْرُب، نحوي عالم بالأدب واللغة، يرى رأي المعتزلة، توفي سنة ٢٠٦هـ. انظر نزهة الالباء ص٧٦، ومعجم الأدباء (١٩/ ٥٢)، وإبناه الرواة (٣/ ٢١٩).

القول الرابع:

والفسق: الاتساع، ومعناه اتسع في محارم الله، واختاره (الماوردي) [(١)].

◈ الترجيـــــح:

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من جمهور المفسرين من أن معنى ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي خرج عن طاعة أمر ربه وذلك لأن معنى (فسق) في اللغة أي خرج، قال الراغب: « فسق فلان: خرج عن حَجْر الشرع، وذلك من قولهم: فسق الرطب، إذا خرج عن قشره، وهو أعم من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تُعُورف فيما كان كثيراً » [(٢)].

قال الطبري: «﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: فخرج عن أمر ربه، وعدل عنه ومال كما قال رؤبة:

يَهْــوِينَ فِي نَجْــدٍ وَغَــوْراً غــائراً فَوَاسِــقاً عَــنْ قَــصْدِهَا حَــوَائِرَا

يعني بالفواسق: الإبل المنعدلة عن قصد نجد، وكذلك الفسق في الدين إنما هو الأنعدال عن القصد، والميل عن الاستقامة » [(٣)].

قال الشنقيطي: « وهذا المعنى ظاهر لا اشكال فيه، فلا حاجة لقول من قال: إن (عن) سببية، كقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ [(٤)] أي بسببه، وأن المعنى: ففسق عن أمر ربه، أي بسبب أمره حيث لم يمتثله، ولا غير ذلك من الأقوال» [(٥)].



(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٤).

(٢) مفردات الفاظ القرآن ص(٦٣٦)، وانظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٥٠٢).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠٢).

(٤) سورة هود: آية ٥٣.

(٥) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٩٨).

[٤٣/١١٩] المسألة الثالثة: هل لإبليس ذرية؟

رجح أبو حيان ~ أن للشيطان ذرية ونسل، حيث قال ~ : « والظاهر أن لإبليس ذرية، وقال الشعبي: لا يكون ذرية إلا من زوجة[١]، وقال ابن زيد: إن الله قال لإبليس: إني لا أخلق لآدم ذرية إلا ذرأت لك مثلها، فليس يولد لولد آدم ولد إلا ولد معه شيطان يقرن به[٢]، وقيل للرسول ﷺ: ألك شيطان؟ قال: نعم، إلا أن الله -تعالى- أعانني عليه فأسلم[٣]، وسمى الضحاك وغيره من ذرية إبليس جماعة، الله أعلم بصحة ذلك، وكذلك ذكروا كيفيات في وطئه وإنساله، الله أعلم بذلك[٤]، وذهب قوم إلى أنه ليس لإبليس ولد، وإنما الشياطين هم الذين يعينونه على بلوغ مقاصده » [٥].

---

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٧٣)، وأخرج ابن المنذر عن الشعبي أنه سئل عن إبليس هل له زوجة؟ فقال: إن ذلك عرس ما سمعت به، انظر الدر المنثور (٥/ ٣٥٥)، قال الشنقيطي: « وما فهمه الشعبي من هذه الآية من أن الذرية تستلزم الزوجة روي مثله عن قتادة. وقال مجاهد: إن كيفية وجود النسل منه أنه أدخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات، قال: فهذا أصل ذريته. وقال بعض أهل العلم: إن الله تعالى خلق له في فخذه اليمنى ذكراً، وفي اليسرى فرجاً، فهو ينكح هذا بهذا فيخرج له كل عشر بيضات، يخرج من كا بيضة سبعون شيطاناً وشيطانة. ولا يخفى أن هذه الأقوال ونحوها لا معول عليها لعدم اعتضادها بدليل من كتاب أو سنة، فقد دلت الآية الكريمة على أن له ذرية، أما كيفية ولادة تلك الذرية فلم يثبت فيه نقل صحيح، ومثل لا يعرف بالرأي » أضواء البيان (٢/ ٣٩٩).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠٣).

(٣) تخريج الحديث: صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سريا لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً (٤/ ٢١٦٧)، ولفظه: عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد إلا وقد كان به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير.

(٤) قال ابن عطية: « وهذا وما جانسه مما لم يأت به سند صحيح فلذلك اختصرته، ولم يمر بي في هذا صحيح إلا في كتاب مسلم من أن للوضوء والوسوسة شيطاناً يسمى خنزب وذكر الترمذي لأن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان، والله العليم بتفاصيل هذه الأمور، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٢).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٢٩).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في قوله -تعالى- ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ [1] هل لإبليس ذرية أم لا؟ على أقوال:

القول الأول:

أن لإبليس ذرية، وهم: الشياطين، وهذا ما رجحه أبو حيان رحمه الله تعالى، وقد اختاره: (البغوي، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والنسفي، والشوكاني، والآلوسي، والشنقيطي) [2].

القول الثاني:

أنه ليس له أولاد ولا ذرية، والمقصود بذريته هم: أعوانه من الشياطين، أو جعلوا ذريته مجازاً، أي: الأتباع ذرية مجازاً، وقد اختاره: (الطبري، والواحدي، وابن عطية، والبيضاوي، وأبو السعود) [3].

---

(١) سورة الكهف: آية ٥٠.

(٢) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معالم التنزيل للبغوي (٣/ ١٩٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٥٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١١٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٤)، الجامع للقرطبي (١٠/ ٢٧٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٧٩)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٩٩).

(٣) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٢٣٠٣)، (١٥/ ٣٠٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٣)، أنوار التنزيل للبيضاوي (٣/ ٥٠٤) الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩٦).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من جمهور المفسرين من أن للشيطان ذرية وذلك لما يلي:

• للنص الوارد في هذه المسألة، قال -تعالى-: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ [(١)] وهذا دليل على أن للشيطان ذرية، فإدعاء أنه لا ذرية له مناقض لهذه الآية مناقضة صريحة، وكل ما ناقض صريح القرآن فهو باطل بلا شك، لكن طريقه وجود نسله هي هل عن تزويج أو غيره، لا دليل عليها من نص صريح، والعلماء مختلفون في ذلك[(٢)].

• قال القرطبي: (الذي يثبت في هذا الباب من الصحيح عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها، فيها باض الشيطان وفرخ»[(٣)]، وهذا يدل على أن للشيطان ذرية من صلبه[(٤)].



(١) سورة الكهف: آية ٥٠.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٩٩).

(٣) تخريج الحديث: رواه البرقاني في صحيحه عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: [لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها، فيها باض الشيطان وفرخ]، انظر رياض الصالحين للنووي ص(٢٤١٠)، وجاء في صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم سلمة > (٤/ ١٩٠٦) عن سلمان ﷺ من قوله قال: لا تكونن إستطعت أول من يدخل السوق ولا أخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٧٣).

قال -تعالى-: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ [١] وفيها ثلاث مسائل:

[٤٤/١٢٠] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾ يعود على إبليس وذريته، حيث قال ~ : « والظاهر: عود الضمير المفعول في ﴿أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾ على إبليس وذريته، أي: لم أشاورهم في خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم بل خلقتهم على ما أردت، ولهذا قال: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ قال الزمخشري: (يعني أنكم اتخذتم شركاء لي في العبادة وإنما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية، فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لا أعتض بهم في خلقها ولا خلق أنفسهم، أي: ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[٢] وما كنت متخذهم أعواناً، فوضع المضلين موضع الضمير ذماً لهم بالإضلال، فإذا لم يكونوا لي عضداً في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء في العبادة. انتهى »[٣]، وقيل: يعود على الملائكة، والمعنى أنه ما أشهدتهم ذلك ولا استعان بهم في خلقها بل خلقتهم ليطيعوني ويعبدوني فكيف يعبدونهم، وقيل: يعود على الكفار، وقيل: على جميع الخلق، وقال ابن عطية: (الضمير في ﴿أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾ عائدٌ على الكفار، وعلى الناس بالجملة فتتضمن الآية الرد على طوائف من المنجمين وأهل الطبائع والمتحكمين والأطباء وسواهم من كل من يتخرص في هذه الأشياء وقاله: عبدالحق الصقلي[٤]، وتأول هذا التأويل في هذه

(١) سورة الكهف: آية ٥١.

(٢) سورة النساء: آية ٢٩.

(٣) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٢).

(٤) عبدالحق الصقلي: عبدالحق بن محمد بن هارون السهمي القرشي، أبو محمد الصقلي، له كتاب: (النكت والفروق) لمسائل المدونة، وله كتاب (تهذيب الطالب) توفي بالإسكندرية سنة ٤٦٦هـ، انظر الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون المالكي ص(٢٧٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٢١٥)، والأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٢).

الآية، وأنها رادة على هذه الطوائف وذكر هذا بعض الأصوليين) انتهى[1] »[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرين في مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن مرجع الضمير يعود على: إبليس وذريته، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (الطبري، والسمرقندي، والماوردي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري والقرطبي، والنسفي، وأبو السعود، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والشنقيطي)[3].

القول الثاني:

أن مرجع الضمير يعود على الملائكة، قاله: الكلبي[4]، ورده الآلوسي قائلا: « والقول بأن مرجع الضمير يعود على الملائكة يرده قوله - سبحانه -: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ وكذلك يقال في القول: بأن يعود على جميع الخلق »[5].

القول الثالث:

أن مرجع الضمير يعود على: الكفار، واستدل اصحاب هذا القول بأن الضمير عائد على هؤلاء الكفار الذين طلبوا من الرسول ﷺ طرد الفقراء من مجلسه، والذي يؤكده أن

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٣).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٢٩-١٣٠)، وانظر النهر (٦/ ١٣٥).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥١)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٣)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٣٠٠)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٥)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٧٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٤٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٣٧)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٠).

(٤) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٠).

(٥) و انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨١).

الضمير يعود على أقرب مذكور وهم الكفار في قوله -تعالى-: ﴿بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [(١)] ويعضد هذا القول قراءة الفتح: ﴿وَمَا كُنتَ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ خطاباً للرسول ﷺ، والمعنى ما صح لك الاعتضاد بالكفار والمشركين ووصفهم بالإضلال لتعليل نفي الاتخاذ»[(٢)]، واختار هذا القول، (الفخر الرازي) [(٣)].

القول الرابع:

أن مرجع الضمير يعود على جميع الخلق، قال ابن عطية: (وهذا القول أعظم فائدة) وقد اختاره: (ابن عطية) [(٤)].

◈ الترجيـــــح:

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن الضمير يعود على إبليس وذريته وذلك لما يلي.

١. لتوحيد الضمائر في السياق الواحد، قال أبو السعود: (وهذا – عود الضمير على إبليس وذريته – ما أجمع عليه الجمهور حذاراً من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الأنفس[(5)] أي: ما أشهد إبليس وذريته ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حيث حلقتهما قبل خلقهم، ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ فكلا ضميري الجمع المنصوب والمجرور عائد على إبليس وذريته، وهم المراد: بالمضلين في قوله -تعالى- ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ وإنما وضع ضميرهم ذماً لهم وتسجيلاً عليهم بالإضلال وتأكيداً لما سبق عن إنكار اتخاذهم أولياء)[(٦)]، فتوحيد مرجع الضمير في السياق الواحد

(١) سورة الكهف: آية ٥٠.

(٢) الإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٩٧).

(٣) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١١٨).

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٣).

(٥) الإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٩٦).

(٦) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٧٩).

أولى من تفريقها[1].

٢. وكون الضمير يعود على إبليس وذريته فلقربهم لفظاً ومعنى، فأما اللفظ فظاهر، وأما المعنى فلأن قوله ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ رد لاتخاذهم أولياء[2] والأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه[3].

(١) قواعد الترجيح لحسين الحربي (٢/ ٦١٣).

(٢) حاشية القونوي (١٢/ ١٠٥).

(٣) قواعد الترجيح لحسين الحربي (٢/ ٦٢١).

[٤٥/١٢١] المسألة الثانية : معنى قراءة ﴿وَمَا كُنتَ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ بالفتح.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قراءة الآية بالفتح: أن الله يخبر عن نبيه محمد ﷺ انتفاء كينونته متخذ المضلين عضداً؛ حيث قال ~ : (وقرأ أبو جعفر[١]، والجحدري[٢]، والحسن، وشيبة[٣] (وما كنتَ) بفتح التاء[٤] خطاباً للرسول ﷺ)، وقال الزمخشري: (والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتز بهم. انتهى[٥]) والذي أقوله أن المعنى: إخبار من الله عن نبيه وخطاب منه -تعالى- له في انتفاء كينونته متخذ عضد من المضلين، بل هو مذ كان ووجد ﷺ في غاية التبري منهم وللبعد عنهم، لتعلم أمته أنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته، لم يعتضد بمضل، ولا مال إليه ﷺ » [٦].

◈ **الدراسة والموازنة:**

قرأ الجمهور[٧] ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ بالضم، والمعنى أن الله ﷻ يقول: ما أشهدت إبليس وجنوده أي ما أحضرتهم خلق السموات والأرض، فأستعين بهم به على خلقها ولا خلق أنفسهم، أي: ما أشهدت بعضهم خلق بعضهم فأستعين به على خلقه، بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين، ولا ظهير، فكيف تصرفون لهم حقي وتتخذونهم

---

(١) يزيد بن القعقاع بن شبرمة المدني، المخزومي مولاهم، أبو جعفر، القارئ المشهور، تابعي جليل، أحد القراء العشرة، توفي سنة ١٣٠ هـ، انظر معرفة القراء الكبار ص١٤٠، وغاية النهاية (٢/ ٣٨٦).

(٢) الجحدري هو عاصم بن أبي النجود الكوفي، أحد القراء السبعة، تقدمت ترجمته انظر ص٤٦ .

(٣) شيبة بن نصاح المخزومي، المدني، القارئ، القاضي، مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ، أتي به إليها وهو صغير فمسحت رأسه وكان ختن يزيد بن أبي القعقاع، وثقه النسائي، توفي سنة ١٣٠ هـ، انظر تهذيب الكمال (١٢/ ٦٠٨)، التاريخ الكبير (٤/ ٢٤١).

(٤) انظر الاتحاف (٢/ ٢١٧)، النشر (٢/ ٣١١)، الجامع للقرطبي (١١/ ٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٤).

(٥) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٢).

(٦) البحر المحيط (٦/ ١٣٠)، وانظر النهر (٦/ ١٣٥).

(٧) النشر (٢/ ٣١١)، حجة القراءات لابن زنجلة ص(٤٢٠).

أولياء دوني، وأنا خالق كل شيء، وقرأ أبو جعفر الجحدري، والحسن وشيبة (وما كنتَ) بالفتح خطاباً للنبي ﷺ ولكن اختلف المفسرون في توجيه قراءة الفتح على قولين:

القول الأول:

أن الخطاب للرسول الله ﷺ، والمعنى: (وما صح لك الاعتضاد بهم، وما ينبغي لك أن تعتز بهم)، فهو نفي في معنى النهي[1]، واختاره: (الزجاج، والزمخشري، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن عادل الحنبلي، والطاهر بن عاشور)[2].

القول الثاني:

أن المعنى إخبار من الله عن نبيه وخطاب منه -تعالى- له في انتفاء كيونته متخذ عضداً من المضلين، بل هو مذ كان ووجد عليه السلام في غاية التبري منهم والبعد عنهم، ولتعلم أمته أنه لم يزل محفوظاً من أول نشأته لم يعتضد بمضل ولا مال إليه ﷺ، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ولم أقف على غيره مرجحاً لهذا القول.

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - في توجيه قراءة الفتح أن الخطاب للنبي ﷺ هو نفي في معنى النهي وذلك لما يلي:

لما ورد بأن المشركين قالوا للنبي ﷺ لو آمنا لتبعنا الناس، عسى أن يكون مطمعاً للرسول ﷺ في نصرتهم للدين فيكون قوله -تعالى-: ﴿كُنتُ﴾ نهياً له عليه الصلاة والسلام من اتخاذ المضلين عضداً في صورة النفي على الوجه الأبلغ[3].

---

(١) انظر حاشية القونوي (١٢/ ١٠٥).

(٢) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٤)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١١٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٤)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٥١١)،التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٤٣).

(٣) انظر حاشية القونوي (١٢/ ١٠٥).

قال الشنقيطي: « وفي هذه الآية الكريمة التنبه على أن المضلين لا تنبغي الاستعانة بهم، والعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، والمعنى المذكور أشير له في مواضع أخر، كقوله -تعالى-: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [(١)] والظهير: المعين، والمضلون: الذين يضلون أتباعهم من طريق الحق » [(٢)].

(١) سورة القصص: آية ١٧.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٠).

[٤٦/١٢٢] المسألة الثالثة: معنى ﴿عَضُدًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى عضـــداً أي: معيـــناً ونصيراً؛ حيث قـال ~ : « العـضد: العـضو مـن الإنـسان وغيـره معـروف، وفيـه لغتـان فـتح العـين وضـم الـضاد ووإسكانها وفتحها وضم العين والضاد وإسكان الضاد ويستعمل في العون والنصير، قال الزجاج: والاعتضاد التقوي وطلب المعونة[١]، يقال: اعتضدت بفلان: استعنت به »[٢].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى عضداً على قولين:

القول الأول:

أن معنى عضداً أي: عوناً ونصيراً، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وحصر الصواب فيـه، واختـاره: (الطـبري، والزجـاج، والنحـاس، والـسمرقندي، والواحـدي، والبغـوي، والزمخشري، وابـن عطيـة، وابـن الجـوزي، والقرطبـي، والنـسفي، وابـن كثـير، والـسمين الحلبي، وابن عادل الحنبلي، وأبو الـسعود، والـشوكاني، واللآلـوسي، والطـاهر بـن عاشـور، والقاسمي، والشنقيطي)[٣].

---

(١) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٤).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٢٥).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠٤)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٤)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٥٦)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥١)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٣)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٠)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٥٠٩)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٥١٠)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٧٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٤٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٣٧)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٠).

القول الثاني:

أن معنى عضداً أي: ولياً، واختاره: (الماوردي)[١].

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين من أن معنى العضد أي العون والنصير وذلك.

١. معناه في اللغة بمعنى العون، قال الراغب: « والعضد: مابين المرفق إلى الكتف، ويستعار القصد للمعين كاليد قال –تعالى–: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [٢] »[٣]، قال ابن فارس: العين والضاد والدال أصل صحيح يدل على عضو من الأعضاء، يستعار في مواضع القوة والمعين، قال الخليل والعضد: المعونة يقال: اعتضدت فلاناً، أي: أعنته[٤] وأما القول بأن العضد بمعنى الولي: فلم يرد في اللغة.

٢. لاختيار جمهور المفسرين لهذا المعنى، فتفسير جمهور السلف مقدم على غيره[٥].



(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٥)، وانظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٤)، والجامع للقرطبي (١١/ ٤).

(٢) سورة الكهف: آية ٥١.

(٣) مفردات الفاظ القرآن للراغب ص٥٧١، مادة (عضد).

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٤٨).

(٥) قواعد الترجيح (١/ ٢٨٨).

قال -تعالى-: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ [1] وفيها ثلاث مسائل:

[٤٧/١٢٣] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في ﴿بَيْنَهُم﴾ عائد على الداعين والمدعوين وهم المشركون والشركاء؛ حيث قال ~: «والظاهر: أن الضمير في (بينهم) عائد على الداعين والمدعوين، وهم: المشركون والشركاء، وقيل: يعود على أهل الهدى وأهل الضلال»[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ على قولين:

القول الأول:

أن مرجع الضمير يعود على الداعين والمدعوين، وهم: المشركون والشركاء، وهذا ما رجحه أبو حيان ~، وقد اختاره: (البغوي، ابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني والآلوسي، والقاسمي، والشنقيطي) [3].

القول الثاني:

أن مرجع الضمير يعود على أهل الهدى وأهل الضلالة، أو المؤمنين والكافرين، واختاره: (الواحدي، وابن عطية، والقرطبي) [4].

القول الثالث:

أن مرجع الضمير يعود على أهل الجنة وأهل النار، قال الزمخشري: (أي: جعلنا بين

---

(١) سورة الكهف: آية ٥٢.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٣٠)، وانظر النهر (٦/ ١٣٥).

(٣) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٥)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٣٧)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٢).

(٤) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٤)، الجامع للقرطبي (١١/ ٤).

هؤلاء الكفار وبين الملائكة، وعيسى برزخاً بعيداً يهلك فيه الساري لفرط بعده، لأنهم في قعر جهنم، وهم في أعلى الجنان)[1].

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى اعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن الضمير في قوله: ﴿بَيْنَهُم﴾ راجع للمشركين والشركاء، وذلك.

• لدلالة السياق عليه لأن الله يقول: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ ثم قال مخبراً عن العابدين والمعبوديين ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ أي: مهلكاً يفصل بينهم ويحيط بهم.

• قال الشنقيطي: « وهذا أظهر الأقوال عندي وأجراها على ظاهر القرآن أن المعنى: وجعلنا بين الكفار وبين من كانوا يعبدونهم ويشركونهم مع الله موبقاً أي مهلكاً، لأن الجميع يحيط بهم الهلاك من كل جانب كما قال -تعالى-: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾[2]، وقوله -تعالى-: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[4] وقوله -تعالى-: ﴿بَيْنَهُم﴾ وقال ابن الأعرابي: كل شيء حاجز بين شيئين يسمى موبقاً، نقله عنه القرطبي، وقيل أن الضمير في (بينهم) راجع إلى أهل النار، وقيل راجع إلى أهل الجنة وأهل النار معاً، وقيل راجع للمشركين وما كانوا يعبدون من دون الله، وهذا هو أظهرها، لدلالة ظاهر السياق عليه »[5].

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١١٩).

(٢) سورة الزمر: آية ١٦.

(٣) سورة الأعراف: آية: ٤١.

(٤) سورة الأنبياء: آية ٩٨.

(٥) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٢).

[٤٨/١٢٤] المسألة الثانية: هل الدعاء حقيقة أو مجاز؟

رجح أبو حيان ~ أن وقوع دعاء المشركين للشركاء حقيقة، حيث قال ~ : «والظاهر: وقوع الدعاء حقيقة، وانتفاء الإجابة، وقيل: يحتمل أن يكون استعارة، كأن فكرة الكافر ونظره في أن تلك الجمادات لا تغني شيئاً ولا تنفع هي بمنزلة الدعاء، وترك الإجابة»(١).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في وقوع الدعاء من المشركين للشركائهم يوم القيامة هل هو حقيقة أو مجاز؟ على قولين:

القول الأول:

أن دعاء المشركين لشركائهم حقيقة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (ابن عطية، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل، والطاهر بن عاشور والشنقيطي)(٢).

القول الثاني:

أن دعاء المشركين لشركائهم يوم القيامة استعارة، أي: أن الكافر فكر ونظر في أن تلك الجمادات لا تغني عنه شيئا ولا تنفع وهي بمنزلة الدعاء وترك الإجابة(٣).

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٣٠).

(٢) انظر، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٥)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٥١١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٤٥)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٠).

(٣) انظر المراجع السابقة.

◈ **الترجيـــح**:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن وقوع الدعاء من المشركين لشركائهم يوم القيامة حقيقة وذلك.

● للنظائر القرآنية التي تؤكد ووقوع هذا الدعاء يوم القيامة وأن المشركين يدعون شركائهم ويستغيثون بهم لينصروهم ويمنعوهم، فلم يستجيبوا لهم، كما قال -تعالى-: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[2].

---

(١) سورة القصص: آية ٦٢-٦٤.

(٢) سورة فاطر: آية ١٣- ١٤.

[٤٩/١٢٥] المسألة الثالثة : معنى الموبق.

رجح أبو حيان ~ أن معنى الموبق: المهلك، حيث قال ~ : «الموبق: المهلك، يقال وبق يوبق وبقاً، ووبق يبق وبوقاً، إذا هلك فهو وابق، وأوبقته ذنوبه: أهلكته، وقال ابن عباس رضي الله عنه، وقتاده، والضحاك: الموبق: المهلك[١]، وقال الزجاج: جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم[٢]، وقال عبدالله بن عمر { [٣] وأنس[٤] ومجاهد: وادٍ في جهنم يجري بدم وصديد[٥]، وقال الحسن: عداوة[٦]، وقال الربيع بن أنس[٧]: إنه المجلس[٨]، وقال أبو عبيده: الموعد[٩]» [١٠].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٥٧)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٣)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ١١٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٥٦).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٥).

(٣) عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي، أبو عبدالرحمن، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئاً جهيراً عابداً، توفي سنة ٧٣هـ، انظر الاستيعاب (٢/ ٥٩٠)، حلية الأولياء (١/ ٣٦٢)، صفة الصفوة (١/ ٢٦٦).

(٤) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، أبو حمزة المدني، خادم رسول الله ﷺ، كان آخر الصحابة موتاً بالبصرة توفي سنة ٩٣هـ، انظر الاصابة (١/ ١٢٦)، الطبقات الكبرى (٧/ ١٧).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠٥-٣٠٦)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٥٧)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٦٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٣)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٥٦).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٥٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ١١٤).

(٧) الربيع بن أنس بن زياد البكري، عالم مرو في زمانه، سجن وأوذي في الله، توفي سنة ١٣٩هـ، انظر مشاهير علماء الأمصار (١٢٦)، الثقات (٣/ ٦٤)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٤٩)، تهذيب التهذيب (٣/ ٦٤).

(٨) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٦) وفي زاد المسير (٥/ ١١٥)، (المَحْبِس).

(٩) انظر معاني القرآن النحاس (٤/ ٢٥٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٥).

(١٠) البحر المحيط (٦/ ١٣٠)، وانظر النهر (٦/ ١٣٥).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى (الموبق) في الآية على أقوال:

القول الأول:

أن معنى الموبق المهلك، أي: جعلنا فعلهم ذلك مهلكاً وهو قول (ابن عباس } وقتادة والضحكاك) [1] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ في البحر، ونص عليه في النهر، قد اختاره: (الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، والسمين الحلبي، وابن عادل، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي) [2].

القول الثاني:

أن معنى الموبق: واد في جهنم يجري بدم وصديد، واختاره (الشوكاني) [3].

القول الثالث:

أن معنى الموبق: العداوة، أي: جعلنا بينهم عداوة يوم القيامة، قاله الحسن.

القول الرابع:

أن معنى الموبق: المجلس.

---

(١) سبق توثيقه انظر ص٥٧٠ .

(٢) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠٦)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٥٨)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥١)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٣)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٠)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٤)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١١٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٥)، اللباب لأبن عادل (١٢/ ٥١٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٥١٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٤٥)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠١).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٤).

القول الخامس:

أن معنى الموبق: الموعد.

القول السادس:

أن معنى الموبق: البرزخ البعيد: أي جعلنا بين هؤلاء الكفار وبين الملائكة وعيسى برزخاً بعيداً يهلك فيه الساري لفرط بعده، لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان[1].

◈ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى (الموبق) المهلك وذلك لما يلي:

١. لأن معنى (الموبق) في اللغة: المهلك[2]، من قولهم وبَقَ يبِق، توعد يعد: إذا هلك، وفيه لغة آخرى وهي: وبق يوبق كوجل يوجل، ولغة ثالثة ايضا وهي: وبق يبق كورث يرث، ومعنى كل ذلك: الهلاك، والمصدر من وبق - بالفتح - الوبوق على القياس، والوبق ومن وبق - بالكسر - بفتحتين على القياس، وأوبقته ذنوبه: أهلكته.

٢. أن معنى الوبوق في القرآن والسنة: الهلاك، قال -تعالى-: ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ [3] أي: يهلكهن، وفيه قوله ﷺ: [فموبق نفسه أو بائعها فمعتقها] [4] وحديث [السبع الموبقات] [5]، أي: المهلكات، ومن هذا المعنى قول زهير:

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١١٩).

(٢) انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(٧٣٤)، معجم مقاييس اللغة (٦/ ٨٢)، مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني ص(٨٥٢).

(٣) سورة الشورى: آية ٣٤.

(٤) تخريج الحديث: صحيح مسلم كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (١/ ٢٠٣) ونص الحديث: « الطهور شطر الايمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) مابين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها ».

(٥) تخريج الحديث: صحيح البخاري كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ⇐=

ومن يشتري حسن الثناء بماله يصن عرضه عن كل شنعاء موبق [١]

٣. قال الشنقيطي: (وقول من قال: إن الموبق العداوة، وقول من قال: إنه المجلس - كلاهما ظاهر السقوط) [٢].

= ﴿ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾ (٣/ ١٠١٧)، وكتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رمي المحصنات (٦/ ٢٥١٥)، نص الحديث: « قال ﷺ: اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وماهن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ».

(١) الجامع للقرطبي (١١/ ٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٤).

(٢) أضواء البيان (٢/ ٤٠١).

قال -تعالى-: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾[1]

وفيها ثلاث مسائل:

[٥٠/١٢٦] المسألة الأولى: رؤية النار هل هي رؤية حقيقية ؟

رجح أبو حيان ~ أن رؤية المجرمين للنار رؤية حقيقية رؤيا العين، حيث قال ~ : « ورأى المجرمون النار هي رؤية عين، أي: عاينوها »[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في رؤيا المجرمين للنار هل هي رؤية حقيقية. أو لا ؟، على قولين:

القول الأول:

أنهم عاينوا النار أي: رأوها رأي العين، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والسمرقندي، والواحدي، وابن عطية، وابن الجوزي، والآلوسي، والشنقيطي)[3].

القول الثاني:

أنهم علموا بها عند العرض، أي: أن رأى من رأى العلمية، وليست البصرية كما ذكره (الماوردي)[4].

---

(١) سورة الكهف: آية ٥٣.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٣٠)، وانظر النهر (٦/ ١٣٥).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠٦)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥١)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٥)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٣).

(٤) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٧).

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من العلماء بأن رؤيا المجرمين للنار رؤية حقيقية من رأي البصرية، وذلك لما يلي:-

١. أن قوله -تعالى-: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ من رأي البصرية، فهي تتعدى، لمفعول واحد والتعبير بالماضي عن المستقبل نظراً لتحقق الوقوع، وبين - سبحانه - في موضع أخر أنها هي تراهم أيضاً، قال -تعالى-: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [١]

٢. لقوله ﷺ: «إن الكافر ليرى جهنم فيظن أنها مواقعته من مسيرة أربعمائة سنة» [٢] ولقوله ﷺ: « ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة كما لم يعمل في الدنيا وإن الكافر ليرى جهنم فيظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة » [٣]، فرؤيا المجرمين النار ثابتة بنص القرآن والسنة.



(١) سورة الفرقان: آية ١١-١٢.

(٢) لم أقف عليه، والحديث الثاني شاهد له.

(٣) تخريج الحديث: أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري (٣/ ٧٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره وابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب إخباره ﷺ عن البعث وأحوال الناس في ذلك اليوم (١٦/ ٣٤٩)، وقال شعيب الارناؤوط: (إسناده حسن، وأبي يعلى في مسنده، باب ومن أبي سعيد الخدري (٢/ ٥٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب البعث، باب البعث (١٠/ ٦٠٨)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ما فيه من ضعف ».

[١٢٧/٥١] المسألة الثانية: معنى الظن في الآية.

رجح أبو حيان أن معنى (ظن) في الآية بمعنى اليقين؛ حيث قال ~ : «ومعنى (فظنوا) أيقنوا قاله أكثر الناس، ومعنى ﴿مُّوَاقِعُوهَا﴾: مخالطوها، واقعون فيها فيها، كقوله -تعالى-: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ (١)، وقوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (٢). وقيل الظن هنا على موضوعه: من كونه ترجيح أحد الجانبين، وكونهم لم يجزموا بدخولها رجاء وطمعا في رحمة الله. قال ابن عطية: أطلق الناس أن الظن هنا بمعنى اليقين، ولو قال بدل (ظنوا) (أيقنوا) لكان الكلام متسقاً على مبالغة فيه، ولكن العبارة بالظن لا تجيء أبداً في موضع يقين تام. قد قاله: الحسن، بل أعظم درجاته أن يجيء في موضع علم متحقق، لكنه لم يقع ذلك المظنون، وإلا فقد يقع ويحسن،لا يكاد توجد في كلام العرب العبارة عنه بالظن وتأمل هذه الآية، وتأمل قول دريد(٣)، فقلت لم ظنوا بألفي مدجج. انتهى (٤) » (٥).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في الظن الوارد في الآية هل هو على بابه أو بمعنى اليقين على قولين:

القول الأول:

أن الظن بمعنى اليقين أي: استيقنوا، وهذا ما رجحه أبو حيان رحمه الله تعالى،

---

(١) سورة التوبة: آية ١١٨.

(٢) سورة البقرة: آية ٤٦.

(٣) دريد بن الصمة الجُشَمي، من هوازن، كان أحد الشجعاء المشهورين،وذوي الرأي في الجاهلية، توفي سنة ٨هـ في حنين. انظر الشعر والشعراء (٢/ ٧٤٩-٧٥٢)، وتهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٨٥) القسم الأول.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٤).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٣٠)، وانظر النهر (٦/ ١٣٥).

واختاره: (الفراء، والطبري، الزجاج، النحاس والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري،وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور والقاسمي، والشنقيطي) [(١)].

القول الثاني:

أن الظن على موضوعه من كونه ترجيح أحد الجانبين، وكونهم لم يجزموا بدخولها رجاء وطمعاً في رحمة الله، وحكاه: (الماوردي، وابن عطية، والفخر الرزاي) [(٢)].

◈ الترجيـــــح:

الراجح - والله أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى الظن اليقين وذلك:

● لما أخرجه عبدالرزاق وجماعة عن قتادة (فظنوا أي: علموا[(٣)]، قال الآلوسي: وهو الظاهر من حالهم بعد قول الله -تعالى- ذلك واستغاثتهم بشركائهم وعدم استجابتهم لهم وجعل الموبق بينهم) [(٤)]، قال الشنقيطي: (ذكر -جل وعلا- في هذه الآية الكريمة:أن المجرمين يرون النار يوم القيامة، ويظنون أنهم مواقعوها أي: مخالطوها وواقعين فيها

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٤٧)، جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠٦)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٥٨)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥١) الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٠)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٥)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٥١٢)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٤٦) ومحاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٣٨)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٢).

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٤)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١١٩).

(٣) أخرجه عبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة، انظر الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٥٦).

(٤) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨٢).

والظن في آية بمعنى اليقين؛ لأنهم أبصروا الحقائق وشاهدوا الواقع. وقد بيّن -تعالى- في غير هذا الموضع أنهم موقنون بالواقع؛ كقوله عنهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[1]، وكقوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[2]، ومن إطلاق الظن على اليقين قوله -تعالى-: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾[3] أي: يوقنون أنهم ملاقوا ربهم، وقوله -تعالى-: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾[4]، وقوله -تعالى-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾[5]، فالظن في هذه الآيات كلها بمعنى اليقين»[6].

(١) سورة السجدة: آية ١٢.

(٢) سورة ق: آية ٢٢.

(٣) سورة البقرة: آية ٤٥ - ٤٦.

(٤) سورة البقرة: آية ٢٤٩.

(٥) سورة الحاقة: آية ١٩-٢٠.

(٦) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٢).

[٥٢/١٢٨] المسألة الثالثة: معنى ﴿مَصۡرِفًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى مصرفاً: معدلاً ومراغاً؛ حيث قال ~ : « ومعنى مصرفاً معدلاً ومراغاً، ومنه قول أبي كبير الهذلي[(١)]:

أَزَهْـيرُ هَـلْ عَـنْ شَـيْبَةٍ مِـنَ مَـصرِفٍ أَمْ لا خُلُـودَ لَبَـاذِلٍ مُتَكَلّـف[(٢)]»[(٣)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اخلف المفسرين في معنى المصرف على أقوال:

القول الأول:

أن معنى المصرف: المعدل الذي ينصرفون إليه، قاله: (أبو عبيده، وابن قتيبة) [(٤)] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واكتفى بذكره ولم يذكر الأقوال الأخرى لترجيحه دون سواه، واختاره: (الطبري، والزجاج، والسمرقندي، والبغوي، وابن عطية،

---

(١) أبو كبير الهذلي هو عامر بن الحليس أحد بني سعد بن هذيل. وهو الذي تزوج أم تأبط شراً، وله معها قصة مشهورة جاءت في خزانة الأدب (٣/ ٣٦٧) (بولاق)، وهو صحابي أشتهر بكنيته، وقد أتى إلى النبي ﷺ بعد إسلامه يطلب منه أن يبيح له الزنى، فقال له النبي ﷺ: أتحب أن يؤتى إليك بمثل ذالك؟ فقال: لا، قال فأرض لأخيك بما ترضى لنفسك، قال فأدعو الله أن يذهبه عني.

(٢) انظر ديوان الهذليين طبعة دار الكتاب ص(١٠٤) وهو مطلع قصيده لأبي كبير الهذلي. وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن) (١/ ٤٠٧) قال في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفًا﴾ أي معدلاً. وزهير ترخيم (زهيرة) اسم إبنته والاستفهام إنكاري، أي: لا أنصرف عن الشيب أو لا مهرب ولا مفر منه. وأم للإضراب الانتقالي والاستفهام الإنكاري، أي: بل لا ينتفي خلود الكريم الباذل لما عنده المتكلف غير طاقته في قري الضيفان، لأن البذل لا يمنع الخلود كأنها كانت لامته على البذل مع الشيب والفقر، فأجابها بذالك. وفيه دلاله على غاية الكرم. انظر لسان العرب (٩/ ٤٤) مادة (صرف)، تاج العروس (١٥/ ٢٣١) مادة (عزز)، (٢٣/ ١٣٢) مادة (حرف).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٣١)، وانظر النهر (٦/ ١٣٥).

(٤) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٥٩).

وابن الجوزي، الفخر الرازي، والنسفي، وابن كثير، والسمين الحلبي، وابن عادل، وأبو السعود، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)[1].

القول الثاني:

أن معنى المصرف: المهرب، لإحاطتها بهم من كل جانب. واختاره (القرطبي)[2].

القول الثالث:

أن معنى المصرف: الملجأ. قاله: الكلبي، وقد اختاره: (الماوردي، والواحدي)[3].

القول الرابع:

أن معنى المصرف: الموضع الذي ينصرف إليه. واختاره: الواحدي[4].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠٧)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٠)، المحرر الموجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٤)، زاد المسير لابن الجورزي (٥/ ١١٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١١٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٥٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٥١٠) اللباب لابن عادل (١٢/ ٥١٣)، انظر الجامع للقرطبي (١١/ ٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٩٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٤٦) محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٣٨).

(٢) انظر الجامع للقرطبي (١١/ ٥).

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٤)، (٨) انظر الوسيط الواحدي (٣/ ١٥٤).

(٤) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٤).

◈ **الترجيــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن جميع هذه الأقوال التي ذكرها المفسرون متقاربة فالمصرف هو المعدل والمراغ والمرجع والملجأ والمهرب، قال الشوكاني: وقوله -تعالى- ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ أي: معدلاً يعدلون إليه، أو انصرافا، لأن النار أحاطت بهم من كل جانب قال الواحدي: المصرف الموضع الذي ينصرف إليه، وقال القتيبي: أي: معدلاً ينصرفون إليه وقيل: ملجأ يلجأون إليه، و المعنى متقارب في الجميع » [1].

(١) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٤)، انظر الجامع القرطبي (١١/ ٥).

قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ (١) وفيها مسألتان:

[١٢٩/ ٥٣] المسألة الأولى: المراد بالإنسان.

رجح أبو حيان أن المراد بالإنسان هو عموم بني الإنسان، فهوا كثيراً مايذكر في معرض الذم؛ حيث قال ~ : « قيل الإنسان هنا النضر بن الحارث(٢)، وقيل: ابن الزبعري، وقيل: أبي بن خلف(٣)، وكان جداله في البعث حين أتى بعظم فذره فقال: أيقدر الله على إعادة هذا ؟، قاله: ابن السائب(٤)، قيل: كان من يعقل من ملك وجن يجادل والإنسان أكثر هذه الأشياء جدلاً(٥). انتهى، وكثيراً مايذكر الإنسان في معرض الذم، وقد تلا الرسول ﷺ قوله ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ حين عاتب علياً - كرم الله وجهه - على النوم عن صلاة الليل، فقال له علي: إنما نفسي بيد الله(٦)، فستعمل الإنسان على العموم»(٧).

---

(١) سورة الكهف آية ٥٤.

(٢) النضر بن الحارث بن علقمة بن كندة بن عبدالدار القرشي العبدري، قُتل كافراً بإجماع أهل السير، قتله علي بن أبي طالب بأمر النبي ﷺ، انظر الإصابة (٦/ ٤٣٠)، وقالت أخته قتيلة بنت الحارث شعراً منه:

ما كان ضرك لو مننت وربما   منّ الفتى وهو المغيظ المحنق.

فيقال أن النبي ﷺ قال: (لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه)، انظر عيون الأثر (١/ ٤٣٦)، سيرة ابن هشام (٣/ ٣٠٨).

(٣) أبي بن خلف الجمحي، قتله رسول الله ﷺ بيدة يوم أحد، أنظر سيرة ابن هشام (٤/ ٨٥).

(٤) أنظر الوجيز للواحدي (١/ ٦٦٥).

(٥) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٦)، قال الطاهر بن عاشور: « ولا يحسن أن يحمل التفضيل في الآية على بابه بأن يراد أن الإنسان أكثر جدلاً من الشياطين والجن مما لا يجوز على حقيقته الجدل، لأنه لايراد مثله في هذا مثل هذا. ومن أنبأنا أن للشياطين والجن مقدرة على الجدل). التحرير والتنوير (٦/ ٣٤٨).

(٦) صحيح البخاري، أبواب التهجد، باب تحريض النبي صلى ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب (١/ ٣٧٩)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي في من نام الليل أجمع حتى أصبح (١/ ٥٣٧).

(٧) البحر المحيط (٦/ ١٣١)، وانظر النهر (٦/ ١٣٨).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالإنسان في قوله -تعالى-: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بالإنسان إنسان معينٌ، فقيل: المراد به النضر بن الحارث وكان جداله في القرآن وهو قول ابن عباس { [1] وقيل المراد به: ابن الزّبعري،وقيل المراد به أمية بن خلف وكان جداله في البعث وهو قول ابن السائب الكلبي[2]، واختاره (القرطبي) [3].

القول الثاني:

إن المراد بالإنسان: الكافر، وهو قول الزجاج[4] واستدل عليه بسياق الآية ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [5]، واختاره (السمرقندي) [6] قال ابن العثيمين: (وبعض المفسرين يقول (الإنسان) يعني الكافر، ولكن في هذا نظر، لأنهم لا دليل على تخصيصه بالكافر، بل نقول (الإنسان) من حيث الإنسانية) [7].

القول الثالث:

إن المراد بالإنسان هو: جنس الإنسان فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره من المفسرين: (البغوي، وابن عطيه والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي، والمراغي، وابن العثيمين) [8].

---

(١) الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٠)، زاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ١١٦).

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٠).

(٣) انظر الجامع للقرطبي (١١/ ٦). انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٠).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٦).

(٥) سورة الكهف: آية ٥٤.

(٦) انظر بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٥١).

(٧) انظر تفسير سورة الكهف للشيخ محمد بن صالح العثيمين صفحة ٩٦.

(٨) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٠)، المحرر الوجيز لابن عطيه =⇦

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن المراد بالإنسان هو: عموم بني الإنسان وذلك لما يلي:

١- إن الإنسان اسم لنوع بني آدم، وحرف (أل) فيه لتعريف الحقيقة فهو أوسع عموما من لفظ الناس، قال الشيخ ابن العثيمين: "إن كلمة الإنسان في القرآن لا تحمل على الكافر إلا إذا كان السياق يعيّن ذلك، فإذا كان السياق يراد به ذلك، صار هذا عاما يراد به الخاص،لكن إذا لم يكن في السياق ما يعين ذلك فيجعل للعموم، اجعله إنسانا بوصف الإنسانية "[1]، والحمل على العموم أولى.

٢- لدلالة السياق على أنه ليس المراد بالإنسان: الإنسان الكافر، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ [2] ولا المراد بالجدل: الجدل بالباطل لأن هذا سيجئ في قوله -تعالى-: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [3] فقوله هنا: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [4] تمهيد لقوله -تعالى- بعده: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [5]، قال الشنقيطي: « وعلمنا من سياق الآية أن الكفار أكثروا الجدل، والخصومة، والمراء، لإدحاض الحق الذي أوضحه الله بما ضربه في هذا القران من كل مثل، ولكن كون هذا هو ظاهر القرآن وسبب النزول لا ينافي تفسير الآية الكريمة بظاهر عمومها، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولأجل هذا لما طرق النبي ﷺ علياً وفاطمة { ليلة فقال: ألا تصليان؟ وقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا

= (٣/ ٥٢٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٤٧)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٤)، تفسير المراغي (٥/ ٣٤١٥)، تفسير سورة الكهف للشيخ العثيمين صفحة ٩٦.

(١) تفسير سورة الكهف الصفحة ٩٧.

(٢) سورة مريم: آية ٦٦.

(٣) سورة الكهف: آية ٥٦.

(٤) سورة الكهف: آية: ٥٤.

(٥) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٤٧).

شاء أن يبعثنا بعثنا. انصرف النبي ﷺ راجعاً وهو يضرب فخذه ويقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلا والحديث مشهور متفق عليه[(١)] فإيراده ﷺ الآية على قول علي رضي الله عنه دليل على عموم الآية الكريمة، وشمولها لكل خصام وجدل »[(٢)].

(١) سبق تخريجه انظر ص٥٨٢ .

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٤).

[٥٤/١٣٠] المسألة الثانية : معنى ﴿جَدَلًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى جدلاً: الخصومة والمماراة، حيث قال ~ : « جدلاً: خصومة ومماراة، يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء، ونحوه ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [١] » [٢].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى كلمة ﴿جَدَلًا﴾ في قوله -تعالى-: ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن معنى جدلاً أي: المنازعة بمعاوضة القول، وهو قول الراغب الأصفهاني[٣]، واختاره الطاهر بن عاشور[٤] وقال: « والجدل المنازعة بمعاوضة القول، أي هو الكلام الذي يحاول به إبطال ما في كلام المخاطب من رأي أو عزم عليه بالحجة، أو بالإقناع، أو بالباطل، والمراد هنا: مطلق الجدل، وبخاصة ما كان بباطل، أي أن كل إنسان في طبعه الحرص على إقناع المخالف بأحقية معتقدة أو عمله » وقال: « وليس المراد بالجدل، الجدل بالباطل لأن هذا سيجيء في قوله -تعالى-: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الآية، فقوله هنا: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ تمهيد لقوله بعده ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾.

---

(١) سورة يس: آية ٧٧.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٣١)، وانظر النهر (٦/ ١٣٨).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص١٨٩.

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٤٨).

القول الثاني:

أن معنى جدلاً: أي: عناداً، وهو قول الماوردي[(١)].

القول الثالث:

أن معنى جدلاً أي: الخصومة بالباطل والمماراة، وهذا ما رجحه أبو حيان وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والآلوسي، والشنقيطي)[(٢)].

◈ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن المراد بالجدل: الخصومة بالباطل والمماراة، وذلك لما يلي:

• لأن الجدال خلق، منه ذميم يصد عنه تأديب الإسلام ويبقى في خلق المشركين،، ومنه محمود، كما في قوله -تعالى-: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾[(٣)] فأشار بالثناء على إبراهيم إلى أن جداله محمود والمراد هنا مطلق الجدل وبخاصة ما كان منه بباطل، أي: أن كل إنسان في طبعه الحرص على إقناع المخالف بأحقية معتقده أو عمله وسياق الكلام يقتضي: إرادة الجدل الباطل.

• قال الآلوسي: « قال الراغب وغيره الجدل هو: المنازعة بمعاوضة القول، والأليق بالمقام أن يراد به هنا: الخصومة بالباطل، والمماراة، وهو الأكثر في الاستعمال »[(٤)].

---

(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣١٧).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٠٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٠)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٥)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٤).

(٣) سورة هود: آية ٧٤.

(٤) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨٣).

• وقال القونوي: شارحاً قول البيضاوي: (خصومة بالباطل): قيد بالباطل لاقتضائه المقام، فلا ينافي ما ذكر من عموم الجدل[1].

(١) حاشية القونوي (١٢/١٠٨)، انظر القرطبي (١١/٦).

قال -تعالى-: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [١]، **وفيها مسألة واحدة:**

[٥٥/١٣١] المسألة: معنى قوله - تعالى - : ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ أي ليزيلوا به؛ حيث قال ~ : « أدحض الحق: أرهقه، قاله ثعلب[٢]، وأصله من ادحاض القدم وهو إزلاقها قال الشاعر:

رَدِيتُ وَنَجَّى اليَشْكُرِيَّ حِذَارُهُ ... وَحَادَ كَمَا حَادَ الْبَعِيرُ المدحض[٣]

و قال آخر:

أَبَا مُنْذِرٍ رُمتَ الْوَفَاءَ وهِبْتَهُ ... وَحدْتَ كَمَا حَادَ الْبَعِيرُ المدحض[٤]

والدحض: الطين الذي يزهق فيه[٥]، ومعنى ﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾: ليزيلوا »[٦].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ على أقوال:

القول الأول:

إن معنى ﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾ أي: ليزيلوا أو يبطلوا، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (السمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي والقرطبي،

---

(١) سورة الكهف: آية ٥٦.

(٢) ثعلب: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار، أبو العباس الشيباني، المعروف بثعلب، عالم نحوي، وأديب نحوي، توفي سنة ٢٩١هـ، انظر نزهة الألباء ص١٧٣، إنباه الرواة (١/ ١٧٣)، تذكرة الحفاظ (٢/ ١٧٤)، بغية الرعاة (١/ ٣٩٦).

(٣) البيت لطرفة انظر ديوان طرفه ص١٦٩، وفي مجاز القرآن (١/ ٤٠٨)، وفي اللسان مادة (دحض).

(٤) البيت لطرفه، انظر ديوان ص١٧٣، الجامع للقرطبي (١١/ ٦).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٢٥-١٢٦).

(٦) البحر المحيط (٦/ ١٣٢)، وانظر النهر (٦/ ١٣٨).

والنسفي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والشنقيطي)[(١)].

القول الثاني:

إن معنى ﴿لِيُدۡحِضُواْ﴾ أي: ليزهقوا، وقد اختاره (ابن عطية)[(٢)].

القول الثالث:

إن معنى ﴿لِيُدۡحِضُواْ﴾ أي: ليضعفوا، وقد اختاره (ابن كثير)[(٣)].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو بأن جميع هذه الأقوال متقاربة وترجع إلى شيء واحد وهو: الزوال والزلق كما قال ابن فارس[(٤)]، والدال والحاء والضاد أصلٌ يدل على زوال وزَلَق يقال دحضت رجله: زَلِقت، ومنه دحضت الشمس: زالت ودحضت حجة فلان، إذا لم تثبت قال -تعالى-: ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[(٥)]، قال القرطبي: «والإدحاض: الإزلاق، وفي وصف الصراط (ويضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلم سلم، قيل -يارسول الله- وما الجسر ؟ قال: دحْض مَزْلقة) أي: تزلق فيه القدم»[(٦)،(٧)].



(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠١)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٦) مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٦)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ١٩٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٣٩)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٧).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٥).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٣٢)، انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص٣٠٨.

(٥) سورة الشورى: آية ١٦.

(٦) تخريج الحديث: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لابن رجب الحنبلي ص٢٣٣، تعظيم قدر الصلاة للحافظ المروزي ص٢٨٧.

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٧).

قال -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِئَايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [1] وفيها مسألتان:

[١٣٢/٥٦] المسألة الأولى: المراد بآيات الله في الآية.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بآيات الله في الآية القرآن الكريم، حيث قال ~ : « والآيات المضاف إلى الرب هو القرآن، ولذلك عاد الضمير مفرداً في قوله: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ وإعراضه عنها كونه لا يتذكر حين ذُكِّر، ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها، ولا ناظر في أن المحسن والمسيء يجزيان بها عملا » [2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بآيات الله في الآية على قولين:

القول الأول:

أن المراد بها: القرآن، واستدل أصحاب هذا بأن الضمير في قوله -تعالى-: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ جاء مذكراً مفرداً وهو يعود على القرآن، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (السمرقندي، والواحدي، والزمخشري، وابن الجوزي، والنسفي، وأبو السعود، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي) [3].

---

(١) سورة الكهف: آية ٥٧.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٣٢).

(٣) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٥٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٥)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٦)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٥٥)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٩).

القول الثاني:

أن المراد بها: الآيات عامة الشرعية والكونية ويدخل فيها (القرآن دخولاً أولياً)، وقد اختاره: (الشوكاني، والقاسمي، والعثيمين) [١].

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن المراد بآيات الله المذكورة في الآية هي آيات الله عامة الكونية والشرعية، ولما يلي ذلك:

١. لأن هذا هو ظاهر اللفظ فالاستفهام الإنكاري في قوة النفي، أي: أن المراد نفي أن يساوي أحد في الظلم من وعظ بآيات الله الكونية منها والشرعية فأعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتعظ بها.

٢. إن القول بالعموم أبلغ في المعنى، أي: لا أحد أظلم ممن ذكر بآيات الكونية والشرعية الكونية كأن يقال له: إن كسوف الشمس والقمر يخوف الله بهما عباده فيعرض عنها ويقول: أبداً خسوف القمر طبيعي وكسوف الشمس طبيعي ولا إنذار ولا نذير، وهذا إعراض، وأما الآيات الشرعية فكثير من يُذكّر بآيات الله ويعرض عنها[٢].

٣. أن القول بالعموم يدخل فيه القول الأول أي: أن يراد جنس الآيات، ويدخل القرآن العظيم دخولاً أولياً وقوله –تعالى-: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ استئناف بياني كأنه قيل ما علة الإعراض والنسيان؟ فقيل إن علته أنا جعلنا على قلوبهم أغطية، ويكون الضمير في قوله: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي: ما ذكر من الآيات[٣].



(١) انظر فتح القدير للأشوكاني (٣/ ٣٣٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٧)، تفسير سورة الكهف للشيخ ابن عثيمين ص(١٠٣).

(٢) انظر تفسير سورة الكهف للشيخ ابن عثيمين ص(١٠٣).

(٣) انظر ذلك في روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨٦)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٠٩).

[٥٧/١٣٣] المسألة الثانية: سبب عدم الاهتداء في قوله: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله -تعالى-: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ أي: إن تدعهم إلى الهدى جميعاً فلن يهتدوا جميعاً أبداً، أي: جعلوا دعوة الرسول إلى الهدى وهي التي تكون سبباً لوجود الاهتداء سبباً لانتفاء هدايتهم، حيث قال ~ : « ثم أخبر -تعالى- أن هؤلاء لا يهتدون أبداً، وهذا من العام والمراد به الخصوص وهو من طبع الله على قلبه وقضى عليه بالموافاة على الكفر إذ قد اهتدي كثير من الكفرة وآمنوا، ويحتمل أن يكون ذلك حكماً على الجميع، أي: وإن تدعهم أي إلى الهدى جميعاً فلن يهتدوا جميعاً أبداً، وحمل أولاً على لفظ (من) فأفرد ثم على المعنى في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فجمع، وجعلوا دعوة الرسول إلى الهدى وهي التي تكون سبباً لوجود الاهتداء سبباً لانتفاء هدايتهم وهذا الشرط كأنه جواب للرسول عن تقدير قوله مالي لا أدعوهم إلى الهدى، حرصاً منه عليه الصلاة والسلام على حصول إيمانهم فقيل: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ وتقييده بالأبدية مبالغة في انتفاء هدايتهم »(١).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ أي في سبب عدم الاهتداء على أقوال:

القول الأول:

أن قوله -تعالى-: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ شرط وجزاء أي أن الجزاء الذي هو عدم الاهتداء والمعبر عنه في الآية بقوله: ﴿فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ المشار إليه أيضاً بقوله (إذا) فصار دعاؤه إياهم سبب انتفاء اهتدائهم وقد قاله الزمخشري(٢)

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٣٢).

(٢) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٤).

وتبعه أبو حيان، أي بمعنى أنهم: جعلوا ما يجب أن يكون سبباً للاهتداء سبباً لانتفائه وقد اختاره: (النسفي، وأبو السعود والآلوسي) [١].

القول الثاني:

أن سبب عدم اهتدائهم، أنهم سبق لهم في علم الله أنهم اشقياء – عياذاً بالله – واختاره: (البغوي، وابن الجوزي، والشنقيطي) [٢].

القول الثالث:

أن سبب عدم اهتدائهم أنهم ما داموا متلبسين بالكفر، فإن هداهم الله إلى الايمان وأنابوا زال ذلك المانع، واختاره: (الشوكاني، والطاهر بن عاشور) [٣].

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن سبب عدم اهتدائهم أن الذين أشقاهم الله لا ينفع فيهم التذكير أي أن الذين جعل الله على قلوبهم أكنة تمنعهم أن يفقهوا ما ينفعهم من آيات القرآن التي ذكروا بها لا يهتدون أبداً، فلا ينفع فيهم دعاؤك اياهم إلى الهدى، قال الشنقيطي ~ : « وهذه الآية وأمثالها في القرآن فيها وجهان معروفان عند العلماء:

أحدهما: أنها في الذين سبق لهم في علم الله أنهم أشقياء –عياذاً بالله تعالى–.

الثاني: أن المراد أنهم كذلك ما داموا متلبسين الكفر فإن هداهم الله إلى الإيمان وأنابوا زال ذلك المانع، والأول أظهر والعلم عند الله –تعالى–. والفاء في قوله: ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ﴾ لأن الفعل الذي بعد [لن] لا يصلح أن يكون شرطاً لـ [إن] ونحوها. والجزاء إذا لم يكن صالحاً [لأن] يكون شرطاً لـ [إن] ونحوها – لزم اقترانه بالفاء.

(١) انظر مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٦)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ١٩٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٨٧).

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٧)، أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٤١٢).

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٧)، التحرير والتنوير لطاهر بن عاشور (٦/ ٣٥٦).

وقوله في هذه الآية الكريمة «إذا» جزاء وجواب، فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول ﷺ، بمعنى جعلوا ما يجب أن يكون سبباً للاهتداء سبباً لانتفائه، لأن المعنى: فلن يهتدوا إذا دعوتهم - ذكر هذا المعنى الزمخشري، وتبعه أبو حيان في البحر. وهذا المعنى قد غلطا فيه، وغلط فيه خلق لا يحصى كثرة من البلاغيين وغيرهم.

وإيضاح ذلك أن الزمخشري هنا وأبا حيان ظَنَّا أن قوله: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ شرط وجزاء، وأن الجزاء مرتب على الشرط كترتيب الجزاء على ما هو شرط فيه، ولذا ظَنَّا أن الجزاء الذي هو عدم الاهتداء المعبر عنه في الآية بقوله: ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ﴾ مرتب على الشرط الذي هو دعاؤه إياهم المعبر عنه في الآية بقوله ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ المشار إليه أيضاً بقوله «إذا»: فصار دعاؤه إياهم سبب انتفاء اهتدائهم وهذا غلط، لأن هذه القضية الشرطية في هذه الآية الكريمة ليست شرطية لزومية، حتى يكون بين شرطها وجزائها ارتباط، بل هي شرطية اتفاقية، والشرطية الاتفاقية لا ارتباط أصلاً بين طرفيها، فليس أحدهما سبباً في الآخر ولا ملزوماً ولا لازماً له، فقوله: ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ سببه الحقيقي غير مذكور معه فليس هو ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ كما ظنه الزمخشري، وأبو حيان وغيرهما، بل سببه هو إرادة الله -جل وعلا- انتفاء اهتدائهم على وفق ما سبق في علمه أزلاً[1].

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤١٢).

قال -تعالى- : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [١] وفيها مسألتان:

[٥٨/١٣٤] المسألة الأولى : المراد بموسى المذكور في الآية.

رجح أبو حيان ما رجحه الجمهور، بأن المذكور في الآية هو: موسى ابن عمران – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام – ؛ حيث قال ~ : « موسى المذكور في هذه الآية: هو موسى عليه السلام، ولم يذكر الله في كتابه موسى غيره، ومن ذهب إلى أنه غيره وهو: موسى بن ميشا بن يوسف، أو موسى بن افراثيم بن يوسف، فقولٌ لا يصح، بل الثابت في الحديث الصحيح[٢]، وفي التواريخ أنه موسى بن عمران نبي بني إسرائيل، المرسل هو وأخوه هارون إلى فرعون » [٣].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في المذكور في الآية هل هو موسى بن عمران عليه السلام، أو غيره؟ على أقوال:

القول الأول:

أن المراد به: موسى بن عمران نبي بني إسرائيل – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام – وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وعليه جمهور المفسرين[٤].

---

(١) سورة الكهف: آية ٦٠.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله (١/ ٥٦)، وفي كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام (٣/ ١٢٤٦)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٤٧).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٣٥)، وانظر النهر (٦/ ١٤١).

(٤) انظر بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٥٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٢١)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٢٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٨)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٢٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٩٢).

القول الثاني:

أنه المذكور في الآية هو موسى بن ميشا بن يوسف، وكان نبياً في بني إسرائيل قبل موسى ابن عمران عليه السلام، وهو قول محمد بن إسحاق[1]، ونوف البِكالي[2]،[3] وقال ابن الجوزي: عن قول ابن إسحاق: ليس بشيء[4].

القول الثالث:

أن المذكور في الآية هو موسى بن افراثيم بن يوسف[5]، وحجة الذين قالوا بهذا القول: أن موسى هذا غير صاحب التوراة، لأنه -تعالى- بعد أن أنزل التوراة عليه وكلمه بلا واسطة وحج خصمه بالمعجزات القاهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لأكثر أكابر الأنبياء يبعد أنه يبعثه بعد ذلك لتعلم الاستفادة، وأجيب عنه: بأنه لا يبعُد أن العالم الكامل في أكثر العلوم يجهل بعض الأشياء فيحتاج في تعلمها إلى من دونه، وهذا أمر متعارف معلوم[6].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وعليه الجمهور من العلماء، بأن المذكور في الآية هو موسى بن عمران -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-

---

(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٢١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٢).

(٢) نوف البكالي هو: نوف ابن فضالة أمه كانت امرأة كعب الأحبار، وقيل: ابن اخيه والمشهور الأول وهو من أصحاب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وبكال قيل: بضم الباء حي من اليمن، وعن المبرد بكسر الباء منسبة إلى بكالة من اليمن، وفي شرح مسلم للنووي البكالي ضبطه الجمهور بكسر الموحدة وتخفيف الكاف ورواه بعضهم بفتحها وتشديد الكاف، قال القاضي: وهذا ضبط أكثر الشيوخ وأصحاب الحديث والصواب الأول وهو قول المحققين وهو منسوب إلى بني بكال بطن من حمير وقيل همدان، انظر الأنساب للسمعاني (١/ ٣٨٢)، فتح الباري (٨/ ٢٦٥).

(٣) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٩٢).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٠).

(٥) انظر بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٥٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٢١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٩٢).

(٦) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٢٣).

وذلك لما يلي:

١. لما جاء في الصحيحين من طريق سعيد بن جبير قلت لابن عباس إن نوف البِكالي يزعم أن موسى نبي بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر قال: كذب عدو الله حدثني أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل، أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه: أن لي عبداً بمجمع البحرين وهو أعلم منك ...) [١]، وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجع له على ما خالفه[٢].

٢. إن المراد بموسى هو موسى بن عمران بمقتضى الأحاديث والتواريخ وبظاهر القرآن إذ ليس في القرآن موسى غير واحد، وهو ابن عمران ولو كان في هذه الآية غيره لبينة[٣] قال الرازي: « إن الله -تعالى- ما ذكر موسى في كتابة إلا وأراد به صاحب التوراة فإطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف إليه، ولو كان المراد شخصاً آخر مسمى بموسى غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وإزالة الشبهة » [٤].

٣. لأنه قول الجمهور، وتفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[٥]، ونقل الشوكاني قول ابن إسحاق في فتح القدير وقال: « وهذا باطل قد رده السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم » [٦].



---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٣/ ١٢٤٦)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٤٧).

(٢) قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/ ٢٠٦).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٧).

(٤) مفاتيح الغيب لفخر الرازي (٢١/ ١٢٢).

(٥) قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/ ٢٠٦).

(٦) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٩).

[١٣٥/٥٩] المسألة الثانية: المراد بفتى موسى عليه السلام:

رجح أبو حيان ~ أن المراد بفتاه هو يوشع بن نون عليه السلام؛ حيث قال ~ : «وفتاه هو: يوشع بن نون بن إفراثيم بن يوسف بن يعقوب عليه الصلاة والسلام والفتى: الشاب، ولما كان الخدم أكثر ما يكونون فتياناً، قيل للخادم: فتى على جهة حسن الأدب، وندبت الشريعة إلى ذلك ففي الحديث: {لا يقل أحدكم عبدي، ولا أمتي، وليقل فتاي، وفتاتي}(١)، وقال (فتاه) لأنه كان يخدمه ويتبعه، وقيل: كان يأخذ منه العلم ويقال إن يوشع كان ابن أخت موسى عليه السلام» (٢).

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون بفتى موسى عليه السلام، على أقوال:

القول الأول:

أن المراد (بفتاه): هو يوشع بن نون، قال الواحدي: «أجمعوا على أنه يوشع بن نون وقد مضى ذكره في المائدة، وفي آخر يوسف» (٣)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الفراء، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والماوردي، والواحدي وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور) (٤).

(١) تخريج الحديث: صحيح البخاري كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، وقوله عبدي أو أمتي (٥/ ٤٨٥)، صحيح مسلم كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها (٨/ ٩).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٣٥)، وانظر النهر (٦/ ١٤١).

(٣) الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٦).

(٤) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٤)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٣)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٥٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٢٠٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٢٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٧)، تفسير القرآن العظيم ⇐ =

القول الثاني:

أن المراد به أخو يوشع، وكان صاحباً لموسى عليه السلام في هذا السفر، قال ابن عطية: (من قال أن المذكور هو: موسى بن ميشا، قال: إن الفتى غير يوشع بن نون) [(١)].

القول الثالث:

أن المراد به عبده، وهو قول الحسن[(٢)]، قال القفال: « واللغة تحتمل ذلك[(٣)]، وروي عن النبي ﷺ: {لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي } [(٤)] وهذا يدل على أنهم كانوا يسمون العبد فتى والأمة فتاة، واختاره: (ابن العربي وقال: وظاهر القرآن أنه عبد[(٥)]، قال الحافظ ابن حجر ~ : « وزعم ابن العربي أن ظاهر القرآن يقتضي أن الفتى ليس هو: يوشع، وكأنه أخذه من لفظ أو أنه خاص بالرقيق، وليس بجيد، لأن الفتى مأخوذ من الفتى وهو الشباب، وأطلق ذلك على من يخدم المرء، سواء كان شاباً، أو شيخاً لأن الأغلب أن الخدم تكون شباناً » [(٦)].

القول الرابع:

التوقف فيه، قال القرطبي: « وفي الحديث أنه كان يوشع بن نون، وفي التفسير أنه ابن أخته (أي موسى عليه السلام)، وهذا كله مما لا يقطع به، والتوقيف فيه أسلم » [(٧)] وهذا غريب من القرطبي فإذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[(٨)].

= لابن كثير (٣/ ٩٧)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٤١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٩٣)، التحرير والتنوير لطاهر بن عاشور (٦/ ٢٤٧).

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٧).

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٢٣)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٤١).

(٣) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٢٣).

(٤) سبق تخريجه انظر ص٥٩٩ .

(٥) انظر أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٣٩)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٠).

(٦) فتح الباري (٨/ ٢٦٧).

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١٠).

(٨) انظر قواعد الترجيح لحسين الحربي (١/ ١٩١).

◈ **الترجيــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن المراد بفتى موسى عليه السلام هو يوشع بن نون عليه السلام وذلك لما يلي:-

١. لما ورد في صحيح البخاري، كتاب التفسير، في سورة بني إسرائيل فقد ذكر اسمه صراحة فقال: « فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم أنطلق، وانطلق معه فتاه [يوشع بن نون]... الحديث[1]، فإذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[2].

٢. لأن هذا اختيار جمهور المفسرين[3]، قال الطاهر بن عاشور: « ويوشع أحد الرجال ألاثني عشر الذين بعثهم موسى عليه السلام ليتجسسوا في أرض كنعان، ويختبروا بأس أهلها وخيرات أرضها ومكثوا أربعين يوماً في التجسس، وهو أحد الرجلين الذين شجعا بني إسرائيل على دخول الأرض المقدسة، اللذين ذكرهما القرآن، قال -تعالى-: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ﴾ [4]، وكان موسى عليه السلام قد قربه إلى نفسه واتخذه تلميذاً وخادماً، ومنه وصفهم الإمام محمد بن عبدالواحد المطرز النحوي اللغوي غلام ثعلب، لشدة اتصاله بالإمام أحمد بن يحيى الشيباني الملقب بثعلب، وفتى موسى: خادمه وتابعه، فإضافة الفتى إلى ضمير موسى على معنى الاختصاص، كما يقال: غلامه، وقد أمر الله موسى بأن يعهد إلى يوشع بتدبر أمر الأمة الإسرائيلية بعد وفاة موسى عليه السلام، وكان يوشع أول نبي في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام » [5].



(١) سبق توثيقه انظر ص٥٩٦ هامش (٢).

(٢) قواعد الترجيح (١/ ١٩١).

(٣) انظر دراسة المسألة ص٥٩٩ .

(٤) سورة المائدة: آية ٣٢.

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٦٠)، باختصار يسير.

قال -تعالى-: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾[(١)] وفيها مسألتان:

[١٣٦/٦٠] المسألة الأولى: إلى من ترجع نسبة النسيان ؟

رجح أبو حيان ~ أن النسيان صدر من موسى وفتاه، حيث قال ~ : « والظاهر نسبة النسيان إلى موسى وفتاه، وقيل: كان النسيان من أحدهما، وهو فتى موسى نسي أن يعلم موسى أمر الحوت إذ كان نائماً، وقد أحس يوشع بخروجه من المكتل إلى البحر ورآه قد أتخذ السرب، فأشفق أن يوقظ موسى وقال أؤخر إلى أن يستيقظ، ثم نسي أن يعلمه حتى ارتحلا وجاوزا، وقد يسند الشيء إلى الجماعة وإن كان الذي فعله واحد منهم، وقيل: هو على حذف مضاف، أي: نسي أحدهما، وقال الزمخشري: أي: نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة، وقيل: نسي يوشع أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء انتهى[(٢)] »[(٣)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في نسبة النسيان ترجع إلى من؟ على قولين:

القول الأول:

أن النسيان صدر منهما أي نسيا حال حوتهما، إلا أن الحال الذي نسيه كل منهما مختلف فقد نسي الفتى أن يخبر موسى بقصة الحوت ونسي موسى أن يسأله، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره من المفسرين: (الزجاج، والنحاس، والزمخشري، والسمين الحلبي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)[(٤)].

---

(١) سورة الكهف: آية ٦١.

(٢) الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٧).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٣٧)، وانظر النهر (٦/ ١٤٢).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٩٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٦)، الكشاف للزمخشري =

القول الثاني:

أن النسيان صدر من يوشع بن نون، قال الفراء: « إنما نسيه يوشع فأضافه إليهما كما قال -تعالى-: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[(١)] وإنما يخرج من الملح دون العذب »[(٢)] وقد اختاره من المفسرين: (الفراء، والطبري، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، والشنقيطي، والعثيمين)[(٣)].

القول الثالث:

أن المراد بـ ﴿نَسِيَا﴾ أي أخرا، مأخوذ من النِسي بكسر النون وهو: التأخير، والمعنى أنهما أخرا افتقاده لعدم الاحتياج إليه، فلما احتاجا إليه ذكراه، قال الحافظ ابن الحجر: « وهو بعيد، بل صريح الآية يدل على صحة صريح الخبر، وأن الفتى أطلع على ما جرى للحوت، ونسي أن يخبر موسى بذلك، ووقع عند مسلم في رواية أبي إسحاق: أن موسى تقدم فتاه لما استيقظ فسار، فقال فتاه ألا ألحق نبي الله فأخبره، قال فنسي أن يخبره »[(٤)]، واختار هذا القول: (الماوردي)[(٥)].

= (٣/ ٥٩٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٥٢٠)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٠١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٩٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٢٦٦).

(١) سورة الرحمن: آية ٢٢.

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٤).

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٤)، جامع البيان للطبري (١٥/ ٣١٥)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٥٤) الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١١)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٧)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤١٧)، تفسير سورة الكهف لإبن عثيمين ص(١٠٩).

(٤) فتح الباري (٨/ ٢٦٨).

(٥) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٢٣).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما راجحه أبو حيان رحمه الله ومن وافقه بأن النسيان صدر منهما وذلك لما يلي:-

- لأن هذا ظاهر اللفظ، وهذا نسيان ذهول وليس نسيان ترك، وهذا من حكمة الله ﷻ أن أنساهما الله ذلك لحكمة، وهذا الحوت قد جعله الله ﷻ علامة لموسى ؏، أنك متى فقدت الحوت فثم الخضر، وهذا الحوت كان في مكتل وكان يقتاتان منه ولما وصلا إلى مكان ما عند الصخر نام موسى ؏، وبقي يوشع يقظان، فخرج من المكتل ودخل البحر، وجعل يسير في البحر، والبحر ينحاز عنه، فنسي الفتى أن يخبر موسى بقصة الحوت، ونسي موسى أن يستخبره عن شأن الحوت بعد أن استيقظ لأنه حينئذ لم يكن معه وكان بصدد أن يسأله أين هو ؟ فنسي ذلك[1]، فلا حاجة للعدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل.

- قال الطاهر بن عاشور: « ومعنى نسيانهما أنهما نسيا أن يراقبا حاله، أباقٍ هو في مكتله حينئذ: حتى إذا فقداه في مقامهما ذلك تحققا أن ذلك الموضع الذي فقداه هو الموضع الموقت لهما بتلك العلامة فلا يزيدا تعباً في المشي فإسناد النسيان إليهما حقيقة، لأن يوشع وإن كان هو الموكل بحفظ الحوت فكان عليه مراقبته، إلا أن موسى هو القاصد لهذا العمل فكان يهمه تعهده، ومراقبته، وهذا يدل على أن صاحب العمل أو الحاجة إذا وكله إلى غيره لا ينبغي له ترك تعهده » [2].

---

(١) فتح الباري (٨/ ٢٦٨).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور(٦/ ٣٦٦).

[٦١/١٣٧] المسألة الثانية: معنى السَرَبْ.

رجح أبو حيان ~ أن معنى [السرب] في قوله -تعالى-: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلۡبَحۡرِ سَرَبًا﴾[١] أن الماء صار على الحوت كالطاق[٢] وهذا التفسير هو الذي ورد في الحديث الصحيح[٣]؛ حيث قال ~ : « وشبه بالسرب مسلك الحوت في الماء حين لم ينطبق الماء بعده بل بقي كالطاق؛ هذا الذي ورد في الحديث، وقال الجمهور بقي موضع سلوكه فارغاً[٤]، وقال قتادة: ماءً جامداً[٥]، وعن ابن عباس: حجراً صلداً[٦]، وقال ابن زيد: إنما اتخذ سبيله سرباً في البر حتى وصل إلى البحر، ثم عام على العادة[٧] كأنه يعني بقوله سرباً: تصرفاً وجولاناً من قولهم فحل سارب أي: مهمل يرعى حيث شاء، ومنه قوله: ﴿وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [٨] أي: متصرف، وقال قوم: اتخذ سرباً في التراب من المكتل وصادف في طريقه حجراً فنقبه، والظاهر أن السَرب كان في الماء ولا يفسر إلا مما ورد في الحديث الصحيح: أن الماء صار عليه كالطاق » [٩].

---

(١) سورة الكهف: آية ٦١.

(٢) الطاق: ما عطف من الأبنية أي: جُعل كالقوس من قنطرة ونافذة، انظر لسان العرب (١٠/ ٢٢١)، القاموس المحيط ص(١١٦٩).

(٣) تخريج الحديث:- صحيح بخاري كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٣/ ١٢٤٦)، وكتاب التفسير، باب سورة الكهف (٤/ ١٧٥٢).

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١٠).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣١٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٧).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣١٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٧).

(٧) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣١٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٨).

(٨) سورة الرعد: آية ١٠.

(٩) البحر المحيط (٦/ ١٣٧)، وانظر النهر (٦/ ١٤٢).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اتفق المفسرون أن المراد بقوله -تعالى-: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾، يعني أن الحوت اتخذ طريقه الذي سلكه في البحر سرباً، ويعني بالسرب: المسلك والمذهب، يسرب فيه: يذهب فيه ويسلكه[1]، ولكن اختلف المفسرون في صفة اتخاذه سبيله في البحر سرباً على أقوال:-

القول الأول:

أن طريقه الذي يسلك فيه كالحجر، أي: أن أثره كأنه حجر، وهو قول ابن عباس[2].

القول الثاني:

أن طريقه صار في البحر ماءاً جامداً، وهو قول قتادة[2]، وقد اختاره من المفسرين: (الفراء، والسمرقندي)[3].

القول الثالث:

أن طريقه صار في الماء فارغاً، أي: مسلك الحوت في الماء حين لم ينطبق الماء بعده، بل بقي كالطاق، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والعثيمين)[4].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣١٦).

(٢) سبق توثيقه انظر ص٦٠٥ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٤).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣١٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٧)، إرشاد العقل السليم لابي السعود (٤/ ٢٠١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٦٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٩٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٦٦)، تفسير سورة الكهف للشيخ العثيمين ص (١٠٩) .

القول الرابع:

إنما اتخذ سبيله سرباً في البر إلى الماء، حتى وصل إليه ، لا في البحر، وهو قول ابن زيد[١]، وهذا مردود، لأن ظاهر الآية أنه في البحر، وهو ما عليه الجمهور.

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان وجمهور المفسرين بأن صفة اتخاذ الحوت سبيله في البحر سرباً أي: أن الماء صار مع الحوت كالطاق، أي صار مسلك الحوت في الماء فارغاً لم ينطبق الماء بعده، بل بقي كالطاق وذلك لما يلي:-

١. لما جاء في صحيح البخاري من حديث الخضر الطويل: {... واضطرب الحوت فخرج فسقط في الماء فاتخذ سبيله في البحر سرباً، فأمسك الله عن الحوت جدية الماء فصار مثل الطاق }[٢] وفي رواية مسلم: { فاضطرب الحوت في الماء فجعل لا يلتئم عليه حتى صار مثل الكوة }[٣]، وإذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره[٤].

---

(١) سبق توثيقه انظر ص٦٠٥ هامش (٧).

(٢) سبق تخريجه انظر ص٦٠٥ هامش (٣) .

(٣) انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٤٧).

(٤) انظر قواعد الترجيح (١/ ١٩١).

قال -تعالى-: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [1] وفيها مسألتان:

[٦٢/١٣٨] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله - تعالى -: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير يعود على الحوت، حيث قال: « والظاهر: أن الضمير في ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ عائد على الحوت، كما في قوله: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾، وقيل: الضمير عائد على موسى، أي: اتخذ موسى» [2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ على قولين:

القول الأول:

أن مرجع الضمير يعود على الحوت، أي: أنه اتخذ سبيله عجباً للناس، وموضع التعجب: أن يحيا حوت قد مات وأُكلَ، وأكل شقه، ثم يثب إلى البحر، ويبقى جريته إلى الماء لا يمحو أثرها جريان ماء البحر، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ في البحر ونصّ عليه في النهر، وقد اختاره من المفسرين: (الزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي وابن عطية، والقرطبي، وأبو السعود، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والسعدي) [3].

---

(١) سورة الكهف: آية ٦٣.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٣٨)، وانظر النهر (٦/ ١٤٢).

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٠٠)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١١)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٠٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٠٠)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٦٧)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٤١).

القول الثاني:

أن مرجع الضمير يعود على: موسى عليه السلام، اتخذ سبيل الحوت في البحر عجباً فدخل المكان الذي مر فيه الحـوت فرأى الخضر[١]، وقد اختاره من المفسرين (الفراء)[٢].

◈ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين، بأن مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ عائد على الحوت وذلك:

١. لاختيار جمهور المفسرين[٣]، وتفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[٤].

٢. أن القول بأن الضمير يعود على الحوت أقوى في المعنى بحيث يتضح معنى العجيب، حيث يكون حوتاً قد مات، فأكل شقه الأيسر ثم حي بعد ذلك، قال الآلوسي: « وفي ذكر السبيل، ثم إضافته إلى الحوت، ثم جعل الظرف حالاً من المضاف، تنبيه إجمالي على أن المفعول الثاني من جنس الأمور الغريبة، وفيه تشويق للمفعول الثاني وتكرير مفيد للتأكيد المناسب للمقام، فهذا التركيب في إفادة المراد، أو في لحق البلاغة من أن يقال واتخذ في البحر سبيلاً عجباً »[٥].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٣).

(٢) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٤).

(٣) انظر دراسة المسألة ص٦٠٨ .

(٤) قواعد الترجيح لسين الحربي (١/ ٢٨٨).

(٥) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٠٠).

[٦٣/١٣٩] المسألة الثانية: من المخبر عن الاتخاذ في قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾[١].

رجح أبو حيان ~ أن هذا الكلام من قول يوشع بن نون عليه السلام، حيث قال ~ : «والظاهر أن الضمير في ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ هو: من كلام يوشع»[٢].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في قائل هذا القول: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن قائله هو: يوشع بن نون عليه السلام، وصف لموسى عليه السلام ما فعل الحوت، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره من المفسرين: (الزجاج، والواحدي، وأبو السعود، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والسعدي)[٣].

القول الثاني:

إن كلام يوشع تم عند ﴿ٱلْبَحْرِ﴾ ، فقال موسى: عجباً، فكأنه قال: واعجب عجباً من تلك الحال، وضعفه الآلوسي قائلاً: «وأنت تعلم أنه لو كان كذلك لجيء بالجملة الآتية بالواو العاطفة على هذا المقدر»[٤]، واختار هذا القول: (السمرقندي، والماوردي)[٥].

---

(١) سورة الكهف: آية ٦٣.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٣٨)، وانظر النهر (٦/ ١٤٢).

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٠٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٧)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٠٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٠٠)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٦٧)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٤١).

(٤) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٠٠).

(٥) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٤)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٢٤).

القول الثالث:

أن هذا القول اخبار من الله، وذلك على وجهين: إما أن يخبر عن موسى عليه السلام أنه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجباً، أي: تعجب منه، وإما أن يخبر عن الحوت: أنه اتخذ سبيله عجباً للناس، وقال بعض المفسرين: إن هذا مما يحتمله المعنى، ومنهم: (ابن عطية، والقرطبي) [1].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن هذا القول من كلام يوشع بن نون عليه السلام وذلك لما يلي:-

١. لدلالة السياق فإن هذا القول هو تتمة لقوله: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ وفيه إنباء عن طرف آخر من أمره وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كأنه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلاً عجبا[2].

٢. لتأييد بعض القراءات لهذا المعنى، فقال الآلوسي: (ويؤيد كونه من كلام يوشع عليه السلام قراءة أبي حيوة[3] (واتخاذ سبيله)[4] بالنصب على أنه مصدر معطوف على الضمير المنصوب في ﴿أَذْكُرَهُ﴾) [5].

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٩)، الجامع للقرطبي (١١/ ١١).

(٢) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٠٠).

(٣) أبو حيوة: شريح بن يزيد الحضرمي، أبو حيوة الحمصي، المقرئ المؤذن، ثقة، توفي سنة ٢٠٣هـ، انظر الكاشف (١/ ٤٨٤)، التاريخ الكبير (٤/ ٢٣٠).

(٤) شواذ القرآن لابن خالويه ص٨٤.

(٥) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٠٠).

قال -تعالى-: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[1] وفيها أربع مسائل:

[٦٤/١٤٠] المسألة الأولى: من هو العبد الذي وجده موسى عليه السلام؟

رجح أبو حيان ~ ما رجحه الجمهور بأن العبد الذي وجده موسى عليه السلام هو الخضر، حيث قال ~ : « والجمهور على أنه الخضر وخالف من لا يعتد بخلافه فزعم أنه عالم آخر، وقيل: اليسع، وقيل: إلياس، وقيل خضرون بن قابيل بن آدم عليه السلام »[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في العبد الذي وجده موسى ويوشع - عليهما السلام - على أقوال:

القول الأول:

أنه الخضر، وهو قول الجمهور[3]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ .

القول الثاني:

أنه عالم آخر، قال الجبائي: « قد ظهرت الرواية أن الخضر إنما بعث بعد موسى عليه السلام من بني إسرائيل فإن صح ذلك لم يجز أن يكون هذا العبد هو الخضر »[4].

---

(١) سورة الكهف: آية ٦٥.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٣٩)، وانظر النهر (٦/ ١٤٢).

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٠١)، تفسير القرآن العظيم لأبي حاتم (٧/ ٢٣٧٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٦٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٢٧)، الجامع للقرطبي (١/ ١٢)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٩٧)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٢٨)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٠٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٠١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٦٦)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٤١)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤١٧)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٤١)، تفسير المراغي (٥/ ٤٢٠)، تفسير سورة الكهف للعثيمين ص(١١٢).

(٤) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٢٧).

القول الثالث:

أنه اليسع، قال الماوردي: « قال مقاتل: هو: اليسع، لأنه وسع علمه ست سموات وست أرضين » (١).

القول الرابع:

أنه إلياس من أسباط هارون أخي موسى – عليهما السلام –، وقال القونوي عن القولين الأخيرين: وهو بعيد جداً(٢)، قال الآلوسي: « ووهاه ابن الجوزي وأنت تعلم أنه باطل لا واه » (٣).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ ورجحه الجمهور بأن الذي وجده موسى عليه السلام هو الخضر عليه السلام وذلك لما يلي:-

١. للأخبار الصحيحة والتي تذكر أن اسمه الخضر كما جاء في الصحيحين: [فارتدا على آثارهما فوجدا خضراً] (٤)، فإذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره(٥).

٢. لأن هذا اختيار الجمهور، وتفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ(٦).



(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٢٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٠).

(٢) حاشية القونوي (١١/ ١٢٧).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٠١).

(٤) صحيح البخاري كتاب التفسير، باب سورة الكهف (٤/ ١٧٥٤)، وصحيح مسلم كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٤٧).

(٥) قواعد الترجيح (١/ ١٩١).

(٦) قواعد الترجيح (١/ ٢٢٨).

[٦٥/١٤١] المسألة الثانية : نبوة الخضر.

رجح أبو حيان ~ قول الجمهور، وهو القول بنبوة الخضر ؛ حيث قال ~ : « والجمهور على أن الخضر نبي، وكان علمه معرفة بواطن (أشيآء)[١] قد أوحيت إليه، وعلم موسى الأحكام والفتيا بالظاهر .... وقيل: كان ابن ملك من الملوك أراد أبوه أن يستخلفه من بعده فلم يقبل منه، ولحق بجزائر البحر فطلبه أبوه فلم يقدر عليه »[٢].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في نبوة الخضر على أقوال:

القول الأول:

أن الخضر نبي يوحى، وهو رأي الأكثرين من العلماء والمحققين والمفسرين وعليه تدل البراهين العقلية والنقلية، وقد اختاره: (ابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن عادل، والآلوسي، والقاسمي، والمراغي)[٣].

القول الثاني:

أنه ليس رسولاً ولا نبياً، بل هو ولي صالح، قال السعدي: (وكان عبداً صالحاً لا نبياً على الصحيح)[٤]، ولعل من قال بهذا القول رأى أنه لا دليل صريح على نبوته، ولكن القرائن من الآيات، ومن أقواله وأفعاله تدل دلالة ظاهر على نبوته.

وأصحاب هذا القول لم يكتفوا به، بل نسبوا القول بهذا إلى الجمهور، قال شيخ

---

(١) سقط من المطبوع .

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٣٩)، وانظر النهر (٦/ ١٥٣).

(٣) أنظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٢٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٤)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٢٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٢/ ٥٣٩)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٢٨) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣١١)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٤٩)، تفسير المراغي (٥/ ٤٢٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٤١) .

الإسلام ابن تيمية ~ : «وقد أجمع المسلمون على أن موسى أفضل من الخضر، فمن قال إن الخضر أفضل فقد كفر، وسواء قيل: إن الخضر نبي، أو ولي، والجمهور: على أنه ليس نبياً، بل أنبياء بني إسرائيل الذين اتبعوا التوراة، وذكرهم الله تعالى كداود وسليمان»[(١)]، وقال البغوي: لم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم[(٢)]، وقد اختار هذا القول: (البغوي، والسعدي، وابن العثيمين) [(٣)].

القول الثالث:

أنه ملك من الملائكة، أمر الله موسى أن يأخذ منه مما حمله من علم الباطن، قاله: الماوردي[(٤)]، وهذا القول بعيد جداً، والله أعلم.

القول الرابع:

أنه ابن ملك من الملوك، أراد أبوه أن يستخلفه من بعده، فلم يقبل منه ولحق بجزائر البحر، فطلبه أبوه فلم يقدر عليه، واختاره: (السمرقندي) [(٥)].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من العلماء بأن الخضر نبي وذلك:-

١. لقوله -تعالى-: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ وقال أكثر المفسرين[(٦)] بأن المراد بالرحمة: النبوة، بدليل قوله -تعالى-: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [(٧)] كما يشعر تنكر

(١) مختصر الفتاوى المصرية لبدر الدين الحنبلي، تصحيح محمد حامد الفقي ص(٥٦٠).

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٥).

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٠٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٥)، تيسير الكريم الرحمن (٣/ ١٤١)، تفسير سورة الكهف للعثيمين ص(١١٢).

(٤) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٢٤)، انظر الجامع للقرطبي (١١/ ١٢).

(٥) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٤).

(٦) سيأتي دراسة هذه المسألة في ص٦٢٢ .

(٧) سورة الزخرف: آية ٣٢.

الرحمة واختصاصها بجانب الكبرياء [١].

٢. ولقوله -تعالى-: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وهذا يقتضي أنه علمه بلا واسطة معلم ولا إرشاد مرشد، ومن كان كذلك كان نبياً، فخلاصة الأدلة تدل على نبوته، ولا تنافي كونه ولياً صالحاً نقياً.

٣. ولأنه قال له موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ [٢] فإتباع موسى له، وأنه أعلم من موسى عليه السلام في هذه الأمور، وهذا لا يتصور من غير أن يكون الخضر نبياً يوحى إليه.

٤. ولانقياد موسى عليه السلام لأفعاله، وطاعته له وتواضعه في إتباعه، مما يدل على عصمة الخضر في ما فعل وقال، ولا عصمة إلا للأنبياء.

٥. ولأنه قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [٣]، أي: بل قد فعلته بوحي من الله إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا بوحي من الله عز وجل، ولا سيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر، وتعييب سفن الناس بخرقها [٤].

٦. ولأن القول بنبوته يقطع الطريق على الطغام الذين يجعلون الولي أفضل من النبي ويزعمون أن الولاية درجة أعلى من النبوة، ولقد تمسك بهذا القول بعض الصوفية قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: « وذهب إلى أنه كان ولياً جماعة من الصوفية » [٥] ولا شك بأن القول بعدم نبوة الخضر، قد فتح باباً كبيراً من أبواب الزندقة والخروج على الشرع، وتغيير أحكام الله -تعالى-، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض جوابه عمن تملص من التكاليف الشرعية: « وأما احتجاجهم بقصة موسى والخضر فيحتجون بها على وجهين: (أحدهما): أن يقولوا: إن الخضر كان مشاهداً الإرادة الربانية الشاملة... فلذلك سقط عنه

---

(١) تفسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٤٧).

(٢) سورة الكهف: آية ٦٦.

(٣) سورة الكهف: آية ٨٢.

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤١٨).

(٥) انظر الزهر النضر في نبأ الخضر لابن حجر العسقلاني، ضمن الرسائل المنيرية (١/ ١٩٨).

الملام فيما خالف فيه الأمر والنهي الشرعي، وهو من عظيم الجهل والضلال... (وأما الوجه الثاني): فإن من هؤلاء من يظن أن من الأولياء من يسوغ له الخروج عن الشريعة النبوية، كما ساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى... وكثير منهم يفضل الولي في زعمه، إما مطلقاً، وإما من بعض الوجوه، زاعمين أن في قصة الخضر حجة لهم »[1].

وقال الحافظ ابن حجر: « وكان بعض أكابر العلماء يقول: أول عقدة تحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً، لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي إلى أن الولي أفضل من النبي كما قال قائلهم:

مقام النبوة في برزخ   فويق الرسول دون الولي »[2]

وهذا لا يعني أن كل من قال بعدم نبوة الخضر قد ولج في ذلك - ولا شك - فلقد قال بهذا القول: أئمة أعلام، وعلماء وفضلاء، لكن المقصود أنه باب ولج منه الزنادقة وحجة تمسك بها بعض الجهلة، وأهل الخرافة.

(١) مجموعة الفتاوى (١١/ ٤٢٢).

(٢) الزهر النظر (١/ ١٩٨).

[٦٦/١٤٢] المسألة الثالثة: هل الخضر ما زال حياً.

رجح أبو حيان ~ بأن الخضر قد مات، وهو ما رجحه الجمهور؛ حيث قال ~ : «والجمهور: على أنه قد مات، وقال شرف الدين أبو عبدالله محمد بن أبي الفضل المرسي[(١)]: أما خضر موسى بن عمران فليس بحي، لأنه لو كان حياً للزمه المجيء إلى النبي ﷺ والإيمان به وإتباعه، وقد روى عنه ﷺ أنه قال: لو كان موسى وعيسى حيين لم يسعهما إلا إتباعي، هكذا ورد الحديث. انتهى. ولعل الحديث: «لو كان موسى حياً لم يسعه إلا إتباعي»[(٢)،(٣)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في حياة الخضر ؛ هل هو حي إلى الأبد، أم هو قد مات في قديم زمانه؟ على قولين:

القول الأول:

أنه حي حتى اليوم، وأنه شرب من عين تسمى عين الحياة، وأنه التقى بالأنبياء من بعده والصالحين والصحابة، وقد قال بهذا القول عدد من المفسرين والعلماء منهم (القرطبي، والنووي[(٤)]،

---

(١) الشيخ شرف الدين محمد بن أبي الفضل المرسي، كان شيخاً فاضلاً متقناً محققاً للبحث كثير الحج، كان أكثر مقامه بالحجاز توفي سنة ٦٥٥هـ، انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ١٩٥).

(٢) أخرج الامام أحمد (٣/ ٣٣٨)، عن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها، فال: « أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حياً وما وسعه إلا اتباعي »، والبيهقي في شعب الايمان (١/ ١٩٩)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣١٢)، وابن حجر في فتح الباري (٣/ ٥٢٥)، وقال الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٨): حديث حسن.

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٣٩)، وانظر النهر (٦/ ١٤٧).

(٤) النووي: يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي، أبو زكريا النووي الإمام الفقيه الحافظ، شيخ الإسلام، كان شديد الورع والزهد، بارك الله في تصنيفه لحسن قصده، توفي سنة ٦٧٦هـ، انظر: =

وابن الصلاح[1]، والنقاش[2]، وغيرهم)[3]، وجملة ما استدلوا به آثار لا تصح قد أوردها الحافظ ابن حجر بأسانيدها وطرقها[4] في الزهر النضر ثم قال: «والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية، خلاف مايعتقده العوام من استمرار حياته»[5].

قال الحافظ ابن كثير: « وهذه الروايات والحكايات هي عمده من ذهب إلى أن حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا تقوم بمثلها حجة في الدين والحكايات لا يخلو أكثرها من الضعف في الإسناد، وقصارها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره، لأنه لا يجوز عليه الخطأ، والله أعلم » [6].

القول الثاني:

أنه عليه السلام قد مات، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واستدل عليه

بأنه قول الجمهور، وبقوله ﷺ: (لو كان موسى حياً لم يسعه إلا إتباعي) [7]، وأن الخضر عليه السلام لو كان حياً للزمه المجيء إلى النبي ﷺ والإيمان به وإتباعه.

= طبقات الشافعية الكبرى للسّبكي (٨/ ٣٩٥)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (٥٣٩)، شذرات الذهب (٥/ ٣٤٥).

(١) ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي النضر الكردي الشهر زوري الشرخاني، فقيه شافعي محدث أصولي لغوي توفي بدمشق سنة ٦٤٣هـ، انظر طبقات علماء الحديث (٤/ ٢١٤).

(٢) محمد بن الحسن بن زياد بن هارون الموصلي، أبو بكر النقاش، نزيل بغداد، إمامٌ عَلَمٌ، مقرئ مفسِّر، ذو نسك، وورع وصدق لهجة، مؤلّف كتاب شفاء الصدور في التفسير توفي سنة ٣٥١هـ، انظر تاريخ بغداد (٢/ ٢٠١)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٣)، غاية النهاية (٢/ ١١٩).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٢٩)، شرح مسلم للنووي (١٥/ ١٣٥)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٢٠) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٥).

(٤) انظر الزهر النضر لابن حجر (١/ ١٩٩).

(٥) انظر الزهر النضر لابن حجر (١/ ٢٣٤).

(٦) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٣١١).

(٧) سبق تخريجه انظر ص٦١٨ .

وما رجحه أبو حيان ~ هو الذي عليه عدد من المفسرين وأكثر المحققين من الأئمة والعلماء[١].

قال ابن عطية ~ : (وكذلك جمهور الناس على أن الخضر مات)[٢]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وكذلك الذي يرون الخضر أحياناً، فهو جني رآه... ألا فالخضر الذي كان مع موسى عليه السلام مات »[٣]، وقال الشنقيطي ~ : (الذي يظهر لي رجحانه بالدليل في هذه الآية المسألة أن الخضر ليس بحي، بل توفي)[٤].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من المفسرين، بأن الخضر عليه السلام قد مات، وذلك لما يلي:-

١. لظاهر عموم قوله -تعالى-: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾[٥] والنكرة في سياق النفي من صيغ العموم.

٢. لقوله ﷺ: { لو كان موسى حياً لم يسعه إلا إتباعي }[٦]، فلو كان الخضر عليه السلام حياً للزمه المجيء إلى النبي ﷺ، والإيمان به، وإتباعه، ونصرته، والقاتل معه، كما أخذ الله ذلك على الأنبياء السابقين في قوله -تعالى-:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾[٧].

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٤)، مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٨)، حاشية القونوي (١١/ ١٢٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٠٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٤٩)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٢٠).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٨).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٢٠).

(٥) سورة الأنبياء: آية ٣٤.

(٦) سبق توثيقه انظر ص ٦١٨.

(٧) سورة آل عمران: آية ٨١.

٣. لقوله ﷺ في بدر: { اللهم أن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض }[1] فلو كان الخضر حياً في الأرض، فإن الله سيعبد ولو هلكت عصابة المؤمنين، فهذا يدل على أنه لم يكن حياً في ذلك الوقت.

٤. لقوله ﷺ فيما روي عن عبدالله بن عمر { : « أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة منها، لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد »[2] فلو كان الخضر حياً لتعارض هذا مع كلامه ﷺ من فناء جميع البشر بعد مائة سنة من تلك الليلة.

٥. ما هي الحكمة من اختفاء الخضر، وذهابه إلى الجبال، والكهوف، والبراري؟ ولماذا لا يعيش مع الناس ويصلي معهم الجمع والجماعات؟ بل على القول بنبوته، فإنه مطالب بنشر العلم، وتعليم العلم للناس، وتبليغهم الشرع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مما يطالب به أفراد المسلمين فضلاً عن الأنبياء، وهذا كله لم يحصل، فدّل على عدم وجوده.

٦. لضعف الأدلة الواردة - عن حياته، واجتماعه بالنبي ﷺ أو غيره - فلا يوجد منها ما يثبت ويرتقي للاستدلال به.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (٣/ ١٣٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء (١/ ٢١٦)، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب قوله ﷺ لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس (٤/ ١٩٦٥).

[٦٧/١٤٣] المسألة الرابعة: المراد بالرحمة.

رجح أبو حيان ~ بأن المراد بالرحمة في قوله -تعالى-: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾[(١)] هي: النبوة؛ حيث قال ~ : « والرحمة التي آتاه الله إياها: الوحي، والنبوة وقيل: الرزق » [(٢)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالرحمة في قوله -تعالى-: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بالرحمة: الوحي والنبوة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره من المفسرين: (السمرقندي، والواحدي، والزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وأبو السعود، والآلوسي، والشنقيطي، والمراغي) [(٣)].

القول الثاني:

أن المراد بالرحمة: الرزق الحلال والعيش الرغد.

القول الثالث:

أن المراد بالرحمة: النعمة وهو قول أبي سليمان الدمشقي[(٤)]، واختاره (البغوي) [(٥)]

---

(١) سورة الكهف: آية ٦٥.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٣٩)، وانظر النهر (٦/ ١٤٢).

(٣) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٨)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٩٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣١)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٥٨)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٢)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٨)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٠٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٠٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٢٨)، تفسير المراغي (٥/ ٤٢٠).

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٤).

(٥) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٥).

وهذا القول لا ينافي الأول فإنه النبوة نعمة، وهبة من الله -تعالى- .

القول الرابع:

أن المراد بالرحمة: أن الله جعله من أوليائه برحمته إياها، وقد اختاره: (السعدي، والعثيمين) [1].

القول الخامس:

أن المراد بالرحمة: طول الحياة، ذكره (النسفي) [2].

القول السادس:

المراد بالرحمة: الرقة والحنو على من يستحقه وهو قول ابن الانباري وذكره: (ابن الجوزي) [3].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - ما رجحه أبو حيان ~ بأن المراد بالرحمة هي: الوحي، والنبوة وذلك لما يلي:-

١. لأن الرحمة تكرر إطلاقها على النبوة في القرآن، قال -تعالى-: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [4]، أي: نبوته حتى يتحكموا في إنزال القرآن على رجل عظيم من القريتين، وقوله -تعالى-: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [5] وقوله -تعالى-: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [6].

---

(١) انظر تفسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٤٢)، تفسير سورة الكهف للعثيمين ص(١١٢).

(٢) انظر مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٨).

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٤).

(٤) سورة الزخرف: آية ٣١-٣٢.

(٥) سورة الدخان: آية ٤-٥.

(٦) سورة القصص: آية ٨٦.

٢. اخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله -تعالى-: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [(١)] قال: (أعطيناه الهدى والنبوة) [(٢)] وتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[(٣)].

---

(١) سورة الكهف: آية ٦٥.

(٢) انظر الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٧٣).

(٣) قواعد الترجيح (١/ ٢٧١).

قال -تعالى-: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾[1] وفيها مسألتان:

[٦٨/١٤٤] المسألة الأولى: معنى قوله - تعالى - : ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن نسيان موسى عليه السلام كان على الحقيقة؛ حيث قال ~ : « والظاهر: حمل النسيان على وضعه، وقد قال عليه السلام: (كانت الأولى من موسى نسياناً)[2]، والمعنى: أنه نسي العهد الذي كان بينهما من عدم سؤاله حتى يكون هو المخبر له أولاً وهذا قول الجمهور، وعن أبي بن كعب[3]: أنه مانسي ولكن قوله هذا من معاريض الكلام[4]، قال الزمخشري: (أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي، أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان توهمه أنه نسي ليبسط عذره في الانكار، وهو من معاريض الكلام التي ينفي بها الكذب مع التوصل إلى الغرض كقول إبراهيم عليه السلام: هذه أختي[5]، وإني سقيم[6]، أو أراد بالنسيان الترك، أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول

---

(١) سورة الكهف: آية ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ (١/ ٥٦)، كتاب التفسير، باب سورة الكهف (٤/ ١٧٥٢)، صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٤٧).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٢٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٢/ ٥٣١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٧٤)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٧٧).

(٤) المعاريض: جمع معراض، ومن التعريض، وهو التورية انظر لسان العرب (٧/ ١٦٥)، والمراد به هنا التورية وإيهام خلاف المراد لأنه أبرزه في صورة النهي، انظر حاشية الشهاب (٦/ ٢١٠).

(٥) تخريج الحديث: صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب إذا قال لامرأته وهو مكره: هذه أختي فلا شيء عليه (٥/ ٢٠١٧).

(٦) تخريج الحديث: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥] (٣/ ١٢٢٥).

مره. انتهى[١]، وقد بين ابن عطية كلام أبي بكلام أبي طويل يوقف عليه في كتابه[٢]، ولا يعتمد إلا قول الرسول: كانت الأولى من موسى نسياناً » [٣].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ هل النسيان صدر من موسى حقيقة أو لا على أقوال:

القول الأول:

أنه على الحقيقة، وأنه نسي، واستدل أصحاب هذا القول بما جاء الرسول ﷺ: { أن الأولى كانت نسياناً من موسى } [٤]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والنحاس، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور) [٥].

القول الثاني:

أنه لم ينس، ولكنه من معاريض الكلام، قاله أبي بن كعب، وابن عباس ﷺ [٦]، واختاره: (الفراء، والبغوي، وابن عطية) [٧].

---

(١) الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٠٠).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣١).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٤١)، وانظر النهر (٦/ ١٤٨).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٦٢٥ .

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٢٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٢٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٢)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٢)، الارشاد لابي السعود (٤/ ٢٠٤)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٧٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣١٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٨/ ٣٧٦).

(٦) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٢٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٥).

(٧) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣١).

القول الثالث:

أنه بمعنى الترك، فالمعنى: لا تؤاخذي بما تركته مما عاهدتك عليه، ذكره ابن الانباري[١] وقد اختاره من المفسرين: (ابن وهب، والسمرقندي)[٢].

◈ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن النسيان صدر على حقيقته من موسى ؈ وذلك لما يلي:-

١. لظاهر اللفظ قال الآلوسي: (ثم كون ما ذكر اعتذاراً بنسيان الوصية هو الظاهر)[٣] وأما القول بأنه من معاريض الكلام فإنه تكلف، بل تعسف لا يليق بجزالة النظم الكريم ولا يليق أيضاً بمنصب الرسالة، ولا مانع من حمل النسيان على حقيقته[٤].

٢. لما ورد في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: (كانت المرة الأولى كانت نسياناً) فإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه[٥].

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٦).

(٢) انظر تفسير ابن وهب (١/ ٤٧٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٦).

(٣) روح المعاني (٨/ ٣١٨).

(٤) انظر حاشية القونوي (١٢/ ١٣٤).

(٥) قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

[٦٩/١٤٥] المسألة الثانية: معنى: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى﴾ في قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ [١]: أي: لا تغشني، وتكلفني، حيث قال ~ : « ومعنى ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى﴾: لا تغشني وتكلفني، من ﴿أَمْرِى﴾ وهو: إتباعك، ﴿عُسْرًا﴾ أي: شيئاً صعباً، بل سهّل عليّ في متابعتك بترك المناقشة » [٢].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى﴾ في قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن معنى ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى﴾ أي: لا تعجلني، قاله: الفراء [٣].

القول الثاني:

أن معنى ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى﴾ أي: لا تكلفني، وقد اختاره: (ابن وهب، والسمرقندي والواحدي، وابن عطية، وابن عادل، والشوكاني) [٤].

القول الثالث:

أن معنى ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى﴾ أي: لا تغشني، ولا تضيق عليّ أمري أي عاملني باليسر لا بالعسر، وهو قول (ابي عبيدة، وابن قتيبة) [٥]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره

(١) سورة الكهف: آية ٧٣.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٤١).

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٥).

(٤) انظر الواضح في التفسير لأبن وهب (١/ ٤٧٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣١)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٥٣١)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٧٤).

(٥) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٦).

من المفسرين: (الطبري، والزجاج، والنحاس، والبغوي، والزمخشري، والفخر الرازي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)[(١)].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن جميع هذه الأقوال متقاربة ؛ وذلك لأن جميع هذه المعاني جاءت في اللغة، قال ابن فارس: الراء والهاء والقاف أصلان متقاربان: فأحدهما: غشيان الشيء الشيءَ، والآخر: العجلة والتأخير[(٢)]، فقوله: رَهِقه الأمر: غَشِيَة بقهر، ورهق وأرهق بمعنى واحد، نحو: تبعه وأَتبعَه، ورَدِفَه وأَردفَه، وأَرهَقْتُ الصلاة: أَخّرتُها حتى غشيني وقت الأخرى، وقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾[(٣)] أي: لا تغشني ولا تلحقني ومثله قوله: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾[(٤)] أي: تلحقهما، والرهَقُ أيضاً العجلة ومنه قول عمر لأبي بكر { : « إن في سيف خالد لرهقا »[(٥)] أي العجلة[(٦)] وإن اختيار أبي حيان معنى [لا تغشني] فإن هذا المعنى الظاهر والواضح من ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ ولكن لا مانع من إيراد المعاني الأخرى التي ذكرها المفسرون مثل: لا تكلفني ولا تعجلني بما أن اللغة تؤيد ذلك.



---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٢٩)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٠٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٧)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٠٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٣١)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٢)، الإرشاد لأبي السعود (٨/ ٣١٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٧٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٥١)، مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص(٣٦٧).

(٣) سورة الكهف: آية ٧٣.

(٤) سورة الكهف: آية ٨٠.

(٥) غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٤٢٤)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٦٧٧)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٥/ ٧٥٥)، تاريخ الطبري (٢/ ٣٧٣).

(٦) الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ١١٨).

قال -تعالى-: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [1] وفيها مسألتان:

[٧٠/١٤٦] المسألة الأولى: هل الغلام المقتول كان بالغاً.

رجح أبو حيان ~ بأن الغلام المقتول كان بالغاً، وإلا لما قال ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ فيكون أليق بالكبير البالغ منه بالصبي، لأن الصبي لا يقتل وإن قَتَل؛ حيث قال ~ : « وكان هذا الغلام لم يبلغ الحلم، ولهذا قال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾، وقيل: كان الغلام بالغاً شاباً، والعرب تبقي على الشاب اسم الغلام، ومنه قول ليلى الأخيلية[2] في الحجاج:

شَفَاهَا مِنْ الدَّاءِ الَّذِي قَدْ أَصَابَهَا ... غُلَامٌ إِذَا هَزَّ القَنَاةَ سَقَاهَا[3]

وقال آخر:

تَلَقَّى ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنَّنِي ... غُلَامٌ إِذَا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرِ[4]

---

(١) سورة الكهف: آية ٧٤.

(٢) ليلى الأخيلية: هي ليلى بنت عبدالله الرحال من بني الأخيل، وهي من النساء المتقدمات في الشعر من شعراء الاسلام ولا يقدم عليها غير الخنساء، انظر تاريخ الاسلام (١/ ٦٧٤)، وديوان الحماسة (٢/ ١٠٨).

(٣) هي أبيات امتدحت فيها ليلى الأخيلية الحجاج أيام أمارته فقالت فيها:

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة ... تتبع أقصى داءها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام إذا هز القنتة سقاها

وبه يستدلون على أن العرب تطلق الغلام على البالغ إذا كان قريباً منه توسعاً، انظر فيض القدير للمناوي (٤/ ٤١٦)، لسان العرب (١١/ ٤٥١)، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١١/ ٢٤٤).

(٤) هذا البيت لصفوان بن المعطل: قاله لما بلغه قول حسان في الافك، فجاء وضربه بالسيف ضربة على رأسه وقال:

تلق ذباب السيف مني فأنني غلام ... إذا هوجيت لست بشاعر

ولكنني أحمي حماي واشتفي من ... الباهت الرامي البراء الطواهر

وذباب السيف طرفة الذي يضرب به، وذكر هذه القصة الحاكم في المستدرك، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (٣/ ٥٩٥)، انظر الاصابة (٣/ ٤٤٠)، الأغاني (٤/ ١٦٥).

وقيل: أصله من الاغتلام وهو شدة الشبق، وذلك إنما يكون في الشباب الذين بلغوا الحلم، ويتناول الصبي الصغير تجوزاً تسميته للشيء ما يؤول إليه.... وقيل: أو لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث، فقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يرده ويدل على كبر الغلام، فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس » [(١)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في الغلام المقتول هل كان بالغاً على قولين:

القول الأول:

أنه كان رجلاً، شاباً بالغاً، وذلك لأن قوله ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يدل على أنه ممن يجب عليه القصاص، وبأن اللغة تجيز بأن يطلق على الرجل البالغ اسم الغلام، وهو من الاغتلام أي شدة الشبق، واستدلوا أيضاً بقراءة ابن عباس: (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين) [(٢)]، والكفر والإيمان من صفات المكلفين، ولا يصدق عليه اسم الكافر إلا بالبلوغ[(٣)] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (ابن عطية، والرازي، والقرطبي) [(٤)].

القول الثاني:

كان صغيراً، غير بالغ، وكان يلعب مع الصبيان، حتى مر به الخضر فقتله، وأما ما جاء في قراءة ابن عباس: (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين)، فقد قال النووي: والجواب من وجهين: أحدهما: أنه شاذ لا حجة فيه، والثاني: أنه سماه بما يؤول إليه لو عاش كما جاء في الرواية الثانية: (وأما الغلام فإنه كان طُبع يوم طُبع كافراً) [(5)]، وأما استدلال أبي حيان بأن قوله ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يدل على أن ممن يجب عليه القصاص فقد أجاب النووي

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٤١-١٤٢) باختصار يسير.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير باب سورة الكهف (٤/ ١٧٥٢)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٦).

(٣) الجامع للقرطبي (١١/ ١٦).

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٣٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١٦).

(٥) انظر مسند الإمام أحمد (٥/ ١١٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناد صحيح على شرط الشيخين.

والكرماني: بأن المراد التنبه على أنه قتله بغير حق، إلا أنه خص حق القصاص بالنفي، لأنه الأنسب بمقام القتل، أو أن شرعهم كان إيجاب القصاص على الصبي »[١]، وقد اختاره: (النحاس، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، وابن كثير، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)[٢].

◈ <u>الترجيح</u>:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن الغلام المقتول لم يكن مكلفاً بالغاً وذلك لما يلي:-

١. أن الله وصف هذه النفس بأنها زاكية والبالغ قلما يزكو من الذنوب، فقد فرق أبو عمرو[٣] بين القراءتين المتواترتين في معنى (زكية وزاكية)[٤] وقال بأن معنى زاكية بالألف هي: التي لم تذنب قط، وزكية بدون ألف هي: التي أذنبت ثم غفرت[٥] - وقد تُعِقبَ بأنه: فرقٌ غيرُ ظاهر، لأن أصل معنى: الزكاة النمو والزيادة، فمن أين جاءت هذه الدلالة؟ - ثم وجّه ذلك بأنه يحتمل أن تكون زاكية بالألف من زكى اللازم وهو يقتضي أنه ليس بفعل آخر وأنه ثابت له في نفسه، وزكية بمعنى مزكاة فإن فعيلاً قد يكون من غير الثلاثي كرضيع بمعنى مراضع، وتطهر غيره له من الذنوب إنما يكون بالمغفرة، وقد فهمه من كلام العرب فإنه إمام بالعربية واللغة بهذا الاعتبار زاكية بالألف أبلغ، وأنسب بالمقام

---

(١) انظر شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٤٠).

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧١)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٧)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٠١)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣١٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٧٨).

(٣) أبو عمرو: زيان بن العلاء بن عمار المازني، أحد القراء السبعة، وأغزرهم علماً، كان إمام أهل العصر في القراءات والنحو واللغة، توفي سنة ١٥٤هـ على الصحيح، انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٦٦)، وغاية النهاية (١/ ٢٨٨)، والنشر (١/ ١٣٤).

(٤) انظر حجة القراءات لابن زنجلة ص(٤٢٣)، السبعة في القراءات لابن مجاهد ص(٣٩٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٧).

(٥) انظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص(٢٢٧)، فتح الباري (٨/ ٤١٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣١٨).

بناء على أنه يرى أن الغلام لم يبلغ الحلم ولذا اختار القراءة بذلك وإن كان كل من القراءتين متواتراً عنه ﷺ[١].

٢. لأن حقيقة لفظ الغلام الشائعة في الاستعمال تطلق على غير البالغ[٢]، فالغلام اسم للمولود إلى أن يبلغ[٣] وقال الزمخشري في أساس البلاغة: (إن الغلام هو الصغير إلى حد الالتحاء فإن قيل له بعد ذلك غلام فهو مجاز)[٤].

٣. جاء في صحيح البخاري[٥]: { فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه }: فهذا اللفظ يدل على أنه صغير لم يبلغ الحلم وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجع له على ما خالفه[٦].

٤. هو قول الجمهور، قال الآلوسي: وإلى ذلك ذهب الجمهور[٧].

---

(١) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣١٨).

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣١٨).

(٣) عمدة القاري (٢/ ١٩٥).

(٤) انظر اساس البلاغة للزمخشري (٢/ ٢٩)، نيل الأوطار للشوكاني (١/ ٥٦).

(٥) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم (١/ ٥٦)، كتاب التفسير، باب سورة الكهف (٤/ ١٧٥٧).

(٦) قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

(٧) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣١٨).

[١٤٧/٧١] المسألة الثانية: معنى ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾.

رجح أبو حيان أن معنى زكية هي: الطاهرة من الذنوب؛ حيث قال ~ تعالى: « ومعنى زاكية: طاهرة من الذنوب، ووصفها بهذا الوصف، لأنه لم يرها أذنبت، قيل: أو لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث، وقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يرده ويدل على كبر الغلام، فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، ولا بغير نفس » (١).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى كلمة زكية على أقوال:

القول الأول:

معنى الزكية أي: الطاهرة من الذنوب بمعنى البريئة التي لم يظهر ما يوجب قتلها وهو قول الزجاج(٢)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الفراء، وابن وهب، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والنسفي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور) (٣).

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٤٢)، وانظر النهر (٦/ ١٤٩).

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٠٣).

(٣) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للفرآء (٢/ ١٥٥)، الواضح في التفسير لابن وهب (١/ ٤٧٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧١)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٥٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٨)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٠١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٣٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٩)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٠٥)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٣٧٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣١٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٣٧٨).

القول الثاني:

معنى الزكية: أي التائبة، وهو قول الضحاك[1]، هذا يدخل في القول الأول؛ لأن التائبة هي: الطاهرة من الذنوب.

القول الثالث:

معنى الزكية: المسلمة، وهو قول: ابن عباس[٢]؛ لأن الإسلام هو الفطرة.

القول الرابع:

معنى الزكية: النامية، قال الراغب: (وأصل الزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله - تعالى-) [٣].

القول الخامس:

معنى الزكية: أي الصغيرة وهو قول ابن عباس[٤]، وقال الطبري: (صغيراً لا ذنب له) [5] وقد رد أبو حيان هذا القول بناءاً على أن الغلام المقتول كان بالغاً[٦].

القول السادس:

معنى الزكية: التي لم تبلغ الخطايا، وهو قول سعيد بن جبير[٧]، وهو يرادف القول بأنها صغيرة.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٢٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٧)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٧٤).

(٣) مفردات القرآن للراغب ص(٣٨١).

(٤) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣١٨).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٣٢٣).

(٦) انظر الترجيح في المسألة السابقة ص٦٣٢ .

(٧) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٧٨) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٢٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٢٧)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٧٤).

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن جميع هذه الأقوال تدخل في معنى الزكي فالزكاة هي النماء والطهارة[١]، والزكي هو المبارك المطهر قال السمين الحلبي: وقوله: ﴿زَكِيَّةً﴾: أي طاهرة بريئة مما لا يوجب قتلها[٢].

وأبو حيان وجمهور المفسرين قالوا: بأن معنى زكية أي: الطاهرة من الذنوب، وهذا هو المعنى الظاهر من الزكاة.

قال الآلوسي: « وقد جاء في حديث عن ابن جبير عن ابن عباس مرفوعاً، تفسير زكية بصغيرة » وهو تفسير باللازم[٣].

وقال ابن عبدالبر: (﴿زَكِيَّةً﴾ أي: لم يبلغ العمل، فيكسب الذنوب)[٤]، وجاء في الحديث { نفساً زكية لم تعمل الحنث }[5] أي:لم ترتكب إثماً ولا معصية[٦]، وهذا يرادف القول بأنها صغيرة والله أعلم.



(١) انظر معجم مقاييس اللغة (٣/ ١٧).

(٢) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢/ ١٤٣).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣١٨).

(٤) التمهيد لابن عبدالبر (١٨/ ٧١)، الاستذكار (٣/ ١٠٨).

(٥) صحيح البخاري: كتاب التفسير باب سورة الكهف (٤/ ١٧٥٤).

(٦) فتح الباري (٨/ ٤١٩).

قال -تعالى-: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧﴾[1] وفيها مسألتان:

[٧٢/١٤٨] المسألة الأولى: معنى قوله -تعالى-: ﴿جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾.

رجح أبو حيان ~ أنه لا يمكن أن تكون للجدار إرادة حقيقية، وإنما هي من باب المجاز[2]، حيث قال: « وإسناد الإرادة إلى الجدار من المجاز البليغ، والاستعارة البارعة، وكثيراً ما يوجد في كلام العرب إسناد أشياء تكون من أفعال العقلاء إلى ما لا يعقل، من: الحيوان، وإلى الجماد، أو الحيوان الذي لا يعقل مكان العقل لكان صادراً منه ذلك الفعل، وقد أكثر الزمخشري وغيره من إيراد الشواهد على ذلك، ومن له أدنى مطالعة لكلام العرب لا يحتاج إلى شاهد في ذلك....، وما ذكره أهل أصول الفقه عن أبي بكر محمد بن داود الأصبهاني[3] من أنه ينكر المجاز في القرآن لعله لا يصح عنه، وكيف يكون ذلك وهو أحد الأدباء الشعراء الفحول المجيدين في النظم والنثر »[4].

---

(١) سورة الكهف: آية ٧٧.

(٢) المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة: وهذا اللفظ أطلق في اصطلاح المتأخرين على ما هو قسيم الحقيقة، فإنهم قسموا الكلام إلى حقيقة ومجاز، فالحقيقة عندهم هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له، انظر روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة ص(٦٤)، المحصول للرازي (١/ ٣٩٦)، والإحكام لابن حزم (٤/ ٤٤٧)، مجموع الفتاوى (٢/ ٤٠٤)، البحر المحيط للزركشي (٢/ ١٥٢).

(٣) أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني ثم البغدادي لمعروف بالظاهري، صاحب كتاب الذرة، كان عالماً أديباً شاعراً ظريفاً، توفي سنة ٢٩٧هـ، انظر تاريخ بغداد (٥/ ٢٥٦)، هداية العارفين (١/ ٤٥٧)، قال الآلوسي: « ونقل بعض أهل الأصول عن أبي بكر محمد بن داود الأصبهاني أنه ينكر وقوع المجاز في القرآن فيؤول الآية بأن الضمير في (يريد) للخضر أو لموسى عليهما السلام، وهذا فيه تكلف وتعسف تغسل به بلاغة الكلام »، وذكر الآلوسي كلام أبي حيان بأنه: لعل النقل لا يصح عن الرجل، وكيف يقول ذلك وهو أحد الأدباء الشعراء الفحول المجيدين في النظم والنثر، انظر روح المعاني (٨/ ٣٣٠).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٤٣)، وانظر النهر (٦/ ١٤٩).

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى هذه الآية، وكيف نسبت الإرادة إلى مالا يعقل على أقوال:-

القول الأول:

أن هذا على وجه المجاز تشبيهاً بمن يعقل، أو يريد: لأن هيئته في التهيؤ للوقوع قد ظهرت كما يظهر من أفعال المريدين القاصدين، فوصف بالإرادة إذا كانت الصورتان واحدة، واستدل أصحاب هذا القول بأن العرب قد تضيف الأفعال إلى ما لا يعقل تجوزاً، وكما قال -تعالى-: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ (١) والغضب لا يسكت، وإنما صاحبه، وقال -تعالى-: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ (٢) وكما جاء في أشعارهم ومن ذلك:

إنَّ دهْراً يَلفُّ شَمْلِي بجُمَل ... لَزِمانٌ تيهُمُّ بالإحْسانِ(٣)

وقال الآخر:

يُريدُ الرَّمْحُ صَدْرَ أبي بَرَاءِ ... وَيرغَبُ عَنْ دِمَاءِ بنَي عقيلِ(٤)

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٥٤.

(٢) سورة محمد: آية ٢١.

(٣) البيت غير منسوب في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص(١٠٠)، وجامع البيان (١٥/ ٣٣٣)، والجامع القرطبي (١١/ ١٩)، وفي اللسان والتاج مادة (دهر)، ونسبه الآلوسي في روح المعاني لحسان بن ثابت ﷺ، ولففت الشيء: طويته وأدرجته، من باب رد، والشمل: المتفرق، ويطلق على المجتمع من الأمور، وجمل: اسم محبوبته، ويروى: بسعدى يقول: إن الدهر الذي يجمع شملي بمحبوبتي لدهر يهم بالإحسان ويريده، وهمّ من باب ردّ أيضاً، أي: دهر يريد الإحسان لا الإساءة كعادة الدهر، فشبه الزمان بإنسان يصح منه إرادة الإحسان على طريق المكنية، والهم تخييل، ويحتمل أن إسناد الهم له مجاز عقلي كإسناد اللف، وهما في الحقيقة لله، انظر الكشاف (٣/ ٦٠٣)، حاشية.

(٤) البيت في تأويل مشكل القرآن ص(١٠٠)، وفي مجاز القرآن (١/ ٤١٠)، ونسبه محققه للحارثي، وفي جامع البيان (١٥/ ٣٣٣)، وفي اللسان مادة (رود)، وفي الجامع للقرطبي (١١/ ١٩)، ونسبه الزمخشري في الكشاف للراعي، الإرادة هنا مجاز عن التوجه، ويجوز أن الإسناد مجاز لأن المريد صاحب الرمح والأوجه أنه شبه الرمح بالانسان على طريق المكنية وإسناد الإرادة والعدول إليه تخييل، أي: يريد أن يشرب من صدر أبي براء، لا من دماء بني عقيل، انظر الكشاف (٣/ ٦٠٣) حاشية.

وقال الآخر:

يشكو إليَّ جَمَلي طُولَ السُّرَى[(١)]

وهذه الآية الكريمة - التي معنا - من أكبر الأدلة التي يستدل بها القائلون بالمجاز في القرآن الكريم، بأن إرادة الجدار: الانقضاض، لا يمكن أن تكون حقيقة وإنما هي مجاز، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الفرء، والطبري، والنحاس، والسمرقندي، والماوردي والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، والسمين الحلبي، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي والطاهر بن عاشور، والقاسمي) [(٢)].

القول الثاني:

أن إرادة الجدار حقيقة، ولا مانع من ذلك، لأن الله -تعالى- يعلم للجمادات إرادات، وأفعالاً وأقوالاً، لا يدركها الخلق كما قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [(٣)] فصرح - سبحانه - بأننا لا نفقه تسبيحهم، وتسبيحهم واقع عن إرادة لهم يعلمها هو جل وعلا ونحن لا نعلمها، وأمثال ذلك كثير في القرآن والسنة.

وقد قال بهذا القول الذين لا يرون المجاز في القرآن، ويقولون بأن تقسيم الكلام إلى

---

(١) الرجز غير منسوب في (مجاز القرآن) (١/ ٣٠٣)، و(تأويل مشكل القرآن) ص(٧٩)، وفي جامع البيان (١٥/ ٣٣٣)، وفي الجامع القرطبي (١١/ ١٩)، وفي اللسان والتاج مادة (شكا).

(٢) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٦)، جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٣٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٣١)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٦٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٠٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٣٤)، انظر الجامع للقرطبي (١١/ ١٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٥٣٤)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٥٤٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٥)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٢٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٤٢).

(٣) سورة الإسراء: آية ٤٤.

حقيقة ومجاز، تقسيمٌ حادث، وأن اصطلاح المجاز اصطلاح محدث، قصد به التوصل إلى نفي صفات الكمال عن الله ﷻ وإلا فالأئمة - رحمهم الله - وأهل القرون الثلاثة المفضلة لم يتكلموا بهذا الاصطلاح بالمعنى الذي قصده المبتدعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ~ : « فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلم أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين بالعلم كمالك (ت١٧٩هـ)، والثوري (ت١٦١هـ)، والأوزاعي (ت١٥٧هـ)، وأبو حنيفة (ت١٥٠هـ)، والشافعي (ت٢٠٤هـ)، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل (ت١٧٠هـ)، وسيبويه (ت١٨٠هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) ونحوهم، وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ) في كتابه، ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنما كني بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية ...، والغالب أنه (أي: المجاز) كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين ... فلا مجاز في القرآن، بل وتقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلف، والخلف فيه على قولين، وليس النزاع فيه لفظياً » [1]، وقد اختاره: (ابن تيمية، وابن القيم، والشنقيطي، وابن عثيمين) [2].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن النزاع في هذه المسألة منه ما هو لفظي، ومنه ما هو حقيقي فاللفظي في نحو إطلاق لفظ الأسد على الرجل الشجاع، وقد يكون النزاع حقيقياً، ومن ذلك آيات الصفات فإن أكثر من يثبت المجاز في القرآن يقول بنفي حقائق من الصفات وحمل نصوصه على المجاز، وهذا الذي حمل بعض العلماء على الإكثار من بحث هذا الموضوع ويشدد النكير على القائلين به، فلو كان النزاع فيه لغوياً فحسب لم يكن فيه

---

(١) الإيمان لابن تيمية (٧/ ٨٨)، باختصار ضمن مجموع الفتاوى، وانظر رسالة الحقيقة والمجاز ضمن مجموع الفتاوى (٢/ ٤٠٤) مختصر الصواعق (٢/ ٥).

(٢) تفسير آيات مشكلة لابن تيمية (١/ ٦٤)، تفسير أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٢٩)، تفسير سورة الكهف ص(١٢٠).

كبير خلاف ولما احتدم فيه النقاش ولكن لما أدرك العلماء خطورته سارعوا إلى تحقيق القول فيه وبينوا قواعده، وقصروا مباحثه[١]، فكون إرادة الجدار هنا من باب الاستعارة، قال ابن كثير ~ : « وإسناد الإرادة ههنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة فإن الإرادة في المحدثات بمعنى: الميل، والانقضاض، هو: السقوط » [٢].

قال الشيخ عبدالرحمن السديس[٣]: « أن الراجح هو القول بالتفصيل على حسب الضوابط الشرعية، وأنه فيما يتعلق بالاعتقاد وصفات الباري -جل وعلا- وكلامه وكلام رسوله ﷺ وماله ارتباط بالأحكام الشرعية فالقول بمنع المجاز فيها هو المتعين؛ لما يلزم على القول به من لوازم فاسدة، وأن ما ليس له علاقة بما سبق، بل مجرد ألفاظ وأساليب واصطلاحات فحسب، فالأمر فيه واسع بحمد الله فمجال اللغة رحب وميدانها فسيح ولا مشاحة في الاصطلاح » [٤].



(١) المجاز في اللغة والقرآن بين الإيجاز والمنع لعبد العظيم المطعني (٢/ ٨٤٦، ٩١٣، ١٠٩٤) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية لمهدي السامرائي (٥٦)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (٣/ ١١٧٠)، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية لأحمد خليل (٩٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٣).

(٣) الدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالله السديس يرجع نسبه إلى قبيلة عَنَزة المشهورة، من محافظة البكيرية في منطقة القصيم، عين في عام ١٤٠٤ هـ إمام و خطيب في المسجد الحرام، وهو الآن أستاذ مساعد في كلية الشريعة بجامعة أم القرى. ينظر ترجمته في موقع الشيخ.

(٤) انظر المجاز عند الأصوليين بين المجيزين والمانعين ص(٣٠) – للدكتور عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالله السديس.

[٧٣/١٤٩] المسألة الثانية : معنى (فأقامه) في قوله -تعالى- : ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ (١).

رجح أبو حيان ~ أن معنى ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ أي: لم يقمه ويسويه، بعد أن هدمه، بل دفعه بيده، فاستقام؛ لأن هذا هو الأليق بحال الأنبياء؛ حيث قال ~ : « الظاهر أنه لم يهدمه وبناه، كما ذهب إليه بعضهم من أنه هدمه وقعد يبنيه، ووقع هذا في مصحف عبدالله[٢]، وأُيِّد بقوله: ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ لأنه بناه بعد هدمه يستحق عليه أجراً قال ابن جبير: مسحه بيده وأقامه فقام[٣]، وقيل: أقامه بعمود عمده به، وقال مقاتل: سواه بالشيد[٤]، أي: لبسه به، وهو: الجيار، وعن ابن عباس { : دفعه بيده فاستقام[٥]، وهذا أليق بحال الأنبياء» [٦].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى (فأقامه) في قوله ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ على أقوال:

---

(١) سورة الكهف: آية ٧٧.

(٢) في مصحف عبدالله بن مسعود ﷺ، انظر الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٧٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٢٠)،فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٨).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٣٥)، تفسير القرآن العظيم لابن حاتم (٧/ ٢٣٧٩)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٣١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٩)، الجامع للقرطبي (١١/ ٢٠)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٧٦) اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٥٤٣).

(٤) الشِّيد بالكسر كل شيء طليت به الحائط من جص أو بلاط، وشاده: حصصه، انظر تاج العروس (١/ ٢٠٦٥)، مختار الصحاح للرازي (٥/ ١٣١)، وقول الجوهري: من طين أو بلاط بالباء غلط والصواب: ملاط بالميم لأن البلاط حجارة لا يطلى بها وإنما يطلى بالملاط وهو الطين، انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ص(٣٧٣).

(٥) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣١).

(٦) البحر المحيط (٦/ ١٤٣)، وانظر النهر (٦/ ١٤٩).

القول الأول:

أن معنى ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ أي: أن الخضر عليه السلام هدم الجدار وقعد يبنيه، واستدل أصحاب هذا القول بما أخرجه ابن الأنباري عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قرأ ﴿فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فهدمه ثم قعد يبنيه﴾[1]، وحملوا هذه القراءة الشاذة على أنها تفسير للآية، واستدلوا أيضاً بسياق الآية قال -تعالى-: ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ لأن بناءه بعد هدمه يستحق عليه أجراً[2].

القول الثاني:

أن معنى (فأقامه) أي: مسحه بيده عليه السلام فقام، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وسعيد بن جبير، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (النحاس، والماوردي والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، والشوكاني) [3].

القول الثالث:

أن معنى (فأقامه) أي: عدل ميله حتى عاد مستوياً، وجائز أن يكون: بإصلاح بعد هدم أو أن يكون برفع منه له بيده فأستوى بقدرة الله، وهذا الجمع ذهب إليه: (الطبري وابن عثيمين) [4].

---

(١) سبق توثيقه انظر ص٦٤٢ .

(٢) سورة الكهف: آية ٧٧ .

(٣) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٣١)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٦١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٤)، الجامع للقرطبي (١١/ ٢٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٥٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٥).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٥/ ٣٣٥)، تفسير سورة الكهف ص(١٢٠).

◈ **الترجيــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى: (فأقامه) أي - الخضر - مسحه بيده فاستقام، وذلك لما يلي:

١. لما رواه البخاري: {فانطلقا فوجدا جداراً يريد أن ينقض فأقامه، قال سعيد بيده هكذا ورفع يده - فاستقام - قال يعلي حسبت أن سعيداً قال فمسحه بيده فاستقام}[(١)]، قال الشوكاني: « ورواية الصحيحين: أنه مسحه بيده، أولى »[(٢)]، وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه[(٣)].

٢. أن هذا المسح هو الأليق بحال الخضر ، قال القونوي: « وهذا المسح أقامه فيكون من الخوارق العادية وهذا الشأن الخضر أحرى، سواء قيل: إنه نبي أو ولي فهي معجزة أو كرامة »[(٤)] وقال القرطبي: أنه هو الصحيح، لأنه الصحيح لأنه الأنسب بحال الخضر [(5)]، وهو ما وجّه به أبو حيان الترجيح.



---

(١) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير، باب سورة الكهف (٤/ ١٧٥٤)، وفي كتاب الإجارة باب إذا استأجر أجيراً على أن يقيم حائطاً يريد أن ينقض جاز (٢/ ٧٩١)، وفي رواية مسلم (فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه، يقول مائل، قال الخضر بيده هكذا فأقامه)، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر (٤/ ١٨٤٧).

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٨).

(٣) قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

(٤) حاشية القونوي (١١/ ١٤٢).

(٥) الجامع للقرطبي (١١/ ٢٠).

قال -تعالى-: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾[1] وفيها مسألة واحدة:

[٧٤/١٥٠] المسألة: معنى: (وراءهم).

رجح أبو حيان ~ أن لفظ (وراء) يطلق على الخلف والأمام، ومعناه هنا: أمامهم؛ حيث قال ~ : « وقرأ الجمهور (وراءهم) وهو لفظ يطلق على الخلف وعلى الأمام، ومعناه هنا: (أمامهم)، وكذا قرأ ابن عباس[2] { وابن جبير[2] وكون وراءهم بمعنى: أمامهم، قول: قتادة[3]، وأبي عبيد[4]، وابن السكيت، والزجاج[5]، ولا خلاف عند أهل اللغة أن وراء يجوز بمعنى قدام، وجاء في التنزيل والشعر، قال -تعالى-: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾[6] وقال: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾[7] وقال: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾[8]، وقال لبيد:

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَت مَنِيَّتِي ... لُزُوم الْعَصَا يُحْنَي عَلَيْهَا الأَصَابِعُ[9]

---

(١) سورة الكهف: آية ٧٩.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٦١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٧٧)، الجامع للقرطبي (١١/ ٢٥)، وهي محمولة على التفسير وليست من القراءات السبع المتواترة.

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٥).

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٤١٢).

(٥) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٠٥).

(٦) سورة الجاثية: آية ١٠.

(٧) سورة إبراهيم: آية ١٧.

(٨) سورة المؤمنون: آية ١٠٠.

(٩) البيت من الطويل للبيد العامري، انظر ديوانه ص(٨٩)، تفسير القرطبي (١١/ ٢٥)، اللسان (١/ ١٩٣)، واستشهد على أن (ورائي) بمعنى قدامي.

وقال سوار بن المضرب السعدي[(١)]:

أَيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سمعي وَطَاعَتِي ... وَقَوْمِي تَمِيمٌ والفَلاَةُ وَرَائِيا[(٢)]

وقال آخر:

أَلَيْسَ وَرَائِي أَنْ أَدِبَّ عَلَى الْعَصَا ... فَيَأمن أَعْدَائي وَتَسْأَمنِي أَهْلِي[(٣)]

وقال ابن عطية: وقوله (ورآءهم) عندي هو: على بابه، وذلك أن هذه الألفاظ إنما تجئ يراعى بها الزمن والذي يأتي بعد هو الوراء وهو ما خلف، وذلك بخلاف ما يظهر بادي الرأي، وتأمل هذه الألفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد، فهذه الآية معناها: أن هؤلاء وعملهم وسعيهم يأتي بعده في الزمن غصب هذا الملك، ومن قرأ (أمامهم) أراد في المكان أي: أنهم كانوا يسيرون إلى بلدة، وقوله -تعالى-: في التوراة والإنجيل إنها بين يدي القرآن مطرد على ما قلناه في الزمن وقوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُ﴾[(٤)] مطرد كما قلنا من مراعاة الزمن، وقول النبي ﷺ: « الصلاة أمامك »[(٥)] يريد في المكان، وإلا فكونهم في ذلك الوقت كان أمام الصلاة في الزمن، وتأمل هذه المقالة فإنها مريحة من شغب هذه الألفاظ، ووقع لقتادة في كتب الطبري (وكان وراءهم ملك)، قال قتادة: أمامهم[(٦)]، ألا ترى أنه

---

(١) سوار بن المضرب السعدي أحد بني ربيعه بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم شاعر مشهور، (المضرب) بضاد معجمه وآخره باء معجمه بواحدة وراءه مفتوحة، الإكمال (٧/ ١٩٩)، وأخوه العوام بن المضرب بصريان إسلاميان، انظر معجم الشعراء ص(٥٢)، ديوان الحماسة ص(٣٣).

(٢) البيت من الطويل لسوار بن المضرب السعدي، انظر الكامل (٢/ ١٠٢)، الجمهرة (١/ ١٧٧)، إعجاز القرآن (١/ ٣٣٧)، اللسان (١٥/ ٣٨٦)، روح المعاني (٨/ ٣٣٢).

(٣) البيت من الطويل لعروة بن الورد، انظر الدر المصون (٧/ ٥٣٦)، انظر ديوان عروة بن الورد ص(١١٤)، واستشهد به على أن (وراء) بمعنى (أمام).

(٤) سورة الجاثية: آية ١٠.

(٥) تخريج الحديث: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب إسباغ الوضوء (١/ ٦٥)، كتاب الحج، باب الجمع بين الصلاتين بالمزدلفة (٢/ ٦٠١)، صحيح مسلم كتاب الحج، باب الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة واستحباب صلاتي المغرب والعشاء (٢/ ٩٣٣).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧) تفسير الصنعاني (٢/ ٤٠٧).

يقول: ﴿مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُ﴾ [(١)] وهي من بين أيديهم وهذا القول غير مستقيم، وهذه هي العَجُة التي كان الحسن بن أبي الحسن يضج منها، قاله: الزجاج[(٢)] ويجوز إن كان رجوعهم في طريقهم على الغاصب فكان وراءهم حقيقة انتهى[(٣)]، وهو كلام فيه تكثير، وكأنه ينظر إلى ما قاله: الفراء، قال الفراء: لا يجوز أن يقال للرجل بين يديك هو وراءك، إنما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي والأيام والدهر تقول: « وراءك برد شديد » و« بين يديك برد شديد »، جاز الوجهان، لأن البرد إذا لحقك صار من ورائك وكأنك إذا بلغته صار بين يديك، وقال: إنما جاز هذا في اللغة لأن مابين يديك وما قدامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك[(٤)]، وقال أبو علي[(٥)]: إنما جاز استعمال وراء بمعنى أمام على الاتساع لأنها جهة مقابلة لجهة، فكانت كل واحدة من الجهتين وراء الأخرى، إذا لم يرد معنى المواجهة ويجوز ذلك في الأجرام التي لا وجه لها مثل حجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر، وأكثر أهل اللغة على أن وراء من الأضداد[(٦)]. انتهى » [(٧)].

---

(١) سورة الجاثية: آية ١٠.

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٠٥).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٥)، قال القرطبي معقباً على قول ابن عطية: « وما قاله هذا الإمام قد سبقه إليه في ذلك ابن عرفة، قال الهروي قال ابن عرفة: يقول القائل كيف قال: « من ورائه وهي أمامه؟ فزعم أبو عبيد، وأبو علي قُطْرُب أن هذا من الأضداد، وأن وراء في معنى قدام، وهذا غير محصل، لأن أمام ضد وراء وإنما يصلح هذا في الأوقات كقولك للرجل إذا وعد وعداً في رجب لرمضان ثم قال: ومن ورائك شعبان جاز وإن كان أمامه لأنه يخلفه إلى وقت وعده، وأشار إلى هذا القول: أيضاً القشيري وقال: إنما يقال هذا في الأوقات، ولا يقال للرجل أمامك إنه وراءك »، انظر الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٥).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٧).

(٥) أبو علي هو قطرب تقدمت ترجمته انظر ص١٠٢ .

(٦) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣٢).

(٧) البحر المحيط (٦/ ١٤٦-١٤٧)، وانظر النهر (٦/ ١٥٣).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ على قولين:

القول الأول:

أن وراء بمعنى: أمام، والمراد منه وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، كما في قوله -تعالى-: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [(١)]: أي: أمامهم، وكذلك قوله -تعالى-: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [(٢)]: أي: أمامهم، ويستدل أصحاب هذا القول بقراءة ابن عباس { : « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً » [(٣)] وأن العرب تستعمل وراء بمعنى أمام وقدام وأنها من الأضداد، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي والبغوي، والزمخشري، والفخر الرازي، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والشنقيطي) [(٤)].

القول الثاني:

أن يكون وراء على بابه، أي خلفهم، لأن وراء لا يكون أماماً إلا بالنسبة إلى شيئين فيكون أمام الشيء وراء لغيره، ووراء الشيء أماماً لغيره، فهذا الذي يعقل منه، وأما أن يكون وراء زيد بمعنى أمامه فكلا، قال ابن القيم ~ : « وأما ما استدلوا به فلا حجة فيه وأما قوله -تعالى-: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾[(٥)] فالمعنى: ما استدلوا به أنه خلاف جهنم بعد موته فهي من بعده، أي: بعد مفارقته الدنيا، فهي لما كانت بعد حياته كانت وراءه، لأن وراء

---

(١) سورة الجاثية: آية ١٠.

(٢) سورة الانسان: آية ٢٧.

(٣) سبق توثيقه انظر ص٦٤٥ هامش (٢).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٦)، معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٠٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٧)، بحر العلوم لابي الليث السمرقندي (٢/ ٣٥٨)، الوسيط الواحدي (٣/ ١٦١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٠٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٠٦)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٣٧)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٤٥)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٠٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٦٠).

(٥) سورة إبراهيم: آية ١٦.

كبعد، فكما لا يكون بعد قبل فلا يكون وراء أمام، وأنت لو قلت جهنم بعد موت الكافر لم يكن فيها معنى قبل بوجه، فوراء هاهنا زمان لا مكان، فتأمله -رحمك الله تعالى- فهي خلف زمان حياته، وبعده وهي: أمامه ومستقبلته فكونها خلفاً وأماماً باعتبارين، وإنما وقع الاشتباه لأن بعد به الزمان إنما يكون فيما يستقبل أمامك كقولك بعد غد وورائية؟ المكان فيما تخلف وراء ظهرك، فمن ورائه جهنم، ورائية؟ زمان لا مكان وهي إنما تكون في المستقبل الذي هو أمامك فلما كان معنى الأمام لازماً لها ظن من ظن أنها مشتركة ولا اشتراك فيها وكذلك قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾[1]، وكذلك: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾[2] وأما قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ فإن صحت قراءة (وكان أمامهم ملك) فلها معنى لا يناقض القراءة العامة وهو أن الملك كان خلف ظهورهم، وكان مرجعهم عليه فهو وراءهم في ذهابهم وأمامهم في مرجعهم، فالقراءتان بالاعتبارين، والله سبحانه وتعالى أعلم[3]، وقد اختاره: (ابن عطية، وابن القيم، والطاهر بن عاشور)[4].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى ﴿وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ أي: (أمامهم ملك) وذلك لما يلي:-

١. يعضد هذا المعنى قراءة ابن عباس { (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا)[5] ومع كونها قراءة شاذة ولكنها تفيد معنى تفسيرياً، قال أبو عبيد في فضائل القرآن: (والمقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها)[6].

---

(١) سورة إبراهيم: آية ١٧.

(٢) سورة المؤمنين: آية ١٠٠.

(٣) بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ١٢٦).

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٥)، بدائع التفسير (٣/ ١٢٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٢).

(٥) سبق توثيقه انظر ص ٦٤٥ هامش (٢) .

(٦) انظر الإتقان (١/ ٢٢٧).

٢. أن هذا القول هو (قول ابن عباس وابن جبير وقتادة) وعليه الأكثرون من المفسرين، وتفسير السلف وفهمهم للنصوص مقدم على قول غيرهم.

٣. لأن اللغة تجيز هذا المعنى: أن (وراء) يجوز بمعنى: (قدام وأمام)، وقد تقدم قول أبي حيان واستشهاداته الشعرية في هذا المعنى، قال الراغب: « و(وراء) أو قيل: وراء زيد كذا، فإنه يقال لمن خلفه، نحو قوله -تعالى-: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [1] ويقال لما كان قدامه نحو: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [2]، [3]، قال الماوردي: « واختلف أهل العربية في استعمال وراء موضع أمام على ثلاثة أقوال:

أحدها: يجوز استعماله بكل حال وفي كل مكان وهو من الأضداد، قال -تعالى-: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أي: من أمامهم وقدامهم جهنم، قال الشاعر:

أَيرجُو بَنُو مَرْوَانَ سمعي وَطَاعَتِي وَقوْمِي تَمِيمٌ والفَلَاةُ وَرَائِ يا[4]

الثاني: أن ورآء يجوز أن يستعمل في موضع أمام في المواقيت والأزمان، لأن الإنسان قد يجوزها فتصير وراءه ولا يجوز في غيرها.

الثالث: أنه يجوز في الأجسام التي لا وجه لها، كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر ولا يجوز في غيره » [5].

---

(١) سورة هود: آية ٧١.

(٢) سورة الكهف: آية ٧٩.

(٣) انظر مفردات الراغب ص(٨٦٦).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٦٤٦ .

(٥) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٣٢).

قال -تعالى- : ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝٨٠﴾[1] **وفيها ثلاث مسائل:**

[٧٥/١٥١] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله - تعالى - : ﴿فَخَشِينَآ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿فَخَشِينَآ﴾ يعود على الخضر ؛ حيث قال ~ : « والظاهر إسناد فعل الخشية في ﴿فَخَشِينَآ﴾ إلى ضمير الخضر وأصحابه الصالحين الذين أهمهم الأمر، وتكلموا، وقيل: هو في جهة الله وعنه عبر الخضر، وهو الذي قال به الزمخشري[2] ويجوز أن يكون قوله ﴿فَخَشِينَآ﴾ حكاية لقول الله -تعالى- بمعنى فكرهنا، كقوله -تعالى-:﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾[3] »[4].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله -تعالى-:﴿فَخَشِينَآ﴾ على قولين:

القول الأول:

أن القائل هو: الله ﷻ، والنون للعظمة، واستدل عليه بقراءة أبي (فخاف ربك)[5] وأيضاً لاتحاد مقام المخاطبة، وقال الآلوسي: « ولا يكاد يلائم هذا الاحتمال الآية بعد إلا أن يجعل التعبير بالظاهر فيها التفاتاً »[6]، واختاره: (الفراء، والطبري، والزمخشري)[7].

---

(١) سورة الكهف: آية ٨٠.

(٢) انظر الكشاف (٣/ ٦٠٧).

(٣) سورة مريم: آية ١٩.

(٤) انظر البحر المحيط (٦/ ١٤٦)، وانظر النهر (٦/ ١٥٣).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٣٣٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٦)، والدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٧٧)، وهي قراءة شاذة، انظر مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص(٨٥).

(٦) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣٤).

(٧) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٧)، جامع البيان للطبري (١٦/ ٧)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٠٧).

القول الثاني:

أن القائل هو: الخضر عليه السلام وهو قول أبي حاتم[١]،[٢]، لأن هذا هو الذي يوافق السياق ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الزجاج، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور)[٣].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن القائل هو الخضر عليه السلام وذلك لما يلي:-

١. لدلالة السياق على هذا المعنى، قال القرطبي: (هو من كلام الخضر عليه السلام، وهو الذي يشهد له سياق الكلام)، قال -تعالى-: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [٤] وأما ضمير الجماعة في قوله: ﴿فَخَشِينَآ﴾ وقوله: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ فهما عائدان إلى المتكلم الواحد بإظهار أنه مشارك لغيره في الفعل) [٥]، وقال الطاهر بن عاشور: « وهذا الاستعمال يكون من التواضع لا من التعاظم لأن المقام مقام الإعلام بأن الله أطلعه على ذلك، وأمره، فناسبه التواضع فقال: ﴿فَخَشِينَآ﴾ و﴿فَأَرَدْنَآ﴾ ولم يقل مثله عندما قال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ لأن سبب الإعابة إدراكه لمن له علم بحال تلك الأصقاع »، قال القاسمي: « وهذا من باب الأدب مع الله سبحانه وتعالى، بأن نسب الإعابة لنفسه، وأما الثانية ﴿فَخَشِينَآ﴾ ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ فالظاهر أنه من باب خواص الملك (أمرنا بكذا ودبرنا كذا) وإنما يعنون أمر الملك) ويدل على ذلك

---

(١) أبو حاتم هو سهل بن محمد السجستاني، أخذ عنه المبرِّد وابن دريد وقد تقدمت ترجمته انظر ص٢٠١

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٥).

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٢٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٦٠)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٠٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣٤)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٣).

(٤) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٣).

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٢٦).

قوله في الثالثة: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ فانظر كيف تغايرت هذه الأساليب، ولم تأت على نمط واحد مكرر، يمجها السمع ويَنْبُو عنها، ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المذكورة، فسبحان اللطيف الخبير »[1].

٢. لأن هذا القول هو قول أكثر المفسرين، وأما القول بأنه حكاية عن قول الله ﷻ فقد ضعفه غير واحد، قال الشوكاني بعد ذكر القول الثاني: « وهذا ضعيف جداً، فالكلام كلام الخضر »[2].

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٤٦).

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٦).

[٧٦/١٥٢] المسألة الثانية: معنى قوله - تعالى -: ﴿فَخَشِينَآ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله -تعالى-: ﴿فَخَشِينَآ﴾ أي خفنا؛ حيث قال ~: «﴿فَخَشِينَآ﴾ أي: خفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغياناً عليهما وكفراً لنعمتهما بعقوبة، وسوء صنيعه، ويلحق بهما شراً وبلاء، أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر، أو يعديهما بدائه، ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه، ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان وإنما يخشى الخضر منه ذلك لأن الله ﷻ أعلمه بحاله وأطلعه على سرائر أمره، وأمره بقتله كاخترامه[١] لمفسدة عرفها في حياته»[٢].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى الخشية المضافة في قوله -تعالى-: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَنًا وَكُفْرًا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن معنى ﴿فَخَشِينَآ﴾: فعلمنا، قال الفراء[٣]: والخوف والظن يذهب بهما مذهب العلم، واستدل أصحاب هذا القول بقراءة (فخاف ربك أن يرهقهما طغياناً وكفراً)[٤]، وقال الآلوسي: «هكذا فسره بعض شراح البخاري»[٥]، وقد اختاره: (الطبري، والبغوي، وابن عادل)[٦].

---

(١) اخترم فلان مات وذهب، اخترمهم الدهر وتخزمهم: استأصلهم، انظر اللسان (١٢/ ١٧).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٤٦)، وانظر النهر (٦/ ١٥٣).

(٣) انظر معاني القرآن لفراء (٢/ ١٥٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٧٨).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٣٣٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٦)، والدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٧٧) وهي قراءة شاذة، انظر مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص(٨٥).

(٥) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣٤).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢١١)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٥٤٦).

القول الثاني:

أن معنى ﴿فَخَشِينَآ﴾ أي: فعلنا فعل الخاشي وهو قول (ابن عقيل) [1].

القول الثالث:

أن معنى ﴿فَخَشِينَآ﴾ أي: خفنا، قاله: الأخفش [2]، والزجاج [3]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ بناءاً على ترجحه في المسألة السابقة أن القائل هو الخضر عليه السلام ولذلك قال: إنما خشى الخضر من الغلام الكفر)، وقد اختاره: (الزمخشري، والرازي، والقرطبي والنسفي، وأبو السعود، والآلوسي) [4].

القول الرابع:

أن معنى ﴿فَخَشِينَآ﴾ أي: أردنا، وهو قول النحاس [5]، وهذا بعيد.

القول الخامس:

أنها من باب الاستعارة على ظن المخلوقين والمخاطبين، فيكون معنى خشينا أي: كرهنا واستدل عليه بقراءة (فخاف ربك) أي: كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة فغيره، قال ابن عطية: «والأظهر عندي في توجيه هذا التأويل، وإن كان اللفظ يدافعه، أنها استعارة أي على ظن المخلوقين والمخاطبين، لو علموا حاله لوقعت منهم خشية الرهق للأبوين، وقرأ ابن مسعود (فخاف ربك) وهذا بين في الاستعارة، وهذا نظير ما يقع في القرآن في جهة الله -تعالى- من لعل وعسى، فإن جميع ما في هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشية، إنما هو بحانبكم أيها المخاطبون» [6].

---

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣٢).

(٢) انظر معاني القرآن للأخفش (٢/ ٦٢٠).

(٣) انظر معاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٥).

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٠٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٣٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٢٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٦٠)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٠٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣٤).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧).

(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٦).

◈ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى ﴿فَخَشِينَآ﴾ أي خفنا، وذلك لما يلي:-

● الخشية في اللغة هي: الخوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه[1]، قال ابن فارس: الخاء والشين والحرف المعتل يدل على خوف وذعر، ثم يحمل عليه المجاز، فالخشية: الخوف، والمجاز قولهم خشيت بمعنى: علمت، قال:

ولقد خَشيت بأَنّ مَن تَبِعَ الهُدى سكَنَ الجِنَانَ مع النبيِّ محمدِ

أي علمتُ[2]، فلا مانع من حمل الخشية على معنى الخوف والكراهة بها أن القائل هو الخضر عليه السلام كما رجحه أبو حيان ~ ، وأما قراءة (فخاف ربك) فهذه القراءة: من القراءات الشاذة وهي محمولة على معنى العلم، كما قال ابن جرير ~ : أي فعلمنا أن يرهقهما [3].



(١) انظر مفردات الراغب ص(٢٨٣)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (١/ ٥٠٥).

(٢) انظر مقاييس اللغة (٢/ ١٨٤).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧).

[٧٧/١٥٣] المسألة الثالثة: معنى قوله - تعالى -: ﴿يُرۡهِقَهُمَا﴾.

رجح أبو حيان أن معنى ﴿يُرۡهِقَهُمَا﴾: يجشمهما ويكلفهما بشدة؛ حيث قال ~ : «و﴿يُرۡهِقَهُمَا﴾ معناه: يجشمهما، ويكلفهما بشدة، والمعنى: يلقيهما حبه في إتباعه»[١].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى ﴿يُرۡهِقَهُمَا﴾ : على أقوال:

القول الأول:

أن يحملهما على الرهق، وهو الجهل[٢]، وقد اختاره: (الزجاج، والنحاس، والواحدي، والرازي، وابن كثير)[٣].

القول الثاني:

أن معنى ﴿يُرۡهِقَهُمَا﴾: يغشيهما، قاله أبو عبيدة[٤]، وقد اختاره: (الطبري، والبغوي، والشوكاني، والآلوسي)[٥].

القول الثالث:

أن معنى ﴿يُرۡهِقَهُمَا﴾: أي: يحثهما ويجشمهما يكلفهما بشدة، وهو قول الكلبي[٦]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (ابن عطية، والقرطبي)[٧].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٤٦).

(٢) لسان العرب (١٠/ ١٢٨)، تاج العروس ص(٦٣٤٨) مادة رهق.

(٣) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٢٠٥)، معاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٣٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٤).

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣٣)، فتح الباري (٨/ ٢٧٤).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢١٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣٣).

(٦) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢١٠).

(٧) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٣٥٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٢٦).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن جميع هذه الأقوال متقاربة وذلك لأن جميع هذه المعاني جاءت في اللغة.

قال ابن فارس: الراء والهاء والقاف أصلان متقاربان: فأحدهما: غشيان الشيء الشيء، والآخر العجلة والتأخير[1]، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين: الرهق: جهلٌ في الإنسان وخفةٌ في عقله، يقال به رهق ولم أسمع منه فعلاً، ورجل مرهق موصوف بالرهق، ورهق فلانٌ فلاناً إذا تَبع فقرب أن يلحقه، ورهق أيضاً غشي قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾[2]، والرهق: غشيان الشيء تقول رهقه ما يكره أي غشيه ذلك، والرهق: الكذب، والرهق: العظمة، والرهق: الظلم، والرهق: العيب، وأرهقتهم أمراً صعباً إذا حملتهم عليه وقوله الله ﷻ: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧﴾[3] يقال جبل في النار يكلف الله الكفار صعوده، والمراهق: الغلام قارب الحلم، ورجل مرهق أيضاً أي ينزل به الضيفان يأتونه، وقد أرهق الليل وأرهقنا الصلاة أي: استأخرنا عنها »[4]، واختلاف أقوال المفسرين هنا من باب التنوع لا من باب التضاد.



(١) انظر مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٥١)، مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص(٣٦٧).

(٢) سورة يونس: آية ٢٦.

(٣) سورة المدثر: آية ١٧.

(٤) انظر كتاب للخليل بن أحمد الفراهيدي (٣/ ٣٦٦-٣٦٧) باختصار يسير.

قال -تعالى- : ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾(١) وفيها مسألتان:

[٧٨/١٥٤] المسألة الأولى: معنى (الزكاة) في الآية.

رجح أبو حيان ~ أن معنى الزكاة هنا: الطهارة والنقاء من الذنوب، حيث قال ~ : « والزكاة هنا: الطهارة والنقاء من الذنوب وما ينطوي عليه من شرف الخلق والسكينة » (٢).

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالزكاة، في قوله -تعالى-: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بالزكاة: الدين والصلاح، أي: خيراً ديناً وصلاحاً، وهو قول: ابن عباس(٣) والفراء(٤)، واختاره: (السمرقندي، والماوردي، والواحدي، والبغوي، والقرطبي، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي، والعثيمين) (٥).

القول الثاني:

أن المراد بالزكاة: العمل، أي: خيراً عملاً، وهو قول: مقاتل(٦).

---

(١) سورة الكهف: آية ٨١.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٤٧)، وانظر النهر (٦/ ١٥٣).

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣٣).

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٥٧)، انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٠).

(٥) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٣٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٦١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢١٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٢٦)، اللباب لأبن عادل الحنبلي (١٢/ ٥٤٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣٤)، تفسير سورة الكهف لابن العثيمين ص(١٢٢).

(٦) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣٣).

القول الثالث:

أن المراد بالزكاة: الطهارة والنقاء من الذنوب، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وهو قول: (الزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، وأبو السعود) [(١)].

القول الرابع:

أن المراد بالزكاة: الإسلام، أي: خيراً إسلاماً، وهو قول ابن جريج[(٢)].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن معنى (زكاة) في قوله -تعالى-: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ أي ديناً وصلاحاً (وعبر عنه ابن جريج بالإسلام) وجميع أقوال المفسرين ترجع إلى هذا المعنى حيث أن بعض المفسرين قال إن معنى ﴿زَكَوٰةً﴾ هو من الزكاء وهو الطهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة، وذكر ابن عطية عبارة جامعه حيث قال: (الزكاة: شرف الخُلق، والوقار والسكينة المنطوية على خير ونية)[(٣)]، وجميع هذه الأقوال ترجع إلى الدين أو الإسلام لأنه أجمع هذه الأقوال، ولأنها ترجع إليه كلها، قال الآلوسي: (معناه ديناً، وهو تفسير باللازم)[(٤)].



(١) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٠٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٦)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٣٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٦٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٠٨).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٣٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٧٨).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٧).

(٤) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣٤).

[٧٩/١٥٥] المسألة الثانية: معنى قوله - تعالى -: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [(١)].

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله -تعالى- ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾: أي: رحمة لوالديه، حيث قال ~ : « والظاهر أن قوله: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: رحمة والديه، وقال ابن جريج: يرحمانه[(٢)]، وقال رؤبة بن العجاج[(٣)]:

يَا مُنْزِلَ الرَّحمِ عَلَى إِدْرِيسَاً ... وَمُنْزِلَ اللَّعْنِ عَلَى إِبْلِيسَا[(٤)]

وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر في رواية ويعقوب، وأبو حاتم (رُحما) [(٥)] بضم الحاء وقرأ ابن عباس (رَحِما) [(٦)] بفتح الراء وكسر الحاء، وقيل: (الرحم) من الرحم والقرابة: أي أوصل للرحم » [(٧)].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى- ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن معنى قوله -تعالى-: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: أقرب رحمه بوالديه، وأبر بهما من المقتول وهو قول قتادة[(٨)]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الواحدي، وابن

---

(١) سورة الكهف: آية ٨١.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٩).

(٣) رؤبة بن العجاج: تقدمت ترجمته انظر ص٥٥١ .

(٤) انظر لسان العرب (١٢/ ٢٣٠)، تاج العروس (٧٧٢٦).

(٥) انظر الحجة في القراءات السبع (١/ ٢٢٩)، حجة القراءات (١/ ٤٢٧)، السبعة في القراءات (١/ ٣٩٧).

(٦) انظر مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص(٨٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣٣).

(٧) البحر المحيط (٦/ ١٤٧)، وانظر النهر (٦/ ١٥٣).

(٨) انظر جامع البيان (١٦/ ٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٣٥)، معالم التنزيل (٣/ ٢١٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٣/ ١٣٣).

عطية، والفخر الرازي، وأبو السعود والآلوسي)[١].

القول الثاني:

أن معنى قوله -تعالى-: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: أقرب أن يرحمه أبواه منهما للمقتول وهو قول (ابن جريج)[٢]، واختاره (ابن كثير)[٣].

القول الثالث:

هو من الرحم والقرابة قال ابن عادل: « وهو لائق هنا من أجل القرابة بالولادة ويزيده قراءة ابن عباس (رَحِما) بفتح الراء وكسر الحاء »[٤]، واختاره: (السمرقندي، وابن عادل، وابن العثيمين)[٥].

◈ **الترجيح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ~ أن معنى (رحما) أي من الرحمة والبر بأبويه؛ حيث أن هذا المعنى عليه اكثر المفسرين[٦]، قال الطبري: « والرُّحْم مصدر رحمت، يقال رحمته رَحْمة ورُحماً، وكان بعض البصريين يقول: من الرَّحِم والقرابة، وقد يقال: رُحْم ورُحُم مثل عَشْر وعُشُر، وهُلْك وهُلُك، واستشهد لقوله ذلك ببيت العجاج:

ولَمْ يُعَوَّجْ رُحْمُ مَنْ تَعَوَّجا[٧]

---

(١) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٦١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٦)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٣٧)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٠٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣٤).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٤).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٤).

(٤) انظر اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٥٤٧).

(٥) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٨)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٤٧)، تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص(١٢٢).

(٦) انظر دراسة المسألة ص٦٦١ .

(٧) البيت من مشطور الرجز، وهو للعجاج، انظر ديوانه ص١٠، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٤١٣).

ولا وجه للرَّحم في هذا الموضع، لأن المقتول كان الذي أبدل الله منه والديه ولداً لأبوي المقتول، فقرابتهما من والديه، وقربهما منه في الرَّحِم سواء، وإنما معنى ذلك: وأقرب من المقتول أن يرحم والديه فيبرهما كما قال قتادة، وقد يتوجه الكلام إلى أن يكون معناه: وأقرب أن يرحماه غير أنه لا قائل من أهل تأويل تأوله كذلك، فإذا لم يكن فيه قائل فالصواب فيه ما قلنا لما بيَّنا » [1].

وقال الآلوسي: « واستظهر ذلك أبو حيان، ولعل وجهه كثرة استعماله المصدر مبنياً للفاعل مع ما في ذلك هنا من موافقة المصدر قبله » [2]، وفي اللسان: (رحم: الرحم بالضم: الرحمة، وفي التنزيل: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ وقرئت رحماً (بضمتين) وقال أبو إسحاق: أي: أقرب عطفاً وأمس بالقرابة، والرحم (بضم الراء المشددة فيهما، مع سكون الحاء أو ضمها) في اللغة العطف والرحمة) [3].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٩).

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣٤).

(٣) انظر لسان العرب (١٢/ ٤٣٠).

قال -تعالى-: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [1] **وفيها مسألة واحدة:**

[٨٠/١٥٦] المسألة: المراد بالكنز.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالكنز، هو: مال مدفون جسيم من ذهب أوفضة، حيث قال ~ : «والظاهر في الكنز: أنه مال مدفون جسيم ذهب أوفضة قال عكرمة[2] وقتادة[3]، وقال ابن عباس[4] وابن جبير[5]: كان علماً في صحف مدفونة، وقيل: لوح من ذهب في كلمات حكمة وذِكْر[6]، وقد ذكرها المفسرون في كتبهم ولا نطول بذكرها»[7].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالكنز في الآية على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بالكنز: مال مدفون، سواء كان ذهباً أوفضة، وهو قول: الحسن[8]، وعكرمة، وقتادة، قال الزجاج: « والمعروف في اللغة أن الكنز إذا أفرد فمعناه: المال المدفون،

---

(١) سورة الكهف: آية ٨٢.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣٤).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٦١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٧)، زاد المسير (٥/ ١٣٤).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٦٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢١٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣٤).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢١٠).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠).

(٧) البحر المحيط (٦/ ١٤٧)، وانظر النهر (٦/ ١٥٣).

(٨) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣٤).

والمدخر، فإن لم يكن المال قيل: عنده كنز علم، وله كنز فَهم، والكنز ههنا بالمال أشبه، لأن العلم لا يكاد يتعلم إلا بمعلم، والمال لا يحتاج أن ينتفع فيه بغيره »، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (ابن جرير الطبري، والواحدي، والزمخشري، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن كثير، وابن السعود، والشوكاني، والآلوسي، وابن عثيمين) [(١)].

القول الثاني:

أن المراد بالكنز لوحاً من ذهب، وقال ابن الأنباري: فسمي كنزاً من جهة الذهب، وجعل اسمه هو المغلّب[(٢)]، قال النحاس: ويحتمل أن يكون لوح من ذهب، مكتوب فيه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فهذا يجمع بين المال والعلم[(٣)]، ورده القونوي وقال: (إن اطلاق الكنز على كتب العلم ليس بمتعارف، لا سيما في اصطلاح الشرع والفقهاء) [(٤)]، واختار هذا القول (النسفي) [(٥)].

القول الثالث:

أن المراد بالكنز علماً، وهو قول: ابن عباس[(٦)] وسعيد بن جبير[(٦)]، قال ابن الأنباري: فيكون المعنى على القول: كان تحته مثل الكنز، لأنه يتعجل من نفعه أفضل مما ينال من الأموال .

---

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١١)، الوسيط الواحدي (٣/ ١٦٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٠٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٣٨)، الجامع للقرطبي (١١/ ٢٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٤)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٠٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣٥) تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص(١٢٢).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣٤).

(٣) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٨١).

(٤) حاشية القونوي (١٢/ ١٥٠).

(٥) انظر مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٦١).

(٦) سبق توثيقه انظر ص٦٦٤ هامش (٤).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو قول أبي حيان ومن وافقه من المفسرين بأن المراد بالكنز المال المدفون من (ذهب وفضة) وذلك لما يلي:-

١. لظاهر اللفظ، قال الطبري: (لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال، وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز، فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل، مالم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك) [١].

٢. قال الرازي: وهو الصحيح لوجهين: الأول أن المفهوم من لفظ الكنز هو المال، والثاني: أن قوله و﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾: يدل على أن ذلك الكنز هو المال[٢].

٣. قال ابن كثير: (هو ظاهر السياق من الآية، وهو اختيار ابن جرير ~) [٣].

٤. لا تنافي أن يكون كنزاً من مال (لوح من ذهب)، قد كتب عليه علم لورود القول بذلك عن السلف، وإن كان الأصل أن الكنز المال المدفون المدخر.

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١).

(٢) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ١٣٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٤).

قال -تعالى-: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [1] وفيها ثلاث مسائل:

[٨١/١٥٧] المسألة الأولى: المراد بالسائلين في قوله ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾.

رجح أبو حيان ~ بأن الضمير في قوله -تعالى-: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ يعود على قريش؛ حيث قال ~ : « الضمير في ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ عائد على قريش، أو على اليهود والمشهور: أن السائلين قريش، حيث دستها اليهود على سؤاله عن الروح والرجل الطواف، وفتية ذهبوا في الدهر ليقع امتحانه بذلك » [2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالسائلين في قوله -تعالى-: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بالسائلين هم: اليهود، وقد اختار ذلك من المفسرين: (الزجاج، والواحدي والزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والقاسمي) [3].

القول الثاني:

أن المراد بالسائلين: قريش، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري

(١) سورة الكهف: آية ٨٣.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٤٩)، وانظر النهر (٦/ ١٥٧).

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٠٨)، الوسيط الواحدي (٣/ ١٦٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦١٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٣٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٦١)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٥٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٧٩)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٦١).

وابن كثير، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والمراغي) [١].

❖ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن السائلين هم قريش وذلك:

● لما ورد عن ابن عباس أن المشركين بمكة سألوا النبي ﷺ ثلاثة أسئلة بإغراء من أحبار اليهود في يثرب، فقالوا: سلوه عن أهل الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح، فإن أجاب عنها كلها، فليس بنبي، وإن أجاب عن بعضها وأمسك عن بعض فهو نبي.[٢] قال الطاهر بن عاشور: « فالسائلون: قريش لا محالة، والمسئول عنه: خبر رجل من عظماء العالم عرف بلقب ذي القرنين، كانت أخبار سيرته خفية مجملة مغلقة، فسألوا النبي ﷺ عن تحقيقها وتفصيلها... وكان اليهود منفردين بمعرفة إجمالية عن هذه المسائل الثلاث وكانت من أسرارهم فلذلك جربوا بها نبوة محمد ﷺ »[٣].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٧)، تفسير المراغي (٦/ ١٣).

(٢) تخريج الحديث: مسند الإمام أحمد حديث رقم (٢٣٠٩)، قال الشيخ أحمد شاكر: (إسناده صحيح).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٧).

[٨٢/١٥٨] المسألة الثانية: من هو ذو القرنين؟

رجح أبو حيان ~ أن ذا القرنين هو الاسكندر اليوناني؛ حيث قال ~ : « وذو القرنين هو الاسكندر اليوناني ذكره ابن إسحاق[(١)]، وقال وهب[(٢)]: هو رومي[(٣)]، وقال..... أبو الريحان البيروني[(٤)] المنجم صاحب كتاب " الآثار الباقية عن القرون الخالية " هو: أبو كرب بن سمعي بن عمير بن إفريقيس الحميري، بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها وهو الذي افتخر به أحد الشعراء من حمير[(٥)] حيث قال:

قَدْ كَانَ ذُو القَرْنَين قَبْلي مُسْلِماً   مَلِكاً عَلَا فِي الأَرْضِ غَيْر مُبَعَّد

بَلَغَ المَشَارِقَ وَالمَغَارِبَ يَبْتَغِي   أَسْبَابَ مُلْكٍ مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدِ

وقال أبو الريحان: ويشبه أن يكون هذا القول أقرب، لأن الأذواء كانوا من اليمن، وهم الذين لا تخلو أسماؤهم من ذي، كذى المنار، وذي نواس، انتهى.

---

(١) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٨).

(٢) وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني، أبو عبدالله الأبناوي، صاحب كتب: أخباري علامة قاص، من أوساط التابعين توفي سنة ١١٤هـ، انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٥٤٣)، الكاشف (٢/ ٣٥٨).

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣٥).

(٤) محمد بن أحمد - أبو الريحان البيروني - بفتح الموحدة وسكون الباء وضم الراء - الخوارزمي -، وقال ياقوت: بيرون معناه بالفارسية برّا: أي برّا البلد، وقال غيره: بيرون من بلاد الهند، عاصر ابن سينا، كان مكباً على تحصيل العلوم ولا يكاد يفارق القلم يده ولا عينه النظر في الكتب وقلبه الفكر، الأيومي النوروز والمهرجان - أقام بغزنة حتى مات بها سنة ٤٤٠هـ، انظر الوافي في الوفيات (١/ ١٠٧٠)، هداية العارفين (١/ ٤٨٠).

(٥) قبائل حمير: من قبائل العرب، وهم حمير من سبأ بكسر الحاء واسمه: الفرنجج، وقد ذكر الكلبي أنه كان لحمير عشرة أولاد من عقبه، وكان غالب وجل قبائل حمير من ابنيه الهميسع ومالك ملوك اليمن، وكانت بلادهم مشارف اليمن فظفار وما حولها، انظر البداية والنهاية (٢/ ١٥٦)، تاريخ الطبري (١/ ٤٢٩)، تاريخ ابن خلدون (٢/ ٥٧)، صبح الأعشى (١/ ٣٦٧).

والشعر الذي انشده نسب أيضاً إلى تبع الحميري[1]، وهو:

قَد كَانَ ذُو الْقَرنَيْنِ جَـدِّي مُسْلِـماً[2]

.... وقيل: مرزبان بن مرزبه اليوناني[3] من ولد يونان بن يافث....، قال بعض المفسرين والدليل على أنه الإسكندر: أن القرآن دل على أن الرجل المسمى بذي القرنين بلغ ملكه إلى أقصى المغرب وإلى أقصى الشمال، وهذا الذي بلغه ملك هذا الرجل هو نهاية المعمور من الأرض، ومثل هذا الملك البسيط لا شك أنه على خلاف العادات، وما كان كذلك وجب أن يبقى ذكره مخلداً على وجه الدهر، وأن لا يكون مختفياً والملك الذي اسمه في كتب التواريخ أنه بلغ ملكه إلى هذا الحد ليس إلا الإسكندر، وذلك أنه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن كان مع الطوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم، وأمعن حتى انتهى إلى البحر الأخضر، ثم عاد إلى مصر وبنى الإسكندرية وسماها باسم نفسه، ثم دخل الشام وقصد بني إسرائيل وورد بيت المقدس، وذبح مذبحة ثم عطف إلى أرمينية ودان له العراقيون والقبط والبربر، ثم نحا نحو دارا ابن وهزمه مرات إلى أن قتله صاحب حربه؟، واستولى الإسكندر على ممالك الفرس، وقصد الهند والصين، وغزا الأمم البعيدة، ورجع إلى خرسان، وبنى المدن الكثيرة، ورجع إلى العراق، ومرض مرضاً بشهرزور ومات بها، وورد في الأحاديث[4] أن الذين ملكوا الأرض أربعه: مؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين، وثبت في علم التاريخ أن الذي هذا شأنه ما كان إلا الإسكندر فوجب القطع بأن المراد: بذي القرنين هو الإسكندر بن فيلفوس اليوناني »[5].

---

(١) تبع الحميري: أسمه اسعد تبان أبو كرب بن ملكي كرب بن قيس بن زيد بن عمرو ذي الأنمار بن أبرهة ذي المنار بن الرايش بن قيس بن صيفي بن سبأ، ويقال هو أول من كسا البيت و(تبع) لقب للملك الأكبر بلغة أهل اليمن ككسرى بالفارسية وقيصر بالرومية، انظر تاريخ دمشق (١١/ ٣).

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٥٠)، تاريخ دمشق (١٧/ ٣٣٢).

(٣) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢١٢)، الجامع للقرطبي (١١/ ٣١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٨٠).

(٤) الصحيح أنه قول عن مجاهد كما في تاريخ الطبري (٣/ ٢٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ٤١٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٥)، تفسير مجاهد (١/ ٣٨٠)، مصنف بن أبي شيبة (٦/ ٣٤٦)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور إلى السدي (٣/ ٣٠٤).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٤٩-١٥٠) باختصار يسير، وانظر النهر (٦/ ١٥٧).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بذي القرنين، على أقوال:

القول الأول:

أن المراد به الاسكندر بن فيلبوس اليوناني، والدليل على ذلك أنه لما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين كان رجلاً ملك الأرض بالكلية، أو ما يقرب منها، وثبت بعلم التواريخ أن الذي هذا شأنه ما كان إلا الاسكندر، فوجب القطع بأن المراد بذي القرنين هو: الاسكندر بن فيلبوس اليوناني، قال الفخر الرازي: « والقول الأول أظهر لأجل الدليل الذي ذكرناه وهو أن مثل هذا الملك العظيم هو الذي يجب أن يكون معلوم الحال عند أهل الدنيا، والذي هو معلوم الحال بهذا الملك العظيم هو: الاسكندر، فوجب القطع بأن المراد بذي القرنين هو، إلا أن فيه: إشكالاً قوياً وهو أنه كان تلميذ ارسطاليس الحكيم، وكان على مذهبه، فتعظيم الله إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطاليس حق وصدق، وذلك مما لا سبيل إليه، والله أعلم »[١] ولذا رجح بعض المفسرين[٢] بأنه اسكندر آخر كان في زمن الخليل عليه السلام طاف معه البيت لما بناه، وقال الآلوسي: « وبعد الاطلاع على الأقوال وما لها وما عليها نختار أنه الاسكندر بن فيلبوس يقال له اليوناني كما يقال الرومي، وأنه كان مؤمناً بالله -تعالى- لم يرتكب مكفراً من عقد، أو قول، أو فعل، وكونه تلمذته على أرسطو لا تمنع من ذلك»[٣].

وقد رجح أبو حيان ~ أنه الإسكندر اليوناني، وقد اختاره من المفسرين: (السمرقندي، والزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، والآلوسي، والقاسمي، والمراغي)[٤].

---

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٤٠).

(٢) مثل الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠٦)، وابن عادل في اللباب (١٢/ ٥٥٥)، وأبي السعود في إرشاد العقل السليم (٤/ ٢١٣)، والشوكاني في فتح القدير (٣/ ٣٨٠).

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٤٧).

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٥٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٠٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٤٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٦١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٥٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٥٤)، تفسير المراغي (٦/ ١٠).

القول الثاني:

أن المراد بذي القرنين هو أبو كرب سمي بن عمير بن أفريقيس الحميري فإنه بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها وهو الذي افتخر به شعراء حمير وهذا ما رجحه أبو الريحان البيروني وقال: يشبه أن يكون هذا القول هو الأقرب لأن الأذواء كانوا من اليمن وهم الذين لا تخلوا اساميهم من ذي كذا، وذي كذا[1]، واستبعده الآلوسي وقال: (أن أخبار ملوك اليمن مضطربه لا يكاد يوقف على روايتين متفرقتين فيها)[2].

القول الثالث:

أن المراد به: أنه كان عبداً صالحاً، ملكه الله الأرض، وأعطاه العلم، والحكمة، وألبسه الهيبة، وإن كنا لا نعرف من هو، وهذا ما رجحه بعض المحققين من المفسرين: (كالطاهر بن عاشور، والسعدي، وابن عثيمين)[3].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أنه كان عبداً صالحاً لا يعرف من هو وذلك لما يلي:-

● لأنه لم يرد في ذلك خبر صحيح من قرآن أو سنة، لأن القرآن لم يتجاوز في ذكر هذا الرجل بأكثر من لقبه المشتهر به إلى يقين اسمه وبلاده، وقومه، لأن ذلك شؤون أهل التاريخ والقصص وليس من أغراض القرآن، فكان منه الاقتصار على ما يفيد الأمة من هذه القصة عبرة حكمية أو خلقية فلذلك قال: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾.

● قال الطاهر بن عاشور: « ونحن تجاه هذا الاختلاف حق علينا أن نستخلص من قصته في هذه الآية أحوال تقرب تعيينه وتزييف ما عداه من الأقوال، وليس يجب علينا الاقتصار على تعيينه من بين أصحاب هذه الأقوال بل الأمر في ذلك أوسع، وهذه القصة

---

(١) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ١٤٠)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٥٤).

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٥٠).

(٣) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٨)، تفسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٥٢)، تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص(١٢٥).

القرآنية تعطي صفات لا محيد عنها:

١. أنه كان ملكاً صالحاً عادلاً.

٢. أنه كان ملهماً من الله.

٣. أن ملكه شمل أقطاراً شاسعة.

٤. أنه بلغ في فتوحه من جهة المغرب مكاناً مجهولاً وهو عين حمئة.

٥. أنه بلغ بلاد يأجوج ومأجوج، وأنها كانت من جهة مما شمله ملكه غير الجهتين الشرقية والغربية فكانت وسطاً بينهما كما يقتضيه استقراء مبلغ أسبابه.

٦. أنه أقام سداً يحول بين يأجوج ومأجوج وبين قوم آخرين.

٧. أن يأجوج ومأجوج هؤلاء كانوا عائثين في الأرض فساداً وأنهم كانوا يفسدون بلاد قوم موالين لهذا الملك.

٨. أنه كان معه قوم أهل صناعة متقنة في الحديد والبناء.

٩. أن خبره خفي دقيق لا يعلمه إلا الأحبار علماً إجمالياً كما دل عليه سبب النزول.

و أنت إذا تدبرت جميع هذه الأحوال نفيت أن يكون ذو القرنين الاسكندر المقدوني، لأنه لم يكن ملكاً صالحاً بل كان وثنياً، فلم يكن أهلاً لتلقي الوحي من الله، وإن كانت له كمالات على الجملة، وأيضاً فلا في تاريخه أنه أقام سداً بين بلدين » [1].

• ثم إن السؤال ليس عن ذات ذي القرنين، بل عن شأنه لذا قال -تعالى-: ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ والهاء لذي القرنين ومن تبعضيه، والمراد من أنبائه وقصصه[2].

---

(١) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٨-٢٠) باختصار.

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٥١).

قال -تعالى-: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾﴾ (١) وفيها مسألتان:

[٨٣/١٥٩] المسألة الأولى: المراد بالتمكين؟

رجح أبو حيان ~ أن معنى التمكين لذي القرنين كونه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها؛ حيث قال ~ : « والتمكين الذي له في الأرض كونه: ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها..، وقيل: تمكنه في الأرض بالنبوة، وإجراء المعجزات، وقيل: تمكينه بأن سخر له السحاب، وحمله عليها، وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء، وقيل: بكثرة أعوانه وجنوده، والهيبة والوقار، وقذف الرعب في أعدائه، وتسهيل السير عليه، وتعريفه فجاج الأرض واستيلائه على برها وبحرها » (٢).

◈ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بالتمكين الذي أوتيه ذا القرنين، على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بالتمكين هنا: الاقدار وتمهيد الأسباب، يقال: مكنه ومكن له كنصحته ونصحت له، وشكرته وشكرت له، وفرق بينهما بأن معنى الأول: جعله قادراً، ومعنى الثاني: جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر(٣)، والمعنى: إنا جعلنا له مكنه وقدره على التصرف في الأرض من حيث التدبير والرأي وكثرة الجنود والهيبة والوقار، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، وأبو الليث السمرقندي، والماوردي، وابن عطية، وابن كثير، وأبو السعود والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والسعدي، والمراغي، وابن عثيمين)(٤).

---

(١) سورة الكهف: آية ٨٤.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٥٠-١٥١)، باختصار يسير، وانظر النهر (٦/ ١٥٧).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٥١).

(٤) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٦٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٣٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٨)، تفسير القرآن ⇐=

القول الثاني:

أن تمكينه في الأرض، من حيث أنه: سخر له السحاب ومد له في الأسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء، قال الآلوسي: (ولا أرى صحة الأثر في ذلك)[1]، وقد اختار هذا القول: (الواحدي، والبغوي، والقرطبي)[2].

القول الثالث:

أن تمكينه: بالنبوة وإجراء المعجزات، قال الفخر الرازي: (والتمكين بسبب النبوة أعلى من التمكين بسبب الملك، وحمل كلام الله -تعالى- على الوجه الأكمل الأفضل، أولى)[3] ولكن هذا القول يعارضه الخبر بأن علياً رضي الله عنه سئل عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟ فقال: « لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله -تعالى- فأحبه، ونصح الله -تعالى- فنصحه »[4]، وما جاء عن ابن زيد رضي الله عنه أنه قال: ذو القرنين بلغ السدين، وكان نذيراً ولم أسمع بحق أنه كان نبياً »[5]، وقد اختار القول بنبوته: (الرازي، وابن عادل)[6].

= العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٦)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢١٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٨١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٢٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٦/ ٥٤)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٥١)، تفسير المراغي (٦/ ١٣)، تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص(١٢٦).

(١) روح المعاني (٨/ ٣٥٢).

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٦٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢١٢)، الجامع للقرطبي (١١/ ٣٣).

(٣) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٤١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٣٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٨٤).

(٥) انظر الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٨٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٥٢).

(٦) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي(٢١/ ١٤١)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٥٥٦).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن المراد بالتمكين هو: كونه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها وجعلنا له ملكه وقدرة على التصرف في الأرض من حيث التدبير: والرأي، وكثرة الجنود، والهيبة، والوقار، قال الطاهر بن عاشور: « والتمكين: جعل الشيء متمكناً، أي: راسخاً، وهو تمثيل لقوة التصرف بحيث لا يزعزع قوته أحد، وحق فعل (مكنّا) التعدية بنفسه، فيقال: مكناه في الأرض كقوله - تعالى-: ﴿مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ [1] فاللازم في قوله -تعالى-: ﴿مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ للتوكيد كاللام في قوله: شكرت له، ونصحت له، والجمع بينهما متقن، وعلى ذلك جاء قوله -تعالى-: ﴿مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ فمعنى التمكين في الأرض: إعطاء القدرة على التصرف، والمراد بالأرض: أهل الأرض والمراد بالأرض، أرض معيينة وهي أرض ملكه » [2].

---

(١) سورة الأنعام: آية ٨٣.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٢٤).

[١٦٠/٨٤] المسألة الثانية: معنى سبباً.

رجح أبو حيان ~ أن معنى السبب هو ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة؛حيث قال ~ : «﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [(١)] أي: يحتاج إليه في الوصول إلى أغراضه، سبباً) أي: طريقاً موصلاً إليه، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم، أو قدرة، أو آله، فأراد بلوغ المغرب ، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ وأراد بلوغ السدين ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ وأصل السبب: الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به إلى المقصود وقال الحسن: بلاغاً إلى حيث أراد [(٢)] » [(٣)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى (السبب) على أقوال:

القول الأول:

أن معنى (سبباً) أي: علماً يتسبب به إلى ما يريد، وهو قول: ابن عباس [(٤)]، وقتادة [(٤)]، وقد اختاره: (الزجاج، والسمرقندي، وابن الجوزي) [(٥)].

القول الثاني:

أن معنى (سبباً) أي: العلم بالطرق والمسالك، لأن السبب هو الطريق، فعن ابن زيد ﷺ في قوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ قال: «هذه لأن الطريق كما قال فرعون لهامان ﴿ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [(٦)] طريق السموات، قال: والشيء يكون

---

(١) سورة الكهف: آية ٨٤.

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢١٢)، الجامع للقرطبي (١١/ ٣٣).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٥١)، وانظر النهر (٦/ ١٥٧).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٢/ ١٤)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٢٨)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٩٦).

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٠٨)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٦٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣٦).

(٦) سورة غافر: آية ٣٦ ٣٧.

اسمه واحداً وهو متفرق في المعنى وقرأ (وتقطعت بهم الأسباب) قال: أسباب الأعمال»[1]، واختاره: (ابن عطية، والنسفي) [2].

القول الثالث:

أن معنى سبباً أي: بلاغاً حيث أراد، وهو قول: الحسن.

القول الرابع:

أن معنى السبب: هو الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به إلى المقصود (من علم أو قدرة أو أدلة)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الواحدي، والبغوي، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والسعدي، والعثيمين)[3].

القول الخامس:

أن المراد بالسبب هو: تعليم الألسنة، فكان لا يغزو قوم إلا كلمهم بلسانهم[4]، كما ورد أن معاوية من أبي سفيان قال لكعب الأحبار: أنت تقول إن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟ فقال له كعب: إن كنت قلت ذلك فإن الله قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[5] قال الحافظ بن كثير: « وهذا الرأي أنكره معاوية ﷺ على كعب الأحبار هو: الصواب، والحق

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٨٣)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٣٩٦).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٦٢).

(٣) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٦٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢١٢)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦١٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٤١)، الجامع للقرطبي (١١/ ٣٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٧)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٥٥٦)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢١٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٨١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٥٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٢٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٥٤)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٥١)، تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص(١٢٦).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٦).

(٥) تخريج الأثر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٠٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٨١).

مع معاوية في ذلك الإنكار، فإن معاوية كان يقول عن كعب: إن كنا لنبلو عليه الكذب، يعني: فيما ينقله لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس في صحفه، ولكن الشأن في صحفه أنها: من الإسرائيليات التي غالبها مبدل مصحف محرف مختلق، ولا حاجة لنا مع خبر الله -تعالى- ورسول الله ﷺ إلى شيء عنها بالكلية، فإنه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض، وتأويل كعب قول الله -تعالى-: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ واستشهاده في ذلك على ما يجده في صحفه من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح، ولا مطابق فإنه لا سبيل للبشر إلى شيء من ذلك ولا إلى الترقي في أسباب السموات، وقد قال الله في حق بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: مما يؤتى من الملوك، وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب، أي: الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والبلاد والأراضي وكسر الأعداء وكبت ملوك الأرض وإذلال أهل الشرك قد أوتيّ من كل شيء مما يحتاج إليه مثله سبباً والله أعلم»[(١)].

◈ **<u>الترجيح</u>:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن المراد (بالسبب) هو ما يتوصل به إلى المقصود:

١. قال الراغب: (السبب: الحبل الذي يصعد به النخل وجمعه أسباب، قال -تعالى-: ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ [(٢)]، وسمي كل ما يتوصل به إلى شيء سبباً قال -تعالى-: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [(٣)]، ومعناه: أن الله آتاه من كل شيء معرفة، وذريعة يتوصل بها، فأتبع واحداً من تلك الأسباب، وعلى ذلك قوله -تعالى-: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [(٤)] أي: لعلي أعرف الذرائع والأسباب

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٧).

(٢) سورة ص: آية ١٠.

(٣) سورة الكهف: آية ٨٤ - ٨٥.

(٤) سورة غافر: آية ٣٦ - ٣٧.

الحادثة في السماء، فأتوصل بها إلى معرفة ما يدعيه موسى)[١].

٢. قال السعدي: « وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، بها صار له جند عظيم، ذو عَدَد وعُدَد ونظام، وبها تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها وأنحائها »[٢].

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني مادة (سبب) ص٣٩١.

(٢) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ١٥٢).

[٨٥/١٦١] المسألة الثالثة: معنى اتخاذ الحسن.

رجح أبو حيان ~ أن معنى اتخاذ الحسن في قوله -تعالى-: ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾ [(١)] أي: بالحمل على الإيمان وإتباع الهدى؛ حيث قال ~: « وقوله ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ بالقتل على الكفر ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾ أي: بالحمل على الإيمان والهدى، [والمعنى][(٢)]: إما أن تكفر فتعذب، وإما أن تؤمن فتحسن، فعبر في التخيير المسبب من السبب، قال الطبري: اتخاذ الحسن هو أسرهم مع كفرهم[(٣)]، يعني أنه خُيّر مع كفرهم بين قتلهم وبين أسرهم، وتفصيل ذي القرنين ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ و﴿وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ﴾ يدفع هذا القول، ولما خيره -تعالى- بين تعذيبهم ودعائهم إلى الإسلام اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم، فقال: أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم -وهو الكفر هنا بلا خلاف- فذلك هو المعذب في الدارين، وأما من آمن وعمل ما يقتضيه الإيمان فله جزاءً الحسنى » [(٤)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى (الحسن) في قوله -تعالى-: ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾ على قولين: **القول الأول:**

أن معنى اتخاذ الحسن هو: الحمل على الإيمان وإتباع الهدى فكأنه خيّر إما أن تكفر هذه الأنفس فتعذب، وإما أن تؤمن فتحسن، فعبر في التخيير بالمسبب عن السبب وهذا ما رجحه أبو حيان ~، وقد اختاره: (السمرقندي، والبغوي، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، وابن عادل الحنبلي، وأبو السعود والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والسعدي، والمراغي)[(٥)].

---

(١) سورة الكهف: آية ٨٦.

(٢) سقط من المطبوع.

(٣) جامع البيان للطبري (١٦/ ١٨).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٥٢)، وانظر النهر (٦/ ١٥٧).

(٥) انظر بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٦٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢١٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٣٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٤٣)، مدارك التنزيل للنسفي =

القول الثاني:

أن المراد باتخاذ الحسن هو: الأسر، فيكون خيّير بين القتل والأسر، والمعنى إما أن تعذب بالقتل وإما أن تحسن إليهم بإبقاء الروح والأسر، وقد رد أبو حيان ~ هذا المعنى بأن التخيير يدفع هذا القول، وقد سبقه ابن عطية في هذا الرأي قائلاً: « ولكن تقسيم ذي القرنين بعد هذا الأمر إلى كفر وإيمان، يريد هذا القول بعض الرد، فتأمله »[1]، وقد اختار هذا القول: (الطبري، والواحدي، وابن الجوزي، وابن كثير، والطاهر بن عاشور)[2].

القول الثالث:

أن المراد باتخاذ الحسن هو ضرب الجزية، قاله: ابن عطية[3].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح والله تعالى أعلم هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن المراد بالحسن هو الحمل على الإيمان وإتباع الهدى وذلك:

١. لدلالة السياق على هذا المعنى فإن تقسيم ذي القرنين بعد هذا الأمر إلى كفر وإيمان يدفع القول بأن معنى اتخاذ الحسن هو الأسر، ولأن الله لما خيره بين تعذيبهم ودعائهم إلى الإسلام اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم، كما ذكر ذلك أبو حيان ~ .

٢. قال الشوكاني: « أي إما أن تعذيبهم بالقتل من أوّل الأمر وإما أن تتخذ فيهم أمراً ذا حسن أو أمر حسناً مبالغة يجعل المصدر صفة للأمر، والمراد دعوتهم إلى الحق وتعليمهم الشرائع »[4].

= ص(٦٦٢)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٥٨)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢١٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٨٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٥٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٥٤)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٥٢)، تفسير المراغي (٦/ ١٣).

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٤٠).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٦٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٣٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٢٧).

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٤٠).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٨٢)، وانظر الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢١٤).

قال -تعالى-: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩١﴾[1] وفيها مسألة واحدة:

[٨٦/١٦٢] المسألة: المراد بكذلك في الآية.

رجح أبو حيان ~ أن قوله -تعالى-: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعود على البلوغ، أي: كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها؛ حيث قال ~ : « كذلك الإشارة إلى البلوغ: أي كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها، وقيل: أتبع سبباً كما أتبع سبباً، وقيل: كما وجد أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم كذلك وجد هؤلاء عند مطلع الشمس وحكم فيهم، وقيل: كذلك أمرهم كما قصصنا عليكم، وقيل: تطلع، طلوعها مثل غروبها وقيل: لم نجعل لهم من دونها ستراً ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل أولئك الذين وجدهم في مغرب الشمس كفرة مثلهم، وحكمهم مثل حكمهم في التعذيب لمن بقي على الكفر والإحسان لمن آمن، وقال الزمخشري: «﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أمر ذي القرنين كذلك، أي كما وصفناه تعظيماً لأمر »[2]، وقال ابن عطية: «﴿كَذَٰلِكَ﴾ معناه: فعل معهم كفعله مع الأولين أهل المغرب وأخبر بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ ثم أخبر -تعالى-عن إحاطته بجميع ما لدى ذي القرنين وما نصرف فيه من أفعاله، ويحتمل أن يكون ذلك استئناف قول ولا يكون راجعاً على الطائفة الأولى فتأمله»[3]، والأول أصوب، وإذا كان مستأنفاً لا تعلق له بما قبله فيحتاج إلى تقدير يتم به كلاماً»[4].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في قوله -تعالى-: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعود على ماذا؟ على أقوال منها:

القول الأول:

أن معناه: كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ،

---

(١) سورة الكهف: آية ٩١.

(٢) الكشاف للزمخشري (٣/ ٦١٣).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٤١).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٥٣).

وقد اختاره: (السمرقندي، والمراغي)[١].

القول الثاني:

أن معناه: أتبع سبباً كما أتبع سبباً، واختاره: (الطبري، والفخر الرازي، وابن عادل، والشوكاني)[٢].

القول الثالث:

أن معناه: كما وجد أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم، كذلك وجد هؤلاء عند مطلعها وحكم فيهم، واختاره: (الزجاج، والنحاس، والواحدي، والبغوي، وابن عطية)[٣].

القول الرابع:

أن معنى ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أمرهم كما قصصنا عليك، ثم استأنف، فقال ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾، واختاره: (الزمخشري، والنسفي، وأبو السعود، والآلوسي)[٤].

القول الخامس:

أن المشبة به تضمنه الكلام السابق بلفظه أو معناه، وهذا ما رجحه الطاهر بن عاشور[٥] والقاسمي[٦].

---

(١) انظر بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٦١)، تفسير المراغي (٦/ ١٤).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٢٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٤٣)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٥٦٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٨٣١).

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٠٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٩٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٦٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢١٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٤١).

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٦١٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٦٣)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢١٥)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٥٨).

(٥) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٢٩).

(٦) انظر محاسن التأويل (٥/ ٥٥).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن المشبه به تضمنه الكلام السابق بلفظه أو معناه فالقرآن حمال ذو وجوه، قال الطاهر بن عاشور: « الكاف للتشبيه، والمشبه به شيء تضمنه الكلام السابق بلفظه أو معناه والكاف ومجرورها يجوز أن يكون شبه جملة وقع صفه لمصدر محذوف يدل عليه السياق، أي تشبيهاً مماثلاً لما سمعت، واسم الإشارة يشير إلى المحذوف لأنه كالمذكور لتقرير العلم به، والمعنى: من أراد تشبيهه لم يشبهه بأكثر من أن يشبه بذاته على طريقة ما تقدم في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [(١)]، ويجوز أن يكون جزء جملة حذف أحد جزأ بها المحذوف مبتدأ، والتقدير: أمر ذي القرنين كذلك أي كما سمعت.

ويجوز أن يكون صفة لـ (قوماً) أي: قوماً كذلك القوم الذين وجدهم في مغرب الشمس، أي في كونهم كفاراً، ويجوز أن يكون المجرور جزء جملة أيضاً جلبت للانتقال من كلام إلى كلام فيكون فصل خطاب كما يقال:

هذا الأمر كذا...

وعلى الوجوه كلها فهو اعتراض بين جملة ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾ [(٢)] الخ، وجملة ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ [(٣)] » [(٤)] الخ.



(١) سورة البقرة: آية ١٤٣.

(٢) سورة الكهف: آية ٨٩-٩٠.

(٣) سورة الكهف: آية ٩٢-٩٣.

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٢٩).

قال -تعالى-: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ (١) وفيها مسألة واحدة:

[٨٧/١٦٣] المسألة: صفة وعدد يأجوج ومأجوج.

رجح أبو حيان ~ أن ما أورده المفسرون وحشوا به الكتب من عدد يأجوج ومأجوج وصفاتهم، فإنه لم يصح من ذلك من شيء؛ حيث قال ~ : « ويأجوج ومأجوج من ولد آدم قبيلتان، وقد اختلف في عددهم وصفاتهم، ولم يصح في ذلك من شيء » (٢).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في تفاصيل قصة يأجوج ومأجوج من ذكر عددهم وصفاتهم وكيفية خلقهم على قولين:

القول الأول:

أورد بعض المفسرين الكثير من القصص والآثار العجيبة والغريبة في صفات يأجوج ومأجوج، وأخبارهم، حتى أن بعض المفسرين قال: إنهم من الجان(٣)، وبعضهم قال إنهم ليسوا على أشكال الآدميين، وأن بعضهم في غاية ما يكونوا من القصر، وبعضهم في غاية ما يكونوا من الطول، وأن بعضهم له أذن يفترشها، وأذن يلتحف بها وما أشبه ذلك من خرافات بني إسرائيل، والتي لم يرد بها نص من كتاب ولا سنة صحيحة في ذكر هذه الصفات والأخبار عنهم، وممن أورد ذلك وأطال من المفسرين: (الطبري، وابن أبي حاتم، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، والقرطبي، وابن عادل، والسيوطي، وأبو السعود)(٤).

---

(١) سورة الكهف: آية ٩٤.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٥٤)، وانظر النهر (٦/ ١٦١).

(٣) وقد رد أبو حيان هذا القول واستبعده؛ حيث وقال: وأبعد من ذهب إلى أنهم جان، انظر البحر المحيط (٦/ ١٥٤).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٢١-٢٨)، تفسير القرآن العظيم لابن حاتم (٧/ ٢٣٨٧-٢٣٨٨)، ⇐ =

القول الثاني:

أعرض كثير من المفسرين كما نقله بعض المفسرين من الأخبار والقصص عن عدد يأجوج ومأجوج وصفاتهم، وكيفية خلقهم، ونبهوا على أن هذا من الدخيل الذي ينبغي أن لا يرد في كتب التفاسير، وإنما كل ذلك من الأحاديث الموضوعة، وقصص بني إسرائيل التي لا يجوز أن نصدقها، قال ابن كثير ~ عند قضية خلق يأجوج ومأجوج من آدم ولكن ليسوا من حواء: «فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء، وهذا قول غريب جداً لا دليل عليه، لا من عقل، ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد ههنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة والله أعلم »، وقال: « وقد ذكر ابن جرير عن وهب بن منبه أثراً طويلاً عجيباً في سير ذي القرنين وبنائه للسد، وكيفية ما جرى له، وفيه طول وغرابة ونكارة في أشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وآذانهم، وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيدها، والله أعلم»[1]، وهذا القول هو ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد رجحه من المفسرين: (ابن عطية، وابن كثير، والآلوسي، والقاسمي، والشنقيطي، والعثيمين)[2].

= الوسيط الواحدي (٣/ ١٦٥-١٦٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢١٤-٢١٥)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦١٤)، الجامع للقرطبي (١١/ ٣٨-٤٠)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٥٦٤-٥٦٩)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٠٠-٤٠٣)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢١٦).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٩).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٤٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٩)، روح المعاني لآلوسي (٨/ ٣٦٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٩/ ٦٤)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٣٢)، تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص(١٣٢).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من انه لم يصح شيء في عدد وصفات يأجوج ومأجوج وذلك لما يلي:-

قال القاسمي: « توسع لمن لم يشترط الصحة ولا الحسن في مصنفاته من الرواة، في تخريج ما روي عن يأجوج ومأجوج، وكله إما من الاسرائليات أو المنكرات أو الموضوعات... فجزى الله البخاري أحسن الجزاء على نبذه الروايات تلك، واشتراطه الصحة في المرويات، فقد جنت الاثار المنكرة على الأمة أنكر الآثار، ومن طالع مقدمة صحيح مسلم صدق قوله: { أن راوي الضعاف غاش آثم مضل } وبالله المستعان »[1].

---

(١) انظر محاسن التأويل (٥/ ٦٤).

قال -تعالى-: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)﴾[(١)]

وفيها مسألة واحدة:

[٨٨/١٦٤] المسألة: معنى جعل في قوله تعالى: ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى جعله: صيره، رداً على ابن عطية الذي قال: معنى جعل أي: خلق؛ حيث قال أبو حيان ~ : « والظاهر: أن جعله بمعنى صيره، فدكا مفعول ثان، وقال ابن عطية: (ويحتمل أن يكون (جعل) بمعنى خلق وينصب دكاً على حال)[(٢)]، انتهى، وهذا بعيد جداً، لأن السد إذ ذاك موجود مخلوق، ولا يخلق المخلوق لكنه ينتقل من بعض هيئاته إلى هيئة أخرى »[(٣)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى ﴿جَعَلَهُ﴾ في الآية: على أقوال:

القول الأول:

أن جعل بمعنى: صيّر، ونصب دكاً على أنه مفعول ثاني لجعل، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ مستبعداً رأي ابن عطية، وقد اختاره: (السمين الحلبي، وابن عادل، والآلوسي)[(٤)].

القول الثاني:

أن جعل بمعنى خلق، ونصب دكاً على أنه حال، وهذا قول ابن عطية، وقد رده

---

(١) سورة الكهف: آية ٩٨.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٤٤).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٥٦)، وانظر النهر (٦/ ١٦٢).

(٤) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٥٥١)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٦٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٦٣).

الآلوسي قائلاً: (وزعم ابن عطية أنها بمعنى: خلق، وليس بشيء)[1]، وقد اختار هذا القول (القرطبي)[2].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من أن جعل بمعنى (صيّر)، وذلك لما يلي:

لأن السد موجود مخلوق إذ ذاك كما قال أبو حيان ~ ، والمخلوق لا يخلق مرة أخرى بل ينتقل من بعض هيئاته إلى هيئة آخرى، قال السمين الحلبي: « الظاهر: أن جعل هنا بمعنى التصيير فتكون (دكاء) مفعولاً ثانياً، وجوّز ابن عطية أن يكون حالاً، و(جعل) بمعنى خلق، وفيه بُعدٌ، لأنه - أي السد - إذ ذاك موجودٌ »[3].

---

(١) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٦٣).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٤٣).

(٣) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٥٥٠).

قال -تعالى-: ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[١٦٥/٨٩] المسألة: المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المشار إليهم في قوله -تعالى-: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ هم الخلق، وذلك يوم القيامة؛ حيث قال ~ : « والأظهر: أن الضمير في (بعضهم) عائد على يأجوج ومأجوج، والجملة المحذوفة بعد إذ المعوض منها التنوين مقدرة بإذ جاء الوعد، وهو خروجهم وانتشارهم في الأرض، أو مقدرة بإذ حجر السد بينهم وبين القوم الذين كانوا يفسدون عندهم وهم متعجبون من السد، ماج بعضهم في بعض وقيل الضمير في: بعضهم يعود على الخلق، أي: يوم إذ جاء وعد الله وهو يوم القيامة، ويقويه قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ فيظهر أن ذلك: هو يوم القيامة، وكذلك ما جاء بعده من الجمع وعرض جهنم »[2]، وقال في النهر: « والأظهر أن الضمير في (بعضهم) يعود على الخلق، أي: يوم إذ جاء وعد الله، وهو يوم القيامة، ويقويه قوله -تعالى-: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ ويظهر أن ذلك هو يوم القيامة، وذلك ما جاء بعده من الجمع وعرض جهنم »[3].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المشار إليهم في قوله -تعالى-: ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن المشار إليهم هم: يأجوج ومأجوج، ثم في المراد بـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ قولان:

أحدهما: أنه يوم انقضى أمر السد، تركوا يموج بعضهم في بعض من ورائه مختلطين لكثرتهم وقيل: ماجو متعجبين من السد.

---

(١) سورة الكهف: آية ٩٩.

(٢) البحر المحيط (٦/١٥٦).

(٣) النهر (٦/١٦٢).

الثاني: أنه يوم يخرجون من السد تركوا يموج بعضهم في بعض، وقد اختاره من المفسرين: (السمرقندي، والواحدي، والفخر الرازي والقرطبي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والطاهر بن عاشور) [(١)].

القول الثاني:

أنهم جميع الخلائق: الجن والإنس يموجون حيارى، فعلى هذا القول، يكون المراد باليوم المذكور يوم القيامة، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ في النهر بعد أن اختار غيره في البحر، وقد اختار هذا القول: (الطبري، والزجاج، والزمخشري، وابن عطية، والآلوسي) [(٢)].

◈ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن المشار إليهم في قوله -تعالى-: ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ هم يأجوج ومأجوج وذلك لما يلي:-

● أن هذه الآية وقوله -تعالى-: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [(٣)] قد دلتا في الجملة على أن السد الذي بناه ذو القرنين دون يأجوج ومأجوج إنما يجعله الله دكاً عند مجيء الوقت الموعود بذلك فيه، وقد دلتا على أنه بقرب يوم القيامة، لأنه قال - سبحانه -: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝٩٨ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۝٩٩﴾ ، قال الشنقيطي: « وأظهر الأقوال في

---

(١) انظر بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٦٣)، الوسيط الواحدي (٣/ ١٦٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٤٧)، الجامع للقرطبي (١١/ ٤٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١١١)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢١٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٨٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٤٠).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٣٦)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣١٣)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦١٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٤٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٦٤).

(٣) سورة الأنبياء: آية ٩٦-٩٧.

الجملة المقدرة التي عوض عنها تنوين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بعد قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أنه يوم: إذا جاء وعد ربي بخروجهم وانتشارهم في الأرض، ولا ينبغي العدول عن هذا القول لموافقته لظاهر سياق القرآن العظيم »[1].

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٣٠).

قال -تعالى-: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ١٠٢﴾ [1] وفيها مسألتان:

[٩٠/١٦٦] المسألة الأولى: المراد بالعباد في الآية.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالعباد هم: من عُبِدَ من الملائكة، وعزيراً والمسيح، وذلك لإضافتهم إليه، إضافة تشريف؛ حيث قال أبو حيان ~ : «﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ هم: مَنْ عُبِدَ من الملائكة، وعزيراً، والمسيح، واتخذوهم أولياء من دون الله وهم بعض العرب واليهود والنصارى، وقيل: العِباد هنا: الشياطين، رُوى عن ابن عباس[2]، وقال مقاتل: الأصنام[3]، لأنها خَلْقُه، وملكه، والأظهر تفسير العبد بما قلناه لإضافتهم إليه، والأكثر أن تكون الإضافة في مثل هذا اللفظ إضافة تشريف» [4].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالعباد هنا، على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بالعباد هم: الشياطين، وهو قول ابن عباس، واستبعده الآلوسي قائلاً: (وفيه بعد، ولعل الرواية لا تصح)[5].

القول الثاني:

أن المراد بالعباد هم: الأصنام، وهو قول: مقاتل.

---

(١) سورة الكهف: آية ١٠٢.

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٦٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٠).

(٣) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٦٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٠).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٢٥٧)، وانظر النهر (٦/ ١٦٢).

(٥) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٦٦).

القول الثالث:

أن المراد بالعباد هم: الملائكة، قال الزمخشري: (يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء، كما حكى عنهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ﴾ [(١)]) [(٢)].

القول الرابع:

أن المراد بالعباد هم: الملائكة، والمسيح، وعزير، ونحوهم، من المقربين كما تشعر به الإضافة، فإن الأكثر أن تكون الإضافة في مثل هذا اللفظ لتشريف المضاف، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، والنسفي، وابن عادل، وأبو السعود والشنقيطي) [(٣)].

القول الخامس:

أن المراد بالعباد هم: الملائكة والجن والشياطين ومن عبدوهم من الأخيار كعيسى عليه السلام، ويصدق على الأصنام بطريق التغليب، قال القونوي أن قوله: (الملائكة والمسيح معبودين) تفسير لعبادي بطريق التمثيل: فيتناول العباد عزيزاً أيضاً بل الأصنام أيضاً وفيه إشارة إلى أن عموم الكفرة مراد، لا قريش فقط » [(٤)]، وقد اختاره: (الشهاب الخفاجي، القونوي، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والعثيمين) [(٥)].

---

(١) سورة سبأ: آية ٤١.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٦١٧).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٣٩)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٦٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٦٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٤٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٤٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٦٥)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٧٠)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٢٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٣٤).

(٤) حاشية القونوي على البيضاوي (١٢/ ١٧٣).

(٥) انظر حاشية الشهاب (٦/ ٢٣٧)، حاشية القونوي (١٢/ ١٧٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٩٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٦٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٤٤)، تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص(١٤١).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- أن المراد بالعباد هو كل ما عبد من دون الله وذلك لما يلي:-

١. أن الإضافة هنا للتغليب وليست للتشريف، قال الآلوسي: « وجوز بعض المحققين أن يراد ما يعم المذكورين: الملائكة والمسيح، وعزير، والأصنام وسائر المعبودات الباطلة من الكواكب وغيرها تغليباً، ولعل المقام يقتضي أن لا تكون الإضافة فيه للتشريف، أي: أفظنوا أن يتخذوا عبادي الذين هم تحت ملكي وسلطاني من دوني أولياء » (١).

٢. أن لفظ العبد يشمل كل عبد لله -تعالى-، قال الشيخ ابن العثيمين: « قوله -تعالى-: ﴿أَفَحَسِبَ﴾ أي: أفظن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ (٢) من هم عباده

الجواب: كل شيء فهو عبد لله، قال تعالى ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ (٣) ومن الذي أُتخِذَ ولياً من دون الله؟ أي: عُبد من دون الله؟

الجواب: عُبَدت الملائكة، عُبَدت الرسل، وعُبِدَت الشمس، وعُبِدَت القمر، وعُبدتَ الأشجار، وعُبدتَ الأحجار، وعُبدَت البقر، نسأل الله العافية » (٤).

---

(١) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٦٦).

(٢) سورة الكهف: آية ١٠٢.

(٣) سورة مريم: آية ٩٣.

(٤) انظر تفسير سورة الكهف ص(١٤١).

[١٦٧/٩١] المسألة الثانية: معنى النُزل في قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾[1].

رجح أبو حيان ~ أن النُزل يحتمل تفسيرين، فهو موضع النزول وأيضاً ما يقدم للضيف، ويهيأ له وللقادم من الطعام، حيث قال ~ : « والنزل موضع النزول، والنزول أيضاً ما يقدم للضيف، ويهيأ له والقادم من الطعام، والنزل هنا يحتمل التفسيرين، وكونه موضع النزول، قاله الزجاج[2] هنا، وما هيئ من الطعام للنزيل، قول القتبي[3] فإن كان ما تقدم للضيف وللقادم فيكون كقوله -تعالى-: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4]، وكقول الشاعر:

تحيةٌ بينهم ضَربٌ مَرجيعُ[5] »[6]

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى (النزل) في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن معنى النزل ما يُهيَّأ للضيف والعسكر، قاله ابن قتيبة، واختاره: (النحاس، والنسفي والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي) [7].

---

(١) سورة الكهف: آية ١٠٢.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣١٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٦٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٤٥).

(٣) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٦٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٤٥).

(٤) سورة التوبة: ٣٤.

(٥) عجز البيت لعمرو بن معدي كرب في ديوانه ص(١٤٩)، وصدره (وخيل قد دلفت لها بخيل).

(٦) البحر المحيط (٦/ ١٥٧) وانظر النهر (٦/ ١٦٣).

(٧) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٩٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٦٥)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٦٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٤٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٦٦).

القول الثاني:

أن معنى النزل: المنزل، قاله: الزجاج، واختاره: (الطبري، والسمرقندي) [١].

القول الثالث:

أن النزل جمع نازل، كجمع الشارف على شرف بضمنين، قال الشنقيطي: وهذا أضعف الأوجه[٢].

القول الرابع:

أن النزل يحتمل التفسيرين فهو موضع النزول، وأيضاً ما يقدم للضيف ويهيأ له وللقادم من الطعام، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الواحدي، والبغوي، وابن عطية، والفخر الرازي، وأبو السعود، والشوكاني، والشنقيطي، والعثيمين)[٣].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى (النزل) هو: موضع النزول، وما يهيأ للضيف من الطعام وذلك لما يلي:

● لأن كلا المعنين وارد في معنى كلمه (النُزُل) في اللغة، قال الفيروز آبادي: (والنزل بضمتين: المنزل، وما هيئ للضيف أن ينزل عليه) [٤]، قال الشنقيطي: « وفي قوله ﴿نُزُلًا﴾ أوجه من التفسير للعلماء، أظهرها: أن [النزل] هو ما يقدم للضيف عند نزوله، والقادم عند قدومه، والمعنى: أن الذي يُهيأ لهم من الاكرام عند قدومهم إلى ربهم هو جهنم المعدة

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٤١)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٦٤).

(٢) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٣٥).

(٣) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٦٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٤٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٤٨)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٢٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٩٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٣٤)، تفسير سورة الكهف لابن عثيمين ص(١٤١).

(٤) انظر القاموس المحيط (٩٥٧)، مادة (ن ز ل).

لهم، كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[(١)] وقوله: ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾[(٢)]، لأن ذلك الماء الذي يشوي الوجوه ليس فيه إغاثة، كما أن جهنم ليست نزل اكرام الضيف أو القادم، والوجه الثاني: « أن نزلاً بمعنى المنزل، أي أعتدنا جهنم للكافرين منزلاً، أي مكان نزول، لا منزل لهم غيرها »[(٣)]، قال الشيخ ابن عثيمين: « ومعنى النزل ما يقدمه صاحب البيت للضيف، ويحتمل أن يكون بمعنى المنْزل، وكلاهما صحيح، فهم نازلون فيها، وهم يعطونها كأنها ضيافة وبئست الضيافة »[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران: آية ٢١.

(٢) سورة الكهف: آية ٢٩.

(٣) أنظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٣٤).

(٤) انظر تفسير سورة الكهف ص(١٤١).

قال -تعالى-: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [1]، وفيها مسألة واحدة:

[٩٢/١٦٨] المسألة: المراد بالأخسرين أعمالاً.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالأخسرين أعمالاً هم كل من دان بدين غير الإسلام، أو راءى بعمله، أو أقام على بدعة تؤول به إلى الكفر، وإن ما ورد من أقوال عن المفسرين في المراد بالأخسرين أعمالاً إنما هي على سبيل التمثيل لا على الحصر؛ حيث قال ~ : «والأخسرون أعمالاً عن علي هم: الرهبان[2] كقوله ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾[3] وعن مجاهد: هم أهل الكتاب[4]، وقيل: هم الصابئون، وسأل ابن الكواء[5] علياً عنهم، فقال: منهم أهل حروراء[6]، وينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر، إذ الأخسرون أعمالا هم: كل من دان بدين غير الإسلام، أو راءى بعمله، أو أقام على بدعة تؤول به إلى الكفر» [7].

---

(١) سورة الكهف: آية ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٤٠)، تفسير القرآن العظيم لابن حاتم (٧/ ٢٣٩٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٤٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٤٥).

(٣) سورة الغاشية: آية ٣.

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٦١٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٤٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٢١).

(٥) عبدالله بن الكواء اليشكري، من رؤوس الخوارج، قال البخاري: لم يصح حديثه، وقال الذهبي: وله أخبار كثيرة مع علي ﷺ وكان يلزمه ويعييه في الأسئلة، وقد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي ﷺ، انظر لسان الميزان (٣/ ٣٢٩).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٤١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٩٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٤٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٠٩)، وحوراء: اختلفوا في ضبطها وفي معجم البلدان بفتحتين موضع على بُعد ميلين من الكوفة، نزل بها الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب، فسموا حرورية انظر تاريخ دمشق (٦٢/ ٢١٧)

(٧) البحر المحيط (٦/ ١٥٧)، وانظر النهر (٦/ ١٦٦).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالأخسرين أعمالا على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بالأخسرين هم: القسيسون، والرهبان، وهو: قول علي[١]،والضحاك[٢].

القول الثاني:

أن المراد بهم: اليهود والنصارى، وهو قول سعد بن أبي وقاص[٣]، [٤] ومجاهد، واختاره: (الواحدي، والنسفي) [٥].

القول الثالث:

أن المراد بهم: أهل حروراء من الخوارج، وقد أخرج البخاري عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، ولفظُه: قال: سألت أبي ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾﴾ أهم الحرورية؟ قال: لا، هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمد ﷺ، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وكان سعدٌ يسميهم الفاسقين [٦].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٤٠)، تفسير القرآن العظيم لابن حاتم (٧/ ٢٣٩٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٤٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٤٥).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٤١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٤٥).

(٣) سعد بن مالك بن أهيب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب القرشي، ابن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين بالجنة، الإصابة (٣/ ٧٣).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٤١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٩٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٤٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٤٦).

(٥) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٧٠)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٦٥.

(٦) انظر صحيح البخاري كتاب التفسير، باب تفسير سورة الكهف (٤/ ١٧٥٨).

القول الرابع:

أن المراد بهم: أهل الأهواء[1].

القول الخامس:

أنهم: المنافقون بأعمالهم المخالفون باعتقادهم.

القول السادس:

أن المراد بالأخسرين أعمالاً هم: مشركو عبدة الأوثان، وهو قول ابن عباس[2]، قال ابن عطية بعد أن ذكر الأقوال السابقة عن سعد بن أبي وقاص، وعلي رضي الله عنه: « وهذا إن صح عنه، فهو على جهة مثال فيمن ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن ويُضعف هذا كله قوله -تعالى- بعد ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ﴾ وليس من هذه الطوائف من يكفر بلقاء الله، وإنما هذه مشركو عبدة الأوثان، فاتجه بهذا ما قلناه أولاً، وعلي وسعد { ذكرا أقواماً أخذوا بحظهم من صدر الآية » [3] قال الشهاب الخفاجي: « واستشكل بأن قوله بعده ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ﴾ يأباه لأنهم لا ينكرون البعث، وهم غير كفرة، وأجيب: بأن من اتصاليه، فلا يلزم أن يكونوا متصلين بهم من كل الوجوه بل يكفي كونهم على الضلال، مع أنه يجوز أن يكون معتقداً لكفرهم والأحسن أنه تعريض بهم على سبيل التغليظ لا تفسير للآية » [4] وقد اختار هذا القول: (ابن عطية، وأبو السعود، والطاهر بن عاشور والشنقيطي) [5].

---

(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٤٧).

(٢) انظر الجامع للقرطبي (١١/ ٤٤)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٢١).

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٤٥).

(٤) حاشية الشهاب على البيضاوي (٦/ ٢٣٩).

(٥) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٥٤٥)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٢١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٤٦)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٣٥).

القول السابع:

أن المراد بهم كل من دان بدين غير الإسلام، أو راءى بعمله، أو أقام على بدعة تؤول به إلى الكفر، وأن جميع أقوال المفسرين هي على سبيل التمثيل لا على الحصر، وهذا الرأي الذي رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه أعم من القول بأنهم الكفرة، بحيث يدخل فيه أهل البدع الكفرية، والمرائين، وغيرهم ممن يظن أنه محسن وقد حبط سعيه، وقد اختاره: (الطبري، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن كثير، وابن عادل الحنبلي، والشوكاني، والآلوسي) [1].

◈ الترجيـــح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين من المراد بالأخسرين أعمالاً هم: كل من دان بدين غير دين الإسلام، أو راءى بعمله، أو أقام على بدعة تؤول به إلى الكفر، وأن جميع أقوال المفسرين على سبيل التمثيل لا على الحصر وذلك:-

لأن الذي يوجب إحباط العمل إما فساد الاعتقاد أو المراءاة، وإن ذُكر هنا الكفر ولكنه ليس على سبيل الحصر كما قال أبو حيان ~ ، قال الشوكاني: « والأولى حمل الآية على العموم لكل من اتصف بتلك الصفات المذكورة[2] »، وقال ابن كثير: « ومعنى هذا عن علي رضي الله عنه أن هذه الآية: تشمل الحرورية، كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص، ولا هؤلاء بل هي أعمّ من هذا، فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية، وإنما هي عامة في كل من عبدالله على طريقة غيرمرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول وهو مخطئ وعمله مردود كما

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٤٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٤٨)، الجامع للقرطبي (١١/ ٤٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١١٣)، اللباب لابن عادل (١٢/ ٥٧٢)، فتح الغدير للشوكاني (٣/ ٣٩١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٦٨).

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٩١).

قال -تعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾[1]، وقال -تعالى-: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[2] وقال -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[3] »[4].

(١) سورة الغاشية: آية ٢-٥.

(٢) سورة الفرقان: آية ٢٣.

(٣) سورة النور: آية ٣٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١١٣-١١٤).

ترجيحات أبي حيان الأندلسي
في
سورة مريم

قال -تعالى-: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ (١)، وفيها مسألة واحدة:

[١/١٦٩] المسألة: سبب إخفاء زكريا عليه السلام لدعائه.

رجح أبو حيان ~ أن سبب إخفاء زكريا عليه السلام لدعائه؛ لأن الإخفاء أفضل، ولأنه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد عن الرياء، وأدب من آداب الدعاء كما جاء بذلك الكتاب والسنة؛ حيث قال ~ : « ووصف نداء خفي لئلا يخالطه رياء، قاله: ابن جريج(٢)، وقال: مقاتل: لئلا يعاب بطلب الولد في الكبر(٣)، وقال قتادة: لأن السر والعلانية عنده تعالى سواء(٤)، وقيل: أسره عن مواليه الذين خافهم، وقيل: لأنه أمر دنيوي فأخفاه، لأنه إن أجيب فذاك بغيته، وإلا فلا يعرف ذلك أحد، وقيل: لأنه كان في جوف الليل، وقيل: لإخلاصه فيه، فلا يعلمه إلا الله، وقيل: لضعف صوته بسبب كبره، كما قيل: الشيخ صوته خِفَات وسمعه تَارات، وقيل: لأن الإخفاء سنة الأنبياء، والجهر به يعد من الاعتداء، وفي التنزيل: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (٥)، وفي الحديث: «إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً»(٦)،(٧).

---

(١) سورة مريم: آية ٣.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٥٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٥٣)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٢٢).

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٥٣).

(٤) انظر جامع بيان للطبري (١٦/ ٥٥)، تفسير القرآن العظيم لابن حاتم (٧/ ٢٣٩٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٢٢).

(٥) سورة الأعراف: آية ٥٥.

(٦) تخريج الحديث: أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبه (٥/ ٢٣٤٦)، وباب قول لا حول ولا قوة إلا بالله (٥/ ٢٣٥٤)، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (٦/ ٢٦٩٠)، وأخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب خفض الصوت بالذكر، من حديث أبي موسى الأشعري.

(٧) البحر المحيط (٦/ ١٦٣)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٧٠).

◈ **الدراسة والموازنة:**

النداء في الأصل: رفع الصوت وظهوره، وقد يقال لمجرد الصوت، بل لكل ما يدل على شيء وإن لم يكن صوتاً على ما حققه الراغب(١).

والمراد هنا: إذ دعا ربه ﴿نِدَآءً﴾، أي: دعاءً ﴿خَفِيًّا﴾ مستوراً عن الناس لم يسمعه أحد منهم؛ حيث لم يكونوا حاضريه، ولكن اختلف المفسرون في سبب إخفاء زكريا عليه السلام لدعائه على أقوال:

القول الأول:

أن سبب إخفائه لدعائه عليه السلام أن الإخفاء أفضل من الإظهار، لأنه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد عن الرياء، وهو قول ابن جريج. وهذا ما رجحه أبو حيان ~ في [البحر] ونص عليه في [النهر] وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والواحدي والزمخشري، وابن الجوزي، والفخر الرازي، وابن عادل، وأبو السعود، والآلوسي والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والشنقيطي، والسعدي) (٢).

القول الثاني:

أن سبب إخفائه لدعائه عليه السلام هو: أمر دنيوي، فإن أجاب الله دعائه فيه نال ماكان يريد، وإن لم يجبه لم يعلم بذلك أحد، وهذا الأمر الدنيوي هو: خوفه من قومه وأن يلوموه على طلب الولد في حالة لا يمكن فيها الولد عادة لكبر سنه، وسن امرأته، وكونها عاقراً، وهذا هو قول مقاتل وقد اختاره: (السمرقندي، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، وابن كثير) (٣).

---

(١) انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص(٧٩٦).

(٢) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ٥٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٧٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٥٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٥٣)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٦)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٢٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٧٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٦٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٧٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٤١)، تفسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٦١).

(٣) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٢٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٤)، الجامع للقرطبي (١١/ ٥٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١١٧).

القول الثالث:

أن سبب إخفائه هو: ضعف صوته بسبب كبره.

القول الرابع:

أن سبب إخفائه: لأن السر والعلانية عند -تعالى- سواء وهو قول قتادة.

◈ الترجيح:

الراجح -والله تعالى أعلم- ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن سبب إخفائه لدعائه عليه السلام، هو: لئلا يخالطه الرياء، وهو أقرب إلى الإخلاص، وذلك لما يلي:

١. لأن إخفاء الدعاء أفضل من إظهاره وإعلانه وهذا المعنى جاء مصرحاً به في قوله -تعالى-: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [1] وقوله -تعالى-: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [2].

٢. وقوله عليه الصلاة والسلام: [إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً] [3].

٣. قال الشنقيطي ~ بعد أن ذكر الأقوال في المسألة: « كل ذلك ليس بالأظهر والأظهر السر في إخفائه هو ما ذكرنا من كون الإخفاء أفضل من الإعلان في الدعاء لأنه أقرب إلى الإخلاص والبعد عن الرياء » [4].

---

(١) سورة الأنعام: آية ٦٣.

(٢) سورة الأعراف: آية ٥٥.

(٣) سبق تخريجه انظر ص٧٠٦ .

(٤) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٤١).

قال -تعالى-: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾ [١]، وفيها مسألة واحدة:

[٢/١٧٠] المسألة: معنى قوله - تعالى -: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المصدر (دعاء) مضاف إلى المفعول، أي بدعائي إياك؛ حيث قال ~ : « ولم أكن » نفى فيما مضى، أي: ما كنت بدعائك رب شقياً، بل كنت سعيداً موفقاً إذ كنت تجيب دعائي فأسعد بذلك، فعلى هذا الكاف مفعول، وقيل: المعنى بدعائك إلى الإيمان شقياً بل كنت مِن مَن أطاعك وعبدك مخلصاً، فالكاف على هذا فاعل، والأظهر: الأول، شكراً لله -تعالى- بما سلف إليه من إنعامه، أي: قد أحسنت إليّ فيما سلف وسعدت بدعائي إياك فالإنعام يقتضي أن تجيبني آخراً كما أجبتني أولاً، وروي أن حاتماً الطائي [٢] أتاه طالباً حاجة، فقال: أنا [الذي][٣] أحسنت [إليه][٤] وقت كذا، فقال حاتم الطائي: مرحباً بالذي [توسل][٥] بنا إلينا، وقضى حاجته » [٦].

---

(١) سورة مريم: آية ٤.

(٢) قيل: لمعين بن زائدة، انظر روح المعاني (٨/ ٣٨١)، حاشية الشهاب (٦/ ٢٤٩).

وحاتم الطائي هو: حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرىء بن عدي بن أحزم بن أبي أحزم، أبو سفانة الطائي، ووالد عدي بن حاتم الصحابي كان جواداً ممدحاً في الجاهلية وكذلك كان ابنه في الإسلام، وكانت لحاتم مآثر، وأمور عجيبة، وأخبار مستغربة في كرمه يطول ذكرها، ولكن لم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، وإنما كان قصده السمعه والذكر. انظر البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٢١٢).

(٣) سقط من المطبوع.

(٤) وفي المطبوع (إليك).

(٥) وفي المطبوع (توصل).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ١٦٤)، وانظر النهر (٦/ ١٧١).

◈ **الدراسة والموازنة:**

أختلف المفسرون في قوله -تعالى-: ﴿بِدُعَآئِكَ﴾ ما المراد بالمضاف إليه، على قولين:

القول الأول:

أن المصدر مضاف إلى مفعوله، أي: بدعائي إياك، والمعنى: عودتني الإجابة فيما مضى ولم تخيبني، أي:لم أكن بدعائي إياك خائباً في وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي، وعلى هذا جمهور المفسرين[1]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ .

القول الثاني:

أن المصدر مضاف إلى فاعله، أي: لم أكن بدعائك لي إلى الإيمان شقياً، أي: لما دعوتني إلى الإيمان، آمنت، ولم أشق، فالكاف على هذا فاعل، وقد حكاه من المفسرين: (الزجاج، والبغوي، وابن عادل، والآلوسي) [2].

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦١)، جامع البيان للطبري (١٦/ ٥٦)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣١٩)، تفسير القرآن العظيم لأبن حاتم (٧/ ٢٣٩٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٠٩)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٦٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٥٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٧٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٥٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٥٥)، الجامع للقرطبي (١١/ ٥٣)، بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ١٣٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١١٧)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٢٧)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٦/ ٢٤٩)، حاشية القونوي (١٢/ ١٩٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٩٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٨١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٦٦)، تفسير الكريم المنان للسعدي (٣/ ١٦٢).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣١٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٥)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٨١).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجـح – والله تعـالى أعلـم – هـو مـا رجحـه أبـو حيـان ~ ومـا عليـه جمهـور المفسرين، بأن المصدر مضاف إلى المفعول؛ حيث أن زكريا عليه السلام توسل بما سلف منه تعالى من الاستجابة عند كل دعوة إثر تمهيد ما يستدعى الرحمة من كبر السن وضعف الحال، وهذا التوسل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة، فسأل الذي أحسن إليه سابقاً أن يتمم إحسانه إليه لاحقاً، قال العلماء: « يستحب للمرء أن يجمع في دعائه بين الخضوع، وذكر نعم الله عليه كما فعل زكريا ها هنا »[١]، قال الآلوسي: « وهذا القول أظهر وأولى، وروى ذلك عن ابن عباس { »[٢].



(١) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٩٨).

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٨١).

قال -تعالى-: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾﴾ (١)، وفيها مسألة واحدة:

[٣/١٧١] المسألة: المراد بالولي.

رجح أبو حيان ~ أن زكريا عليه السلام سأل الله ولياً يقوم مقامه، سواء كان ولداً أو غيره؛ حيث قال ~ : « والظاهر أنه طلب من الله -تعالى- أن يهبه ولياً ولم يصرح بأن يكون ولد، لبعد ذلك عنده لكبره وكون امرأته عاقراً، وقيل: إنما سأل الولد » (٢).

◈ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في دعاء زكريا عليه السلام، هل سأل الله الولد؛ أو أراد الولي الذي يقوم مقامه، على قولين:-

القول الأول:

أنه عليه السلام سأل الله الولد، فعليه يكون المراد بالولي: الولد، وقال به أكثر المفسرين (٣).

القول الثاني:

أنه عليه السلام سأل الله ولياً يقوم مقامه، سواء كان ولداً أو غيره، فعليه يكون المراد بالولي: من يقوم مقامه، ولداً كان أو غيره، وأنه لما بشر بالولد استعظمه على سبيل التعجب، وقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ ولو كان دعاؤه لطلب الولد ن ما استعظم ذلك (٤)، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ معللاً ذلك، بقوله: « واللائق بزكريا عليه السلام

---

(١) سورة مريم: آية ٥.

(٢) البحر المحيط لابن حيان (٦/ ١٦٥).

(٣) انظر الواضح في التفسير لابن وهب (١/ ٤٨٥)، جامع البيان للطبري (١٦/ ٥٧)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٦٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٧٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٥٤)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٥٦)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ١٢)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٢٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٨٢).

(٤) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٥٦)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ١٣).

من حيث هو معصوم أنه لا يطلب الولد لأجل ما يخلفه من حطام الدنيا »[1]، ونسبه ابن عطية للزجاج[2]، وقد اختاره من المفسرين: (ابن عطية، والقرطبي، والشوكاني)[3].

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله تعالى أعلم –هو ما اختاره جمهور المفسرين من أن زكريا عليه السلام سأل الله الولد وذلك لما يلي:-

١. لما شاهد فوارق العادات الظاهرة في حق مريم – عليها السلام –، هناك أقبل على الدعاء مع علمه بأنه من امرأته عاقر وأنه قد ضعف وكبر، قال –تعالى–: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾[4].

٢. لقوله –تعالى– في سورة آل عمران حكاية عنه: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[4]، وخير ما يُفسر به القرآن هو القرآن نفسه.

٣. قوله عليه السلام ﴿يَرِثُنِي﴾ يؤيد القول بأنه سأل الله الولد.

٤. يؤيده أيضاً قوله عليه السلام في سورة الأنبياء ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩﴾[5]، فدل على أنه سأل الولد: لأنه أخبر ها هنا أن له موالي، وأنه غير منفرد عن الورثه، هذا وإن أمكن حمله على وارث يصلح أن يقوم مقامه، لكن حمله على الولد أظهر.

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٦٤).

(٢) قال الزجاج: « ولياً يدل على أنه سأل ولداً ديناً، لأن غير الدِّين لا يكون ولياً للنبي عليه السلام »، معاني القرآن (٣/ ٣٢٠).

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٥)، والجامع للقرطبي (١١/ ٥٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٩٩).

(٤) سورة آل عمران: آية ٣٨.

(٥) سورة الأنبياء: آية ٨٩.

قال -تعالى-: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[1]، وفيها مسألتان:

[٤/١٧٢] المسألة الأولى: المراد بالإرث في الآية.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالإرث هو إرث العلم والدين؛ حيث قال ~ : « والظاهر اللائق بزكريا عليه السلام من حيث هو معصوم أنه لا يطلب الولد لأجل ما يخلفه من حطام الدنيا، وكذلك قول من قال إنما خاف أن تنقطع النبوة من ولده، [وترجع][2] إلى عصبته لأن [ذلك][3] إنما يضعها الله حيث شاء، ولا يعترض على الله فيمن شاءه، واصطفاه من عباده ... والمراد بالإرث: إرث العلم، لأن الأنبياء لا تورث المال، وقيل: يرث الحبورة وكان حبراً »[4]، وقال في النهر: (والظاهر أن الإرث يكون في العلم والدين)[5].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالإرث في الآية على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد به: إرث النبوة، ودليلهم قوله -تعالى-: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[6]، وتُعقب بأن النبوة لا تورث، وإنما هي: اصطفاء واختيار من الله -تعالى-، وليست مما يتوارث لأن الله -تعالى- قال: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾[7] فكيف يخشى نبي الله زكريا من نبي يأتي بعده يختاره الله ويصطفيه؟

(١) سورة مريم: آية ٦.

(٢) و في المطبوع (يرجع).

(٣) وفي المطبوع (تلك).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٦٤) باختصار يسير.

(٥) النهر الماد (٦/ ١٧١).

(٦) سورة النمل: آية ١٦.

(٧) سورة الحج: آية ٧٥.

وأجابوا عن قوله -تعالى-: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ بأنها وراثة ملك وعلم، لا وراثة نبوة، لأن الله تعالى أخبر أنه آتى سليمان الحكم والعلم في حياة والده داود -عليهما السلام-، قال -تعالى-: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾[1] فكان معه كهارون مع موسى -عليهما السلام-، فإذا كان أوتي النبوة في حياة والده -عليهما السلام- لم تكن الوراثة إلا وراثة ملك وعلم، أو أن تكون هذه الآية إخباراً من الله -تعالى- بما آل إليه حال سليمان بعد داود -عليهما السلام- أي: أن الله اصطفاه بعده، لا أنه ورث النبوة، كما هو الحال فيما يورث، ويقوي هذا القول ما بعده، فقد أخبر الله ﷻ عن سليمان عليه السلام أنه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[2] وهذا كله يدل على الملك لا على النبوة، وقد اختار هذا القول: (الزجاج، والواحدي، وابن كثير)[3].

القول الثاني:

أن المراد بالإرث: إرث المال، فقد قال به: (الطبري، وابن عطية، والطاهر بن عاشور)[4]، قال ابن عطية: (الأكثر من المفسرين على أن زكريا إنما أراد وراثة المال ويحتمل قول النبي ﷺ: { إنا معشر الأنبياء لا نورث }[5] ألا يريد العموم، بل على أنه غالب أمرهم

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٧٩.

(٢) سورة النمل: آية ١٦ - ١٧.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٢٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٧٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١١٧).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٥٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٦٧).

(٥) تخريج الحديث بهذا اللفظ: أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٢٦)، والنسائي في السنن الكبرى كتاب الفرائض، باب ذكر مواريث الأنبياء (٤/ ٦٤) وله شاهد من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: [لا نورث ما تركنا صدقة]. انظر صحيح البخاري كتاب الخمس، باب فرض الخمس (٣/ ١١٢٦)، كتاب الفرائض، باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة (٦/ ٢٤٧٤)، وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة (٣/ ١٣٨٠).

فتأمله)[1]، قال الشنقيطي: (إن ظاهر صيغة الجمع شمول جميع الأنبياء، فلا يجوز العدول عن هذا الظاهر إلا بدليل من كتاب أو سنة، وما جاء من الأحاديث صريحاً في عموم عدم الإرث المالي في جميع الأنبياء)، ولكن أكثر المفسرين يأبى قول ابن عطية هذا

و يرده من وجوه:

الأول: لقوله ﷺ: { نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة }، قال القرطبي وكل قول يخالف قول النبي ﷺ مدفوع مهجور[٢].

الثاني: أن زكريا لم يكن ذا مال، بل كان نجاراً، كما ثبت في صحيح مسلم[٣].

الثالث: أن الظاهر اللائق بزكريا عليه السلام من حيث هو معصوم أنه لا يطلب الولد لأجل ما يخلفه من حطام الدنيا، ولا يخشى من مصير ماله إلى ورثته، فالنبي أعظم منزلة وأجل قدراً من هذا كما قال ذلك أبو حيان ~ [٤].

الرابع: ذكر أن زكريا عليه السلام كان حبراً، وما كان الأحبار يحرصون على جمع المال أو الاشتغال به وهذا لا يناسبه سؤال الولي من أجل المال.

القول الثالث:

أن المراد بالإرث: إرث العلم والدين، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وهو ما أشار إليه قوله -تعالى-: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ [5] وكأنه أسلم الأقوال، إذ لا اعتراض عليه فإن العلم يؤخذ بالتلقي، ثم اكرمه الله بعد ذلك بالنبوة، على سبيل الإصطفاء والاختيار، لا على التوارث، وقد اختار هذا القول: (النحاس، والسمرقندي، والزمخشري، والقرطبي، والنسفي، وأبو السعود، والآلوسي) [٦].

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٥)، وانظر كلام الطاهر بن عاشور في التحرير (٧/ ٦٧).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٥٤)، وانظر أضواء البيان (٢/ ٤٤٣).

(٣) انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب من فضائل زكريا عليه السلام (٤/ ١٨٤٧).

(٤) انظر البحر المحيط (٦/ ١٦٤).

(٥) سورة مريم: آية ١٢.

(٦) انظر اعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٣)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٦٨)، الكشاف ⇐ =

القول الرابع:

أن لفظ الإرث يصلح لكل ما ذكر، والأولى أن يحمل ذلك على كل ما فيه نفع وصلاح في الدين، وذلك يتناول النبوة والعلم والسيرة الحسنة والمنصب النافع في الدين والمال الصالح فإن كل هذه الأمور مما يجوز توفر الدواعي على بقائها ليكون ذلك النفع دائماً مستمراً، وقد اختاره: (الفخر الرازي، وابن عادل) [١].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ من أن المراد بالإرث، إرث العلم والدين والحكمة، وذلك لما يلي:-

١. لقوله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[٢] وقوله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [٣].

٢. لقوله عليه الصلاة والسلام: { العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما يورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر }[٤]، وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد

= للزمخشري (٤/ ٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٥٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٦٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٢٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٨٤).

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٥٧)، اللباب لابن عادل (١٣/ ١٣).

(٢) سورة غافر: آية ٥٣.

(٣) سورة فاطر: آية ٣٢.

(٤) أخرجه الترمذي كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة (٥/ ٤٨)، وقال: وليس هو عندي بمتصل هكذا، وذكر له سنداً آخر، وقال: هذا أصح، وأخرجه وأبو داود كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٢/ ٣٤١)، وابن ماجة في كتاب الإيمان باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١/ ٨١)، قال السيوطي: سئل الشيخ محي الدين النووي عن هذا الحديث فقال: إنه ضعيف، أي سنداً، وإن كان صحيحاً، أي: معنى، قال المزي: هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن وهو كما قال، فإني رأيت له خمسين طريقاً، وقد جمعتها في جزء. انتهى كلام السيوطي. انظر عارضة الأحوذي (١٠/ ١٥٥)، وقال الألباني: صحيح، انظر سنن الترمذي، (٥/ ٤٨).

الأقوال فهو مرجِّح له على ما خالفه[1]، قال الشنقيطي بعد ذكره للأدلة: «والأرجح فيما يظهر لنا هو ما ذكرنا من أنها وراثة علم ودين، للأدلة التي ذكرنا وغيرها مما يدل على ذلك»[2].

---

(١) قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٤٤).

[٥/١٧٣] المسألة الثانية: المراد بيعقوب في دعاء زكريا عليه السلام.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بيعقوب في دعاء زكريا عليه السلام في قوله -تعالى-: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾[1] هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حيث قال ~ : « والظاهر أن يعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم، وقيل: هو يعقوب بن ماثان أخو زكريا، وقيل: يعقوب هذا، وعمران أبو مريم، أخوان من نسل سليمان بن داود »[2].

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في يعقوب الوارد ذكره في دعاء زكريا عليه السلام، على قولين:-

القول الأول:

أن يعقوب هنا هو: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - وقال به جمهور المفسرين[3]، وقد وافقهم أبو حيان ~

القول الثاني:

ليس المراد من يعقوب هاهنا ولد إسحاق بن إبراهيم، بل يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان من نسل سليمان بن داود، وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن زكريا، وهذا قول: الكلبي ومقاتل[4].

---

(١) سورة مريم: آية ٦.

(٢) انظر البحر المحيط (٦/ ١٦٥)، وانظر النهر (٦/ ١٧١).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٥٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٥٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٥٧)، الجامع للقرطبي (١١/ ٥٦)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ١٤)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٢٩)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٦/ ٢٥١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٩٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٨٣).

(٤) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٥٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٥٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٥٧)، الجامع للقرطبي (١١/ ٥٦)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ١٤)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٢٩).

◈ **التـرجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو: ما رجحه أبو حيان ~ والجمهور من أن يعقوب هاهنا: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليهم أفضل الصلاة والسلام –، لاتفاق أكثر المفسرين على ذلك، يقول الفخر الرازي: « واتفق أكثر المفسرين على أن يعقوب هاهنا هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأن زوجة زكريا هي أخت مريم وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا من يعقوب، وأما زكريا عليه السلام فهو من ولد هارون أخي موسى عليه السلام وهارون وموسى – عليهما السلام – من ولد لآوي بن يعقوب بن إسحاق وكانت النبوة في سبط يعقوب لأنه هو: إسرائيل » [1].

(١) انظر مفاتيح الغيب (٢١/ ١٥٧).

قال -تعالى-: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾[1] وفيها مسألتان.

[٦/١٧٤] المسألة الأولى: من القائل؟ ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾.

رجح أبو حيان ~ قول جمهور المفسرين بأن قائل ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ هو: الله ﷻ؛ حيث قال ~: «وفي الكلام حذف والتقدير: فلما ولد يحيى وكبر وبلغ السن الذي يؤمر فيه، قال الله له على لسان المَلَك، وأبعد التبريزي[2] في قوله: إن المنادي له أبوه حين ترعرع ونشأ، والصحيح ما سبق لقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾»[3].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في قائل ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾: على قولين:

القول الأول:

ذهب جمهور المفسرين[4] إلى معنى الآية أن الله وهب لزكريا يحيى ولما ولد يحيى، قال الله له: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ﴾ خذ هذا الكتاب بقوة، وقد وافقهم أبو حيان ~.

---

(١) سورة مريم: آية ١٢.

(٢) التبريزي: هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي، نزيل بغداد كان يدرس بالمدرسة النظامية، أديباً لغوياً، ولد سنة ٤٢١هـ، توفي سنة ٥٠٢هـ. انظر هداية العارفين (١/ ٧٢١).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٦٨)، وانظر النهر (٦/ ١٧١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٦٥)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٢١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣١٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٧٨)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٥٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٦٣)، الجامع للقرطبي (١١/ ٥٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١١٩)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ٢٤)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٣٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٠٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩١).

القول الثاني:

أن القائل هو: زكريا عليه السلام، وهو قول التبريزي[1].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو قول أبي حيان ~ والجمهور بأن يحيى عليه السلام كان مخاطباً من الله -تعالى- وذلك لدلالة السياق كما قال أبو حيان ~ ، قال الطاهر بن عاشور: « مقول قول محذوف، بقرينة أن هذا الكلام خطاب ليحيى فلا محالة أنه صادر من قائل، ولا يناسب إلا أن يكون قولاً من الله -تعالى-، وهو انتقال من البشارة به إلى نبوءته، والأظهر أن هذا من إخبار القرآن للأمة لا من حكاية ما قيل لزكريا فهذا ابتداء ذكر فضائل يحيى، وطوي ما بين ذلك لعدم تعلق الغرض به، والسياق يدل عليه والتقدير: قلنا يا يحيى خذ الكتاب »[2]، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجَّح على ما خالفه[3].

---

(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٥٩).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٧٥).

(٣) قواعد الترجيح (١/ ٢٩٩).

[٧/١٧٥] المسألة الثانية: المراد بالكتاب.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالكتاب هو التوراة موافقاً عامة المفسرين، إلا أنه رد على ابن عطية في دعوى الإجماع على ذلك، ذاكراً الأوجه الآخرى لمعنى الكتاب عند المفسرين؛ حيث قال ~ : « والكتاب: هو التوراة، قال ابن عطية بلا خلاف، لأنه ولد قبل عيسى ولم يكن الإنجيل موجوداً. انتهى. وليس كما قال، بل قيل: له كتاب خص به، كما خص كثير من الأنبياء بمثل ذلك، وقيل: الكتاب هنا: اسم جنس، أي: أتل كتب الله، وقيل الكتاب: صحف إبراهيم »[(١)].

❖ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في المراد بالكتاب، على أقوال منها:

القول الأول:

أن المراد بالكتاب هو: التوراة وعليه أكثر المفسرين[(٢)]، حتى قال: ابن عطية والقرطبي [لا خلاف][(٣)] وهذا القول الذي رجحه أبو حيان ~ إلا أنه رد على ابن عطية في دعوى الإجماع وعدم وجود الخلاف، وذكر الأوجه الأخرى.

القول الثاني:

أن المراد بالكتاب: صحف إبراهيم[(٤)].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٦٨)، وانظر النهر (٦/ ١٧١).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٦٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٥٩)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٧٨)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٥٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٦٣)، الجامع للقرطبي (١١/ ٥٩)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ٢٣)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٣٣)، حاشية الشهاب (٦/ ٢٥٦)، حاشية القونوي (١٢/ ٢٠٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٠٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩١).

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٧)، الجامع للقرطبي (١١/ ٥٩).

(٤) انظر تفسير الماوردي (٣/ ٣٥٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩١).

القول الثالث:

كتاب: اسم جنس، أي أتل كتب الله كلها، وهو قول: ابن الانباري[(١)].

القول الرابع:

يحتمل أن يكون كتاباً خص الله به يحيى عليه السلام كما خص الله -تعالى- الكثير من الأنبياء بذلك، وقد اختاره: (الفخر الرازي، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي)[(٢)].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - ما رجحه أبو حيان وعليه أكثر المفسرين من أن الكتاب المذكور هو التوراة التي هي نعمة الله -تعالى- على بني إسرائيل؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾[(٣)]، وهو الأولى لأن حمل الكلام هاهنا على المعهود السابق أولى ولا معهود هاهنا إلا التوراة[(٤)].

قال الشنقيطي: ((وعامة المفسرين على أن المراد بالكتاب هنا: التوراة، وحكى غير واحد عليه الإجماع، وقيل: هو كتاب أنزل على يحيى، وقيل: هو اسم جنس يشتمل الكتب المتقدمة، وقيل: هو صحف إبراهيم، والأظهر قول الجمهور: إنه التوراة كما قدمنا))[(٥)].



(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٥٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩١).

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٦٣)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ٢٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٠٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩١).

(٣) سورة الجاثية: آية ١٦.

(٤) اللباب لابن عادل (١٣/ ٢٤).

(٥) أضواء البيان (٢/ ٤٥٣).

قال -تعالى-: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[٨/١٧٦] المسألة: هل السلام الوارد في الآية من الله أو من الملائكة؟

رجح أبو حيان ~ أن السلام الوارد في الآية على يحيى عليه السلام هو من الله -تعالى-، حيث قال: «﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ قال الطبري: أي: أمان[2]، وقال ابن عطية: (والأظهر أنها التحية المتعارفة، وإنما الشرف في أنْ سلم الله عليه وحيّاه في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر إلى الله.... وهذا السلام يحتمل أن يكون من الله وأن يكون من الملائكة)[3]. انتهى، والأظهر أنه من الله لأنه في سياق ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ﴾ »[4].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في السلام على يحيى عليه السلام، هل هو من الله؟ أو من الملائكة؟ على أقوال:-

القول الأول:

إنه من الله، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ تعالى لدلالة السياق عليه؛ وقد اختاره: (الطبري، والسمرقندي، والواحدي، وابن عطية، والقرطبي، وابن عادل، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والشنقيطي)[5].

---

(١) سورة مريم: آية ١٥.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٦٩).

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٨).

(٤) انظر البحر المحيط (٦/ ١٦٩)، وانظر النهر (٦/ ١٧٢).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٦٩)، بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٧٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٧٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٨)، الجامع للقرطبي (١١/ ٦١)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٢/ ٢٨)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٣٤٣)، حاشية الشهاب (٦/ ٢٥٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٧٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٧٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٥٥).

القول الثاني:

أنه: من الملائكة[1].

القول الثالث:

أن معناه واحد، لأن الملائكة لا يسلمون إلا عن أمر الله -تعالى- وهذا ما ذهب بعض المفسرين: (كالفخر الرازي، وابن عادل الحنبلي) [2].

◈ **الترجيح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- بأن مرد الأقوال إلى قول واحد، وهو أن سلام الملائكة لا يكون إلا بأمر من الله، كما ذكر ذلك بعض المفسرين وهذا من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد ولكن قال ابن عطية ~ : «وإنما الشرف في أن سلم الله عليه وحيّاه في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف، والحاجة، وقلة الحيلة، والفقر إلى الله»[3].

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٦٥)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ٢٨).

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٦٥)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ٢٨).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٨).

قال -تعالى-: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾[1]، وفيها مسألتان:

[٩/١٧٧] المسألة الأولى: نبوة مريم عليها السلام.

رجح أبو حيان ~ القول بنبوة مريم -عليها السلام-؛ حيث قال ~ : «وظاهر الإرسال من الله إليها، ومحاورة الملك، تدل على: أنها نبية، وقيل: لم تنبأ وإنما كلمها مثال بشر، ورؤيتها للملك كما رؤى جبريل عليه السلام في صفة دحيه، وفي سؤاله عن الإيمان والإسلام»[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف العلماء في نبوة النساء وخاصة مريم - عليها السلام -، على قولين:

القول الأول:

أن النبوة خاصة بالرجال، ولا تكون للنساء أبداً، وذلك لأن النبوة تكليف شاق وعبء ثقيل لا تتحمله طبيعة المرأة الضعيفة، واستدلوا بقوله - سبحانه -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾[3] وقد نقل القاضي عياض[4] عن الجمهور أن مريم: ليست نبية، وذكر النووي[5] عن إمام الحرمين[6]

(١) سورة مريم: آية ١٧.

(٢) انظر البحر المحيط (٦/ ١٧٠).

(٣) سورة الأنبياء: آية ٧.

(٤) القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبي العلامة الحافظ عالم المغرب كان إمام أهل الحديث في وقته، توفي سنة ٥٤٤هـ، انظر طبقات الحفاظ (١/ ٤٧٠).

(٥) النووي الامام الفقيه الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ت ٦٧٦هـ، طبقات الحفاظ (١/ ٥١٣).

(٦) إمام الحرمين: هو الإمام أبو المعالي عبدالملك بن أبي محمد عبدالله بن يوسف الجويني إمام العلماء في وقته، فحل المذهب، سافر إلى بغداد ثم إلى الحجاز وأقام بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويفتي ويصنف وأم في =⇐

أنه نقل الإجماع[1] على أنها ليست نبية، وقد ذكر بعض المفسرين عند قوله -تعالى-: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾

من أن إرسال الملك إليها، ومحاورتها لا يدل على نبوتها[2].

القول الثاني:

ذهب بعض العلماء إلى أن الله أنعم على بعض النساء بالنبوة، مثل: حواء، سارة، وأم موسى، وهاجر، وآسية، وجميعهم متفقون على نبوة مريم، ومن هؤلاء: أبو الحسن الأشعري[3] والقرطبي[4]، وابن حزم[5]، وتقي الدين السبكي[6]، وغيرهم.

وحجتهم أن القرآن أخبر بأن الله -تعالى- أوحى إلى بعضهن مثل قوله -تعالى-: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾[7] وقوله -تعالى-: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾﴾[8] وقوله: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ

= الحرمين الشريفين وبذلك لقب، شيخ الإمام الغزالي توفي سنة ٤٧٨هـ. انظر شرح قصيدة ابن القيم (١/ ١٨٩).

(١) يقول الآلوسي: « ودعوى الإجماع في غاية الغرابة، فإن الخلاف في نبوة النساء، خصوصاً مريم، فإن القول بنبوتها شهير » روح المعاني (٢/ ١٤٩).

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٦٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٢٩٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٠٥).

(٣) أبو الحسن الأشعري علي بن اسماعيل بن أبي بِشر، المتكلم، صلحب الكتب و التصانيف في الرد على المبتدعة، كان قانعاً متعففاً. توفي سنة ٤٣٥هـ. انظر تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، هداية العارفين (١/ ٣٦١).

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٢١٤).

(٥) ابن الحزم تقدمت ترجمته. انظر ص٢٠٢ .

(٦) تقي الدين السبكي هو: تقي الدين: علي بن عبدالكافي بن علي بن تمّام تاج الدين السبكي، الشافعي، إمام فقيه أصولي مؤرخ، توفي بدمشق سنة ٧٥٦هـ. انظر تذكرة الحفاظ (٤/ ١٥٠٠)، الوافي في الوفيات (١/ ٢٠٣٢)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي (٢/ ١٩١).

(٧) سورة القصص: آية ٧.

(٨) سورة مريم: آية ١٧-١٩.

عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١] وقوله ﷺ: { كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران }[٢] والذي يبلغ مرتبة الكمال هم: الأنبياء.

قال أبو الحسن الأشعري: إن كل من جاءه الملك من عند الله -تعالى- بحكم من أمر ونهي أو بإعلام، فهو: نبي[٣].

وقال ابن حزم: « وما نعلم للمانعين من ذلك حجة أصلاً، إلا أن بعضهم نزع في ذلك بقوله -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾[٤]، وهذا أمر لا يتنازعون فيه ولم يدع أحد أن الله أرسل امرأة وإنما الكلام في النبوة دون الرسالة، فوجب طلب الحق في ذلك بأن ننظر في معنى لفظة النبوة في اللغة التي خاطبنا الله بها ﷻ »[٥].

وعند هذه الآية نجد أن أبا حيان ~ لم يحرر القول في هذه المسألة بل تابع ونقل من ابن عطية الذي قال: « واختلف الناس في نبوة مريم، فقيل: كانت نبية بهذا الإرسال، والمحاورة للملك، وقيل لم تكن نبية وإنما كلمها مثال بشر، ورؤيتها للملك كما رؤي جبريل في صفة دحية وفي سؤاله عن الإسلام والأول أظهر »[٦]، وقال أبو حيان ~ في نبوة أم موسى ؏ في سورة طه عند قوله -تعالى-: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾[٧]: «قال الجمهور: هي وحي إلهام كقوله -تعالى-: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[٨]، وقيل: وحي إعلام، إما: بإرآءة ذلك في المنام، وإما ببعث مَلك إليها ، لا على جهة النبوة، كما بعث إلى مريم وهذا هو الظاهر»[٩].

---

(١) سورة آل عمران: آية ٤٢.

(٢) حديث متفق عليه (انظر مشكاة المصابيح ٣/ ١١٨).

(٣) انظر فتح الباري (٦/ ٤٤٧).

(٤) سورة الأنبياء: آية ٧.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ١١٩).

(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٩).

(٧) سورة طه: آية ٣٨.

(٨) سورة النحل: آية ٦٨.

(٩) البحر المحيط (٦/ ٢٢٥).

وهذا على خلاف قوله عند قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[(١)] الجمهور على أنه لم ينبأ امرأة، فالمعنى الذي اصطفيت لأجله مريم على نساء العالمين هو شيء يخصها فهو اصطفاء خاص إذ سببه خاص)[(٢)]، فإذا كان كتب التفسير على ترتيب المصحف يكون قد خالف قوله وإن لم يُعلم فيكون هذا من الاضطراب.

◈ <u>الترجيـــــح:</u>

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما ذهب إليه الجمهور من أنه، لا نبوة في النساء، وذلك لما يلي:

١) ليس كل من خاطبته الملائكة هو نبي، ففي الحديث [أن الله أرسل ملكاً لرجل يزور أخاً له في الله في قرية أخرى، فسأله عن سبب زيارته له فلما أخبره أنه يحبه في الله أعلمه أن الله قد بعثه ليخبره أنه يحبه][(٣)]، وقصة الأقرع والأبرص والأعمى[(٤)]، وقد جاء جبريل ليعلم الصحابة أمر دينهم بسؤال الرسول ﷺ والصحابة يشاهدونه ويسمعونه[(٥)].

٢) لا حجة في النصوص الدالة على اصطفاء مريم، فالله قد صرح بأنه اصطفى غير الأنبياء، قال -تعالى-: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[(٦)] واصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ومن آليهما من ليس بنبي جزماً ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[(٧)].

---

(١) سورة آل عمران: آية ٤٢.

(٢) البحر المحيط (٢/ ٤٧٧).

(٣) انظر مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٩٢)، قال شعيب الأرنؤوط: اسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمه فمن رجال مسلم.

(٤) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣/ ١٢٧٦).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الإيمان باب سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ عن الإيمان والإسلام (١/ ٢٧).

(٦) سورة فاطر: آية ٣٢.

(٧) سورة آل عمران: آية ٣٣.

٣) لا يلزم من لفظ الكمال الوارد في الحديث الذي احتجوا به النبوة، لأنه يطلق لتمام الشيء، وتناهيه عن بابه، فالمراد بلوغ النساء الكاملات النهاية في جميع الفضائل التي للنساء، وعلى ذلك فالكمال هنا كمال غير الأنبياء، وقد ورد في بعض الأحاديث أن خديجة وفاطمة من الكاملات[1] وهذا يبين أن الكمال هنا ليس كمال النبوة.

٤) وصف مريم أنها صدّيقة في مقام الثناء عليها والإخبار بفضلها، قال -تعالى-: ﴿مَا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾[2] فلو كان هناك وصفاً أعلى من ذلك لوصفها به، ولم يأت في نص قرآن ولا في حديث نبوي صحيح، إخبار بنبوة واحدة من النساء.

٥) إن ما جاء من إرسال الملك إليها إما أن يكون كرامة لها وإرهاصاً[3] كعيسى، وإما أن يكون معجزة لزكريا عليه السلام.

٦) و أجاب بعض العلماء بأن ذلك كان على سبيل النفث في الروع، والإلهام، والإلقاء في القلب؛ كما كان في حق أم موسى عليه السلام[4].

قال اللقاني[5]: « إن من توهم أن النبوة مجرد الوحي ومكالمة الملك فقد حاد عن الصواب »[6].



---

(١) تخريج الحديث: صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ (٣/ ١٢٥٢)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل خديجة أم المؤمنين < (٤/ ١٨٨٦).

(٢) سورة المائدة: آية ٧٥.

(٣) الإرهاص: الإثبات، يقال: أرهص الشيء إذا أثبته وأسسه وهو مجاز ومنه إرهاص النبوة، تاج العروس ص(٤٤٦١)، وقال الجرجاني: الإرهاص ما يظهر من الخوارق عن النبي ﷺ قبل ظهوره. انظر التعريفات ص(٣١).

(٤) انظر مفاتيح الغيب (٨/ ٣٨)، اللباب لابن عادل (٥/ ٢١٤).

(٥) اللقاني: إبراهيم بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن علي بن عبدالقدوس اللقاني أبو الإمداد المصري المالكي، له تصانيف عديدة توفي سنة ١٠٤٠هـ. انظر هداية العارفين (١/ ١٦).

(٦) روح المعاني للآلوسي (٢/ ١٤٩).

[١٠/١٧٨] المسألة الثانية: المراد بالروح؟

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالروح هو جبريل عليه السلام، حيث قال ~ : « والظاهر: أن الروح جبريل لأن الدين يحيا به وبوحيه، أو سماه روحه على المجاز محبة له وتقريباً، كما تقول لحبيبك أنت روحي، وقيل: عيسى كما قال: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ وعلى هذا يكون قوله: ﴿فَتَمَثَّلَ﴾ أي: الملك »(١).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالروح في قوله -تعالى-: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ على قولين:

القول الأول:

ذهب أكثر المفسرين إلى أنه جبريل عليه السلام وعُبر عنه بذلك لأن الدين يحيا به، وبوحيه، لأن الروح بها حياة الأبدان، وكذلك الأديان تحيا بهذا الوحي، والإضافة للتشريف كبيت الله -تعالى-، وجُوّز أن يكون ذلك كما تقول لحبيبك: أنت روحي، محبة له وتقريبا، فهو مجاز أيضاً، إلا أنه مختلف للأول في الوجه والتشريف عليه في جعله روحاً(٢)، وهو ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والزجاج، وابن أبي حاتم، والنحاس والسمرقندي، والماوردي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي)(٣).

---

(١) انظر البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ١٧٠)، وانظر النهر (٦/ ١٧٧).

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩٤).

(٣) انظر ترتيب ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ٧٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٢٢)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٨)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧١)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٦٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٧٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٩) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٦٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٦٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٦٢) تفسير القرآن =

القول الثاني:

أن المراد به: عيسى عليه السلام؛ حيث تمثل لها بشراً سوياً فحملت الذي خاطبها، وحل في فِيها، وقد قاله: أبي بن كعب[1]، ولأن عيسى يسمى بالروح، قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ وقد حكاه بعض المفسرين[2].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن المراد بالروح هو: جبريل عليه السلام، ومما يدل على ذلك:

١. هو قوله -تعالى-: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [3].

٢. أن جبريل عليه السلام يسمى روح، قال -تعالى-: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [4].

٣. أنه قال لها: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [5] ولا يليق ذلك إلا بجبريل عليه السلام.

= العظيم لابن كثير (٣/ ١٢١)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٣٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٠٥)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩٤).

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢١).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٢٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٦٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٦٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٦٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢١)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٣٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩٤).

(٣) سورة مريم: آية ١٧.

(٤) سورة الشعراء: آية ١٩٣.

(٥) سورة مريم: آية ١٩.

قال ابن كثير: « أرسل الله -تعالى- إليها جبريل عليه السلام فتمثل لها على صورة إنسان تام كامل، وهذا قول الجمهور(مجاهد، والضحاك، وقتادة والسدي) [١]، وغيرهم، وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن، وما حُكي أنه روح عيسى فهذا في غاية الغرابة والنكارة، وكأنه من الإسرائيليات » [٢].

(١) سبق توثيقه انظر ص (٧٣٢) هامش (٢) .

(٢) انظر تفسير القرآن لابن كثير (٣/ ١٢١).

قال -تعالى-: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[١١/١٧٩] المسألة الأولى: معنى: ﴿تَقِيًّا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى تقياً: أي: إن كنت تتقي الله فستنتهي بتعوذي منك؛ حيث قال ~: « قام بين يديها في صورة ترب لها، اسمه يوسف من خدم بيت المقدس، وتعليقها الإستعاذة على شرط تقواه، لأنه لا تنفع الاستعاذة ولا تجدي إلا عند من يتقي الله أي: إن كان يرجي منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عائذة به منك، وجواب الشرط محذوف، أي: فإني أعوذ، وقال الزجاج: فستتعظ بتعويذي بالله منك، وقيل: فاخرج عني، وقيل: فلا تتعرض لي، وقول من قال: تقي اسم رجل صالح أو فاسد ليس بسديد، وقيل: إن نافية، أي: ماكنت تقيا، أي: بدخولك عليّ، ونظرك إليّ، ولياذها بالله، وعياذها به وقت التمثيل دليل على أنه أول ما تمثل لها استعاذت من غير جرى كلام بينهما »[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى ﴿تَقِيًّا﴾: على ثلاثة أقوال:

القول الأول:

أن مريم -عليها السلام- أرادت إن كان يرجى منك أن تتقي الله ويحصل ذلك بالاستعاذة به فإني عائذة به منك، وعلى هذا جمهور المفسرين[3] وهو ما رجحه أبو حيان ~.

---

(١) سورة مريم: آية ١٨.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ١٧٠)، وانظر النهر (٦/ ١٧٧).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧٣)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٢٣)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٩)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧١)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٦٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٧٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٦١)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٦٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٦٢)، تفسير القرآن العظيم لابن ⇐=

القول الثاني:

أن (إن) بمعنى (ما) ومعناه: ما كنت تقياً؛ حيث استحللت النظر إلي وخلوت بي، وقد حكاه بعض المفسرين[1]، قال الآلوسي: (وبذلك تكون الجملة استئنافاً في موضع التعليل وهو خلاف الظاهر)[2].

القول الثالث:

أن تقياً كان: اسم رجل صالح، كما ذكره: الثعلبي[3]، وقيل: تقي اسم رجل فاجر معروف في ذلك الوقت، قاله: وهب بن منبه، وحكاه: مكي، وغيره من المفسرين[4].

= كثير (٣/ ١٢١)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٣٤)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٣٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٠٥)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩٦)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٦٦)، تفسير المراغي (٦/ ٣٦).

(١) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢١٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٦/ ١٦٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩٦).

(٢) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩٦).

(٣) انظر الكشف والبيان (٦/ ٢٠٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٦٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٠٥).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٦٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٦١)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٦/ ١٦٨)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٦٢)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٣٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٠٥)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩٦).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو قول أبي حيان ~ وجمهور المفسرين من أن معنى تقياً: إن كنت تتقي الله فستنتهي بتعوذي منك.

١. قال الفخر الرازي: (وهذا في نهاية الحسن، لأنها علمت أنه لا تؤثر الاستعاذة إلا في التقي وهو كقوله: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1] أي: أن شرط الإيمان يوجب هذا، إلا أن الله -تعالى- يخشى في حال دون حال)[2].

٢. قال ابن الجوزي وهذا هو القول عند المحققين وفي قراءة علي ﷺ وابن مسعود وأبي رجاء [إلا أن تكون تقياً][3].

فائدة: يقول الشيخ السعدي: « فجمعت بين الاستعصام بربها، وبين تخويفه، وترهيبه، وأمره بلزوم التقوى، وهي في تلك الحالة الخالية، والشباب، والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر، والبشرية الكاملة، ولم ينطق لها بسوء أو يتعرض لها، وإنما ذلك خوف منها وهذا أبلغ ما يكون من العفة، والبعد عن الشر وأسبابه وهذه العفة - خصوصاً مع اجتماع الدواعي -، وعدم المانع من أفضل الأعمال، لذا أثنى الله عليها وأعاضها الله بعفتها ولداً من آيات الله وسولاً من رسله »[4].

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٧٨.

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٦٨).

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٦١).

(٤) انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٦٦).

قال -تعالى-: ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[١٢/١٨٠] المسألة: مدة حمل مريم - عليها السلام -.

رجح أبو حيان ~ أن القرآن الكريم لم يورد إلا أن مريم حملت بعيسى - عليها وعلى ابنها السلام - وما ذكره المفسرون وسوّدوا به الأوراق، ما هي إلا تقديرات لم يرد بها نص من كتاب ولا سنة؛ حيث قال ~ : « فحملته أي: في بطنها والمعنى: فحملت به، وقيل: كانت مدة الحمل ثلاث ساعات، وقيل: حمل في ساعة، وصور في ساعة، ووضعته في ساعة، وقيل: ستة أشهر، وعن عطاء، وأبي العالية، والضحاك: سبعة أشهر[2]، وقيل: ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى، وهذه أقوال مضطربة متناقضة كان ينبغي أن يضرب عنها صفحاً، إلا أن المفسرين ذكروها في كتبهم وسوّدوا بها الورق » [3].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مدة حمل مريم - عليها السلام -، على أقوال:

القول الأول:

أنها حملت كما تحمل النساء بأولادهن، ولو كان هناك أمرٌ مختلف عن العادة لذُكر، وظاهر لفظ القرآن أنها (حملت به) ولم يرد أكثر من ذلك، وأعرض بعض المحققين من المفسرين عن الأقوال المضطربة والمتناقضة التي ذكرها بعض المفسرين في كتبهم وسوّدوا بها الورق، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، وابن عطية، وابن كثير، والطاهر بن عاشور، والمراغي) [4].

---

(١) سورة مريم: آية ٢٢.

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩٨).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٧١)، وانظر النهر (٦/ ١٧٨).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٨٤)، تفسير المراغي (٣/ ٣٨).

القول الثاني:

نقل بعض المفسرين[(١)] أقوالاً كثيرة، ومتعددة، ومضطربة، ومتناقضة، في مدة حمل مريم – عليها السلام – عن (عطاء، وأبي العالية، والضحاك) [(٢)]: بأنها حملت في ساعة، ووضعته في ساعة، حين زالت الشمس من يومها، قال القرطبي: « وهذا هو قول ابن عباس، وهو الأصح، والأظهر » [(٣)]، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: ثمانية أشهر، ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى، إلى غير ذلك من الأقوال، وكل هذه الأقوال لم يرد بها نص من كتاب أو سنة صحيحة، إنما هي من التقديرات التي لا سبيل إليها.

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن مريم – عليها السلام – حملت كما تحمل النساء بأولادهن، ولو كان هناك أمرٌ مختلف عن العادة لذكر، وذلك لما يلي:

١. لأن هذا ظاهر لفظ القرآن أنها حملت به ولم يرد أكثر من ذلك، قال ابن عطية: وظاهر قوله: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ يقتضي أنها كانت على عرف النساء[(٤)]، وقال الرازي: « أن الله –تعالى– ذكر مدائحها في هذا الموضع، فلو كانت عادتها في مدة حملها بخلاف عادات النساء لكان ذلك أولى بالذكر » [(٥)].

---

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧١)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٦٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٩)، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٦٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٦٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٠)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٣٨)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٣٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٩٦).

(٢) سبق توثيقه انظر ص٧٣٨ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٦٤).

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١١).

(٥) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٧٢).

٢. قال ابن كثير: (هذا هو الظاهر والمشهور عند الجمهور)[1].

٣. إن هذه التقديرات والأقوال لم يرد بها نص من كتاب ولا سنة ولا سبيل للعقل لمعرفة هذه التقديرات، وكما قال أبو حيان: كان ينبغي أن يضرب عنها صفحاً إلا أن المفسرين ذكروها في كتبهم وسوّدوا بها الورق، قال المراغي: « والقرآن الكريم لم يعيّن مدة الحمل (ولا حاجة إليها في العبرة) فنقول إنها: كانت كما يكون غيرها من النساء إلا إذا ثبت غيره، وكذلك لا حاجة إلى تعيين سنها حينئذ إذ لا يتعلق به كبير فائدة »[2].

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢٢).

(٢) تفسير المراغي (٦/ ٣٨).

قال -تعالى-: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾[1]، وفيها مسألتان:

[١٣/١٨١] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله: ﴿فَنَادَىٰهَا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المنادي هو عيسى عليه السلام؛ حيث قال ~: « والمنادي الظاهر أنه: عيسى، أي: فولدته فأنطقه الله، وناداها، أي: حالة الوضع، وقيل: جبريل، وكان في بقعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت عليها، وقاله الحسن[2]، وأقسم على ذلك، قيل كان يقبل الولد كالقابلة، وقرأ ابن عباس: (فناداها ملك من تحتها)[3] وقرأ: البراء بن عازب[4]، وابن عباس، والحسن، وزيد بن علي، والضحاك، وعمرو بن ميمون ونافع وحمزة والكسائي، وحفص (من) حرف جر[5]، وقرأ الابنان[6] والأبوان[7]، وعاصم، و زر بن حبيش، ومجاهد، والجحدري، والحسن، وابن عباس في رواية عنهما (مَن) بفتح الميم[8] بمعنى الذي وتحتها ظرف منصوب صلة لمن وهو عيسى: أي ناداها المولود، قاله: أُبيّ[9]، والحسن، وابن جبير، ومجاهد ....، والظاهر أن المكلم هو: عيسى، وأن الجذع كان يابساً، وعلى هذا ظهرت لها آيات تسكن إليها »[10].

---

(١) سورة مريم: آية ٢٤.

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٠١).

(٣) قراءة شاذة انظر: حجة القراءات ص(٤٤١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١١)، الجامع للقرطبي (١١/ ٦٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٠١).

(٤) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري، كنيته أبو عمارة، كان صغيراً في بدر، وشهد أحد وما بعدها، توفي بالكوفة سنة ٧٢هـ، انظر الإصابة لابن حجر (١/ ٢٧٨)، الطبقات لابن سعد (٦/ ١٧).

(٥) انظر السبعة لابن مجاهد ص(٤٠٨)، والنشر (٢/ ٣١٨)، حجة القراءات ص(٤٤١).

(٦) الابنان: ابن كثير، وابن عامر.

(٧) الأبوان: أبو عمرو، وأبو جعفر.

(٨) انظر السبعة لابن مجاهد ص(٤٠٨)، والنشر (٢/ ٣١٨)، التيسير ص(١٤٨)، الحجة للقراء السبعة ص(٤٤١)، الإتحاف (٢/ ٢٣٥).

(٩) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٨١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٤٢).

(١٠) البحر المحيط (٦/ ١٧٣)، وانظر النهر (٦/ ١٧٨).

❖ **الدراسة والموازنة:**

إن في هذا الحرف قراءتين سبعيتين: قراءة نافع وحفص عن عاصم، وحمزة الكسائي ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ بكسر الميم على أن (مِن) حرف جر، وخفض تاء تحتِها، لأن الظرف مجرور بـ(من)، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة عن عاصم ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ بفتح ميم (مَن) على أنه اسم موصول، هو فاعل نادى، أي: ناداها الذي تحتها، وفتح تاء (تحتها)، فعلى القراءة الأولى ففاعل النداء ضمير محذوف، وعلى الثانية فالفاعل الاسم الموصول الذي هو (مَن) ولكن اختلف المفسرون في هذا المنادي الذي ناداها المعبر عنه في إحدى القراءتين: بالضمير، وفي الثانية: بالاسم الموصول، من هو؟ على قولين:

القول الأول:

أن المنادي هو: جبرئيل، وممن قال به: (ابن عباس، وعمرو بن ميمون الأودي، والضحاك، وقتادة، والسدي، وسعيد بن جبير في إحدى الروايتين عنه) [1] وأهل هذا القول قالوا: لم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها، و أن جبرئيل ناداها من مكان تحتها لأنها على ربوة مرتفعة، وقد ناداها من مكان منخفض عنها، وبعض أهل هذا القول يقول: كان جبرئيل تحتها يقبل الولد كما تقبله القابلة، والتوجيه الأول أظهر لتنزيه الملائكة عن هذا الموضع.

وعلى قراءة ﴿فَنَادَىٰهَا مَن تَحْتَهَا﴾ بفتح الميم، وتاء ﴿تَحْتَهَا﴾ عند أهل هذا القول فالمعنى: فناداها الذي هو تحتها، أي: في مكان أسفل من مكانها، أو تحتها يقبل الولد كما تقبل القابلة، مع ضعف الاحتمال الأخير كما تقدم، وكان الفرآء يقول: ما خاطبها إلا الملك على القراءتين جميعاً[2]، وقال أصحاب هذا القول يعضده قراءة ﴿فناداها ملك

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٨٠)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٤)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٢٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٦٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٦٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٤١).

(٢) انظر معاني القرآن الفراء (٢/ ١٦٥).

من تحتها﴾ وقد استظهره القرطبي[1] وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، وأبو السعود، والشوكاني والآلوسي، والقاسمي)[2].

القول الثاني:

إن الذي ناداها هو عيسى عليه السلام، قال به: (أبي، ومجاهد، والحسن، ووهب بن منبه، وسعيد بن جبير في الرواية الأخرى عنه وابن زيد)[3].

ويكون معنى القراءة الأولى: فناداها أي المولود الذي ووضعته من تحتها، لأنه كان تحتها عند الوضع، وعلى القراءة الثانية: فناداها من تحتها، أي الذي تحتها وهو المولود المذكور الكائن تحتها عند الوضع، وعلى القراءة الثانية ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ أي: الذي تحتها وهو المولود المذكور الكائن تحتها عند الوضع، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وممن اختار هذا القول: (ابن جرير الطبري، وابن عطية، والفخر الرازي، وابن كثير، وابن عادل، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي، والمراغي)[4].

◈ الترجيـــح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن المنادي هو عيسى عليه السلام، وذلك لما يلي:-

١. لأن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل صارف عن ذلك، يجب الرجوع إليه، وأقرب مذكور في الآية هو: عيسى لا جبرئيل، لأنه سبحانه وتعالى قال: ﴿فَحَمَلَتۡهُ﴾، يعني:

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٦٤).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٨٠)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٣٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٠٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٠٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٧٤).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٨١)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٤)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٦٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٤٢).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٨١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٦٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢١)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٣٤)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٨/ ٨٦)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٦٣)، تفسير المراغي (٦/ ٣٨).

عيسى ﴿فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ﴾ ، أي: بعيسى، ثم قال بعده: ﴿فَنَادَىٰهَا﴾ فالذي يظهر ويتبادر من السياق أنه، عيسى عليه السلام.

٢. لأن مريم – عليها السلام – لما جاءت به قومها تحمله، وقالوا لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه، كما قال –تعالى– عنها: ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩﴾، وأشارت إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عند ما وضعته.

٣. أن الله تعالى أنطق لها عيسى عليه السلام حين وضعته تطييباً لقلبها وإزالة الوحشة عنها حتى تشاهد في أول الأمر ما بشرها به جبرئيل عليه السلام من علو شأن ذلك الولد.



[١٤/١٨٢] المسألة الثانية: المراد بالسَّريّ.

رجح أبو حيان ~ ما رجحه الجمهور بأن المراد بالسري هو: الجدول؛ حيث قال ~ : « والسري[١] في قول الجمهور: الجدول، وقال: الحسن[٢]، وابن زيد[٣] وقتادة: عظيماً من الرجال له شأن، وروي أن الحسن فسر الآية فقال: أجل لقد جعله الله سرياً كريماً، فقال: حميد بن عبدالرحمن[٤]: يا أبا سعيد إنما يعني بالسري: الجدول، فقال الحسن: «لهذه وأشباهها أحب قربك، ولكن غلبنا الأمراء»[٥].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى السَّريّ في هذا الموضع، على قولين:

القول الأول:

أن المراد بالسَّري: هو الجدول والنهر الصغير، هو قول: « ابن عباس، والبراء بن عازب، الضحاك، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والنخعي، وقتادة، والسدي، وأبو صالح وابن جريج »[٦]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الفراء، والطبري،

---

(١) السري: من (سرو يسرو) كـ (شَرُفَ يَشْرُفُ) فهو سري، وأصله سَريوٌ، فأعل إعلال سيِّد، فلامه واوٌ، وجمعه على (سراة) بفتح السين وسُرَواء، كظرفاء، وهما جمعان شاذان، بل قياس جمعه أسرياء كغني وأغنياء، وقيل السَّريُّ: من (سَرَوْتُ الثوب) أي نزعته، وسروت الجُلَّ عن الفرس أي نزعته، كأن السريُّ سرى ثوبه، بخلاف المدثر، والمتزمل، انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص(٤٠٨)، عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢/ ١٩٥).

(٢) انظر تفسير الحسن (٢/ ١٠٩)، جامع البيان للطبري (١٦/ ٨٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٦٤).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٨٤)، وابن زيد هو عبدالرحمن بن زيد.

(٤) حميد بن عبدالرحمن الحميري البصري، ثقة فقيه، قال ابن سيرين: هو أفقه أهل البصرة من أوساط التابعين. انظر الطبقات الكبرى (٧/ ١٤٧)، التقريب (١/ ١٨٢).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ١٧٣)، وانظر النهر (٦/ ١٧٨).

(٦) انظر هذه الأقوال في جامع البيان للطبري (١٦/ ٨٣)، الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٦٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١١٧)، ومعالم التنزيل للبغوي (٤/ ٢٤٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي =

والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والماوردي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي)[1].

القول الثاني:

أن المراد بالسري: عيسى، كان سرياً من الرجال، قاله: الحسن[2]، وعكرمة، وابن زيد، وعنه في قوله: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ يريد نفسه، أي: سري أسري منه، قيل فالذين يقولون السري البحر قال: ليس كذلك لو كان كذلك لكان يكون إلى جنبها ولا يكون النهر تحتها[3]، قال الفخر الرازي: « والجواب عنه أن المكان المستوي إذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان تحت »[4].

= (١١/ ١٠٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (١٠/ ٢٣).

(١) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٥)، جامع البيان للطبري (١٦/ ٨٥)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٢٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٢٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٢)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٦٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١١)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٦٤)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٧٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٦٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢٤)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٤٥)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٣٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٠٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٠١).

(٢) قال ابن الأنباري: « وقد رجع الحسن عن هذا القول إلى القول الأول، ولو كان وصفاً لعيسى، كان غلاماً سرياً أو سوياً من الغلمان، وقلما تقول العرب: رأيت عندك نبيلاً، حتى يقولوا: رجلاً نبيلاً »، انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٦٤).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٨٥)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٥٠٢).

(٤) انظر مفاتيح الغيب (٢١/ ١٧٥).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ، وعليه جمهور المفسرين من أن المراد بالسري هو: الجدول، والنهر الصغير، وذلك لما يلي:

١. لقول ابن عمر ﭬ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: { بأن السريّ الذي قال الله لمريم ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾: نهر أخرجه الله لها تشرب منه }[1].

---

(١) ورد هذا الحديث مرفوعاً وموقوفاً، فورد مرفوعاً من حديث البراء بن عازب وابن عمر ﭬ، أما حديث البراء فرواه الطبراني في الصغير ص(١٤٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٣)، وصححه على شرط الشيخين، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥/ ٥٠٢) لابن مردويه ولكن الحديث ضعيف السند، ففي سنده معاوية بن يحيى الصدفي، وهو: ضعيف، وبه أعله الهيثمي في المجمع (٧/ ٤٥)، وفي سنده أيضاً بقية بن الوليد، وهو من مدلس تدليس تسوية ولم يصرح بالسماع هنا، وقال الطبراني بعد روايته للحديث لم يرفع هذا الحديث عن أبي إسحاق إلا أبو سنان سعيد بن سنان. أهـ

ولكن لم ينفرد أبو سنان بالرفع كما قال الطبراني وإنما تابعه الأعمش عن أبي إسحاق به وروى هذه المتابعه محمد بن العباس البزار في حديثه (١/ ١١٦)، كما نقله الألباني في السلسلة رقم [١١٩١] وسند هذه المتابعه جيد كما قال، وقد ورد هذا الحديث موقوفاً على البراء كما رواه ابن جرير (١٦/ ٨٣)، وسنده صحيح، وصحح الموقوف الشوكاني في فتح القدير (٣/ ٤٠٩)، وأورده البخاري معلقاً (٦/ ٤٧٦)، وأسند عبدالرزاق أيضاً والحاكم (٢/ ٣٧٣)، وصححه الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه كما في الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٥٠٢)، قال الألباني عن الموقوف: «وهو أصح [يعني أصح من المرفوع] لكن تفسير الصحابي للقرآن له حكم الرفع كما قرره الحاكم في مستدركه لا سيما وقد روى عن ترجمان القرآن ابن عباس من قوله رواه ابن جرير (١٦/ ٨٣)، وغيره».أهـ

ولكن سنده إلى ابن عباس في الطبري منقطع وله سند آخر في الطبري أيضاً سلسل بالضعفاء فافتضى التنبيه، وأما حديث ابن عمر فرواه الطبراني في الكبير (٣/ ١٦٧)، وابن مردويه وابن البخاري كما في الدر (٥/ ٥٠٢)، وسنده ضعيف جداً، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥٤): فيه يحيى بن عبدالله البجلتي وهو ضعيف، قال الحافظ ابن كثير (٣/ ١٢٤): « هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه، وأيوب بن نهيك هذا هو الحبلي، قال فيه أبو حاتم الرازي: ضعيف، وقال أبو زرعة: منكر الحديث وقال أبو الفتح الأزدي: متروك الحديث، والحديث ضعفه الشوكاني بأبواب في فتح القدير (٣/ ٤٠٩)، وضعفه الألباني، (١٩١١)، وأورده الحافظ في الفتح (٦/ ٤٧٩-٤٨٠) من رواية ابن مردويه وسكت عليه ».

٢. قوله -تعالى-: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾ يدل على أنه نهر حتى ينضاف الماء إلى الرطب فتأكل وتشرب(١).

٣. أن السري سمي بذلك لأن الماء يسري فيه وهو معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير، ومنه قول لبيد:

فَتَوسَّطا عُرْضَ السَّرِيّ وصَدَّعا   مَسْجُورةً مُتَجاور قُلاَّمُها(٢)

قال الزجاج: ولا خلاف بين أهل اللغة أن السري النهر بمنزلة الجدول(٣).

---

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٧٥).

(٢) البيت للبيد بن ربيعه العامري، من معلقته المشهورة، انظر ديوانه ص(١٧٠)، انظر شرح الزوزني على المعلقات السبع، وفي الشرح التبريزي على القصائد العشر ص(٢٧٢)، وفي جمهرة أنساب العرب ص(٦٣-٧٤) قال صاحب الجمهرة: توسطا: أي دخلا وسطه، وعرض السري: أي ناحية النهر، وأهل الحجاز يسمون النهر سرياً، وصدعاً: أي فرقاً، ومسجورة: أي عيناً مملوة، وأقلامها، ويروي قلامها وهو ضرب من شجر الحمض، والأقلام: قصب اليراع، وقال الزوزني: يقول فتوسط العير والأتان جانب النهر الصغير وشقا عينا مملوءة ماء قد تجاوز قلامها، أي قد كثر هذا الضرب عن البنت عليها وتحرير المعنى أنهما قد ورد عيناً ممتلئة ماء، فدخلا فيها من عرض نهرها، وقد تجاوز نبتها والشاهد في قوله السري وهو اسم للنهر الصغير، انظر تعليق الشيخ محمود شاكر على جامع البيان (١٦/ ٨٥).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٢٥).

قال -تعالى-: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [(١)]، وفيها مسألة واحدة:

[١٥/١٨٣] المسألة: معنى قوله - تعالى -: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾.

رجح أبو حيان ~ قول الجمهور بأن مريم - عليها السلام - قالت لقومها ما أمرت بقوله، ولم تشر؛ حيث قال ~ : « والظاهر أنه أبيح لها أن تقول ما أمرت بقوله، وهو قول الجمهور، وقالت فرقة معنى (فقولي) أي: بالإشارة لا بالكلام، وإلا فكان التناقض ينافي قولها. انتهى، ولا تناقض، لأن المعنى فلن أكلم اليوم إنسياً بعد قولي هذا. وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليها المعنى: أي: فإما ترين من البشر أحداً وسألك أو حاول الكلام فقولي» [(٢)].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ هل هو لفظي أو من باب الإشارة؟ على قولين:

القول الأول:

أن مريم - عليها السلام - قالت لقومها ما أمرت بقوله، وأنها ما نذرت في الحال بل صبرت حتى أتاها قومها: لأنه كان قد أذن لها أن تتكلم بهذا القدر ثم تسكت ولا تتكلم بشيء آخر، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، حتى أن بعض المفسرين نصّ على أنه قول الجمهور كابن عطية[(٣)]، والقرطبي[(٤)]، وقد اختاره من المفسرين: (الواحدي، وابن عطية، والقرطبي، والسمين الحلبي، وابن عادل، والشوكاني) [(٥)].

---

(١) سورة مريم آية ٢٦.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٧٦)، وانظر النهر (٩/ ١٧٩).

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٣).

(٤) الجامع للقرطبي (١١/ ٦٧).

(٥) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٢) ، المحور الوجيز لابن عطية (٤/ ١٣)، الجامع للقرطبي (١١/ ٦٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٥٩٢)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٥١)، فتح القدير للشوكاني =⇦

القول الثاني:

المراد بهذا القول: الإشارة إليه بذلك، لا القول اللفظي، أي: أنها لم تقل لقومها ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ ولم تتكلم معهم بذلك، لأنها كانت مأمورة بأن تأتي بهذا النذر عند رؤيتهم فإذا أتت بهذا النذر فلو تكلمت معهم بعد ذلك لوقعت في المناقضة ولكنها أمسكت وأشارت إليه، وقد أجاب أبو حيان ~ على هذا بأنه لا تناقض: لأن المعنى « فلن أكلم اليوم إنسياً بعد قولي هذا، وقال السمين الحلبي عن القول: وليس بشيء، بل المعنى، فلن أكلم اليوم إنسياً بعد هذا الكلام » [1]، واختاره: (السمرقندي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والسعدي) [2].

◈ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن مريم - عليها السلام - أبيح لها أن تتكلم بهذا القدر، أي: تقول: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ باللفظ وذلك لما يلي:

١. لدلالة ظاهر السياق. فظاهر القول في قوله -تعالى-: ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ﴾ الآية، أنه قول باللسان.

٢. كونها أمرت أن تقول ذلك باللفظ هو مذهب الجمهور كما قاله: أبو حيان وابن عطية، والقرطبي [3].

= (٣/ ٤٠٨).

(١) انظر الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٥٩٢).

(٢) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٧٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٣٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٠٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ٩٣) تفسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٦٩).

(٣) سبق توثيقه، انظر ص٧٤٩ .

قال -تعالى-: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾ [1]، وفيها مسألة واحدة:

[١٦/١٨٤] المسألة: المراد بهارون الوارد ذكره في الآية.

رجح أبو حيان ~ بأن المراد بهارون هو أخوها؛ حيث قال ~ : « وهارون شقيقها، أو أخوها من أمها، وكان من أمثل بني إسرائيل، أو هارون أخو موسى إذ كانت من نسله، أو رجل صالح من بني إسرائيل شبهت به، أو رجل من النساك وشبهوها به، أقوال والأولى أنه أخوها الأقرب، وفي حديث المغيرة حين خصمه نصارى نجران في قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ والمدة بينهما طويلة جدا، فقال له الرسول ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم[2]، وأنكروا عليها ما جاءت به، وأن أبويها كانا صالحين)، فكيف صدرت منك هذه الفعلة القبيحة، وفي هذا دليل على أن الفروع غالباً تكون زاكية إذا زكت الأصول، وينكر عليها إذا جاءت بضد ذلك » [3].

◈ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بهارون الذي ورد ذكره في الآية، على أقوال منها:

القول الأول:

أن هارون كان أخوها شقيقها، أو أخوها من أمها، وهذا ما رجحه أبو حيان ~

---

(١) سورة مريم: الآية ٢٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء رقم (٩/ ٢١٣٥)، وأخرجه الترمذي في جامعه: كتاب تفسير القرآن، باب ومن تفسير سورة مريم رقم (٣١٥٥)، كلاهما من طريق علقمة بن وائل حجر - به، انظر تحفة الأشراف للحافظ المزي رقم (١١٥١٩)، ومسند الإمام أحمد (٤/ ٢٥٢)، وزاد السيوطي في الدر (٥/ ٥٠٧)، نسبته لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن حبان، والطبراني، وابن مرداوية، والبيهقي، في الدلائل.

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٧٦)، وانظر النهر (٦/ ١٨٦).

لأن هذا الاسم كان كثيراً في بني إسرائيل تبركا باسم هارون أخي موسى، فالمعنى أنه اسم وافق اسماً.

قاله: أبو صالح عن ابن عباس[(١)] والضحاك[(٢)]، واختاره: (الزمخشري، ابن عطية، والفخر الرازي وابن عادل، والطاهر بن عاشور، والسعدي) [(٣)].

القول الثاني:

أن هارون كان رجلا صالحاً من بني إسرائيل، ينسب إليه من يعرف بالصلاح، قاله: مجاهد[(٤)] وكعب[(٤)]، والمغيرة بن شعبة يرفعه للنبي ﷺ كما سبق، واختاره من المفسرين: (الفراء، والطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي وابن كثير، والشوكاني، والآلوسي) [(٥)].

القول الثالث:

أن هارون هو أخو موسى – عليهما السلام –، ورفعه الثعلبي إلى النبي ﷺ [إنما عنوا هارون النبي] [(٦)]، وقيل: بل أخته، لأنها من ولده، يقال للتميمي: يا أخا تميم، وللمضري:

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٦٨).

(٢) تفسير الضحاك (٢/ ٨٥٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٦٩).

(٣) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ١٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٣)، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٧٧) واللباب لابن عادل (١٣/ ٥٤)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٩٥)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ١٦٩).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٩٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٦٩)، زاد المسير (٥/ ١٦٨).

(٥) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٧)، جامع البيان للطبري (١٦/ ٩٣)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٢٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٢٧)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٠٦).

(٦) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ١٧)، قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٣٢٣) غريب وذكره الثعلبي هكذا من غير سند، قال الحافظ: لم أجده هكذا إلا عند الثعلبي بغير سند، ورواه الطبري عن السدي، وقوله: ليس بصحيح، لأنه معارض لحديث مسلم السابق انظر ص ٧٥١ ، وقال ابن كثير: وأخطأ محمد بن كعب القرطبي في زعمه أنها أخت موسى وهارون نسباً فإن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على =

يا أخا مضر، قاله السدي[1]، واختاره: (أبو السعود، والقاسمي، والمراغي) [2].

القول الرابع:

بل كان رجلا فاسقا معلن الفسق فنسبوها إليه، وقاله سعيد بن جبير[3].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين أنه كان لها أخ يسمى هارون من صلحاء بني إسرائيل فذُكرت به، وذلك لما يلي:

١. أن الأصل في الكلام الحقيقة، وإنما يكون ظاهر الآية محمولاً على حقيقتها لو كان لها أخ مسمى بهارون.

والأصل أن تحمل نصوص القرآن على ظواهرها ولا يصار إلى المجاز إلا إذا وجد مانع شرعي يوجب الصرف عن الحقيقة[4].

٢. أنها أضيفت إليه، ووصف أبواها بالصلاح، وحينئذ يصير التوبيخ أشد، لأن من كان حال أبويه وأخيه هذه الحالة يكون صدور الذنب عنه أفحش[5].



= من عنده أدنى علم، وكأنه غره أن في التوراة أن مريم أخت موسى وهارون - ضربت بالدف يوم نجى الله موسى وقومه، وأغرق فرعون وجنوده، فاعتقد أن هذه هي تلك، وهذا في غاية البطلان، ومخالفة الحديث الصحيح المتقدم.

(١) انظر جامع البيان (١٦/ ٩٣)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٧).

(٢) انظر إرشاد المعلم السليم لأبي السعود (٤/ ٢٣٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٧٥)، تفسير المراغي (٦/ ٤٠).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٧/ ٢٤٠٧)، الدر المنثور (٥/ ٤٤٧).

(٤) قواعد الترجيح (١/ ١٣٧).

(٥) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٧٧).

قال -تعالى-: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [(١)]، وفيها مسألة واحدة:

[١٧/١٨٥] المسألة: معنى قوله -تعالى-: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن الله تعالى نبأ عيسى عليه السلام في حال طفولته، أكمل عقله واستنبأه طفلا؛ حيث قال ~ : « وفي قوله (عبد الله) والجملة التي بعده تنبيه على براءة أمه مما اتهمت به، لأنه -تعالى- لا يخص بولد موصوف بالنبوة، والخلال الحميدة، إلا مبرأة، مصطفاة ....، وظاهر قوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ أنه -تعالى- نبأه حال طفوليته، أكمل الله عقله واستنبأه طفلاً، وقيل: إن ذلك سبق في قضائه وسابق حكمه، ويحتمل أن يجعل الآتي لتحققه كأنه قد وجد » [(٢)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ على قولين:

القول الأول:

أن معنى الآية: أن عيسى نُبئ، وأوتي الكتاب في حال صباه، وذلك لظاهر اللفظ وهو قول الحسن[(٣)]، والضحاك[(٣)]، وقال الفخر الرازي: « هو قول الجمهور[(٤)]، وقوله -تعالى-: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يدل على كونه نبيا في ذلك الوقت فوجب إجراؤه على ظاهره، بخلاف ما قاله عكرمة » [(٤)]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقال ابن عطية: « وروي أن عيسى عليه السلام إنما تكلم في طفولته بهذه الآية، ثم عاد إلى حالة الأطفال، حتى مشى على عاده البشر، وقالت فرقة: إن عيسى كان أوتي الكتاب وهو في ذلك السن، وكان يصوم ويصلي،

---

(١) سورة مريم: آية ٣٠.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٧٧)، وانظر النهر (٦/ ١٨٦).

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٢)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٧٢، اللباب لابن عادل (١٣/ ٥٨).

(٤) انظر مفاتيح الغيب (٢١/ ١٨٢).

وهو في غاية الضعف مصرح بجهالة قائله » [(١)].

وقد أُحتج على فساد هذا القول بأمور:

أ- أن النبي لا يكون إلا كاملا، والصغير ناقص الخلقة بحيث يعد هذا التحدي من الصغير منفراً بل هو في التنفير أعظم من أن يكون امرأة.

ب-أنه لو كان نبياً في هذا الصغر لكان كمال عقله مقدماً على إدعائه للنبوة، إذ النبي لابد وأن يكون كامل العقل، لكن كمال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز متقدما على التحدي وإنه غير جائز.

ج- انه لو كان نبيا في ذلك الوقت لوجب أن يشتغل ببيان الأحكام، وتعريف الشرائع، ولو وقع ذلك لأشتهر، ولنقل، فحيث لم يحصل ذلك علمنا أنه ما كان نبياً في ذلك الوقت[(٢)].

وقد اختار هذا القول: (السمرقندي، والماوردي، والرازي، والنسفي، وابن عادل)[(٣)].

القول الثاني:

إن معنى الآية: سيجعلني نبياً، أي: بمعنى المستقبل لتحقق وقوعه، أو أن هذا وما بعده إخبار عما قضى الله له وحكم له به ومنحه إياه مما سيظهر ويكون، وإنما الكلام في المهد من مقدمات النبوة وهو قول عكرمة عن ابن عباس[(٤)]، وقد اختاره: (الطبري، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، وابن كثير، وأبو السعود، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والشنقيطي، والسعدي، والمراغي) [(٥)].

---

(١) انظر المحرر الوجيز (٤/ ١٥).

(٢) مفاتيح الغيب (٢١/ ١٨٢).

(٣) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٠)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ١٨٢)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٢)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٥٨).

(٤) ولفظه عن عكرمة: قضى أن يؤتيني الكتاب فيما قضى، انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٩٥)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٨)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ١٨٢)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٥٨)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٤٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٢).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٩٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٣)، معالم التنزيل للبغوي =

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن معنى قوله -تعالى-: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ أي: سيجعلني نبياً، وذلك لما يلي:

١. لأن هذا من باب التعبير بالماضي عما سيقع في المستقبل تنزيلاً لتحقق الوقوع منزلة الوقوع.

٢. وللنظائر القرآنية لهذا المعنى فقد قال -تعالى-: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[(١)]، وقال -تعالى-: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[(٢)]، وقوله -تعالى-: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾[(٣)] وهذه الأفعال الماضية المذكورة في الآيات بمعنى المستقبل، تنزيلاً يتحقق وقوعه منزلة الوقوع بالفعل ونظائرها غير هذه في القرآن كثيرة جداً، قال الشنقيطي ~ : « والأفعال الماضية في قوله: ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الخ بمعنى المستقبل هو: الصواب – إن شاء الله – خلافاً لمن زعم أنه نبئ وأوتي الكتاب في حال صباه لظاهر اللفظ[(٤)].

= (٣/ ٢٣٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٠)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٧٠)، تفسير القرآن العظيم لأبن كثير (٣/ ١٢٦)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٣٨)، روح المعاني للآلوسي (٦/ ٤٠٨)، التحرير و التنوير للطاهر بن عاشور (٦/ ٩٩)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٧٧)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٧٩)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ٢٧١)، تفسير المراغي (٦/ ٤٢).

(١) سورة النحل آية: ١.

(٢) سورة الزمر آية: ٦٨-٧١.

(٣) سورة الزمر آية: ٧٣.

(٤) أضواء البيان (٢/ ٤٧٨).

٣. قال بعض المفسرين أن معنى قوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾، أي: أن هذا إخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ، كما [قيل: للنبي ﷺ: متى كنت نبياً؟ قال: كنت نبياً، وآدم بين الروح والجسد] (1).



(١) تخريج الحديث: أخرجه أحمد (٥/ ٥٩)، والحاكم (٢/ ٦٠٩)، والطبراني (٢/ ٣٥٣)، والآجري في الشريعة ص(٩٥٦) من طرق عن بديل بن ميسرة عن عبدالله بن شقيق عن ميسرة الفجر، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، ورجاله رجال مسلم، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢٢): رجاله رجال الصحيح. وللحديث شواهد منها:

- حديث أبي هريرة عند: الترمذي (٣٦٠٩)، والحاكم (٢/ ٦٠٩)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٢٩)، والآجري (٩٥٩)، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

- وحديث العرياض بن سارية عند: أحمد (٤/ ١٢٨)، والحاكم (٢/ ٦٠٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٠٩)، وابن حبان (٦٤٠٤)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢٢): رواه أحمد بأسانيد وأحد أسانيده رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان. أهـ

- وحديث ابن عباس عند: البزار (٢٣٦٤)، والطبراني (١٢٥٧١) و(١٢٦٢٦) وفيه جابر بن يزيد الجعفي، ضعيف، لكن يصلح للمتابعة.

- وحديث خالد الحذاء عن عبدالله بن شقيق عن رجل قال: قلت يا رسول الله... فذكره، وإسناده صحيح كما في المجمع (٨/ ٢٢٣) وجهالة الصحابي لا تضر فالحديث: صحيح بشواهده والله أعلم.

قال -تعالى-: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[١٨/١٨٦] المسألة: المراد بالأحزاب.

رجح أبو حيان ~ أن الأحزاب هم: بني إسرائيل؛ حيث قال ~ : «﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ هذا إخبار من الله للرسول بتفرق بني إسرائيل فرقاً، ومعنى ﴿بَيْنِهِمْ﴾: أن الاختلاف لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين،لم يقع الاختلاف سببه غيرهم، والأحزاب قال الكلبي: اليهود والنصارى[2]، وقال الحسن: الذين تحزبوا على الأنبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس[3] انتهى. فالضمير في ﴿بَيْنِهِمْ﴾ على هذا ليس عائداً على الأحزاب، وقيل: الأحزاب هنا: المسلمون، واليهود والنصارى، وقيل: هم النصارى فقط، وعن قتادة[4] أن بني إسرائيل جمعوا أربعة من أحبارهم، فقال أحدهم: عيسى هو الله نزل إلى الأرض وأحيى من أحيى وأمات من أمات فكذبه الثلاثة، واتبعته اليعقوبية[5]، ثم قال أحد الثلاثة: عيسى ابن الله فكذبه الاثنان واتبعته النسطورية[5]، وقال أحد الاثنين: عيسى أحد ثلاثة، الله إله، ومريم إله، وعيسى إله، فكذبه الرابع واتبعته الإسرائيلية، وقال الرابع: عيسى عبدالله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فاتبعته فرقة من بني إسرائيل، ثم اقتتل الأربعة فغلب المؤمنون، وظهرت اليعقوبية على الجميع))[6].

---

(١) سورة مريم: آية ٣٧.

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١٠).

(٣) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠١)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٣٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٦)، تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٢٧)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٥٠).

(٥) تقدم التعريف بهم في ص٤٨٣ .

(٦) البحر المحيط (٦/ ١٨٠)، وانظر النهر (٦/ ١٨٨).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالأحزاب، على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بهم بنو إسرائيل، وهم فرق اليهود والنصارى، الذين اختلفوا في شأن عيسى عليه السلام، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وأكده في النهر[(١)] وهو قول: مجاهد[(٢)]، والكلبي، وقتادة[(٣)]، وقد اختاره: (الطبري، والنحاس، والسمرقندي، والزمخشري، وابن عطية، والقرطبي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والشنقيطي، والسعدي) [(٤)].

القول الثاني:

أن المراد بهم فرق النصارى، قال بعضهم: هو الله، وقال بعضهم: ابن الله، وقال بعضهم: ثالث ثلاثة، قال الطاهر بن عاشور: « والمراد بالأحزاب: أحزاب النصارى، لأن الاختلاف مؤذن بأنهم كانوا متفقين ولم يكن اليهود موافقين النصارى في شيء من الدين وقد كان النصارى على قول واحد على التوحيد في حياة الحواريين ثم حدث الاختلاف في تلاميذهم » [(٥)]، واختاره: (البغوي، والنسفي، والطاهر بن عاشور) [(٦)].

---

(١) انظر النهر الماد (٦/ ١٨٨).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠١)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٩)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٥٠).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٧٥٨ .

(٤) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٣٠)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٧٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢٧)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٤٠)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١٠)، محاسن التأويل للقاسمي، (٥/ ٧٩)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٨٠)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٧٢).

(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٠٦).

(٦) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٠٦).

القول الثالث:

أن المراد بهم: الكفار الداخل فيهم اليهود، والنصارى، والكفار الذين كانوا في زمن محمد ﷺ، واستظهره الفخر الرازي وقال: « وإذا قلنا المراد بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ أي: قل يا محمد إن الله ربي وربكم، فهذا القول أظهر؛ لأنه لا تخصيص فيه، وكذا قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مؤكد لهذا الاحتمال» (1) وتبعه ابن عادل(2).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – هو قول أبي حيان ~ ومن وافقه من جمهور المفسرين بأن المراد بالأحزاب هم: بنو إسرائيل فرق اليهود والنصارى، وذلك لما يلي:

١. لدلالة السياق على هذا، قال الآلوسي: «و رُجّحَ القول بأنهم أهل الكتاب بأن ذكر الاختلاف عقب قصة عيسى عليه السلام يقتضي ذلك، ويؤيده قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، فالمراد بهم: الأحزاب المختلفون، وعبر عنهم بذلك إيذانا بكفرهم جميعاً وإشعاراً بعلة الحكم » (3).

٢. أن هذا القول هو المروي عن غير واحد من السلف والخلف وعليه جمهور المفسرين.



(1) انظر مفاتيح الغيب (٢١/ ١٨٨).

(2) انظر اللباب (١٣/ ٦٧).

(3) انظر روح المعاني (٨/ ٤١١).

قال -تعالى-: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[1]، وفيها ثلاث مسائل:

[١٩/١٨٧] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ لجميع الناس؛ حيث قال ~: « وأنذرهم خطاب للرسول ﷺ، والضمير لجميع الناس، وقيل: يعود على الظالمين »[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اتفق المفسرون على أن الأمر للنبي محمد ﷺ، ولكن اختلفوا في مرجع الضمير في قوله -تعالى- ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ على أقوال منها:-

القول الأول:

أن الضمير يعود على: الظالمين، كما هو ظاهر الآية، وهو قول الآلوسي[3].

القول الثاني:

أن الضمير يعود على: المشركين من كفار مكة، وقد اختاره: (ابن جرير الطبري، والواحدي، وابن الجوزي، والفخر الرازي، وابن عادل الحنبلي)[4].

القول الثالث:

أن الضمير لجميع الناس، وقد اختاره: (ابن عطية، وابن كثير، وأبو السعود، والمراغي)[5]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ .

---

(١) سورة مريم: آية ٣٩.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٨٠)، وانظر النهر (٦/ ١٨٩).

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١١).

(٤) انظر جامع البيان (١٦/ ١٠٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٨٩)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ٧٠).

(٥) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢٨)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٤١)، تفسير المراغي (٦/ ٤٥).

◈ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن القول الثاني يدخل في القول الأول، وبذلك يكونان بمعنى واحد وهو الراجح على خلاف قول أبي حيان ~ ، وذلك لأن الإنذار هو: الإعلام بالخوف على وجه الترهيب، والإخبار بصفاته وأحق ما ينذر به ويخوف به هو يوم الحسرة فأنذر يا محمد هؤلاء المشركين يوم حسرتهم وندمهم على ما فرطوا في جنب الله، ولأن حمل الآية على التفسير الذي يجعلها داخله في معاني ما قبلها وما بعدها أولى وأحسن[1] والسياق في الآيات كلها عن الكافرين الظالمين الذين هم في غفلة وهم لا يؤمنون.

(١) انظر قواعد الترجيح (١/ ١٢٥).

[٢٠/١٨٨] المسألة الثالثة : المراد بيوم الحسرة.

رجح أبو حيان أن المراد بيوم الحسرة: اسم جنس، لأن مابعده حسرات كثيرة في مواطن عدة منها يوم الموت، ومنها أخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك؛ حيث قال أبو حيان ~ : « ويوم الحسرة: يوم ذبح الموت، وفيه حديث(١)، وعن ابن زيد: يوم القيامة(٢)، وقيل: حين يصدر الفريقان إلى الجنة والنار، وعن ابن مسعود: حين يصدر الكفار مقاعدهم التي فاتتهم من الجنة لو كانوا مؤمنين(٣) وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ اسم جنس، لأن هذه حسرات كثيرة في مواطن عدة ومنها يوم الموت ومنها وقت أخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك(٤). انتهى » (٥)، وقال في النهر: «ويوم الحسرة: اسم جنس، لأن مابعده حسرات كثيرة في مواطن عدة، منها يوم الموت، ومنها أخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك » (٦)

---

(١) ما أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ (٤/ ١٧٦٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢١٨٨)، وأخرجه الترمذي في جامعه: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة مريم (٥/ ٣١٥)، كلهم من طريق سليمان بن مهران الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: { إذا دخل أهل النار النار، وأدخل أهل الجنة الجنة، يجاء بالموت كأنه كبش أملح، فينادي منادي: يا أهل الجنة تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون وكل قد رأوه، فيقولون: نعم، هذا الموت، ثم ينادي: يا أهل النار، تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون وكل قد رأوه، فيقولون: نعم، هذا الموت، فيؤخذ فيذبح، ثم ينادي: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت، فذلك قوله ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾، والكبش الأملح هو فحل الضأن في أي سن كان، والأملح الذي بياضه أكثر من سواده انظر النهاية (٤/ ٣٥٤)، وأشرأبَّ للشرب اشرئباباً، مد عنقه لينظر، انظر الصحاح (١/ ١٥٤).

(٢) هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٤)، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٢٩).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٣).

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٧).

(٥) انظر البحر المحيط (٦/ ١٨٠).

(٦) انظر النهر الماد (٦/ ١٨٩).

◈ **الدراسة والموازنة:**

يقول الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ: وأنذر - يا محمد - هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم على ما فرطوا في جنب الله، فيا لها من حسرة وندامة، ولكن اختلف المفسرون في المراد بيوم الحسرة على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بيوم الحسرة: يوم ذبح الموت وقد اختاره: (الطبري، والواحدي، والبغوي والآلوسي)[1]، ويستدل أصحاب هذا القول بالحديث السابق، وقد رجحه أبو حيان ~ في البحر ورجع عنه، ورجح ما رجحه ابن عطية بأنه اسم جنس، لأن الحسرات كثيرة وفي مواطن عدة.

القول الثاني:

أن المراد بيوم الحسرة: يوم القيامة يتحسر المسيء إذ لم يحسن، المقصر إذ لم (يزدد) من الحسير، قاله ابن عباس[٢]، وابن زيد[٣]، والكلبي[٤]، واختاره: (الزجاج، والرازي، والنسفي، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والطاهر بن عاشور)[5].

القول الثالث:

أن المراد بالحسرة: (اسم جنس لأن هذه حسرات كثيرة في مواطن عدة، ومنها يوم الموت ومنها وقت أخذ الكتاب بالشمال، وغير ذلك) وقد قاله: ابن عطية[٦]،

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٣)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١٣).

(٢) انظر تفسير أبي حاتم (٧/ ٢٤٠٩)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٩).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٧٦٣ .

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٥).

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٨٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٤)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ٧٠)، ارشاد العقل السليم لابي السعود (٤/ ٢٤١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٠٨).

(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٧).

وابن الجوزي[1]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ في النهر.

القول الرابع:

أن المراد بالحسرة: حين يري الكفار مقاعدهم التي فاتتهم من الجنة لو كانوا مؤمنين، قاله ابن مسعود[٢].

القول الخامس:

أن المراد بيوم الحسرة: عند قطع الرجاء عند إطباق النار على أهلها[٣].

◈ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن المراد بيوم الحسرة هو يوم القيامة وذلك لما يلي:-

▪ لأن يوم الحسرة هي أشد الندم والتلف على الشيء الذي فات ولا يمكن إدراكه، والإنذار الإعلام المقترن بالتهديد، أي أنذر الناس يوم القيامة، وقيل له يوم الحسرة لشدة ندم الكفار فيه على التفريط، وقد يندم فيه المؤمنون على ما كان منهم من تقصير وقد أشار الله إلى هذا المعنى في موضع آخر كقوله: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾[٤].

▪ أشار الله في القرآن الكريم إلى بعض ما يحصل في يوم القيامة من حسرة، كقوله -تعالى- ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾[٥] وقوله -تعالى- ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾[٦]، وكذلك قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[٧].

---

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٣).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٧٣).

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٤).

(٤) سورة غافر: آية ١٨.

(٥) سورة الزمر: آية ٥٦.

(٦) سورة الأنعام: آية ٣١.

(٧) سورة البقرة: آية ١٦٧.

▪ لما ورد عن ابن عباس } في قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ أنه من أسماء يوم القيامة عظمة الله وحذره عباده، وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ قال: يوم القيامة وقرأ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[1].

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣،١٢٩).

[٢١/١٨٩] المسألة الثالثة : معنى قوله تعالى : ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بقضاء الأمر هو: قضاء يوم القيامة؛ حيث قال أبو حيان ~ : « قال السدي وابن جريج: قضي الأمر: ذبح الموت[١]، وقال مقاتل: قضي العذاب[٢]، وقال ابن الأنباري: المعنى إذ قضي الأمر الذي فيه هلاككم[٣]، وقال الضحاك، ويكون ذلك إذا برزت جهنم ورمت بالشرر، وعن ابن جريج أيضاً: إذا فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار[٤]، وقيل: إذا قال: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٥]، وقيل إذا قيل: ﴿وَٱمْتَـٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾[٦]، وقيل: إذا سد باب التوبة، وذلك حين تطلع الشمس من مغربها[٧]..... والظاهر أن يكون المراد بقوله وقضي الأمر: أمر يوم القيامة »[٨].

◈ **الدراسة والموازنة**:

قضي في اللغة بمعنى: اتفق وأحكم[٩]، وإنما سمي الحاكم قاضياً لاتفاقه وإحكامه ما ينفد وللمفسرين في المراد بالأمر أقوال منها:

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٤).

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١١٤).

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١٠).

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٥).

(٥) سورة المؤمنون: آية ١٠٨.

(٦) سورة يس: آية ٥٩.

(٧) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٤)، وقال الآلوسي: (وهذا من أغرب ما قيل)، انظر روح المعاني (٨/ ٤١٢).

(٨) البحر المحيط (٦/ ١٨٠)، وانظر النهر (٦/ ١٨٩).

(٩) تحرير ألفاظ التنبه للنووي ص(٣٣١).

القول الأول:

أن معنى إذا قضي الأمر أي: إذا ذبح الموت، وقد اختاره: (البغوي، وابن كثير، وابن القيم، والشنقيطي)[1]، واستدلوا بما رواه الشيخان عن أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون وكل قد رأوه، فيقولون: نعم، هذا الموت، ثم ينادي: يا أهل النار، تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون وكل قد رأوه، فيقولون: نعم، هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[2]، قال الفخر الرازي: « وأعلم أن الموت عرض فلا يجوز أن يصير جسماً حيوانياً بل المراد أنه لا موت البتة بعد ذلك »[3]، وقد رد ابن القيم ~ على الفخر الرازي قائلاً: « وهذا الكبش والإضجاع، والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً: وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلاً أن يذبح وهذا لا يصح، فإن الله ﷻ ينشئ من الموت صورة كبش يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب، وهذا ممكن مقدور للرب -تبارك وتعالى- ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال، وهذا من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله ﷺ والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل »[4].

---

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢٩)، بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ١٣٦)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٨٢).

(٢) تخريج الحديث: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ (٨/ ٢٨٢)، وفي كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (١١/ ٤٢٣)، ومسلم كتاب صفة الجنة، باب النار يدخلها الجبارون (٥/ ٧٠٧).

(٣) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٨٩).

(٤) انظر بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ١٣٨-١٣٩)، باختصار يسير.

القول الثاني:

أن معنى إذا قضي الأمر: إذا قضي العذاب في الآخرة، واختاره: (الواحدي، والطاهر بن عاشور) [(١)].

القول الثالث:

أن معنى إذا قضي الأمر: أي: إذا فرغ من الحساب، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأدخل أهل النار النار، وقد اختاره: (السمرقندي، والزمخشري، والنسفي، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي) [(٢)].

القول الرابع:

أن معنى إذا قضي الأمر: إذا قضي الأمر ببيان لدلائل وشرح أمر الثواب والعقاب لقوله تعالى ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مكانة بيّن أنه أظهر الحجج والبينات وهم في غفلة وهو لا يؤمنون، واختاره (الفخر الرازي) [(٣)].

القول الخامس:

أن معنى إذا قضي الأمر: أي أمر يوم القيامة: وهذا ما رجحه أبو حيان ~ في البحر وأكده في النهر[(٤)].

---

(١) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٤)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٠٩).

(٢) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢١)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٤)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٧٠)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٤١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١٢).

(٣) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٨٩).

(٤) انظر النهر الماد (٦/ ١٨٩).

❖ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن المراد بقضاء الأمر: يوم ذبح الموت، وذلك لما يلي:

• لورود الحديث الصحيح في ذلك، وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه[1]، قال الشنقيطي ~ : « وجاء في الحديث الصحيح ما يدل على أن المراد بقوله هنا: ﴿إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، أي: ذبح الموت وحديث مشهور متفق عليه وقراءة النبي ﷺ الآية بعد ذكره ذبح الموت، تدل على أن المراد بقوله: ﴿إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي: ذبح الموت وفي معناه أقوال أخر غير هذا تركناها لدلالة الحديث الصحيح على أن المعنى الذي ذكرنا »[2].

---

(١) انظر قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

(٢) انظر أضواء البيان (٢/ ٤٨٢).

قـال -تعـالى-: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ ﴾ [1]، وفيها مسألة واحدة:

[١٩٠ / ٢٢] المسألة: معنى ﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى أخاف على بابه الأصلي، وهو: توقع المكروه؛ حيث قال ~ : « ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ ﴾ قال الفراء والطبري: أخاف أي: أعلم، كما قال: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا﴾ [2] أي: تيقنا [3]، والأولى: حمل ﴿أَخَافُ﴾ على موضوعه الأصلي، لأنه لن يكن آيساً من إيمانه بل كان راجياً له، وخائفاً أن لا يؤمن وأن يتمادى على الكفر، فيمسه العذاب، وخوّفه إبراهيم سوء العاقبة، وتأدب معه، إذ لم يصرح بلحوق العذاب به، بل أخرج ذلك مخرج الخائف » [4].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى أخاف في قوله -تعالى-: ﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ على قولين:-

القول الأول:

أن أخاف بمعنى: أعلم بأن يمسك عذاب من الرحمن، إن أقمت على الكفر ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ قريناً، لأن الولاية سبب المصيبة، فأطلق اسم السبب على المُسبب مجازاً » [5] وضعّفه الآلوسي وقال: (وليس بذلك) [6] وهذا القول هو: قول الفراء،

---

(١) سورة مريم: آية ٤٥.

(٢) سورة الكهف: آية ٨٠.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٩)، جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٦).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٨٢)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٩٢).

(٥) انظر اللباب لابن عادل (١٣/ ٧٦).

(٦) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١٥).

والطبري، واختاره: (السمرقندي، والبغوي، والقرطبي) [1].

القول الثاني:

أن أخاف على بابها، فيكون المعنى: إني أخاف أن تموت على كفرك فيمسك العذاب وهذا ما رجحه أبو حيان ~ أخذاً بظاهر اللفظ، وهو قول الأكثرين وقد اختاره: (الواحدي، وابن عطية، والفخر الرازي، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي والطاهر بن عاشور) [2].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من المفسرين وذلك لما يلي:

١. الخوف كما قال الراغب: « توقع المكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، فهو غير مقطوع فيه بما يخاف » [3]، وقال الطاهر بن عاشور: « والتعبير بالخوف الدال على الظن دون القطع، تأدباً مع الله -تعالى- بأن لا يثبت أمراً فيما هو من تصرف الله، وإبقاء للرجاء في نفس أبيه لينظر في التخلص من ذلك العذاب بالإقلاع من عبادة الأوثان » [4].

٢. لأن هذا هو ظاهر القرآن ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل[5]، قال الفخر الرازي: (إن القول (بعنى العلم) إنما يصح لو كان إبراهيم عليه السلام عالماً بأن

---

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٧٥).

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٥)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ١٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٩٣)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٧٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١١٨).

(٣) انظر مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب ص(٣٠٣)، مادة خوف.

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١١٨).

(٥) انظر قواعد الترجيح (١/ ١٣٧).

أباه سيموت على ذلك الكفر، وذلك لم يثبت فوجب إجراؤه على ظاهره، فإنه كان يجوز أن يؤمن فيصير من أهل الثواب ويجوز أن يصّر فيموت على الكفر، فيكون من أهل العقاب ومن كان كذلك، كان خائفاً لا قاطعاً، وأعلم أن من يظن وصول الضرر إلى غيره فإنه لا يسمى خائفاً إلا إذا كان بحيث يلزم من وصول ذلك الضرر إليه تألم قلبه كما يقال أنا خائف على ولدي) [1].

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٦/ ١٩٣).

قال -تعالى-: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ [١]، وفيها مسألتان:

[٢٣/١٩١] المسألة الأولى: معنى: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى الرجم الضرب بالحجارة؛ حيث قال ~ : « ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ جواب القسم المحذوف قبل ﴿لَئِن﴾ قال الحسن: بالحجارة[٢]، وقيل: لأقتلنك، وقال السدي والضحاك وابن جريج: لأشتمنك » [٣]، [٤] وقال في النهر: «﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ جواب لقسم محذوف وظاهره: الرجم بالحجارة » [٥].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى الرجم في الآية، على قولين:

القول الأول:

أن معنى لأرجمك أي: لأشتمنك، ولأبعدنك عني بالقول القبيح، ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [٦] أي: بالشتم، ومنه قول الرَّجيم، أي: المرمي باللَّعن وقال مجاهد: كل رجم في القرآن بمعنى: الشتم[٧]، ولكن هذا القول يرده قوله -تعالى-:

---

(١) سورة مريم: ٤٦.

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ١٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٧٥).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ١٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٧٥)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٠).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٨٣).

(٥) النهر الماد (٦/ ١٩٢).

(٦) سورة النور: آية ٤.

(٧) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٩٥).

﴿رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾[1] وقال الزجاج: « والذي عليه التفسير أن الرجم ههنا الشتم »[2]، وقال الزركشي: « وكل شيء في القرآن يرجمنك فهو القتل غير التي في سورة مريم – عليها السلام –، لأرجمنك يعني: لأشتمنك »[3]، وقد اختاره: (الفراء، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والزمخشري، وابن كثير)[4].

القول الثاني:

أن معنى ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ أي: لأقتلنك بالحجارة، وقد تعددت أقوال المفسرين في هذا ولكنها مرجعها إلى هذا المعنى، فقال ابن عباس لأرجمنك أي لأضربنك[5]، ولأرجمنك أي: لأقتلنك بلغة قريش[6]، وقال ابن عطية: « وهذان القولان بمعنى واحد، كأنه قال له: إن لم تنته لأقتلنك بالرجم »[7]، وقيل معنى لأرجمنك أي: لأطردنك رمياً بالحجارة، قال الفخر الرازي: « ومما يدل على أنه أراد الطرد، والإبعاد قوله: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[8] وقال الحسن: لأرجمنك أي: بالحجارة، لأن أصل الرجم الرمي بالرجام، أي: بالحجارة الضخّام[9]، فيكون الحمل عليه أولى وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (ابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي، والقاسمي، والسعدي، والمراغي)[10].

---

(١) سورة الملك: آية ٥.

(٢) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٢).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ١١٧).

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٩)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٣٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٥)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٠).

(٥) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٧٥)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٧٨).

(٦) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٩٥)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٧٨).

(٧) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ١٨).

(٨) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٣/ ١٨).

(٩) انظر الصحاح ص(١٤٢٦) مادة رجم.

(١٠) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ١٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي =

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- أن المراد بالرجم هو الطرد والإبعاد، وإن كان معنى الرجم في اللغة: الرمي بالرجام -(وهي الحجارة الضخام)- إلا أن كثيراً مما يصح لغة لا يصح استعمالاً، فلا يصح أن يكون آزر أراد قتل إبراهيم، ولا شتمه ولكن قد يكون المراد بالرجم هو الطرد والإبعاد، أي: لأبعدنك، وهذا الذي يتناسب مع مقام الأنبياء مع آباءهم وإن كانو كفار، والذي يدلل على هذا أيضاً السياق، فلا يكون المراد بالرجم القتل، وقد قال له بعدها ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾[1]، قال الفخر الرازي: « إن في معنى الطرد والإبعاد اتساعاً ويدل على أنه أراد الطرد قوله: ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ فإن قيل: انما يدل قوله -تعالى-: ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ على أن المراد به الرجم بالشتم؟ قلنا لا، وذلك لأنه هدده بالرجم إن بقي على قربه منه وأمره أن يبعد هرباً من ذلك فهو في معنى قوله ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾»[2].



= (٢١/ ١٩٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٥) الارشاد لأبي السعود (٤/ ٢٤٣)، فتح القدير للشوكاني (٣٣/ ٤١٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٢٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٨٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨٢)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٧٦)، تفسير المراغي (٦/ ٤٨).

(١) سورة مريم: آية ٤٦.

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٩٥).

[٢٤/١٩٢] المسألة الثانية : معنى ﴿مَلِيًّا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى ملياً أي: دهراً طويلاً، ومنه الملوان: الليل والنهار؛ حيث قال ~ : « وانتصب ﴿مَلِيًّا﴾ على الظرف أي: دهراً طويلاً، قاله: الجمهور، والحسن ومجاهد وغيرهما(١)، ومنه الملوان، وهما الليل والنهار، والملاوة(٢) بتثليث حركة الميم: الدهر الطويل من قولهم: أمليت لفلان في الأمر إذا أطلت له، قال الشاعر:

فعسنا بِها من الشبابِ مُلاوةً فالحجُ آياتُ الرسولِ المحَبَّبِ(٣)

وقال سيبويه: سير عليه مليّ من الدهر، أي: زمان طويل(٤)، وقال ابن عباس وغيره (ملياً) معناه: سالماً سوياً(٥)، فهو حال من فاعل ﴿وَٱهۡجُرۡنِي﴾ قال ابن عطية: « وتلخيص هذا أن يكون بمعنى قوله مستنداً بحالك غنياً عني ﴿مَلِيًّا﴾ بالاكتفاء » (٦).

وقال السدي: معناه أبداً(٧) ومنه قول مهلهل:

فَتَصدّعَت صُمُ الجِبَالِ لِموتِهِ وَبَكَتْ عَلَيهِ الْمُرمِلاَتُ مَلِيًّا(٨)

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧٣)، معاني القرآن للنحاس (٣/ ٣٢٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٦٣)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٢٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٦١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٦٢).

(٢) قال في اللسان مادة مَلاَ (١٥/ ٢٩٠): المَلاوةُ والمُلاَوة، والمَلاَ، والمَلِيُّ كله مدَّةُ العيش، يقال: مَّلاك الله حبيبك: أي متعك به وأعاشك معه دهراً طويلاً، ويقال لمن لبس الجديد: أبليت جديداً وتمليت حبيباً أي عشت معه زمناً من الدهر، وفي التنزيل ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيًّا﴾ أي طويلا، والمَلَوان: الليل والنهار. أهـ.

(٣) لم أهتد إلى قائله، وعسنا: طُفنا بالليل.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ٧٣)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٠)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٧٥) الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٥٢).

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٨).

(٧) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٠).

(٨) انظر الجامع للقرطبي (١١/ ٧٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٤)، المرملات: الفقيرات.

وقال ابن جبير: دهراً[١]، وأصل الحرف: المكث، يقال: تمليت حيناً » [٢].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى ﴿مَلِيًّا﴾ على قولين:

القول الأول:

أن معنى ﴿مَلِيًّا﴾ أي: دهراً طويلاً، فيكون معنى ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أي: اهجرني حيناً طويلاً، وهو قول: لابن عباس[٣]، والحسن، ومجاهد[٤]، وقال ابن قتيبة: اهجرني حيناً طويلاً[٥]، ومنه يقال: تمليت حبيبك، فيكون ملياً منصوب على الظرف الزماني، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الفراء، والنحاس، والواحدي، والزمخشري، والنسفي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي، والقاسمي، والسعدي، والمراغي) [٦].

القول الثاني:

أن معنى ﴿مَلِيًّا﴾ أي: سوياً سالماً، فيكون معنى ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أي: اجتنبني سوياً سالماً قبل أن تصيبك عقوبتي، وهو قول آخر لابن عباس[٧]، وبه قال قتادة،

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٦)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٠).

(٢) انظر البحر المحيط (٦/ ١٨٤)، وانظر النهر (٦/ ١٩٢).

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٤٢١٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٥٢).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٧٧٧ .

(٥) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٦).

(٦) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٩)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٣٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٦)، الإرشاد لابي السعود (٤/ ٣٤٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧،١٢٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٨٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨٢)، تفسير السعدي (٢/ ١٧٦)، المراغي (٦/ ٤٨).

(٧) سبق توثيقه انظر ص٧٧٧ .

والضحاك[1]، فعلى هذا يكون من قولهم: فلان مليٌّ بكذا وكذا: إذا كان مضطلعاً به، فالمعنى: اهجرني وعرضك وافر وأنت سليم من أذاي، قال الطبري: « لأنه عقيب قوله: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وذلك وعيد منه له ان ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيئ والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة، فأما الأمر بطوله هجرة فلا وجه له »[2]، وقد اختاره: (الطبري، والسمرقندي، وابن عطية)[3].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى ﴿مَلِيًّا﴾ أي: دهراً طويلا، وذلك لما يلي:-

١. لأن معنى الملي في اللغة هو الزمن، قال ابن فارس: (الميم واللام والحرف المعتل كلمة واحدة هي الزمن الطويل، وأقام ملياً أي دهراً طويلاً، وتمليت الشيء إذا أقام معك زمناً طويلاً، والملوان: طرفاً الليل والنهار، والملاِدة: الحين »[4]، قال السمين الحلبي: « والإملاء: الإمداد، ومنه قيل: للمدة الطويلة ملاوَة من الدهر، ومَليٌّ من الدهر. قال - تعالى-: ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ أي: دهراً طويلاً »[5].

٢. هذا المعنى الذي أخذ به أكثر المفسرين ، وهو المناسب لترجيح أبي حيان في المسألة السابقة[6].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٦).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٨).

(٣) انظر جامع البيان لطبري (١٦/ ١٠٨)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٨).

(٤) انظر مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٤٦).

(٥) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٤/ ١١٣).

(٦) سبق توثيقه انظر ص ٧٧٨ .

قال -تعالى-: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ (١) **وفيها ثلاث مسائل:**

[٢٥/١٩٣] المسألة الأولى: معنى قوله -تعالى-: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ بمعنى المسالمة لا بمعنى التحية؛ حيث قال ~ : « قال -تعالى-: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ قال الجمهور: هذا بمعنى المسالة لا بمعنى التحية، أي: أمنة مني لك، وقال النقاش: حليم خاطب سفيهاً كقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ (٢)، وقيل: هي تحية مفارق ....، ورفع سلامٌ على الإبتداء، ونصبه على المصدر أي: سلمت سلاماً، دعاء له بالسلامة على سبيل الاستمالة» (٣).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى سلام إبراهيم عليه السلام لأبيه على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بسلام ابراهيم عليه السلام: المسالمة التي هي: المتاركة لا التحية، قال الطبري: « معناه: أمنة مني لك » (٤)، وقال ابن كثير: « أما أنا فلا ينالك مني مكروه، ولا أذى، وذلك لحرمة الأبوة » (٥)، وهذا مارجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، الواحدي، والبغوي، وابن عطيه، وابن الجوزي، وابن كثير، والآلوسي والقاسمي،

---

(١) سورة مريم: آية ٤٧.

(٢) سورة الفرقان: آية ٦٣.

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٨٤)، وانظر النهر (٦/ ١٩٢).

(٤) جامع البيان الطبري (١٦/ ١٠٨).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٣٠).

والشنقيطي)[(١)].

القول الثاني:

أن معنى تسليمه هو: تحية مفارق وتوديع وهجر لمقامه على الكفر، قاله: ابن بحر[(٢)]، وقد اختاره: (الزمخشري، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن عادل الحنبلي، وأبو السعود، والشوكاني، وطاهر بن عاشور)[(٣)].

القول الثالث:

أن معنى تسليمه: سلام بر وإكرام، فقابل جفوة أبيه بالبر تأدية لحق الأبوة وشكراً لسالف التربية، وقال الماوردي: (وهذا هو الأظهر)[(٤)].

◈ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى سلام إبراهيم لأبيه هو: من المسالمة والمتاركة، لا بمعنى التحية، أي: لا يصلك مني مكروه ولا ينالك مني أذى، بل أنت سالم من ناحيتي، وقد يكون كما عبر عنه ابو حيان ~ بمعنى الدعاء له بالسلامة، استمالة له ورفقاً به.

فإن قيل كيف يعطيه السلام ويأمنه مع قوله له قبل ذلك (لأرجمنك): فإن هذا هو

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (٦/ ١٠٨)، الوسيط للواحدي (٢/ ١٨٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٩)، زاد الميسر لابن الجوزي (٥/ ١٧٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٨٥).

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٤).

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٩٥)، الجامع للقرطبي (١١/ ٧٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٦)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٧٩)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٤١٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٠٦)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٢١).

(٤) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٥).

خلق الأنبياء فقد رد إبراهيم عليه السلام على الإساءة بالإحسان، قال الشنقيطي ~ : «ثم إن إبراهيم عليه السلام قابل جواب أبيه العنيف بغاية الرفق واللين في قوله ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ بمعنى: لا ينالك مني أذى ولا مكروه، بل ستسلم مني فلا أوذيك، وخطاب إبراهيم لأبيه الجاهل بقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ قد بين -جل وعلا- أنه خطاب عباده المؤمنين للجهال إذا خاطبوهم كما قال -تعالى-: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[1] وقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾[2] »[3].

(١) سورة الفرقان: آية ٦٣.

(٢) سورة القصص: آية ٥٥.

(٣) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٨٥) باختصار وبتصريف يسير.

[٢٦/١٩٤] المسألة الثانية: حكم من بدأ الكافر بالسلام.

رجح أبو حيان ~ أنه لا يجوز ابتدآء الكافر بالسلام، حيث قال ~ : « وقيل: هي تحية مفارق، وجّوز قائل هذا تحية الكافر، وأن يُبدأ بالسلام المشروع، وهو مذهب سفيان بن عيينة[(١)] مستدلاً بقوله -تعالى-: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾[(٢)]، وبقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [(٣)]، وقال إبراهيم لأبيه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾، وما استدل به متأول، ومذهبهم محجوج بما ثبت في صحيح مسلم [لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام] [(٤)] » [(٥)].

◈ **الدراسة والموازنة**:

اختلف العلماء في حكم بدأ الكافر بالسلام المشروع على قولين:

القول الأول:

أنه لا يجوز بَدأ الكافر بالسلام المشروع، وأن إفشاء السلام من المودة، وقد نهانا الله سبحانه عن إظهار المودة لأعداء الله، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ مستدلاً بأن سلام إبراهيم لأبيه في الآية إنما هو بمعنى المسالمه والدعاء بالسلامه كما قال: « قال الجمهور: هذا بمعنى المسالمة لابمعنى التحية، أي أمنة لك مني وهؤلاء لايرون ابتداء الكافر بالسلام » [(٦)]، وبما ثبت في

---

(١) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي أبو محمد، محدث الحرم المكي، كان حافظاً ثقة، واسع العلم، كبير القدر وكان له مذهب فقهي خاص، وله الجامع في السنن والآثار وشيء من التفسير، ت ١٩٨ هـ، انظر حليه الأولياء (٧/ ٣٢٠)، الثقات (٦/ ٤٠٣)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٩٣)، الرسالة المستطرفة للكتاني ص(٧).

(٢) سورة الممتحنة: آية ٨.

(٣) سورة الممتحنة: آية ٤.

(٤) تخريج الحديث: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (٤/ ١٧٠٧).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٨٤).

(٦) انظر دراسة المسألة السابقة ص ٧٨٠ .

صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: [لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فأضطره إلى أضيقه] (١).

القول الثاني:

أن بَدأ الكافر بالسلام يجوز إذا لم يكن مقاتلاً، واستدل أصحاب هذا القول بقوله -تعالى-: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ (٢) وأن سلام إبراهيم عليه السلام لأبيه في قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ (٣) هو بمعنى التحية، وقد قال -سبحانه- ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ (٤) وبما ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد [أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فدكية(٥)، وأردف وراءه أسامة بن زيد، وهو يعود سعد بن عباده في بني الحرث بن الخزوج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبدالله بن رواحة فلما غشيت المجلس عَجاجة الدابة، خمّر عبدالله بن أبي أنفه بردائة، ثم قال: لا تغبّروا علينا، فسلّم عليهم النبي ﷺ] (٦)، وهذا هو مذهب سفيان بن عيينة، واستظهره: القرطبي(٧).

---

(١) سبق تخريجه انظر ص٧٨٣ .

(٢) سورة الممتحنة: آية ٨.

(٣) سورة مريم: آية ٤٧ .

(٤) سورة الممتحنة: آية ٤ .

(٥) الإكاف: هو مايشد على الحمار كالسرج على الفرس، و(القطيفة): دثار مخمل، و(الفدكية) منسوبة إلى فدك، بلدة معروفة على مرحلتين أو ثلاث من المدينة، وعجاجة الدابة: هو ما ارتفع من غبار حوافرها، انظر فتح الباري (١/ ٨٠)، صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ١٤٢٢)، لسان العرب (٩/ ١٩٦).

(٦) تخريج الحديث: صحيح البخاري، كتاب بدء السلام، باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين (١١/ ٣٩).

(٧) انظر الجامع للقرطبي (١١/ ٧٥).

القول الثالث:

أنه يمنع ابتداء الكافر بالسلام عموماً، إلا إذا كان لسبب خاص وهو مذهب بعض المحققين كالإمام الطبري ~ [١] فإن **الحديث الأول** (حديث أبي هريرة) يفيد ترك السلام عليهم ابتداء، لأن ذلك إكرام، والكافر ليس له ذلك، **والحديث الثاني** (حديث أسامة) يجوّز ذلك، قال الطبري: « ولا يعارض ما رواه أسامة بحديث أبي هريرة فإنه ليس في أحدهما خلاف للآخر، وذلك أن حديث أبي هريرة مخرجه العموم، وخبر أسامة يبين أن معناه الخصوص » [٢].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أنه لا يجوز ابتداء الكافر السلام إلا إذا كان لسبب خاص وذلك لما يلي:-

١. لأن إعمال الدليلين أولى من إبطال أحدهما، وفي ترجيح هذا القول توفيق بين الأدلة، قال القرطبي: « بان بهذا أن حديث أبي هريرة [لا تبدأوهم بالسلام] إذا كان لغير سبب يدعوكم إلى أن تبدأوهم بالسلام، من قضاء ذمام أو حاجة تعرض لكم قبلهم، أو حق صحبة أو جوار أو سفر » [٣]، وهذا نص فتوى مركز الإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة بعنوان إلقاء التحية والسلام على الكافر، حيث جاء فيها: **ما حكم السلام على الكافر؟**
الفتوى:-

الحمد والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد..

فقد اختلف العلماء في السلام على الكافر ابتداءً، وفي رد السلام عليه إن سلم هو، فأكثر العلماء من السلف والخلف على تحريم الابتداء، ووجوب الرد عليه، فيقول في رده على سلام الكافر: وعليك أو وعليكم.

---

(١) انظر فتح الباري (١١/ ٣٩).
(٢) انظر فتح الباري (١١/ ٣٩).
(٣) انظر الجامع للقرطبي (١١/ ٧٦).

واستدلوا بقوله ﷺ: [لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه] رواه مسلم، وذهبت طائفة إلى جواز ابتدائنا لهم بالسلام وكذلك ردنا عليهم، وهو مذهب: ابن عباس، وأبي أمامة، وابن محيريز، وهو وجه عند الشافعية لكن بلفظ المفرد يقول السلام عليك للواحد، والسلام عليكم للجماعة، بخلاف المسلم فإنه يسلم عليه بلفظ الجمع سواء مفرد أو جماعة، وذهبت جماعة إلى أنه يجوز ابتداؤهم به للضرورة والحاجة، أو لسبب معتبر كمصلحة دينية مرجوة، وهو قول عكرمة والنخعي، وعن الأوزاعي أنه قال: إن سلمت فقد سلم الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون، والأظهر - والله أعلم -: أن المسلم إذا كان في دار الإسلام فإنه يحرم عليه ابتداؤهم بالسلام لقوله ﷺ [لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام]، وغيرهم من الكفار من باب أولى، إلا إذا كان المسلم في دار الكفر بينهم فله أن يسلم عليهم مبتدئاً وراداً، مصانعة لهم ودفعاً للضرر الذي قد يحصل من ترك السلام عليهم، والأولى أن يستعمل كلاماً يفيد التحية غير لفظ السلام - والله أعلم- [1].

---

(١) نظراً لأهمية هذا الموضوع وعلاقته بواقعنا المعاصر أحببت أن أنقل فتوى مركز الإفتاء العام، فتوى رقم (٦٠٦٧) تاريخها ١٦/ ٢/ ١٤٢٢هـ.

[١٩٥/٢٧] المسألة الثالثة: معنى ﴿حَفِيًّا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى الحفي: المكرم المحتفل الكثير البر والألطاف؛ حيث قال ~ : « والحفي: المكرم المحتفل الكثير البر والألطاف، وقال ابن عباس رحيماً[١]، وقال الكلبي: حليماً[٢]، وقال القتبي: باراً[٣]، وقال السدي: حفيك من يهمه أمرك[٤] »[٥].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى ﴿حَفِيًّا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن معنى ﴿حَفِيًّا﴾ أي: مقرباً.

القول الثاني:

أن معنى ﴿حَفِيًّا﴾ أي: مكرماً المحتفل الكثير البر والألطاف وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الزمخشري، والنسفي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي والطاهر بن عاشور)[٦].

القول الثالث:

أن معنى ﴿حَفِيًّا﴾ أي: رحيماً، وهو قول ابن عباس[٧] ومقاتل[٨].

---

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٦).

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٧).

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٦).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٠).

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٨٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٩٢).

(٦) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٦)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٤٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٢٢).

(٧) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٦).

(٨) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٥).

القول الرابع:

أن معنى ﴿حَفِيًّا﴾ أي: عليماً.

القول الخامس:

أن معنى ﴿حَفِيًّا﴾ أي: متعهداً.

القول السادس:

أن معنى ﴿حَفِيًّا﴾ أي: باراً عودني الإجابة إذا دعوته، وقد اختاره: (السمرقندي)[١].

القول السابع:

أن معنى ﴿حَفِيًّا﴾ أي: من يهمه أمرك، وهو قول: السدي[٢].

القول الثامن:

أن معنى ﴿حَفِيًّا﴾ أي: لطيفاً رفيقاً، وهو قول آخر عن: ابن عباس[٣]، وابن زيد[٣]، وقد اختاره: (الفرآء، والطبري، والزجاج، والنحاس، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن كثير، وابن عادل)[٤].

◈ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو أن جميع هذه الأقوال متقاربة وكلٌ عبّر بجزء من

---

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٠).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٨)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٠)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٥٣).

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٩)، جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٨)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٣٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٩٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٧٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٠)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٧٩).

المعنى وذلك:

لمعنى الحفي في اللغة، قال ابن فارس: « الحاء والفاء وما بعدهما معتلٌ ثلاث أصول: المنع، واستقصاء السؤال والحفاء خلاف الانتعال... وأما الأصل الثاني: (فقولهم حفيت إليه في الوصية بالغت، وتحفّيت به: بالغت في إكرامه، وأحفيت: والحفي: المستقصي في السؤال، وقال قوم وهو من باب حَفِيتُ بفلان وتحفّيت إذا عُنِيت به، والحفيّ العالم بالشيء » [1]، وقال الراغب: والحفيُّ: البرُّ اللطيف في قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [2]،[3] وقال أيضاً: « والألطاف بفتح الهمزة جمع لطف بمعنى الرأفة، أو بكسرها مصدر لطف به إذا بره » [3]، قال الشوكاني: «﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ تعليلٌ لما قبلها، والمعنى سأطلب لك المغفرة من الله، فإنه كان بي كثير البّر وللطف، يقال: حفي به وتحفى إذا برّه، قال الكسائي: يقال حفي بي حفاوة وحفوة، وقال الفراء: إنه كان بي حفياً، أي: عالما لطيفاً يجيبني إذا دعوته » [4].

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٨٣).

(٢) سورة مريم: آية ٤٧.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص(٢٤٦).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٦).

قال -تعالى-: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [(١)]، وفيها مسألة واحدة:

[٢٨/١٩٦] المسألة: معنى قوله تعالى: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ أي: أعبد ربي، حيث قال ~: «والأظهر أن قوله: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ معناه وأعبد ربي، كما جاء في الحديث: «الدعاء العبادة»[(٢)] ولقوله: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [(٣)]، ويجوز أن يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾ [(٤)] إلى آخره»[(٥)].

◈ <u>الدراسة والموازنة</u>:

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾، ما المراد بالدعاء الوارد فيها على أقوال:

<u>القول الأول</u>:

أن معنى ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ أي: أعبده سبحانه وحده، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ مستدلا بأن المعنى الدعاء هو العبادة كما في الحديث، وقد اختاره: (الطبري، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل،

---

(١) سورة مريم: آية ٤٨.

(٢) تخريج الحديث: أخرجه الترمذي كتاب التفسير، باب (ومن سورة المؤمن) (٥/ ٣٧٤) وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح، وابن ماجة كتاب الدعاء باب فضل الدعاء (٢/ ١٢٥٨)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٦٧-٢٧١)، والطيالسي في كتاب الأذكار والدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء وآدابه (١/ ٢٥٣)، والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء (١/ ٤٩١)، وابن حبان في باب ما جاء في فضل الدعاء (٨/ ١٣٢)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) سورة مريم: آية ٤٩.

(٤) سورة الشعراء: آية ٨٣.

(٥) البحر المحيط (٦/ ١٨٥).

وأبو السعود، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)[1].

القول الثاني:

أن معنى ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾: أدعوه، وهذا ما ذكره عنه -سبحانه- في سورة الشعراء ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2]، قال الشوكاني: وهذا الذي يساعده السياق والسباق[3]، وقد اختاره:(السمرقندي، والشوكاني)[4].

القول الثالث:

أن معنى ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ هو استدعاء الولد لقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ وهذا القول داخل في القول الثاني.

◈ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن المراد بـ ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾أي: أعبده، وذلك لما يلي:-

١. لأن هذا هو المفهوم من اجتناب غيره -تعالى- من المعبودات وللتغاير بين العبادتين، غاير بين العبارتين ثم عرض شقاوتهم في عبادة آلهتهم[5]، قال الآلوسي: « وذكر بعضهم أنه عبّر بالعبادة أولاً؛ لأن ذلك أوفق بقوله لأبيه: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ

---

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٩)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي(٢١/ ١٩٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٠)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٨٠)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٤٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٢٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨٣).

(٢) سورة الشعراء: آية ٨٣.

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٧).

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٧).

(٥) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١٩).

ءَالِهَتِى﴾ [(١)] مع قوله فيما سبق ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ﴾ [(٢)] وعبّر ثانياً بالدعاء لأنه أظهر في الإقبال المقابل للاعتزال » [(٣)].

٢. لأن الدعاء هو جزء من العبادة فالقول بالعبادة أعم، قال الزمخشري: « المراد بالدعاء العبادة، لأنه منها ومن وسائطها، ومنه قول النبي ﷺ [الدعاء هو العبادة] ويدل عليه قوله -تعالى-: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ » [(٤)]، وقال الطاهر ابن عاشور: « والدعاء العبادة، لأنها تستلزم دعاء المعبود »[(٥)].

---

(١) سورة مريم: آية ٤٦.

(٢) سورة مريم: آية ٤٢.

(٣) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤١٩).

(٤) الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦).

(٥) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٢٢).

قال -تعالى-: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[1] وفيها مسألتان:

[٢٩/١٩٧] المسألة الأولى: معنى ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ أي من الخير الديني والدنيوي من العلم والمنزلة والشرف في الدنيا، والنعيم في الآخرة؛ حيث قال ~: « وقوله ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ قال الحسن: هي النبوة[2]، وقال الكلبي: المال والولد[3]، والأحسن: أن يكون الخير الديني والدنيوي من العلم والمنزلة والشرف في الدنيا والنعيم في الآخرة »[4].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالرحمة في قوله -تعالى-: ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ على أقوال:-

القول الأول:

المراد بالرحمة: النبوة، قاله: الحسن، قال الآلوسي: « ولعل ذكر ذلك بعد ذكر جعلهم أنبياء للإيذان بأن النبوة من باب الرحمة التي يختص بها من يشاء »[5]، وقد اختاره: (الطاهر بن عاشور)[6].

القول الثاني:

المراد بها: المال والولد، وهو قول الكلبي مستدلين بقوله عليه الصلاة والسلام: [نعم المال الصالح للرجل الصالح][7]، وقد اختاره: (السمرقندي، والواحدي، والبغوي،

---

(١) سورة مريم: آية ٥٠.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٠).

(٣) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٨٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٠).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٨٥).

(٥) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٠).

(٦) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٢٥).

(٧) تخريج الحديث: أخرجه أحمد في مسند الشاميين، باب حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى عمرو وقال له: خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتني، فأتاه وهو يتوضأ فصعد فيه النظر ثم ⇐ =

وابن الجوزي، والنسفي، وابن عادل)[1].

القول الثالث:

المراد بها: الكتاب.

القول الرابع:

المراد بالرحمة: أنها عامة لكل خير ديني ودنيوي أوتوه مما لم يؤت أحداً من العالمين، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الطبري، والزمخشري، وابن عطية والفخر الرازي، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي)[2].

= طأطأ فقال: [أني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رقبة صالحة، قال قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ، فقال يا عمرو: [نعم المال الصالح للمرء الصالح] وفي رواية [نعم المال الصالح للرجل الصالح]، قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه: إسناده صحيح على شرط مسلم (٤/ ١٩٧)، (٤/ ٢٠٢)، وقال أبو حاتم: (الطريقان جميعاً محفوظان عن عمرو)، انظر صحيح ابن حبان (٨/ ٦)، (٨/ ٧)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي انظر المستدرك (٢/ ٣)، (٢/ ٢٥٧)، وقال الألباني: (صحيح)، انظر صحيح الأدب المفرد ص(١١٢).

(١) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٦)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٨٠).

(٢) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٩)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٩٧)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٤٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨٣).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن المراد بالرحمة هي: أنها عامة لكل خير ديني ودنيوي أوتوه مما لم يؤت أحداً من العالمين، وذلك لما يلي:-

١. لأن القول بالعموم أولى فجميع ما ذكر داخل في معنى الرحمة، قال الشوكاني: «﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ بأن جعلناهم أنبياء، ذكر هذا التصريح بجعلهم أنبياء لبيان أن النبوة هي من باب الرحمة، وقيل المراد بالرحمة هنا: المال، وقيل الأولاد، وقيل: الكتاب ولا يبعد أن يندرج تحتها جميع هذه الأمور »[1].



(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٧)، وانظر مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ١٩٧).

[٣٠/١٩٨] المسألة الثانية: المراد بلسان الصدق.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بلسان الصدق هو الثناء الحسن الباقي عليهم آخر الآبد؛ حيث قال ~ : « ولسان الصدق: الثناء الحسن الباقي عليهم آخر الأبد، قاله ابن عباس[(١)] وعبر باللسان كما عبر باليد مما يطلق باليد وهي العطية، واللسان في كلام العرب الرسالة الرائعة كانت في خير أو شر، قال الشاعر:

إِنِّـي أَتَتنِـي لِسَـانٌ لاَ أُسَـرُّ بِهَـا[(٢)]

وقال آخر:

نَدِمْـتُ عَـلَى لِسَـانٍ كَـانِ منِـي[(٣)]

ولسان العرب: لغتهم وكلامهم، استجاب الله دعوته ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾[(٤)] فصيّره قدوة حتى عظمة أهل الأديان كلهم وادّعوه، وقال -تعالى-:

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٩)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٠)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٥٣).

(٢) البيت لأعشى باهلة واسمه عامر بن الحارث، وتمام البيت:

إني أتتني لِسانٌ لا أَسَرُ بها   مِنْ عَلْوَ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ

واللسان هنا بمعنى: الرسالة والمقالة، انظر جمهرة أشعار العرب ص(١٣٥)، وفي تاج العروس: وأما أعشى باهلة (من علو) فيروى بضم الواو وفتحها وكسرها، أي أتاني خبر من أعالي نجد أ.هـ ص(٨١٦٥)، وفي جمهرة أشعار العرب: السخر: الاستهزاء، قال الشيخ محمود شاكر في تعليقه على الطبري: « وقد استشهد المؤلف بالبيت على أن اللسان قد يجيء بمعنى الثناء مع أن اللغويين فسروه بمعنى الخبر أو المقالة أ.هـ، جامع البيان (١٦/ ١١٠) هامش.

(٣) البيت من شعر الحطيئة وتمامه:

ندمت على لسانٍ فات مِنّي   فَلَيْتَ بأنه في جَوف عَكْمِ

انظر لسان العرب (١٣/ ٣٨٥)، والعكم: العدل، ودلّ بقوله [كان مني] على أن اللسان الكلام.

(٤) سورة الشعراء: آية ٨٤.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[(١)] ولقوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾[(٢)] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[(٣)] وأعطى ذلك ذريته فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم، كما أعلى ذكره وأثنى عليه »[(٤)].

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بلسان الصدق الذي أوتوه إبراهيم وبنيه عليهم الصلاة والسلام، على أقوال:

القول الأول:

أن المراد به: أنا جعلنا لهم ذكراً جميلاً وثناءً حسناً، قاله ابن عباس، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الفراء، والطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)[(٥)].

---

(١) سورة الحج: آية ٧٨.

(٢) سورة البقرة: آية ١٣٥.

(٣) سورة النحل: آية ١٢٣.

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٨٥)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٩٢).

(٥) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٩)، جامع البيان للطبري (١٦/ ١٠٩)، معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٣٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٣٦)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ١٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٩٧)، الجامع للقرطبي (١١/ ٧٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣١)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٨٠)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٤٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٧) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٠)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٢٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨٣).

القول الثاني:

أن المراد به: ما يتلى في التشهد (كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم) [1] وهو داخل في القول الأول[1].

القول الثالث:

أن المراد بلسان الصدق: أنا جعلناهم رسلاً كراماً على الله، ذكره الماوردي[2].

القول الرابع:

أن المراد به: أنهم كانو أوفياء بالمواعيد والعهود، وذكره الماوردي[2].

◈ الترجيح:

الراجح – والله تعالى أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن المراد بلسان الصدق في قوله –تعالى–: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ هو الذكر الجميل والثناء الحسن وذلك لما يلي:–

١. لدلالة اللغة على ذلك قال ابن فارس: « اللام والسين والنون، أصل صحيح واحد يدل على طول لطيف غير بائن في عضو أو غيره، من ذلك اللسان، وقد يعبّر بالرسالة عن اللسان، واللّسن: جودة اللسان والفصاحة، واللسن: اللغة، يقال لكل قوم لسن أي: لغة » [3]، وقال ابن منظور: « وإن أردت باللسان اللغة أنثنت، يقال فلان يتكلم بلسان قومه، قال اللحياني اللسان في الكلام يذكر ويؤنث، يقال إن لسان الناس عليك لحسنة وحسن، أي: ثناؤهم، وقال ابن سيده: واللسان: الثناء وقوله ﷻ: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾[4] معناه اجعل لي ثناءً حسناً باقياً إلى آخر الدهر » [5]، قال أبو السعود:

---

(١) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٠).

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٥).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٢٤٦).

(٤) سورة الشعراء: آية ٨٤.

(٥) لسان العرب (١٣/ ٣٨٥).

«وإضافته إلى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل»[1].

٢. هذا القول مما أجمع عليه المفسرون، وتفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[2].

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٤٥)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٠).

(٢) انظر قواعد الترجيح (١/ ٢٨٨).

قال -تعالى-: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ (١)، وفيها ثلاث مسائل:

[٣١/١٩٩] المسألة الأولى: معنى قوله - تعالى -: ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن الأيمن صفة للجانب لا للجبل؛ حيث قال ~: «والظاهر أن ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ صفة للجانب لقوله -تعالى- في آية آخرى ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾(٢) بنصب الأيمن نعتاً لـ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ﴾ والجبل نفسه لا يمنة له ولا يسرة، ولكن كان على يمين موسى بحسب وقوفه فيه، وإن كان من اليمين احتمل أن يكون صفة للجانب، وهو الراجح ليوافق ذلك في الآيتين، واحتمال أن يكون صفة للطور، إذ معناه الأسعد المبارك»(٣).

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى الأيمن في قوله -تعالى-: ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ على أقوال:-

القول الأول:

أن معنى الأيمن صفة للجانب أي: نادينا موسى من ناحية الجبل، ويعني بالأيمن: يمين موسى، لأن الجبل لا يمين له ولا شمال، وإنما ذلك كما يقال: قام عن يمين القبلة وعن شمالها، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره من المفسرين: (الفراء، والطبري، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والقرطبي والنسفي، والسمين الحلبي، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي، والمراغي)(٤).

---

(١) سورة مريم: آية ٥٢.

(٢) سورة طه: آية ٨٠.

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ١٨٨)، انظر النهر الماد (٦/ ١٩٨).

(٤) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٦٩)، جامع البيان للطبري (١٦/ ١١٠)، =

القول الثاني:

أن الأيمن صفة للجانب والطور، إذ اشتقاقه من اليُمن والبركة.

القول الثالث:

أن لفظ الأيمن يحتمل المعنيين، أي: إما أن يكون بمعنى من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه السلام، أو جانبه الميمون، من اليمن، والبركة، ولا مانع من احتمال المعنيين إذ لا تعارض في ذلك وقال بهذا بعض المحققين من المفسرين: (الزمخشري، والبيضاوي، والفخر الرازي، وأبو السعود، والشهاب الخفاجي، والقونوي، والشنقيطي، والسعدي)[1].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن معنى الأيمن يحتمل المعنيين من الأيمن ضد الأيسر، ومن اليمن والبركة ضد الاشأم وذلك لأن القرآن حمال ذو وجوه ولا مانع من إيراد المعنيين، فقد يراد بالأيمن ضد الأيسر أي: من يمين موسى عليه السلام، إذ الجبل والوادي لا يمنة له ولا ميسرة وكما تقول العرب قام عن يمين القبلة وعن شمالها وبهذا لا يتوافق مع قوله -تعالى-: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾[2]

= بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٧)، الجامع للقرطبي (١١/ ٧٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٦٠٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣١)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٨١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٢٨)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨٣)، تفسير المراغي (٦/ ٥١).

(١) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٧)، أنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٢٠)، مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ١٩٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٤٥)، وحاشية الشهاب (٦/ ٢٨٣)، حاشية القونوي (١٢/ ٢٤٨)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٨٩)، تيسير الكريم المنان للسعدي (٣/ ١٧٨).

(٢) سورة طه: آية ٨٠.

وقد يراد به اليُمن والبركة كما في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ ﴾[1] لأن تلك البلاد بارك الله فيها[2].

(١) سورة القصص: آية ٣٠.

(٢) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٨٩) باختصار.

[٣٢/٢٠٠] المسألة الثانية : معنى التقريب في قوله -تعالى- : ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ .

رجح أبو حيان ~ أن التقريب في الآية تقريب التشريف، والكلام، واليوم، لا تقريب مكان؛ حيث قال ~ : ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ قال الجمهور: تقريب التشريف والكلام و[النبوة][١]: وقال ابن عباس: ادنى موسى من الملكوت ورفعت له الحجب، حتى سمع صريف الأقلام[٢] وقاله: أبو العالية[٣][٤]، وميسرة[٥][٦]، وقال سعيد بن جبير[٧]: أردفه جبريل عليه السلام، قال الزمخشري شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمهُ بغير واسطة ملك انتهى[٨][٩]، وقال في النهر « هو: تقريب مكانه، وتشريف، لا مكان »[١٠].

---

(١) و في المطبوع (اليوم) .

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١١)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٣٧)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٦)، المحرر الوجيز لابن عطيه (٤/ ٢٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٨)، الجامع للقرطبي (١١/ ٧٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣١)، الدرر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٥٤)، وصححه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٥)، ووافقه الذهبي في التلخيص، وفي مصنف ابن أبي شيبه (٦/ ٣٣٥)، وفي السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٥٣٢)، وقال الشيخ محمد بن سعيد القحطاني: إسنادة حسن.

(٣) عبد الله بن سلمه الهمداني، الكوفي، أبو العاليه، من كبار أصحاب علي رضي الله عنه شهد معه الجمل وصفين. انظر طبقات ابن خياط ص(١٤٧)، تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٣٠٦).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٩٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٥٣).

(٥) ميسرة بن حبيب النهدي، أبو حازم الكوفي، من كبار التابعين، روى البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي. انظر تهذيب الكمال للحافظ المزي (٢٩/ ١٩٢)، التقريب للحافظ بن حجر (١/ ٥٥٥).

(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٠)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٥٣).

(٧) هو سعيد بن جبير فقد اخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه أن جبرائيل أردفه حتى سمع صرير القلم والتوراة تكتب له. انظر: المحرر الوجيز لابن عطيه (٤/ ٢٠)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٥٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٢).

(٨) الكشاف(٤/ ٢٧).

(٩) البحر المحيط (٦/ ١٨٨).

(١٠) النهر الماد (٦/ ١٩٨).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى التقريب في قوله تعالى ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾، على أقوال:

القول الأول:

أنه تقريب مكانه، فقد رفع الله قدره، وشرفه بالمناجاة؛ لأن استعمال القرب في الله، لا يراد به إلا المنزلة كما يقال في العبادة تقرُّب، وفي الملائكة عليهم الصلاة والسلام أنهم مقربون، وقاله: ابن بحر[١] والقاضي عبدالجبار[٢] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره من المفسرين: (الزجاج، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني والطاهر بن عاشور، والمراغي)[٣].

القول الثاني:

أنه تقريب مكان، يقول -تعالى- ذكره: وأدنيناه مناجياً كما يقال: فلان نديم فلان ومنادمه، وجليس فلان ومجالسه، وذكر عن: ابن عباس[٤]، ومجاهد[٥]، وأبو العالية[٤]، وميسره[٤]، أن الله -جل ثناؤه- أدناه، حتى سمع صريف القلم، وقد اختاره: (الطبري، والبغوي، وابن كثير، والآلوسي، والشنقيطي)[٦].

---

(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٦).

(٢) انظر مفاتيح الغيب للرازي (٢١/ ١٩٨).

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٣). المحرر الوجيز لابن عطيه (٤/ ٢٠)، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٩٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٦)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ٨١)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٤٥) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٨/ ١٢٨) تفسير المراغي (٦/ ٥١).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٨٠٣ .

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١١)، تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٣١)الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٥٤)، قال الإمام الذهبي: « وهذا ثابت عن مجاهد إمام التفسير أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ص(١٣٢). انظر العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ص(١٨٢)، وقال الألباني، صحيح انظر مختصر العلو ص(٧٥).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣١)، روح المعاني للالوسي (٨/ ٤٢٢) أضواء البيان للشنقيطي(٢/ ٤٩٠).

❖ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن معنى التقريب في قوله –تعالى-: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ أنه تقريب مكان ومكانة فقد صح الخبر عن ابن عباس ومجاهد وبعض السلف بأن موسى عليه السلام قد نال شرف التقريب كما ناله محمد – ﷺ – [(١)]، فقد ورد عن مجاهد في قوله: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ أنه قال: (بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب فما زال موسى عليه السلام يقرب حتى كان بينه وبينه حجاب، فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم (قال ربِ أرني أنظر إليك) رواه البيهقي في الأسماء والصفات، وأبو الشيخ في العظمة، وقال الذهبي: هذا ثابت عن مجاهد إمام التفسير) [(٢)].

فاجتمع لموسى عليه السلام معنى: الإخلاص، والتقريب، والوجاهة، والاجتباء، والهداية، والنبوة، والرسالة، والتكليم – ...

قال الشيخ صالح الفوزان[(٣)] في شرح الواسطية: " وقربناه أي: أدنيناه حتى كلمناه (نجيا). أي: مناجياً والمناجاة ضد المناداة، وفي الآية الكريمة إثبات الكلام لله – تعالى– وأنه ينادي ويناجي وهما نوعان من الكلام، فالمناداة بصوت مرتفع. والمناجاة بصوت غير مرتفع "[(٤)].



(١) انظر صحيح البخاري كتاب الصحاح، باب كيف فُرضت الصلوات في الإسراء (١/ ١٣٥).

(٢) انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص١٣٢، وقال الألباني: صحيح. انظر مختصر العلو ص٧٥.

(٣) صالح بن فوزان بن عبدالله آل الفوزان، عضو في اللجنة الدائمة للإفتاء والبحوث العلمية، وعضو في هيئة كبار العلماء، وعضو في المجمع الفقهي بمكة التابع للرابطة، وعضو في لجنة الإشراف على الدعاة في الحج، له العديد من المؤلفات منها: الملخص الفقهي، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، وشرح العقيدة الواسطية، وغيرها. هذه الترجمة نقلاً عن موقع الإفتاء التابع للجنة الدائمة للبحوث العلمية و الإفتاء بالمملكة . ومن موقع الشيخ حفظه الله .

(٤) انظر شرح الواسطية للشيخ صالح الفوزان ص١١٣.

[٢٠١/٣٣] المسألة الثالثة: معنى ﴿نَجِيًّا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن نجياً من المناجاة، وهي: المسارة بالقول؛ حيث قال ~ : « ونجيّ: فعيل من المناجاة، بمعنى: مناج، كالجليس وهو المنفرد بالمناجاة، وهي: المسارة بالقول، وقال قتادة: معنى نجاه: صدقه[(١)] » [(٢)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى نجيا على أقوال:

القول الأول:

أن نجي على وزن « فعيل » من المناجاة، وهي: المساراة بالقول، وقال قطرب: أنه مأخوذ من النجوى، والنجوى لا تكون إلا في الخلوة[(٣)]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره من المفسرين: (الواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي) [(٤)].

القول الثاني:

معناه: نجا بصدقه، وهو قول قتادة، وقد رده ابن عطية وقال: « وهذا مختل،

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١١)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٥٢).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٨٨)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٩٨).

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٢/ ٣٧٦).

(٤) انظر ذلك على الترتيب التالي: الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٩٨)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٨١) الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٤٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٢٨)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٩٠).

وإنما النجي المنفرد بالمناجاة »[1]، وقال الآلوسي عن قول قتادة: « ولا يخفى بعده »[2].

القول الثالث:

معناه أي: انجيناه من أعدائه، ذكره الفخر الرازي[3].

القول الرابع:

أن نجياً من النجو وهو الارتفاع، فيكون معناه: مرتفعاً لما روي أنه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم[4].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من جمهور المفسرين بأن معنى ﴿نَجِيًّا﴾ هو من المناجاة وهي: المسارة بالقول، وذلك:

● لأن أصل النجي من التناجي، قال ابن فارس: « (نجو) النون والجيم والحرف المعتل أصلان، يدل أحدهما على كشط وكشف، والآخر على ستر وإخفاء... والأصل الآخر النجو والنجوى: السِرُ بين اثنين، وناجيته، وتناجوا، وانتجوا، وهو نَجِي فلان، والجمع أنجية. ونجوته: ناجيته، وانتجيته: اختصصته بمناجاتي »[5]، قال السعدي ~ : « والفرق بين النداء والنجاء، أن النداء هو: الصوت الرفيع، والنجاء: مادون ذلك، وفي هذا إثبات الكلام لله -تعالى- وأنواعه، من النداء، والنجاء كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً لمن أنكر ذلك من الجهمية، والمعتزلة، ومن نحا نحوهم »[6].

---

(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٠).

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٢).

(٣) انظر مفاتيح الغيب (٢١/ ١٩٨).

(٤) انظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٤٦)، حاشية الشهاب الخفاجي (٦/ ٢٨٤)، حاشية القونوي (١٢/ ٢٤٩).

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٩٩).

(٦) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٧٨).

قال -تعالى-: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[٣٤/٢٠٢] المسألة: المراد بإسماعيل المذكور في الآية.

رجح أبو حيان ~ ما رجحه جمهور المفسرين بأن المراد بإسماعيل المذكور في الآية هو إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام -؛ حيث قال ~ : « وإسماعيل هو ابن إبراهيم أبو العرب يمنيها ومضريها، وهو قول الجمهور، وقيل: إنه إسماعيل بن حزقيل، بعثه الله إلى قومه فشجوا جلدة رأسه، فخيره الله فيما شاء من عذابهم، فاستعفاه ورضي بثوابه، وفوض أمرهم إليه في عفوه وعقوبته »[2].

❖ **الدراسة والموازنة**:

اختلف المفسرون في المراد بإسماعيل المذكور في الآية على قولين:

القول الأول:

أن المراد به هو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام أبو العرب يمنيها ومضريها، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وهو قول جمهور المفسرين، وممن نص على ترجيحه: (الطبري، والبغوي، وابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والقاسمي)[3].

---

(١) سورة مريم: آية ٥٤.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٨٨)، وانظر النهر الماد (٦/ ١٩٨).

(٣) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١١٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٠)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٩٨)، الجامع للقرطبي (١١/ ٧٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٢)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٤٦)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٢٩)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨٤).

القول الثاني:

أن المراد به هو: اسماعيل بن حزقيل، وذكره: (الماوردي، والقرطبي، والشوكاني، والآلوسي) [١]، قال الآلوسي: « وروى ذلك الأمامية عن أبي عبدالله رضي الله عنه، وغالب الظن أنه لا يصح عنه » [٢].

❖ **الترجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ وجمهور المفسرين بأن المراد بإسماعيل هو ابن إبراهيم عليهما السلام وذلك لما يلي:-

١. أن هذا القول هو قول جمهور المفسرين، وتفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[٣]، قال الشوكاني: « والمراد بإسماعيل هنا هو إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام- ولم يخالف في ذلك إلا من لا يعتد به » [٤].

٢. سبب فصل ذكر إسماعيل عليه السلام لا مظنة أنه نبيٌّ آخر اسمه إسماعيل، وإنما خصه بالذكر تنبيهاً على جدارته بالاستقلال بالذكر عقب ذكر إبراهيم وإسحاق -عليهما السلام-، فإسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم عليه السلام، وشريكه في بناء الكعبة، فوصفه بأنه صادق الوعد ورسولاً نبياً وغير ذلك من الصفات، وقال أبو السعود العمادي: « فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه لإبراز كمال الاعتناء بأمره، بإيراده مستقلاً » [٥].

---

(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٧)، الجامع للقرطبي (١١/ ٧٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤١٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٢).

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٢).

(٣) انظر قواعد الترجيح للحربي (١/ ٢٨٨).

(٤) فتح القدير (٣/ ٤١٨).

(٥) إرشاد العقل السليم (٤/ ٢٤٦).

قال -تعالى-: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾[(١)]، وفيها مسألة واحدة:

[٣٥/٢٠٣] المسألة: المراد بالأهل.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالأهل في قوله -تعالى-: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ هم: أهل الرجل وخاصته؛ حيث قال ~: «﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ قال الحسن: قومه وأمته[(٢)]، وفي مصحف عبدالله: (وكان يأمر قومه)[(٣)]، وقال الزمخشري: كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن ورآءهم، ولأنهم أولى من سائر الناس، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[(٤)]، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾[(٥)]، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[(٦)]، ألا ترى أنهم أحق بالتصدق عليهم فالإحسان الديني أولى من سائر الناس، وقيل: ﴿أَهْلَهُۥ﴾ أمته كلهم من القرابة وغيرهم، لأن أمم النبيين في عداد أهاليهم، وفيه أن حق الصالح أن لا يألو نصحاً للأجانب فضلاً عن الأقارب والمتصلين به وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك انتهى»[(٧)]،[(٨)]، وقال في النهر: «وكان يبدأ بأهله في الأمر بالاصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى من سائر الناس»[(٩)].

---

(١) سورة مريم: آية ٥٥.

(٢) انظر الجامع للقرطبي (١١/ ٧٧)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٢).

(٣) و في الجامع للقرطبي (١١/ ٧٨)، [وكان يأمر أهله جرهم وولده بالصلاة والزكاة].

(٤) سورة الشعراء: آية ٢١٤.

(٥) سورة طه: آية ١٣٢.

(٦) سورة التحريم: آية ٦.

(٧) الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨).

(٨) البحر المحيط (٦/ ١٨٨).

(٩) انظر النهر الماد (٦/ ١٩٨).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالأهل في قوله -تعالى-: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾، على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بأهله: قومه وأمته، لأن أهل كل نبي أمتُهُ، واستدل أصحاب هذا القول بقراءة عبدالله بن مسعود: (وكان يأمر قومه)، وقد اختاره: (الزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والنسفي، والقرطبي، والطاهر بن عاشور) [1].

القول الثاني:

أن المراد بأهله: أهله خاصة، وكان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم، كما قال -تعالى-: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [2] وقوله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [3] وقوله: ﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [4] وأيضاً فهم أحق أن يتصدق عليهم فوجب أن يكونوا بالإحسان الديني أولى، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الزمخشري، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والآلوسي، والقاسمي، والسعدي) [5].

---

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٣٣)،، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٧٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢١٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٧٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٧٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٢٩).

(٢) سورة الشعراء: آية ٢١٤.

(٣) سورة طه: آية ١٣٢.

(٤) سورة التحريم: آية ٦.

(٥) انظر ذلك على الترتيب التالي: الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٢)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ٨٢) الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٤٦)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٢)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨٤)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٧٩).

القول الثالث:

أن المراد بأهله: قومه وأمته إذا حمل الأمر على المفروض من الصلاة والزكاة، وأما إذا حُمل الأمر على الندب فيهما كان المراد به الأقرب من الأهل كما كان يتهجد بالليل ويأمر أهله، أي: من كان في داره وأهل بيته وهذا ما اختاره: (الفخر الرازي) [(١)].

◈ الترجيـــــح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما جحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن المراد بالأهل في قوله -تعالى-: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾ هم: أهله وخاصته وذلك لما يلي:-

١. لأنه ظاهر القرآن، والقول بأن الأنبياء آباء الأمم، تشبيه بليغ ولكنه خلاف الظاهر.

٢. أن هذا من الثناء الجميل والصفة الحميدة والخلة السديدة لإسماعيل ﵇ ولكل من سار على دربه، حيث كان صابراً على طاعة ربه ﷻ آمراً بها لأهله، كما قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾[(٢)] وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[(٣)]، قال ابن كثير ~ : « أي مروهم بالمعروف، وانهوهم عن المنكر، ولا تدعوهم هملاً فتأكلهم النار يوم القيامة، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: [رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى

---

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ١٩٩).

(٢) سورة طه: آية ١٣٢.

(٣) سورة التحريم: آية ٦.

نضحت في وجهه الماء][1] وقال رسول الله ﷺ: [إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات[2]][3].

---

(١) تخريج الحديث: أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب قيام الليل (١/ ٤١٨)، وقال الألباني: حسن صحيح، وأخرجه النسائي كتاب قيام الليل، وتطوع النهار، باب الترغيب في قيام الليل (٣/ ٢٠٥)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) تخريج الحديث: أخرجه ابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل (١/ ٤٢٣)، وقال الألباني: صحيح. وأخرجه ابن حبان في كتاب الصلاة، باب النوافل (٦/ ٣٠٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٢)، وانظر حاشية القونوي (١٢/ ٢٥١).

قال -تعالى-: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[1]، وفيها أربع مسائل:

[٣٦/٢٠٤] المسألة الأولى: المراد بالخَلْفْ.

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالخَلْف[2] هم اليهود والنصارى أصحاب الكتاب؛ حيث قال ~ : « وذكر -تعالى- أنه خَلَف بعد هؤلاء -الأنبياء- خَلْف، وهم اليهود والنصارى أصحاب الكتاب؛ لأن غيرهم لا يقال فيهم أضاعوا الصلاة، إنما يقال ذلك فيمن كانت له شريعة، فرض عليهم فيها الصلاة بوحي من الله -تعالى- »[3].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بهؤلاء الخَلْف على أقوال.

القول الأول:

أنهم: اليهود، رواه الضحاك عن: ابن عباس[4]، وهو قول: مقاتل[5]، واختاره: (الزمخشري، والنسفي)[6].

---

(١) سورة مريم: آية ٥٩.

(٢) الخَلْفُ أي: عقب، وبعض اللغويين يستعملون الخلْف بسكون اللام كما هنا في الشر، فيقال: خلْف سوء، وبفتحها في الخير، فيقال: خَلَف صالح، قال الزمخشري: خلفه: إذا عقبه، ثم قيل في عقب الخير: خلَف بالفتح، وفي عقب السوء خلْف بالسكون، كما قالوا: وعد في ضمان الخير، ووعيد في ضمان الشر. انظر الكشاف (٤/ ٣٢)، وقال اللحياني: الخَلَف - بفتحتين: الولد الصالح، والخلْف: بفتح فسكون الردي، انظر لسان العرب (٩/ ٨٢)، أعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش (٤/ ٦٢١).

(٣) انظر البحر المحيط (٦/ ١٩٢)، انظر النهر الماد (٦/ ٢٠٠).

(٤) انظر الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨١)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٦).

(٥) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٩)، الوسيط للواحدي (٣/ ٧٨٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٩).

(٦) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٢)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٨).

القول الثاني:

أنهم: اليهود والنصارى، وقاله السدي[١]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (السمرقندي) [٢].

القول الثالث:

أنهم: من أمة محمد ﷺ، يأتون عند أصحاب صالحي هذه الأمة يتبارون بالزنا، ينزو بعضهم على بعض في الأزقة زناة، قاله مجاهد[٣] وقتادة[٤] ويستدل أصحاب هذا القول بما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ: يكون بعد ستين سنة[٥] ﴿خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية، وضعّفه الشيخ الشنقيطي وقال: « وكونهم من أمة محمد ليس بوجيه عندي، لأن قوله -تعالى-: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ صيغة تدل على الوقوع في زمن الماضي، ولا يمكن صرفها إلى المستقبل إلا بدليل يجب الرجوع إليه » [٦]، واختار هذا القول:(القرطبي، وابن كثير) [٧].

---

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٦٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٦).

(٢) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٠).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨١)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٢)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٦٣).

(٤) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٩)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨١).

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨)، والحاكم (٢/ ٤٠٦)، (٤/ ٥٩٠)، وصححه، ووافقه الذهبي، وأخرجه وابن حبان (٢/ ٦٧)، والبخاري في التاريخ (٨/ ١٥١)، وزاد السيوطي نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٣٣)، وقال شعيب الأرنؤوط في مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إسناده حسن.

(٦) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٩٦).

(٧) انظر الجامع للقرطبي (١١/ ٨٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٥).

القول الرابع:

أن المراد بالخَلْف: كل من كفر وعصى من بعد بني اسرائيل، وقال ابن عطية: « ويكون في هذه الأمة من هذه صفته لا أنهم المراد بهذه الآية » (1)، فيكون العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد اختاره: (ابن عطية، والآلوسي، والطاهربن عاشور، والشنقيطي، والمراغي) (٢).

◈ الترجيـــــح:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن المراد بالخَلْف هم كل من كفر وعصى من بعد اسرائيل وأضاع الصلاة وأتبع الشهوات وذلك لما يلي:-

١. القول بالعموم أولى، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال الشنقيطي: « والظاهر أنهم: اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين خلفوا أنبيائهم وصالحيهم قبل نزول الآية، فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وعلى كل حال فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يدخلون في الذم والوعيد المذكور في هذه الآية » (٣).



(١) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٢).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٨/ ١٣٤)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٩٦)، تفسير المراغي (٦/ ٥٧).

(٣) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٩٦).

[٣٧/٢٠٥] المسألة الثانية: معنى إضاعة الصلاة.

رجح أبو حيان ~ أن معنى إضاعة الصلاة: تأخيرها عن وقتها؛ حيث قال ~ : « وإضاعة الصلاة: تأخيرها عن وقتها، قاله ابن مسعود(١) والنخعي(١) والقاسم بن مُخَيْمَرة(٢)،(٣)، ومجاهد(٤) وعمر بن عبدالعزيز(٥)، واختاره القرظي(٦)،(٧) وقال الزجاج، إضاعتها: الإخلال بشروطها(٨)، وقيل: إقامتها في غير الجماعات، وقيل: عدم اعتقاد وجوبها، وقيل: تعطيل المساجد، والاشتغال بالضائع والأسباب »(٩).

---

(١) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١٥)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٦٣).

(٢) القاسم بن مُخَيْمَرة الهمداني، الكوفي، نزيل الشام، ثقة فاضل مات سنة ١١ هـ، كان من العلماء العاملين، انظر تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٢)، تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٤٢)، تقريب التهذيب (١/ ٤٥٢).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٢)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٤٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٦٣).

(٤) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٦)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٩٦).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٢)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٩)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨١)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٦٣).

(٦) محمد بن كعب القرظي: حليف الأنصار، تابعي مشهور، ولد في زمن النبي ﷺ ومات سنة ١٠٨هـ وقيل ١١٦هـ. انظر الإصابة لابن حجر (٦/ ٣٤٥)، الكاشف (٢/ ٢١٣).

(٧) قال القرضي: أضاعوها: تركوها، انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١٦)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٢)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٢)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٦٣).

(٨) و الذي وجدته في معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٥) أن معنى أضاعوها أي: تركوها.

(٩) انظر البحر المحيط (٦/ ١٩٠)، وانظر النهر الماد (٦/ ٢٠٠).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بإضاعة الصلاة في قوله -تعالى-: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ على أقوال منها:-

القول الأول:

أن معنى إضاعة الصلاة: تأخيرها عن وقتها، وقال القاسم بن مُخَيْمَرة: أخروها عن وقتها ولو تركوها لكفروا، وهو قول: ابن مسعود، والنخعي، والقاسم بن مُخَيْمَرة، ومجاهد وعمر بن عبدالعزيز، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ تعالى في البحر، وأكده في النهر[1]، وقد اختاره من المفسرين: (السمرقندي، والجصاص، والماوردي، والواحدي والآلوسي)[2].

القول الثاني:

أن المراد بإضاعتها: تركها بالكلية، وهو قول القرظي[3]، واستدل أصحاب هذا القول بالسياق، فقالوا: يشهد له ما بعده فقوله -تعالى-: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[4] يدل على أنهم كانوا على غير ذلك، ولو كانوا مؤمنين لم يستثن منهم من آمن، ولكنهم كانوا كفار لا يصلون لله ولا يؤدون له فريضة، فسقة قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله، وقد اختار هذا القول: (الطبري، والزجاج، والواحدي، والبغوي، والزمخشري والفخر الرازي، البيضاوي، والنسفي، وابن كثير، وأبو السعود، وابن عادل)[5].

---

(١) انظر البحر المحيط (٦/ ١٩٠)، النهر الماد (٦/ ٢٠٠).

(٢) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٠)، أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٨٤)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٦).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٨١٧ .

(٤) سورة مريم: آية ٦٠.

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١٦)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٢٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٢٤١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٣٩)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٢)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٠١)، أنوار التنزيل للبيضاوي (٤/ ٣٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٤)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٤٨) ، اللباب لابن عادل (١٣/ ٨٧).

القول الثالث:

أن لفظ الإضاعة يشمل كل ذلك، فمن تركها، أو أخرها عن وقتها، أو أخل بأركانها وشروطها، وواجباتها، أو عطلها عن المساجد فقد ضيعها، وقد اختاره: (القرطبي، وابن تيمية، وابن القيم، والشوكاني، والشنقيطي) [١].

◈ **الترجيح**:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن إضاعة الصلاة تشمل كل الأقوال التي ذكرها المفسرون وذلك لما يلي:-

- لأن لفظ الإضاعة يشمل كل ذلك، فمن تركها أو أخرها عن وقتها أو أخل بأركانها وشروطها وواجباتها أو عطلها عن المساجد فقد ضيعها، قال الشوكاني: « والظاهر أن من أخّر الصلاة عن وقتها أو ترك فرضاً من فروضها أو شرطاً من شروطها أو ركناً من أركانها فقد أضاعها، ويدخل تحت الإضاعة من تركها بالمرة وجحدها دخولاً أولياً » [٢].

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٨٢)، الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ٢٣٥)، بدائع التفسير (٣/ ١٤٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٤٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٩٤٦).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٤٢).

[٣٨/٢٠٦] المسألة الثالثة: معنى ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾.

رجح أبو حيان أن معنى ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ عام في كل مشتهى يشغل عن الصلاة وذكر الله؛ حيث قال ~ : « والشهوات عام في كل مشتهى يشغل عن الصلاة وذكر الله، وعن علي[١] من بنى الشديد، وركب المنظور، ولبس المشهور »[٢].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ في الآية على أقوال منها:

القول الأول:

أن معنى ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: شرب الخمور، واستحلال الزنا، وقاله أبو سليمان الدمشقي[٣] وقد اختاره: (السمرقندي، والواحدي، والبغوي)[٤].

القول الثاني:

أن معناه: الانشغال بالدنيا. كما جاء عن علي ﷺ من بني الشديد، وركب المنظور، ولبس المشهور[١]، واختاره: (الزمخشري)[٥].

القول الثالث:

أن ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: عامٌ في كل مشتهى يشغل عن الصلاة وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (ابن عطية، والقرطبي، والشوكاني، والآلوسي)[٦].

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٣)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٤) مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٧)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٩٦).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٩٠)، وانظر النهر (٦/ ٢٠٠).

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٢).

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٠)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٨)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٠).

(٥) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٣).

(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٢)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٤)، فتح القدير الشوكاني (٣/ ٤٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٧)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٩٦).

◈ **التـرجيـــــح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- أن ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ عام في كل مشتهى يشغل عن الصلاة وذلك:

١. لأن اسم الجنس المعرف بأل ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ من صيغ العموم؛ والحمل على العموم أولى، مالم يرد نص بالتخصيص[١]. قال ابن عطية: « والشهوات عموم، وكل ماذكر من ذلك فمثال »[٢].

٢. قال القرطبي: « الشهوات عبارة عما يوافق الانسان ويشتهيه ويلائمه ولا يتقيه، وفي الصحيح: [حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات][٣]. وماذكر عن: علي ﵁، جزء من هذا »[٤].



(١) قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٢).

(٣) تخريج الحديث: أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/ ٢١٧٤)، وأخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة باب حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (٤/ ٦٩٣)، وقال أبو عيسى، هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه صحيح. وقال الألباني: صحيح.

(٤) الجامع للقرطبي (١١/ ٨٤).

[٣٩/٢٠٧] المسألة الرابعة : معنى الغي :

رجح أبو حيان ~ أن معنى غياً في قوله -تعالى-: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[١] أي: شراً، وذلك لأن معنى الغي عند العرب هو الشر، والرشاد: كل خير؛ حيث قال ~ : «الغي عند العرب: كل شر، والرشاد: كل خير، قال الشاعر:

فَمَنْ يَلْقَ خَيراً تحمْدِ الناسُ أَمرَهُ ... وَمَنْ يَغْوَ لا يعْدِمْ على الغيِّ لائِماً[٢]

وقال الزجاج: هو على حذف مضاف أي: جزاء غي كقوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾[٣]، أي: مجازاة آثام[٤]، وقال ابن زيد: الغي: الخسران، والحصول في الورطات[٥]، وقال عبدالله بن عمرو ابن مسعود وكعب: غي واد في جهنم[٦]، وقال ابن زيد: ضلال[٧]،

---

(١) سورة مريم آية ٥٩.

(٢) البيت للمرقش الأصغر: ربيعة بن سليمان بن سعد بن مالك بن ضيعية بن قيس بن ثعلبة، وهو ابن أخي المرقش الأكبر، وعم طرفة بن العبد، ومن يغو: أي من يخب.

انظر: ديوان المرقش الأصغر ص٥٦٥، لسان العرب (١٥/ ١٤٠) مادة (غوى) والمفضليات (١١٨)، وهو البيت الثاني والعشرون من المفضلية السادسة والخمسين ومطلعها:

ألا يا أسلمي لا صرم لي اليوم فاطما .... ولا أبداً، مادام وصلك دائما

(٣) سورة الفرقان آية ٦٨.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٦).

(٥) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٣)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٩٧)، كما روي عنه أن الغي: الشر، انظر جامع البيان (١٦/ ١١٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٢).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٤١)، وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال: نهر في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم (٤/ ٢٠٧)، وصححه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٤)، ووافقه الذهبي، والطبراني (٩/ ٢٥٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٥٥)، رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات، وقال أيضاً في (١٠/ ٣٩٠): رجاله رجال الصحيح، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٦٥) نسبته للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٧) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٧).

وقال الزمخشري: أو (غياً) عن طريق الجنة[١]، وحكى الكرماني: آبار في جهنم يسيل إليها الصديد والقيح[٢] وقيل: هلاك، وقيل: شر[٣]، وقال في النهر: « الغي كل شر والرشاد كل خير، وقال عبدالله بن عمرو وغيره الغي: واد في جهنم » [٤].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالغي في قوله -تعالى-: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، على أقوال:

القول الأول:

أن المراد به وادٍ في جهنم، وروى عن ابن عباس مرفوعاً[٥]، وعن عبدالله بن عمر وابن مسعود وكعب موقوفاً[٦]، وسمى الوادي: بغي، لأن الغاوين يصيرون إليه، وقد اختاره: (البغوي، والقرطبي، وابن عادل) [٧].

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٣).

(٢) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٣٣).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٩٠).

(٤) انظر النهر الماد (٦/ ٢١١).

(٥) ورد مرفوعاً من حديث ابن عباس رواه ابن مردوية كما في الدر (٥/ ٤٦٥) وفي سنده نهشل الخراساني وهو كذاب، متروك الحديث. انظر الضعفاء والمتروكين للنسائي ص(١٠٣).

وأخرج ابن جرير الطبري حديثاً مرفوعاً عن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي أن غياً وأثاماً: نهران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار، قال الشنقيطي رحمه الله: " والظاهر أنه لم يصح في ذلك شيء عن النبي ﷺ وقد ذكر ابن كثير في تفسير (٣/ ١٣٥) هذه الآية حديث أبي أمامة الباهلي الذي أشرنا إليه آنفاً، ثم قال: هذا حديث غريب ورفعه منكر. انظر أضواء البيان (٢/ ٤٩٧).

(٦) سبق توثيقه انظر هامش رقم (٦) في الصفحة السابقة ص٨٢٢ .

(٧) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٠)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٤)، اللباب لابن عادل (٣/ ٨٨).

القول الثاني

أن المراد به الخسران، وهو قول آخر لابن عباس[١]، والضحاك[٢] ونسبه أبو حيان ~ لابن زيد[٣] وقد اختاره (ابن عطية) [٤].

القول الثالث:

أن المراد به: مجازاة الغي، كقوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي مجازاة الآثم، وهو قول: الزجاج.

القول الرابع:

أن المراد به الضلال، أي ضلال عن طريق الجنة، واختاره: الآلوسي[٥].

القول الخامس:

أن المراد بالغي: الشر، فإن كل شر عند العرب غيٌّ، وكل خير رشاد، والمعنى: أنهم سيلقون شراً لا خيراً[٦]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ واختاره: (السمرقندي، والزمخشري، والفخر الرازي، والنسفي، وأبو السعود، والطاهر بن عاشور، والقاسمي) [٧].

---

(١) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٥) الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٦٥).

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٠)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٨٨).

(٣) انظر ص٨٢٢ ، هامش (٥).

(٤) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٢).

(٥) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٧).

(٦) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢).

(٧) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٨/ ٢٠١)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٨)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٤٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٣٥)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨٥).

القول السادس:

أن جميع هذه الأقوال متقاربة المعاني قال الطبري: « وذلك أن من ورد البئر والوادي الذي في جهنم فدخل ذلك فقد لاقى خسراناً وشراً، حسبه به شراً » [١] واختاره: (الطبري، والنحاس، والشنقيطي) [٢].

◈ الترجيح:

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري ومن وافقه من المفسرين بأن الله -تعالى- توعد فيها من أضاع الصلاة واتبع الشهوات بالغي الذي هو الشر العظيم والعذاب الأليم، وجميع أقوال المفسرين متقاربة المعنى، قال الشنقيطي مرجحاً ما اختاره الطبري - رحمهم الله جميعاً -: « أعلم أن العرب تطلق الغي على كل شر. والرشاد على كل خير. والإطلاق المشهور هو أن الغي: الضلال[٣] وفي المراد بقوله (غياً) في الآية: أقوال متقاربة..... ومدار جميع الأقوال في ذلك على شيء واحد وهو: أن أولئك الخلف الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات سوف يلقون يوم القيامة عذاباً عظيماً » [٤].



(١) جامع البيان (١٦/١٦/١١٨).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٤١)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٣٩٦).

(٣) انظر لسان العرب (١٥/ ١٤١)، مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص٦٢٠، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٩٩).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٤٩٧) باختصار.

قال -تعالى-: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾[1]، وفيها مسألتان:

[٤٠/٢٠٨] المسألة الأولى: معنى قوله - تعالى -: ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله: ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾: استثناء منقطع، لأن سلام الملائكة ليس من جنس اللغو؛ حيث قال ~ «﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ استثناء منقطع، وهو قول الملائكة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [2]، وقيل: يسلم الله عليهم عند دخولها [3]، وقال في النهر: «﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ استثناء منقطع لأن سلام الملائكة ليس من جنس اللغو» [4].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ في الآية على:

القول الأول:

أن قوله ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ هو من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم، فيكون معنى الآية: أن تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة لغواً، فلا يسمعون لغواً إلا ذلك، وهو كقول النابغة الذبياني[5]:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب[6]

---

(١) سورة مريم: آية ٦٢.

(٢) سورة الرعد: آية ٢٤.

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٩١).

(٤) النهر الماد (٦/ ٢١١).

(٥) النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع ابن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، أبو أمامة أحد شعراء الجاهلية المشهورين ومن أعيان فحولهم المذكورين. انظر تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ٢٢١)، الأغاني للأصفهاني (١١/ ٣)، الشعر والشعراء ص(٧٠).

(٦) البيت شاهد على فن رفيع من فنون البلاغة وهو توكيد المديح بما يشبه الذم، وهو أن يستثنى من صفة ذم =

القول الثاني:

أن قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ استثناء منقطع، أي لكن يسمعون فيها سلاماً، لأنهم يسلم بعضهم على بعض، وتسلم الملائكة عليهم، وهذا السلام ليس جنس اللغو كما رجح ذلك أبو حيان ~ وقد اختاره: (الطبري، والبغوي، و الزمخشري، و ابن عطية، و ابن الجوزي، والقرطبي، و النسفي، و ابن كثير، و أبو السعود، والشوكاني، و الآلوسي، و القاسمي)[1].

◈ **الترجيح:**

الراجح – والله أعلم – هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين، بأن قوله تعالى ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ استثناء منقطع وذلك لما يلي:

١- أن هذا المعنى الذي أشار له جاء في غير هذا الموضع، كقوله -تعالى-: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾[2]، وقد جاء الاستثناء المنقطع في آيات أخرى من كتاب الله، كقوله -تعالى-: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾[3] وقوله -تعالى-: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[4]،

= منفية عن الشيء صفة مدح لذلك الشيء بتقدير دخولها في صفة الذم المنفية وقول النابغة منه: فقد جعل الفلول عيباً على سبيل التجوز لنفي العيب بالكلية، كأنه يقول إن كان فلول السيف من القراع عيباً، فإنهم ذوو عيب، أي: إن لم يكن عيباً فليس فيهم عيب البتة، لأنه لا شيء سوى هذا، فهو بعد هذا التجوز والغرض استثناء متصل، انظر أعراب القرآن لمحيي الدين الدرويش (٤/ ٦٢٤).

(١) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١١٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٣)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٥)، مدارك التنزيل للنسفي ص٦٧، تفسير القرآن الكريم العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٦)، إرشاد العقل السليم لأبو السعود (٤/ ٢٤٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٤٢٩)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨٦).

(٢) سورة الواقعة: أية ٢٥ – ٢٦.

(٣) سورة النساء: آية ١٥٧.

(٤) سورة الليل: آية ١٩ – ٢٠.

وقولـــــه: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ٥٦﴾[1] إلى غير ذلك من الآيات، فكل الاستثناءات المذكورة في هذه الآيات منقطع. وبهذا نعلم بصحة وقوع الاستثناء المنقطع كما عليه جماهير الأصوليين خلافاً للإمام أحمد بن حنبل وبعض الشافعية القائلين بأن الاستثناء المنقطع لا يصح لأن الاستثناء إخراج ما دخل في اللفظ وغير جنس المستثنى منه لم يدخل في اللفظ أصلاً حتى يخرج بالاستثناء.

قال الشنقيطي: « وأعلم أن الخلاف في صحة الاستثناء المنقطع في الحقيقة خلاف لفظي لأن الذين منعوه لم يمنعوه بالكلية، وإنما قالوا: إنه ليس من الاستثناء الحقيقي، لأن أداة الاستثناء فيه بمعنى لكن، فهو إلى الإستدارك أقرب منه إلى الاستثناء،... وبعض القائلين بالاستثناء المنقطع يقول: إن الثوب في المثال المتقدم - [له عليّ ألف دينار إلا ثوباً] - لغو، ويعد ندماً من المقر بالألف والنسبة بين الاستثناء المتصل والمنقطع عند القائلين به قيل أنها نسبة تواطؤ. وقيل: إنها من قبيل الاشتراك... وما ذكرنا من أن الاستثناء في قوله -تعالى-: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ منقطع هو الظاهر »[2].

٢- وقال أبو عبيدة: « السلام ليس من اللغو، والعرب تستثني الشيء بعد الشيء وليس منه والمعنى أنهم لا يسمعون فيها لغواً، إلا أنهم يسمعون فيها سلاماً »[3]، وهذا ما يسميه علماء اللغة الاستثناء المنقطع، لأن السلام ليس من اللغو.

(١) سورة الدخان: آية ٥٦.

(٢) أضواء البيان (٢/ ٥١٢).

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٨).

[٤١/٢٠٩] المسألة الثانية: معنى السلام.

رجح أبو حيان ~ أن معنى السلام في الآية: التحية، وأنه سلام الملائكة على أهل الجنة؛ حيث قال ~ : « وهو قول الملائكة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾[1] وقيل: يسلم الله عليهم عند دخولها »[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى السلام في قوله -تعالى-: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾ على قولين:

القول الأول:

أن معنى السلام هو: بمعناه المعروف، أي: التحية وإن كان قد اختلف أصحاب هذا القول ممن يكون هذا السلام فبعضهم قال هو من الملائكة، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾[3] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (الطبري، والواحدي، وابن الجوزي)[4]، وبعضهم قال أن أهل الجنة يسلم بعضهم على بعض كما قال -تعالى-: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ﴾[5] والبعض قال إن الله يسلم عليهم عند دخولها، وأياً كان قائله فإن معناه التحية وقد اختاره: (الفخر الرازي، والنسفي، وأبو السعود والشوكاني)[6].

---

(١) سورة الرعد: آية ٢٤.

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٩١)، وانظر النهر (٦/ ٢٠٩).

(٣) سورة الرعد: آية ٢٣ - ٢٤.

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١١٩)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٣).

(٥) سورة يونس: آية ١٠.

(٦) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٠٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٨)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٤٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢٠)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٩)، محاسن التأول للقاسمي (٥/ ٨٦).

القول الثاني:

أن معنى السلام هو: الدعاء بالسلامه، ودار السلام هي: دار السلامة، وأهلها عند الدعاء بالسلامة أغنياء، قال الزجاج: السلام اسم جامع للخير لأنه متضمن السلام، والمعنى أن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤذيهم، وإنما يسمعون ما يسلمهم[1]، قال القونوي: « سلام مصدر بمعنى السلامة، والسلامة ليس بوصف للقول بل للقائل، وصف به مبالغة أو بتقدير المضاف أي ذا سلامة وهو ضعيف لانتفاء المبالغة، وعلى الثاني والثالث [تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض] وهو بمعناه المعروف وهو التحية ولعدم ذكر القائل يحتمل احتمالين كما ذكره » [2]، واختاره: (الزجاج، والبغوي) [3].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن السلام في الآية بمعنى التحية وذلك لما يلي:-

١. النظائر التي تبين أن السلام بمعنى التحية، حيث ذكر الله -تعالى- أن تحية أهل الجنة سلام قال -تعالى-: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾[4] في مواضع أخر أن الملائكة تحيتهم بذلك، وأن بعضهم يحي بعضاً بذلك فقال في تحية الملائكة: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[5] وقال: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾[6] وقال: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾[7] وقال في تحية بعضهم بعضاً: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾[8].

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٧).

(٢) حاشية القونوي (١٢/ ٢٥٩).

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤١).

(٤) سورة إبراهيم: آية ٢٣.

(٥) سورة الرعد: آية ٢٣ - ٢٤.

(٦) سورة الزمر: آية ٧٣.

(٧) سورة الفرقان: آية ٧٥.

(٨) سورة يونس: آية ١٠.

٢. لأن هذا هو ظاهر الآية، وهو اللائق، والأنسب لأهل الجنة، قال الآلوسي معقباً على القول الثاني: « وقيل: أن معنى السلام الدعاء بالسلامة من الآفات، وحيث أن أهل الجنة أغنياء عن ذلك، إذ لا آفة فيها، كان السلام لغواً بحسب الظاهر، وإن لم يكن كذلك نظر المقصود منه وهو الإكرام وإظهار التحابب، ولذا كان لائقاً بأهل الجنة »[(١)].

(١) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٢٩).

قال -تعالى-: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾[(١)]، وفيها مسألة واحدة:

[٤٢/٢١٠] المسألة: معنى توريث الجنة.

رجح أبو حيان ~ أن توريث الجنة أي: تبقى الجنة على ساكنها كما يبقى على الوارث مال الموروث، حيث قال ~ : « والتوريث استعارة أي: تبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث، والأتقياء يلقون ربهم قد أنقضت أعمالهم وثمرتها باقية، وهي الجنة، فقد أورثهم من تقواهم، كما يورث الوارث المال من المتوفى، وقيل: أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا »[(٢)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

أخبر ﷻ أنه يورث المتقين من عباده جنته، وقد بينه -سبحانه- في عدة مواضع من كتابه العزيز حيث قال - سبحانه - : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[(٣)] وقال -تعالى- في صفة المؤمنين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾[(٤)] وقوله -تعالى-: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(٥)] إلى غير ذلك من الآيات ولكن اختلف المفسرون في معنى ايراثهم الجنة عل قولين:

القول الأول:

أن معنى توريثهم الجنة هو: الإنعام عليهم بالخلود فيها في أكمل نعيم وسرور، قال الزمخشري: (نورث أي: نبقى عليه الجنة كما نبقى على الوارث مال المورث، ولأن الأتقياء

(١) سورة مريم: آية ٦٣.

(٢) انظر البحر المحيط (٦/ ١٩١)، انظر النهر الماد (٦/ ٢٠١).

(٣) سورة مريم: آية ٦١ - ٦٣.

(٤) سورة المؤمنين: آية ١٠ - ١١.

(٥) سورة الأعراف: آية ٤٣.

يلقون ربهم قد أنقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة، فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم ن كما يورث الوارث المال من المتوفي) [١] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الزمخشري، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والطاهر بن عاشور، والشتقيطي) [٢].

القول الثاني:

أن معنى إيراثهم الجنة: أن الله -تعالى- خلق كل نفس منزلاً في الجنة، ومنزلاً في النار فإذا دخل أهل الجنة الجنة أراهم منازلهم في النار لو كفروا وعصوا الله ليزداد سرورهم وغبطتهم وعند ذلك يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[٣] وكذلك يرى أهل النار منازلهم في الجنة لو آمنوا واتقوا الله لتزداد ندامتهم وحسرتهم، وعند ذلك يقول الواحد منهم: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٤] ثم إنه -تعالى- يجعل منازل أهل الجنة في النار لأهل النار، ومنازل أهل النار في الجنة لأهل الجنة فيرثون منازل أهل النار في الجنة، واستدل أصحاب هذا القول بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: [كل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني فيكون له شكر، وكل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لولا أن الله هداني فيكون عليه حسرة] [٥]، وقد اختار هذا القول: (الواحدي، والبغوي) [٦].

---

(١) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٥).

(٢) انظر ذلك على الترتيب التالي: الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٧)، اللباب لابن عادل (١٣/ ٩٦)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٤٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢١)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٣٨)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥١٣).

(٣) سورة الأعراف: آية ٤٣.

(٤) سورة الزمر: آية ٥٧.

(٥) تخريج الحديث: أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الزمر (٢/ ٤٧٣)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٦) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤١).

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى توريثهم الجنة، أي: تبقى عليهم الجنة كما تبقى على الوارث مال الموروث وذلك لأن أهل الجنة يرثون من الجنة منازلهم المعدة لهم بأعمالهم وتقواهم، قال الشنقيطي: « قد جاء حديث، يدل لما ذكر من أن لكل أحد منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، إلا أن حمل الآية عليه غير صواب، لأن أهل الجنة يرثون من الجنة منازلهم المعدة لهم بأعمالهم وتقواهم، كما قد قال -تعالى-: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [1] ونحوها من الآيات ولو فرضنا أنهم يرثون منازل أهل النار فحمل الآية على ذلك يوهم أنهم ليس لهم في الجنة إلا ما أورثوا من منازل أهل النار والواقع بخلاف ذلك كما ترى » [2]، وقال الشهاب الخفاجي معلقاً على القول الثاني: «ومرّضه -أي: ذكر الإمام البيضاوي القول الثاني بصيغة التمريض- لأنه يدل على أن بعض الجنة موروث والنظم يدل على أنها كلها كذلك، ولأن الإيراث ينبغي على ملك سابق لا على فرضه مع أنه لا داعي للفرض هنا»[3].

(١) سورة الأعراف: آية ٤٢.

(٢) أضواء البيان (٢/ ٥١٣ - ٥١٤).

(٣) حاشية الشهاب (٦/ ٢٩٢).

قال -تعالى-: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ (١)، وفيها مسألة واحدة:

[٢١١/٤٣] المسألة: سبب نزل قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن سبب نزول قوله -تعالى-: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ هو: إبطاء جبريل عن الرسول فسأله النبي ﷺ عن سبب تأخيره عنه فنزلت؛ حيث قال ~ : « وقوله ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ أبطأ جبريل عن الرسول مرة، فلما جاء، قال: يا جبريل قد اشتقت إليك أفلا تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت(٢) » (٣).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في سبب نزول الآية على أقوال:

القول الأول:

أن سبب نزولها أن رسول الله ﷺ قال: [- يا جبريل - ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا] فنزلت هذه الآية، وأبو حيان خلط بين رواية البخاري والرواية الأخرى، وهذا القول هو ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره من المفسرين: (الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والنسفي، والشوكاني، والطاهر بن عاشور) (٤).

---

(١) سورة مريم: آية ٦٤.

(٢) الحديث من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: [يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، قال فنزلت ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية، وقد أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة مريم (٦/ ١١٨)، وفي كتاب التوحيد، باب بدء الخلق (٤/ ١٣٧)، وأحمد في المسند (١/ ٢٣١)، والترمذي في كتاب التفسير (٥/ ٢٩٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٦٥)، والواحدي في اسباب النزول ص(٢٤٧)، والسيوطي في أسباب النزول ص(١٧٧).

(٣) البحر المحيط (٦/ ١٩١)، وانظر النهر الماد (٦/ ٢٠١).

(٤) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢١)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٧)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٤٤)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٩)، =⇐

القول الثاني:

أن سبب نزولها أن جبريل احتبس عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين، والروح، فلم يدر ما يجيبهم، ورجا أن يأتيه جبريل بجواب، فأبطأ عليه فشق على رسول الله ﷺ مشقة شديدة، فلما نزل جبريل قال له: أبطأت عليّ حتى ساء ظني واشتقت إليك، فقال جبريل: إني كنت أَشْوَق، ولكنّي عبدٌ مأمور، إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست، فنزلت هذه الآية[١]، قاله: عكرمة[٢]، وقتادة[٢]، والضحاك[٢] واختاره: (الزمخشري، والفخر الرازي، والآلوسي، والمراغي)[٣].

القول الثالث:

أن الملك أبطأ على رسول الله ﷺ ثم أتاه، فقال: لعلي أبطأت، قال: (قد فعلت) قال: ومالي لا أفعل، وأنتم لا تتسوَّكون، ولا تقصرون أظافركم، ولا تُنقُّون براجمكم[٤]

= معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٧٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٣٩).

(١) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٥)، وقال الزيلعي في تخريج الكشاف: رواه ابن اسحاق في سيرته بنقص يسير أهـ، وأخرجه ابن هشام في سيرته (١/ ٣٧٨ - ٣٨١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٦٩ - ٢٧١)، بسنده عن ابن اسحاق، وقال: حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، ومن طريق ابن اسحاق، رواه أبو نعيم في دلائل النبوة، ورواه أيضاً من طريق الكليبي عن أبي صالح عن ابن عباس فذكر نحوه وفيه قال: فأبطأ جبريل عن النبي ﷺ خمسة عشر يوماً لا يأتيه لتركه الاستثناء... الحديث، كما اخرجه الواحدي في تفسيره (٣/ ١٨٩)، وفي أسباب النزول ص(٢٤٧)، وقال الشوكاني: هو مرسل. انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢٧).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لأبن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤)، فتح الباري (٨/ ٢٨٢)، أسباب النزول للواحدي ص(٢٤٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٤)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٦).

(٣) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٥)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٠٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٠)، تفسير المراغي (٦/ ٥٩).

(٤) البراجم: هي الفصوص التي في فصول ظهور الأصابع، تبدو إذا جُمعت وتغمض إذا بسطت، والرواجب: ما بين البراجم بين كل برجمتين راجبة، انظر لسان العرب (١٢٠/ ٤٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٤).

فنزلت الآية[١]، قاله مجاهد[٢].

◈ **الترجيح**:

الراجح - والله تعالى أعلم - أن سبب نزول الآية هو ما ذكره الإمام البخاري ~ عن أبن عباس { قال: قال رسول الله ﷺ: [يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا، قال فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية وذلك لأن هذه الرواية أصح ما روي في سبب نزولها وأليقه بموقعها هنا[٣]، وسند البخاري مقدم على غيره، وإذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجِّح لما وافقه من أوجه التفسير[٤].



(١) انظر أسباب النزول للواحدي ص(٢٤٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٤)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٦)، وقال الشوكاني: هو مرسل. انظر فتح القدير (٣/ ٤٢٧).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٦).

(٣) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٣٩).

(٤) قواعد الترجيح (١/ ٢٤١).

قال -تعالى-: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [1]، وفيها مسألة واحدة:

[٤٤/٢١٢] المسألة معنى: ﴿سَمِيّٗا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى سمياً أي: أنه لم يسم بلفظ شيء قط؛ حيث قال ~ : « والسمي: من توافق في الاسم، تقول: هذا سميك، أي: اسمه مثل اسمك، فالمعنى: إنه لم يسم بلفظ الله شيء فقط، وكان المشركون يسمون أصنامهم آلهة، والعزى إله، وأما لفظ الله فلم يطلقوه على شيء من أصنامهم، وعن ابن عباس: لا يسمى أحد الرحمن غيره[2]، وقيل: يحتمل أن يعود ذلك على قوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ أي هل تعلم من يسمي أو يوصف بهذا الوصف، أي: ليس أحد من الأمم يسمي شيئاً بهذا الاسم سوى الله، وقال مجاهد وابن جبير وقتادة: سمياً: مثلاً وشبيهاً[3]، وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً[4]، قال ابن عطية: كأن السمي بمعنى: المسامي، والمضاهي فهو من السمو، وهذا قول حسن لا يحسن في ذكر يحيى[5]، انتهى، قال غيره: يقال: فلان سمي فلان إذا شاركه في اللفظ، سميه إذا كان مماثلاً له في صفاته الجميلة ومناقبه، ومنه قول الشاعر:

---

(١) سورة مريم: آية ٦٥.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٨)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٧)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٨)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٦٨)، وصححه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٠٦-٥١٥).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٦).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢٣)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢٤١٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٧)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٨)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٦٨).

(٥) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٤).

فَأَنْتَ سَمِيٌّ للزُّبير ولَسْتَ لِلزُّبَيرِ سَمياً إذْ غَدا مَالَهُ مِثْلُ[١]

وقال الزجاج: هل تعلم أحداً يستحق أن يقال له خالق وقادر إلا هو[٢]، وقال الضحاك: ولداً، رداً على من يقول ولد الله[٣] » [٤].

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى سمياً في قوله -تعالى-: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ على أقوال:

القول الأول:

أن معنى سميّ أي: مثلاً وشبيهاً حتى يشاركه في العبادة، إذ المراد بالسميّ الشريك في المسمى، قاله: ابن عباس[٥]، ومجاهد[٥]، وقتادة[٥]، وابن جبير[٥]، وهو مأخوذ من المسامات وهو قول أبي عبيدة[٦]، وقد اختاره: (الطبري، والنحاس، والثعلبي، والماوردي، والواحدي، والوسيط، والراغب، والبغوي، وابن عطية، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والسعدي، والمراغي) [٧].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٨).

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٢).

(٤) البحر المحيط (٦/ ١٩٣)، وانظر النهر (٦/ ٢٠١).

(٥) سبق توثيق انظر ص٨٣٨ .

(٦) انظر مجاز القرآن (٢/ ٩).

(٧) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٤٦)، الكشف والبيان للثعلبي (٦/ ٢٢٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٨٩)، مفردات الراغب ص(٤٢٩)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٢)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٤٣)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨٧)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٨٤)، تفسير المراغي (٦/ ٦١).

القول الثاني:

أنه لا أحد يسمى بالله غيره، إذ المراد بالشريك في الاسم كما هو الظاهر من لغة العرب وهو قول أخر: عن ابن عباس[1]، وقتادة، والكلبي[1]، قال السمرقندي: (يعني هل تعلم أحد يسمى الله سوى الله؟ وهل تعلم أحداً يسمى الرحمن سواه؟[2] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (السمرقندي، والواحدي في الوجيز، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، وأبو السعود) [3].

القول الثالث:

أنه لا يستحق أحد أن يسمي إلهاً غيره، ولا يستحق أن يقال له: خالق، وقادر وعالم بما كان وما يكون فذلك ليس إلا من صفة الله -تعالى-، وهو قول الزجاج[4].

القول الرابع:

هل تعلم له من ولد، قاله الضحاك[5]، وقال أبو طالب:

أما المسمى فأنت منه كثر لكنه ما للخلود سبيل[6]

---

(١) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٢).

(٢) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٢).

(٣) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٢)، الوجيز للواحدي (٢/ ٦٨٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٠٥)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٧)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٥٠).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٨).

(٥) النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٢).

(٦) لم أقف عليه.

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح – والله تعالى أعلم – أن معنى السمي شامل للاسم والمسمى، فمعنى قوله -تعالى-: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ أي: لا أحد يساميه، فليس له نداً ولا مثيلاً ولا شبيهاً، ولا أحد يستحق أن يسمى بما يختص به من الأسماء وذلك[1] لأن معنى السمي في اللغة: شامل للمعنيين، قال ابن منظور: (وسميُّك المُسمَّى باسمك، تقول هو سمي فلان إذا وافق، اسمُه اسمَه كما تقول هو كنيُّه وفي التنزيل ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ أي: نظيراً يستحق مثل اسمه ويقال مسامياً يساميه)[2]، قال الشنقيطي ~ : « إن السمي يطلق في اللغة العربية إطلاقين:

الأول: قولهم: فلان سمي فلان أي: مسمى باسمه، فمن كان اسمهما واحداً فكلاهما سمي الآخر،أي: مسمى باسمه.

الثاني: إطلاق السمي يعني المسامي، أي: المماثل في السمو، والرفعة، والشرف، وهو فعيل بمعنى مفاعل من السمو بمعنى العلو والرفعة، وأن قوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ أي: تعلم أحداً يسمي باسمه الرحمن -جل وعلا- والعلم عند الله »[3].

قال الآلوسي: « وأيا ما كان فالمراد: إنكار العلم، ونفيه انكار المعلوم ونفيه على أبلغ وجه، وآكده، والجملة تقرير لوجوب عبادته ﷻ وإن اختلف الإعتبار حسب اختلاف الأقوال »[4].



(١) انظر العقيدة الواسطية لابن تيمية شرح الشيخ ابن عثيمين (١/ ٨)، مجموع الفتوى (٢٧/ ٣٦٦).

(٢) انظر لسان العرب (٤/ ٣٩٧)، تاج العروس (١/ ٨٤٣٩)، مختار الصحاح (١/ ٣٢٦).

(٣) أضواء البيان (٢/ ٤٤٦).

(٤) روح المعاني (٨/ ٤٣٣).

قال -تعالى-: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[٤٥/٢١٣] المسألة: المراد: بالإنسان.

رجح أبو حيان أن المراد بالإنسان في الآية: جنس الإنسان بأسره، حيث قال: « قيل: سبب النزول أن رجلاً من قريش، قيل: هو أبي بن خلف جاء بعظم رفات فنفخ فيه، وقال للرسول ﷺ: أيبعث ربك هذا؟ وكذب وسخر[2]، وإسناد هذه المقالة للجنس بما صدر من بعضهم، كقول الفرزدق:

فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ ... نَبَا بِيَدَيْ وَرْقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدِ[3]

أسند الضرب إلى بني عبس مع قوله: نَبَا بِيَدَيْ وَرْقَاءَ، وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي، أو للجنس الكافر المنكر للبعث، أو المعني: أبي بن خلف، أو العاصي بن وائل، أو أبو جهل، أو الوليد بن المغيرة، أقوال »[4]، وقال في النهر: « سبب النزول: أن رجلاً من قريش قيل هو: أبي بن خلف جاء بعظم رفات، فنفخ فيه، وقال لرسول الله ﷺ أيبعث ربك هذا؟ وسخر وكذب وإسناد هذه المقالة للجنس بما صدر من بعضهم »[5].

---

(١) سورة مريم: آية ٦٦.

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٣).

(٣) هذا البيت للفرزدق يريد: ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي، أمره سليمان بن عبدالملك بضرب أعناق بعض أسرى الروم، وأعطاه سيفاً لا يقطع فقال: بل أضربهم بسيف أبي رغوان مجاشع، يعني نفسه، فضرب عنق خالد فانحرف السيف وارتفع عن المضرب، فضحكوا منه، ونسب السيف والضرب إلى بني عبس مع أنهما لواحد منهم تعظيماً لهما وتفخيماً، وجعله في اليدين إشارة إلى أنه كان مجمعاً، أمره وحازماً عزمه غير متهاون... والمعنى: أن الحذر لا ينفع من القدر كما وقع لورقاء، مع أنه في غاية الحرص، لا سيما أمام الملك، ويجوز أنه يريد ذم بني عبس، انظر طبقات فحول الشعراء (٢/ ٤٠١)، الأغاني (١١/ ٩٥).

(٤) انظر البحر المحيط (٦/ ١٩٤).

(٥) انظر النهر الماد (٦/ ٢٠٥).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالإنسان في هذه الآية هل المراد به انسان بعينه أو لا؟ على أقوال منها:-

القول الأول:

أن المراد بالإنسان إنسان بعينه، فأل التعريف في الإنسان للعهد، والمراد به أحد هؤلاء الأشخاص الأول: أن المراد به أبي بن خلف: وجد عظاماً بالية ففتتها بيده، وقال: زعم أنا نبعث بعد الموت؟ قاله الكلبي(١).

الثاني: أن المراد به: الوليد بن المغيره وأصحابه، قاله ابن عباس(٢)، واختاره (المهدوي)(٣).

الثالث: أن المراد به: العاصي بن وائل(٤)، الرابع: أن المراد به أبو جهل، وقد اختار القول بأن [أل] للعهد والمراد به: أحد هؤلاء الأشخاص، واختاره: (السمرقندي، والبغوي، وابن الجوزي، والقرطبي، والآلوسي)(٥).

القول الثاني:

أن المراد به هو: بعض جنس الإنسان، وهو الكافر المنكر للبعث، وقد اختاره: (الطبري، والزجاج، والواحدي، وابن عطية، وابن كثير، والشوكاني، والطاهر بن عاشور، والسعدي)(٦).

---

(١) انظر الجامع للقرطبي (١١/ ٨٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٣)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥١٤).

(٢) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٣).

(٣) الجامع للقرطبي (١١/ ٨٨)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥١٤).

(٤) انظر الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٦٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٣).

(٥) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٢)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٣).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢٤)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٨)، ⇐=

القول الثالث:

أن المراد به: هو جنس الإنسان بأسره، قال الفخر الرازي: (فإن قيل: كلهم غير قائلين بذلك فكيف يصح هذا القول؟

فالجواب من وجهين: **الأول**: أن هذه المقالة لما كانت موجودة في جنسهم صح إسنادها إلى جميعهم، كما يقال: بنو فلان قتلوا فلاناً، وإنما القاتل رجل منهم.

الثاني: أن هذا الاستبعاد موجود ابتداء في طبع كل أحد إلا أن بعضهم تركه للدلالة القاطعة على صحة القول به) [1] وهذا القول يرده أن إرادة العموم هنا تقتضي أن الله يريد نسبة كلمة الشك والكفر إلى كل فرد من إفراد الإنسان والتردد والشك لا يكون للمؤمن.

قال الآلوسي: « واعترض هذا بأنه يشترط لصحة ذلك الإسناد [أي: أن يسند إلى الكل ما صدر عن البعض] رضا الباقيين بالفعل أو مساعدتهم عليه حتى يعد كأنه صدر منهم ولا شك أن بقيه أفراد الإنسان من المؤمنين لم يرضوا بهذا القول » [2]، وهذا القول الذي رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختار هذا القول: (الزمخشري، والفخر الرازي، وابن عادل، وأبو السعود، والشنقيطي) [3].

= فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢٤)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٤٤)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٨٥).

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٠٦).

(٢) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٣)، وانظر حاشية الشهاب (٦/ ٢٩٦)، حاشية القونوي (١٢/ ٢٦٥).

(٣) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٩)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٠٦)، اللباب لابن عادل الحنبلي (١٣/ ١٠٦)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٥٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥١٤).

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن المراد بالإنسان: هو جنس الكافر المكذب بالبعث وذلك لما يلي:-

١. لدلالة السياق بعد ذلك ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾، قال الطاهر بن عاشور: (والمراد بالإنسان: جمع من الناس بقرينة قوله بعده: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ فيراد من كانت هذه مقالته ومعظم المخاطبين بالقرآن في أول نزوله، ويجوز أن يكون وصف حذف أي الإنسان الكافر، كما حذف الوصف في قوله -تعالى-: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [(١)] أي: كل سفينة صالحة) [(٢)].

٢. للنظائر القرآنية التي تدل على أنه يطلق اسم الناس ويراد به خصوص المشركين، كما في قوله -تعالى-: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [(٣)] فهنا أطلق كلمة الناس ﴿النَّاسَ﴾ على أبي سفيان والمشركين عندما توعدوا النبي ﷺ.

٣. لنوع الاستفهام في الآية، قال الشوكاني: « والمراد بالإنسان ها: هنا الكافر، لأن هذا الاستفهام هنا للإنكار والاستهزاء والتكذيب بالبعث » [(٤)] ولا يكون هذا للمؤمن.

---

(١) سورة الكهف: آية ٧٩.

(٢) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٤٤).

(٣) سورة آل عمران: آية ١٧٣.

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢٤).

قال -تعالى-: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨﴾ [١]، وفيها مسألتان:

[٤٦/٢١٤] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ عام للخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم، حيث قال ~ : « والواو في ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ للعطف، أو بمعنى (مع)، أي: يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم، يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة، وهذا إذا كان الضمير في ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ للكفرة، وهو قول ابن عطية، وما جاء بعد ذلك فهو من الأخبار عنهم[٢]، وبدأ به الزمخشري[٣]، والظاهر أنه عام للخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم، ولم يفرق بين المؤمنين والكافرين، كما فرّق في الجزاء وأحضروا جميعاً، وأوردوا النار ليعاين المؤمنون الأهوال التي نجوا منها فيسروا بذلك، ويشتموا بأعدائهم الكفار » [٤].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ إلى من يعود؟ على قولين:

القول الأول:

أن مرجع الضمير يعود على الكفرة، أي: جنس الإنسان الكافر المنكر للبعث، وقد اختاره: (الطبري، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل،

---

(١) سورة مريم: آية ٦٨.

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٦).

(٣) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٤١).

(٤) انظر البحر المحيط (٦/ ١٩٤)، وانظر النهر (٦/ ٢٠٥).

والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والسعدي)[1].

القول الثاني:

أن مرجع الضمير عام للخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم[2]، قال أبو السعود العمادي: (هذا وإن كان مختصاً بهم (بالكفرة) لكن ساغ نسبته إلى الجنس باعتبار أنهم لما حُشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعاً كما ساغ نسبة القول ؛لى المحكي إليه مع كون القائل بعض أفراده)[3] وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، قال الآلوسي: « واستظهر أبو حيان أن للناس كلهم مؤمنهم وكافرهم »[4]، واختاره: (أبو السعود، والشنقيطي)[5].

(١) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢٤)، معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٣٨)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٦)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٧)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٠٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٨)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٨٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٨) اللباب لابن عادل (١٣/ ١٠٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢٥)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٤)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٤٦)، تيسر الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٨٥).

(٢) روح المعاني (٨/ ٤٣٤).

(٣) انظر إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٥٢).

(٤) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٤).

(٥) الإرشاد (٤/ ٢٥٢)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥١٥).

◈ **الترجيح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- أن مرجع يعود على الكفرة المنكرين للبعث، وذلك لما يلي:

١. لدلالة السياق على ذلك فقوله: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ جاء بعد تقرير البعث: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾ [١]، فلما قرر القضية وأقام عليها الدليل أردفها بالتهديد من وجوه أولها: أقسم الرب بذاته الكريمة أنه حاشرهم جميعاً وشياطينهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله.

٢. حتى تتوحد الضمائر في السياق الواحد، فالمعنى أن هؤلاء الجاحدين المنكرين للبعث، يحشرهم الله مع شياطينهم الذين أغروهم وأضلوهم، فتوحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها[٢].

(١) سورة مريم: آية ٦٧.

(٢) قواعد الترجيح (٢/ ٦١٣).

[٢١٥ / ٤٧] المسألة الثانية: معنى: ﴿جِثِيًّا﴾

رجح أبو حيان أن معنى جثياً من جثا يجثو، أي: قعد على ركبته، وهي قعدة الخائف الذليل على ركبتيه كالأسير؛ حيث قال ~ : « جثا: قعد على ركبته وهي قعدة الخائف الذليل يجثو ويجثي جثواً وجثاية، حتم الأمر أوجبه[١]، وعن ابن عباس: قعوداً[٢]، وعنه جماعات جماعات[٣]، جمع جثوة وهو المجموع من التراب والحجارة، وقال: مجاهد والحسن والزجاج: على الركب[٤]، وقال السدي: قياماً على الركب لضيق المكان بهم[٥] » [٦].

◈ **الدراسة والموازنة:**

جثا جمع جاث[٧]، جمع على فعول نحو: قاعد وقعود، وجالس وجلوس، وفي لامِه لغتان[٨]: إحداهما الواو، والأخرى الياء يقال: جثا يَجْثُو جُثُوّاً، وجَثِيَ يَجْثِي جثاية، ولكن اختلف المفسرون في صفة ورود النار على قولين:

---

(١) انظر البحر المحيط (٦/ ١٨٦).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٨)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٦٩).

(٣) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٠)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٧)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٩).

(٤) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٤٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٧)، الجامع للقرطبي (١١/ ٨٩).

(٥) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٧)، القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٨).

(٦) البحر المحيط (٦/ ١٩٥)، انظر النهر الماد (٦/ ٢٠٥).

(٧) انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص(١٨٧).

(٨) انظر اللسان مادة جثا(١٤/ ١٣١).

القول الأول:

أن معنى جثياً أي: بروكاً على الركب وهو قول ابن عباس، وهذا مارجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الطبري، و الزجاج، والسمرقندي، والزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي ، والطاهر ابن عاشور، والشنقيطي، والسعدي)[(١)].

القول الثاني:

أن معنى جثياً: أي جماعات، وهو قول آخر لابن عباس[(٢)]، قاله: الكلبي[(٣)] والأخفش[(٤)]، وقال السمين الحلبي: « وفي صحته عن ابن عباس نظر من حيث إنّ فُعْلَة لا يجمع على فُعُوْل ويجوز في ﴿جِثِيًّا﴾ أن يكون مصدراً على فعول وأصله في حال كونه جمعاً: إمّا جُثُوٌّ وإمّا جُثُوْيٌّ »[(٥)].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى جثيا هو: العقود على الركب قعدة الخائف الذليل، وذلك لما يلي:

- لأن معنى جثيهم على ركبهم هو الظاهر، وهو قول الأكثر[(٦)]، وهو على الإطلاق

---

(١) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢٤)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٣٨)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٦)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٠٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٨٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٨)، اللباب لابن عادل (١٣/ ١١٠)، الإرشاد (٤/ ٢٥٢)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢٥)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٤٧)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥١٥)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٨٦).

(٢) سبق توثيقه انظر ص٨٤٩ .

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٣).

(٤) معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٠٥).

(٥) الدر المصون للسمين الحلبي (٧/ ٦٢).

(٦) انظر هامش (١) في نفس الصفحة.

المشهور في اللغة[١] ومنه قول الكميت[٢]:

هم شركوا اسرتهم جثياً ... وهم دون السراة مقرنيناً[٣]

والعادة عند العرب: أنهم إذا كانوا في موقف ضنك وأمر شديد، جثو على ركبهم ومنه قول بعضهم:

فمن للحماة ومن للكماة ... إذا ما الكماة جثوا للرُكب

إذا قيل مات أبو مالك ... فتى المكرمات قريع العرب[٤]

فالجثي جمع جاث من قولهم: جثا على ركبتيه يجثوا جثواً، وهو منتصب على الحال: أي جاثين على ركبهم لما يصيبهم من هول الموقف كما في قوله -تعالى-: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾[٥]. [٦]



(١) انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص(١٨٧)، لسان العرب لابن منظور (١٤/ ١٣١).

(٢) الكميت الشعراء ثلاثة، الكميت بن ثعلبة الأزدي، وهو مخضرم، وهو جد الذي بعده، والثالث هو الكميت بن زيد وهو أكثرهم شعراً وأشهرهم ذكراً وهو من شعراء الدولة الأموية، خاله الفرزدق، قالوا: فيه عشرة خصال لم تكن في شاعر، كان خطيب أسد، وفقيه الشيعة، وحافظ القرآن، وثبت الجنان، وكان كاتباً حسن الخط، وكان نسابة، وكان جدلاً وكان أول من ناظر في التشع، وكان رامياً، لم يكن في أسد أرمى منه بنبل، وكان فارساً، وكان شجاعاً، وكان سخياً، ديّناً ، مات سنة ١٢٢هـ. انظر الإصابة لابن حجر (٥/ ٦٥٢)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٠/ ٢٣٢)، معجم الشعراء (١/ ٧٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ٨٩).

(٤) لم أقف على قائله.

(٥) سورة الجاثية: آية ٢٨.

(٦) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥١٥).

قال -تعالى-: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[١]، وفيها مسألتان:

[٤٨/٢١٦] المسألة الأولى: المراد بالخطاب في قوله - تعالى-: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن الخطاب عام للخلق كلهم، مؤمنهم وكافرهم؛ حيث قال: «وقرأ الجمهور[٢] ﴿مِّنكُمْ﴾ بكاف الخطاب، والظاهر أنه عام للخلق، وأنه ليس الورود الدخول لجميعهم،... وقيل الخطاب للكفار أي: قل لهم يا محمد فيكون الورود في حقهم الدخول، وعلى قول من قال: الخطاب عام وإن المؤمنين والكافرين يدخلون النار ولكن لا تضر المؤمنين، .... وقرأ ابن عباس[٣] وعكرمة[٤] وجماعة ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾[٥] بالهاء للغيبة على ما تقدم من الضمائر، وقرأ الجمهور (ثم)[٦] بحرف العطف وهذا يدل على أن الورود عام»[٧].

---

(١) سورة مريم: آية ٧١.

(٢) انظر النشر (٢/ ٢٥٩)، التيسير ص(١٤٩).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٨)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩٢)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٨٠)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٧).

(٤) عكرمة: القرشي الهاشمي، أبو عبدالله المدني مولى عبدالله بن عباس، أصله من البربر من أهل المغرب، ثقة، ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبة عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة، مات سنة ١٠٤هـ. انظر التقريب (١/ ٢٩٧).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢٨)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٤٩)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٤)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٢٧)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩٢)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٩)، اللباب لابن عادل (١٣/ ١١٨)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٧)، شواذ القرآن لابن خالويه ص(٨٩).

(٦) انظر السبعة ص(٤١١)، التيسير ص(١٤٩)، النشر (٢/ ٢٥٩)، الحجة ص(٤٤٦).

(٧) البحر المحيط (٦/ ١٩٠)، وانظر النهر (٦/ ٢٠٦).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون فيمن عُني بهذا الخطاب؟ على القولين:

القول الأول:

أنه عامٌ في حق المؤمن والكافر، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد

اختاره: (الطبري، والزجاج، والواحدي، والبغوي، وابن الجوزي، والفخر الرازي والقرطبي، وابن كثير، والآلوسي، والقاسمي، والشنقيطي، والسعدي، والمراغي) [1].

القول الثاني:

أن الخطاب للكفار، وروي عن ابن عباس وعكرمة، وتكون قراءة ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ كقوله -تعالى-: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[2] ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾[2] أي لهم، قال الطاهر بن عاشور: « فليس الخطاب في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم على معنى ابتدآء كلام، بحيث يقتضي أن المؤمنين يردون النار مع الكافرين ثم ينجون من عذابها، لأن هذا معنى ثقيل ينبو عنه السياق، إذ لا مناسبة بينه وبين سياق الآيات السابقة ولأن فضل الله على المؤمنين بالجنة وتشريفهم بالمنازل الرفيعة ينافي أن يسوقهم مع المشركين مساقاً واحداً... وهذه الآية مثار إشكال ومحط قيل وقال، واتفق جميع المفسرين على أن المتقين لا تنالهم نار جهنم واختلفوا في محل الآية فمنهم من جعل ضمير ﴿مِّنكُمْ﴾ لجميع المخاطبين بالقرآن وروده عن بعض السلف فصدمهم فساد المعنى ومنافاة حكمة الله والأدلة الدالة على سلامة المؤمنين يومئذ من لقاء أدنى عذاب فسلكوا مسالك التأويل، فمنهم من تأول الورود بالمرور دون أن يمس المؤمنين أذى، وهذا أقل بعداً من الذي قبله، وروى الطبري وابن كثير في هذين المحملين: أحاديث لا تخرج عن

---

(١) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٣٠)، معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٤١)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٩١)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٨)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٠٧)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٧)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٨٨)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٢١)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٨٦)، تفسير المراغي (٦/ ٦٣).

(٢) سورة الإنسان: آية ٢١ - ٢٢.

مرتبة الضعف.. »[١]، وقول الطاهر بن عاشور: مردود، ولاسيما أن الروايات التي ذكرها الطبري وابن كثير أصلها في الصحيحين، كما حاديث المرور على الصراط[٢]، واختار القول بأن الخطاب للكفار: (الزمخشري، والطبري، والنسفي، والطاهر بن عاشور)[٣].

❖ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ومن وافقه من المفسرين بأن المراد من الخطاب العموم وذلك لما يلي:-

١. لأن هذه الآية وهذا الخطاب فيها مبتدأ مخالف للخطاب الأول، ويدل عليه قوله - تعالى-: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ أي: أن من الواردين من أتقى ولا يجوز أن يقال: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ إلا والكل واردون والأخبار المروية دالة على هذا القول[٤].

٢. أن الخطاب فيه صيغة عموم، ولم يرد فيه تخصيص.

٣. أما من خص الدخول بالكفار والمشركين مستدلين بالقراءة المنسوبة إلى ابن عباس وعكرمة، فهي قراءة شاذة لا يعتمد عليها في مقابل القراءة المتواترة وعموم الأدلة، وبخاصة وهي تخالف حكم الأدلة الصحيحة، قال ابن الجوزي بعد أن ذكر الرواية الشاذة عن ابن عباس { : « وأكثر الروايات عنه كالقول الأول »[٥] أي: القول بالعموم.

---

(١) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٥١-١٥٢) باختصار.

(٢) تخريج الحديث: أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب فضل من مات له ولد فاحتسب (١/ ٤٢١)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٦).

(٣) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٥١)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٨٠)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٥١).

(٤) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٠٧)، وسيأتي في المسألة التالية تخريج الأحاديث التي تدل على الورود وهي أحاديث صحيحة ثابتة.

(٥) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٨).

[٤٩/٢١٧] المسألة الثانية: المراد بورود النار في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى الورود عليها أي: العرض عليها، ولا يقتضي الورود الدخول[١]، حيث قال ~ : « والظاهر أنه عام للخلق، وأنه ليس الورود الدخول لجميعهم فعن ابن مسعود والحسن وقتادة: هو الجواز على الصراط[٢]، لأن الصراط ممدود عليها، وعن ابن عباس: قد يرد الشيء ولم يدخله[٣] كقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾[٤]، ووردت القافلة البلد ولم تدخله ولكن قربت منه أو وصلت إليه، قال الشاعر:

فلما وَرَدْنَ المـاءَ زُرْقاً جِمَامُـهُ وَضَعْنَ عصيَّ الحَاضِر المتخيِّم[٥]

وتقول العرب: أوردنا ماء بني تميم، وبني كلب، إذا حضروهم ودخلوا بلادهم، وليس يراد به الماء بعينه »[٦].

◈ الدراسة والموازنة:

اختلف المفسرون في المراد بورود النار في هذه الآية الكريمة، على أقوال:

القول الأول:

أن معنى الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها ثم ينجى الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا، واستدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة منها:

---

(١) النهر الماء (٦/ ٢٠٦).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٤١)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩١)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥١٨).

(٣) انظر الوسيط للواحدي (٣/ ١٩١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٤).

(٤) سورة القصص: آية ٢٣.

(٥) هذا البيت لزهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة ص(٣٩)، اللسان (١٠/ ١٣٨)، تاج العروس ص(٦٣٥٥)، والمعنى: بلغن إلى الماء، أي أقمن عليه، وإن لم يدخله وجمام الماء جمع جم، أي الكثير المنجمع وزرقته هي صفاؤه ومنه زرقة العين، ومعنى العصى والتخيم كناية عن الإقامة والاستقرار.

(٦) البحر المحيط (٦/ ١٩٧).

١. للنظائر القرآنية الدالة على معنى الورود، كقوله -تعالى-: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝٩٨﴾[1] فهذا ورود دخول، وكقوله -تعالى-: ﴿لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٩٩﴾[2] فهو ورود دخول أيضاً، وقوله: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾[3] وقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨﴾[4].

٢. و يستدلون بقوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ بضم الثاء، فثم تدل على نجاء بعد الدخول وقوله ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ دليل على ورودهم لها دخولهم فيها إذ لو لم يدخلوها لم يقل: ونذر الظالمين فيها، بل يقول: وندخل الظالمين.

٣. وبما ورد في بعض الحرف ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ﴾ الورود الدخول[5]، على التفسير للورود، فغلط فيه بعض الرواة فألحقه بالقرآن.

٤. كما ورد عن جابر بن عبدالله أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما ويذر الظالمين فيها جثياً)[6].

---

(١) سورة هود: آية ٩٨.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٩٩.

(٣) سورة مريم: آية ٨٦.

(٤) سورة الأنبياء: ٩٨.

(٥) أخرج عن الحسن أنه كان يقرأ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ﴾ الورود الدخول، قال ابن الأنباري: قوله الورود الدخول تفسير من الحسن لمعنى الورود، وغلط فيه بعض الرواة فألحقه بالقرآن قال ابن الجوزي في آخر كلامه: وربما كانوا يدخلون. التفسير في القراءة إيضاحاً وبياناً، لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قراناً فهم آمنون من الإلتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه، وأما من يقول إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب انتهى. انظر الإتقان للسيوطي (١/ ٢٠٩)، مناهل العرفان للزرقاني (١/ ٢٩٨).

(٦) تخريج الحديث: مسند الإمام أحمد، مسند جابر بن عبدالله (٣/ ٣٢٨)، ومسند عبد بن حميد ص(٣٣٣)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٧١)، وقال ابن كثير: غريب ولم يخرجوه، انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٣٩)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح. انظر المستدرك (٤/ ٦٣٠).

٥. بما ورد عن بعض السلف بأن معنى الورود في الآية: الدخول، فقد ورد: عن ابن عباس[١]، و(عبدالله بن رواحة، والحسن البصري)[٢]، وقد اختاره: (البغوي، والنسفي وابن عادل، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي)[٣].

القول الثاني:

أن الورود المذكور هو: الجواز على الصراط، لأنه جسرٌ منصوبٌ على متن جهنم واستدلوا بما ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (أن ورود النار هو المرور عليها لأن الناس تمر على الصراط، وهو جسر منصوب على متن جهنم)[٤] وكذلك روي عن الحسن وقتادة، وبما روي عن ابن مسعود مرفوعاً: (أنهم يردونها جميعاً ويصدرون عنها بحسب أعمالهم)[٥] وعنه أيضاً (بأن الورود الوقوف عليها)[٦]، واختاره: (الطبري، والسمرقندي، والبغوي، والقرطبي، وابن كثير، والشهاب الخفاجي، والقونوي، والشوكاني)[٧].

---

(١) انظر جامع البيان (١٦/ ١٢٧)، الدر المنثور (٥/ ٤٧١)، اللباب لابن عادل (١٣/ ١١٧).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٨٩)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩١)، ابن كثير (٣/ ١٣٩).

(٣) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٨٠)، اللباب لابن عادل (١٣/ ١١٩)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٣٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٥٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥١٨).

(٤) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٣)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩٣)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٨٠).

(٥) سبق توثيقه انظر ص٨٥٥ .

(٦) انظر جامع القرطبي (١١/ ٩١)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٩)، قال أحمد شاكر: اسناده صحيح انظر عمدة التفسير (٢/ ٥١٥).

(٧) انظر ذلك على الترتيب التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٣٠)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٣)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٠)، حاشية الشهاب علي البيضاوي (٦/ ٣٠٢)، حاشية القونوي (١٢/ ٢٧٥)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢٦).

القول الثالث:

أن معنى الورود: الإشراف والمقاربة كما في قوله: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾[(1)] وكذلك قوله: ﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ ﴾ [(2)]، واحتج أصحاب هذا القول بأن الورود لا يعني الدخول بقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[(3)] وقالوا: إن إبعادهم عنها المذكور في هذه الآية يدل على عدم دخولهم فيها، فالورود غير الدخول، وقد رد البغوي هذا الاستدلال وقال: (وأما قوله ﷻ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾[(4)] فقيل: إن الله ﷻ أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسيسها فيجوز أن يكونوا قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة، لأنه لم يقل لم يسمعوا حسيسها ويجوز أن لا يسمعوا حسيسها عند دخولهم إياها، لأن الله ﷻ يجعلها عليهم برداً وسلاماً) [(5)] .

وقال القرطبي: « واحتج عليهم بأن معنى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [(6)] عن العذاب فيها والإحراق بها قالوا: فمن دخلها وهو لا يشعر بها ولا يحس منها وجعاً ولا ألماً، فهو مبعد عنها في الحقيقة)، وذكر إن كان يراد من معنى الإشراف والمقاربة هو المرور عليها على متنها كما دلت عليه الروايات الصحيحة فحسن، وإن كان المراد القرب وعدم الدخول فمردود، لأن السياق يدل على عموم الدخول » [(7)]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الزجاج، والفخر الرازي) [(8)].

---

(١) سورة القصص: آية ٢٣.

(٢) سورة يوسف: آية ١٩.

(٣) سورة الأنبياء: آية ١٠١ – ١٠٢.

(٤) سورة الأنبياء: آية ١٠٢.

(٥) معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٤٥).

(٦) سورة الأنبياء: آية ١٠١.

(٧) الجامع للقرطبي (١١/ ٩١).

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٤١)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢٠٨).

القول الرابع:

أن حظ المؤمنين من ذلك الورود هو حر الحُمى في دار الدنيا، واستدل أصحاب هذا القول بحديث: (الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء)[1]، وإن كان الحديث صحيحاً، ولكن يرد عليهم بأنه لا دليل فيه لمحل النزاع، لأن السياق صريح في أن الكلام في النار في الآخرة وليس في حرارة منها في الدنيا لأن أول الكلام قوله -تعالى-: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨﴾[2] إلى أن قال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[3] فدل ذلك على أن كل ذلك في الآخرة لا في الدنيا، وأما الاستدلال برواية (الحمى حظ كل مؤمن من النار)[4] فالرواية لا تثبت والله أعلم.

---

(١) تخريج الحديث: أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقه (٣/ ١١٩٠)، وفي كتاب الطب باب الحمى من فيح جهنم (٥/ ٢١٦٢)، ومسلم في كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (٤/ ١٧٣١).

(٢) سورة مريم: آية ٦٨.

(٣) سورة مريم: آية ٧١.

(٤) تخريج الحديث: روى من الحديث أبي هريرة، وأنس، وعائشة، وأبي ريحانه، وأبي أمامة، وعثمان بن عفان، وابن مسعود، وسعد بن معاذ.

- أما أبي هريرة: فرواه ابن ماجة، كتاب الطب، باب الحمى (٢/ ١١٤٩)، حدثنا أبو بكر بن شيبة ثنا أبو أسامة عن عبدالرحمن بن يزيد عن إسماعيل بن عبيدالله عن أبي صالح الأشعري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه عاد مريضاً ومعه أبو هريرة من وعك كان به فقال رسول الله ﷺ: «أبشروا فإن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا، لتكون حظه النار في الآخرة»، وهو عند الترمذي كتاب الطب (٤/ ٤١٢)، والحاكم (١/ ٣٤٥)، والبيهقي في الشعب (٧/ ١٦١)، وأبي النعيم في الحلية (٦/ ٨٦)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

- أما حديث أنس: فرواه الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٦٦)، حدثنا محمد بن إبراهيم العسال قال حدثنا سليمان بن داود الشاذكوني قال حدثنا عبيس بن ميمون قال: حدثني قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمى حظ المؤمن من النار» ثم قال: لم يرد هذا الحديث عن قتادة إلا عبيس بن ميمون تفرد به الشاذكوني.

- وأما حديث عائشة: فأخرجه البزار (١/ ٣٦٤)، حدثنا محمد بن موسى الواسطي ثنا عثمان بن مخلد ثنا هشيم عن المغيرة عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «الحمى حظ المؤمن من النار» ثم =

= قال البزار: لا نعلم أسنده عن هشيم إلا عثمان، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠٩)، رواه البزار، واسناده: حسن » أ.هـ.

– وأما حديث أبي ريحانه قال: قال رسول الله ﷺ: « الحمى من فيح جهنم وهي نصيب المؤمن من النار »، وأخرجه البيهقي في الشعب (٧/ ١٦١-١٦٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠٩): « رواه الطبراني في الكبير، وفيه شهر بن حوشب وفيه كلام ووثقه جماعة ».

– وأما حديث أبي أمامة: فرواه أحمد في المسند (٥/ ٢٥٢) حدثنا يزيد هو ابن هارون أنا محمد بن مطرف عن أبي الحصين عن أبي صالح الأشعري عن لأبي أمامة عن النبي ﷺ قال: « الحمى من كيد جهنم، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار » رواه أيضاً في المسند (٥/ ٢٦٤)، والطبراني في الكبير (٨/ ١١٠)، قال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٠٨): « رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه أبو الحصين الفلسطيني، ولم أر له راوياً غير محمد بن مطرف ».

– وأما حديث عثمان: فرواه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٨٧) في ترجمة عبدالله بن عمران القرشي، قال: حدثنا الحسين بن إسحاق الشتري قال: حدثنا علي بن بحر القطان قال: حدثنا فضل بن حماد الواسطي قال: حدثنا عبدالله بن عمران القرشي قال: حدثنا مالك بن دينار عن معبد الجهني عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: « الحمى حظ كل مؤمن في الدنيا من النار »، وقال إسناده غير محفوظ والمتن معروف بغير هذا الإسناد، وقد روي في هذا أحاديث مختلفة في الألفاظ بأسانيد صالحة » أ.هـ.

– وأما حديث عبدالله بن مسعود: فرواه القضاعي في مسند الشهاب رقم (٦٢) أخبرنا محمد بن الحسين الموصلي ثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان ثنا صالح بن أحمد الهروي ثنا أحمد بن راشد الهلالي ثنا حمد بن عبدالرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن الحسن بن عمرو عن إبراهيم عن الأسود عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « الحمى حظ كل مؤمن من النار وحمى ليلة يكفر خطايا سنة مجرمة ».

– وأما حديث سعد بن معاذ: فرواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٢٢) في ترجمة سعد بن معاذ قال أخبرنا الفضل بن دكين قال: أخبرنا إسماعيل بن مسلم العبدي قال: أخبرنا أبو المتوكل، أن نبي الله ﷺ ذكر الحمى فقال: « من كانت به فهي حظه من النار، فسألها سعد بن معاذ ربه فلزمته، فلم تفارقه حتى فارق الدنيا » أ.هـ، قال الحافظ: أخرجه البزار عن عائشة بهذا. وقال: تفرد برفعه عثمان بن مخلد عن هشيم بن مغيرة عن إبراهيم الأسود عنها. وقال الدار قطني: عثمان لا بأس به، لكن خولف في وضع هذا الحديث، فرواه ببدل عن هشيم موقوفاً. قلت: وقد روي مرفوعاً من وجه آخر. أخرجه القضاعي في مسند الشهاب من طريق أحمد بن رشد الهلالي عن حميد بن عبدالرحمن الروالي عن الحسن بن صالح عن الحسن بن عمرو عن إبراهيم به وزاد « وحمى ليلة تكفر خطايا سنة » في الباب عن أبي هريرة عن ابن ماجة والحاكم، وعن أبي ريحانة عند الطبراني وعن أبي أمامة عند أحمد. وعن عثمان عند العقيلي، وعن سعد بن معاذ عن ابن سعد في الطبقات، وعن أنس عند الطبراني بالأوسط "وكلها ضعيفة وهي بمعناه لا بلفظه". انتهى.

القول الخامس:

إن معنى الورود: ورود عرضة القيامة التي تجمع كل بر وفاجر ونسبوه إلى ابن مسعود قال النحاس: وأبين ما في هذه الأقوال قول من قال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ إنها القيامة، وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ يدل على ذكر القيامة فكنى عنها بهذا، وكذلك ذكر جهنم يدل على القيامة، لأنها فيها، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١] فيبعد أن يكون مع هذا دخول النار[٢]، ولكن قول النحاس هذا مردود لأن جمهور السلف على أن الورود ورود النار لمناسبة سياق الآية، ولدلالة السنة، وأما ما نسب إلى ابن مسعود فلا أظنه يثبت عنه، بل الثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه هو الموافق للجمهور فيؤخذ بما وافق لا بما خالف، وقوله الموافق في دواوين التفسير المعتمدة كالطبري[٣] وغيره بخلاف القول الآخر المنسوب إليه.

القول السادس:

أن الورود يكون على جهنم وهي جامدة، أو خامدة، كما رواه الطبري عن كعب أنه قال: (تمسك النار للناس كأنه إهالة[٤]، حتى يستوي عليها أقدام الناس[٥]، فمعناه: أنها تكون على حال من التماسك والجمود، واستدلوا بما ورد عن خالد بن معدان[٦] أنه قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٧٤.

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٥٠).

(٣) سبق توثيقه انظر ص٨٥٧ .

(٤) الإهالة: ما أذبت من الشجم، وقيل الإهالى: الشحم والزيت، وقيل كل دهن أوتدم به إهالة، وقيل: الدسم الجامد، انظر اللسان (١٢/ ٦١٩) مادة أهل.

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣٩)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩١).

(٦) خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي، وأبو عبدالله الشامي الحمصي، ثقة عابد يرسل كثيراً، توفي سنة ١٠٣هـ. انظر الطبقات الكبرى (٧/ ٤٥٥)، التقريب (١/ ١٩٠).

لهم: قد وردتموها وهي خامدة[١]، واختاره: (البيضاوي، وأبو السعود)[٢].

❖ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن المراد بالورود في قوله -تعالى-: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ هو المرور على متن جهنم وذلك لما يلي:

١. أن هو ما دل عليه حديث الصحيحين فعن ابن مسعود ﷺ وهو الذي عليه سلف المفسرين وأهل السنة وهو ما رجحه الشيخان[٣].

٢. وهذا القول يمكن عليه حمل أقوال السلف كقول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من السلف، وأنه ورود عام يردها كل مؤمن وكافر وبر وفاجر ثم ينجي الله أهل الإيمان والتقوى ويذر الظالمين والمجرمين فيها جثياً، وهذه دلالة الآيات وسياقها، وقد ذكر الطبري أنه أولى الأقوال بالصواب، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط[٤].

قال الشوكاني: (ولا يخفى أن القول بأن الورود هو المرور على الصراط أو الورود على جهنم وهي خامدة فيه جمع بين الأدلة بين الكتاب والسنة، فينبغي حمل هذه الآية على ذلك لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار مع كون الداخل من المؤمنين مبعداً من عذابها أو بحمله على المعنى فوق الجسر المنصوب عليها وهو الصراط)[٥]، وذكر ابن حجر اختلاف السلف - رحمهم الله -، وأن بعضهم قال هو: الدخول لكل أحد فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً، ويصدرون عنها بأعمالهم، وقال بعضهم: هو الممر عليها، وقال: وهذان القولان أصح ما ورد في ذلك، ولا تنافي بينهما، لأن من عَبَّر بالدخول تجوَّز

---

(١) قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٣٢): (غريب لم أجده إلا من قول خالد بن معدان)، وعزاه الزيلعي لإسحاق بن راهوية في مسنده، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢١٢)، ولأبي عبيد القاسم بن سلام في غريبه (٤/ ٣٤٧) والبيهقي في الشعب (١/ ٣٣٨)، وابن المبارك في الزهد ص(١٢٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٧٥): (رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن يونس، ولم أجده من ذكره، وبقية رجاله ثقات، ورجاله رجال الصحيح).

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي (٦/ ٣٠١)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤/ ٢٥٣).

(٣) انظر فتح الباري (٣/ ١٢٤)، مسلم بشرح النووي (١٦/ ١٨١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٢٧) ثم ساق الروايات التي تشهد لهذا القول.

(٥) انظر فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٢٦).

به عن المرور، ووجهه: أن المار عليها فوق الصراط في معنى من دخلها، لكن تختلف أحوال المارة باختلاف أعمالهم، فأعلاهم درجة من يمر كلمح البرق، واستدل لذلك بالحديث: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ، فقال النبي ﷺ: قد قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ »[(١)]، وضعف به قول من قال: الورود مختص بالكفار، أو المراد به الدنو منها أو الإشراف عليها[(٢)].

٣. وهذا الجمع بين الأدلة هو الذي صار عليه بعض المحققين من العلماء والمفسرين[(٣)].

٤. لورود عدة أحاديث صحيحة تثبت عدم دخول النار إلا تحلة القسم وهو ما يوافق المرور عليها لما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما قال: قال رسول الله ﷺ: [لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فبلغ النار إلا تحلة القسم][(٤)]، ولقوله ﷺ: [من صلى قبل الظهر أربعاً وبعدها أربعاً حرمه الله على النار][(٥)].



(١) تخريج الحديث: صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ﷺ (٤/ ١٩٤٢).

(٢) فتح الباري (٣/ ١٢٤).

(٣) انظر الطبري في جامع البيان (١٦/ ١٢٧)، القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٩١)، والشهاب الخفاجي في الحاشية (٦/ ٣٠٢)، وابن حجر في فتح الباري (٣/ ١٢٤)، وابن عبدالبر في التمهيد (٦/ ٣٥٢-٣٦١)، والنووي في شرح مسلم (١٦/ ١٨١)، والشوكاني في فتح القدير (٣/ ٤٢٦)، والشنقيطي في أضواء البيان (٢/ ٥١٧-٥١٩).

(٤) تخريج الحديث: أخرجه البخاري في كتاب الإيمان والنذور، باب قول الله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩] (٦/ ٢٤٥٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسب (٤/ ٢٠٢٨).

(٥) تخريج الحديث: أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة (٢/ ٢٩٢) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني: صحيح، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ماجاء فيمن صلى قبل الظهر أربعاً (١/ ٣٦٧)، وقال الألباني: صحيح.

قال -تعالى-: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾[١] وفيها مسألة واحدة:

[٥٠/٢١٨] المسألة: سبب نزول الآية.

رجح أبو حيان ~ أن قوله -تعالى-: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾ نزلت في العاص بن وائل[٢]؛ حيث قال: « قوله ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ نزلت في العاص بن وائل، عمل له خباب بن الأرتّ[٣] عملاً وكان قَيْناً[٤] فاجتمع له عنده دين فتقاضاه، فقال: لا أنصفك حتى تكفر بمحمد، فقال خباب: لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ويبعثك، فقال العاص: أو مبعوث أنا بعد الموت؟ فقال خباب: نعم، قال: فائت إذا كان ذلك فسيكون لي مال وولد وعند ذلك أقضيك دينك[٥]، وقال الحسن: نزلت في الوليد بن المغيرة[٦]، وقد كانت للوليد أيضاً أقوال تشبه هذا الغرض » [٧] ونصّ في النهر على أنها نزلت في: العاص بن وائل[٨].

---

(١) سورة مريم: آية ٧٧.

(٢) العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، وهو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور ﷺ توفي كافراً بالأبواء بين مكة والمدينة، انظر نسب قريش للزبيري ص(٤٠٨).

(٣) خباب بن الأرتّ - بتاء مشددة - سبي في الجاهلية وبيع في مكة - فكان مولى أم أنمار الخزاعية - وهو من السابقين إلى الإسلام الذين عذبوا عذاباً شديداً، حتى كاد يموت من كي بالنار آله، شهد بدراً وما بعدها ومات سنة ٣٧هـ بالكوفة انظر الإصابة (٢/ ٢٥٨)..

(٤) القَيْنُ هو الذي يصلح الأسنة، والحداد يقال له قَيْن. انظر تاج العروس ص(٥٨٧).

(٥) تخريج الحديث: أخرجه البخاري كتاب الخصومات، باب التقاضي (٢/ ٨٥٤) ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود للنبي ﷺ عن الروح (٤/ ٢١٥٣)، أسباب النزول للواحدي (ص٢٤٨)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٧١).

(٦) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٩٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢١٣)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩٧).

(٧) البحر المحيط (٦/ ٢٠٠).

(٨) النهر الماد (٦/ ٢١١).

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في سبب نزول قوله -تعالى-: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾[1] على قولين:

القول الأول:

أنها نزلت في: العاص بن وائل السهمي، قاله: جابر[2]، وابن عباس[3]، ومجاهد[4] - ﷺ - وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (ابن جرير الطبري، والزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود، والآلوسي، والطاهربن عاشور، والشنقيطي، والمراغي)[5].

القول الثاني:

أنها نزلت في: الوليد بن المغيرة، قاله الحسن[6] وذكره: (الماوردي، والزمخشري، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي)[7].

---

(١) سورة مريم: آية ٧٧.

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٧).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٣٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٨).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٣٨)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٧٨).

(٥) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٣٨)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٤٤)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٥٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٤)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٥٠) الكشاف للزمخشري (٤/ ٥١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٩٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢١٣)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩٧)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٨٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٣)، اللباب لابن عادل (١٣/ ١٣٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٤٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٥٩)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٢٦)، تفسير المراغي (٥/ ٦٥).

(٦) سبق توثيقه انظر ص٨٦٤ .

(٧) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥١)، المحرر الوجيز لابن عطية ⇐=

◈ **الترجيـــــح:**

الـراجح - والله تعـالى أعلـم - هـو مـا رجحـه أبـو حيـان ~ وجمهـور المفسرين وذلك لما يلي:

لأن القول بأنها نزلت في العاص بن وائل ثبت في الصحيحين، وأحاديث الصحيحين مقدمة على غيرها، فضلاً على أن قول الحسن لم يثبت إلا في بعض كتب التفسير، قال القرطبي: « والأول أصح لأنه مدون في الصحاح » [1] وعلى هذا فإن الخطاب يصلح لكل من يصلح للخطاب فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال السعدي: (وهذه الآية وإن كانت نازلة في كافر معين، فإنها تشمل كل كافر، زعم أنه على حق، وأنه من أهل الجنة) [2].



= (٤/ ٣٠)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٩٣)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢١٣)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩٧).

(١) انظر الجامع للقرطبي (١١/ ٩٧).

(٢) انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٨٩)، وانظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٤٥)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٥٩).

قال الله -تعالى-: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ [(١)]، فيها مسألة واحدة:

[٥١/٢١٩] المسألة: معنى قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن معنى قوله -تعالى-: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أي نسلبه المال والولد، فنكون كالوارث له؛ حيث قال ~ : « ومن قوله ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أي: نسلبه المال والولد، فنكون كالوارث له، وقال الكلبي: نجعل ما يتمنى من الجنة لغيره[(٢)]، وقال أبو [سهل][(٣)]: نحرمه ما يتمناه من المال والولد ونجعله لغيره[(٤)]، .... وقال النحاس: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ معناه: نحفظه عليه لنعاقبه به ومنه (العلماء ورثة الأنبياء) [(٥)]: أي: حفظة ما قالوه » [(٦)] . انتهى » [(٧)].

❖ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ على أقوال منها.

القول الأول:

أن معناها أي: نسلبه المال والولد فتكون كالوارث له، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الطبري، والزجاج، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، وابن عادل، والشوكاني، والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي) [(٨)].

---

(١) سورة مريم آية (٨٠).

(٢) وجدت القول دون نسبته إلى الكلبي.

(٣) و في المطبوع (أبو سهيل)، ولم أقف عليه .

(٤) انظر روح المعاني الآلوسي (٨/ ٤٤٧).

(٥) تخريج الحديث: حديث صحيح، سبق تخرجه انظر ص٧١٧ .

(٦) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٥٨).

(٧) البحر المحيط (٦/ ٢٠١) باختصار يسير، وانظر النهر (٦/ ٢١١).

(٨) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤٢)، معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٤٥)، =

القول الثاني:

أن معناه أي: نحرمه ما يتمناه من المال والولد ونجعله لغيره وهو قول أبي سهيل، وهذا داخل في القول الأول، قال الآلوسي: «وتفسير الإرث بذلك تفسير باللازم »[1].

القول الثالث:

أن معنى ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أي: نحفظ عليه ما يقول، حتى نوفيه عقوبته عليه وهو قول النحاس، قال الآلوسي: "حفظ قوله قد علم من قوله(سنكتب ما يقول)" [1].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾، أي: نسلبه ما يقول وذلك لما يلي:

١. لدلاله سباق الآية ولحاقها لهذه المعنى، فأما سباقها فقد ذكر الله - سبحانه - أن ذلك الكافر قال: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [٢]، فرد الله عليه ذاك القول، وتوعد بأن ما يقوله سيكتب عليه قال -تعالى-: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ﴾ [٣]، وأما لحاقها فقد قال -تعالى-: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ وإذا أتى فردا فقد سلب المال والولد.

٢. وهذا المعنى هو الموافق لسبب نزول الآية الصحيح كما ورد في حديث خباب رضي الله عنه من أن هذا الكافر زعم أنه يعطى من المال والولد يوم القيامة، فرد الله عليه ذلك القول[٤].

= الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٥١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣١)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢١٣) الجامع القرطبي (١١/ ٩٩)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٨٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٣)، اللباب لابن عادل (١٣/ ١٣٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٤٧)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٦٣)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٧).

(١) انظر روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٤٧).

(٢) سورة مريم: آية ٧٧.

(٣) سورة مريم: آية ٧٩.

(٤) سبق توثيقه انظر ص٨٦٤ .

٣. أن ما رجحه أبو حيان هو الموافق لجمهور المفسرين وأما ما ذهب إليه النحاس فهو خلاف قولهم وإن كان معناه صحيحاً، ولكن قول أبي حيان والجمهور أقرب في المعنى وأقوى دلالة.

قال -تعالى-: ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾[1]، وفيها مسألتان:

[٥٢/٢٢٠] المسألة الأولى: مرجع الضمير في قوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾.

رجح أبو حيان ~ أن الضمير في قوله -تعالى-: ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ عائد على الآلهة لأنها أقرب مذكور محدث عنه؛ حيث قال ~ : « فالأظهر أن الضمير في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ عائد على أقرب مذكور محدث عنه، فالمعنى أن الآلهة سيجحدون عبادة هؤلاء إياهم، كما قال -تعالى-: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾[2]، وفي آخرها ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ وتكون الآلهة هنا مخصوصاً بمن يعقل، أو يجعل الله للآلهة غير العاقلة إدراكاً تنكر به عبادة عابديه، ويجوز أن يكون الضمير للمشركين ينكرون لسوء العاقبة أن يكونوا كما قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[3]، لكن قوله: ﴿وَيَكُونُونَ﴾ يرجح القول الأول، لاتساق الضمائر لواحد، وعلى القول الآخر [تختلف][4] الضمائر إذ يكون في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ للمشركين، وفي ﴿وَيَكُونُونَ﴾ للآلهة »[5].

◈ <u>الدراسة والموازنة</u>:

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ هل يعود على المعبود أم العابد، على قولين:

القول الأول:

أن مرجع الضمير يعود على الآلهة، والمعنى أن الآلهة سيجحدون عبادة هؤلاء إياهم، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الطبري، والسمرقندي، والواحدي

(١) سورة مريم: آية ٨٢.
(٢) سورة النحل: آية ٨٦.
(٣) سورة الأنعام: آية ٢٣.
(٤) و في المطبوع (يختلف).
(٥) البحر المحيط (٦/ ٢٠٢)، وانظر النهر (٦/ ٢٢١).

والبغوي، والزمخشري، وابن الجوزي، والنسفي، وابن عادل، وأبو السعود، والشنقيطي)[1].

القول الثاني:

أن مرجع الضمير يعود على المشركين والمعنى: أن المشركين ينكرون لسوء العاقبة، قال الطاهر بن عاشور: « والتعبير بفعل سيكفرون يرجح هذا الحمل لأن الكفر شائع في الإنكار الإعتقادي لا في مطلق الجحود، وأن الضمير يكون للآلهة، وفيه تشتيت الضمائر، ولا ضير في ذلك إذا كان السياق يرجع محلاً إلى ما يناسبه »[2]، واختاره: (الماوردي، وابن عطية، والقرطبي، والطاهر بن عاشور)[3].

◈ **الترجيح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين وذلك:

١- لدلالة السياق كما ذكر ذلك أبو حيان ~ ، فالآلهة هي أقرب مذكور محدث عنه، فإعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره[4].

٢- لاتساق الضمائر في الآية، قال الشنقيطي: « وضمير الفاعل في قوله سيكفرون فيه وجهان للعلماء وكلاهما يشهد له قرآن، إلا أن لأحدهما قرينة ترجحه على الآخر... والقرينة المرجحة للوجه الأول - أن الضمير في قوله ﴿وَيَكُونُونَ﴾ راجع للمعبودات وعليه فرجوع الضمير في ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ للمعبودات أظهر لانسجام الضمائر بعضها مع

---

(١) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٥١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٩٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٨٣)، اللباب لابن عادل (١٣/ ١٣٩)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٥٨)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٣٨).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٦٤).

(٣) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣١)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩٩)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٦٤).

(٤) قواعد الترجيح (٢/ ٦٠٣).

بعض أما القول الثاني - فإنه يكون ضمير ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ يكفرون يكون للعابدين، وضمير ﴿وَيَكُونُونَ﴾ للمعبودين، وتفريق الضمائر خلاف الظاهر والله أعلم »[1].

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٣٨)، وانظر قريباً من هذا المعنى حاشية الشهاب (٦/ ٣١٢)، وحاشية القونوي (١٢/ ٢٩٠).

[٥٣ /٢٢١] المسألة الثانية: معنى الضد:

رجح أبو حيان ~ أن معنى الضد هو: العون؛ حيث قال ~ : « والضد: العون، يقال من أضدادكم أي: أعوانكم وكأن العون سمي ضداً لأنه يضاد عدوك وينافيه بإعانته لك عليه[١]، وقال ~ : « ومعنى ضداً أعواناً، قاله: ابن عباس[٢] وقال الضحاك: أعداء[٣]، وقال قتادة: قرناء[٤]، وقال ابن زيد: بلاء[٥]، وقال ابن عطية: « معناه: يجيئهم منه خلاف ما كانوا أمّلوه، فيؤول بهم ذلك إلى ذلةٍ ضد ما أمّلوه من العز »[٦] »[٧].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى الضد على أقوال منها:

القول الأول:

أن معنى الضد: العون وهو قول ابن عباس، وسمي الضد عوناً[٨] لأنه يضاد العدو، وينافيه بالإعانة عليه، والمعنى أي: تصير هذه الآلهة أعواناً عليهم تكذبهم وتلعنهم وتتبرأ

---

(١) البحر المحيط (٦/ ١٨٧).

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٧٢).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٢)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٤)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٧٢).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٣)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٧٢).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤٣)، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٩)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٢)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٤).

(٦) المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣١).

(٧) انظر البحر المحيط (٦/ ٢٠٢)، وانظر النهر (٦/ ٢١٢).

(٨) البحر المحيط (٦/ ١٨٧).

منهم، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والزمخشري، وابن الجوزي، والقرطبي، وابن عادل، والآلوسي، والشنقيطي)[1].

القول الثاني:

أن معنى الضد: العدو، وهو قول الضحاك[٢]، وقال ابن قتيبة: أي أعداء يوم القيامة، وكانوا في الدنيا أولياءهم[٣]، وقد اختاره (البغوي) [٤].

القول الثالث

أن معنى الضد: القرين، وهو قول قتادة[5].

القول الرابع

أن معناه: البلاء، وهو قول ابن زيد[5].

القول الخامس

أنهم يكونون على ضد ما قدروه فيهم وأملوه منهم فيؤول بهم ذلك إلى ذلة ضد ما أملوه من العز، قاله ابن بحر[٦]، وقال ابن كثير: (أي:بخلاف ما رجوا منهم) [٧]، واختاره: (الطبري، وابن عطية، والثعالبي، والفخر الرازي، والنسفي، وابن كثير،

---

(١) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٤٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٥٨)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٩٤)، الجامع للقرطبي (١١/ ٩٩)، اللباب لابن عادل (١٣/ ١٤٠)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٤٤٩)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٣٨).

(٢) سبق توثيقه انظر ص٨٧٣ .

(٣) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص(٢٧٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٥).

(٤) انظر معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٥١).

(٥) سبق توثيقه انظر ص ٨٧٣ .

(٦) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٨٩).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٣).

والشوكاني، والطاهر بن عاشور) [١].

❖ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن جميع هذه الأقوال تدخل في معنى الضد. فالضد هو خلاف الشيء في الماهية أو المعاملة، ومن الثاني تسمية العدو ضداً[٢].

قال الراغب: « الضدان الشيئان اللذان تحت جنس واحد، وينافي كل واحد منهما الآخر في أوصافه وقوله -تعالى-: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ أي:منافين لهم » [٣].

وقال الطبري: « والضد في كلام العرب: هو الخلاف يقال: فلان يضاد فلاناً في كذا إذا كان يخالفه في صنيعه فيفسد ما أصلحه ويصلح ما أفسده، وإذا كان ذلك معناه كانت آلهة هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع يتبرءون منهم وينتفون يومئذ صاروا لهم أضداداً فوصفوا بذلك » [٤].

وقال ابن عطية: « معناه: يجيئهم منه خلاف ما كانوا أملوه، فيؤول بهم ذلك إلى ذلة ضد ما أملوه من العز وهذه صفة عامة، وقال قتادة: قرناء، وقال ابن عباس معناه: أعواناً، وقال الضحاك: أعداء، وقال ابن زيد: بلاء وقيل غير هذا مما لفظ القرآن أعم منه وأجمع للمعنى المقصود » [٥].

---

(١) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣١)، الجواهر الحسان للثعالبي (٢١/ ٢١٤)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢١٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٨٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٣)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣٣)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٦٤).

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٦٤).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص(٥٠٣)، وانظر عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢/ ٣٧٢).

(٤) جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤٣).

(٥) المحرر الوجيز (٤/ ٣١).

وقال الشنقيطي: « لا تكون المعبودات التي عبدتم من دون الله لكم، بل تكون بعكس ذلك فيكون عليكم ضداً أي: أعواناً عليكم في خصومتكم وتكذيبكم والتبرؤ منكم. وأقوال العلماء في الآية:تدور حول هذا الذي ذكرناه »[1].

(١) أضواء البيان (٢/ ٥٣٨)، وانظر اللباب لابن عادل (١٣/ ١٤٠).

قال -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[٥٤/٢٢٢] المسألة: معنى: إرسال الشياطين.

رجح أبو حيان ~ أن معنى إرسال الشياطين هو: التسليط، حيث قال ~: «﴿أَرْسَلْنَا﴾ معناه: سلطناه،أو لم نخل بينهم وبينهم، مثل قوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾[2] وتعديته بعلى دليل على أنه تسليط »[3].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في معنى إرسال الشياطين على الكافرين، على قولين:

القول الأول:

أن معنى الإرسال هو: التسليط، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ والدليل على أن معناه: الإرسال التعدية بحرف الجر (على)، وقد اختاره: (الزجاج، والنحاس، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن القيم، وابن عادل، وأبو السعود، والشوكاني، والآلوسي، والقاسمي، والشنقيطي)[4].

---

(١) سورة مريم: آية ٨٣.

(٢) سورة الزخرف: آية ٣٦.

(٣) البحر المحيط (٦/ ٢٠٣)، وانظر النهر (٦/ ٢١٥).

(٤) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٤٥)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٦٥)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٦)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٥)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٥١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٩٤) مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢١٥)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٠٠)، بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ١٤٨)، اللباب لابن عادل (١٣/ ١٤٣)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٥٩)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣٣)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٥٠)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٩٠)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٣٩).

القول الثاني:

أن معنى الإرسال هو: التخلية، أي: خلينا بين الشياطين وبين الكافرين فلم نعصمهم من القبول منهم، قال ابن القيم ~ : « قالت القدرية: معنى أرسلنا الشياطين على الكافرين: خلينا بينهم وبينها ليس معناه التسليط، وإنما الإرسال يستعمل بمعنى التخلية بين المرسل وما يريد فمعنى الآية:

خلينا بين الشياطين وبين الكافرين ولم يمنعهم منهم ولم يعدهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[1].

قال الواحدي: « وإلى هذا الوجه يذهب القدرية في معنى الآية، قال وليس المعنى على ما ذهبوا إليه »[2]، وقال الزجاج: « والمختار أنهم أرسلوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم كما قال -تعالى-: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[3] وقال -تعالى-: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾[4] وإنما معنى الإرسال: التسليط »[5]، وقال ابن القيم ~ : « وهذا هو المفهوم من معنى الإرسال كما في الحديث: (إذا أرسلت كلبك المعلم)[6] أي: سلطته ولو خلى بينه وبين الصيد من غير إرسال من لم يبح صيده، وكذلك قوله: ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ﴾[7] أي: سلطناها وسخرناها عليهم، وكذلك قوله: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ ﴾[8] وكذا قوله: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾[9]، والتخلية بين المرسل وبين ما أرسل عليه من

---

(١) سورة الحجر: آية ٤٢.

(٢) الوجيز للواحدي (١/ ٦٨٩).

(٣) سورة الزخرف: آية ٣٦.

(٤) سورة فصلت: آية ٢٥.

(٥) معاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٤٥).

(٦) تخريج الحديث: أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب من اقتنى كلباً ليس كلب صيد (٩/ ٥٢٤)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح من حديث عدي بن حاتم ﷺ (٤/ ٥٩٠).

(٧) سورة الذاريات: آية ٤١.

(٨) سورة الفيل: آية ٣.

(٩) سورة القمر: آية ٣١.

لوازم هذا المعنى، ولا يتم التسليط إلا به، فإذا أرسل الشيء الذي من طبعه وشأنه أن يفعل فعلاً ولم يمنعه من فعله فهذا هو التسليط »[1]، واختار هذا القول: (الزمخشري، والنسفي)[2].

◈ **الترجيح:**

الراجح - والله تعالى أعلم- هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن معنى الإرسال هو: التسليط،وذلك لما يلي:

١- لأن معنى خلينا بينهم وبينهم هذا الموافق لمذهب المعتزلة: من أنه -تعالى- لا يفعل الشر، أما مذهب أهل السنة فإنه -تعالى- خلق الشر كالخير، قال ابن القيم: «فالإرسال ها هنا كوني قدري كإرسال الرياح، وليس بإرسال ديني شرعي فهو إرسال تسليط بخلاف قوله-تعالى-: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾[3]، فهذا السلطان المنفي عن المؤمنين هو الذي أرسل به جنده على الكافرين»[4].

٢- ولدلالة السياق على أن معنى الإرسال هو التسليط، قال الشوكاني: « ويؤيده تمام الآية وهو ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ فإن الأز والهز والاستفزاز، معناها: التحريك والتهييج والإزعاج، فأخبر الله -سبحانه- أن الشياطين تحرك الكافرين وتهيجهم وتغويهم، وذلك هو التسليط لها عليهم، وقيل معنى الأز: الاستعجال، وهو مقارب لما ذكرنا لأن الاستعجال تحريك، وتهييج واستفزاز، وإزعاج، وسياق هذه الآية لتعجيب رسول الله ﷺ من حالهم وللتنبيه له على أن جميع ذلك بإضلال الشياطين وإغوائهم »[5].

---

(١) انظر بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ١٤٩-١٥٠)، باختصار يسير.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٨٣).

(٣) سورة الحجر: آية ٤٢.

(٤) بدائع التفسير لابن القيم (٣/ ١٤٨).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣٣).

قال -تعالى-: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [1]، وفيها مسألة واحدة:

[٥٥/٢٢٣] المسألة: وقت حشر المتقين وفدا.

رجح أبو حيان ~ أن وقت حشر المتقين إلى الرحمن وفدا أنه بعد انقضاء الحساب من أرض المحشر إلى الجنة؛ حيث قال ~ : « ولفظة الوفد مشعرة بالإكرام والتبجيل، كما [تفد][2] الوُفاد على الملوك منتظرين للكرامة عنده، وعن علي: على نوقٍ رحالها ذهب، وعلى نجائب سرجها يا قوت[3]، وعنه أيضا أنهم يجيئون ركباناً على النوق المحلاة بحلية الجنة، خطمها من يا قوت وزبرجد[4]، وروى عمرو بن قيس الملائي[5]: أنهم يركبون على تماثيل من أعمالهم الصالحة هي في غاية الحسن[6]، روى أنه يركب كل أحد منهم ما أحب من إبل، أو خيل، أو سفن تجيء عائمة بهم، والظاهر أن هذه الوفادة بعد انقضاء الحساب،

---

(١) سورة مريم: آية ٨٥.

(٢) و في المطبوع (يفد) .

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤٦)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٦٢)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٥١)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٥)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٧٤)، وعزاه لعبدالله بن أحمد في زوائد المسند، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مرداويه، والبيهقي في البعث، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه عبدالرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف. وأخرجه الحاكم في كتاب التفسير، باب سورة مريم وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. انظر المستدرك (٢/ ٣٧٧). وقال الألباني: ضعيف جداً، انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٢٤٢).

(٤) انظر بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي (٢/ ٣٧٨)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٢)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٠١)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٧٤).

(٥) عمرو بن قيس الملائي بضم الميم وتخفيف اللام والمد، أبو عبدالله الكوفي، ثقة، عابد، توفي سنة ١٤٦هـ، انظر التقريب (١/ ٤٢٦).

(٦) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٢)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٠١)، تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٤)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٤٥١)، قال القرطبي: (ولا يصح من قبل إسناده، قاله: ابن العربي في (سراج المريدين) وذكر هذا الخبر في تفسيره أبو نصر عبدالرحيم بن عبدالكريم القشيري، عن ابن عباس بلفظه ومعناه). الجامع (١١/ ١٠١).

وأنها النهوض إلى الجنة كما قال: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[1] »[2].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اخلف المفسرون في وقت وزمان هذا الحشر، على قولين:

القول الأول:

أن هذه الوفادة تكون بعد انقضاء الحساب، وإنما هي النهوض إلى الجنة، وهو قول: قتادة[3]، وقاله أبو سليمان الدمشقي[4]، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ ، واختاره: (السمرقندي، والبغوي، وابن عطية، والقرطبي، وابن كثير، والشوكاني، والشنقيطي، والمراغي)[5].

القول الثاني:

زمان هذا الحشر من قبورهم إلى الرحمن، وقاله علي بن أبي طالب[6]، فعن علي ﷺ أنه كان عند رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ فقال: ما أظن الوفد إلا الركب - يا رسول الله -؟ فقال النبي ﷺ: « والذي نفسي بيده، إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق بيض لها أجنحة عليها رحائل الذهب، شرك نعالهم نورٌ يتلألأ، كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة »[7]، ولكن أكثر

---

(١) سورة القمر: آية ٥٥.

(٢) البحر المحيط (٦/ ٢٠٣)، وانظر النهر (٦/ ٢١٥).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤٦)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٧٤).

(٤) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٩٥).

(٥) انظر بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٥١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٢)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٠٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٤٣)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٤١)، تفسير المراغي (٦/ ٧١).

(٦) انظر زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٩٥).

(٧) تخريج الحديث: الحديث مرفوعاً لا يصح. قال الألباني: هو ضعيف جداً. انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٢٤٢).

أهل العلم يردون هذا الحديث مرفوعاً، قال الحافظ ابن كثير: « روى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً غريباً جداً مرفوعاً عن علي رضي الله عنه »[١] وقال القرطبي: « ولفظ الثعلبي في هذا الخبر عن علي أبين، وقال علي: لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله إني رأيت الملوك ووفودهم فلم أر وفداً إلا ركباناً. قال: «يا علي إذا كان المنصرف من بين يدي الله -تعالى- تلقت الملائكة المؤمنين بنوق بيض، رحالها وأزمتها الذهب، على كل مركب حلة لا تساويها الدنيا، فيلبس كل مؤمن حلة، ثم تسير بهم مراكبهم، فتهوي بهم النوق حتى تنتهي بهم إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[٢].

قال القرطبي: « وهذا الخبر ينص على أنهم لا يركبون ولا يلبسون إلا من الموقف، وأما إذا خرجوا من القبور فمشاةٌ حفاةٌ عراةٌ غُرلاً إلى الموقف، بدليل حديث ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: [يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله -تعالى- حفاةً عراةً غرلاً][٣] والحديث أخرجه: البخاري ومسلم، ولا يبعد أن تحصل الحالتان للسعداء فيكون حديث ابن عباس مخصوصاً »[٤]، واعترض الآلوسي على رأي أبي حيان وقال: « إن ذلك لا يأتي على ما سمعت في الخبر المروي عن علي - كرم الله تعالى وجهه - فإنه صريح في أنهم يركبون عند خروجهم من القبور وينتهون إلى باب الجنة... ووجه الجمع بين الأخبار يلزم تخصيص المتقين بالموصوفين بالتقوى الكاملة ودخول عصاة المؤمنين في المجرمين أو عدم احتمال الآية على بيان حالهم »[٥].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٥).

(٢) سورة الزمر: آية ٧٣.

(٣) تخريج الحديث: أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا﴾ [مريم: ١٦] (٣/ ١٢٧١)، وفي كتاب الرفاق، باب كيف الحشر؟ (٥/ ٢٣٩١)، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٤/ ٢١٩٤).

(٤) انظر الجامع للقرطبي (١١/ ١٠١).

(٥) روح المعاني للألوسي (٨/ ٤٥٢).

◈ **الترجيــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو ما رجحه أبو حيان ~ ومن وافقه من المفسرين بأن زمان الحشر هو بعد انقضاء الحساب وانه النهوض إلى الجنة وذلك لما يلي:

١- لوجود قرينة في السياق تدل على هذا المعنى فقوله -تعالى-: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: إلى جنة الرحمن، ودار كرامته كقوله -تعالى-: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (١) وكما في الخبر [من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله] (٢)، (٣).

٢- ولأن معنى الوفد: من يأتي إلى الملك مثلاً في أمر له شأن وجمهور المفسرين على أن معنى قوله: ﴿وَفْدًا﴾ أي: ركباناً فبعض العلماء يقول: هم ركبان على نجائب من نور من مراكب الآخرة وبعضهم يقول: يحشرون ركباناً على صور من أعمالهم الصالحة في الدنيا في غاية الحسن وطيب الرائحة.

قال الشنقيطي: « وركوبهم المذكور إنما يكون من المحشر إلى الجنة، أما من القبر فالظاهر أنهم يحشرون مشاة بدليل حديث الصحيحين من حديث ابن عباس(٤) الدال على أنهم يحشرون حفاةً عراةً غرلاً، وهذا هو الظاهر وجزم به القرطبي والله أعلم » (٥).



---

(١) سورة الصافات: آية ٩٩.

(٢) تخريج الحديث: أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣/ ١٤١٦)، وفي كتاب النكاح، باب من هاجر وعمل خيراً لتزويج امرأة فله ما نوى (٥/ ١٩٥١)، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنيات (٣/ ١٥١٥).

(٣) انظر الجامع للقرطبي (١١/ ١٠١)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣٤).

(٤) سبق توثيقه انظر ص٨٨٢ هامش (٣).

(٥) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٤١).

قال -تعالى-: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[1] وفيها مسألة.

[٥٦/٢٢٤] المسألة: مرجع الضمير في قوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾.

رجح أبو حيان أن الضمير في ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ عائد على الخلق كلهم المتقين والمجرمين؛ حيث قال ~ : « والضمير في ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ عائد على الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين، إذ هم قسماه والاستثناء متصل، و(من) بدلٌ من ذلك الضمير، أو نصبٌ على الاستثناء، و﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ استئناف اخبار، وقيل: موضعه نصب على الحال من الضمير في ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ ويكون (عائداً)[2] على المجرمين، والمعنى: غير مالكين أن يشفع لهم، ويكون على هذا الاستثناء منقطعاً، وقيل: الضمير عائد على المتقين »[3].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله -تعالى-: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ على قولين:

القول الأول:

أن الواو في قوله: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ راجعة إلى المجرمين المذكورين في قوله -تعالى-: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾[4] أي: لا يملكون المجرمون الشفاعة، ولا يستحقون أن يشفع فيهم شافع يخلصهم مما هم فيه من الهول والعذاب، ويشهد لهذا القول آيات من كتاب الله، كقوله -تعالى-: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[5]، وقوله -تعالى-: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[6]، وقوله -تعالى-:

---

(١) سورة مريم: آية ٨٧.

(٢) و في المطبوع (عائدٌ).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٢٠٤)، وانظر النهر (٦/ ٢١٥).

(٤) سورة مريم: آية ٨٦.

(٥) سورة المدثر: آية ٤٨.

(٦) سورة الشعراء: آية ١٠٠ – ١٠١.

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [1]، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [2] إلى غير ذلك، من الآيات، وهذا الوجه يفهم منه بالأحرى أن المجرمين لا يشفعون في غيرهم، لأنهم إذا كانوا لا يستحقون أن يشفع فيهم غيرهم لكفرهم فشفاعتهم في غيرهم ممنوعة من باب أولى، وعلى كون الواو راجعة إلى المجرمين فالاستثناء منقطع و(من) في محل نصب، والمعنى: لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً يملكون الشفاعة أي: بتمليك الله إياهم وإذنه لهم فيها. فيملكون الشفاعة بما ذكرنا ويستحقها به المشفوع لهم، قال -تعالى-: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [3] وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [4] وقال: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [5] وقد اختار هذا القول: (ابن عطية، والقرطبي، وابن كثير) [6].

القول الثاني:

أن الواو في قوله: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ ﴾ راجعة إلى الخلق كلهم (المتقين والمجرمين) جميعاً المذكورين في قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [7]، وعليه فالاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [8] متصل و(من) بدل من الواو في ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ﴾، أي: لا يملك (من) جميعهم أحد الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً وهم المؤمنون، أي: إلا المؤمنون فإنهم

---

(١) سورة غافر: آية ١٨.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٢٨.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٥٥.

(٤) سورة الأنبياء: آية ٢٨.

(٥) سورة النجم: آية ٢٦.

(٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٢)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٠٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٥).

(٧) سورة مريم: آية ٨٥ – ٨٦.

(٨) سورة مريم: آية ٨٧.

يشفع بعضهم في بعض كما قال -تعالى-: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ ⁽¹⁾ وقد بين -تعالى- في مواضع أخر: أن المعبودات التي يعبدونها من دون الله لا تملك الشفاعة، وأن من شهد بالحق يملكها بإذن الله له في ذلك، وهو قوله -تعالى-: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٢]، أي لكن من شهد بالحق يشفع بإذن الله له في ذلك. وقال -تعالى-: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ ﴾ [٣]، وقال -تعالى-: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ [٤] وهذا القول الذي رجحه أبو حيان ~ ، وقد اختاره: (الزمخشري، والنسفي، وأبو السعود، والشهاب، الخفاجي، والقونوي، والشوكاني، والآلوسي، والمراغي) [٥].

◈ **التـرجيـــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - هو كما رجح الشيخ الشنقيطي ~ بأن كلا الوجهين حق وذلك لما يلي: أن القرآن حمال ذو وجوه فلا مانع من أن يكون كلا المعنيين تفسيراً للآية، قال الشيخ الشنقيطي ~ : « إن من أنواع البيان التي تضمنها القرآن الكريم أن يكون في الآية وجهان أو أوجه من التفسير كلها على حق، وكل واحد منها يشهد له القرآن فإنا نذكر الجميع وأدلته من كتاب الله تعالى لأنه كله حق. وهذه الآية الكريمة من هذا النوع » [٦].

---

(١) سورة طه: آية ١٠٩.

(٢) سورة الزخرف: آية ٨٦.

(٣) سورة الروم: آية ١٢-١٣.

(٤) سورة يونس: آية ١٨.

(٥) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٨٤)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٤٥٢)، حاشية الشهاب (٦/ ٣١٥)، حاشية القونوي (١٢/ ٢٩٤)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣٤)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٤٥٢)، تفسير المراغي (٦/ ٧١).

(٦) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٤١).

[٥٧/٢٢٥] **المسألة الثانية: المراد بالعهد في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.**

رجح أبو حيان ~ أن المراد بالعهد في قوله -تعالى-: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾[١] هو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، لقوله ﷺ: [من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كان له عند الله عهد][٢] وهو ما نص عليه في النهر[٣]، ورجحه في البحر؛ حيث قال ~: « والعهد هنا: قال ابن عباس: لا إله إلا الله محمد رسول الله[٤]، وفي الحديث [من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كان له عند الله عهد]، وقال السدي: العهد: الطاعة[٥]، وقال ابن جريج: العمل الصالح[٦]، وقال الليث: حفظ كتاب الله[٧]، وقيل: عهد الله إذنه لمن شاء في الشفاعة، من عَهِدَ الأمير إلى فلان بكذا، أي: أمره به أي: لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها، ويؤيده ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[٨]، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾[٩]،

---

(١) سورة مريم: آية ٨٧.

(٢) تخريج الحديث: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير باب العين من حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب { (١٢/ ٤٣٦)، وفي الأوسط (٢/ ١٦١)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني وفيه النضر بن عبيد ولم أعرفه وبقية رجاله وثقوا (١٠/ ٩٨). وقال في (١٠/ ٦٤٨) رواه الطبراني في الأوسط وفيه أيوب بن عتبة، وهو ضعيف وفيه توثيق لين، وقال الألباني: ضعيف انظر ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٢٦٣)، والسلسة الضعيفة (١١/ ١٣١).

(٣) انظر النهر الماد (٦/ ٢١٥).

(٤) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٦)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٤٧٦)، روح المعاني للألوسي (٨/ ٤٥٢).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر جامع البيان (١٦/ ١٤٧).

(٧) انظر روح المعاني للألوسي (٨/ ٤٥٣).

(٨) سورة سبأ: آية ٢٣.

(٩) سورة طه: آية ١٠٩.

وقوله: ﴿لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [(١)] » [(٢)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في المراد بالعهد، على أقوال:

القول الأول:

أن المراد بالعهد: قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وبه فسر قوله -تعالى-: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(٣)]، ولقول النبي ﷺ: [من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كان له عند الله عهد] [(٤)]، وهو قول ابن عباس، وهذا ما رجحه أبو حيان ~ وقد اختاره: (الفراء، والزجاج، والسمرقندي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي والفخر الرازي، والنسفي، وابن كثير) [(٥)].

القول الثاني:

أن المراد بالعهد: الطاعة، وهو قول: السدي.

القول الثالث:

أن المراد بالعهد: حفظ كتاب الله، وهو قول: الليث.

القول الرابع:

أن المراد بالعهد كما ورد عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: «أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهداً؟ قالوا: وكيف ذلك؟

---

(١) سورة النجم: آية ٢٦.

(٢) البحر المحيط (٦/ ٢٠٤).

(٣) سورة البقرة: آية ١٣٤.

(٤) سبق تخريجه انظر ص٨٨٧ هامش رقم (٢).

(٥) انظر معاني القرآن للفراء (٢/ ١٧٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٣/ ٣٤٦)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٧)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٦)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٥٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ١٩٦)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢١٦)، مدارك التنزيل للنسفي ص(٦٨٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٥).

قال يقول كل صباح ومساء: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، وأنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عندك عهدا توفينه يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد، فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع، ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الذين لهم عند الرحمن عهد، فيدخلون الجنة »[1]، ذكره: (الزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي، والنسفي، وابن كثير، والمراغي)[2].

القول الخامس:

أن المراد بالعهد: العمل الصالح وهو: يشمل الإيمان بالله، وامتثال أمره واجتناب نهيه، وقد اختاره: (الطبري، والزمخشري، والقرطبي، والشوكاني، والقاسمي، والشنقيطي والسعدي)[3].

القول السادس:

أن المراد بالعهد هو: إذن الله – سبحانه – لمن شاء في الشفاعة، كقول العرب عهد الأمير إلى فلان بكذا أي: أمره به، أي: لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها، وقد وجه الشنقيطي ~ هذا القول بأنه وإن كان صحيحاً في نفسه، ولكنه ليس المراد في

---

(١) انظر الكشاف (٤/ ٥٦)، قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ٣٣٩): « غريب مرفوعاً، ولم أجده إلا موقوفاً » والموقوف رواه الحاكم في كتاب التفسير باب سورة مريم (٢/ ٣٧٧) وصححه، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٩)، وذكره السيوطي في الدرر (٥/ ٤٧٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وابن مردويه، وعزاه الزيلعي لأبي عبدالله الترمذي في نوادر الأصول.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٦) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٢) ، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢١٦) ، الجامع للقرطبي (١١/ ١٠٣) ، مدارك التنزيل للنسفي (ص ٦٨٤) ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٥) ، تفسير المراغي (٦/ ٧١) .

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٤٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٦)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٠٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣٤)، محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٩١)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٤١)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣/ ١٩٢).

الآية؛ حيث قال ~ : « وهذا القول ليس صحيحاً في المراد بالآية وإن كان صحيحاً في نفسه وقد دلت على صحته آيات من كتاب الله، كقوله -تعالى-: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ وقوله: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾، وقوله: ﴿يَوۡمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾» واختار هذا القول (أبو السعود)[1].

◈ **الترجيـــــح:**

الراجح - والله تعالى أعلم - أن المراد بالعهد: الإيمان بالله وجميع الصالحات التي يصل بها صاحبها إلى خير من يشفع، وذلك لما يلي:

لأن العموم أولى، فما رجحه أبو حيان ~ من أن العهد هو قول لا إله إلا الله داخل في ذلك[2]، وغير ذلك من الأقوال يدخل في هذا المعنى الراجح.

قال الآلوسي: « والمعنى لا يملك العباد أن يشفعوا لغيرهم إلا من اتصف منهم بما يستاهل معه أن يشفع، وهو المراد بالعهد وفسره ابن عباس بشهادة أن لا إله إلا الله والتبري من الحول والقوة وعدم رجاء أحد إلا الله -تعالى-، وفسره ابن مسعود بقول العبد: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعله لي عندك عهدا تؤديه إلى يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد، وفسره مقاتل والسدي وابن جريج بالصلاح، وفسره الليث بحفظ كتاب الله.. وتسمية ما ذكر عهداً على سبيل التشبيه»[3].

---

(١) الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٦٢).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٤٢).

(٣) روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٥٢-٤٥٣) باختصار وتصرف يسير، وانظر الجامع للقرطبي (١١/ ١٠٣)، وأضواء البيان (٢/ ٥٤٢ - ٥٤٣).

قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾[1]، وفيها مسألة واحدة:

[٥٨/٢٢٦] المسألة: متى سيجعل الرحمن للذين آمنوا وُدا؟

رجح أبو حيان ~ أن هذا الجعل يكون في الدنيا وأما السين فهي أداة استقبال لأن المؤمنين كانوا بمكة حال نزول هذه السورة وكانوا ممقوتين من الكفرة فوعدهم الله بذلك إذا ظهر الإسلام وفشا واحتمل أن يكون ذلك في الدنيا على الإطلاق[2]؛ حيث قال ~ : « والسين في ﴿سَيَجۡعَلُ﴾ للاستقبال، فاحتمل أن يكون هذا الجعل في الدنيا، وجيء بأداة الاستقبال لأن المؤمنين كانوا بمكة حال نزول هذه السورة وكانوا ممقوتين من الكفرة، فوعدهم الله بذلك إذا ظهر الإسلام وفشا، واحتمل أن يكون ذلك في الدنيا على الإطلاق كما في الترمذي قال: « إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إني قد أحببت فلاناً فأحبه قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في الأرض قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾[3] »، إلى آخر الحديث، وقال هذا حديث صحيح.... وقيل: في الكلام حذف، والتقدير: سيدخلهم دار كرامته، ويجعل لهم وُداً بسبب نزع الغل من صدورهم، بخلاف الكفار فإنهم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض،

---

(١) سورة مريم: آية ٩٦.

(٢) انظر النهر الماد (٦/ ٢١٦).

(٣) تخريج الحديث: الحديث بهذا اللفظ في سنن الترمذي كتاب التفسير، باب سورة مريم (٥/ ٣١٧)، وأصله في البخاري كتاب الأدب، باب المقة من الله تعالى (٥/ ٢٢٤٦)، وفي مسلم كتاب البر، باب إذا أحب الله عبداً أحببه لعباده (٤/ ٢٠٣٠) ولفظه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: [إذا أحب الله عبداً، دعا جبريل، فقال يا جبريل: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، قال: ثم ينادى في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً، قال: فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإن الله إذا أبغض عبداً، دعا جبريل فقال: يا جبريل: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادى في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال فيبغضه أهل السماء، ثم توضع له البغضاء في الأرض »، وفي رواية الترمذي، «فذلك قول الله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾».

ويلعن بعضهم بعضاً، وفي النار أيضاً يتبرأ بعضهم من بعض » [(١)].

◈ **الدراسة والموازنة:**

اختلف المفسرون في زمان جعل هذا الود من الرحمن، على أقوال:

القول الأول:

أن هذا الجعل يكون في الدنيا، ووجهه أبو حيان ~ بأن السين سين الاستقبال وبأن السورة مكية، وكان المؤمنون ممقوتين حينئذ من الكفرة فوعدهم سبحانه بذلك إذا ظهر الإسلام وفشا، وذُكر أن الآية نزلت في المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه –، وعد – سبحانه – أن يجعل لهم محبة في قلب النجاشي[(٢)]، وقيل: أن عبدالرحمن بن عوف ﷺ لما هاجر إلى المدينة وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة: منهم شيبة بن ربيعة، وعقبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، فأنزل الله هذه الآية[(٣)]، وقيل: نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ [(٤)].

---

(١) البحر المحيط (٦/ ٢٠٨).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٤)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٥٨).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٥٣)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٤)، وقد رد ابن كثير هذا السبب وقال: وروى ابن جرير أثراً أن هذه الآية نزلت في هجرة عبدالرحمن بن عوف وهو خطأ فإن هذه السورة بكمالها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة ولم يصح سند ذلك والله أعلم. تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٩٧).

(٤) انظر النكت والعيون للماوردي (٣/ ٣٩١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦١) وأورد الزمخشري أن سبب النزول أن النبي ﷺ قال لعلي – ﷺ –: يا علي اللهم، إجعل لي عندك عهداً واجعل لي في قلوب المؤمنين مودة » وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: رواه الثعلبي والطبري في مسند حمزة الزيات، وابن مردويه من حديث البراء بن عازب { ، وفيه إسحاق بن بشر عن خالد بن زيد وهما متروكان، انظر الكشاف (٢/ ٣٤١).

وذكر ابن عطية القول بأنها نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ ونسبه للنقاش. انظر المحرر الوجيز (٤/ ٣٤) واختاره ابن الجوزي (٥/ ١٩٧) والسيوطي في الدر المثور (٥/ ٤٧٩) قال الآلوسي: وروى الإمامية خبر نزولها في علي كرم الله وجهه عن ابن عباس والباقر، وأيدوا ذلك بما صح عندهم أنه رضي الله عنه قال: لو
=⇐

ثم العبرة في سائر الروايات في سبب النزول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأن هذا يكون للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الدنيا على الإطلاق، واستشهد أبو حيان ~ ، لهذا الرأي بما ورد عن النبي ﷺ « إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إني قد أحببت فلاناً فأحبه قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في الأرض قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾﴾[1] »[2]، وهو قول: [ابن عباس، ومجاهد][3] وقد اختاره: (الفراء، والطبري، والسمرقندي، والواحدي، وابن كثير والشوكاني)[4].

= ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ولو صبت الدنيا بجملتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني وذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبي ﷺ أنه قال: « لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق » والمراد المحبة الشرعية.التي لا غلو فيه، وزعم بعض النصارى حبه كرم الله وجهه، فقد أنشد الإمام اللغوي رضي الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي لابن إسحاق النصراني الرسعني:

عديّ وتيم لا أحاول ذكرهم ... بسوء ولكني محب لهاشم
وما تعتريني في علي ورهطه ... إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم ... وأهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم إني لأحسب حبهم ... سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

قال الآلوسي: وإذا تعلم أنه إذا صح الحديث ثبت كذبه، وأظن أن نسبة هذه الأبيات للنصراني لا أصل لها وهي من أبيات الشيعة بيت الكذب، وكم لهم مثل هذه المكائد كما بين في التحفة الاثني عشرية. روح المعاني (٨/ ٤٥٨).

(١) سورة مريم: آية ٩٦.

(٢) سبق تخريجه انظر ص٨٩١ هامش رقم (٣).

(٣) انظر جامع البيان للطبري (١٦/ ١٥٣)، معاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٦٥)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٧)، معالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٥٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٧)، الدر المنثور (٥/ ٤٧٩).

(٤) انظر ترتيب ذلك على النحو التالي: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٧٤)، جامع البيان للطبري (١٦/ ١٥٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٣٨٨)، الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٤٧)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٤٣٧).

القول الثاني:

أن هذا الجعل يكون في الدنيا والآخرة، وذلك أن الله -تعالى- سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للأسباب التي يكتسب الناس بها مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع معروف أو غير ذلك، والسين في سيجعل إما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله -تعالى- ذلك إذا جاء الإسلام، وإما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم إلى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم.

واستدل ابن عطية بسياق الآيات وقال: « ويحتمل أن تكون الآية متصلة بما قبلها في المعنى أي: أن الله -تعالى- لما أخبر عن إتيان كل من في السماوات والأرض في حال العبودية والانفراد أنس المؤمنون بأنه سيجعل لهم في ذلك اليوم ودا، وهو ما يظهر عليهم من كرامته،لأن محبة الله للعبد إنما هي ما يظهر عليه من نعمه وإمارات غفرانه » [(١)]، وقد اختار هذا القول: (الزمخشري، وابن عطية، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن عادل، وأبو السعود والآلوسي، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي) [(٢)].

القول الثالث:

أن معنى ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ أي: يهب ما يحبون والود والمحبة سواء، يقال آتيت فلاناً محبته، وجعل لهم ما يحبون، وجعلت له مودة، ومن كلامهم يود لو كان كذا، وودت أن لو كان كذا أي: أحببت، ومعناه: سيعطيهم الرحمن ودهم أي: محبوبهم في الجنة، وهو قول أبي مسلم ورجحه لوجوه منها:

أحدها: كيف يصح القول بأن الله -تعالى- سيحدث لهم في القلوب مودة - مع

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٤).

(٢) انظر ذلك على الترتيب التالي: الكشاف للزمخشري (٤/ ٦١)، المحرر الوجيز لابن عطية (٤/ ٣٤)، مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢١٨)، الجامع للقرطبي (١١/ ١٠٨)، اللباب لابن عادل (١٣/ ١٦٠)، الإرشاد لأبي السعود (٤/ ٢٦٢)، روح المعاني للآلوسي (٨/ ٤٥٨)، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٧٥)، أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٤٣).

علمنا بأن المسلم المتقي يبغضه الكفار وقد يبغضه كثير من المسلمين.

وثانيها: أن مثل هذه المحبة قد تحصل للكفار والفساق أكثر فكيف يمكن جعله إنعاماً في حق المؤمنين.

وثالثها: أن محبتهم في قلوبهم ممن فعلهم لا أن الله تعالى فعله، فكان حمل الآية على إعطاء المنافع الأخروية أولى(١).

ولكن هذا القول يرده أن حمل المحبة على المحبوب مجاز، ولأن الرسول ﷺ في بعض الروايات قرأ هذه الآية وفسرها بذلك، فكان ذلك أولى، أما ما قاله أبو مسلم بان المسلم يبغضه الكفار، وان هذه المحبة تحصل للكفار أيضاً، فإن هذا مردود أيضاً بأن المراد: يجعل لهم الرحمن محبة عند الملائكة والأنبياء، وروي أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام أنه حكى عن ربه عز وجل أنه قال: [إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذ ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم](٢) وهذا لا يكون للكافر والفاسق(٣).

❖ **الترجيـــح:**

الراجح -والله تعالى أعلم- أن هذا المعنى عام، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأن هذا الود عام وله متعلقات عدة، فالمعنى أن الرحمن سيجعل لهؤلاء المؤمنين الود من الله، والملائكة، ومن أنفسهم، وفي الدنيا والآخرة، فالآية دالة على أن هؤلاء المؤمنين سيجعل لهم الرحمن أوداء ولم تقصره على أنه في الدنيا فقط، وحديث الصحيحين(٤) لفظه عام ولم يرد ذكر الآية في تفسير الحديث إلا في رواية الترمذي التي استشهد بها أبو حيان ~ وغيره من المفسرين، فقد روى الترمذي هذا الحديث عن قتيبة

---

(١) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢١/ ٢١٨-٢١٩).

(٢) تخريج الحديث: أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] (٦/ ٢٦٩٤)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى (٤/ ٢٠٦١).

(٣) انظر مفاتيح الغيب (٢١/ ٢١٨، ٢١٩) باختصار يسير.

(٤) سبق تخريجه انظر ص٨٩١ هامش رقم (٣).

بن سعيد[١] عن الدراوردي[٢]، وليست هذه الزيادة عن أحد ممن روى الحديث عن غير قتيبة بن سعيد، ولا عن قتيبة بن سعيد في غير رواية الترمذي، فهذه الزيادة إدراج من ابن قتيبة عند الترمذي خاصة[٣].

قال الشنقيطي: « إن من أنواع البيان التي تضمنها الكتاب المبارك أن يذكر لفظ عام ثم يصرح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه، ومنه هذه الآية فإن الله ﷻ أعلم أنه سيجعل لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وداً، أي محبة في قلوب عباده وقد صرح في موضع آخر بدخول نبيه موسى -عليه وعلى نبينا السلام- في هذا العموم وذلك في قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾[٤] »[٥]، وقال الطاهر بن عاشور: « وإيثار المصدر ليفي بعدة متعلقات بالود فالمعنى: سيجعل لهم الرحمن أوداء من الملائكة كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾[٦] ويجعل بينهم مودة كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[٧]، وفسر أيضاً جعل الود بأن يجعل لهم محبة في قلوب أهل الخير كما جاء في حديث الترمذي[٨]، وفسر أيضاً بأن الله سيجعل لهم محبة منه تعالى فالجعل هنا كالإلقاء في قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾[٩] وهذا أظهر الوجوه في تفسير الود »[١٠].

---

(١) قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي، أبو رجاء البلخي، يقال اسمه: يحي، وقيل: علي، ثقة ثبت، مات سنة ٢٤٠هـ. انظر التقريب (١/ ٤٥٤)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٤٦).

(٢) الدراوردي: عبدالعزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي، أبو محمد الجهني مولاهم المدني، صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطيء، وقال أبو زرعة: سيء الحفظ، انظر التقريب (١/ ٣٥٨)، الكاشف (١/ ٦٥٨).

(٣) انظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٧٥).

(٤) سورة طه: آية ٣٩.

(٥) أضواء البيان للشنقيطي (٢/ ٥٤٣).

(٦) سورة فصلت: آية ٣١.

(٧) سورة الحجر: آية ٤٧.

(٨) سبق تخريجه انظر ص٨٩١ هامش رقم (٣).

(٩) سورة طه: آية ٣٩.

(١٠) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٧/ ١٧٥).

وقال القرطبي: معلقاً على قول بعض المفسرين بأن هذه المودة في قلوب المؤمنين والملائكة يوم القيامة: « إذا كان محبوباً في الدنيا فهو كذلك في الآخرة فإن الله تعالى لا يحب إلا مؤمناً تقياً ولا يرضى إلا خالصاً نقياً » [1] جعلنا الله تعالى وإياكم منهم بمنه وكرمه.

(١) الجامع للقرطبي (١١/ ١٠٨).

الخاتمـــة

الخاتمـــة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن سار على هداه إلى يوم الدين.

أما بعـــد:-

فقد من الله المنان ﷻ علي بإتمام هذا البحث المتواضع، والذي أدعو الله ﷻ أن ينفعني به، وينفع به، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأسأله تعالى أن يغفر لي ما كان فيه من زلل أو خطأ، وجزى الله خيراً كل من أعانني على إنجازه، وكل من قدم توجيهاته وملاحظاته لتقويمه وتصويبه.

وقد خرجت من هذا البحث بالنتائج التالية:

١ – مكانة الإمام أبي حيان ~ العلمية، وبراعته في علوم شتى، فهو مقرئ، مفسر، لغوي، نحوي.

٢ – جودة طريقته في تلقيه للعلم، وعظيم اجتهاده في ذلك، وسعة صبره وتحمله.

٣ – ثناء العلماء عليه، وتقديرهم له ببيان جهوده، وسعة علمه واطلاعه، وإمامته.

٤ – تواضعه وقربه من تلامذته مع حسن النصح والتربية لهم.

٥ – كثرة مؤلفاته، وإقبال العلماء والطلاب على دراستها، والاستفادة منها، وخاصة – تفسيره البحر المحيط – ؛ حيث اهتم العلماء به اهتماماً كبيراً، وظهر مدى استفادتهم منه، وكما ظهرت دراسات مستفيضة في دراسته من نواح شتى.

٦ – نفرة أبي حيان من الفلاسفة والباطنية والمعتزلة والصوفية وغيرهم من المذاهب الضالة، وقد بذل جهده في نصح الأمة وتحذيرها من شر هؤلاء، وقد كانت توجيهاته وترجيحاته تتسم بصفاء العقيدة، والإلتزام بمنهج السلف الصالح .

٧ – من خلال دراستي لتفسير أبي حيان ~ تبين لي عدة مزايا، منها:

(أ) التزامه ~ بمنهجه الذي بينه في مقدمة تفسيره في الغالب منه، وهو منهج علمي يدل على جلالة أبي حيان، وعظيم علمه، وتمكنه في البيان والتأليف.

(ب) سعة اطلاعه في العلوم الشرعية، ويظهر ذلك واضحاً في تفسيره من خلال عرضه لأقوال المفسرين، والفقهاء، ومناقشته للأقوال.

(ج) اهتمامه البالغ بالقراءات ببيانها، وتوجيهها، وذكر المتواتر والشاذ منها.

(د) دقته الفائقة في بيان المناسبات بين السور، والآيات، بعضها ببعض.

(هـ) تحريه الصحة فيما يذكره من الأحاديث في كثير من المواضع في تفسيره.

(و) عنايته الفائقة بعلوم العربية، ويتضح ذلك في تفسيره من بيان للمعاني اللغوية، ووجوه الإعراب، والأسرار البلاغية وغير ذلك.

(ز) قوة ترجيحات أبي حيان ~ في تفسيره؛ حيث إنها مبنية على قواعد، وأسس علمية متينة، ورصينة.

٧ – أن هذه الدراسة تبني في الطالب أهمية التحري والدقة في النظر في الأقوال، وبيان الراجح منها على الأدلة، والإتباع للصحيح دون التحيز لقول دون آخر.

٨ – بلغ عدد ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من سورة النحل آية: (٨٠) وحتى سورة مريم، ٢٢٦ ترجيحاً، تبين لي من خلالها ما يلي:

(أ) أن أبا حيان ~ لم يكن مقلداً في ترجيحاته، بل كان مجتهداً يبحث في الأدلة، ويوضحها، ويبني عليها ترجيحاته في الغالب.

(ب) كان ~ يرد، ويبين ضعف الأقوال التي لم يرجحها في كثير من المواطن.

(ج) تبين لي من خلال البحث موافقة أبي حيان لأقوال كثير من كبار المفسرين، ومخالفته لهم في البعض الآخر، وهذا جدول في بيان شيء من ذلك:

الرقم	المفسر	وافقه	خالفه
١	الفـــــــراء	٢٢	٢٢
٢	الطـــــبري	١٠٠	٥٧
٣	الزجـــــاج	٦٠	٤٩
٤	النحـــــاس	٤٥	٢٩
٥	المـــــاوردي	٢٤	٣١
٦	الواحـــــدي	١٠٨	٦٠
٧	الزمخـــــشري	٩٦	٥١
٨	ابـــن عطيـــة	١٢٨	٥٥
٩	الفخـــر الـــرازي	٩٢	٤٠
١٠	القرطبـــــي	١٠٤	٥٨

(د) وافقه في ترجيحاته عدد من المتأخرين عنه، وخالفوه في ترجيحات أخرى، وهذا جدول يوضح بعض ذلك:

الرقم	المفسر	وافقه	خالفه
١	الـــسمين الحلبـــي	١٧	٣
٢	ابـــن كثـــير	١٠٠	٥٩
٣	ابـــن عـــادل	٨٥	٤٣
٤	أبـــو الـــسعود	١١٦	٤٣
٥	الـــــشوكاني	١٣٠	٤٠
٦	الآلـــــوسي	١٣٤	٤٤
٧	ابـــن عاشـــور	٩١	٥١
٨	الـــشنقيطـــي	٥٨	١٤

(هـ) انفرد أبو حيان عن غيره في بعض الترجيحات، وكذلك لم يتابعه أحد ممن أتى بعده فيها.

(و) من خلال دراستي في هذا البحث ترجح عندي ما رجحه أبو حيان ~ في بعض المسائل، وترجح عندي قول غيره في مواطن أخرى، وجمعت بين الأقوال في بعض منها، وهذا جدول في بيان ذلك:

الرقم	الترجيـــــــح	عدد المسائل
١	ما قوي فيها ترجيح أبي حيان	١٦٦
٢	ما قوي فيها ترجيح غيره	٣٥
٣	ما جمعت فيها بين الأقوال	٢٥

وبعــد: فهذه بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث والدراسة.

وفي الختــام أحمد الله -تعالى- على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، كما أحمده على توفيقه لإنجاز هذا البحث، راجية الثواب منه ﷻ، فما كان فيه من صواب فمن الله الكريم ﷻ وتوفيقه، وما كان فيه من خطأ وزلل وقصور فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

هــذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفهـــارس

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾	البقرة:٧	٢	٢٩١، ٢٩٢، ٥٠٨
﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾	البقرة:٤٥	٢	٥٧٨
﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾	البقرة:٤٦	٢	٦٩، ٥٧٦، ٥٧٨
﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾	البقرة:٦٢	٢	٣٩١
﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾	البقرة:٧٤	٢	٢٨٩
﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	البقرة:١٣٤	٢	٨٨٨
﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا﴾	البقرة:١٣٥	٢	١٤٢، ٧٩٧
﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾	البقرة:١٤٠	٢	٤٥٤
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	البقرة:١٤٣	٢	٦٨٥
﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾	البقرة:١٦٧	٢	٧٦٥
﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	البقرة:١٦٩	٢	٩٥
﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾	البقرة:١٧٣	٢	١٦١
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾	البقرة:١٧٨	٢	٢٦٦
﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾	البقرة:١٧٨	٢	٢٦٧
﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾	البقرة:١٨٧	٢	٢٥٢
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾	البقرة:١٨٩	٢	٥٠١
﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾	البقرة:١٩٦	٢	١٦١
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾	البقرة:٢١٩	٢	١٢٥

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾	البقرة:٢٢١	٢	١٢٤
﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾	البقرة:٢٢٨	٢	١٢٤
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾	البقرة:٢٣٤	٢	٥٠٠
﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٢٤٩)﴾	البقرة:٢٤٩	٢	٥٧٨
﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾	البقرة:٢٥٥	٢	٨٨٥
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾	البقرة:٢٥٥	٢	٣١٢
﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾	البقرة:٢٦٠	٢	٣٩٤
﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	البقرة:٢٧٤	٢	٨٦١
﴿وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	البقرة:٢٧٨	٢	٧٣٧
﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾	البقرة:٢٨٢	٢	١٢٤
﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	آل عمران:٢١	٣	٦٩٩
﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣)﴾	آل عمران:٣٣	٣	٧٣٠
﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾	آل عمران:٣٨	٣	٧١٣
﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾	آل عمران:٣٨	٣	٧١٣
﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٢)﴾	آل عمران:٤٢	٣	٧٢٨، ٧٣٠
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾	آل عمران:٥٩	٣	١٢٣، ٥٣٠
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾	آل عمران:٨١	٣	٦٢٠

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآيـــــــــــة
٦	٣	آل عمران:١٠٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾
٥٣٩	٣	آل عمران:١١٩	﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾
٨٤٥	٣	آل عمران:١٧٣	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾
٦	٤	النساء:١	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾
١٦٢	٤	النساء:١٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾
٥٥٧	٤	النساء:٢٩	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾
٧١، ١٨٠	٤	النساء:٤١	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾
٢٠٩	٤	النساء:٤٨	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾
١٢١، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٠	٤	النساء:٨٢	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾
١٥٩	٤	النساء:٩٢	﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾
٢٠٢	٤	النساء:١٠٣	﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾
٨٢٧	٤	النساء:١٥٧	﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾
١٢٤	٥	المائدة:٥	﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾
٢٠٠	٥	المائدة:٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾
٤٣٧	٥	المائدة:٨	﴿اعْدِلُوا﴾

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ﴾	المائدة:٣٢	٥	٦٠١
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾	المائدة:٤٨	٥	٤٣٢
﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾	المائدة:٦٧	٥	٣١٣
﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾	المائدة:٧٥	٥	٧٣١
﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾	الأنعام:٢٣	٦	١٦٥، ٨٧٠
﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾	الأنعام:٣١	٦	٧٦٥
﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾	الأنعام:٣٥	٦	٥٠٨
﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾	الأنعام:٥٢	٦	٥٠٤
﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾	الأنعام:٦٣	٦	٧٠٨
﴿ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾	الأنعام:٨٣	٦	٦٧٦
﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ﴾	الأنعام:١٠٧	٦	٥٠٧
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١١٥) ﴾	الأنعام:١١٥	٦	٤٢٦، ٤٣٠
﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (١٢٩) ﴾	الأنعام:١٢٩	٦	٢٣٥
﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ﴾	الأنعام:١٥٢	٦	١٨٦
﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ ﴾	الأنعام:١٥٢	٦	٢٠٢
﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	الأنعام:١٨٠	٦	٣٠٩

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾	الحجر:٤٢	١٥	٢٠٧، ٨٧٨، ٨٧٩
﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾	الحجر:٤٧	١٥	٨٩٦
﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾	النحل:١	١٦	٧٥٦
﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾	النحل:٨	١٦	٤٤١
﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾	النحل:١٨	١٦	١٧٢
﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	النحل:٤٤	١٦	٧٢، ٩٥
﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾	النحل:٦٤	١٦	٧٢
﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾	النحل:٦٨	١٦	٧٢٩
﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا ﴾	النحل:٨٠	١٦	١١٨
﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾	النحل:٨٢	١٦	١٧١
﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾	النحل:٨٣	١٦	١٦٩، ١٧١
﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾	النحل:٨٤	١٦	١٧١
﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾	النحل:٨٦	١٦	١٧٥، ٨٧٠

الآيــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	النحل:٨٩	١٦	٧١، ١١٥، ١٧٩
﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) ﴾	النحل:٩١	١٦	١٨٢
﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢) ﴾	النحل:٩٢	١٦	١٨٧
﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤) ﴾	النحل:٩٤	١٦	١٩١، ١٩٣
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾	النحل:٩٧	١٦	١٩٤
﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) ﴾	النحل:٩٨	١٦	١١٥، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢
﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	النحل:٩٩	١٦	٦٩، ٢٠٦، ٢٠٨
﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) ﴾	النحل:١٠٠	١٦	٢٠٨، ٢٠٩
﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ﴾	النحل:١٠١	١٦	٩٠
﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) ﴾	النحل:١٠٤	١٦	١١٦

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾	النحل:١٠٦	١٦	١١٠، ١١٨
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾	النحل:١١٠	١٦	١٠٩، ٢١١
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾	النحل:١١٢	١٦	٩٣، ٢١٤، ٢١٦
﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١١٣﴾	النحل:١١٣	١٦	٩٣، ٢١٤، ٢١٥
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ١١٩﴾	النحل:١١٩	١٦	٢١٨
﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾	النحل:١٢٣	١٦	٧٠، ١٤٢، ٧٩٧
﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾	النحل:١٢٦	١٦	٧٥، ٩١، ١٥٥، ٢٢٠
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾	الإسراء:١	١٧	٢٢٥
﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾	الإسراء:٣	١٧	١٦٤، ٢٣٢
﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ٥﴾	الإسراء:٥	١٧	١٠٥، ٢٣٥
﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ٨﴾	الإسراء:٨	١٧	٢٣٩
﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾	الإسراء:٩	١٧	٤٣٤

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾	الإسراء:١٢	١٧	١٠٩
﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾	الإسراء:١٥	١٧	٢٤٣
﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾	الإسراء:١٩	١٧	١١٨
﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾	الإسراء:٢٠	١٧	٦٩، ٢٤٦، ٢٤٨
﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ ﴾	الإسراء:٢١	١٧	٢٤٨
﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾	الإسراء:٢٢	١٧	٢٤٩
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	الإسراء:٢٣	١٧	٢٥٠، ٢٥٩
﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾	الإسراء:٢٣	١٧	٢٥٠، ٢٥٧
﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾	الإسراء:٢٣	١٧	١٦٢
﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾	الإسراء:٢٤	١٧	١٦٢، ٢٥١
﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾	الإسراء:٢٥	١٧	٢٥٤
﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾	الإسراء:٢٦	١٧	٢٥٧
﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾	الإسراء:٢٨	١٧	٢٦٠

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾	الإسراء:٣٣	١٧	٢٦٦، ٢٧٢
﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾	الإسراء:٣٤	١٧	١٨٦
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾	الإسراء:٣٦	١٧	٧٣، ٩٥، ١١٠، ١٦٣، ٢٧٨، ٢٨٣
﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾	الإسراء:٤٤	١٧	١٤٧، ٢٨٦، ٢٨٨، ٦٣٩
﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾	الإسراء:٤٥	١٧	١٥٤، ٢٩٠، ٢٩١
﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾	الإسراء:٤٦	١٧	٢٩٣
﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾	الإسراء:٤٧	١٧	٢٩٥
﴿ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾	الإسراء:٥٠	١٧	١١٢، ٢٩٨
﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾	الإسراء:٥١	١٧	١١٢، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٤
﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾	الإسراء:٥٢	١٧	٦٩، ١٤١، ١٤٧، ٣٠١
﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾	الإسراء:٥٣	١٧	٧٠، ١٤١، ٣٠٧
﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ ﴾	الإسراء:٥٤	١٧	٣١٠

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠) ﴾	الإسراء:٦٠	١٧	٢٢٧، ٢٢٨، ٣١١، ٣١٤، ٣١٨
﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) ﴾	الإسراء:٦٤	١٧	١٧٥، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣
﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥) ﴾	الإسراء:٦٥	١٧	٦٩، ٢٠٦
﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) ﴾	الإسراء:٧٠	١٧	٣٣٢
﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾	الإسراء:٧٢	١٧	٣٨٦، ٣٨٨
﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) ﴾	الإسراء:٧٦	١٧	٣٤٩
﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) ﴾	الإسراء:٧٨	١٧	٧٣، ٣٣٧
﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩) ﴾	الإسراء:٧٩	١٧	٣٤٠، ٣٤٢
﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا (٨٠) ﴾	الإسراء:٨٠	١٧	٣٤٨، ٣٤٨
﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣) ﴾	الإسراء:٨٣	١٧	٣٥٦
﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ ﴾	الإسراء:٨٣	١٧	٧٠

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾	الإسراء ٨٤	١٧	٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾	الإسراء:٨٥	١٧	٦٨، ٣٦٣، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣
﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾	الإسراء:٨٦	١٧	٣٧٥، ٣٧٦
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾	الإسراء:٨٨	١٧	٤٠٨
﴿ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾	الإسراء:٨٨	١٧	٤١٠
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾	الإسراء:٨٩	١٧	١٥٢، ٣٧٨، ٣٨١
﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾	الإسراء:٩٠	١٧	١٥٢، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٩٢
﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾	الإسراء:٩١-٩٢	١٧	٣٨٢
﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾	الإسراء:٩٣	١٧	٨٣، ٣٨٢
﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾	الإسراء:٩٧	١٧	٧٤، ١٤٧، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٩٠
﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾	الإسراء:١٠٠	١٧	١١٦، ٣٩٢
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾	الإسراء:١٠١	١٧	١٦٤، ٣٩٤

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾	الإسراء:١٠٢	١٧	١٣٨، ٣٩٩
﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾	الإسراء:١٠٣	١٧	٤٠٤
﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾	الإسراء:١٠٤	١٧	١٣٧، ٤٠٤
﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾	الإسراء:١٠٥	١٧	١١٥، ١٦٤، ٤٠٨
﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾	الإسراء:١٠٦	١٧	٤١٢
﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾	الإسراء:١٠٧	١٧	١٣٦، ٤١١، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٧، ٤١٨
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾	الإسراء:١١٠	١٧	٨٨، ٤١٩
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾	الكهف:١	١٨	٨٣، ٨٨، ١١٢، ١٥٧، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٣٤
﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾	الكهف:٢	١٨	٨٣، ١١٢، ١٥٧، ٤٣١
﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾	الكهف:٥	١٨	٤٣٥
﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾	الكهف:٦	١٨	١٠٥
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾	الكهف:٧	١٨	١٠٧، ٤٣٨، ٤٤١
﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾	الكهف:٩	١٨	٤٤٣

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾	الكهف:١٠	١٨	٤٥٠
﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢﴾	الكهف:١٢	١٨	٤٥٣
﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣﴾	الكهف:١٣	١٨	١١١
﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ١٤﴾	الكهف:١٤	١٨	٤٥٨، ١٠٧
﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾	الكهف:١٨	١٨	٤٦١
﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾	الكهف:١٨	١٨	٤٤٧
﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ١٩﴾	الكهف:١٩	١٨	٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٥٦، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٣
﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٢٠﴾	الكهف:٢٠	١٨	٤٧٢
﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾	الكهف:٢١	١٨	٤٧٨

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) ﴾	الكهف:٢٢	١٨	٤٨٣، ٤٨٩
﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا (٢٥) ﴾	الكهف:٢٥	١٨	٤٥٦، ٤٩٤
﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦) ﴾	الكهف:٢٦	١٨	٤٥٦، ٤٩٤
﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا (٢٨) ﴾	الكهف:٢٨	١٨	٩٣، ١٥٤، ٥٠٢
﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾	الكهف:٢٩	١٨	٥١٢
﴿ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾	الكهف:٢٩	١٨	٦٩٩
﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) ﴾	الكهف:٣٤	١٨	٥١٩
﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾	الكهف:٣٥	١٨	٥٢٤
﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (٣٧) ﴾	الكهف:٣٧	١٨	٥٢٨
﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾	الكهف:٣٩	١٨	٥٢٣

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ ﴾	الكهف:٤٠	١٨	٥٣٢
﴿ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١ ﴾	الكهف:٤١	١٨	٥٣٥
﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ ﴾	الكهف:٤٢	١٨	٥٣٧
﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ ﴾	الكهف:٤٥	١٨	١٠٩، ٥٤٥
﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦ ﴾	الكهف:٤٦	١٨	١٤٣، ٤٤١، ٥٤٢
﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ ﴾	الكهف:٤٧	١٨	٧٤
﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠ ﴾	الكهف:٥٠	١٨	١٤٨، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٥٥، ٥٥٩
﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١ ﴾	الكهف:٥١	١٨	١٤٩، ٥٥٧، ٥٦٥
﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ٥٢ ﴾	الكهف:٥٢	١٨	٥٦٦
﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ٥٣ ﴾	الكهف:٥٣	١٨	٦٩، ٣٨٧، ٥٧٤
﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ٥٤ ﴾	الكهف:٥٤	١٨	٥٨٢
﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾	الكهف:٥٤	١٨	٥٨٤

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤)﴾	الكهف:٥٤	١٨	٥٨٣، ١٥٧
﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (٥٦)﴾	الكهف:٥٦	١٨	٥٨٤، ٥٨٤، ٥٨٩
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧)﴾	الكهف:٥٧	١٨	٥٩١، ٢٩١
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠)﴾	الكهف:٦٠	١٨	٥٩٦، ١٤٤
﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١)﴾	الكهف:٦١	١٨	٦٠٢، ١٤٤، ٦٠٥
﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣)﴾	الكهف:٦٣	١٨	٦١٠، ٦٠٨
﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥)﴾	الكهف:٦٥	١٨	٦١٢، ١٣٩، ٦٢٤، ٦٢٢
﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ﴾	الكهف:٦٦	١٨	٦١٦
﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣)﴾	الكهف:٧٣	١٨	٦٢٥، ٧٤، ٦٢٩، ٦٢٨
﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤)﴾	الكهف:٧٤	١٨	١٦٤
﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤)﴾	الكهف:٧٤	١٨	٦٣٠

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا ﴿٧٧﴾﴾	الكهف:٧٧	١٨	٦٤٢، ٦٣٧
﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴿٧٩﴾﴾	الكهف:٧٩	١٨	١٥٠، ٦٨، ٦٥٠، ٦٤٥، ٨٤٥
﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ﴿٨٠﴾﴾	الكهف:٨٠	١٨	٦٥١، ٦٢٩، ٧٧١
﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة وأقرب رحما ﴿٨١﴾﴾	الكهف:٨١	١٨	٦٥٩، ٦٥٢، ٦٦١
﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ﴿٨٢﴾﴾	الكهف:٨٢	١٨	٦٦٤، ٦١٦
﴿ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا﴾	الكهف:٨٣	١٨	٦٦٧
﴿إنا مكنا له في الأرض وءاتينه من كل شيء سببا ﴿٨٤﴾﴾	الكهف:٨٤	١٨	٦٧٧، ٦٧٤، ٦٧٩، ٦٧٨
﴿فأتبع سببا ﴿٨٥﴾﴾	الكهف:٨٥	١٨	٦٧٩
﴿قلنا يذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ﴿٨٦﴾﴾	الكهف:٨٦	١٨	٦٨١، ١٥٢
﴿ثم أتبع سببا ﴿٨٩﴾ حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾	الكهف:٨٩-٩٠	١٨	٦٨٥
﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ﴿٩١﴾﴾	الكهف:٩١	١٨	٦٨٣
﴿ثم أتبع سببا ﴿٩٢﴾ حتى إذا بلغ بين السدين﴾	الكهف:٩٢-٩٣	١٨	٦٨٥
﴿قالوا يذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ﴿٩٤﴾﴾	الكهف:٩٤	١٨	٦٨٦
﴿قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا﴾	الكهف:٩٨	١٨	٦٨٩
﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعنهم جمعا ﴿٩٩﴾﴾	الكهف:٩٩	١٨	٦٩١

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢)﴾	الكهف:١٠٢	١٨	٦٩٤، ٦٩٦، ٦٩٧
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾	الكهف: ١٠٣ - ١٠٤	١٨	٧٠٠
﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣)﴾	مريم:٣	١٩	٧٠٦
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)﴾	مريم:٤	١٩	١١٣، ٧٠٩
﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥)﴾	مريم:٥	١٩	٧١٢
﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦)﴾	مريم:٦	١٩	٧١٤، ٧١٩
﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢)﴾	مريم:١٢	١٩	٧١٦، ٧٢١
﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤)﴾	مريم:١٤	١٩	٨٤
﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)﴾	مريم:١٥	١٩	٧٢٥
﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)﴾	مريم:١٧	١٩	٧٢٧، ٧٣٣
﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩)﴾	مريم:١٧-١٩	١٩	٧٢٨
﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨)﴾	مريم:١٨	١٩	٧٣٥
﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩)﴾	مريم:١٩	١٩	٦٥١، ٧٣٣
﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢)﴾	مريم:٢٢	١٩	٧٣٨
﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤)﴾	مريم:٢٤	١٩	٧٤١

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾	مريم:٢٦	١٩	٧٤٩
﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾	مريم ٢٨	١٩	٧٥١
﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾	مريم:٣٠	١٩	٧٥٤
﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾	مريم:٣٥	١٩	١١١
﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾	مريم:٣٧	١٩	٧٥٨
﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾	مريم:٣٩	١٩	٧٦٨،٧٦١
﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾	مريم:٤٢	١٩	٧٩٢
﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾	مريم:٤٥	١٩	٧٧١
﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾	مريم:٤٦	١٩	٧٧٦،٧٧٤، ٧٩١
﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾	مريم:٤٧	١٩	٧٨٤،٧٨٠، ٧٨٩
﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾	مريم:٤٨	١٩	٧٩٠
﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾	مريم:٤٩	١٩	٧٩٠
﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾	مريم:٥٠	١٩	١٤١،٧٠، ٧٩٣،١٥٨
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾	مريم:٥١	١٩	٨٥
﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾	مريم:٥٢	١٩	٨٠٠

الآيـــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾	مريم:٥٤	١٩	٨٠٨
﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾	مريم:٥٥	١٩	٨١٠
﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾	مريم:٥٩	١٩	١٥٨، ٨١٤، ٨٢٢
﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾	مريم:٦٠	١٩	٨١٨، ٨٣٢
﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾	مريم:٦١	١٩	٨٣٢
﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾	مريم:٦٢	١٩	٨٢٦
﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾	مريم:٦٣	١٩	٨٣٢
﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾	مريم:٦٤	١٩	٨٣٥
﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾	مريم:٦٥	١٩	٨٣٨
﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾	مريم:٦٦	١٩	٥٨٤، ٨٤٢
﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾	مريم:٦٧	١٩	٨٤٨
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾	مريم:٦٨	١٩	٨٤٦، ٨٥٩
﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾	مريم:٧١	١٩	٨٥٢، ٨٥٩
﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾	مريم:٧١-٧٢	١٩	١٥٠
﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾	مريم:٧٧	١٩	٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٨

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩)﴾	مريم:٧٩	١٩	٨٦٨
﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠)﴾	مريم:٨٠	١٩	٨٦٧
﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)﴾	مريم:٨٢	١٩	١٦٥، ٨٧٠
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣)﴾	مريم:٨٣	١٩	٣٢٥، ٨٧٧
﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥)﴾	مريم:٨٥	١٩	٧٠، ٨٨٠، ٨٨٥
﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)﴾	مريم:٨٦	١٩	٨٥٦، ٨٨٤، ٨٨٥
﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾	مريم:٨٧	١٩	٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٧
﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾	مريم:٩٠	١٩	٢٨٩
﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣)﴾	مريم:٩٣	١٩	٦٩٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا (٩٦)﴾	مريم:٩٦	١٩	٨٩١، ٨٩٣
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)﴾	مريم:٩٨	١٩	١٠٦
﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨)﴾	طه:٣٨	٢٠	٧٢٩
﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾	طه:٣٩	٢٠	٨٩٦، ٨٩٦
﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾	طه:٤٥	٢٠	٣٩٩
﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾	طه:٨٠	٢٠	٨٠٠، ٨٠١
﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩)﴾	طه:١٠٩	٢٠	٨٨٦، ٨٨٧
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾	طه:١٣٢	٢٠	٨١٠، ٨١١، ٨١٢
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧)﴾	الأنبياء:٧	٢١	٧٢٧، ٧٢٩

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾	الأنبياء:٢٧	٢١	٥٤٦
﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾	الأنبياء:٢٨	٢١	٨٨٥
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾	الأنبياء:٣٤	٢١	٦٢٠
﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾	الأنبياء:٣٩	٢١	٥١٥
﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾	الأنبياء:٧٩	٢١	٧١٥
﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾	الأنبياء:٨٩	٢١	٧١٣
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	الأنبياء:٩٦-٩٧	٢١	٦٩٢
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾	الأنبياء:٩٨	٢١	٨٥٦
﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾	الأنبياء:٩٩	٢١	٨٥٦
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾	الأنبياء:١٠١	٢١	٨٥٨
﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾	الأنبياء:١٠٢	٢١	٨٥٨
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾	الحج:٥	٢٢	٥٣٠
﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾	الحج:٣٢	٢٢	٤٤١
﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾	الحج:٣٦	٢٢	٤٤١
﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾	الحج:٥٢	٢٢	٩٠

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾	الحج:٧٥	٢٢	٧١٤
﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ﴾	الحج:٧٨	٢٢	٧٠، ٧٩٧
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾	المؤمنون:١٠-١١	٢٣	٨٣٢
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾	المؤمنون:١٢-١٤	٢٣	٥٣٠
﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾	المؤمنون:١٨	٢٣	٣٨٧
﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾	المؤمنون:٨٩	٢٣	٢٩٥
﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ ﴾	المؤمنون:١٠٠	٢٣	٦٨، ٦٤٥، ٦٤٩
﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾	المؤمنون:١٠٨	٢٣	٣٨٦، ٧٦٧
﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾	النور:٤	٢٤	٧٧٤
﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم ﴾	النور:٢٤	٢٤	٢٨٣، ٢٨٥
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾	النور:٣٩	٢٤	٧٠٤
﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ﴾	الفرقان:١١	٢٥	٥٧٥
﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾	الفرقان:١٢	٢٥	٣٨٧، ٥٧٥
﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾	الفرقان:١٣	٢٥	٣٨٧
﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾	الفرقان:١٤	٢٥	٤٠٢، ٤٠٣
﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾	الفرقان:٢٣	٢٥	٧٠٤

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾	القصص:٧	٢٨	٧٢٨
﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	القصص:١٧	٢٨	٥٦٣
﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾	القصص:٢٣	٢٨	٨٥٨،٨٥٥
﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ ﴾	القصص:٣٠	٢٨	٨٠٢
﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾	القصص:٥٥	٢٨	٧٨٢
﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾	القصص:٦٢-٦٤	٢٨	٥٦٩
﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾	القصص:٨٦	٢٨	٦٢٣
﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	العنكبوت:٤٦	٢٩	٤٩١،٣٠٨
﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ ﴾	الروم:١٢-١٣	٣٠	٨٨٦
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾	السجدة:١٢	٣٢	٥٧٨
﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾	السجدة:١٣	٣٢	٥٠٨
﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾	الأحزاب:٥٣	٣٣	٢٠٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾	الأحزاب:٥٧	٣٣	٣١٧

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾	الأحزاب: ٧٠-٧١	٣٣	٦
﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾	سبأ:٦	٣٤	٤١٦
﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾	سبأ:٢٣	٣٤	٨٨٧
﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠﴾	سبأ:٤٠	٣٤	٥٤٩
﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١﴾	سبأ:٤١	٣٤	٦٩٥،٥٤٩
﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾	سبأ:٥٣	٣٤	٤٨٩
﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾	فاطر:١٠	٣٥	١٢٤
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾	فاطر:١٣- ١٤	٣٥	٥٦٩
﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾	فاطر:٢٤	٣٥	٢٤٣
﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾	فاطر:٣٢	٣٥	٧٣٠،٧١٧
﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾	يس:٦٥	٣٦	٢٨٥
﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩﴾	يس:٥٩	٣٦	٧٦٧
﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾	يس:٧٧	٣٦	٥٨٦

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾	الزمر:٧٣	٣٩	٧٥٦
﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾	الزمر:٧٣	٣٩	٨٣٠، ٨٨٢
﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الزمر:٧٥	٣٩	٣٠٣
﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾	غافر:١٨	٤٠	٧٦٥، ٨٨٥
﴿ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾	غافر:٣٦- ٣٧	٤٠	٦٧٧، ٦٧٩
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾	غافر:٥٣	٤٠	٧١٧
﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾	فصلت:٥	٤١	٢٩١
﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	فصلت:٢٠	٤١	١٨١، ٢٨٥
﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾	فصلت:٢١	٤١	١٨١
﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾	فصلت:٢٥	٤١	٨٧٨
﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	فصلت:٣١	٤١	٨٩٦
﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾	فصلت:٤٩-٥١	٤١	٣٥٨
﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾	الشورى:١٦	٤٢	٥٩٠
﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾	الشورى:٣٤	٤٢	٥٧٢
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾	الشورى:٥٢	٤٢	٣٦٥

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾	الزخرف:١٩	٤٣	٥٤٨
﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾	الزخرف:٣١	٤٣	٦٢٣
﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ ﴾	الزخرف:٣٢	٤٣	٦١٥، ٦٢٣
﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾	الزخرف:٣٦	٤٣	٨٧٧، ٨٧٨
﴿ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾	الزخرف:٤٩	٤٣	٣٩٨
﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾	الزخرف:٨٦	٤٣	٨٨٦
﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ ﴾	الدخان:٤-٥	٤٤	٦٢٣
﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾	الدخان:١٠-١١	٤٤	٢١٧
﴿ أَن تَرْجُمُونِ ﴾	الدخان:٢٠	٤٤	٤٧٧
﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾	الدخان:٥٦	٤٤	٨٢٨
﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ ﴾	الجاثية:١٠	٤٥	٦٨، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾	الجاثية:١٦	٤٥	٧٢٤
﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ ﴾	الجاثية:٢٨	٤٥	٨٥١، ٨٥١
﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ﴾	محمد:٢١	٤٧	٦٣٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾	الفتح:١٠	٤٨	١٨٢، ١٨٣
﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾	الفتح:٢٧	٤٨	٢٣٠
﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ ﴾	الحجرات:١١	٤٩	٢٤

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾	ق:٢٢	٥٠	٥٧٨
﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾﴾	ق:٤١	٥٠	٦٩، ١٤١، ١٤٧، ٣٠١، ٣٠٣
﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾	الذاريات:٤١	٥١	٨٧٨
﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾	النجم:٢٦	٥٣	٨٨٥، ٨٨٨
﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾	القمر:٦	٥٤	٣٠٣
﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾	القمر:٣١	٥٤	٨٧٨
﴿أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴿٤٤﴾ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾	القمر:٤٣-٤٥	٥٤	٣١٤
﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾	القمر:٤٦	٥٤	٣١٤
﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾	القمر:٤٨	٥٤	٧٤، ١٤٧، ٣٨٣، ٣٨٥
﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾﴾	القمر:٥٥	٥٤	٧٠، ٨٨١
﴿مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾	الرحمن:١٤	٥٥	١٢٣
﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾﴾	الرحمن:٢٢	٥٥	٦٠٣
﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴿٣٩﴾﴾	الرحمن:٣٦	٥٥	١٢٣
﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾﴾	الواقعة:٢٥-٢٦	٥٦	٨٢٧
﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾	الحديد:٢٥	٥٧	٣٥٥، ٤٠٨
﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾	المجادلة:٣	٥٨	١٥٩
﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾	المجادلة:٢٢	٥٨	٥٠٦
﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾	الممتحنة:٤	٦٠	٧٨٣، ٧٨٤

الآيــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾	الإنسان:٦	٧٦	٧٠، ١٤١، ٣٠٧
﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾	الإنسان:٢١	٧٦	٨٥٣
﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾	الإنسان:٢٢	٧٦	٨٥٣
﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾	الانسان:٢٧	٧٦	٦٤٨
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾	الإنسان:٣٠	٧٦	٥٠٧
﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾	المرسلات: ٣٠ - ٣١	٧٧	٥١٤
﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾	النبأ:٣٨	٧٨	٣٦٦
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾﴾	عبس:١	٨٠	٥٠٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾	الانشقاق:٦	٨٤	١٩٦
﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾	البروج:٢٠	٨٥	٣١٢
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾	الغاشية:٢-٥	٨٨	٧٠٤
﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾	الغاشية:٣	٨٨	٧٠٠
﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾	الفجر:٢٩	٨٩	٧٠، ١٤١، ٣٠٧
﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾	الليل:١٩ - ٢٠	٩٢	٨٢٧
﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾	العلق:٦	٩٦	٣٥٧
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾	القدر:١	٩٧	٤١٠
﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾	البينة:١-٣	٩٨	٤٣٤
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾	العاديات:٦	١٠٠	٧٠، ٣٥٦
﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾	الفلق:٢	١١٣	٢٣٨

الآيــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ ﴾	الفيل:٣	١١٣	٨٧٨



فهرس القراءات

م	القـــــــــراءة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
١	(من ذهب)	الإسراء:٩٣		٨٣
٢	ولم يجعل له عوجاً لكن جعله قيماً	الكهف:١-٢		٨٤
٣	وبِراً بوالديه	مريم:١٤		٨٥
٤	(مُخْلَصاً)	مريم:٥١		٨٥
٥	(وما كنتَ) بفتح التاء	الكهف:٥١		١٤٩، ٥٦١، ٥٦٢
٦	(منكم) بكاف الخطاب	مريم:٧١		١٥٠، ٨٥٢، ٨٥٦
٧	(ثم) بحرف العطف	مريم:٧٢		١٥٠
٨	(وراءهم)	الكهف:٧٩		١٥٠
٩	(أمامهم)	الكهف:٧٩		١٥٠، ٦٤٩
١٠	(فلا يسرف) بياء الغيبة	الإسراء:٣٣		٢٧١
١١	(ولا تسرفوا في القتل إن ولي المقتول كان منصورًا)	الإسراء:٣٣		٢٧٧
١٢	(وَمَا أُوْتُوا)	الإسراء:٨٥		٣٧٢
١٣	(وما أ وتيتم)	الإسراء:٨٥		٣٧٣
١٤	فَسَلْ بني إسرائيل	الإسراء:١٠١		٣٩٤
١٥	فاسأل	الإسراء:١٠١		٣٩٥
١٦	وكالئهم	الكهف:١٨		٤٦٤، ٤٦٦
١٧	وكالبهم	الكهف:١٨		٤٦٤
١٨	(وثامنهم كلبهم)	الكهف:١٨		٤٨٧
١٩	ولبثوا	الكهف:٢٦		٤٩٤
٢٠	قرأ الجمهور (وما كنتُ متخذ المضلين عضدا) بالضم	الكهف:٥١		٥٦١

م	القـــــــــــراءة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
٢١	واتخاذ سبيله	الكهف:٦٣		٦١١
٢٢	وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين	الكهف:٧٤		٦٣١
٢٣	(زاكية) بالألف	الكهف:٧٤		٦٣٢
٢٤	فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فهدمه ثم قعد يبنيه	الكهف:٧٧		٦٤٣
٢٥	فخاف ربك	الكهف:٨٠		٦٥١، ٦٥٤، ٦٥٦
٢٦	رُحما	الكهف:٨١		٦٦١
٢٧	رَحِما	الكهف:٨١		٦٦١
٢٨	فناداها ملك من تحتها	مريم:٢٤		٧٤١
٢٩	(فناداها مِن تحتها) بكسر الميم	مريم:٢٤		٧٤١، ٧٤٢
٣٠	(فناداها مَن تحتها) بفتح ميم	مريم:٢٤		٧٤١، ٧٤٢
٣١	وكان يأمر قومه	مريم:٥٥		٨١٠
٣٢	(وإن منهم) بالهاء للغيبة	مريم:٧١		٨٥٢



فهرس الأحاديث النبوية

م	طـــرف الحديـــــــــــث	الصفحة
١	أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك وصحبناك	٥٠٢
٢	إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إني قد أحببت فلاناً فأحبه	٨٩١
٣	إذا أرسلت كلبك المعلم	٨٧٨
٤	إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين	٨١٣
٥	إذا أكلت فسم الله	٢٠٠
٦	إذا أكلت فقل بسم الله	٢٠١
٧	إذا صلى عند البيت ورفع صوته بالدعاء	٤٢٣
٨	أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة منها	٦٢١
٩	ألا تصليان؟	٥٨٤
١٠	ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه	٧٢
١١	أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا، قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة	٣٨٥
١٢	أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجلين قادراً على أن يمشيه في الآخرة	٧٤، ٣٨٣
١٣	إن الكافر ليرى جهنم فيظن أنها مواقعته من مسيرة أربعمائة سنة	٥٧٥
١٤	أن الله أرسل ملكاً لرجل يزور أخاً له في الله في قرية أخرى	٧٣٠
١٥	إن الله ليزع بالسلطان ما لم يزع بالقرآن	٣٥٥
١٦	إن الله لينادي يوم القيامة: أين جيراني، أين جيراني؟	٣٠٣
١٧	أن المشركين بمكة سألوا النبي ﷺ ثلاثة أسئلة بإغراء من أحبار اليهود في يثرب	٦٦٨
١٨	أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فدكية	٧٨٤
١٩	أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة	٢٠٢

م	طـــرف الحديـــــــــث	الصفحة
٦٥	كانت الأولى من موسى نسياناً	٧٤، ٦٢٥
٦٦	كانت المرة الأولى كانت نسياناً	٦٢٧
٦٧	كذب عدو الله	٥٩٨
٦٨	كعكر الزيت فإذا اقرب إليه سقطت فروة وجهه فيه	٥١٦
٦٩	كل أهل الجنة يرى مقعده من النار	٨٣٣
٧٠	كلٌ ميسر لما خلقه الله له من شقي أو سعيد	٣٦٢
٧١	الكلمات المأثور فضلها « سبحان الله، والحمد لله	١٤٣
٧٢	كنا مع النبي ﷺ ستة نفر	٥٠٤
٧٣	كنت نبياً، وآدم بين الروح والجسد	٧٥٧
٧٤	لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام	٧٤، ٧٨٣، ٧٨٦
٧٥	لا تبدأوهم بالسلام	٧٨٥
٧٦	لا تقوم الساعة حتى يرتفع القرآن	٣٧٥
٧٧	لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها	٥٥٦
٧٨	لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة	١٨٤
٧٩	لا نقفو أمنًا	٢٨٢
٨٠	لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها	٨٥٦
٨١	لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها	٨٦٣
٨٢	لا يقل أحدكم عبدي، ولا أمتي، وليقل فتاي، وفتاتي	٥٩٩
٨٣	لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي	٦٠٠
٨٤	لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فبلغ النار إلا تحلة القسم	٨٦٣
٨٥	لعلهما لا يعذبان ما دامتا رطبتين	٢٨٨
٨٦	لعلي أبطأت، قال: (قد فعلت) قال: ومالي لا أفعل، وأنتم لا تتسوَّكون، ولا تقصرون أظافركم	٨٣٦

م	طـــرف الحديـــــــــث	الصفحة
٨٧	اللهم أن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض	٦٢١
٨٨	اللهم أني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه	٢٠٢
٨٩	اللهم سلط عليه كلباً من كلابك	٤٦٥
٩٠	لو كان موسى حياً لم يسعه إلا إتباعي	٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠
٩١	ما تركت شيئاً يقربكم إلى الجنة ويباعدكم عن النار إلا وقد أعلمتكم به	٤٤٩
٩٢	المقام المحمود هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي	٣٤٢
٩٣	المقام هو الذي أشفع فيه لأمتي	٣٤٥
٩٤	من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ	٦٦، ٩٥، ٩٦
٩٥	من حلف على يمين فليأت الذي هو خير	١٨٤
٩٦	من صلى قبل الظهر أربعاً وبعدها أربعاً حرمه الله على النار	٨٦٣
٩٧	من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كان له عند الله عهد	٨٨٧، ٨٨٨
٩٨	من قتل قتيلا فأهله بين خيرتين، إن أحبوا قتلوا، وإن أحبوا أخذوا الدية	٢٦٦
٩٩	من قفا مؤمناً بما ليس فيه، حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج	٧٣، ٢٧٨
١٠٠	من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس	١٧٨
١٠١	من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله	٨٨٣
١٠٢	نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة	٧١٦
١٠٣	نزلت في العاص بن وائل	٨٦٤
١٠٤	نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره يوم أحد	٩١، ١٥٥، ٢٢٠
١٠٥	نعم المال الصالح للرجل الصالح	٧٩٣
١٠٦	نفساً زكية لم تعمل الحنث	٦٣٦
١٠٧	نهر أخرجه الله لها تشرب منه	٧٤٧
١٠٨	هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبغي بذلك وجه الله	١٩٧

م	طــرف الحديـــــــث	الصفحة
١٠٩	هذه أختي	٦٢٥
١١٠	هي الكلمات المأثور فضلها " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر	٥٤٢
١١١	هي في علـم الله قليل، وقد أتاكم ما إن عـملتم به انتفـعتم	٣٧٢
١١٢	وابعثه المقام المحمود الذي وعدته	٣٤٢
١١٣	واضطرب الحوت فخرج فسقط في الماء فاتخذ سبيله في البحر سرباً	٦٠٧
١١٤	والذي نفسي بيده، إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون	٨٨١
١١٥	وأما الغلام فإنه كان طُبع يوم طُبع كافراً	٦٣١
١١٦	وإني سقيم	٦٢٥
١١٧	ولا يبسط أحدكم ذراعية	٤٦٦
١١٨	ونصر المظلوم وإبرار القسم	٢٧٤
١١٩	يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله -تعالى- حفاةً عراةً غرلاً	٨٨٢
١٢٠	يا جبريل قد اشتقت إليك أفلا تزورنا أكثر مما تزورنا	٨٣٥
١٢١	يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا	٨٣٧
١٢٢	يا خيل الله اركبي	٣٢٣
١٢٣	يا علي إذا كان المنصرف من بين يدي الله -تعالى- تلقت الملائكة المؤمنين بنوق بيض	٨٨٢
١٢٤	يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار	٧٦٨
١٢٥	يجمع الله الناس في صعيد فلا تتكلم نفس	٣٤٢
١٢٦	يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحآء الليل والنهار	٣٩٣
١٢٧	يد المعطي العليا أمك وأباك	٢٥٩
١٢٨	يدرس الإسلام كما يدرس رشي الثوب	٣٧٧
١٢٩	يسري به في ليلة فيذهب بها في المصاحف	٣٧٥

م	طــرف الحديــــــث	الصفحة
١٣٠	يقول الله ﷻ إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم	٣٣١
١٣١	ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة كما لم يعمل في الدنيا	٥٧٥



فهرس الآثار

م	طـــرف الأثـــــــــر	الصفحة
٦٨	شكره إذا أكل قال: بسم الله	٢٣٢
٦٩	الصلاة هنا الدعاء	٤١٩
٧٠	صوت المزمار	٣٢٠
٧١	ضلال	٨٢٢
٧٢	عداوة	٥٧٠
٧٣	عدم التسمية عند الجماع	٣٢٩
٧٤	عظيماً من الرجال له شأن	٧٤٥
٧٥	على شاكلته أي جانبه وعلى ما ينوي	٣٦٢
٧٦	العمل الصالح	٨٨٧
٧٧	العهد: الطاعة	٨٨٧
٧٨	الغناء والمزامير واللهو	٣٢٠
٧٩	غي واد في جهنم	٨٢٢
٨٠	الغي: الخسران، والحصول في الورطات	٨٢٢
٨١	غير مخلوق	٤٢٨
٨٢	فتلك زيادة السعير	٣٨٩
٨٣	قد كان يسبح مرة	٢٨٦
٨٤	قرناء	٨٧٣
٨٥	القول الميسور: المدارة لهم باللسان	٢٦٢
٨٦	كان عليه السلام يكتب باسمك اللهم	٨٨
٨٧	كان إذا لبس ثوباً قال: بسم الله	٢٣٢
٨٨	كان الأعراب يجهرون بتشهدهم	٤٢٠
٨٩	كان علماً في صحف مدفونة	٦٦٤
٩٠	كان يحمد الله على طعامه	٢٣٢

م	طـــرف الأثـــــــــــر	الصفحة
٩١	كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة	١٤٣
٩٢	لئلا يعاب بطلب الولد في الكبر	٧٠٦
٩٣	لا تحسن علانيتها وتسيء سريتها	٤١٩
٩٤	لا ترم أحدًا بما لا تعلم	٢٧٨
٩٥	لا تشهد بالزور	٢٧٨
٩٦	لا تقل رأيت ولم تره	٢٧٨
٩٧	لا يكون ذرية إلا من زوجة	٥٥٤
٩٨	لأشتمنك	٧٧٤
٩٩	لأقتلنك	٧٧٤
١٠٠	ليس شيء أطرد للشيطان من القلب من لا إله إلا الله	٢٩٣
١٠١	ما مجّسوه وهوّدوه ونصّروه وصبغوهم غير صبغة الإسلام	٣٢٩
١٠٢	ماءً جامداً	٦٠٥
١٠٣	المال والولد	١٥٨
١٠٤	المال والولد	٧٩٣
١٠٥	المثبور هو: المسحور	٤٠٢
١٠٦	المثبور هو: المغلوب	٤٠١
١٠٧	المثبور هو: الملعون	٤٠٠
١٠٨	المثبور هو: الممنوع من الخير	٤٠٢
١٠٩	مثبور: مهلك	١٣٨، ٤٠١
١١٠	المثبور هو: الناقص العقل	٤٠١
١١١	مثبور: مصروف عن الخير مطبوع على قلبك	١٣٨
١١٢	معنى الضد: العدو	٨٧٤
١١٣	معنى الضد: القرين	٨٧٤

م	طـــرف الأثـــــــــــر	الصفحة
١١٤	معنى شاكلته: حدّته	٣٦٠
١١٥	معنى شاكلته: خلقه	٣٦١
١١٦	معنى شاكلته: دينه	٣٦٠
١١٧	معنى شاكلته: طبيعته	٣٦٠
١١٨	معنى شاكلته: ناحيته	٣٦٠
١١٩	معنى شاكلته: نيته	٣٦٠
١٢٠	ملكاً عزيزاً تنصرني به على كل من ناواني	٣٥٣
١٢١	من عطاء ربك من الطاعات لمريد الآخرة	٢٤٦
١٢٢	الموعد	٥٧٠
١٢٣	الناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة	٢٣٤
١٢٤	نزلت في قرابة الرسول ﷺ	٢٥٧
١٢٥	هم الصابئون	٧٠٠
١٢٦	هم أهل الكتاب	٧٠٠
١٢٧	هم: الأصنام	٦٩٤
١٢٨	هم: الرهبان	٧٠٠
١٢٩	هم: الشياطين	٦٩٤
١٣٠	هم: الملائكة	٦٩٥
١٣١	هو إدخال خاص وهو في المدينة	٣٤٨
١٣٢	هو جبريل عليه السلام	٣٦٣
١٣٣	هو: المخبول	٤٠١
١٣٤	هي الصلوات الخمس	١٤٣
١٣٥	هي الكشوث	٣١٦
١٣٦	هي النبوة	١٥٨



فهرس الأعلام

م	اسم العلــــــــم	الصفحة
٢٢	أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار الشيباني (ثعلب)	٥٨٩
٢٣	أحمد بن يوسف بن عبدالدائم الحلبي (السمين)	٤٣
٢٤	أسعد أبو كرب بن ملكي كرب بن قيس (تبع الحميري)	٦٧٠
٢٥	إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي	١٩٥
٢٦	إسماعيل بن حماد الفارابي (الجوهري)	١٠٣، ٢٤٢
٢٧	إسماعيل بن عبدالرحمن السدي	٩٨، ١٦٩
٢٨	إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ابن كثير)	١٧١
٢٩	إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي	١٨٥، ٤٠٧
٣٠	إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي	٣٩
٣١	الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد التميمي المجاشعي	٩٣، ٥٠٢
٣٢	أم هاني بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم	٢٢٥
٣٣	أمية بن خلف بن وهب حذافة الجمحي	٥١٠
٣٤	أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن النجار الأنصاري	٧٨، ٢٢٩، ٥٧٠
٣٥	أوس بن عبدالله الربعي البصري	٢٩٣
٣٦	البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن الخزرج الأنصاري	٧٨، ٧٤١
٣٧	بلال بن رباح القرشي التيمي	٢٦٠
٣٨	تَيْمٍ بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب	٤١
٣٩	جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي	٢٠٢
٤٠	جعفر بن تغلب بن جعفر بن علي الأدفوي	٤٣
٤١	جعفر بن محمد بن علي زين الدين الهاشمي (أبو جعفر الصادق)	٤٦٤
٤٢	حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج (حاتم الطائي)	٧٠٩
٤٣	حازم بن محمد بن حسن بن محمد الأنصاري	٣٩
٤٤	حجاج بن محمد المصيصي	٤٧٦

م	اسم العلـــــــــم	الصفحة
٤٥	حذيفة بن حسل بن جابر (ابن اليمان)	٢٧١
٤٦	الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري	٧٩
٤٧	الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي (أبو علي)	٣٢٣
٤٨	الحسن بن عبدالله بن سهل البغدادي (العسكري)	١١٦
٤٩	الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي (ابن عرفة)	٣٦٢
٥٠	الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي	١٠٠
٥١	حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي	٨٣
٥٢	حفصة بنت عمر بن الخطاب	٢١٤
٥٣	حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الكوفي التميمي	١٩٩، ٤٦
٥٤	حميد بن عبدالرحمن الحميري البصري	٧٤٥
٥٥	حيان بن محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان	٢٩
٥٦	خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي	٨٦١
٥٧	خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي	٨٦٤، ١٩٧
٥٨	الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي	٥٥٢
٥٩	خليل بن أيبك بن عبدالله، صلاح الدين الصفدي	٤٣
٦٠	داود بن علي بن حلف الأصبهاني الظاهري	١٩٩
٦١	دريد بن الصمة الجُشَمي	٥٧٦
٦٢	رؤبة بن العجاج	٥٥١
٦٣	الربيع بن أنس بن زياد البكري	٥٧٠
٦٤	ربيعة بن سليمان بن سعد بن مالك بن ضبيعة (المرقش الأصغر)	٨٢٢
٦٥	زبان بن العلاء بن عمار المازني (أبوعمرو)	٦٣٢، ٤٧
٦٦	زمردة بنت أَبرق	٢٨
٦٧	زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي	٢٧١، ٤٨

م	اسم العلـــــــــم	الصفحة
٦٨	زيد بن عمرو بن نفيل العدوي	٤١٤
٦٩	سالم بن معقل الفارسي	٢٦٠
٧٠	سعد بن مالك بن أهيب بن عبدمناف القرشي (سعد بن أبي وقاص)	٧٠١
٧١	سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري (أبو سعيد الخدري)	٢٠٢
٧٢	سعيد بن جبير الأسدي الوالبي	٨٠، ٨٠٣
٧٣	سعيد بن مسعدة المجاشعي (الأخفش)	١٠٢
٧٤	سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري	٩٨
٧٥	سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي	٧٨٣
٧٦	سلمـان الخير أبو عبدالله الفارسي	٢٣٢
٧٧	سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني	٣٤٣
٧٨	سليمان بن مهران الأسدي (الأعمش)	٢٧١
٧٩	سمي بن عمير بن أفريقيس الحميري (ذو القرنين)	٦٧٢
٨٠	سهل بن محمد بن عثمان البصري السجستاني (أبوحاتم)	٢٠١، ٦٥٢
٨١	سوار بن المضرب السعدي	٦٤٦
٨٢	شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي (أبوحيوة)	٦١١
٨٣	شـريك بن عبدالله النخعي الكوفي	١٩٤
٨٤	شهر بن حوشب الأشعري الشامي الحمصي	٥٤٦
٨٥	شيبة بن نصاح المخزومي المدني	١٤٩، ٥٦١
٨٦	صالح بن فوزان بن عبدالله آل الفوزان (صالح الفوزان)	٨٠٥
٨٧	صهيب بن سنان بن خالد بن عمرو النمري الرومي	٢٦٠
٨٨	الضحاك بن مزاحم الهلالي	٨٠
٨٩	عائشة بنت أبي بكر الصديق	٢١٦
٩٠	العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم	٨٦٤

م	اسم العلـــــــــم	الصفحة
٩١	عاصم بن أبي النجود بهدلة الأسدي الجحدري	٤٦، ١٤٩، ٥٦١
٩٢	عامر بن الحليس (أبو كبير الهذلي)	٥٧٩
٩٣	عامر بن شراحيل الهمداني (الشعبي)	١٨٤
٩٤	عبد الحق بن علي بن عبدالله بن محمد الأنصاري	٤٠
٩٥	عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي	٤٠
٩٦	عبدالحق بن غالب بن عطية المحاربي (ابن عطية)	٦٦
٩٧	عبدالحق بن محمد بن هارون السهمي القرشي (عبدالحق الصقلي)	٥٥٧
٩٨	عبدالحي بن أحمد بن محمد الكري (ابن العماد)	٤٢
٩٩	عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري (السيوطي)	٢٢٢
١٠٠	عبدالرحمن بن زيد بن أسلم المدني العدوي (ابن زيد)	٨٠، ٧٦٣
١٠١	عبدالرحمن بن صخر الدوسي (أبو هريرة)	٧٧
١٠٢	عبدالرحمن بن علي البكري القرشي (ابن الجوزي)	١٧٧
١٠٣	عبدالرحمن بن ميسرة الكلبي (أبو سليمان الدمشقي)	٢٦٢
١٠٤	عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر آل سعدي (السعدي)	١٨٥
١٠٥	عبدالرحيم بن الحسن بن علي بن الجمال، أبو محمد الأسنوي	٤٤
١٠٦	عبدالرزاق بن جمال القاشاني السمرقندي	٤٢٥
١٠٧	عبدالعزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي	٨٩٦
١٠٨	عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي	١٧٠
١٠٩	عبدالله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري (أبو البقاء)	١٠٣، ٢٥١
١١٠	عبدالله بن قيس بن عدي بن سعد القرشي السهمي (ابن الزِّبَعْرَى)	٣١٨، ٣٩٩
١١١	عبدالله بن الكواء اليشكري (ابن الكواء)	٧٠٠
١١٢	عبدالله بن سلمة الهمداني الكوفي (أبو العالية)	٨٠٣
١١٣	عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي (ابن عباس)	٧٧

م	اسم العلـــــــــــم	الصفحة
١٣٧	علي بن أحمد، أبو الحسن الواحدي	١٧٧
١٣٨	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي	٢٠٢
١٣٩	علي بن إسماعيل بن أبي بشر، أبو الحسن الأشعري	٧٢٨
١٤٠	علي بن الحسين زين العابدين بن علي القرشي	٢٥٧
١٤١	علي بن المؤمن بن محمد بن علي الحضرمي الإشبيلي (ابن عصفور)	٥٤
١٤٢	علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي الكِسائي	٤٦، ١٠١، ٢٦٤
١٤٣	علي بن عبدالكافي بن علي بن تمّام (السبكي)	٧٢٨
١٤٤	علي بن عيسى بن علي بن عبدالله أبو الحسن النحوي (الرماني)	٥٠٦
١٤٥	علي بن محمد بن العباس، أبو حيان التوحيدي	٢٤
١٤٦	علي بن محمد بن حبيب الماوردي	٩٩
١٤٧	علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري (الكيا الهرَّاسي)	٢٠١
١٤٨	عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى القرشي العدوي	٧٦
١٤٩	عمر بن علي سراج الدين الحنبلي (ابن عادل)	١٧٦
١٥٠	عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي	١٤٣، ٥٤٢
١٥١	عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (سيبويه)	٤٢، ٥٥٢
١٥٢	عمرو بن قيس الملائي الكوفي	٨٨٠
١٥٣	عون بن عبدالله بن عُتبة بن مسعود الهُذلي	١٦٩
١٥٤	عياض بن موسى بن عياض بن عمر اليحصبي (القاضي عياض)	٧٢٧
١٥٥	عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري	٩٣، ٥٠٢
١٥٦	غيلان بن عقبة بن بهيش العدوي (ذو الرمّة)	١٠٦
١٥٧	قاسم بن علي بن محمد الأنصاري البطليموسي (الصفار)	٥١
١٥٨	القاسم بن محمد الأسدي (أبو نهيك)	٨٥
١٥٩	القاسم بن مُخَيْمَرة الهمداني الكوفي	٨١٧

م	اسم العلـــــــــم	الصفحة
١٦٠	القاسم محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف البرزالي	٢٩
١٦١	قتادة بن دعامة السدوسي	٧٩
١٦٢	كليب بن ربيعة التغلبي	٢٦٧
١٦٣	مهلهل بن ربيعة التغلبي	٢٦٧
١٦٤	الكميت بن ثعلبة الأزدي	٨٥١
١٦٥	لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي (أبو مجلز)	٨٥
١٦٦	لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك الكلابي الجعفري	٢٣٩
١٦٧	الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي	١٠٥
١٦٨	ليلى بنت عبدالله الرحال (ليلى الأخيلية)	٦٣٠
١٦٩	مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري	١٩٩
١٧٠	مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي الأنصاري المازني	٢٢٩
١٧١	مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي	٧٩
١٧٢	محمد الطاهر بن عاشور	١٧١
١٧٣	محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر الحلبي	٣٩
١٧٤	محمد بن أبي الفضل المرسي	٦١٨
١٧٥	محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ابن القيم)	١٩٧
١٧٦	محمد بن أحمد الخوارزمي (أبو الريحان البيروني)	٦٦٩
١٧٧	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخزرجي القرطبي	١٠٠
١٧٨	محمد بن أحمد بن سهل، أبو بكر السرخسي	٢٠٥
١٧٩	محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الذهبي	٢٣
١٨٠	محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي (ابن رشد)	٤٩
١٨١	محمد بن إسحاق بن يسار القرشي (ابن إسحاق)	٢٢٦
١٨٢	محمد بن الأحمر (الأمير)	٣٣

م	اسم العلـــــــــــم	الصفحة
١٨٣	محمد بن الحسن بن زَبَالة	٣١٩
١٨٤	محمد بن الحسن بن زياد بن هارون الموصلي (النقاش)	٣٤٣، ٤٩٩، ٦١٩
١٨٥	محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب	٢٧٨
١٨٦	محمد بن السائب بن بشر الكلبي (ابن السائب)	١٥٧، ١٨٧
١٨٧	محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر (ابن الأنباري)	١٠٣، ١٨٨
١٨٨	محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي (قطرب)	١٠٢، ٤٤٠، ٥٥٢
١٨٩	محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهُدير التيمي المدني	٣٤٨
١٩٠	محمد بن بهادر عبدالله الزركشي	٤٧٧
١٩١	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري	٩٨
١٩٢	محمد بن حيان بن أبي حيان	٢٩
١٩٣	محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني	٦٣٧
١٩٤	محمد بن سعيد بن محمد الرعيني	٤٤
١٩٥	محمد بن سليمان بن الحسن البَلْخِي المقدسي (ابن النقيب)	٤٠
١٩٦	محمد بن سهل بن عسكر التميمي	٣٣٧
١٩٧	محمد بن سيرين الأنصاري البصري (ابن سيرين)	١٩٩
١٩٨	محمد بن عبدالله بن سعيد بن الخطيب	٣٠
١٩٩	محمد بن عبدالواحد بن أبي هشام اللغوي (غلام ثعلب)	٤٦٤
٢٠٠	محمد بن علي بن أحمد الداوودي	٣٧
٢٠١	محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر الشاشي (القفال)	٢٦٩
٢٠٢	محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني	٣٧، ١٧١
٢٠٣	محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري (الرازي)	١٠٠، ١٧٦
٢٠٤	محمد بن كعب القرظي	٨١٧
٢٠٥	محمد بن محمد بن علي بن يوسف (ابن الجزري)	٣٦

م	اسم العلــــــــم	الصفحة
٢٠٦	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (أبو السعود)	١٧١
٢٠٧	محمد بن محمد، أبو حيان (ابن السراج)	٢٥
٢٠٨	محمد بن مسلم الزهري (ابن شهاب)	٢١٦
٢٠٩	محمد بن يحيى بن سليمان المروزي (أبو بكر الورّاق)	١٩٥
٢١٠	محمد بن يزيد بن عبدالأكبر النحوي (المبرد)	١٠٢
٢١١	محمد بن يوسف بن علي، أبو حيان الأندلسي	٢٣
٢١٢	محمد جمال الدين بن محمد الحلاق القاسمي	١٧٦
٢١٣	محمد نسيب بن عبدالرزاق بن محي الدين الرفاعي	١٨٩
٢١٤	محمود بن عمر الزمخشري	٦٦
٢١٥	محمود شهاب الدين أبو الثناء الآلوسي	١٧٧
٢١٦	مسعود بن مالك الأسدي الكوفي (أبو رزين)	٨٥
٢١٧	مطر بن طهمان، أبو رجاء السلمي (الوراق)	٤٩٤
٢١٨	معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب القرشي الأموي	٢٢٥
٢١٩	معمر بن المثنى التيمي البصري (أبو عبيدة)	١٠٢
٢٢٠	مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي	٩٨، ١٨٧
٢٢١	مكحول الشامي، أبو عبدالله الدمشقي	٨٨
٢٢٢	موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (أبو منصور الجواليقي)	٥١٢
٢٢٣	ميسرة بن حبيب النهدي الكوفي	٨٠٣
٢٢٤	ميمون بن مهران الجزري الرقي	٨٨، ١٨٢، ٣٩٩
٢٢٥	نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم اللَّيثي	٤٨
٢٢٦	نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي	١٧٠
٢٢٧	نُضَار بنت محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان	٢٩، ٥٦
٢٢٨	النضر بن الحارث بن علقمة بن كندة بن عبدالدار القرشي	٨٨، ٥٨٢

م	اسم العلـــــــــم	الصفحة
٢٢٩	همام بن غالب بن صمصمة بن ناجية بن عقال التميمي (الفرزدق)	٥١٢
٢٣٠	وَرْقَاءَ بن زهير بن جذيمة العبسي	٨٤٢
٢٣١	ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى القرشي	٤١٤
٢٣٢	وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني	٦٦٩
٢٣٣	يحيى بن زياد بن عبدالله الأسلمي الكوفي (الفراء)	١٠٢
٢٣٤	يحيى بن شرف بن مري الحزامي (النووي)	٦١٨، ٧٢٧
٢٣٥	يحيى بن علي بن محمد بن الحسن الشيباني (التبريزي)	٤٩١، ٧٢١
٢٣٦	يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي (ابن وثاب)	٨٥، ٢٧١
٢٣٧	يزيد بن القعقاع بن شبرمة المدني المخزومي (أبو جعفر)	٨٥، ١٤٩، ٥٦١
٢٣٨	يعقوب بن محمد بن خليفة الأعشى	٤٧
٢٣٩	يمـان بن رئاب الخرساني	٣٣٢
٢٤٠	يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي (ابن عبدالبرّ)	١٣١
٢٤١	يوشع بن نون بن إفراثيم بن يوسف بن يعقوب	٥٩٩



فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة

م	الكلمـــــــــة	الصفحة
١	الإدحاض	٥٩٠
٢	الإرهاص	٧٣١
٣	أسباب النزول	٨٧
٤	الاصطلام	٥٣٢
٥	الإكاف	٧٨٤
٦	الألطاف	٧٨٩
٧	الألفاظ المبهمة	١٥٦
٨	الإهالة	٨٦١
٩	البحيرة	٣٢٦
١٠	بخع	١٠٥
١١	البراجم	٨٣٦
١٢	الترجيح	١٢١
١٣	الترجيح في التفسير	١٢٢
١٤	التصريف	١٠٥
١٥	التعارض	١٢١
١٦	تقْـفُ	٢٨٠
١٧	الثبور	٣٩٩،١٣٨
١٨	جاس	١٠٥
١٩	الجباب	٥٠٢
٢٠	جثا	٨٤٩
٢١	الجدل	٥٨٦

م	الكلمــــــــــــة	الصفحة
٢٢	الجنى	٥٥
٢٣	الحصير	٢٤٢
٢٤	الحفيّ	٧٨٩،٧٨٧
٢٥	حوشى الكلام	٤٢٧
٢٦	خَبَت	٣٩٠
٢٧	الخشية	٦٥٦
٢٨	الخَلْف	٨١٤
٢٩	الخوان	٢٨٦
٣٠	الدحض	٥٨٩
٣١	الدخل	١٩١
٣٢	الرُّئيُّ	٨٩
٣٣	ردغة الخبال	٢٧٨
٣٤	الرشاد	٨٢٢
٣٥	الركز	١٠٦
٣٦	الرهَقُ	٦٥٧،٦٢٩
٣٧	الرواجب	٨٣٦
٣٨	ريح جبابهم	٥٠٢
٣٩	الزكاة	٦٥٩
٤٠	السائبة	٣٢٦
٤١	السِّباق	١٥٢
٤٢	السبب	٦٧٩
٤٣	سَحَّر	٢٩٥
٤٤	السرب	٦٠٥

م	الكلمـــــــــة	الصفحة
٦٨	الغي	٨٢٢
٦٩	الفتى	٥٩٩
٧٠	فحوي الخطاب	١٦٢
٧١	فدكية	٧٨٤
٧٢	فسق	٥٥٣
٧٣	القتام	٢٧
٧٤	قطيفة	٧٨٤
٧٥	قيماً	٤٣٤
٧٦	القَيْن	٨٦٤
٧٧	الكَشْح	٤٦٧
٧٨	كَشْحكَ	٤٦٧
٧٩	الكشوث	٣١٦
٨٠	اللّحاق	١٥٢
٨١	لحن الخطاب	١٦٢
٨٢	اللِسَـان	٧٩٦
٨٣	المؤول	١٦١
٨٤	المجاز	٦٣٧
٨٥	المدني	٩٢
٨٦	مصرف	٥٧٩
٨٧	المطلق	١٥٩
٨٨	المعاريض	٦٢٥
٨٩	المفهوم	١٦١
٩٠	مفهوم المخالفة	١٦٢

م	الكلمــــــــــــة	الصفحة
١١٤	الوسن	٤٢٠
١١٥	يتبغضن	٦٣



فهرس الفرق والقبائل

م	اسم الفرقة أو القبيلة	الصفحة
١	الإسرائيلية	٧٥٨
٢	أهل حروراء	٧٠٠
٣	الباطنية	٦٥
٤	الرافضة	٣١٩
٥	الروم	٤٤٥، ٤٤٦
٦	الصوفية	٦٥
٧	قبائل حمير	٦٦٩
٨	مُضَرُ	٤١
٩	المعتزلة	٢٣٧
١٠	الملكانية	٤٨٣، ٤٨٤
١١	النسطورية	٤٨٣، ٤٨٤، ٧٥٨
١٢	النصارى	٤٤٥، ٤٤٧، ٦٩٤، ٧٥٨
١٣	نصارى نجران	٤٨٣
١٤	النصرانية	٤٤٨
١٥	اليعقوبية	٤٨٣، ٤٨٤، ٧٥٨
١٦	اليهود	٦٩٤، ٧٥٨



فهرس الأماكن والبلدان

م	اسم المكان أو البلد	الصفحة
٢٢	دِشْـنَا	٣٢
٢٣	دقنوس	٤٤٥
٢٤	دميـاط	٣٢
٢٥	سبتة	٣٨
٢٦	السُّـودان	٣٢
٢٧	الشام	٤٤٥،٣١
٢٨	طرطوس	٤٤٦
٢٩	طُـهُرْمُس	٣٢
٣٠	العراق	٣١
٣١	غرناطة	٤٤٥،٢٣
٣٢	القاهرة	٣٢
٣٣	قَنـــا	٣٢
٣٤	قـوْص	٣٢
٣٥	لوشة	٤٤٧،٤٤٥
٣٦	مَالَقَة	٣١
٣٧	المحَلَّة	٣٢
٣٨	مِرْعش	٤٤٦
٣٩	المَرِّية	٣١
٤٠	مصر	٣١
٤١	مُطْـخَشَارِش	٢٦
٤٢	مكة	٣٢
٤٣	مُنْية بني خُصيب	٣٢
٤٤	نجران	٤٨٣

م	اسم المكان أو البلد	الصفحة
٤٥	نِفْزة	٢٣
٤٦	نينوى	٤٤٩
٤٧	ينبع	٣٢



فهرس الشواهد الشعرية

م	طــــرف البيـــــت	الصفحة
٢٢	جاد ثرىً واراه غيث إذا	٥٨
٢٣	حَبْرٌ تَسَربل مِنْه دَهرهُ حِبَـراً	٤١
٢٤	رَدِيتُ وَنَجَّى اليَشْكُرِيَّ حِذَارُهُ	٥٨٩
٢٥	شَفَاهَا مِنْ الدَّاءِ الَّذِي قَدْ أَصَابَهَا	٦٣٠
٢٦	على محيّاه من سِيما الألى صحِبوا	٤١
٢٧	فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّنَا	٢٩٥
٢٨	فَأَنْتَ سَمِيٌّ للزُّبير ولَسْتَ	٨٣٩
٢٩	فَتَصدّعَت صُمُ الجِبَالِ لِموتِهِ	٧٧٧
٣٠	فَتَوَجَّسَتْ رِكْزَ الأَنِيسِ فَراعَهَا	١٠٦
٣١	فَتوسَّطا عُرْضَ السَّريّ وصَدَّعا	٧٤٨
٣٢	فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ	٨٤٢
٣٣	فعسنا بها من الشبابِ مُلاوةً	٧٧٧
٣٤	فَلاَ أَرمِي البَرِيءَ بِغَيرِ ذَنْبٍ	٢٨٠
٣٥	فلما وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُهُ	٨٥٥
٣٦	فمـن للحماة ومن للكماة	٨٥١
٣٧	فَمَنْ يَلْقَ خَيراً تحمْدِ الناسُ أَمرَهُ	٨٢٢
٣٨	قام ابنُ تيميةٍ في نصْر شِرعتنا	٤١
٣٩	قَـد كَـانَ ذُو الْقَرنَـيْنِ جَـدِّي مُسْلِـماً	٦٧٠
٤٠	قَدْ كَانَ ذُو القَرْنَين قَبْلي مُسْلِماً	٦٦٩
٤١	كنا نُحدّثُ عن حَبـرٍ يجئ بها	٤١
٤٢	لمّا أتينا تقيّ الدّيــن لاح لنا	٤١
٤٣	مات أثير الدين شيخ الورى	٥٧
٤٤	مات إمام كـان في فنه	٥٧

م	طـــــرف البيــــــت	الصفحة
٤٥	مقام النبوة في برزخ	٦١٧
٤٦	نَدِمْـتُ عَـلَى لِسَـانٍ كَـانَ مِنِـي	٧٩٦
٤٧	هم شركوا اسرتهم جثياً	٨٥١
٤٨	وأجري دما فالخطب في شأنه	٥٧
٤٩	وأظهر الحقّ إذ آثاره اندرست	٤١
٥٠	وخصـه من ربـه رحمة	٥٨
٥١	ورق من حزن نسيم الصبا	٥٧
٥٢	وَسْطهُ كاليَرَاعِ أو سُرُجُ المجدل	٣٨٩
٥٣	وصادحات الأيك في نوحها	٥٧
٥٤	وضربنا الحديث ظهراً لبطن	٥٣٨
٥٥	ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم	٨٢٦
٥٦	ولقد خَشيت بأَنّ مَن تَبعَ الهُدى	٦٥٦
٥٧	وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم	٤٨٩
٥٨	وَمْثِل الدُّمَى شُمُّ العَرانِينِ سَاكِنٌ	٢٧٩
٥٩	ومقامُهُ غُلْبُ الرِّجالِ كَأَنّهمْ	٢٣٩
٦٠	ومن يشتري حسن الثناء بماله	٥٧٣
٦١	يا عين جودي بالدموع التي	٥٧
٦٢	يَا مُنْزِل الرَّحمِ عَلَى إِدْرِيسَاً	٦٦١
٦٣	يُريدُ الرَّمْحُ صَدْرَ أَبي بَرَاءِ	٦٣٨
٦٤	يشكـو إلـيَّ جَمَـلي طُـولَ السُّـرَى	٦٣٩
٦٥	يَهْوِينَ في نَجْدٍ وَغَوْراً غائراً	٥٥٣،٥٥١



فهرس المصادر والمراجع

* **القـــرآن الكريـــم**، رواية حفص عن عاصم، العد الكوفي.

۞ الكتب المطبوعة:

(١) **أبو حيان وتفسيره البحر المحيط**: لبدر بن ناصر، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢) **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**: لأحمد بن محمد البنا، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، ومكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٣) **الاتقان في علوم القرآن**: لجلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩٩١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٤) **الإجماع في التفسير**: لمحمد بن عبد العزيز الخضيري، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٥) **الإحاطة في أخبار غرناطة**: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٦) **أحكام القرآن**: لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصّاص، اعتنى به: عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٧) **أحكام القرآن**: لأبي بكر محمد بن عبد الله (الشهير بابن العربي) تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٨) **الإحكام في أصول الأحكام**: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

(٩) **اختلاف المفسرين أسبابه، وآثاره**: للدكتور سعود بن عبد الله النفيسان، مركز الدراسات والإعلام، دار اشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(١٠) **اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط**: لبدر بن ناصر البدر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(١١) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، المتوفى سنة ٩٥١هـ، دار المكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(١٢) **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**: لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ طبع.

(١٣) **الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد**: لسماحة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، تحقيق: محمد بن حمد المنيع، دار طيبة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(١٤) **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**: لأبي يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني، تحقيق: محمد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(١٥) **أساس البلاغة**: لأبي قاسم محمد بن عمر الزمخشري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

(١٦) **الأسامي والكنى**: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة دار الأقصى، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

(١٧) **أسباب نزول القرآن**: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(١٨) **الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والإختصار**: لعمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: د.عبد المعطي قلعجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط بدون، سنة بدون.

(١٩) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: لابن عبد البر النمري القرطبي، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.

(٢٠) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: ليوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: علي البجاوي، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

(٢١) **أُسد الغاية في معرفة الصحابة**: لأبي حسن علي بن محمد بن الأثير الجزري، اعتنى به: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٢٢) **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**: لمحمد أبي شهبة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٣هـ.

(٢٣) **الأسماء والصفات**: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٢٤) **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**: لعز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، اعتنى بطبعه: رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٢٥) **الإصابة في تمييز الصحابة**: لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٢٦) **أصول الحديث علومه ومصطلحه**: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(٢٧) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ، دار إحياء التراث العربي.

(٢٨) **إعراب القرآن وبيانه**: لمحي الدين درويش، دار ابن الأثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ.

(٢٩) **إعراب القرآن**: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، المتوفى سنة ٣٣٨هـ، تحقيق: د. زهير غازي زاهر، عالم الكتب، بيروت.

(٣٠) **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين**: لخير الدين زركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.

(٣١) **أعيان العصر وأعوان النصر**: لصلاح الدين الصفدي، حققه علي أبو زيد وجماعة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٣٢) **الأغاني**: لأبي الفرج الأصبهاني، شرحه عبد علي مهنا، وسمير جابر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

(٣٣) **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى**: لعلي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(٣٤) **الأمثال في القرآن**: للدكتور منصور العبدلي، عالم المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

(٣٥) **إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات**: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار الفكر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٣٦) **إنباه الرواة على أنباه النحاة**: للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، المتوفى سنة ٦٢٤هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

(٣٧) **الأنساب**: لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، تعليق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٣٨) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: للقاضي عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥هـ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية.

(٣٩) **أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**: للشيخ قاسم القونوي المتوفى ٩٧٨هـ، تحقيق: د.أحمد الكبيسي، دار الوفاء، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

(٤٠) **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: لإسماعيل باشا البغدادي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، بدون تاريخ طبع.

(٤١) **الإيضاح في علوم البلاغة**: للخطيب القزويني، تحقيق: الدكتور عبد المجيد هنداوي، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٤٢) **الإيمان**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨هـ، تحقيق: هاشم محمد الشاذلي، دار الحديث، القاهرة.

(٤٣) **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**: لأحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٤٤) **البحر المحيط في أصول الفقه**: لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ضبط نصوصه وخرج أحاديث وعلق عليه: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٤٥) **بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية**: جمعه ووثق نصوصه: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٤٦) **البداية والنهاية**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٤٧) **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**: للعلامة محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

(٤٨) **البرهان في علوم القرآن**: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ، تخريج وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٤٩) **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**: لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

(٥٠) **البيان والتبين**: للجاحظ، تحقيق: فوزي عظي، دار صعب، بيروت.

(٥١) **تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية**: للسامرائي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

(٥٢) **تاج العروس**: لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(٥٣) **تاريخ ابن خلدون**: للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي المتوفى سنة ٨٠٨هـ، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م، دار القلم، بيروت.

(٥٤) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر التدميري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

(٥٥) **تاريخ الأمم والملوك**: لمحمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

(٥٦) **تاريخ الخلفاء**: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة دار السعادة، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.

(٥٧) **التاريخ الكبير**: لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

(٥٨) **تاريخ بغداد**: لأبي بكر أحمد علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٥٩) **تاريخ دمشق**: لأبي القاسم علي بن الحسين الشافعي، المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامه العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

(٦٠) **التبصرة في أصول الفقه**: للشيخ الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي، المتوفى سنة ٤٧٦هـ، شرحه وحققه: د. محمد حسن هَيْتو، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(٦١) **التبيان في تفسير غريب القرآن**: لأحمد بن محمد القرافي، المعروف بابن الهائم المصري، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الصحابة، طنطا-مصر.

(٦٢) **تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه)**: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٦٣) **التحرير والتنوير**: للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ، الدار التونسية.

(٦٤) **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**: لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبي العلا، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦٥) **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**: للحافظ المزي، تحقيق: عبدالصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٦٦) **التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار**: للحافظ ابن رجب الحنبلي، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، مكتبة دار البيان، دمشق.

(٦٧) **تذكرة الحفاظ**: لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

(٦٨) **ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة**: للطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، طرابلس (ليبيا)، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

(٦٩) **الترجمان عن غريب القرآن**: لأبي المحاسن اليماني، تحقيق: موسى بن سليمان آل إبراهيم، مكتبة البيان، الطائف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٧٠) **الترغيب والترهيب للحافظ المنذري**: لأبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٧١) **التسهيل لعلوم التنزيل**: لأبو القاسم محمد بن أحمد بن جزء الكلبي الغرناطي، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوه عوض، دار الكتب الحديثة.

(٧٢) **التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية**: لعبد اللطيف البرزنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

(٧٣) **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة**: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: د. إكرام الله إمداد الحق دار الكتب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

(٧٤) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث ا لعربي، بيروت.

(٧٥) **التعريفات**: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

(٧٦) **تعظيم قدر الصلاة للحافظ المروزي**: تحقيق: د.عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٧٧) **تفسير ابن وهب والواضح في التفسير القرآن الكريم**: تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(٧٨) **تفسير البحر المحيط**: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وجماعه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٧٩) **تفسير البحر المحيط**: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

(٨٠) **تفسير الضحاك جمع ودراسة وتحقيق**: محمد شكري أحمد الزاويني، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٨١) **تفسير الضحاك**: تحقيق: د.محمد شكري الزاويتي، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٨٢) **تفسير القرآن العظيم**: لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٨٣) **تفسير القرآن العظيم**: لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، المتوفى سنة ٣٢٧هـ، تحقيق: أسعد محمد الطيب، إعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، مكة المكرمة.

(٨٤) **تفسير القرآن الكريم المسمى (بحر العلوم)**: لنصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

(٨٥) **تفسير القرآن**: لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د.مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(٨٦) **تفسير المراغي**: لأحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٨٧) **تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)**: لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٨٨) **تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالعزيز محمد الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(٨٩) **تفسير سفيان الثوري**: رواية أبي جعفر محمد بن أبي حذيفة النهدي عنه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٩٠) **تفسير سورة الكهف**: للعلامة محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، دار ابن الجوزي، إشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.

(٩١) **تفسير مجاهد**: تحقيق: عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، مجمع البحوث العلمية، إسلام أباد، باكستان، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

(٩٢) **تفسير مقاتل بن سليمان**: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأ،لى، ١٤٢٤هـ.

(٩٣) **التفسير والمفسرون**: للدكتور محمد حسين الذهبي، اعتنى به: أحمد الزّعبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٩٤) **تفسير يحيى بن سلام التيمي البصري** متوفى سنة ٢٠٠هـ، تحقيق: د. هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٩٥) **تقريب التهذيب**: لأحمد بن علي بن حجر، أبي الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محمد عرامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٩٦) **تقريب النشر بين القراءات العشر**: لابن الجزري، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

(٩٧) **تلخيص مستدرك الحاكم**: لشمس الدين الذهبي، مطبوع بذيل مستدرك الحاكم، دار الفكر، بيروت.

(٩٨) **التمهيد في أصول الفقه**: لأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الحسن الكلوذاني الحنبلي، تحقيق: مفيد أبو عمشة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث مكة، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٩٩) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

(١٠٠) **تهذيب الأسماء واللغات**: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

(١٠١) **تهذيب الكمال**: ليوسف بن الزكي عبد الرحمن، أبي الحاج المزي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(١٠٢) **تهذيب اللغة**: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، ١٣٨٤هـ.

(١٠٣) **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**: لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ.

(١٠٤) **تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير**: لمحمد نسب الرفاعي، مكتبة المعارف، الرياض، طبعة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

(١٠٥) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط بدون، ١٤١٠هـ.

(١٠٦) **الثقات**: للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد ا لتميمي البستي، المتوفى سنة ٣٥٤- ٩٦٥م، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(١٠٧) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: لمحمد بن جرير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(١٠٨) **الجامع الصحيح =سنن الترمذي**: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٠٩) **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(١١٠) **جمهرة أشعار العرب**: لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، شرحه وضبطه: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ-١٩٩٤م.

(١١١) **جمهرة الأمثال**: لأبي الهلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

(١١٢) **جمهرة أنساب العرب**: لعلي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

(١١٣) **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**: للإمام العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، المتوفى سنة ٨٧٦هـ، تحقيق: أبي محمد الغماري الأدريسي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

(١١٤) **الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية**: لمحي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي، ٦٩٦-٧٧٥هـ، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، ١١٣٥هـ-١٨٧١م.

(١١٥) **حاشية ابن التمجيد على البيضاوي** مطبوع مع حاشية القونري على البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠١م.

(١١٦) **حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي**: للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، المتوفى سنة ١٠٦٩هـ، ضبط وتخريج الشيخ عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(١١٧) **حاشية القونوي**: لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، المتوفى سنة ١١٩٥هـ، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(١١٨) **حجة القراءات**: لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد زنجلة، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، نسخة أخرى الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

(١١٩) **الحجة في القراءات السبع**: لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠١هـ.

(١٢٠) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: لأبي النعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

(١٢١) **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**: لعبد القادر البغدادي، مطبوعة بولاق، ١٢٩٩هـ.

(١٢٢) **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**: لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

(١٢٣) **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**: لمحمد المحبي، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(١٢٤) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**: لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

(١٢٥) **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**: للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر أباد، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

(١٢٦) **الدرر المنثور في التفسير المأثور**: لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(١٢٧) **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشرعية**: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د.عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ودار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(١٢٨) **دلائل النبوة**: لأبي نعيم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(١٢٩) **دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، دراسة نظرية من خلال تفسير ابن جرير**: لعبد الحكيم بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن القاسم، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم القرآن وعلومه، ١٤٢٠هـ.

(١٣٠) **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: ابن فرحون المالكي، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة.

(١٣١) **ديوان المرقش الأصغر**: مطبوع ضمن ديوان الهذليين.

(١٣٢) **ديوان الهذليين**: الناشر بدون، القاهرة، الطبعة بدون، ١٩٦٥هـ.

(١٣٣) **ديوان امرىء القيس**: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٥٨م، ومطبوعة السندوي الخامسة، مصر، الإستقامة.

(١٣٤) **ديوان رؤية بن العجاج البصري التميمي**: تصحيح وترتيب: وليم بن الورد البروسي، طبع ونشر دار ابن قتيبة، الكويت.

(١٣٥) **ديوان زهير بن أبي سلمى**: شرحه: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(١٣٦) **ديوان طرفه بن العبد**: دار صادر، بيروت، ط بدون، سنة بدون.

(١٣٧) **ديوان عدي بن زيد التيمي**: تحقيق: محمد جبّار المعيبد، مركز الكتب المصورة والمخطوطات.

(١٣٨) **ديوان عروة بن الورد**: شرح: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي.

(١٣٩) **ديوان عمرو بن معد يكرب**: صنعه: هاشم الطعان، وزارة الثقافة والإعلام، مديرية الثقافة العامة، بغداد.

(١٤٠) **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**: دار صادر بيروت، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

(١٤١) **ذيل الأعلام**: لأحمد العلاونة، دار المنارة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

(١٤٢) **ذيل تذكرة الحفاظ**: للحافظ أبي المحاسن الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(١٤٣) **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة**: لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزي الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(١٤٤) **الروح**: لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

(١٤٥) **الروض المعطار في خبر الأقطار**: تأليف: محمد بن عبدالمنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

(١٤٦) **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**: لميزا محمد باقر، إيران ١٣٤٧هـ.

(١٤٧) **روضة الناظر وجنة المناظر**: لموفق الدين أحمد بن قدامة، ومعها شرحها نزهة الخاطر المعاصر، لعبد القادر بن أحمد بن بدران، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، بدون تاريخ طبع.

(١٤٨) **رياض الصالحين**: لأبي زكريا محي الدين النووي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

(١٤٩) **زاد المسير في علم التفسير**: لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (٥٠٨-٥٩٧هـ)، دار الكتب العامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(١٥٠) **الزهد**: لعبد الله المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٥١) **الزهد**: للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(١٥٢) **الزهر النضر في نبأ الخضر**: لابن حجر العسقلاني، ضمن الرسائل المنيرية، عناية: محمد منير الدمشقي، الجزء الأول، بدون تاريخ وبدون طبعة.

(١٥٣) **السبعة في القراءات**: لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، تحقيق: د. شوقي ضيف، دائرة المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ طبع.

(١٥٤) **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**: لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ.

(١٥٥) **سلسلة الأسماء والصفات**: للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي، أصل الكتاب دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الجزء هو رقم الدرس.

(١٥٦) **السلسلة الضعيفة**: لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.

(١٥٧) **سلك الدر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي**: تأليف: محمد خليل بن علي المرادي، المتوفى سنة ١٢٠٦هـ، تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

(١٥٨) **السنة**: لعبد الله بن أحمد الشيباني، تحقي: د.محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(١٥٩) **سنن ابن ماجه**: لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مع الكتاب تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر، بيروت.

(١٦٠) **سنن أبي داود**: سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، تخريج: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار الفكر، بيروت.

(١٦١) **سنن الدارقطني**: لعلي بن عمر الدارقطني، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ.

(١٦٢) **سنن النسائي الكبرى**: لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(١٦٣) **سير أعلام النبلاء**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

(١٦٤) **السيرة النبوية ابن هشام**: لعبد الملك بن هشام المغافري، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(١٦٥) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(١٦٦) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**: لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: د.أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

(١٦٧) **شرح التبريزي على القصائد العشر**: حقيق: فخر الي باوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م.

(١٦٨) **شرح العقيدة الطحاوية**: لابن أبي العز الحنفي، جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق، الطبعة الثامنة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(١٦٩) **شرح العقيدة الواسطية**: للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، الطبعة الخامسة، ١٤٢٧هـ.

(١٧٠) **شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه**: للعلامة الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي، المعروف بابن النجار، المتوفى سنة ٩٧٢هـ، تحقيق: د.محمد الزحيلي، و د. نزية حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(١٧١) **شرح المعلقات السبع**: لأبي عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

(١٧٢) **شرح ديوان الحماسة**: لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي، نشره: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(١٧٣) **شرح صحيح مسلم:** لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي، وراجعه: الشيخ خليل الميس، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ طبع.

(١٧٤) **شرح قصيدة ابن القيم توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم:** لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

(١٧٥) **شرح معاني الآثار:** لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

(١٧٦) **الشرعية:** للإمام المحدِّث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، تحقيق: د.عبد الله بن عمر الدميجي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، دار الوطن للنشر، الرياض.

(١٧٧) **شعب الإيمان:** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

(١٧٨) **الشعر والشعراء:** لابن قتيبة الدينوري، المطبعة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٠هـ.

(١٧٩) **شفا العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل:** لشمس الدين محمد ابن أبي بكر الزرعي الدمشقي، الشهير بابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(١٨٠) **الشفا بتعريف حقوق المصطفى:** لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ طبع.

(١٨١) **الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية:** لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار الفرقان، ومؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

(١٨٢) **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: لأحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: د.يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

(١٨٣) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.

(١٨٤) **صحيح ابن حبان**: لمحمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

(١٨٥) **صحيح ابن خزيمة**: لمحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

(١٨٦) **صحيح الأدب المفرد**: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار الدليل الأثرية، الجبيل، ودار الريان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ.

(١٨٧) **صحيح البخاري**: تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ضبط وتخريج: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(١٨٨) **صحيح الترغيب والترهيب**: لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.

(١٨٩) **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**: لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

(١٩٠) **صحيح مسلم**: لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث الإسلامي.

(١٩١) **صفوة الصفوة**: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، اعتنى به: عبد الرحمن اللادهي وحياة شيحا اللادقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ.

(١٩٢) **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**: لابن الدوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

(١٩٣) **الضعفاء الكبير**: لأبي جعفر بن عمر الصقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(١٩٤) **الضعفاء والمتروكون**: لأبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

(١٩٥) **الضعفاء والمتروكين**: لابن الجوزي، تحقيق: عبد الله القاضي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية.

(١٩٦) **ضعيف الترغيب والترهيب**: لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.

(١٩٧) **ضعيف الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)**: لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.

(١٩٨) **ضعيف سنن الترمذي**: للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(١٩٩) **طبقات الحفاظ**: لجلال الدين السيوطي (٨٤٩هـ- ٩١١هـ)، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية.

(٢٠٠) **طبقات الشافعية الكبرى**: لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، ٧٢٧-٧٧١هـ، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(٢٠١) **طبقات الشافعية**: لأبي بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة الدمشقي (٧٧٩-٨٥١هـ/ ١٣٧٧-١٤٤٨م)، اعتنى بتصحيحه: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت.

(٢٠٢) **طبقات الشافعية**: لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٢٠٣) **الطبقات الكبرى**: لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٢٠٤) **الطبقات الكبرى**: لمحمد بن سعد بن منيع الزهري، الشهر بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

(٢٠٥) **طبقات المفسرين**: لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٢٠٦) **طبقات المفسرين**: لأحمد بن محمد الداودي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٢٠٧) **طبقات المفسرين**: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

(٢٠٨) **طبقات علماء الحديث**: لابن عبد الهادي، تحقيق: أكرم البوشي، وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢٠٩) **طبقات فحول الشعراء**: لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة القاهرة، ١٩٧٤م.

(٢١٠) **الطبقات**: لخليفه بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبه، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

(٢١١) **العبر في أخبار من غبر**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

(٢١٢) **العدة في أصول الفقه**: للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي، تحقيق: د. أحمد علي المباركي، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٢١٣) **العقيدة الواسطية**: لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، خرج أحاديثه: سعد بن فواز الضميل، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

(٢١٤) **العلو للعلي الغفار**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

(٢١٥) **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير**: تحقيق واختصار: أحمد محمد شاكر، أنور الباز، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

(٢١٦) **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**: لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢١٧) **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي.

(٢١٨) **عيون الأثر في المغازي والسير**: لابن سيد الناس، تحقيق: محمد الخضراوي، محي الدين مستو، دار القلم، الطبعة الأولى.

(٢١٩) **غاية النهاية في طبقات القراء**: لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري، المتوفى سنة ٨٣هـ، عني بنشره ج. براجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٢٢٠) **غريب الحديث لابن الجوزي**: تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

(٢٢١) **غريب الحديث**: لأبي عبيد القاسم بن سلَّام الهروي، المتوفى سنة ٢٢٤هـ، تحقيق: محمد عبد المعين خان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

(٢٢٢) **غريب الحديث**: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د.عبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

(٢٢٣) **غريب القرآن**: لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، المتوفى سنة ٣٣٠هـ، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد، طبعة دار ابن قتيبة، ١٤١٦هـ.

(٢٢٤) **فائدة جليلة في قواعد الأسماء والصفات**: لابن القيم، شرح: الدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، المكتبة الإلكترونية، مكتبة الإمام ابن القيم العامة.

(٢٢٥) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لحمد بن حجر العسقلاني، اعتنى به: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢٢٦) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: لمحمد علي الشوكاني، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة بدون، سنة بدون.

(٢٢٧) **الفتح المبين في طبقات الأصوليين**: تأليف: عبدالله مصطفى المراغي، الناشر: محمد أمين دمج وشركاه، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

(٢٢٨) **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**: للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، علق عليه: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، المكتبة التجارية، مكة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٢٢٩) **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**: لأبي عبيد البكري، تحقيق: د.إحسان عباس، و د.عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

(٢٣٠) **الفصل في الملل والنحل**: لأبي محمد ابن حزم الظاهري، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٢٣١) **فصول في أصول التفسير**: لمساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام.

(٢٣٢) **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**: لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار العربي الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٢٣٣) **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**: لمحمد عبد الحي اللكنوي، مكتبة المعارف، القاهرة، ١٣٢٤هـ.

(٢٣٤) **فوات الوفيات**: لمحمد بن شاكر الكتبي، المتوفى سنة ٧٦٤هـ، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(٢٣٥) **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: لعبد الرؤوف المناوي، تعليق: ماجد الحموي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

(٢٣٦) **القاموس**: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المتوفى سنة ٨١٧هـ، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٢٣٧) **قواعد الترجيح عند المفسرين**: لحسين بن علي بن حسين الحربي، ط، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٢٣٨) **قواعد التفسير عند المفسرين**: لخالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان الخبر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢٣٩) **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**: لمحمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي الدمشقي، تحقيق: محمد عوامه، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(٢٤٠) **الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف**: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة بدون، سنة بدون.

(٢٤١) **الكامل في التاريخ**: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

(٢٤٢) **الكتاب**: لأبي بشر عمرو بن قنبر (الشهير بسيبويه)، بولاق، ١٣١٨هـ.

(٢٤٣) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧هـ-٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وغيره، مكتبة العبيكان.

(٢٤٤) **الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث**: لإبراهيم بن محمد بن سبط ابن العجمي، أبو الوفا الحلبي الطرابلسي، تحقيق: صبحي السامرائي، عالم ا لكتب مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٢٤٥) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، عني بتصحيحه: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٢٤٦) **الكشف عن وجوه القراءات السبع**: لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ.

(٢٤٧) **الكشف والبيان**: لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(٢٤٨) **الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)**: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، اعتنى به د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

(٢٤٩) **الكنز في القراءات العشر**: لعبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه الواسطي، تحقيق: هناء الحمصي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٢٥٠) **لباب النقول في أسباب النزول**: لجلال الدين ا لسيوطي، اعتنى به: عبد المجيد طمعة حلبي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

(٢٥١) **لباب النقول في أسباب النزول**: لجلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت.

(٢٥٢) **اللباب في علوم الكتاب**: للإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، المتوفى سنة ٨٨٠هـ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وغيره، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢٥٣) **لسان العرب**: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

(٢٥٤) **لسان الميزان**: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٢٥٥) **مباحث علوم القرآن**: للدكتور مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة عشر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٣م.

(٢٥٦) **المبسوط**: لشمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة بدون، سنة بدون.

(٢٥٧) **مجاز القرآن**: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

(٢٥٨) **المجاز عند الأصوليين بين المجيزين والمانعين**: للدكتور عبد الرحمن بن عبدالعزيز بن عبد الله السديس، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد (١٢)، العدد (٢٠).

(٢٥٩) **المجاز في اللغة والقرآن بين الإجازة والمنع عرض وتحليل ونقد**: لعبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٢٦٠) **المجتبى من السنن = سنن النسائي**: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٢٦١) **المجروحين**: لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمد إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، بدون تاريخ طبع.

(٢٦٢) **مجلة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**: جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد العزيز الدويش.

(٢٦٣) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٢٦٤) **مجموع أشعار العرب**: لأبي زيد القرشي، شرح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

(٢٦٥) **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**: جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

(٢٦٦) **مجموعة رسائل محمد نسيب الرفاعي**: تحقيق: حسان عبد المنان الناشر المكتب الإسلامي، عمان، طبعة ١٩٩٣م.

(٢٦٧) **محاسن التأويل**: لجمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

(٢٦٨) **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات**: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٢٦٩) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٢٧٠) **المحلى بالآثار**: لأبي محمد علي بن أبي أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار التراث، الطبعة بدون، سنة بدون.

(٢٧١) **مختار الصحاح**: لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناقرون، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢٧٢) **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**: لشمس الدين ابن قيم الجوزية، اختصار: محمد الموصلي، مكتبة الرياض الحديثة.

(٢٧٣) **مختصر العلو للعلي الغفار**: للحافظ الذهبي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

(٢٧٤) **مختصر الفتاوى المصرية**: لبدر الدين الحنبلي، تصحيح: محمد حامد الفقي.

(٢٧٥) **مختصر تاريخ دمشق**: لابن عساكر، تأليف: ابن منظور، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

(٢٧٦) **المختصر في أخبار البشر**: لعماد الدين إسماعيل أبي الفدا، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢٧٧) **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**: لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالوية الهمذاني، اعتنى به براجستراسر، وآدثر جفري، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

(٢٧٨) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**: لأبي البركات بن أحمد بن محمود النسفي، توفي سنة ٧١٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٢٧٩) **المدخل إلى دراسة البلاغة العربية**: لأحمد خليل، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨هـ.

(٢٨٠) **المدخل لدراسة القرآن الكريم**: لمحمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة.

(٢٨١) **المذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر لابن قدامة**: لمحمد الأمين بن المختار الشنقيطي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، بدون تاريخ طبع.

(٢٨٢) **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع = مختصر معجم البلدان**: تأليف: صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي، تحقيق: البجاوي، دار المعرفة.

(٢٨٣) **المستدرك على الصحيحين**: لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، إشراف: د. يوسف المرعشلي.

(٢٨٤) **المستصفى من علم الأصول**: لأبي حامد محمد الغزالي، تحقيق: حمزة زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، بدون تاريخ الطبع.

(٢٨٥) **مسند أبي يعلى**: لأحمد بن علي بن المثنى أبـو يعلى الموصلي التميمـي، تحقيـق: حسين سليم أسـد، دار المأمون للـتراث، دمشق، الطبعـة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٢٨٦) **مسند أبي يعلي**: لأحمد بن علي بـن المثنى أبي يعلي الموصلي التميمـي، تحقيـق: حسين سليم أسد، والأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٢٨٧) **مسند البزار المعروف بالبحر الزخار**: لأبي بكر أحمد بـن عمرو العتكي البصري المتوفى ٢٩٢هـ، تحقيق: د.محفوظ عبد الرحمن زين الله، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

(٢٨٨) **مسند الروياني**: لمحمد بـن هارون الروياني أبي بكر، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

(٢٨٩) **مسند الشّهاب**: لمحمد بن سلامه القضاعي، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

(٢٩٠) **مسند عبد بن حُميد**: لأبي محمد عبد الحميد بن نصر، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٢٩١) **المسند**: لأحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.

(٢٩٢) **المسند**: لسليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٢٩٣) **مشاهير علماء الأمصار**: لمحمد بن حبان البستي، عني بتصحيحه:م. فلا يشهمر، دار الكتب العلمية.

(٢٩٤) **المشتبه في الرجال**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، الدار العلمية، دلهي، الهند، تحقيق: علي محمد البيجاوي، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

(٢٩٥) **مشكاة المصابيح**: لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، تحقيق: محمد ناصر الألباني.

(٢٩٦) **المصنف في الأحاديث والآثار**: لأبي بكر بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: يوسف كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(٢٩٧) **المصنف**: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الله الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٢٩٨) **معارج القبول بشرح مسلم الوصول**: لعمر بن محمود أبو عمرو، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار ابن القيم، الدمام.

(٢٩٩) **معالم التنزيل**: لأبي محمد الحسين بن سعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٣٠٠) **معاني القرآن وإعرابه**: لأبي إسحاق إبراهيم الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٣٠١) **معاني القرآن**: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، طبعة مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٣٠٢) **معاني القرآن**: لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء، المتوفى سنة ٢٠٧هـ، تحقيق ومراجعة: أ. محمد علي النجار، دار السرور، بيروت، لبنان.

(٣٠٣) **معاني القرآن**: لسعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي الأخفش، دار وتحقيق: د.عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٣٠٤) **معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**: لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٣٠٥) **المعجم الأوسط**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

(٣٠٦) **المعجم الأوسط**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

(٣٠٧) **معجم البلدان**: لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت.

(٣٠٨) **معجم الشعراء**: لعبد الله بن محمد المرزباني، تحقيق: عبد الستار فراج، مطبعة عيسى الحلبي، ط بدون، ١٣٨٩هـ.

(٣٠٩) **معجم الشعراء**: لمحمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة ٣٨٣هـ، تحقيق: د.كرنكو، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، دار الكتب العلمية.

(٣١٠) **معجم الطبراني الصغير الروض الداني**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمان، بيروت-عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥هـ.

(٣١١) **المعجم الكبير**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: أحمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

(٣١٢) **معجم المؤلفين**: لعمر رضا كحاله، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٣١٣) **معجم محدثي الذهبي**: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٣١٤) **معجم مقاييس اللغة**: لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٣١٥) **المغرب في ترتيب المعرب**: لأبي الفتح ناصر الدين بن المطرز، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتب أسامة بن زيد وحلب، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

(٣١٦) **المعرب**: لأبي منصور الجواليقي، تحقيق: أحمد شاكر، طبعة دار الكتب المصرية.

(٣١٧) **معرفة الثقات**: لأحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٣١٨) **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، تحقيق: أبي عبد الله محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣١٩) **المغني في أبواب التوحيد والعدل**: للقاضي عبد الجبار، تحقيق: محمد مصطفى حلمي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م.

(٣٢٠) **المغني لابن قدامة المقدسي**: لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبد الله التركي و د. عبد الفتاح الحلو، توزيع: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٣٢١) **مفاتيح الغيب والمسمى بالتفسير الكبير للفخر الرازي ❖ التفسير الكبير مفاتيح الغيب**: لمحمد الرازي فخر الدين (٥٤٤هـ-٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

(٣٢٢) **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**: للراغب الأصفهاني، المتوفى في حدود سنة ٤٢٥هـ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٣٢٣) **المفضليات**: للمفضل الضبي، شرح وتحقيق: أحمد شاكر، وعبدالسلام هارون، دار النشر: دار المعارف.

(٣٢٤) **مقدمة في أصول التفسير**: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحكيم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمود محمد نصار، مكتبة التراث الإسلامي، مصر، ط بدون، سنة بدون.

(٣٢٥) **الملل والنحل**: لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، المتوفى سنة ٥٤٨هـ، مكتبة الخانجي، مصر.

(٣٢٦) **الملل والنحل**: لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تصحيح: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

(٣٢٧) **من ذيول العبر**: لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت.

(٣٢٨) **مناهل العرفان في علوم القرار**: لمحمد عبد العظيم الزرقاني، الطبعة الثالثة، دار إحياء الكتب العربية.

(٣٢٩) **المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال**: للإمام الذهبي، حقيقه وعلق عليه: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٧٤م.

(٣٣٠) **المنخول من تعليقات الأصول**: لمحمد بن محمد بن محمد الغزالي أبي حامد، المتوفى سنة ٥٠٥هـ، تحقيق: د. محمد حسن هيثو، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

(٣٣١) **منهاج السنة النبوية**: لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٣٣٢) **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**: لعثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد، الرياض.

(٣٣٣) **منهج السالك**: لأبي حيان الأندلسي، حققه المستشرق: سيدني جليسر، مكتبة أضواء السلف، ١٩٤٩م.

(٣٣٤) **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**: لابن تغري بردي، دار الكتب المصرية.

(٣٣٥) **الموافقات في أصول الأحكام**: لأبي إسحاق إبراهيم اللّخمي الشهير بالشاطبي، اعتنى به: محمد الخضر حسين التونسي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٣٣٦) **الموطأ**: للإمام مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، بدون تاريخ طبع.

(٣٣٧) **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**: لعبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

(٣٣٨) **الناسخ والمنسوخ**: لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبي جعفر، تحقيق: سليمان اللاحم، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

(٣٣٩) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**: لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٨١٣-٨٧٤هـ)، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة.

(٣٤٠) **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**: لأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.

(٣٤١) **نسب قريش**: لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيري، تحقيق: ليغي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

(٣٤٢) **النشر في القراءات العشر**: للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الجزري، المتوفى سنة ٨٣٣هـ، تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع، دار النشر، دار الفكر.

(٣٤٣) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: لشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(٣٤٤) **نكت الهيمان في نكت العميان**: لصلاح الدين بن أيبك الصفدي، المطبعة الجمالية، مصر، سنة ١٣٢٩هـ-١٩١١م.

(٣٤٥) **النكت على كتاب ابن الصلاح**: للحافظ بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق: ربيع بن هادي عمير، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

(٣٤٦) **النكت على مقدمة ابن الصلاح**: لبدر الدين الزركشي، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٣٤٧) **النكت والعيون:** لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، (٣٦٤هـ-٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

(٣٤٨) **النهاية في غريب الحديث والأثر:** لمجد الدين أبي المعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: خليل مؤمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٣٤٩) **النهر الماد من البحر المحيط:** لأبي حيان الأندلسي، مطبوع بهامش البحر المحيط، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٣٥٠) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج:** لأحمد بن أحمد التنبكتي، مطبوع على هامش الديباج المذهب، نشر: مطبعة المعاهد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ.

(٣٥١) **نيل الأوطار من أحادي سيد الأخبار شرح منتقى الأخبار:** لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، مع تعليقات محمد منير الدمشقي، دار الطباعة المنيرية.

(٣٥٢) **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون:** لإسماعيل باشا البغدادي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، بدون تاريخ طبع.

(٣٥٣) **الواضح في أصول الفقه:** د. محمد بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، دار الفتح، عمان، الطبعة الرابعة، ١٣١٢هـ.

(٣٥٤) **الوافي بالوفيات:** لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، فرانز شتايز شتوتغارت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٣٥٥) **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** لأبي حسن الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

(٣٥٦) **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المتوفى سنة ٤٦٨هـ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وغيره، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣٥٧) **وفيات ابن رافع**: لأبي المعالي محمد بن رافع السلامي، ٧٠٤- ٧٧٤هـ، تحقيق: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢-١٩٨٢م.

(٣٥٨) **وفيات ابن قنفذ**: لأحمد بن حسن الخطيب (الشهير بابن قنفذ)، تحقيق: عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

(٣٥٩) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: لأبي العباس شمس الدبن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

۞ المخطوطات:

(٣٦٠) **مخطوطة تفسير البحر المحيط**: نسخة المكتبة المحمودية بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، وتقع في عشرة أجزاء، فقد منها الجزءان الثامن والعاشر، وقد وصرت منها الجزء السادس، ورقمه ٩٥، ويبدأ من تفسير أول سورة الرعد إلى آخر تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه:٨١] من سورة طه وعدد أوراقه ٢٦٠ل، وقد كتبت سنة ٧٤٩هـ، ولم يذكر اسم الناسخ وخطها نسخي معتاد، كتبت الآيات باللون الأحمر وفي بعض أوراقها سقط قليل جداً.

۞ الرسائـــــــل:

(٣٦١) **ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة البقرة، جمعاً ودراسة وموازنة**: لمحمد بن ناصر يحيى جدُّه (دكتوراه)، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير، ١٤٢٦هـ-١٤٢٧هـ.

(٣٦٢) **مباحث المعاني في تفسير البحر المحيط**: لشاكر عبد الهادي الصباغ (ماجستير)، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.



فهرس الموضوعات

